دار الكتب والوثائق القومية
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

عجائب الآثار
فى
التراجم والأخبار

تأليف
عبد الرحمن بن حسن الجبرتى
تحقيق
الأستاذ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

عن طبعة بولاق

الجزء الرابع



مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٩٩٨


عجائب الآثار
في
التراجم والأخبار

المقدمة

الأستاذ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

نقدم الجزء الرابع من تاريخ الجبرتى « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، ويسير الجبرتى فى تسجيله للأحداث على نفس المنهج الذى انتهجه فى الأجزاء الثلاثة السابقة ، مع ملاحظة تقلُّص حجم التراجم فى هذا الجزء ، الذى يشتمل على أحداث الستة عشر عامًا الأولى من حكم محمد على باشا ، والملاحظة الجديرة بالاهتمام ، أنَّ الجبرتى الذى كان يؤمن بفكرة العدل ، لم يدرك هدف محمد على باشا من إلغائه للأنظمة التى كانت سائدة قبل فترة حكمه ، والذى كان قصده من ذلك بناء الدولة الحديثة ، لم يدرك الجبرتى ذلك الهدف ، ولذا عَدَّ كل تصرف من تصرفات محمد على باشا ورجال الإدارة التابعين له ظلمًا ينافى العدل ، ويفوض الأمر لله العلى القدير .

وقد افتتح أحداث هذا الجزء بفقرة يثبت رأيه هذا فى محمد على ، فقد تحدث عن انتقال الأبراج وتحركها، واتحاد السنة القمرية مع الشمسية ، ثم ذكر «وكيوان الرابع ، وهو دليل على ثبات دولة القائم ، وتعب الرعية ، والحكم لله العلى القدير » [1] .

والجبرتى يسجل فى هذا الجزء أحداث القضايا التى شغلت تاريخ الفترة ، وهى :

أولاً : صراع محمد على مع المماليك :

حيث كان الأمراء المماليك ، وعلى رأسهم محمد بك الألفى ينتظرون تغيير محمد على باشا ، ونقْله من مصر ، وقد تحققت نظرتهم ، فقد وصل قبودان باشا ، وموسى باشا معينًا واليًا على مصر ، ونقل محمد على إلى ولاية سلانيك ، وذلك فى ١٠ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٢٧ يونيه ١٨٠٦ م ، ولما علم الألفى بذلك « امتلأ فرحا ، وأرسل عدة مكاتبات إلى مصر (القاهرة) ، صحبة السعاة ، فقبضوا على السعاة ، وحضروا بها إلى الباشا فأخفاها » [2] ، وهنا تظاهر محمد على باشا

---

(١) الجبرتى ، عبد الرحمن بن حسن ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ٤ ، ص ١ ، من هذه الطبعة .

(٢) نفسه ، ص ١٨ .

بالخروج لمحاربة الألفى ، وكتب العلماء كتابًا - أُملىَ عليهم - إلى قبودان باشا يتمسكون فيه بمحمد على واليًا على مصر ، وساقُوا فى كتابهم الأسباب العديدة لذلك ، فرفض قبودان باشا ما جاء في كتاب العلماء ، وأَصَرَّ على سفر محمد على إلى ولاية سلانيك [١] ، فلجأ محمد على باشا إلى أسلوب أخر للتفاهم مع قبودان باشا ، فقدم له الرشاوى ، وتوافق هواهم معًا ، وكتب محمد على باشا عرضحال جديد أرسله مع ابنه إبراهيم ، فانسحب القبودان من الإسكندرية عائدًا [٢] ، وبذلك ثَبَّتَ محمد على باشا أقدامه فى مصر .

ولما اطمأن محمد على باشا من ناحية قضية نقله من مصر « شرع فى تجهيز عساكر وتسفيرهم إلى جهة بحرى وقبلى ، وحجزوا المراكب ، فانقطعت سُبُلَ المسافرين » [٣] ، وعمل على تجريد العسكر لمحاربة الألفى والمماليك الذين معه ، واستمر الألفى بالجيزة ومحاصرة دمنهور ، وعندما تأكد محمد على باشا من خبر موت الألفى ، قال فى مجلس خاصته : « الآن ملكت مصر » [٤] ، ثم عمل على التخلص نهائيا من الأمراء المماليك حتى يصفو له الجو ، وينفرد بالسيطرة على مصر بكاملها ، وانتظر الفرصة حتى أتيحت له يوم الجمعة ٦ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢ مارس ١٨١١ م ، حيث دعا الأمراء المماليك لحضور حفل تقليد ابنه أحمد طوسون باشا قيادة حملة الحجاز ، ووضع للحفل ترتيبًا خاصًا ، حيث يتحرك الأول الجند وفى مقدمتهم أحمد طوسون باشا قائد الحملة بعد مراسم التقليد ، يليهم بعد ذلك الأمراء المماليك ، الذين جلسوا مع الباشا حصة ، وشربوا القهوة ، وتضاحك معهم الباشا، ولما جاء دورهم فى العرض ، تحركوا فى الترتيب ، ولما كانوا بين الباب الأسفل والباب الأعلى لباب العزب ، أعمل فيهم جند محمد على البنادق والسيوف ، وقضوا عليهم ، ومن لم يَمُت منهم بالرصاص أو تخلف عن الموكب أعمل فيهم المشاعلى السيف واحدا بعد الآخر « حتى امتلأ الحوش من القتلى » ، وبذلك خلص لمحمد على أمر مصر ، وأنهى صراعه مع المماليك [٥] .

ثانيا : حملة فريزر على مصر ١٨٠٧ م :

قضية شغلت الجبرتى وسجل أحداثها من أول لحظة وحتى مغادرتها مصر ،

---

(١) نفسه ، ص ٢٤ . (٢) نفسه ، ص ٢٩ - ٣٠ . (٣) نفسه ، ص ٣٢ .
(٤) نفسه ، ص ٣٨ . (٥) نفسه ، ص ٢٠٧ - ٢١٣ .

كانت بريطانيا ترنو بعينيها إلى مـصر ، منذ أن خرجت قواتها من مصر ، بعد صلح أميان ١٨٠٢ م ، وكانت تراقب الصراع الدائر فى مصـر بين المماليك بعضهم بعضا ، ثم بين المماليك ومحمد علـى ، وكان الألفى قد طلب الـعون البريطانى كـى ينفرد بحكم مصر ، فـاستغلت بريطانيا الفرصـة ، وأرسلت حملتها المعروفة بـحملة فريزر مارس ١٨٠٧ م ، وهدفها الأساسى الهيمنة على موقع مصر الإستراتيجى .

وصـلـت الحمـلة إلى ثغـر الإسكـنـدرية فى ٩ محـرم ١٢٢٢ هـ / ١٩ مارس ١٨٠٧ م ، ورفض أهل الإسـكندرية نزول الجـند الإنجليـز بها ، بعد أن حـاول قائد الحملة التفاوض معهم ، وإزاء رفض أهل الإسكندرية وسلطاتها ضرب أسطول الحملة المدينة بمدافعه ، وهدم جـانبا من برجها الكبير ، والأبراج الصغـيرة ، فطلب السكان الأمان « فرفعوا عنهم الضرب ودخلوا البلدة يوم الجمعة التالى » ١٣ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٣ مارس ١٨٠٧ م [١] .

وكتب أهل الإسـكندرية إلى القـاهرة بخبر الحمـلة ، وكان محمد عـلى يحارب المماليك ، وأخـذ منهم أسيوط ، فلما وصـله خبر الحملة « انفعـل لذلك ، وداخله وَهَمٌ كبير ، وأرسل إليهم (المماليك) ، المشايخ وخلافهم ، يطلبهم للصلح ، وكان ما سيتلى عليك قريبا ، وما كان إلاَّ ما أراده المولى جلَّ جلاله ، من تعسة الإنكليز ، والقطر وأهله ، إلاَّ أنْ يشاء الله » [٢] .

ويرصـد ورود الأخبار فـى ٢٤ محرم ١٢٢٢ هـ / ٣ أبريـل ١٨٠٧ م ، مـن ثغر رشيـد ، تفيد انتصـار أهل رشيد على الإنـكليز ، وقبضـهم على كثيـر منهم ، وذَبْحهم جملة أخرى ، وأسروا الـباقين ، ووصل الأسرى إلى القاهرة يوم ٢٦ محرم ١٢٢٢ هـ / ٥ أبريل ١٨٠٧ م [٣] .

وعمـل سكان القـاهرة استعـدادهم لحرب الإنجلـيز ومطاردتـهم ، كان الإنجلـيز يعملون فى الوقت ذاته استعدادهم للعود إلى رشيد والاستيلاء عليها [٤] ، وعادوا إلى الحمَّاد قبلى رشيد ، وسافر عدد كبير من أهل القاهرة صوب الحماد لمناصرة أهلها ضد الإنجليز [٥] ، وفى ٣ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٢ أبريل ١٨٠٧ م ، وصل مـحمد على باشا إلى القاهرة ، « وسخَطَ على أهل الإسكـندرية والشيخ المسيرى ، وأمين أغَا ، حيث

---

(١) نفسه ، ص ٧٣ - ٧٤ .
(٢) نفسه ، ص ٧٧ .
(٣) نفسه ، ص ٧٨ - ٧٩ .
(٤) نفسه ، ص ٥٤ .
(٥) نفسه ، ص ٥٤ .

مكّنوا الإنكليز من الثغر وملّكوهم البلدة ، ولم يقبل لهم عُذْرًا فى ذلك » [1] ، فعرض عليه العلماء والسيد عمر النقيب ، « إنّا نخرج جميعا للجهاد مع الرعيّة والعسكر » ، فقال « ليس على رعية البلد خروج ، وإنّما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر ، وانفضّ المجلس وركبوا إلى دورهم » [2] ، وتوالى وصول الأسرى والقتلى والجرحى من الإنجليز ، حتى طلب قائد الحملة الصلح والعودة بحملته من حيث أتى ، وقد أدهش هذا النصر الجبرتى ، وبحكم أنه رجل درس الشريعة ، ويؤمن بفكرة العدل ، فيتعجب من القَدَر الذى أتاح هذه الفرصة لمحمد على الذى لم يؤمن بالعدل ، وإنّما يرتكب الظلم يوما بعد الآخر ، وذلك بقوله : « وقد أفسد الله رأى كل من : طائفة الإنكليز ، والأمراء المصرية ، وأهل الإقليم المصرى ، لبروز ما كتبه وقَدَّره فى مكنون غيبه على أهل الإقليم من الدمار الحاصل ، وما سيكون بعد ، كما ستسمع به ، ويتلى عليك بعضه » ، ويُفَصِّلُ فساد رأى كل فئة من هذه الفئات ويذكر فساد رأى الأهالى « لانتصارهم لمن يَضُرُّهُم ، ويسلب نعمهم ، وما أصاب من مصيبة فيما كسبت أيدى الناس « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » [3] ، وكأنه يعيب على أهل مصر لانتصارهم لمحمد على الذى سيذيقهم الظلم ، وهذه قضية أخرى هامة ، سَجَّلَ الجبرتى تفاصيلها فى هذا الجزء .

ثالثا : محمد على والعلماء :

عمل محمد على باشا حثيثا ، منذ أن نجح فى التغلب على نقله من مصر ، على الدّس للعلماء ومحاولته كسر شوكتهم تدريجيا ، وساعده على ذلك ما رآه من ضغائن فيما بَيْنَهم ، وكانت أولى خطواته فى هذا المسعى ، ضد أحد الشخصين اللذين ألبساه كرك الولاية ساعة اختياره واليًا على مصر ، الا وهو الشيخ عبدالله الشرقاوى ، ففى يوم السبت ٧ رجب ١٢٢١ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م ، « أرسل الباشا إلى الشيخ عبدالله الشرقاوى ترجمانه ، يأمره بلزوم داره ، وأنه لايخرج منه ، ولا إلى صلاة الجمعة ، وسبب ذلك أمور وضغائن ومنافسات بينه وبين إخوانه كالسيد : محمد الدواخلى ، والسيد سعيد الشامى ، وكذلك السيد عمر النقيب ، فأغروا به الباشا ، ففعل به ما ذكر ، فامتثل الأمر ، ولم يجد ناصرًا ، وأُهْمِلَ

---

(١) نفسه ، ص ٩٠ . (٢) نفسه ، ص ٣٠ - ٣١ . (٣) نفسه ، ص ٩٠ .

أمره » [1] ، ولما كَلَّمَه القاضي في شأن قضية الشيخ في شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر – ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م ، قال : « أنا لا ذنب لي في التحجير عليه ، وإنَّما ذلك من تفاقمهم مع بعضهم » ، فاستأذنه القاضي في الصلح بينهم فَأَذِنَ له ، وأقام القاضي لهم وليمة « ودعاهم وتغدوا عنده وصالحهم ، وقرءوا الفاتحة ، وذهبوا إلى دورهم والذي في القلب مستقر فيه » [2] ، وبهذه الخطوة هزَّ أحد العمودين القويين من أعمدة المشايخ ، ثم بدأ يظهر مكنون نفسه تجاههم ، حينما قبض أغاة التبديل على شخص من أهل العلم ، من أقارب السيد حسن البقلي وحبسه : « فأرسل المشايخ يترجون في إطلاقه ، فلم يفعل ، وأرسله إلى القلعة » [3] ، ولما شرع الباشا « في تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بأنواع الأقمشة ، وباعة النعالات التي هي الصرم والبلغ ، وجعلوا عليها ختمية ، فلا يباع منها شيء حتى يعلَّم بيد الملتزم ويختم ، وعلى وضع الختم والعلامة ، قَدْرٌ مُقَدَّرٌ ، بحسب تلك البضاعة وثمنها ، فزاد الضجيج واللغط في الناس » ، واستصرخوا المشايخ الذين أرسلوا إلى السيد عمر مكرم النقيب ، وكتبوا عرضحال إلى الباشا « وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد ، وترك المنافرة » لما طلبهم الباشا للحضور إليه ومخاطبته مشافهة ، استجاب بعضهم وطلعوا للباشا ، ورفض السيد عمر النقيب الطلوع ، وأصرَّ على موقفه هذا رغم تكرار طلبه من جانب الباشا [4] ، ودس الذين طلعوا ضد السيد عمر النقيب ، وأدرك الباشا حقيقة نفوسهم ، فذهب الباشا إلى بيت ولده إبراهيم بك الدفتردار في ٢٧ جمادى الثانية ١٢٢٤ هـ / ٦ أغسطس ١٨٠٩ م ، وطلب القاضي والمشايخ المذكورين ، وأرسل رسولا من طرفه ، ورسولا من طرف القاضي ، إلى السيد عمر مكرم ، فرفض الاستجابة لمطلبهما ، فأحضر الباشا خلعة ، وألبسها لشيخ السادات على نقابة الأشراف ، وأمر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر مكرم ، ونفيه من مصر يوم تاريخه ، فطلب المشايخ أن يكون خروجه إلى بلده أسيوط ، فقال : « يذهب إما إلى الإسكندرية أو دمياط » [5] ، فسافر السيد عمر إلى دمياط ، وبهذه الخطوة ، ضرب العمود الثاني للعلماء ، وبذلك تخلص من قوة شوكة العلماء الذين ظَلَّ بعضهم ينافقه ، ويظهر الخضوع له ، وظل هو يضعف من قوتهم كما هو مُفَصَّلٌ في هذا الجزء .

---

(١) نفسه ، ص ٣١. (٢) نفسه ، ص ٣٣ . (٣) نفسه ، ص ١٥٦ .
(٤) نفسه ، ص ١٥٧ – ١٦١ . (٥) نفسه ، ص ١٦١ .

رابعاً: الدعوة السلفية كما وصلت إلى الجبرتي:

والدعوة السلفية من القضايا التى اهتم بها الجبرتى ، وسَجَّلَ كل ما وصله عن الدعوة وأتباعها أولاً بأول ، وهو يُعَلِّلُ لماذا طلب الأمير سعود عدم مجئ الحج فى العام التالى ، فى ١٣ جمادى الثانى ١٢٢١ هـ / ٢٨ أغسطس ١٨٠٦ م ، لأنه رأى فى مجئ المحمل مع قافلة الحج عادة لاتتفق وقدسية فريضة الحج ، ولذا فإنه طلب من أمير الحج عدم المجئ به قائلاً : « لاتفعلوا ذلك ، ولا تأتوا به بعد هذه المرة ، إن أتيتم به مرة أخرى فإنِّى أكسره » [1] ، وهو يرى أن الدعوة السلفية دعوة صحيحة تتفق وأصول الإسلام ، ويرى أن استيلاء آل سعود على الحجاز ، وتطبيقهم للشريعة الإسلامية ، ترتب عليه أنْ « أَمِنَتْ السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة ، وبين مكة وجدة والطائف ، وانحلت الأسعار ، وكثر وجود المطعومات ، وما يجلبه عربان الشرق إلى الحرمين من : الغلال والأغنام والأسمان والأعسال ، حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة ريال ، واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار ، وإذا نوقش فى ذلك ، يقول : « هؤلاء مشركون ، وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين » [2] .

وقد سجل لنا الجبرتى كل ما وصله عن الدعوة وأتباعها من آل سعود ، والمعارضين لها حتى انهيار الدولة السعودية الأولى ، والجبرتى فى تسجيله للأحداث يبدى تعاطفه مع الدعوة والدولة ، ولذا يُعَدُّ كتابه مصدرا هامًا من مصادر تاريخ الدولة والدعوة فى الفترة التى سَجَّلَ فيها الأخبار التى وصلته .

خامساً: محمد على والمظالم التى فرضت على الرعية:

من الثابت لنا الآن أنَّ الظروف التى أحاطت بمحمد على هى التى أجبرته على كثرة فرض الضرائب والفِرد والمغارم على الشعب المصرى ، ففى سنوات صراعه مع الأمراء المماليك كان فى حاجة للأموال ، ليصرف على القوات التى يجردها ضد المماليك ، ولم تكن كل مصر خاضعة له ، وبعد أن خلص من صراعه مع المماليك ، كان فى حاجة إلى الأموال للإنفاق على حملته فى الجزيرة العربية من ناحية ، وعلى مشروعاته لبناء الدولة الحديثة فى مصر الذى تمكن من تثبيت حكمه

---

(١) نفسه ، ص ٢٨ .

(٢) نفسه ، ص ٩ .

فيهـا ، ولكن الجبرتى الـذى يؤمن بفكـرة العدل فى الإسلام ، يرى فـى كل الفُرَضِ التى قررها محمد على ظلما .

يسوق الجبرتى العديد من هذه المظالم ، نـذكر منها أنه « فى يوم الخميس ٥ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٤ أبـريل ١٨٠٦ م ، أرسـل الباشـا إلى الخـانات والوكـائل أعـوانا ، فختموا على حواصل التجار بما فى داخـلها من البن والبهار ، وذلك بعد أن أمَّنهم ، وقبض منهم عشورها ومكوسها بالسويس ، فلما وصلت القافلة ، واستقرت البضائع بالحواصل فعل بهم ذلك ، ثم صالحوا وأفرج عنهم »[1] و « ١٠ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٩ أبريل ١٨٠٦ م ، فرضـوا أيضًا على البلاد غـلال قمح وفول وشعيـر ، كل بلد عشرون أردبا فما فوقها وما دونها ، وهذه ثالث فرضة ابتدعـت من الغلال على البلاد فى هذه الدولة »[1] ، وفى ٦ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٢٤ مايو ١٨٠٦ م » قرر فُرْضَةً على البلاد ، وهى دراهم وغلال »[3] ، وفى ١٢ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٣٠ مايو ١٨٠٦ م ، « طلب الباشا دراهم سلفة من الملتـزمين والتجار وغيرهم ، بموجب دفتر أحمد باشـا خورشيد الذى كان قبضـها فى عام أول ، قبل القـوامة والحرابة ، فَعَيَّنُوا مقاديرها ، وعَيَّنُوا بطلبها المعينين بالطلب الحثيث من غير مهلة ، ومـن لم يجدوه بأنْ كان غائـبًا أو مُتَغَيِّبًا دخلوا داره ، وطالـبوا أهله أو جـاره أو شريكه ، فـضـاق ذرع الناس ، وذهبـوا أفواجا إلى السيد عمر أفندى الـنقيب ، فيتضجر ويتأسف ، ويتقلق ويهون عليهم الأمر ، وربما ذهب فى التخفيف عن البعض بقدر الإمكان ، وقد تورط فى الدعوة »[4] .

ولما بدأ محمد على بـاشا يتخذ خطواته فى تطبيق نظـام الاحتكار ، ويتصرف فى ضوء السياسة التى وضعها ، رأى الجبرتى فى هذه السياسة نوعا من الظلم ، ففى آخر الحجة ١٢٢٧ هـ / ٣ يـناير ١٨١٣ م « أرسل الـباشا لجميع كـشاف الوجه القـبلى ، بحجـز جميع الغلال والحجـر عليها لطرفـه ، فلا يَدَعُونَ أحدا يبيع ولايشـترى شيئًا منها، ولايسافر بشىء منها فى مركب مطـلقا ، ثم طلبوا ما عند أهل البلاد من الغلال حتى مـا هو مدَّخَرٌ فى دورهـم للقوت ، فأخـذه أيضًا ، ثم زادوا فى الأمـر ، حتى صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون من الغلال قَلَّ أو كثر ، ولايدفعون ثمنا بل يقولون لهم : « نحسـب لكم ثمنه من مال السنة القابلة » ، ويشـحنون بذلك جميع

---

(١) نفسه ، ص ٩ - ١٠ . (٢) نفسه ، ص ١٠ . (٣) نفسه ، ص ١٤ .
(٤) نفسه ، ص ١٥ .

مراكب الباشا التى استجدها وأعدَّها لنقل الغلال ، ثم يسيرون بها إلى بحرى ، فتنقلُ إلى مراكب الإفرنج بحساب مائة قرش عن كل أردب » [1] ، وكذلك كان موقفه عندما استولى على مزارع الأرز بالبحر الغربى والشرقى ، وصرف على هذه المزارع حتى جمع المحصول ، وأعطوا للفلاحين ورقة يحاسبون بها إن تَبَقَّى لهم شيء ، وبذلك « أبطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم واستقر الحال إلى أن صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا ، ويباع الموجود على ذمته لأهل الأقاليم المتسببين وغيرهم ، وهو عن كل أردب مائة قرش بل وزيادة ، وللإفرنج وبلاد الروم والشام ، بما لا أدرى » [2] ويسجل كذلك « واستهل شعبان ١٢٣٠ هـ/ ٩ يوليه ١٨١٥ م ، والناس فى أمر مريج من قطع أرزاقهم ، وأرباب الالتزامات ، والحصص التى ضبطها الباشا ، ورفع أيديهم عن التصرف فى شىء منها ، خَلاَ طين الأوسية » [3] ، ورأى الجبرتى ظلم محمد على باشا واضحا عندما منع الفلاحين من أخذ شىء من البقول المزروعة ، حتى أمر « بتكميم أفواه المواشى التى تسرح للمرعى ، حوالى الجسور والغيطان » [4] ، وما فعله فى الاستحواذ على محصول البلح [5] ، يرى الجبرتى فى تصرفات محمد على هذه ، ليس فيها من العدل شىء ، ولكن فيها من الظلم كُلَّ شىء .

سادسا : مشروعات محمد على الإصلاحية :

الجبرتى الذى رأى فى معظم تصرفات محمد على باشا ظلما ، لكن إيمانه بالعدل ، جعله يرصد لمحمد على الإصلاحات التى رأى فيها نفعا للرعية ، ذكر له سَدَّ ترعة الفرعونية وتتميمه ، عملا يحسب له [6] ، ورأى فى تعميره لقصر العينى وتجديده على صورة وضع الأبنية الأوربية [7] ، وهدمه لسراية القلعة وبنائها على وضع أخر [8] ، والهمة التى بذلها فى إعادة السد الأعظم الموصل إلى الإسكندرية ، وكان قد تخرب من مدة سنين ، فاعتنى بأمره حتى تممه ، ويذكر همته هذه بقوله : « وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان ، فلو وَفَّقَهُ الله لشىء من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة ،

(١) نفسه ، ص ٢٤٥ .
(٢) نفسه ، ص ٢٤٨ .
(٣) نفسه ، ص ٣٤٩ .
(٤) نفسه ، ص ٣٩٢ .
(٥) نفسه ، ص ٤٨٣ .
(٦) نفسه ، ص ١٤٥ ، ١٥١ .
(٧) نفسه ، ص ٢٥٣ .
(٨) نفسه ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه »[1] ، وكذلك يرصد له فى ١٨ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٣ يوليه ١٨١٧ م ، بناءه حائطين « بحرى رشيد عند الطينة على يمين البغاز وشماله ، لينحصر فيما بينها الماء ، ولا تطمى الرمال وقت ضعف النيل » ، وقد أكمل هذا العمل فى خلال شهر ، حتى أن الجبرتى رأى فى « هذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التى لم يسبق بمثلها »[2] ، ويسجل له اهتمامه بحفر ترعة الأشرفية الموصلة إلى الإسكندرية ، وكيف حشد لها العمل الفنى والكفاءات الهندسية لقياس طولها وعرضها وعمقها ، وكلف الكشاف بجمع الفلاحين والرجال « على حساب مزارع الفدادين »[3] ، وقوى اهتمام الباشا بهذه الترعة[4] ، حتى أكمل حفرها .

بالإضافة إلى هذه القضايا التى سجلها الجبرتى ، فإنه رصد قضايا اجتماعية واقتصادية وثقافية أخرى ، مثل تغيير العملة وتغير قيمتها ، وأثر ذلك على المجتمع ، وكذلك التغيير الذى كان يحدث فى الموازين والمكاييل ، وعمليات السلب والنهب والإفساد التى كان يرتكبها الجند ، وقضايا عديدة تمس حياة الرعية ، فعلى الباحث فى أى موضوع أن يتتبعه فى كتاب الجبرتى « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » ، فإنَّه لواجد كل بغيته أو ما يبتغيه ، والله ولىُّ التوفيق .

أ.د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
٦٨ ش معز الدولة - المنطقة السادسة
مدينة نصر - القاهرة
الاثنين ٢٧/٧/١٩٩٧ م

---

(١) نفسه ، ص ٤١٠ .
(٢) نفسه ، ص ٤٣١ .
(٣) نفسه ، ص ٤٦١ .
(٤) نفسه ، ص ٤٦٨ .

سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف[1]

استهل شهر المحرم[2] بيوم الخميس حسابا ، ويوم السبت هلالا[3] ، ووافق ذلك انتقال الشمس لبرج الحمل[4] ، فاتحدت السنة القمرية والشمسية ، وهو يوم النوروز السلطانى[5] ، وأول سنة الفرس ، وهو التاريخ الجلالى اليزدجردى ، وتاريخهم فى هذه السنة ألف ومائة وستة وسبعون ، وكان طالع التحويل الواقع فى يوم الجمعة فى خامس ساعة ونصف من النهار ، سبع درجات ونصفا من برج السرطان[6] ، وصاحبه فى حيز العاشر منصرف عن تربيع المشترى[7] ، ومقارنة عطارد[8] ، والمشترى فى السابع ، والمريخ[9] مع الزهرة[10] فى العاشر ، وهى راجعة ، وكيوان فى الرابع ، وهو دليل على ثبات دولة القائم وتعب الرعية ، والحكم لله العلىّ الكبير .

---

(1) ١٢٢١هـ / ٢١ مارس ١٨٠٦ - ١١ مارس ١٨٠٧م . (2) ١ محرم ١٢٢١هـ / ٢١ مارس ١٨٠٦م .

(3) ٣ محرم ١٢٢١ هـ/ ٢٣ مارس ١٨٠٦م .

(4) الحمل : هو البرج الأول ، يكتب باللاتينية (Aries) ، وبالإنجليزية (Ram) ، وفترته من (٢١ مارس - ٢٠ أبريل) ، ويوافق الاعتدال الربيعى (Vernal Equinox) ، ويقع غرب الثور ، والحمل من كوكبات الخريف ، أى شهور : أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ، ويمكن مشاهدته مع الكواكب المجاورة له بوضوح فى الأفق الشرقى فى أوائل الليل فى الشهور المذكورة ، ويظهر مع جيرانه فى الأفق الغربى فى أواخر الليل فى شهور الخريف .

كعُورة ، الأمين محمد أحمد : مبادئ الكونيات ، عالم الكتب . بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٩٧٩م ، ص ١١٢ - ١٢٠ .

(5) النوروز السلطانى : عيد سنوى احتفل به من العصر الفاطمى ، وتذكر المصادر أنه عيد فارسى ، وأول من اتخذ النوروز عيدًا هو : جمشميد أو جمشماد ، أحد ملوك الفرس الأول .

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، دار صادر ، بيروت (د. ت) جـ ١ ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .

(6) برج السرطان : هو البرج الرابع ، ويعرف باللاتينية (Cancer) وبالإنجليزية (Crab) ، وفترته (٢٢ يونيه - ٢٢ يوليه) ، ويوافق الانقلاب الصيفى ، ونجوم السرطان خافتة ، ووقوعه بين برجى الأسد والجوزاء يسهل معرفة موقعه ، ويظهر فى الأفق الشرقى فى أوائل الليل فى : يناير وفبراير ومارس ، ويظهر فى الأفق الغربى فى أواخر الليل من أشهر الشتاء ، وتمر به الشمس فى ٢٢ يونيه و ٢٢ يوليه .

كعُورة : الأمين محمد أحمد : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(7) المشترى : كوكب يظهر بوضوح فى منطقة مدار الشمس الظاهرى ، ويكمل دورته حول الشمس فى حوالى ١٢ سنة ، وحركته بطيئة بالنسبة للحركة الظاهرية للنجوم .

نفسه ص ١٣٨ .

(8) عطارد : كوكب صغير وقريب من الشمس ، ويظهر براقا بخلاف الكواكب الأخرى ، ويظهر لفترة قصيرة قبل الشروق وبعد الغروب ، وحركته سريعة لأنه يكمل دورته حول الشمس فى (٨٨) يوما .

نفسه ، ص ١٣٨ .

(9) المريخ : يظهر أحمر اللون فى منطقة مدار الشمس الظاهرى ، حركته بطيئة بالنسبة لحركة النجوم الظاهرية ، ويكمل دورته حول الشمس فى (٦٨٧) يوما .

نفسه ، ص ١٣٨ .

(10) الزهرة : ألمع جرم فى السماء ، ويظهر لفترات طويلة فى الصباح أو المساء ، وحركته أسرع من حركة النجوم الظاهرية ، ويكمل دورته حول الشمس فى (٢٢٥) يوما .

نفسه ، ص ١٣٨ .

وفى ثالثه[1] فى ليلـة الثلاثاء وصل إلى بـولاق قابجى[2] وعلى يده تقـرير لمحمد على باشا بولايته بمصر وصحبة التقرير خلعة وهى فروة سمور فلما أصبح النهار عمل محمد على باشا ديوانا بمنزله بالأزبكية وحـضر السيد عمر النقيب والمشايخ والأعيان، وحضر ذلك الاغا من بولاق فى موكب ودخل من باب النصر وشق من وسـط المدينة وأمامه الأغا والوالى والمحتسب والأغوات والجاويشية ، وخـلفه النوبة التركية ، فلما وصلوا إلى باب الخرق عطفوا على جهة الأزبكية ، فلما قرئ التقليد[3] ضربوا مدافع كثيرة من الأزبكـية والقلعة ، وعملوا تلـك الليلة شنكا وحراقات ونـفوطا وسواريخ كثيرة وطبولا وزمورا بالأزبكية .

وفى سابعه[4] ، وصلـت الأخبار بـوقوع حرب بين الـعساكـر والعربـان والأمراء المصرية بناحـية جزيرة الهواء وقتل شخص مـن كبار العسكر يـسمى كـوريوسف وغيره ووصل إلـى مصر عِدة جرحـى ، وهرب من الـعسكـر طائفة وانـضموا إلـى الأمراء المصريين وأرسل حسن باشا يستنجد البـاشا بإرسال عساكر إليه ، وفى ذلك اليوم نادوا فى الأسواق بعدم المشى فى الأسواق من أذان العشاء ، وخرج كتخدا بيك إلى بولاق فى آخر النهـار ونصب وطاقة[5] ببر إنبـابة ، وخرج سليمان أغـا بجملة من الـعسكر وذهب إلى ناحية طرا .

وفى ثامنه[6] ، عَدَّى كتخدا بـيك إلى البر الغربـى وانتقل طاهر باشـا إلى الجيزة وأقام بها محافظا .

---

(١) ٣ محرم ١٢٢١ هـ / ٢٣ مارس ١٨٠٦م .

(٢) قابجى : مـن التركية (قابى) أى البـاب ، ألحقت بها أداة النسب (جى) ، وترسم بالتركية (قـبوجى) ، هو البواب ، يحـرس باب الديوان الحكومى ، يفـتحه ويغلقه ، ويـتقبل الآتية إلى الديـوان ، وكان حراس الأبواب يرسلون فى مهمات رسمية إلى الولايات ، ورئيسهم يطلق عليه (قابجى باشا) .

(٣) التقليد : الأمر الخاص بتقليد منصب من المناصب ، وهنا الأمر الخاص بتجديد الولاية لمحمد على باشا .

(٤) ٧ محرم ١٢٢١هـ / ٢٧ مارس ١٨٠٦م .

(٥) الوطاق : فى التركـية : (أوتاق) و (أوتاغ) و (أوطاق) ، دخلت الفارسيـة فى صيغ : (اطاق) و (اتاق) و (أتاغ) ، وفى التركية تعنى الخيـمة الكبيرة المزخرفة تعد للعظماء ، والوطاق فى العربيـة : تعنى الخيمة والمعسكر المكون من الخيام ، وهو المعنى المقصود هنا .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٦) ٨ محرم ١٢٢١هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٦م .

وفيه[1] أمر الباشا بجمع الأجناد المصرية والوجاقلية ، وأمرهم بالتعدية إلى البر الغربى ، وكأنه تخوف من إقامتهم بالمدينة ، وقال لهم « من أراد منكم الذهاب إلى الأخصام فليذهب وإلاّ يستمر معنا » .

وفى هذه الأيام ، كان مولد سيدى أحمد البدوى[2] ، والجمع بطندتا المعروف بمولد الشرنبابلية ، وهرع غالب أهل البلد بالذهاب إليه ، واكتروا الجمال والحمير بأغلى الأجرة ؛ لأن ذلك صار عند أهل الإقليم موسما وعيدا لا يتخلفون عنه ، إما للزيارة أو للتجارة أو للنزاهة أو للفسوق ، ويجتمع به العالم الأكبر ، وأهالى الإقليم البحرى والقبلى ، وخرج أكثر أهالى البلد بحمولهم ، فكان الواقفون على الأبواب يفتشون الأحمال ، فوجدوا مع بعضهم أشياء من أسباب الأجناد المصرية وملابسهم ونحو ذلك ، فوقع بسبب ذلك إيذاء لمن وجدوا معه شيئا من ذلك ، ولباقى الناس ضرر بنبش متاعهم ، فكان من الناس من يأخذ معه أشخاصا من العسكر من طرف الأغا يسلكونهم للخروج من غير تفتيش ، ويمنعون المتقيدين بالأبواب عن التعرض لهم ، ونبش متاعهم وأحمالهم .

وفى تاسعه[3] : وصل الخبر بأن عابدين بيك لما بلغه خروج الألفى من الفيوم ، ذهب إليها صحبة الدلاة فلم يجد بها أحدا فدخلها ، وأرسل المبشرين إلى مصر بأنه ملك الفيوم ، فضربوا مدافع لذلك ، وانبث المبشرون يطوفون على بيوت الأعيان يبشرونهم بذلك ، ويأخذون على ذلك الدراهم والبقاشيش ، ثم لما بلغ عابدين بيك ما حصل لأخيه حسن باشا من الهزيمة رجع إليه ، وأقام معه ناحية الرقق[4] .

وفى عاشره[5] : وصل الألفى إلى ناحية كرداسة[6] وانتشرت عساكره وعربانه

---

(١) ٨ محرم ١٢٢١هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٦م .

(٢) احمد البدوى : (٥٩٦ - ٦٧٥ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٧٦ م) ، هو : احمد بن على بن إبراهيم الحسينى ، أبو العباس البدوى ، متصوف ، صاحب شهرة ، ولد بفاس ، وطاف البلاد ، وأقام بمكة والمدينة ، دخل مصر فى أيام الملك الظاهر بيبرس ، توفى ودفن فى طنطا ، حيث يفد إليها الناس كل عام احتفاءً بمولده .
الزركلى ، خير الدين ، قاموس الأعلام ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ .

(٣) ٩ محرم ١٢٢١هـ / ٢٩ مارس ١٨٠٦م .

(٤) الرقق : من النواحى القديمة ، وتقع على جانبى النيل ، فقيد زمامها فى تاريخ ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م ، باسم الرقق ، وفى ١٩٠٠م ، فك زمام مديرية الجيزة ، وقسمت إلى ناحيتين : الرقة الغربية ، والرقة الشرقية . وهى إحدى قرى مركز العياط - محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، القسم الثانى ، جـ٣ ، ص ٣٩ .

(٥) ١٠ محرم ١٢٢١هـ / ٣٠ مارس ١٨٠٦م .

(٦) كرداسة : اسمها الأصلى كلداسة ، قرية قديمة ، وردت فى تاريخ ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، برسمها الحالى ، وهى الآن مقر قسم شرطة ، تابعة لمحافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٣ ، ص ٦٢ .

بإقليم الجـيزة ، فلم يخرج لهم أحد من الجـيزة مع كونهم بمرأى منهـم ، ويسمعون نقاقيرهم وطبولهم ووطء حوافر خيولهم .

وفيه[1] : أرسـل الألـفى مكتـوبا خطابـا إلى السيـد عمر أفنـدى مكرم النـقيب والمشايخ ، مضمونـه « نخبركم ، أن سبب حضورنا إلى هذه الجـهة ، إنما هو لطلب القوت والمعاش ، فإن الجهة التـى كنا بها لم يبق فيها شئ يكفينـا ، ويكفى من معنا من الجيش ، والأجناد ، ونرجو من مراحم أفندينا بشفاعتكم أن ينعم علينا بما نتعيش به ، كما رجونا منه فى السابق » .

فلما كان فى صبحـها يوم الإثنين حادى عشره[2] ، ركب السيد عمـر إلى الباشا وأخبره بذلك وأطلـعه على المراسلة ، فقال : « ومن أتـى به ؟ » ، قال له : « تابع مصطفى كاشف المورلى وقد ترك متبوعه بالبر الآخر » ، فقال له « اكتب له بالحضور حتى نتروى معه مشافهة » ، وفى ذلك الوقـت حضر إلى الباشا من أخبره بأن طائفة من المصريين وجيوشهم وصلوا إلى برإنبابة ، فخرج إليهم طائفة من العسكر المرابطين هناك ، وتحاربوا معهم بسوق الغنم ، ووقع بـينهم بعض قتلى وجرحى ، فركب من فوره وذهب إلى بـولاق ، فنزل بالساحل وجـلس هناك ساعة ، ثم ركـب عائدا إلى داره بعد أن منع من تعدية المراكب إلى برإنبابة ، ثم أمرهم بالتعدية لربما احتاجوهـم ، وكان كذلك ، فإنهم رجعوا مهزومين، فلو لم يجدوا المعادى لحصل لهم هول كبير .

وفى يوم الثلاثاء[3] ، حضر مصطـفى كاشف المورلى المرسول مـن طرف الألفى وصحبته على جربجى بن موسى الجيزاوى إلـى بيت السيد عمر ، فركب صحبته إلى الباشا ، وكتبوا له جوابا ورجع من ليلته .

ثم حضر فى يوم الخميس رابع عشره[4] بجواب آخر ، ومضمونه : « أننا أرسلنا لكم نرجم مـنكم أن تسعوا بينـنا بما فية الراحة لنـا ولكم وللفقراء والمسـاكين وأهالى القرى ، فأجبتمونا بأننا نتعدى على القرى ، ونطلب منهم المغارم ، ونرعى زرعهم ، وننهب مواشيهم ، والحال أنه والله العظيـم ونبيه الكريم ، أنَّ هذا الأمر لم يكن على قصـدنا ومرادنـا مطلـقا ، وإنما الموجـب لحضورنـا إلى هذا الـطرف ضيـق الحال ، والمقتضى للجمعية التى نصحبها من العربان وغيرهم إرسال التجاريد والعساكر علينا ، فلازم لنا أن نجمع إلـينا من يساعدنا فى المدافـعة عن أنفسنا ، فهم يجـمعون أصناف

---

(1) ١٠ محرم ١٢٢١هـ / ٣٠ مارس ١٨٠٦م .
(2) ١١ محرم ١٢٢١هـ / ٣١ مارس ١٨٠٦م .
(3) ١٢ محرم ١٢٢١هـ / ١ أبريل ١٨٠٦م .
(4) ١٤ محرم ١٢٢١هـ / ٣ أبريل ١٨٠٦م .

العسكـر من الأقطار الروميـة والمصرية لمحاربتـنا وقتالنا ، وهـم كذلك ينهبـون البلاد والعبـاد للإنفاق علـيهم ، ونحن كـذلك نجمع إلينـا من يساعـدنا فى المنع ، ونـفعل كفعـلهم لننـفق على مـن حولنا من المـساعدين لنـا ، وكل ذلك يؤدّى إلـى الخـراب والدمار وظلم الفقراء ، والقصد منكم بل الواجب عليكم السعى فى راحة الفريقين، وهو أن يـكفوا الحرب ويـفرزوا لنا جـهة نرتاح فـيها ، فإن أرض الله واسـعة تسعـنا وتسعهم ، ويعـطونا عهدا بكفالة بعض من نـعتمد عليه من عندنا وعـندهم ، ويكتب بذلك محضر لصـاحب الدولة ، وننتظر رجوع الجواب ، وعند وصـوله يكون العمل بمقتضاه » ، فعند ذلك اقتضى الرأى أن يقطعوه إقـليم الجيزة ، وكتبوا له جوابا بذلك من غير عقد ولا عهـد ولا كفالة كما أشار ، وسلموا الجواب لمصـطفى كاشف ورجع به .

وفى أثناء ذلك طلب أجناد الألفى كلفا من بلد برطيس[1] ، وأم دينار[2] ، ومنية عقبة[3] ، فامتنعـوا عليهم فضربوهم وحـاربوهم ونهبوهم ، وسبب ذلـك أن العساكر الأتراك أغروهم ، وأرسلوا يقولون لهم : « إذا طلـبوا منكم كلفة أودراهم لا تدفعوا لهـم واطـردوهـم وحـاربوهـم وانهبـوهم ، وإذا سمـعنا حـربكم مـعهـم أتينـاكم وساعـدناكم » ، فـاغتروا بذلـك وصدقوهـم ، فلمـا حصـل لهم مـا حصـل لم يسعفوهم ، ولم يخرجوا من أوكارهم حتى جرى عليهم المقدور .

وفى يوم الـسبت ثالث عشـرينه[4] ، كتـب الباشا مـراسيم وأرسـلها إلى كـشاف الأقاليم والـكائنين بالبلاد مـن الأجناد المصرية بأن يجـتمعوا بأسرهم ، ويـذهبوا إلى ساحل السبكية للـمحافظة عليها من وصول الأخصام إليها ، ولمنعـهم من تعدية البحر إليهـا ؛ لأنهم إذا حصلـوا بها تعدى شرهـم إلى بلاد المنوفـية بأسرها ، وأشـيع عزم

---

(١) بـرطيس : قرية قديمة ، صحـة اسمها « برطس » ، ووردت فى تـاريخ سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م ، إحدى قرى قسم إمبابة ، محافظة الجيزة .
رمزى محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، حـ٣ ، ص ٥٨ .

(٢) أم دينار : قرية قديمـة ، كانت بها القناطر التى عمّرهـا السلطان الملك الناصر محـمد بن قلاوون ، وهى إحدى قرى قسم إمبابة ، محافظة الجيزة .
رمزى محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، حـ٣ ، ص ٥٧ .

(٣) منية عقبة : تعرف حاليـا باسم : ميت عقبة ، قرية قديمة ، أنشأها عقبة بن عامـر الجهنى ، والى مصر من قبل معـاوية بن أبى سفيـان فى سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م ، اسمها الـقبطى Timoni Nakobé ، وهى الآن مقـر قسم شرطة ، وملتحمة بحى المهندسين ، محافظة الجيزة .
رمزى محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، حـ٣ ، ص ٦٤ .

(٤) ٢٣ محرم ١٢٢١هـ/ ١٢ أبريل ١٨٠٦م .

الباشا على الركوب بنفسه وذهابه إلى تلك الجهة ، ويكون سيره على طريق القليوبية ، ويلحق بهم ، وكتخدا بيك وطاهر باشا يسيران على الساحل الغربى تجاههم ، ثم بطل ذلك وأرسل إلى حسن باشا سرششمة ، بأن يحضر بمن معه من العسكر من عند حسن باشا طاهر من ناحية بنى سويف[1] وكذلك عساكر كوريوسف الذى قتل فى المعركة كما ذكر .

وفى ذلك اليوم[2] : وصل رسول أيضا من عند الألفى بمكاتبات ، واجتمع بالسيد عمر النقيب ، والمكاتبات خطاب له ولبقية المشايخ وللباشا ولسعيد أغا دار السعادة[3] ، وصالح بيك القابجى ، بمعنى ما تقدم صحبة أحمد أبى ذهب العطار ، فكتبوا له جوابا بالمعنى الأول ، وأعادوا الرسول وأصحبوه ببعض المتعممين ، وهو السيد أحمد الشتيوى ناظر جامع الباسطية[4] ، وكل ذلك أمور صورية ، وملاعبات من الطرفين ، لاحقيقة لها .

وفى يوم الثلاثاء[5] ، وصل الجماعة المذكورون الذين استدعاهم الباشا بعساكرهم وخلع الباشا على أحد كبارهم عوضا عن كوريوسف المقتول .

وفيه[6] ، وصل الخبر بأن طائفة من الأجناد المصرية ومن يصحبهم من العربان عدوا إلى بر السبكية ، ولم يمنعهم المحافظون بل هربوا من وجوههم ، فأمر الباشا بسفر العساكر ، وطلب دراهم سلفة من الأعيان لأجل نفقة العساكر ، وفرضوا على

---

(١) بنى سويف : قاعدة محافظة بنى سويف ، مدينة قديمة ، كانت تابعة لولاية البهنساوية ، وفى ١٢٣٦هـ / ١٨٢١م ، قسمت الولاية إلى قسمين ، وأصبحت بنى سويف قاعدة « نصف بحرى البهنساوية » ثم أصبحت قاعدة مديرية بنى سويف ، ثم قاعدة محافظة بنى سويف ، واسمها القديم « بوفيا Pouahisa » .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، حـ٣ ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .

(٢) ٢٣ محرم ١٢٢١هـ / ١٢ أبريل ١٨٠٦م .

(٣) أغا دار السعادة : فى التركية (دار السعادة أغاسى) ، وهو من أكبر موظفى القصر الهمايونى ، ويعرف باسم أغا البنات (قيزلر أغاسى) ، وهو أسود خصى ، يشرف هو ومن معه من الأغوات على الحرم الهمايونى ، أى الجناح الذى تسكنه النساء ، وكان معظم هؤلاء الأغوات السود يقدمهم ولاة مصر هدايا للسلطان ، والأغا الذى يعين فى هذا المنصب ، يخلع عليه كرك سمور فى حضرة السلطان ، ويعلن التعيين بخط همايونى يرسل إليه .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٨ - ١٩ .

(٤) جامع الباسطية : يقع فى بولاق ، بالقرب من النيل ، أنشأه شخص من عرض الفقهاء سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٣٤ .

(٥) ٢٦ محرم ١٢٢١هـ / ١٥ أبريل ١٨٠٦م .

(٦) ٢٦ محرم ١٢٢١هـ / ١٥ أبريل ١٨٠٦م .

البلاد ثلاثة آلاف كيس ، ويكون على العال منها مائة ألف فضة ، وفيها الأوسط والدون .

وفي يوم الخميس[1] ، نودى فى الأسواق بخروج العساكر .

وفي يوم السبت[2] سافر طاهر باشا إلى منوف[3] على جرائد الخيل ، وسافر بعده كتخداه بالجملة ، واحتاجوا إلى جمال فأخذوا جمال السقايين والشواغرية[4] .

وفيه[5] ، حضر عمر بيك الأرنؤدى من ناحية بنى سويف ، وأخبر الواردون من الناحية أن رجب أغا وطائفة من العسكر خامروا عليه[6] ، وانضموا إلى الأمراء القبليين ، وهم نحو الستمائة ، فعند ذلك حضر عمر بيك المذكور فى تطريدة[7] ، ليبرئ نفسه من ذلك ، وحضر أيضا محو كبير العسكر المحاصرين بالمنية بطلب علوفة للعسكر .

وفيه[8] ، أراد كتخدا بيك ، وهو المعروف بدبوس أوغلى أن يركب من إنبابة ، وحمل أحماله ليسير إلى جهة بحرى ، فثارت عليه العسكر وطالبوه بعلائفهم وسفهوا عليه ، ومنعوه من الركوب ، فأراد التعدية إلى بر بولاق فمنعوه أيضا وجذبوا لحيته ، فأقام يومه وليلته ، ثم قال لهم : « وما الفائدة فى مكثى معكم دعونى أذهب إلى الباشا ، وأسعى فى مطلوبكم » ، ولم يزل حتى تخلص منهم ، وعدّى إلى مصر ، ولم يرجع إليهم .

وفي يوم السبت الذى هو غايته[9] ، وصلت عساكر الدلاة الذين كانوا بناحية بنى سويف والفيوم إلى بر إنبابة وضربوا لهم مدافع لوصولهم .

---

(١) ٢٩ محرم ١٢٢١هـ / ١٨ أبريل ١٨٠٦م .

(٢) غاية محرم ١٢٢١هـ / ١٩ أبريل ١٨٠٦م .

(٣) منوف : من المدن القديمة ، اسمها القبطى Banoufris ، منوف العليا ، واسمها الرومى (onouphis) أو (onoupha kato) ، وذكرت المصادر العربية أنها مدينة كبيرة بها حمامات وأسواق ، وهى الآن قاعدة مركز منوف ، محافظة المنوفية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، حـ٢ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

(٤) الشواغرية : مفردها شاغر ، وتوضع الشواغر على الجمال التى تستعمل فى النقل ، والمقصود هنا جمال النقل ، التى تحمّل عليها الأمتعة والغلال وغيرها .

(٥) غاية محرم ١٢٢١هـ / ١٩ أبريل ١٨٠٦م .

(٦) خامروا عليه : تآمروا عليه وعملوا على خيانته .

(٧) تطريدة : أى تجريدة أو حملة .

(٨) غاية محرم ١٢٢١هـ / ١٩ أبريل ١٨٠٦م .

(٩) غاية محرم ١٢٢١هـ / ١٩ أبريل ١٨٠٦م .

وفيه[1] ، أرسل كبار العسكر الذين بناحية منوف مكاتبة إلى الباشا يذكرون أنّ العساكر يطلبون مرتبات لحم وأرز وسمن ، فإنهم لا يحاربون ولا يقاتلون بالجوع .

وفى هذه الأيام ، وصل الكثير من العساكر القبلية ودخلوا البلد وكثروا بها .

وفى هذه الأيام ، أيضا ، وصلت الأخبار من الديار الحجازية بمسالمة الشريف غالب للوهابيين ، وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة ، وقطع الجالب عنهم من كل ناحية حتى وصل ثمن الأردب المصرى من الأرز خمسمائة ريال ، والأردب البر[2] ثلثمائة وعشرة ، وقس على ذلك السمن والعسل وغير ذلك ، فلم يسع الشريف إلاّ مسالمتهم والدخول فى طاعتهم ، وسلوك طريقتهم ، وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة ، وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها ، وشرب الأراجيل بالتنباك[3] فى المسعى وبين الصفا والمروة ، وبالملازمة على الصلوات فى الجماعة ، ودفع الزكاة ، وترك لبس الحرير والمقصبات ، وإبطال المكوس والمظالم ، وكانوا خرجوا عن الحدود فى ذلك حتى أن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة وعشرة بحسب حاله ، وإن لم يدفع أهله القدر الذى يتقرر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ، ولا يتقرب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الإذن ، وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التى أحدثوها على المبيعات والمشتروات على البائع والمشترى ، ومصادرات الناس فى أموالهم ودورهم ، فيكون الشخص من سائر الناس جالسا بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ، ويقولون « إن سيد الجميع محتاج إليها فإما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف ، وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر ، فعاهده على ترك ذلك كله ، واتباع ما أمر الله تعالى به فى كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده ، واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث[4] ، وترك ما حدث فى الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات فى الشدائد والمهمات ، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف ، وتقبيل الأعتاب ، والخضوع والتذلل والمناداة والطواف ، والنذور والذبح والقربان ، وعمل الأعياد والمواسم لها ،

(1) غاية محرم ١٢٢١هـ / ١٩ ابريل ١٨٠٦م . (2) البر : القمح .

(3) التنباك : من الكلمة الفرنسية (Tabac) ، وتعنى التبغ ، وقد دخلت التركية عن الطليانية بصيغة (تنباكو) بفتح التاء ، ودخلت العربية بصيغة « تُنباك » ، بضم التاء .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(4) آخر القرن الثالث الهجرى / ٦ أغسطس ٩١٣ م .

واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال ، وباقى الأشياء التى فيها شركة المخلوقين مع الخالق فى توحيد الألوهية التى بعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله ، فعاهده على منع ذلك كله ، وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة ؛ لأنها من الأمور المحدثة التى لم تكن فى عهده بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية ، وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التى لا تقبل التأويل من الكتاب والسنة ، وإذعانهم لذلك ، فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة ، وبين مكة وجدة والطائف ، وانحلت الأسعار ، وكثر وجود المطعومات وما يجلبه عربان الشرق إلى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال ، حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة ريال ، واستمر الشريف غالب بأخذ العشور من التجار ، وإذا نوقش فى ذلك يقول : « هؤلاء مشركون وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين » .

شهر صفر الخير سنة ١٢٢١[١]

إستهل بيوم الأحد [٢] ، فيه سافر محو بيك إلى جهة المنية ، وفيه ورد من إسلامبول شخص قابجى وعلى يديه مرسومات بالجمارك وغيرها ، ومنها ضبط ترك الموتى المقتولين والمقبورين ، وكذلك تركة السيد أحمد المحروقى ، وآخر يسمى الشريف محمد البرلى ، والقصد تحصيل الدراهم بأى حجة كانت ، ووصل أيضًا آخر متعين لجمرك الإسكندرية وآخر لدمياط ولرشيد أيضًا .

وفيه [٣] ، عزم الباشا على السفر لمحاربة الألفى ، وأشيع عنه ذلك ، وأنزلوا مدافع من القلعة وجبخانة وآلات حربية .

وفى رابعه [٤] ، قوى عزمه على ذلك ، وأشيع أنه مسافر يوم السبت [٥] ، وأشار على السيد عمر أفندى النقيب بأن ينوب عنه ، ويكون قائممقامه فى الأحكام مدة غيابه ، فلم يقبل السيد عمر ذلك وامتنع ، ثم فترت همته عن ذلك ، وتبين أنَّها إيهامات لا أصل لها .

وفى يوم الخميس [٦] ، أرسل الباشا إلى الخانات والوكائل أعوانا ، فختموا على حواصل التجار بما فى داخلها من البن والبهار ، وذلك بعد أن أمَّنهم وقبض منهم

---

(١) صفر ١٢٢١ هـ / ٢٠ أبريل - ١٨ مايو ١٨٠٦ م .
(٢) ١ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠٦ م .
(٣) ١ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠٦ م .
(٤) ٤ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٦ م .
(٥) ٧ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٦ م .
(٦) ٥ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٤ أبريل ١٨٠٦ م .

عشورها ومكوسها بالسويس ، فلما وصلت القافلة ، واستقرت البضائع بالحواصل ، فعل بهم ذلك ، ثم صالحوا وأفرج عنهم .

وفيه [1] ، ورد الخبر بأن الألفى ارتحل من ناحية الجسر الأسود [2] ، والطرانة [3] ، وقصد جهة البحيرة .

وفى يوم السبت [4] ، ركب صالح أغا قابجى باشا ونزل إلى بولاق ليسافر إلى الديار الرومية ، فركب لوداعه الباشا وسعيد أغا والسيد عمر النقيب فشيعوه إلى بولاق حتى نزل إلى المراكب ، وخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة بعد أن وفاه خدمته وهاداه بهدايا ، وأصحب معه هدايا للدولة وأربابها ، وعرّفه بقضايا وأغراض يتممها له هناك ، وودعوه ورجعوا إلى بيوتهم بعد الغروب .

وفى يوم الثلاثاء ، عاشره[5] سافر صالح أغا السلحدار إلى جهة بحرى على طريق المنوفية ، وصحبته عساكر ، وقرروا له مقادير من الأكياس على كل بلد من البلاد الرائجة عشرون كيسا فما فوقها ، وما دونها ، ومن كل صنف مقادير أيضًا .

وفيه [6] ، فرضوا أيضًا على البلاد غلال قمح وفول وشعير ، كل بلد عشرون أردبا فما فوقها وما دونها ، وهذه ثالث فرضية ابتدعت من الغلال على البلاد فى هذه الدولة .

وفيه [7] ، ورد الخبر بأن الألفى توجه إلى ناحية دمنهور [8] ، البحيرة يوم الأربع رابعه[9]، وأنهم امتنعوا عليه فحاصرهم لأنهم استعدوا لذلك والبلد منضافة إلى السيد عمر النقيب ، فكان يرسل إليهم ويحذرهم منه ، ويرسل إليهم ويمدهم بآلات الحرب والبارود ويحرضهم على الاستعداد للحرب ، فحصنوا البلدة ، وبنوا سورها وجعلوا فيها أبراجا وبدنات وركبوا عليها المدافع الكثيرة ، وأحضروا لهم [10] مايحتاجون إليه

---

(١) ٥ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٤ أبريل ١٨٠٦ م .

(٢) الجسر الأسود : انظر ، جـ ٣ ، ص ٣ ، حاشية رقم (١) .

(٣) الطرانة : قرية ، اسمها المصرى (Per Rannout) ، واسمها الرومى (Térénouthis) ، واسمها القبطى (Ternout) ، ومنه جاء اسمها العربى ، ووردت باسم « ترنوط » ، ثم وردت فى الروك الصلاحى باسم «الطرانة» ، وهو اسمها الحالى ، وهى إحدى قرى مركز كوم حمادة ، محافظة البحيرة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٤) ٧ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٦ م . (٥) ١٠ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٩ أبريل ١٨٠٦ م .

(٦) ١٠ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٩ أبريل ١٨٠٦ م . (٧) ١٠ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٩ أبريل ١٨٠٦ م .

(٨) دمنهور : مدينة قديمة اسمها المصرى (Demi nohor) ، واسمها الرومى واللاتينى (أبوللينو بوليس Apollinoplis) ، والقبطى أرموكاتون Ermoukaton) ، وهى قاعدة محافظة البحيرة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٩) ٤ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٦ م .

(١٠) كتب على هامش ص ٧ ، طبعة بولاق قوله « وأحضروا لهم » فى بعض النسخ « بدله وعبُّوا لديهم » .

من الذخيرة والجبخانـة ، وما يكفيهم سنة ، وحفروا حولها خـنادق وهي فى موقعها مرتفعة .

وفيه [1] ، عزل الباشا مـحمد أغا كتخدا بيك من كـتخدائيته بسبب أمـور نقمها عليه ، وحبسه وطـلب منه ألف كيس ، وقلد فى الكتخدائـية خازنداره وهو المعروف بدبوس أوغلى .

وفى ليلة الأحد ثامنه [2] ، عدى صارى عسكر إلى بـر إنبابة بوطاقه [3] ، وهو دبوس أوغلـى الكتخـدا المذكور ، وذلك فى أواخـر النهار ، وضـربوا مدافع كـثيرة لتعديته ، وأخذ العسكر فى تشهيل أمورهم ولوازمهم وأنفق عليهم الباشا نفقة ، هذا والطلـب والتـوزيع بـالأكياس مستمـر لاينقطع عن أعـيان الناس والتجـار والأفندية الكتبة ، وجـماعة الضربخانة والملـتزمين بالجمارك ، وكل من كـان له أدنى علاقة أو خدمة أو تجارة أو صنعـة ظاهرة ، أو فائظ أوله شهرة قديمة ، أو من مـساتير الناس ، وغالب الأحـيان المحصل لـذلك ، والقاضـى فيه السـيد عمر أفـندى النقـيب ، وقد حكمت عـليه الصورة التـى ظهر فيها ، وانـعكس الحال والوضع ، وسـاءت الظنون والأمر لله وحده .

وفى يوم الخميس تاسع عشره [4] ، ارتحل عرضى التجريدة من إنبابة وذهبوا إلى جهة الوراريق [5] .

وفى هذه الأيام ، كـان بين مشايخ العلم مـنافسات ومنافرات ومـحاسدات وذلك من أوائل شهر رمضان [6] ، وتعصبات بسبب مشيـخة الجامع ونظر أوقافه ، وأوقاف عبد الرحمن كتخـدا ، فاتفق أنَّ الشيخ عبد الرحمن السجينـى ابن الشيخ عبد الرؤف عمل وليمة ودعاهم إليها ، فاجتمعوا فى ذلك اليوم ، وتصالحوا فى الظاهر .

وفي يوم الإثنين [7] ، هبت رياح جنوبية حارة وأثارت غبارا وزوابع ولواقح ، ثم غيمت السماء غيما متقطعا وأرعدت وأمطرت، فكان الغبار والزوابع والشمس طالعة،

---

(١) ١٠ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٩ أبريل ١٨٠٦ م . (٢) ٨ صفر ١٢٢١ هـ / ٢٧ أبريل ١٨٠٦ م .

(٣) وطاقه : تعنى خيامه أى معسكره . (٤) ١٩ صفر ١٢٢١ هـ / ٨ مايو ١٨٠٦ م .

(٥) الوراريق : ناحـيتان هما : وراق الحضر ، ووراق الـعرب ، ووراق العرب هى الأصليـة ، ووراق الحضر هى المستجدة ، مركز إمبابة ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٩٥ .

(٦) رمضان ١٢٢١ هـ / ١٢ نوفمبر - ١١ ديسمبر ١٨٠٦ م . (٧) ٢٣ صفر ١٢٢١ هـ / ١٢ مايو ١٨٠٦ م .

والمطر نازل ، وذلك بعد العصر ، وحصل مثل ذلك أيضًا فى يوم الثلاثاء [1] ، ولكن بعد الظهر .

وفى تلك الليلة بعد الغروب ، أخرج الباشا محمد أفندى المنفصل عن الكتخدائية منفيا إلى جهة دمياط [2] ، وأصحب معه عدة من العسكر ذهبوا به من طريق البر .

وفى أواخره [3] ، رجعت عساكر من الأرنؤد ، وكانوا كثيرين ، ونزلوا ببولاق ومصر القديمة ، وغالبهم الذين كانوا بصحبة حسن باشا طاهر وأخيه عابدين بيك ، وسبب رجوعهم أنهم طلبوا علائفهم من حسن باشا ، وكان قد ظهر له فيهم المخامرة عليه وميلهم إلى الأخصام ، فامتنع من دفع علائفهم وقال لهم : « اذهبوا إلى مصر واطلبوا علائفكم من الباشا » ، وأرسل إليه يعرفه بحالهم ونفاقهم ، فلما تراسلوا فى الحضور ، منعهم الباشا من الدخول إلى البلد ، ووعدهم بإيصال علائفهم إليهم ، وهم خارج المدينة ، وبعد أن يقبضوا مالهم يعودون إلى مرابطهم كما كانوا ، فأقاموا بناحية بولاق ، وأرسل الباشا فجمع عربان الحويطات [4] ، والعائد [5] ، وغيرهم ، فأقاموا بناحية شبرا ومنية السيرج [6] ، وهم جملة كبيرة استمروا فى تجمعهم أربعة أيام وأرسل إلى الأجناد والجربجية وأمثالهم المقيمين بمصر ، وأمر بأن يتهيؤا ويقضوا أشغالهم ، ويخرجوا صحبة حسن أغا الشماشيرجى ، فمن كان منهم ذو مقدرة وعنده حصان يركبه أو جمل يحمل عليه متاعه خرج بنفسه وإلا أخرج بدلا عنه ،

---

(١) ٢٤ صفر ١٢٢١ هـ / ١٣ مايو ١٨٠٦ م ، على هامش ص ٧ ، طبعة بولاق كتب « قوله : الثلاثاء فى بعض النسخ الأربعاء » .

(٢) دمياط : أحد ثغور مصر على البحر الأبيض المتوسط ، وتقع على رأس فرع النيل المعروف باسمها ، فرع دمياط ، وكانت تعرف بمحافظة دمياط ، منذ عهد محمد على.
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٨ .

(٣) آخر صفر ١٢٢١ هـ / ١٨ مايو ١٨٠٦ م .

(٤) الحويطات : انظر ، جـ ٣ ، ص ٩٤ ، حاشية رقم (٥) .

(٥) العائد : أصل عرب العائد من جذام ، ومقرهم فى الشرقية ، ولهم باسمهم كفور العائد بالشرقية ، وأشهرها عائلاتهم الأباظية ، كانوا يلتزمون الإبل للمحمل المصرى ، ولهم شهرة فى الشرقية .
الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(٦) منية السيرج : قرية قديمة ، على بعد فرسخ من القاهرة على طريق الإسكندرية ، ويقال لها : منية الأمراء لكثرة من كان يسكنها منهم ، وكان بها معاصر السمسم الذى يستخرج منه زيت الشيرج ، وهى إحدى قرى قسم شبرا الخيمة ، محافظة القليوبية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٤ - ١٥ .

وأعطاه مصروفه واحتياجاته ولوازمه وبرزوا إلى خارج ، ثم أرسل إلى العساكر المذكورين يأمر كبارهم بالسفر إلى بلادهم ، فامتنعوا ، وقالوا : « لانسافر حتى نقبض المنكسر لنا من علائفنا » ، فعند ذلك دسَّ إلى أصاغرهم من خدعهم واستمالهم حتى تفرقوا فى خدمة المستوطنين ، ولم يبق مع كبارهم المعاندين إلا القليل ، فلم يسعهم بعد ذلك إلا الامتثال ، وارتحلوا فى غايته [1] ، من بولاق ، وسافر معهم الشماشيرجى المذكور ، ومن بصحبته من المصريين وحولهم العربان ، وساروا على طريق دمياط وهم اثنان وخمسون شخصا من كبار طائفة الأرنؤد ، وحصل من العرب فى مدة تجمعهم ما لاخير فيه ، وكذلك فى مدة إقامتهم من الخطف والتعرية ، وقطع الطريق على المسافرين .

شهر ربيع الأول سنة ١٢٢١ [2]

استهل بيوم الثلاثاء [3] .

وفى ليلة الأحد سادسه[4] ، حصل رعد كثير وبرق بين المغرب والعشاء بدون مطر والغيم قليل متقطع ، وذلك سابع عشر بشنس وثانى عشر أيار ، والشمس فى ثالث درجة من برج الجوزاء ، وذلك من النوادر فى مثل هذا الوقت .

وفى يوم الأحد المذكور [5] ، ضربوا مدافع من القلعة لبشارة وردت من الجهة القبلية ، وذلك أنَّ رجب أغا وياسين بيك اللذين انضما إلى الأمراء المصرية القبليين عملا متاريس بحرى المنية[6] ، ليمنعا من يصل إليها من مراكب الذخيرة ، فلما سافر محو بيك بمراكب الذخيرة ووصل إلى حسن باشا طاهر ببنى سويف ،أصحب معه عابدين بيك وعدة من العسكر فى عدة مراكب ، فلما وصلوا إلى محل المتاريس تراموا بالمدافع والرصاص ، واقتحموا المرور ، وساعدهم الريح فخلصوا إلى المنية ، وطلعوا إليها ودخلها عابدين بيك ، وقتل فيما بينهم أشخاص ، وأرسلوا

---

(١) غاية صفر ١٢٢١ هـ / ١٨ مايو ١٨٠٦ م .

(٢) ربيع الأول ١٢٢١ هـ/ ١٩ مايو - ١٧ يونيه ١٨٠٦ م . (٣) ١ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ١٩ مايو ١٨٠٦ م .

(٤) ٦ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٢٤ مايو ١٨٠٦ م . (٥) ٦ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٢٤ مايو ١٨٠٦ م .

(٦) المنية : من المدن المصرية القديمة ، اسمها القبطى (Temoni) ، ووردت أيضًا باسم (Tmoone khoufou) ، واسمها المصرى (Per mema) ، وعرفت بمنية ابن خصيب ، ومنية الفولى ، حيث بها مقام الشيخ على الفولى ، وهى قاعدة محافظة المنيا .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ - ١٩٨ .

بذلك المبشرين فأخبروا بذلك، وبالغوا فى الأخبار ، وأن ياسين بيك قتل هو وخلافه ورأسه واصلة مع رؤوس كثيرة ، فعملوا لذلك شنكا وضربت مدافع كثيرة ، ولم يكن لقتل ياسين بيك صحة ، ثم وصل محو بيك وابن وافى وقد نزلا فى شكترية [1] لها عدة مقاديف ، ودفعوا فى قوة التيار حتى وصلوا إلى مصر ، ولم يصل معهم رؤوس كما أخبر المبشرون .

وفيه [2] ، قرر فرضة على البلاد ، وهى دراهم وغلال ، وعينوا لذلك كاشفا فسافر ومعه عدة من العسكر وصحبتهم نقاقير [3] ، وسافر أيضًا خازندار الباشا وصحبته على چلبى وهو ابن أحمد كتخدا على قلده الباشا كشوفية شرقية بلبيس ، وأخذ صحبته أكثر رفقائه وأصحابه من أولاد البلد ، فسافروا على حين غفلة إلى ناحية الدقهلية .

وفى عاشره [4] ، وصلت الأخبار بأن الألفى ارتحل من البحيرة ورجع إلى ناحية وردان [5] ، وعدى من جيشه وعربانه طائفة إلى جزيرة السبكية [6] ، وهرب من كان مرابطا فيها من الأجناد المصرية وغيرهم وطلبوا من أهالى السبكية دراهم وغلالا ، وفر غالب أهلها منها وجلوا عنها وتفرقوا فى بلاد المنوفية .

وفى ثانى عشره [7] ، يوم الجمعة ، عمل المولد النبوى ونصبوا بالأزبكية صوارى تجاه بيت الباشا والشيخ محمد سعيد البكرى ، وقد سكن بدار مطلة على البركة داخل درب عبد الحق [8] ، وأقام هناك ليالى المولد إظهارا لبعض الرسوم .

---

(١) شكترية : نوع من السفن النيلية طويلة وكبيرة .

(٢) ٦ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٢٤ مايو ١٨٠٦ م .

(٣) نقاقير : انظر ، جـ ٣ ، ص ٢٥ ، حاشية رقم (٦) .

(٤) ١٠ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٢٨ مايو ١٨٠٦ م .

(٥) وردان : قرية قديمة ، تنسب إلى وردان الرومى مولى عمرو بن العاص ، وهى إحدى قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٦) جزيرة السبكية : لم نعثر على تعريف بها ، وواضح من النص أنها قريبة من وردان ، مركز إنبابة ، محافظة الجيزة .

(٧) ١٢ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٣٠ مايو ١٨٠٦ م .

(٨) درب عبد الحق : يقع بشارع البكرى بالقرب من العتبة ، به جامع يعرف بجامع عبد الحق .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٨٧ .

وفيه [1] ، علقوا تسعة رؤوس على السبيل المواجه لباب زويلة ذكروا أنها من قتلى دمنهور وهى رؤوس مجهولة ، ووضعوا بجانبهم بيرقين ملطخين بالدماء .

وفيه [2] ، طلب الباشا دراهم سلفة من الملتزمين والتجار وغيرهم بموجب دفتر أحمد باشا خورشيد الذى كان قبضها فى عام أول قبل القومة والحرابة ، فعينوا مقاديرها وعينوا بطلبها المعينين بالطلب الحثيث من غير مهلة ، ومن لم يجدوه بأن كان غائبا أو متغيبا دخلوا داره وطالبوا أهله أو جاره أو شريكه فضاق ذرع الناس ، وذهبوا أفواجا إلى السيد عمر أفندى النقيب ، فيتضجر ويتأسف ويتقلق ويهون عليهم الأمر ، وربما سعى فى التخفيف عن البعض بقدر الإمكان ، وقد تورط فى الدعوة .

وفيه [3] ، سافر السيد محمد المحروقى إلى سد ترعة الفرعونية ، وذلك أن الترعة المذكورة لما اجتهد فى سدها المصريون فى سنة اثنى عشر ومائتين وألف [4] ، كما تقدم ، فانفتحت من محل آخر ينفذ إلى ناحية الترعة المسماة بالفيض ، وكان ذلك بإشارة أيوب بيك الصغير لعدم انقطاع الماء عن ريّ بلاده ، فتهورت أيضًا هذه الناحية واتسعت وقوى اندفاع الماء إليها فى مدة هذه السنين حتى جف البحر الغربى والشرقى ، وتغير ماء النيل فى الناحية الشرقية ، وظهرت فيه الملوحة من حدود المنصورة ، وتعطلت مزارع الأرز وشرقت بلاد البحر الشرقى ، وشربوا الأجاج [5] ومياه الآبار والسواقى ، وكثر تشكى أهالى البلاد ، فحصل العزم على سدها فى هذا العام ، وتقيد بذلك السيد محمد المحروقى وذو الفقار كتخدا ، وطلبوا المراكب لنقل الأحجار من الجبل ، وذهب ذو الفقار إلى جهة السد ، وجمع العمال والفلاحين وسيقت إليه المراكب المملوءة بالأحجار من أوّل شهر صفر إلى وقت تاريخه [6] ، وجبوا الأموال من البلاد لأجل النفقة على ذلك ، ثم سافر السيد المحروقى أيضًا وبذل جهده ، ورموا بها من الأحجار ما يضيق به الفضاء من الكثرة ، وتعطل بسبب ذلك المسافرون لقلة المراكب وجفاف البحر الغربى والخوف من السلوك فيه من قطاع الطريق والعربان ، فكانت المراكب المعاشات [7] التى تأتى بالسفار وبضائع التجار يأتون

---

(1) ١٢ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٣٠ مايو ١٨٠٦ م . (2) ١٢ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٣٠ مايو ١٨٠٦ م .

(3) ١٢ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٣٠ مايو ١٨٠٦ م . (4) ١٢١٢ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٧ - ١٤ يونيه ١٧٩٨ م .

(5) الأجاج : أى الماء شديد الملوحة .

(6) ١ صفر ١٢٢١ - ١٢ ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ٢٠ أبريل - ١ مايو ١٨٠٦ م .

(7) المعاشات : مفردها : معاش ، وهى سفن كبيرة ، كانت تستعمل للنقل بالنيل .

بشحناتهم إلى حد السد ومحل العمل والشغل فيرسون هناك ، ثم ينقلون ما بها من الشحنة والبضائع إلى البر ، ويـنقلونها إلى السفن والقوارب التى تنـقل الأحجار ، ويأتـون بها إلى سـاحل بولاق فيـخرجون ما فـيها إلـى البر ، وتذهـب تلك السـفن والقوارب إلى أشغالها فى نقل الحجر ، ولايخـفى ما يحصل فى البضائع من الاتلاف والضياع والسرقة وزيادة الكلف والأجر وغير ذلك ، وطال أمد هذا الأمر .

وفى أواخره [١] ، نزل الباشا للكشف على الترعة فغاب يومين وليلتين ثم عاد إلى مصر .

شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢١ [٢]

فيه ، وردت سعاة من الإسـكندرية وأخبروا بورود أربع مراكب ، وفـيها عساكر من النظام الجديد ، وصحـبتهم ططريات [٣] وبعض أشخاص من الإنكـليز ، ومعهم مكاتبـة خطابا إلى الألفى وبشـارة بالرضا والعفو لـلأمراء المصرية من الدولة بـشفاعة الإنكليز، فلما وصلوا إليه بناحية حوش ابن عيسى بالبحيرة [٤] ، سر بقدومهم وعمل لهـم شنكـا وضـرب لهم مدافع كثيرة ، ثـم شملهم وأرسلهم إلى الأمراء الـقبليين ، وصحبتهم أحد صناجقه وهو أمين بيك ومحـمد كاشف تابع إبراهيم بيك الكبير ، ثم إنَّه أرسل عدة مكاتبات بـذلك الخبر إلى المشايخ وغيرهم بمصـر ، وكذلك إلى مشايخ العربان مثل الحـويطات والعائد [٥] ، وشيخ الجـزيرة وباقى المشـاهير ، فأحـضر ابن شديد وابن شعير [٦] الأوراق التى أتتهم من الألفى إلى الباشا، وفيها : « ونعلمكم أن محمد على باشا ربما ارتحل إلى ناحية السـويس ، فلا تحملوا أثقاله ، وإن فعلتم ذلك فلا نقبل لكم عذرا » ، ولما سمع الباشا ذلك قال : « إنه مجنون وكذاب » .

---

(١) آخر ربيع الأول ١٢٢١ هـ / ١٧ يونيه ١٨٠٦ م .

(٢) ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١٨ يونيه - ١٦ يوليه ١٨٠٦ م .

(٣) ططريات : صيغـة النسب إلى كلمة « التتر » ، وتعـنى سعاة البريد ، مفردها « ططرى » ، وكـان لهؤلاء السعاة رئيس يعرف « تتر أغاسى » ، أى أغا التتر ، وكان لهم زى خاص هو نوع من الضلمة .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) حوش ابن عيسى : تكونت فى الـعهد العثمانى : بفصلها من زمام الكوم الأخضـر ، وتنسب إلى شيخ العرب عيسى بن إسـماعيل أمير بنى عـونة ، كانت تابعة لمركـز أبو حمص ، فلما أنشـئ مركز أبو المطامير فـى سنة ١٩٣٠ م ، ألحقت به ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٥) الحويطات والعائـد : انظر ، جـ ٣ ، ص ٩٤ ، حاشيـة رقم (٥) ، وانظر : ص ١٢ ، من هذا الجـزء حاشية رقم (٥) .

(٦) ابن شديد وابن شعير : ابن شديد شيخ عربان الحويطات .

وفيه [1] ، فتح الباشا الطلب بفائظ البلاد والحصص من الملتزمين والفلاحين ، وأمر الروزنامجي وطائفته بتحرير ذلك عن السنة القابلة [2] ، فضج الملتزمون وترددوا إلى السيد عمر النقيب والمشايخ ، فخاطبوا الباشا فاعتذر إليهم باحتياج الحال والمصاريف ، ثم استقر الحال على قبض ثلاثة أرباعه النصف على الملتزمين والربع على الفلاحين ، وأن يحسب الريال فى القبض منهم بثلاثة وثمانين نصفا ، ويقبضه باثنين وتسعين ، وعلى كل مائة ريال خمسة أنصاف حق طريق ، سواء كان القبض من الملتزم عن حصته فى المصر أو بيد المعينين من طرف الكاشف فى الناحية ، وإذا كان التوجيه بالطلب من كاشف الناحية كانت أشنع فى التغريم والكلف لترادف الإرسال وتكرار حق الطريق .

وفى سادسه [3] ، حضر أحمد كاشف سليم من الجهة القبلية ، وسبب حضوره أنَّ الباشا لما بلغته هذه الأخبار أرسل إلى الأمراء القبليين يستدعى منهم بعض عقلائهم ، مثل : أحمد أغا شويكار ، وسليم أغا مستحفظان ، ليتشاور معهم فى الأمر ، فلم يجب واحد منهم إلى الحضور ، ثم اتفقوا على إرسال أحمد كاشف لكونه ليس معدودًا من أفرادهم ، وبينه وبين الباشا نسب لأنَّ ربيبته تحت حسن الشماشيرجى ، فحضر واختلى به الباشا مرارا ، ثم أمره بالعود فسافر فى يوم الثلاثاء رابع عشره [4] ، وأصحب معه هدية إلى إبراهيم بيك والبرديسى وعثمان بيك حسن وغيرهم من الأمراء ، وهى عدد خيول وقلاعيات وثياب وأمتعة وغير ذلك .

وفى سادسه [5] أيضًا ، قبض الباشا على إبراهيم أغا الوالى وحبسه مع أرباب الجرائم ، وسبب ذلك أنَّ البصاصين شاهدوا حمولا فيها ثياب من ملابس الأجناد أعدها بعض تجار النصارى ليرسلها إلى جهة قبلى ، لتباع على أجناد الأمراء المصريين ومماليكهم ويربح فيها ، وسئل الحاملون لها فأخبروا أنَّ أربابها فعلوا ذلك باطلاع الوالى المذكور على مصلحة أخذها منهم ، ووصل خبر ذلك إلى الباشا ، فأحضره وقبض عليه وحبسه ، ثم أطلقه بعد أيام على مصلحة تقررت عليه بشفاعة امرأة من القهارمة المتقربين ، وعاد إلى منصبه ، وأخذت البضاعة ، وضاعت على أصحابها وغرَّموهم زيادة على ذلك غرامة ، وكذلك اتهم الذى حجزها بأنَّه اختلس منها أشياء وحبس وأخذت منه مصلحة ، فتحصل من هذه القضية جملة من المال مع أنَّها فى

---

(1) ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١٨ يونيه - ١٦ يوليه ١٨٠٦ م .
(2) ١٢٢٢ هـ / ١١ مارس ١٨٠٧ - ٢٧ فبراير ١٨٠٨ م . (3) ٦ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٢٣ يونيه ١٨٠٦ م .
(4) ١٤ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١ يوليه ١٨٠٦ م . (5) ٦ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٢٣ يونيه ١٨٠٦ م .

خلال المراسلة والمهاداة ، ونودى بعد ذلك بأنّ من أراد أن يرسل شيئًا أو متجرا ولو إلى السويس فليستأذن على ذلك ، ويأخذ به ورقة من باب الباشا ، فإن لم يفعل وضاع عليه فاللوم عليه .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره (١) ، ورد ساعى وصحبته مكتوب من حاكم الإسكندرية خطابا إلى الدفتردار ، يخبره بوصول قبطان باشا إلى الثغر ، وفى أثره واصل باشا متولى على مصر واسمه موسى باشا ، وصحبتهم مراكب بها عساكر من الصنف الذى يسمى النظام الجديد ، وكان ورود القبطان إلى الثغر ليلة الجمعة عاشره (٢) ، وطلعوا إلى البر بالإسكندرية يوم السبت حادى عشره (٣) ، فلما قرأ الدفتردار الورقة ، أرسل إلى السيد عمر النقيب فحضر إليه ، وركب صحبته للباشا واختليا معه ساعة ، ثم فارقاه ، ولما بلغ الألفى ورود هذه الدونانمة(٤) ، وحضرت إليه المبشرون وهو بالبحيرة امتلأ فرحا ، وأرسل عدة مكاتبات إلى مصر صحبة السعاة ، فقبضوا على السعاة ، وحضروا بهم إلى الباشا فأخفاها ، ووصل غيرها إلى أربابها على غير يد السعاة وصورتها : « الإخبار بحضور الدونانمة صحبة قبطان باشا ، والنظام الجديد ، وولاية موسى باشا على مصر ، وانفصال محمد على باشا عن الولاية ، وأنّ مولانا السلطان عفا عن الأمراء المصريين وأنْ يكونوا كعادتهم فى إمارة مصر وأحكامها ، والباشا المتولى يستقر بالقلعة كعادته ، وأنّ محمد على باشا يخرج من مصر ويتوجه إلى ولايته التى تقلدها وهى ولاية سلانيك (٥) ، وأن حضرة قبطان باشا أرسل يستدعى إخواننا الأمراء من ناحية قبلى ، فالله يسهل بحضورهم فتكونوا مطمئنين الخاطر ، وأعلِموا إخوانكم من الأولداشات والرعية بأن يضبطوا أنفسهم ، ويكونوا مع العلماء فى الطاعة ، وما بعد ذلك إلا الراحة والخير والسلام » .

وفى يوم الجمعة سابع عشره (٦) ، ورد قاصد من طرف قبودان باشا إلى بولاق ، فأرسل إليه الباشا من قابله وأركبه وحضر به إلى بيت الباشا ، وأراد أن ينزله بمنزل الدفتردار فاستعفى الدفتردار من نزوله عنده ، فأنزلوه ببيت الروزنامجى ، وأقام يوم السبت والأحد (٧) ، ولم يظهر ما دار بينهما .

---

(١) ١٤ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١ يوليه ١٨٠٦ م . (٢) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٢٧ يونيه ١٨٠٦ م .

(٣) ١١ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٢٨ يونيه ١٨٠٦ م .

(٤) الدونانمة : تحريف للكلمة التركية « طونانمة وطونننما » ، وتعنى الزينة التى تقام فى المدن ، بمناسبة إحراز نصر ، أو مولد أمير ، وتستعمل بمعنى الأسطول ، وهو المعنى المقصود هنا .

(٥) ولاية سلانيك : ولاية مقدونية ، كانت إحدى ولايات الدولة العثمانية .

(٦) ١٧ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٤ يوليه ١٨٠٦ م .

(٧) ١٨ ، ١٩ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٥ ، ٦ يوليه ١٨٠٦ م .

ثم سافر فى يوم الإثنين (١) ، وذهب صحبته سليم المعروف بقبى لركخسى ، وشرع الباشا فى عمل آلات حرب وجلل ومدافع ، وجمعوا الحدّادين بالقلعة وأصعدوا بنبات كثيرة واحتياجات ومهمات إلى القلعة ، وظهر منه علامات العصيان ، وعدم الامتثال ، وجمع إليه كبار العسكر وشاورهم وتناجى معهم ، فوافقوه على ذلك ، لأن ما من أحد منهم إلا وصار له عدة بيوت وزوجات ، والتزام بلاد وسيادة لم يتخيلها ولم تخطر بذهنه ولابفكره ، ولايسهل به الانسلاخ عنها والخروج منها ولو خرجت روحه ، وأخبر المخبرون أنَّ الألفى أرسل هدية إلى قبودان باشا ، وفيها ثلاثون حصانا منها عشرة برخوتها (٢) ، ومن الغنم أربعة آلاف رأس ، وجملة أبقار وجواميس ومائة جمل محملة بالذخيرة وغير ذلك من النقود والثياب والأقمشة برسمه ، ورسم كبار أتباعه ، ثم إنَّ الباشا أحضر السيد عمر والخاصة وعرفهم بصورة الأمر الوارد بعزله وولاية موسى باشا ، وأن الأمراء المصريين أعرضوا للسلطنة فى طلب العفو وعودهم إلى إمرياتهم ، وخروج العساكر التى أفسدت الإقليم عن أرض مصر ، وشرطوا على أنفسهم القيام بخدمة الدولة والحرمين الشريفين ، وإرسال غلالها ودفع الخزينة وتأمين البلاد ، فحصل عنهم الرضا ، وأجيبوا إلى سؤالهم على هذه الشروط، وأنَّ المشايخ والعلماء يتكفلون بهم ويضمنون عهدهم بذلك ، فأعملوا فكركم ورأيكم فى ذلك ، ثم انفصلوا من مجلسه .

وفيه (٣) ، أرسل الباشا فجمع الأخشاب التى وجدها ببولاق فى الشوادر والحواصل والوكائل وطلّعوا جميع ذلك إلى القلعة لعمل العربات والعَجَل برسم المدافع والقنابر .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه (٤) ، كان مولد المشهد الحسينى المعتاد وحضر الباشا لزيارة المشهد ، ودعاه شيخ السادات وهو الناظر على المشهد والمتقيد لعمل ذلك فدخل إليه وتغدى عنده ، ثم ركب وعاد إلى داره ، وأكثر من الركوب والطواف بشوارع المدينة ، والطلوع إلى القلعة والنزول منها ، والذهاب إلى بولاق وهو لابس برنسا .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه (٥) ، حضر ديوان أفندى وعبدالله أغا بكتاش

(١) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٧ يوليه ١٨٠٦ م .

(٢) رخوت : مفردها « رخت » ، لها معان كثيرة ، وتعنى هنا : طقم الحصان وعدة لجامه .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٣) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٧ يوليه ١٨٠٦ م . (٤) ٢١ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ٨ يوليه ١٨٠٦ م .

(٥) ٢٣ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١٠ يوليه ١٨٠٦ م .

الترجمان عند السيد عمر ومعهما صورة عرض يكتب عن لسان المشايخ إلى الدولة فى شأن هذه الحادثة ، فتناجوا مع بعضهم حصة من النهار ، ثم ركبا وحضرا فى ثانى يوم[1] عند الشيخ عبدالله الشرقاوى ، وأمروا المشايخ بتنظيم العرضحال وترصيعه ووضع أسمائهم وختومهم عليه ، ليرسله الباشا إلى الدولة ، فلم تسعهم المخالفة ، ونظموا صورته ثم بيضوه فى كاغد كبير .

وصورته بالحرف : « بسم الله الرحمن الرحيم الرؤف الحليم ، الحمد لله ذى الجلال على جميع الشئون والأحوال ، نرفع إليك أكفا من بحر جودك مغترفة ، ونتوجه إلى كعبة فضلك بقلوب بخالص الوحدانية معترفة ، أن تديم ببهجة الزمان ، ورونق عنوان اليمن والأمان ، بدوام وزير تخضع لمهابته الرقاب ، وتدنو لهمة سطوته المهمات الصعاب ، منتهى آمال المقاصد والوسائل ، ومحط رحال المطالب من كل سائل ، حضرة صدر الصدور ، ومدبر مهمات الأمور ، الصدر الأعظم محمد على باشا ، أدام الله دعائم العز بقيامه ، وفسح للأنام فى أيامه محفوفا بعناية الرب الكريم ، محفوظا بآيات القرآن العظيم آمين .

أما بعد رفع القصد والرجاء ، ومد سواعد الخضوع والالتجاء ، فإننا ننهى لمسامعكم العلية ، وشيم أخلاقكم المرضية ، بأنه قد قدم حضرة الدستور المكرم ، والمشير المفخم ، مدبر مهمات الأسكلات البحرية ، خادم الدولة العلية الوزير قبودان باشا إلى ثغر سكندرية ، فأرسل كتخدا البوابين سعيد أغا ، وصحبته الأمر الشريف ، الواجب القبول والتشريف ، المعنون بالرسم الهمايونى العالى ، دامت مسراته على ممر الدهور والأعوام والأيام والليالى ، فأوضح مكنونه ، وأفصح مضمونه ، بأنه قد تطاولت العداوة بين الوزير محمد على باشا ، وبين الأمراء المصريين ، فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من غلال ومرتبات ، وتنظيم أمير الحاج على حكم سوابق العادات ، والحال أنه ينبغى تقديم ذلك على سائر المطلوبات ، وأنَّ هذا التأخير سببه كثرة العساكر والعلوفات ، وترتب على ذلك لكامل الرعية بالأقاليم المصرية الدمار والاضمحلال ، وأنهت الأمراء المصرية هذه الكيفية لحضرة السدة السنية ، وأنَّهم يتعهدون بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال وعوائد ومهمات ، وإخراج أمير الحاج على حكم أسلوب المتقدمين مع الامتثال لكامل ما يرد من الأوامر الشريفة إلى ولاة الأمور بالديار المصرية ، وأنَّهم يقومون فى كل سنة بدفع

(١) ٢٤ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١١ يوليه ١٨٠٦ م .

الأموال الميرية إلى خزينة الدولة العلية ، إنْ حصل لهم العفو عن جرائمهم الماضية والرضا بدخولهم مصر المحمية ، والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك منهم ، وبلوغهم مأمولهم ، فأصدرتم لهم الأمر الهمايوني الشريف المطاع المنيف ، بعزل الوزير المشار إليه لتقرير العداوة معه ، ووجهتم له ولاية سلانيك ، ووجهتم ولاية مصر إلى الوزير موسى باشا ، وقبلتم توبتهم وأنّ العلماء والوجاقلية والرؤساء والوجهاء بالديار المصرية الداعين لحضرة مولانا الخنكار [1] ببلوغ المأمولات المرضية ، إنْ تعهدوا بهم وكفلوهم يحصل لهم المساعدة الكلية ، حكم التماسهم من أعتاب حضرة الدولة العلية ، فأمركم مطاع وواجب القبول والاتباع ، غير أنّنا نلتمس من شيم الأخلاق المرضية ، والمراحم العلية ، العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم ، فإن شرط الكفيل قدرته على المكفول ، ونحن لاقدرة لنا على ذلك لما تقدم من الأفعال الشهيرة، والأحوال والتطورات الكثيرة ، التى منها خيانة المرحوم السيد على باشا والى مصر سابقا بعد واقعة مير ميران طاهر باشا ، وقتل الحجاج القادمين من البلاد الرومية ، وسلب الأموال بغير أوجه شرعية ، والصغير لايسمع كلام الكبير ، والكبير لايستطيع تنفيذ الأمر على الصغير ، وغير ذلك مما هو معلومنا وبمشاهدتنا ، خصوصا ما وقع فى العالم الماضى من إقدامهم على مصر المحمية ، وهجومهم عليها فى وقت الفجرية ، فجلاهم عنها حضرة المشار إليه ، وقتل منهم جملة كثيرة ، فكانت واقعة شهيرة ، فهذا شىء لاينكر فحينئذ لايمكننا التكفل والتعهد لأننا لانطلع على ما فى السرائر ، وما هو مستكنّ فى الضمائر ، فنرجو عدم المؤاخذة فى الأمور التى لاقدرة لنا عليها ؛ لأننا لانقدر على دفع المفسدين والطغاة والمتمردين الذين أهلكوا الرعايا ودمروهم ، فأنتم خلفاء الله على خليقته ، وأمناؤه على بريته ، ونحن ممتثلون لولاة أموركم فى جميع ما هو موافق للشريعة المحمدية ، على حكم الأمر من رب البرية ، فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أيهَا الذينَ آمنوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسولَ وأُولى الأمرِ مِنْكُم ﴾ [2] ، فلا تسعنا المخالفة فيما يرضى الله ورسوله ، فإن حصل منهم خلاف ذلك فكل الأمر فيهم إلى مالك الممالك ، لأن أهل مصر قوم ضعاف ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أهلُ مصْر الجندُ الضَّعيف ، فما كادَهُم أحدٌ إلاَّ كفَاهُم اللهُ مُؤنتَه » ، وقال أيضًا : « وكُلُّ راعٍ مسئولٌ عَنْ رَعيته يومَ القِيامَة » ، ونفيد أيضًا

---

(١) الخنكار لقب للسلطان العثمانى معناه : السعيد ، الحسن الحظ .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢) سورة : النساء ، رقم (٤) آية رقم (٥٩) .

حضرة المسامع العلية من خصوص الفرض والسلف[1] ، التى حصل منها الشقلة للأهالى من حضرة محسوبكم الوزير محمد على باشا ، فإنه اضطر إليها لأجل إغراء العساكر وتقويتهم على دفع الأشقياء والمفسدين والطغاة المتمردين ، امتثالا لأوامر الدولة العلية فى دفعهم والخروج من حقهم ، واجتهد فى ذلك غاية الاجتهاد رغبة فى حلول أنظار الدولة العلية، فالأمر مفوّض إليكم، والملك أمانة الله تحت أيديكم ، نسأل الله الكريم المنان ، أن يديم العز والامتنان ، لسُدة السلطان مع رفعة تترشح بها فى النفوس عظمته ، وسطوة تسرى بها فى القلوب مهابته ، وأن يبقى دولته على الأنام ، وأن يحسن البدء والختام ، بجاه سيدنا محمد خير البرية ، وآله وصحبه ذوى المناقب الوفية » . انتهى ، وكتبوا من ذلك نسختين إحداهما إلى القبطان ، وأخرى إلى السلطان ، وكتبوا عليهما الإمضاء والختوم وأرسلوهما .

وفى ليلة الاثنين ثالث عشرينه[2] ، وصل شاكر أغا سلحدار الوزير إلى بولاق ، فتلقوه وأركبوه إلى بيت الباشا ، فلما أصبح النهار ، أرسلوا أوراقا وصلت صحبة السلحدار المذكور ، إحداها : خطابا للمشايخ ، وأخرى : إلى شيخ السادات ، وثالثة : إلى السيد عمر النقيب ، وكلها على نسق واحد ، وهى من قبودان باشا ، وعليها الختم الكبير ، وهى بالعربى ، وفرمان رابع باللغة التركية خطابا للجميع ، ومضمون الكل الإخبار بعزل محمد على باشا عن ولاية مصر ، وولايته سلانيك ، وولاية السيد موسى باشا المنفصل عنها مصر ، وأن يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للأوامر ، والاجتهاد فى المعاونة ، وتشهيل محمد على باشا فيما يحتاج إليه من السفن ، ولوازم السفر ، ليتوجه هو وحسن باشا والى جرجا من طريق دمياط بالإعزاز والإكرام ، وصحبتهما جميع العساكر من غير تأخير ، حسب الأوامر السلطانية ، ثم إنهم اجتمعوا فى عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر ، وركبوا إلى الباشا ، فلما استقروا بالمجلس ، قال لهم : « وصلت إليكم المراسلات الواردة صحبة السلحدار » ، قالوا : « نعم » ، قال : « وما رأيكم فى ذلك » ، قال الشيخ الشرقاوى : « ليس لنا رأى والرأى ما تراه ، ونحن الجميع على رأيك » ، فقال لهم : « فى غد أبعث إليكم صورة تكتبونها فى رد الجواب » ، وأرسل إليهم من

---

(١) كتب بهامش ، ص ١٣ ، طبعة بولاق « قوله الفرض والسلف ، جمع فرضة وسلفة » .

(٢) ٢٣ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١٠ يوليه ١٨٠٦ م .

كتب بهامش ص ١٣ ، طبعة بولاق قوله : « وفى ليلة الإثنين ... إلخ ، هكذا بالنسخ التى معنا ، ولعلها « سابع عشرينه » بدليل ما قبله وبعده ، وهو الصواب لأنّ ٢٣ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١٠ يوليه ١٨٠٦ م، يعادل يوم الخميس ، و ٢٧ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١٤ يوليه ١٨٠٦ م يعادل يوم الإثنين .

الغد صورة مضمونها : « أنَّ الأوامر الشريفة وصلت إلينا ، وتلقيناها بالطاعة والامتثال ، إلا أنْ أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف ، وربما عصت العساكر عن الخروج، فيحصل لأهل البلدة الضرر وخراب الدور ، وهتك الحرمات ، وأنتم أهل للشفقة والرحمة والتلطف » ، ونحو ذلك من التزويقات والتمويهات وأصدروها إليه ، وفى أثناء ذلك محمد على باشا آخذ فى الاهتمام والتشهيل ، وإظهار الحركة والخروج لمحاربة الألفى ، وبرزت العساكر إلى ناحية بولاق ، وخارج البلدة ، وعدوا بالخيام إلى البر الغربى ، وتقدم إلى مشايخ الحارات بالتعريف على كل من كان متصفا بالجندية ، ويكتبوا أسماءهم ، ومحل سكنهم ففعلوا ذلك ، ثم كتبت لهم أوراق بالأمر بالخروج ، وعليها ختم الباشا ، ومسطور فى ورقة الأمر بأن المأمور يصحب معه شخصين أو ثلاثة على أنَّ أكثرهم لايملك حمارا يركبه ، ولايحمل عليه متاعه ، ولا ما يصرفه على نفسه فضلا عن غيره ، وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيرهم بالخروج للمحاربة .

وفيه [١] ، شرع الباشا فى تقرير فرضة على البلاد البحرية ، وهى القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية ، والمزاحمتين ، إلى آخر مجرى النيل ، ورتبوها : أعلى ، وأدنى ، وأوسط ، وهى غلال : الأعلى : ثلاثون أردبا ، وثلاثون رأسا من الغنم ، وأردب أرز ، وثلاثون رطلا من الجبن ، ومن السمن كذلك ، وغير هذه الأصناف ، كالتبن والجلة وغير ذلك ، والأوسط : عشرون إردبا وما يتبعها مما ذكر ، والأدنى : اثنا عشر ، ومع ذلك القبض والطلب مستمر فى فائظ الملتزمين بعضه من ذواتهم ، وبعضه من فلاحيهم مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم ، وتوالى الاستعجالات .

وفى ليلة الثلاث ثامن عشرينه [٢] ، سافر شاكر أغا السلحدار بالأجوبة .

شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢١ [٣]

استهل بيوم الخميس [٤] .

---

(١) ٢٧ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١٤ يوليه ١٨٠٦ م .
(٢) ٢٨ ربيع الثانى ١٢٢١ هـ / ١٥ يوليه ١٨٠٦ م .
(٣) جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ١٧ يوليه - ١٥ أغسطس ١٨٠٦ م .
(٤) ١ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ١٧ يوليه ١٨٠٦ م .

فى ثانيه[1] ، احترق معمل البارود بناحية المدابغ ، فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل مثل المدفع العظيم ، سمعه القريب والبعيد ، ومات به عدة أشخاص ، ويقال : إنَّهم رموا بنبة من القلعة بقصد التجربة على جهة بولاق ، فسقطت فى المعمل المذكور ، وحصل ما ذكر .

وفى ثالثه [2] ، يوم السبت وقت الزوال ركب الباشا من داره يريد السفر لمحاربة الألفى ، ونزل إلى بولاق ، وعدى إلى بر إنبابة لتجهيز العرضى [3] ، وأرسل أوراقا لتجمع العربان ، وعين لذلك حسن أغا محرم ، وعلى كاشف الشرقية .

وفى ليلة الاثنين خامسه [4] ، حضر سليم أغا قابجى كتخدا الذى تقدم سفره صحبة سعيد أغا كتخدا البوّابين [5] ، مرسولا إلى قبودان باشا من طرف محمد على باشا ، فرجع بجواب الرسالة ، ومحصلها : « أنَّ القبودان لم يقبل هذه الأعذار ، ولا ما نمقوه من التمويهات التى لا أصل لها ، ولابد من تنفيذ الأوامر وسفر الباشا ، ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما وخروجهم من مصر وذهابهم إلى ناحية دمياط ، وسفرهم إلى الجهة المأمورين بالذهاب إليها ، ولا شىء غير ذلك أبدا » .

وفى ليلة الخميس ثامنه [6] ،حضر على كاشف الشرقية وذلك أنَّه تقنطر من فوق جواده وكسرت رجله وأحضروه محمولا .

وفى يوم الخميس المذكور [7] ، وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات[8] ، ونصف حرام [9] ، من ناحية شبرا إلى بولاق ، وضربوا لحضورهم مدافع .

وفيه [10] ، ركب طوائف الدلاتية وتقدموا إلى جهة بحرى ، وأشيع ركوب محمد على باشا ذلك اليوم فلم يركب .

---

(١) ٢ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ١٨ يوليه ١٨٠٦ م .

(٢) ٣ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ١٩ يوليه ١٨٠٦ م .

(٣) العرضى : الجيش ، والمقصود هنا الجيش الذى يصحبه لمقاتلة الألفى .

(٤) ٥ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢١ يوليه ١٨٠٦ م .

(٥) كتخدا البوابين : أى وكيل الجهاز الخاص بحراسة أبواب القصر السلطانى .

(٦) ٨ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢٤ يوليه ١٨٠٦ م . (٧) ٨ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢٤ يوليه ١٨٠٦ م .

(٨) الحويطات : انظر ، جـ ٣ ، ص ٩٤ ، حاشية رقم (٥) .

(٩) نصف حرام : تنظيم قبلى عصبى ، ساد المجتمع المصرى ، حيث انقسم المجتمع فى المدن والريف إلى نصف سعد ، ونصف حرام .

(١٠) ٨ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢٤ يوليه ١٨٠٦ م .

وفى ثانى عشره [1] ، ورد الخبر بوصول موسى باشا إلى ثغر سكندرية يوم الأحد حادى عشره[2] ، والمذكور أرسل من طرفه قاصدا وعلى يده مرسوم خطابا لأحمد أفندى الدفتردار ، بأن يكون قائما مقامه ويأمره بضبط الإيراد والمصرف ، فلم يقبل الدفتردار ذلك ، وقال : « لم يكن بيدى قبض ولاصرف ولا علاقة لى بذلك » .

وفى يوم الأحد [3] ، طافت جماعة قواسة على بيوت الأعيان يبشرونهم بأن العساكر الكائنين بناحية الرحمانية [4] ، ركبوا على عرضى الألفى ووقعت بينهم مقتلة كبيرة وقتلوا منه جملة فيهم أربع صناجق ، ونهبوا منه زيادة عن ثمانمائة جمل بأحمالها ، وعدة هجن محملة بالأموال ، ورجعت العساكر ومعهم نحو الثمانين رأسا ومائة أسير وغير ذلك ، وأنَّ الألفى هرب بمفرده إلى ناحية الجبل ، وقيل إلى الإسكندرية ، فكانوا يطوفون على الأعيان بهذا الكلام ، ويأخذون منهم البقاشيش ، ثم ظهر أنَّ هذا الكلام لا أصل له ، وتبين أنَّ طائفة من العرب يقال لهم الجوابيص[5] ، وهم طائفة مرابطون ليس يقع منهم أذية ولا ضرر لأحد مطلقا ، نزلوا بالجبل بتلك الناحية ، فدهمهم العسكر ، وخطفوا منهم إبلا وأغناما ، وقتل فيما بينهم أنفار من الفريقين لمدافعتهم عن أنفسهم .

وفى ذلك اليوم [6] ، أيضًا ، ركب حسن أغا الشماشرجى إلى المنصورية قرية بالجيزة [7] ، ومعه طائفة من العسكر ، وهى بالقرب من الأهرام ، فضربوا القرية ونهبوا منها أغناما ومواشى ، وأحضروها إلى العرضى بإنبابة وحضر خلفهم أصحاب الأغنام ، وفيهم نساء يصرخن ويصحن ، وصادف ذلك أنَّ السيد عمر النقيب عدى إلى العرضى ، فشاهدهم على هذه الحالة ، فكلم الباشا فى شأنهم ، فأمر برد الأغنام التى للنساء والفقراء الصارخين ، وذهبوا بالباقى للمطابخ .

---

(١) ١٢ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢٨ يوليه ١٨٠٦ م .
(٢) ١١ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢٧ يوليه ١٨٠٦ م .
(٣) ١١ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢٧ يوليه ١٨٠٦ م .
(٤) الرحمانية ، قرية قديمة ، اسمها الأصلى « محلة عبد الرحمن » ، وفى تاج العروس « محلة عبد الرحمن » ، وتعرف بالرحمانية ، وفى دفتر المقاطعات ١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ / ١٦٦٩ م ، وتاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وردت باسمها الحالى المختصر : إحدى قرى مركز شبراخيت ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .
(٥) الجوابيص : انظر ، جـ ٣ ، ص ٤٩٨ ، حاشية رقم (٢) .
(٦) ١١ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢٧ يوليه ١٨٠٦ م .
(٧) المنصورية : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٥ .

وفي ثاني عشره [1] ، وردت الأخبار بأنّ العساكر الكائنين بالرحمانية ، ومرقص[2] ، رجعوا إلى النجيلة [3] ، ونصبوا عرضيهم هناك وحضر الألفى تجاههم فركبوا لمحاربته ، وكانوا جمعا عظيما فركب الألفى بجيوشه وحاربهم ووقع بينه وبينهم وقعة عظيمة ، انجلت عن نصرته عليهم وانهزام العسكر ، وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة ، ولم يزالوا فى هزيمتهم إلى البحر ، وألقوا بأنفسهم فيه ، وامتلأ البحر من طراطير الدلاتية ، وهرب كتخدا بيك وطاهر باشا إلى بر المنوفية ، وعدوا فى المراكب ، واستولى الألفى وجيوشه على خيولهم وخيامهم وحملاتهم وجبخانتهم، وأرسل برؤوس القتلى والأسرى إلى القبودان ، وأشيع خبر هذه الواقعة فى الناس ، وتحدثوا بها ، وانزعج الباشا والعسكر انزعاجا عظيما ، وعدى إلى بر بولاق ، وطاف الوالى وأصحاب الدرك ينادون على العساكر بالخروج إلى العرضى ، ويكتبوا أسماءهم ، وحضر الباشا إلى داره وأكثر من الركوب والذهاب والمجئ والطواف حول المدينة والشوارع ، ويذهب إلى بولاق ومصر القديمة ، ويرجع ليلا ونهاراً وهو راكب رهوانا تارة ، أو فرسا ، أو بغلة ، ومرتّد ببرنس أبيض مثل المغاربة والعسكر أمامه وخلفه ، ووصل مجاريح كثيرة ، وأخبروا بالواقعة المذكورة ، ومات من جماعة الألفى أحمد بيك الهنداوى فقط ، والمجرح أمين بيك وغيره جرح سلامة .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه [4] ، وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم إلى بولاق وفيهم مجاريح كثيرة ، وهم فى أسوأ حال ، فمنعهم الباشا من طلوع البر ، وردهم بمراكبهم إلى بر إنبابة ، واستمروا هناك إلى آخر النهار ، وهم عدد كثير ، وقد انضاف إليهم من كان ببر المنوفية ولم يحضر المعركة لما داخلهم من الخوف ، ثم إنّهم طلعوا إلى بولاق ، وانتشروا فى النواحى ، وذهب منهم الكثير إلى مصر القديمة ، وحضر كثير منهم ودخلوا المدينة ودخلوا البيوت ، وأزعجوا كثيراً من

---

(1) ١٢ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٢٨ يوليه ١٨٠٦ م .

(2) مرقص : قرية قديمة اسمها الأصلى « محلة مرقص » ، ضبطها صاحب تاج العروس « مَرْقُس » ، بفتح الميم والقاف ، إحدى قرى مركز شبراخيت ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣١٠ .

(3) النجيلة : كانت قاعدة مركز النجيلة ١٨٢٦ م ، ثم نقل منها ديوان المركز ١٩٠٢ م ، إلى كوم حمادة ، وهى إحدى قرى مركز كوم حمادة ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

(4) ٢١ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ / ٦ اغسطس ١٨٠٦ م .

الساكنين بناحية قناطر السباع (١) ، وسويقة اللالا (٢) ، والناصرية (٣) ، وغير ذلك من النواحى ، وأخرجوهم من دورهم ، وقد كانت الناس استراحت منهم مدة غيابهم .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه (٤) ، الموافق لثامن مسرى القبطى ، أوفى النيل أذرعه ، وركب الباشا فى صبيحة يوم الخميس (٥) إلى قنطرة السد ، وحضر القاضى والسيد عمر النقيب ، وكسر الجسر بحضرتهم ، وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا بسبب علوّ أرضه ، وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه ، ويقال إنهم فتحوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا وتطيره وخوفه من حادثة تحدث فى مثل يوم هذا الجمع ، وخصوصا وقد وصل إلى بر الجيزة الكثير من أجناد الألفى .

شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢١ (٦)

استهل بيوم السبت (٧) .

وفى سادسه (٨) ، حضر طاهر باشا إلى بر إنبابة ، ونصب خيامه هناك ، وعدى هو فى قلة إلى بر بولاق ، وذهب إلى داره بالأزبكية ، وكان من أمره أنه لما حصلت له الهزيمة فذهب إلى المنوفية ، وقد اغتاظ عليه الباشا ، وأرسل يقول له لاتورينى وجهك بعد الذى حصل ، وترددت بينهما الرسل ، ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى رشيد ، فذهب إلى فوة(٩) ، ثم حضر شاهين بيك الألفى إلى الرحمانية ، فأرسل الباشا إلى طاهر باشا يأمره بالذهاب إلى شاهين بيك ويطرده من الرحمانية ، فذهب إليه فى المراكب فضرب عليه شاهين بيك بالمدافع فكسر بعض مراكبه ، فرجع على أثره وركب من البرحتى تعدى بحر الرحمانية ، ثم حضر إلى مصر ، ووصل بعده الكثير من العسكر ، فأمرهم الباشا بالعود فعاد الكثير منهم فى المراكب ، وحضر أيضًا إسماعيل أغا الطوبجى كاشف المنوفية ، وقد داخل الجميع الخوف من الألفى .

---

(١) قناطر السباع : قناطير أنشأها الظاهر بيبرس ، وجعل عليها رنكه « السبع » ، فعرفت بهذا الاسم ، وموضعها الآن ميدان السيدة زينب .

(٢) سويقة اللالا : شارع يبتدئ من آخر شارع الحنفى بجوار درب الهياتم ، وينتهى لشارع الدرب الجديد وطوله ٢٧٠ مترا وبه عدة عطف .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٤١ .

(٣) الناصرية : شارع يبتدئ من آخر شارع سويقة السباعين ، وينتهى لشارع الكومى ، وطوله ٥٨٠ مترا ، وبه عدة دروب وعطف .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٤) ٢٨ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ/ ١٣ أغسطس ١٨٠٦ م.

(٥) ٢٩ جمادى الأولى ١٢٢١ هـ/ ١٤ أغسطس ١٨٠٦ م.

(٦) جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ / ١٦ أغسطس - ١٣ سبتمبر ١٨٠٦ م .

(٧) ١ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ/ ١٦ أغسطس ١٨٠٦ م .

(٨) ٦ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ/ ٢١ أغسطس ١٨٠٦ م .

(٩) فوّة : قرية قديمة ، أصبحت مدينة ، وهى قاعدة مركز فوة ، محافظة الغربية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١١٣ - ١١٥ .

وأما الألفى ، فإنه بعد انفصال الحرب من النجيلة ، رجع إلى حصار دمنهور ، وذلك بعد أن ذهب أعيانها إلى قبودان باشا وقابلوه وأمنهم ورجعوا على أمانه ، فافترقوا فرقتين : فرقة منهم اطمأنت ورضيت بالأمان ، والأخرى لم تطمئن بذلك ، وأرسلوا إلى السيد عمر والباشا ، فرجع إليهم الجواب يأمرونهم باستمرارهم على الممانعة ومحاربة من يأتى لحربهم ، فامتثلوا ذلك ، وتبعتهم الفرقة الأخرى ، وأرسل إليهم القبودان يدعوهم إلى القلعة ، ويضمن لهم عدم تعدى الألفى عليهم ، فلم يرضوا بذلك ، فعند ذلك استفتى العلماء فى جواز حربهم حتى يذعنوا للطاعة ، فأفتوه بذلك ، فعند ذلك أرسل إلى الألفى يأمره بحربهم فحاصرهم وحاربهم واستمر ذلك .

وفى يوم الجمعة سابعه[1] ، ورد الخبر بموت الكاشف الذى بدمنهور .

وفى يوم الخميس ثالث عشره [2] ، وصلت قافلة من السويس وصحبتها المحمل ، فأدخلوه وشقوا به من المدينة وخلفه طبل وزمر ، وأمامه أكابر العسكر وأولاد الباشا ، ومصطفى جاويش المتسفر عليه ، ولقد أخبرنى مصطفى جاويش المذكور أنه لما ذهب إلى مكة ، وكان الوهابى [3] حضر إلى الحج واجتمع به ، فقال له الوهابى : « ما هذه العويدات التى تأتون بها وتعظمونها بينكم » يشير بذلك القول إلى المحمل ، فقال له : « جرت العادة من قديم الزمان بها يجعلونها علامة وإشارة لاجتماع الحجاج » ، فقال : « لاتفعلوا ذلك ولا تأتوا به بعد هذه المرة ، إنْ أتيتم به مرة أخرى فإنى أكسره » .

وفى ليلة الأربع[4] ، حضر الأفندى المكتوبجى من طرف القبودان إلى بولاق ، فأرسل إليه الباشا حصانا فركبه ، وحضر إلى بيت الباشا بالأزبكية فى صبح يوم الأربعاء ، فأحضر الباشا الدفتردار وسعيد أغا ، واختلوا مع بعضهم ، ولم يعلم ما دار بينهم .

وفى يوم الخميس عشرينه[5]، ارتحل من بالجيزة من الأمراء المصريين وعدتهم ستة

---

(١) ٧ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ/ ٢٢ اغسطس ١٨٠٦ م.

(٢) ١٣ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ/ ٢٨ أغسطس ١٨٠٦ م.

(٣) الوهابى : المقصود هنا الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، حاكم الدولة السعودية الأولى ، وقد أخطأ الجبرتى فى الاسم فكتبه « مسعود » ويكرر ذلك فى بقية الكتاب وصحته سعود .

عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى ط ٦ ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٩٧ م ، ص ١٥٧ .

(٤) ١٩ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ/ ٣ سبتمبر ١٨٠٦ م. (٥) ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ/ ٤ سبتمبر ١٨٠٦ م.

من المتـأمرين الجدد الذين أمـرهم الألفى ، فذهـبوا عند أستـاذهم بناحية دمـنهور ، ونزلوا بالقرب منه .

وفى خامس عشرينه [1] ، مر سليمان أغا صالح من نـاحية الجيزة راجعا من عند الأمراء الـقبالى ، وصـحبته هـدايا من طرفـهم إلى القـبودان ، وفيهـا خيول وعبـيد وطواشيـة وسكر ، ولم يجـيبوا إلى الحـضور لممانعـة عثمان بيـك البرديسـى وحقده الكامن للألـفى ، ولكون هذه الحركة ، وهى مـجئ القبودان وموسى باشـا باجتهاده وسفارته وتدبيره ، كما سيتلى عليك فيما بعد .

وفيه [2] ، ظهرت فحوى النتيجة القياسية ، وانعكاس القضية ، وهو أن القبودان لما لم يجد فى المصرلية الإسعاف ، وتحقق ما هم عليه من التنافر والخلاف ، وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات ، فـعند ذلك استأنف مع محمد على باشا المصادقة ، وعلم أنَّ الأروج له معه الموافقة ، فأرسـل إليه المكتوبجى ، واستوثق منه ، والتـزم له بأضعـاف ما وُعد به من الـكذابين معـجلا ومؤجلا عـلى مر السـنين ، والالتزام بجميع المأمورات والعدول عن المخالـفات ، فوقع الاتفاق على قدر معلوم ، وأرسل إلى محمد علـى باشا يأمره بكتابة عرضحال خلاف الأوّلـين ، ويرسله صحبة ولده على يد القبودان فعند ذلك لخصوا عـرضحال ، وختم عليه الأشياخ والاختيارية والوجاقليـة ، وأرسله صحبة ابنه إبراهيـم بيك وأصحب معه هدية حـافلة وخيولا ، وأقمشـة هندية وغير ذلـك ، وتَلِفت طبخة الألـفى والتدابيـر ، ولم تسعفه المـقادير ومضمـون العرضحـال وملخصـه: « أن محمد عـلى باشا كـافل الإقليـم ، وحافظ ثغوره، ومؤمـن سبله ، وقاطع المـعتدين ، وأن الكافـة من الخاصة والعامـة والرعية راضية بولايتـه وأحكامه وعدله ، والشريعـة مقامة فى أيامه ولايرتـضون خلافه ، لما رأوا فيه من عدم الظلم والرفق بالضعـفاء ، وأهل القرى والأرياف ، وعمارها بأهلها ورجوع الشاردين منها فى أيام المماليك المصريـة المعتدين الذين كانوا يتعدون عليهم ، ويسلبون أموالهم ومزارعهم ، ويكلفونهم بأخذ الفرض والكلف الخارجة عن الحد .

وأما الآن فجـميع أهل الـقطر المصرى ، آمـنون مطمئـنون بولاية هـذا الوزير ، ويرجون من مراحم الدولة العلية أن يبقيه واليا عليهم ، ولايعزله عنهم لما تحققوه فيه من العدل وإنصاف المظلومين ، وإيصال الحقوق لأربابها ، وقمع المفسدين من العربان الذين كانوا يقطعون الطرقات على المـسافرين ، ويتعدون على أهل القرى ، ويأخذون مواشيهم وزرعهم ويقتلون من يعصى عليهم منهم .

---

(١) ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ/٩ سبتمبر ١٨٠٦ م. (٢) ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ/٩ سبتمبر ١٨٠٦ م.

وأما الآن فلم يكن شيء من ذلك ، وجميع أهل البلاد فى غاية الراحة والأمن برا وبحرا بحسن سياسته وعدله ، وامتثاله للأحكام الشرعية ، ومحبته للعلماء وأهل الفضائل والإذعان لقولهم ونصحهم ، ونحو ذلك من الكلمات التى عنها يسئلون ، ولايؤذن لهم فيعتذرون »، ولما كتبوا ذلك لم يطلع عليه إلا بعض الأفراد المتصدرين ، ويكتب كاتبه جميع الأسماء تحته بخطه ولايمكنون البواقى الذين يضعون إمضاءهم وأسماءهم من قراءته ، بل يطلب منهم الخاتم فيختمون به تحت اسمه ، إذ لا يمكنه الشذوذ والمخالفة ، لحرصه على دوام ناموسه وقبوله عند سلطانه ، ودائرة أهل دولته ، وإن كان متورعا ، وليس له كبير صورة فيهم ، ولا ضدارة مثلهم ، وأبى أن يسلم خاتمه ليفعل به كغيره ، ختموه بخاتم موافق لاسمه تحت إمضائه ، وهذا هو السبب فى عدم نقلى هذه الصورة بل فهمت المضمون فقط ، والله ولى التوفيق ، وفى هذه الأيام تخاصم عرب الحويطات والعيايدة[1] ، وتجمع الفريقان حول المدينة ، وتحاربوا مع بعضهم مرارا ، وانقطعت السبل بسبب ذلك ، وانتصر الباشا للحويطات ، وخرج بسببهم إلى العادلية ، ثم رجع ، ثم إنهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب وأصلح بينهم .

شهر رجب سنة ١٢٢١ [2]

استهل بيوم الأحد [3] .

فيه [4] ، وصل القاضى الجديد ، ويسمى عارف أفندى وهو ابن الوزير خليل باشا المقتول ، وانفصل محمد أفندى سعيد حفيد على باشا المعروف بحكيم أوغلى ، وكان إنسانا لا بأس به ، مهذبا فى نفسه ، وسافر إلى قضاء المدينة المنورة من القلزم بصحبة القافلة .

وفى يوم الجمعة سادسه [5] ، سافر إبراهيم بيك ابن الباشا بالهدية ، وسافر صحبته محمد أغا لاظ الذى كان سلحدار محمد باشا خسرو .

وفى يوم السبت [6] ، أرسل الباشا إلى الشيخ عبدالله الشرقاوى ترجمانه يأمره بلزوم داره ، وأنه لايخرج منه ولا إلى صلاة الجمعة ، وسبب ذلك أمور وضغائن

---

(١) الحويطات والعيايدة : انظر ، جـ ٣ ، ص ٩٤ ، حاشية رقم (٥) ، ص ٧١ ، حاشية رقم (٢) .

(٢) رجب ١٢٢١ هـ / ١٤ سبتمبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م .

(٣) ١ رجب ١٢٢١ هـ/ ١٤ سبتمبر ١٨٠٦ م .

(٤) ١ رجب ١٢٢١ هـ/ ١٤ سبتمبر ١٨٠٦ م .

(٥) ٦ رجب ١٢٢١ هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨٠٦ م .

(٦) ٧ رجب ١٢٢١ هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م .

ومنافسات بينه وبين إخوانه ، كالسيد محمد الدواخلى ، والسيد سعيد الشامى ، وكذلك السيد عمر النقيب ، فأغروا به الباشا ، ففعل به ما ذكر ، فامتثل الأمر ولم يجد ناصرا وأهمل أمره .

وفيه [١] ، تواترت الأخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والألفى ، وذلك أنَّ الألفى لم يزل محاصرا دمنهور وهم ممتنعون عليه إلى الآن ، وسد خليج الأشرفية [٢] ، ومنع الماء عن البحيرة والإسكندرية لضرورة مرور الماء من ناحية دمنهور ؛ ليعطل عليهم المراد من الحصار ، فأرسل الباشا بربر باشا الخازندار ومعه عثمان أغا ومعهما عدة كثيرة من العساكر فى المراكب ، فوصلوا إلى خليج الأشرفية من ناحية الرحمانية ، وعليه جماعة من الألفية فحاربوهم حتى أجلوهم عنها ، وفتحوا فم الخليج فجرى فيه الماء ودخلوا فيه بمراكبهم ، فسدّ الألفية الخليج من أعلى عليهم، وحضر شاهين بيك فسدّ مع الألفية فم الخليج بأعدال القطن [٣] والمشاق[٤] ، ثم فتحوه من أسفل ، فسال الماء فى السبخ ونضب الماء من الخليج ، ووقفت السفن على الأرض ووصلتهم الألفية ، فأوقعوا معهم وقعة عظيمة ، وذلك عند قرية يقال لها : منية القران [٥] ، فانهزموا إلى سنهور [٦] ، وتحصنوا بها فأحاطوا بهم ، واستمروا على محاربتهم حتى افترق الفريقان فيما بعد .

وفيه [٧] ، أيضًا ، وصلت الأخبار بأن ياسين بيك لم يزل يحارب من بمدينة الفيوم حتى ملكها وقتل من بها ، ولم ينج منهم إلا القليل ، وكانوا أرسلوا يستنجدون بإرسال العسكر فلم يلحقوهم .

---

(١) ٧ رجب ١٢٢١ هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م .

(٢) خليج الأشرفية : خليج كان يقع جنوب دمنهور ، كما هو واضح من النص .

(٣) أعدال القطن : حطب القطن .

(٤) المشاق : التبن وأعود النباتات الأخرى .

(٥) منية القران : قرية مندرسة ، كانت تقع فى شمال كفر محلة داود ، وهى القرية التى تعرف الآن باسم « كفر الشراقوة » من توابع ناحية منية بنى موسى ، مركز دمنهور ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ١ ، ص ٤٣٥ .

(٦) سنهور : قرية قديمة ، كانت تعرف قديما باسم سنهور الصغرى ، تمييزا عن سنهور المدينة بمركز دسوق ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وردت باسم سنهور طلموس ، والصواب سنهور طلوت ، وفى تاريخ ١٢٤٥ هـ / ٢٩ - ١٨٣٠ م ، وردت باسمها الحالى ، وهى إحدى قرى مركز دمنهور ، محافظة البحيرة .
نفس المرجع السابق : ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٧) ٧ رجب ١٢٢١ هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م .

وفيه (1) ، وردت الأخبار مـن الجهـة القبلـية ، بأنَّ الأمـراء المصريين أخـلوا منفلوط (2) وملوى(3) وترفعوا إلى أسيوط وجزيرة منقباط(4) ، وتحصنوا بهما ، وذلك لما أخذ النيل فى الزيادة وخشوا من ورود العساكر عـليهم بتلك النواحى ، فلا يمكنهم التحصن فيها ، فترفعوا إلى أسيـوط ، فلما فعلوا ذلك أشاعوا هروبهم ، وذكروا أنَّ عابدين بـيك وحسن بيك حارباهـم وطرداهم إلى أن هربوا إلى أسيـوط ، ولما خلت تلك النواحى منهم رجع كاشف منفلوط ، وملوى ، وخلافهما الذين كانوا طردوهم فى العام الماضى ، وفروا من مقاتلتهم .

وفيه (5) ، شرع البـاشا فى تجهيـز عساكر وتسـفيرهم إلـى جهة بحرى وقـبلى ، وحجزوا المراكب للعسكر ، فانقطعت سبل المسافرين ، وذلك عندما اطمأن خاطره من قضية القبودان والعزل .

وفيه (6)، شرع أيضًا تقرير فرضة (7) عظيمة على البلاد والقرى والتجار ونصـارى الأروام والأقباط والشـوام ، ومساتير الناس ، ونـساء الأعيان ، والملتزمين وغيرهم ، وقدرها ستة آلاف كيس ، وذلك برسم مصلحة القبودان ، وذكروا أنَّها سلفة لمدة ستة أيام ، ثم ترد إلى أربابها ولا صحة لذلك .

وفى ليلة الإثنين (8) ، وصل كتخدا القبودان إلى ساحل بولاق ، فضربوا لقدومه مدافع وعملـوا له شنكا ، وأرسل له فى صبحـها خيولا صحبة ابنه طـوسون ومعهم أكابر الدولـة والأغا والوالى والأغوات ، فركب فـى موكب عظيم ، ودخـلوا به من باب النصر ، وشـق من وسط المدينة ، وعمل الـباشا الديوان ، واجتمع عـنده السيد عمر والمشايخ المتـصدرون ما عدا الشيخ عبدالله الشرقاوى ومن يلـوذ به ، فسأل عليه القاضى وعلى من تأخر ، فقيل له الآن يحضروا لعل الذى أخره ضعفه ومرضه ، ثم إنَّهم انتـظروا باقى الـوجهاء ، وأرسلـوا لهم جمـلة مراسيـل ، فلما حـضروا قرءوا المرسوم الوارد صحبة الكتخدا المذكور .

---

(1) ٧ رجب ١٢٢١ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م .

(2) منفلوط : مدينة قديمة ، اسمها القبطى (Manbalout) ، قاعدة مركز منفلوط ، محافظة أسيوط .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٧٨ . .

(3) ملَّوى : قرية قديمة : أصبحت مدينة وقاعدة لمركز ملوى ، محافظة أسيوط .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٨ . . .

(4) منقباط : كانت إحدى قرى مركز أسيوط ، وهى الآن مقر لقسم شرطة ، تابعة لمحافظة أسيوط .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٩ .

(5) ٧ رجب ١٢٢١ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م . (6) ٧ رجب ١٢٢١ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م .

(7) فرضة : من فرض ، يفرض ، وتعنى ضريبة إضافية غير مشروعة .

(8) ٩ رجب ١٢٢١ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٨٠٦ م .

ومضمـونه : « إبقاء محمـد على باشا واستـمراره على ولاية مصـر ، حيث إنَّ الخاصة والعامة راضية بأحكامه وعدله بشهادة العلماء وأشراف الناس ، وقبلنا رجاءهم وشهادتهم ، وأنه يـقوم بالشروط التى منها طلوع الحـج ، ولوازم الحرمين ، وإيصال العلائف والغلال لأربابهـا على النسق القديم ، وليس له تعلق بـثغر رشيد ولادمياط ولاسكنـدرية ، فإنه يـكون إيرادها مـن الجمارك يضـبط إلى التـرسخانة الـسلطانـية بإسلامبول ، ومن الـشروط أيضًا ، أن يرضى خواطر الأمراء المصريـين ، ويمتنع مـن محاربتهم ، ويعطيهم جهات يتعيشون بها » ، وهذا من قبيل تحلية البضاعة ، وانفض المجلس وضـربوا مدافـع كثيـرة مـن القلعـة والأزبكية وبولاق ، وأشيع عـمل زينة بالبلدة ، وشـرع الناس فـى أسـبابها ، وبـعضهم علق على داره تعالـيق ، ثم بطل ذلك ، وطاف المبشرون من أتباعهم على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ، وأذن الباشا بدخول المراكب إلى الخليج والأزبكية ، ثم عملوا شنكا وحراقات وسواريخ ثلاثة أيام بلياليها بالأزبكية .

شهر شعبان سنة ١٢٢١ [1]

فيه [2] ، تكـلم القـاضـى مع الباشا فى شأن الشيخ عـبدالله الشرقاوى والإفراج عنه ، ويأذن له فـى الركوب والخروج من داره حيث يريد ، فـقال : « أنا لاذنب لى فى التحجير عليه ، وإنما ذلك من تفاقمهم مع بعضهم » ، فاستأذنه فى مصالحتهم ، فأذن له فـى ذلك ، فعمل الـقاضى لهم ولـيمة ودعاهـم وتغدوا عنده وصـالحهم ، وقرءوا بينهم الفاتحة ، وذهبوا إلى دورهم ، والذى فى القلب مستقر فيه .

وفيه [3] ، وردت الأخبار من الديار الرومـية بقيام الرومنلى وتعصبـهم على منع النظـام الجديد والحوادث ، فوجهـوا عليهم عـسكر النظـام فتلاقوا معهـم وتحاربوا ، فكانت الهزيمة على النظام ، وهلك بينـهم خلائق كثيرة ، ولـم يزالوا فى أثرهم حتى قربوا مـن دار الـسلطنة ، فترددت بينـهم الرسل وصانعوهم وصالحـوهم على شروط منها : عزل أشـخاص من مناصبهم ، ونـفى آخرين ، ومنهم الوزيـر وشيخ الإسلام والكتخـدا والدفتردار ، ومنع النظـام والحوادث ، ورجوع الوجاقات علـى عادتهم ، وتقلد أغات الينكجرية الصدارة ، وأشياء لم تثبت حقيقتها .

---

(١) شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م .
(٢) شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م .
(٣) شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م .

وفيه [1] ، حضر عابدين بيك أخو حسن باشا من الجهة القبلية .

وفى عاشره [2] ، تواترت الأخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية واختلاف العساكر ، ورجوع من كان بناحية منفلوط ، وعصيان المقيمين بالمنية بسبب تأخر علائفهم ، ورجع حسن باشا إلى ناحية المنية ، فضرب عليه من بها فانحدر إلى بنى سويف .

وفيه [3] ، حضر إسماعيل الطوبجى كاشف المنوفية باستدعاء فأرسله الباشا بمال إلى الجهة القبلية ليصالح العساكر .

وفيه [4] ، وردت الأخبار من ثغر الإسكندرية بسفر قبودان باشا وموسى باشا إلى إسلامبول ، وأخذ القبودان صحبته ابن محمد على باشا ، وكان نزولهم وسفرهم فى يوم السبت خامسه [5] ، واستمر كتخدا القبودان بمصر متخلفا حتى يستغلق مال المصالحة .

وفيه [6] شرعوا فى تقرير فرضة على البلاد أيضًا .

وفيه [7] ، حضر محمود بيك من ناحية قبلى .

وفى سادس عشره [8] ، سافر كتخدا القبودان بعدما استغلق المطلوب .

وفيه [9] ، وصل إلى ثغر بولاق قابجى وعلى يديه تقرير لمحمد على باشا بالاستمرار على ولاية مصر وخلعة وسيف ، فأركبوه من بولاق إلى الأزبكية فى موكب حفل وشقوا به من وسط المدينة ، وحضر المشايخ والأعيان والاختيارية ، ونصب الباشا سحابة بحوش البيت للجمع والحضور ، وقرئت المرسومات وهما فرمانان ، أحدهما : يتضمن تقرير الباشا على ولاية مصر بقبول شفاعة أهل البلدة والمشايخ والأشراف ، والثانى : يتضمن الأوامر السابقة وبإجراء لوازم الحرمين ، وطلوع الحج ، وإرسال غلال الحرمين ، والوصية بالرعية ، وتشهيل غلال وقدرها

---

(١) شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م . (٢) ١٠ شعبان ١٢٢١ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٨٠٦ م .
(٣) ١٠ شعبان ١٢٢١ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٨٠٦ م . (٤) ١٠ شعبان ١٢٢١ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٨٠٦ م .
(٥) ٥ شعبان ١٢٢١ هـ / ١٨ أكتوبر ١٨٠٦ م .
(٦) شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م .
(٧) شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م .
(٨) ١٦ شعبان ١٢٢١ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٨٠٦ م .
(٩) شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م .

ستة آلاف أردب وتسفيرها على طريق الشام معونة للعساكر المتوجهين إلى الحجاز

وفيه [1] ، الأمر أيضًا بعدم التعرض للأمراء المصريين وراحتهم وعدم محاربتهم لأنه تقدم العفو عنهم ونحو ذلك ، وانقضى المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية .

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة ١٢٢١ [2]

وانقضى بخير ، ولم يقع فيه من الحوادث سوى توالى الطلب والفرض والسلف التى لاترد ، وتجريد العسكر إلى محاربة الألفى ، واستمرار الألفى بالجيزة ، ومحاصرة دمنهور ، واستمرار أهل دمنهور على الممانعة وصبرهم على المحاصرة وعدم الطاعة مع متاركة المحاربة .

وفيه [3] ، ورد الخبر بموت عثمان بيك البرديسى فى أوائل رمضان [4] بمنفلوط ، وكذلك سليم بيك أبو دياب ببنى عدى .

وفى أواخره [5] ، تقدم محمد على باشا إلى السيد عمر النقيب بتوزيع جملة أكياس على أناس من مياسير الناس على سبيل السلفة .

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢١ [6]

ولم يقع فى شهر رمضان هذا ارتباك فى هلاله أولا وآخرا كما حصل فيما تقدم ، وكذلك حصل به سكون وطمأنينة من عربدة العساكر ، لولا توالى الطلب على السلف والدعاوى الباطلة فى المدينة والأرياف ، وعسف أرباب المناصب فى القرى ، وعملوا شنكا للعيد بمدافع كثيرة فى الأوقات الخمسة ثلاثة أيام العيد .

وفيه [7] ، فتحوا طلب الميرى على السنة القابلة ، وجَدُّوا فى التحصيل ، ووجهوا بالطلب العساكر والقواصة والأتراك بالعصى المفضضة ، وضيقوا على الملتزمين .

وفى عاشره [8] ، أخرج الباشا خياما ونصب عرضى بناحية شبرا ومنية

(١) شعبان ١٢٢١ هـ / ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١٨٠٦ م .

(٢) رمضان ١٢٢١ هـ / ١٢ نوفمبر - ١١ ديسمبر ١٨٠٦ م .

(٣) رمضان ١٢٢١ هـ / ١٢ نوفمبر - ١١ ديسمبر ١٨٠٦ م .

(٤) ١ رمضان ١٢٢١ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨٠٦ م . (٥) آخر رمضان ١٢٢١ هـ / ١١ ديسمبر ١٨٠٦ م .

(٦) شوال ١٢٢١ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٠٦ - ٩ يناير ١٨٠٧ م .

(٧) شوال ١٢٢١ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٠٦ - ٩ يناير ١٨٠٧ م .

(٨) ١٠ شوال ١٢٢١ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨٠٦ م .

السيرج [1] ، والتمس من السيد عمر توزيع أربعمائة كيس برأيه ومعرفته ، فضاق صدره وشرع فى توزيعها على التجار ومساتير الناس ، حيث لم يمكنه التخلف ولا التباعد عن ذلك .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه [2] ، وصل حسن باشا طاهر من الجهة القبلية ودخل داره ، وخرج محمد على باشا إلى جهة الخلاء يريد السفر إلى الألفى ، ووصلت عربان الألفى وعساكره إلى بر الجيزة ، وطلبوا الكلف من البلاد .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه [3] ، عدّى محمد على باشا إلى بر إنبابة .

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه [4] ، عدّى محمد على باشا وغالب العسكر إلى بر بولاق ، وأشاعوا أنَّ الأخصام هربوا من وجوههم ، فلم يذهبوا خلفهم بل رجعوا على أثرهم ، ونهبوا كفر حكيم[5] ، وما جاوره من القرى ، حتى أخذوا النساء والبنات والصبيان والمواشى ، ودخلوا بهم إلى بولاق والقاهرة ويبيعونهم فيما بينهم من غير تحاش كأنهم سبايا الكفار .

واستهل شهر القعدة سنة ١٢٢١ بيوم السبت [6]

ووصل الحجاج الطرابلسية وعدوا إلى بر مصر .

وفى يوم الأحد ثانيه [7] ، وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل وبها أحمال كثيرة وبضائع مع عرب المعازة[8] وغيرهم ، فركب الباشا ليلا وكبسهم على حين غفلة ونهبهم ، وأخذ جمالهم وأحمالهم ومتاعهم حتى أولاد العربان والنساء والبنات ، ودخلوا بهم إلى المدينة يقودونهم أسرى فى أيديهم ويبيعونهم فيما بينهم كما فعلوا بأهل كفر حكيم وما حوله .

---

(١) منية السيرج : قرية قديمة ، على بعد فرسخ من القاهرة على طريق الإسكندرية ، ويقال لها منية الأمير أو منية الأمراء لكثرة من كان يسكنها منهم ، وكان بها معاصر السمسم الذى يستخرج منه زيت الشيرج ، وهى إحدى قرى قسم شبرا الخيمة ، محافظة القليوبية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٤ - ١٥ .

(٢) ٢٢ شوال ١٢٢١ هـ / ٢ يناير ١٨٠٧ م . (٣) ٢٤ شوال ١٢٢١ هـ / ٤ يناير ١٨٠٧ م .

(٤) ٢٥ شوال ١٢٢١ هـ / ٥ يناير ١٨٠٧ م .

(٥) كفر حكيم : قرية قديمة ، اسمها الأصلى « ظهر شماس » ، وهى إحدى قرى قسم إمبابة ، محافظة الجيزة ، وهناك قرية أخرى باسم « كفر حكيم » إحدى قرى مركز شبراخيت .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٦٣ ، فهرس القاموس ، ص ٣٤٧ .

(٦) ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ١٠ يناير - ٨ فبراير ١٨٠٧ م . (٧) ٢ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ١١ يناير ١٨٠٧ م .

(٨) عرب المعازة : انظر ، جـ ٣ ، ص ٤٤٣ ، حاشية رقم (٧) .

وفى ذلك اليوم [1] ، ضربوا مدافع كثيرة من القلعة بورود أشخاص من الططر ببشارة إلى الباشا وتقريره على السنة الجديدة .

وفى يوم السبت ثامنه [2] ، أداروا كسوة الكعبة والمحمل وركب معها المتسفر عليها من القلزم ، وهو شخص يقال له محمود أغا الجزيرى ، وركب أمامه الأغا والوالى والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من العسكر .

وفى يوم الإثنين عاشره [3] ، وصلت الأخبار بوصول الألفى إلى ناحية الأخصاص[4] ، وانتشار جيوشه بإقليم الجيزة وكان الباشا معزوما ذلك اليوم عند سعودى الحناوى بسوق الزلط [5] ، وحارة المقس [6] ، وركب قبيل العصر وذهب إلى بولاق وأمر العساكر بالخروج ، ولا يتخلف أحد لخامس ساعة من الليل ، وعدّى بمن معه إلى بر إنبابة .

وفى ليلة الأربعاء [7] ، وقع بين الألفى والعسكر معركة ، وانحاز العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ، ووصل منهم جرحى إلى البلد ، واستمر الأمر على ذلك ، وهم يهابون البروز إلى الميدان ، وأخصامهم لايحاربون المتاريس والحيطان .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره [8] ، ركب الألفى بجيوشه وتوجه إلى ناحية قناطر شبرامنت[9] ، فلما عاينهم الباشا ومن معه مارين ركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وما حوله ، وساروا إلى جهة الجيزة ، ونصب وطاقه بحريها ، وباتوا إلى تلك الليلة ، وعملوا شنكا فى صبحها ، وهم يشيعون هروب الألفى ، والحال أنه مر فى جيش كثيف وصورة هائلة ، وقد رتب جنوده وعساكره طوابير وبين يديه النظام الذى رتبه على هيئة عسكر الفرنسيس ، ومعهم طبول بكيفية خرعت عقولهم ، والباشا

---

(١) ٢ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ١١ يناير ١٨٠٧ م . (٢) ٨ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ١٧ يناير ١٨٠٧ م .

(٣) ١٠ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ١٩ يناير ١٨٠٧ م .

(٤) الأخصاص : قرية قديمة ، كان اسمها إخصاص المشاطبة ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وردت باسمها الحالى وهى إحدى قرى قسم إمبابة ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٣ .

(٥) سوق الزلط : شارع ابتداؤه من شارع الطنبلى ، وانتهاؤه شارع أبى بدير ، وبه عدة دروب وعطف .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٦٨ .

(٦) حارة المقس : لم نعثر على تعريف بها ، وواضح أنها كانت فى المنطقة الواقعة بين الأزبكية وجامع أولاد عنان فى الخطة المعرفة بخطة المقس .

(٧) ١٢ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٢١ يناير ١٨٠٧ م . (٨) ١٨ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٢٧ يناير ١٨٠٧ م .

(٩) شبرامنت : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى قسم الجيزة ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥ .

واقف بجيوشه ينظر إليه تارة بعينه وتارة بالنظارة ، ويقول : « هذا طهماز الزمان » ، ويتعجب وقال لطائفة الدلاة : « تقدموا لمحاربته وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال » ، فلم يجسروا على التقدم لما سبق لهم معه .

وفى يوم الخميس [1] ، حضر أشخاص من العرب إلى الباشا وأخبروه أنَّ الألفى قد مات يوم وصوله إلى تلك المحطة ، وذلك ليلة الأربع تاسع عشره [2] ، وقد نزل به خلط دموى فتقايأ ثم مات ، وذلك بناحية المحرّقة [3] ، بالقرب من دهشور [4] ، وأن مماليكه اجتمعوا وأمروا عليهم شاهين بيك وذلك بإشارة أستاذهم ، وأنَّ طائفة أولاد على [5] انفصلوا عنهم ورجعوا إلى بلادهم ، وآخرين يطلبون الأمان فاشتبه الحال وشاع الخبر وصارت الناس ما بين مصدق ومكذب ، واستمر الاشتباه والاضطراب أياما حتى أنَّ الباشا خلع على ذلك المخبر بعد أن تحقق خبره فروة سمور وركب بها وشق من وسط المدينة ، والناس ما بين مصدق ومكذب ، ويظنون أن ذلك من مكايده وتحيلاته لأمور يدبرها ، إلى أن حضر بعض الخدم إلى دوره وأخبروا بحقيقة الحال كما ذكر ، فعند ذلك زال الاشتباه وَعُدَّ ذلك من تمام سعد محمد على باشا الدنيوى حتى أنه قال فى مجلس خاصته : « الآن ملكت مصر » ، ولما مات الألفى ارتحلت أجناده ومماليكه وأمراؤه وارتفعوا إلى ناحية قبلى فسبحان الحى الذى لايموت، قال الشاعر :

فقُل للشَّامِتين بِنا أفِيقُوا ... سَيَلْقى الشَّامِتُون كَمَا لقِينَا

ثم إنَّ الباشا أرسل إلى أمرائه مكاتبة يستميلهم ، ويطلبهم للصلح ويدعوهم للانضمام إليه ، ويعدهم أن يعطيهم فوق مأمولهم ونحو ذلك ، وأرسل تلك المكاتبة صحبة قادرى أغا الذى كان طرده الألفى ونفاه ، وأخذ محمد على باشا فى الاهتمام والركوب واللحوق بهم ، وفى كل يوم ينادى على العسكر بالمدينة بالخروج ، وقوى

---

(١) ٢٠ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٢٩ يناير ١٨٠٧ م . (٢) ١٩ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٢٨ يناير ١٨٠٧ م .

(٣) المحرّقة : إحدى قرى مركز العياط ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : فهرس القاموس ، ص ٣٧٤ .

(٤) دهشور : قرية قديمة ، كانت تسمى أقنطوس (Acanthus) ، وذكرها أميلينو فى جغرافيته باسم (Acanton)، ووردت فى نزهة المشتاق للإدريسى باسمها الحالى (دهشور) ، وهى إحدى قرى مركز العياط ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٥) أولاد على : انظر ، جـ ٣ ، ص ٩ ، حاشية رقم (٧) .

نشاطهم ورفعوا رؤوسهم وسعوا فى قضاء أشغالهم وخطفوا الجمال والحمير ، وحضر الباشا إلى بيته بالأزبكية وبات به ليلة الأحد ، وصرح بسفره يوم الخميس [1]، وخرج إلى العرضى ثانيًا ، وطلب السلف والمال ومضى الخميس والجمعة ولم يسافر .

وفى ليلة السبت تاسع عشرينه [2] ، نزل به حادر وتحرك عنده خلط ، وحصل له إسهال وقئ وأشاع الناس موته يوم السبت ، وتناقلوه ، وكاد العسكر ينهبون العرضى ، ثم حصلت له إفاقة ، وخرج السيد عمر والمشايخ عليه يوم الأحد[3] ، وليهنؤه بالعافية ، وكذلك خرجوا لوداعه قبل ذلك مرارا .

وفيه [4] ، حضر قادرى بجوابات الرسالة من أمراء الألفى ، أحدها للباشا وعليه ختم شاهين بيك وباقى خشداشينه الكبار ، وآخر خطابا لمصطفى كاشف أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى ، ومن كان كاتبهم بالمعنى السابق ، يذكرون فى جوابهم إنْ كان سيدهم قد مات وهو شخص واحد فقد خلف رجالات وأمراء ، وهم على طريقة أستاذهم فى الشجاعة والرأى والتدبير ونحو ذلك ، وليس كل مدع تسلم له دعواه ، ومن أمثال المغاربة : « ما كل حمراء لحمة ، ولا كل بيضاء شحمة » ، وذكروا فى الجواب أيضًا أنَّه إنْ اصطلح مع كبرائهم الكائنين بقبلى وهم : إبراهيم بيك الكبير ، وعثمان بيك حسن ، وباقى أمرائهما ، كنا مثلهم ، وإنْ كان يريد صلحنا دونهم فيعطينا ما كان يطلبه أستاذنا من الأقاليم ونحو ذلك .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الإثنين سنة ١٢٢١ [5]

فيه[6] ، ارتحل الباشا بالعرضى إلى ساقية مكى [7] ، بالجيزة متوجها لقبلى .

وفيه [8] ، طلبوا المراكب من كل ناحية وعزَّ وجودها وامتنعت الواردون ، ومراكب المعاشات والتجارات مع استمرار الطلب للمغارم والسلف ونحو ذلك .

---

(١) ٢٠ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٢٩ يناير ١٨٠٧ م . (٢) ٢٩ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٧ فبراير ١٨٠٧ م .

(٣) ٣٠ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٨ فبراير ١٨٠٧ م . (٤) ٣٠ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٨ فبراير ١٨٠٧ م .

(٥) ذو الحجة ١٢٢١ هـ / ٩ فبراير - ١٠ مارس ١٨٠٧ م . (٦) ١ ذى الحجة ١٢٢١ هـ / ٩ فبراير ١٨٠٧ م .

(٧) ساقية مكى : ناحية قديمة ، اسمها الأصلى « ساقية مكة » ، لأنها كانت وقفا على أشراف مكة المكرمة ، وكانت فى بدء تكوينها على ساقية ، فعرفت بساقية مكة ، وحرفت إلى « مكى » فى العهد العثمانى ، وهى تابعة لقسم الجيزة ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق : ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥ .

(٨) ١ ذى الحجة ١٢٢١ هـ / ٩ فبراير ١٨٠٧ م .

وفى منتصفه [١] ، وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية ، وفيها الخبر بوقوع الغزو بين العثمانى والموسكوب [٢] ، والأمر بالتيقظ والتحفظ وتحصين الثغور ، فربما أغاروا على بعضها على حين غفلة ، وكذلك وردت أخبار بمعنى ذلك من حاكم أزمير [٣] ، وحاكم رودس [٤] ، وأنّ الإنكليز معاونون لطائفة الموسكوب لاستمرار عداوتهم مع الفرنساوية لكون الفرنساوية متصادقين مع العثمانى ، والخبر عن مجمل القضية أنّ بونابارته أمير جيش الفرنساوية وعساكرهم خرجوا فى العام الماضى ، وأغاروا على القرانات [٥] ، والممالك الإفرنجية واستولوا على النيمسة [٦] ، التى هى أعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة ونسب، فأرسل الموسكوب جندا كثيفا مساعدة للنيمساوية مع كبير من قرابتهم ، فتلاقوا مع بونابارته بعد استيلائه على تخت النيمسة فهزمهم أيضًا وأسر عظماءهم ، وسار بجيوشه إلى الروسية ، واستولى على عدة أساكل [٧] ، وكلما استولى على جهة قرر بها حكامها وشرط عليهم شروطه التى منها معاداة الإنكليز ومنابذتهم ، وراسله العثمانى ، وراسله هو أيضًا ، ورأى العثمانى قوة بأسه فصادقه وأرسل إليه من طرفه إلچى [٨] ، إلى إسلامبول فدخلها فى أهبة عظيمة ، وأنزلوه منزلا حسنا ، وأرسل صحبته هدايا ، وقوبل بأعظم منها ، وكذلك أرسل إلى خصوص بونابارته تحفا وهدايا وتاجا من الجوهر ، فعند ذلك انتبذ الموسكوب ، ونقض الهدنة بينه وبين العثمانى ، وطلب المحاربة فخافه العثمانى ، لما يعلمه منه من القوة والكثرة ، وسعى الإنكليز بينهما بالصلح ، واجتهد فى ذلك

---

(١) ١٥ ذى الحجة ١٢٢١ هـ / ٢٣ فبراير ١٨٠٧ م .

(٢) الموسكوب : أى الروس .

(٣) ازمير : مدينة تركية تقع على بحر إيجه ، وهى إحد الثغور العثمانية .

(٤) رودس : جزيرة طولها من جهة المغرب خمسون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف ، مقابل الإسكندرية على ليلة منها فى البحر ، وهى أول بلاد أفرنجة ، غزا معاوية قبرص ورودس ، وفتحها العثمانيون فى ١٥٢٢ م ، فى عهد سليمان القانونى .

الحموى ، شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان، جـ ٣ ، دار صادر بيروت (بدون) ، ص ٨٧ .

(٥) القرانات : انظر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ، حاشية رقم (٣)

(٦) النيمسة : النمسا .

(٧) أساكل : مفردها « أسكلة » ، وتعنى الميناء ، وجمعها موانئ .

(٨) إلچى : الرسول أو السفير .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

حتي أمضاه بشروط قبيحة ، وصلت إلينا صورتها ، وظهر لنا منها اثنا عشر شرطا ونصها :

« **الأول** : أن أمراء القلاع والبغازات يحتاج أن يتغيروا بإذن الإنكليز والموسكوب .

الثانى : مشيخة السبع جزائر من الآن فصاعدا لاتكون تابعة غير الموسكوب .

الثالث : تعريفة الديوان فى بلاد العثمانى هى التى كانوا يأخذونها قبل النظام الجديد .

الرابع : الدولة العلية تسمح للموسكوب فى طريق ثلثمائة ألف مقاتل يدخلون إلى أى محل أرادوه من بلاد العثمانى ، وذلك مدة اتفاق الإنكليز والموسكوب وهو تسعة سنين .

الخامس : يكون مسموح لعمارة الموسكوب أنها تدخل لمينة الترسخانة بإسلامبول لأجل أنَّهم يأخذون من هناك كامل الذى يلزمهم .

السادس : جميع الرعايا والحمايات التى للموسكوب من جديد وقديم لهم الإقامة والتجارة وشراء الأملاك فى كامل بلاد العثمانى .

السابع : كامل مراكب الموسكوب التجارى التى كانوا عن بعض الأسباب نزلوا بيارقها ، يقدرون أن يتوجهوا بها إلى قنصولية الموسكوب بإسلامبول ، وحالا تعطى لهم بطانات جديدة .

الثامن : كامل الأروام الموجودين فى بلاد العثمانى ، ويريدون أن يدخلوا فى حماية الموسكوب يمكنهم بكل حرية .

التاسع : البراتلية [1] والفرمانلية[2] يحصلون على قوتهم التى كانوا بها سابقا .

العاشر : إلچى الفرنساوية ملزوم يسافر من إسلامبول بعد واحد وثلاثين يوما .

الحادى عشر : مراكب الأروام والعثمانى لايسافرون بها لبلاد فرانسا ، ما دام

---

(١) البراتلية : أى الذين صدرت بشأنهم براءات .

(٢) الفرمانلية : أى الذين صدرت بشأنهم فرامانات .

الحرب بين الموسكوب والفرنساوية » ، فلما تقررت هذه الشروط (1) ، واطلع عليها الفرنساوية فكأنه لم يرض بها ، وقال للعثمانى : « لم يبق بيدك مملكة » ، وأشار عليه بنقضها ، وتكفل بمساعدته ومقاومتهم فركن إليه ، ونقض تلك الشروط ، فعند ذلك نبذوا صداقة العثمانى ، وأظهروا مخاصمته ووافقهم على ذلك الإنكليز ، لكونه صادق الفرنساوية ، وأغاروا على بعض النواحى وأخذوا الختن وغيرها ، وشرع أهل الإسكندرية فى تحصين قلاعها وأبراجها ، وكذلك أبو قير ، وأرسل كتخدا بيك من يتقيد ببناء قلعة بالبرلس ، وحصل لمصر قلق ولغط وغلت الأسعار فى البضائع المجلوبة ، وعملوا جمعيات ببيت كتخدا بيك وببيت السيد عمر النقيب ، واتفقوا على إرسال تلك المراسلات إلى محمد على باشا بالجهة القبلية صحبة ديوان أفندى .

وفى عشرينه (2) ، اجتمعوا بالأزهر لقراءة صحيح البخارى فى أجزاء صغار .

وفيه (3) ، حضر ديوان أفندى بمكاتبات ، وفيها طلب جماعة من الفقهاء ليسعوا فى إجراء الصلح بين الأمراء المصريين وبين الباشا ، فوقع الاتفاق على تعيين ثلاثة أشخاص وهم : ابن الشيخ الأمير ، وابن الشيخ العروسى ، والسيد محمد الدواخلى ، فسافروا فى يوم الأحد سادس عشرينه (4) ، ووصلت الأخبار بأن الإنكليز حضروا فى اثنى عشر مركبا ، وعبروا بغاز إسلامبول وكانوا محترسين ، فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين ، فلم يكترسوا ، ولم يفزعوا ، ولم يتأخروا ، ولم يصب الضرب إلا مركبا واحدة من الاثنى عشر ، وعمروا ثلثها فى الحال ، ولم يزالوا سائرين حتى رسوا ببر إسلامبول ، فهاج كل أهلها وصرخوا وانزعجوا انزعاجا عظيما ، وأيقنوا بأخذ الإنكليز البلدة ، ولو أرادوا حرقها لأحرقوها عن آخرها ، فعند ذلك نزل إليهم السيد على باشا القبطان ، وهو أخو على باشا الذى كان أخذ يسيرا مع البرديسى من برج مغيزل برشيد ، فتكلم معهم وصالحهم ، وخرجوا من البغاز سالمين مغبوطين بعفوهم مع المقدرة ، وانقضت السنة بحوادثها .

وأما من مات بها من العلماء والأمراء ممن له ذكر

مات ، العمدة الفاضل صدر المدرسين ، وعمدة المحققين ، الفقيه الورع ، الشيخ محمد الخشنى الشافعى ، تخرج على الشيخ عطية الأجهورى وغيره من أشياخ

---

(1) الشروط : ذكر أن الشروط اثنا عشر شرطا ، ولكنه رصد منها أحد عشر شرطا .
(2) ٢٠ ذى الحجة ١٢٢١ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠٧ م . (3) ٢٠ ذى الحجة ١٢٢١ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠٧ م .
(4) ٢٦ ذى الحجة ١٢٢١ هـ / ٧ مارس ١٨٠٧ م .

العصر المتقدمين ، كالحفنى والعدوى ، ومسكنه بخطة السيدة نفيسة ، ويأتى إلى الأزهر فى كل يوم ، فيقرأ دروسه ، ثم يعود إلى داره مستقلا فى معيشته ، منعزلا عن مخالطة غالب الناس ، وهو آخر الطبقة ، وتمرض شهورا بمنزله الذى بالمشهد النفيسى ، وكان دائمًا يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمى ، وكان يقول : « لا أموت حتى يموت البجيرمى » ، لأنه رأى النبى ﷺ فى المنام ، وقال له : «أنت آخر أقرانك موتا» ، ولم يكن من أقرانه سوى البجيرمى فلذلك كان يسأل عنه ، ثم مات البجيرمى بقرية تسمى مصطية[1] ، ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر ، وكانت وفاته فى يوم الإثنين خامس عشرين ذى الحجة [2] ، ولم يحضروا بجنازته إلى الأزهر بل صلى عليه بالمشهد النفيسى ، ودفن هناك ، رحمة الله تعالى عليه .

ومات الشيخ الفقيه المحدث ، خاتمة المحققين ، وعمدة المدققين ، بقية السلف ، وعمدة الخلف ، الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمى الشافعى الأزهرى ، المنتهى نسبه إلى الشيخ جمعة الزيدى ، المدفون ببجيرم [3] ، نسبة إلى زيدة[4] ، بالقرب من منية ابن خصيب ، وينتهى نسب الشيخ جمعة المذكور إلى سيدى محمد ابن الحنفية ، ولد ببجيرم قرية من الغربية سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف [5] ، وحضر إلى مصر صغيرا دون البلوغ ، ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمى ، وحفظ القرآن ، ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل لطلب العلوم ، وحضر على الشيخ

---

(١) مصطية : قريـة قديمة ، اسمها الأصلى « مُسْطية » ، ووردت فى كتاب وقف السلطان قايتباى المحرر ٨٧٩ هـ / ٧٤ / ١٤٧٥ م ، وفى دليل ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م ، « مسطاى » ، وعلى ألسنة العامة « مصطية » ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، بـرسمها الحالى « مُصْطاى » ، وهى إحدى قرى مركز قويسنا ، محافظة المنوفية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٢) ٢٥ ذى الحجة ١٢٢١ هـ / ٥ مارس ١٨٠٧ م .

(٣) بجيرم : قرية قديمة ، فصلت فى تاريخ ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م ، بزمام خاص من أراضى ناحية قويسنا باسم «كفر بجيرم » كما ورد فى دليل ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م ، ووردت باسمها الحالى فى كتاب وقف محمد بك أبو الذهب ١١٨٨ هـ / ١٦٧٧ م ، وتاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وهى إحدى قرى مركز قويسنا ، محافظة المنوفية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ،جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٤) زيدة : صحة الاسم « ريدة » ، قرية قديمة ، وردت فى جغرافية أميلينو باسم (Arideou) ، وهى إحدى قرى قسم المنيا ، محافظة المنيا .

نفس المرجع : ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٥) ١١٣١ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٧١٨ - ١٣ نوفمبر ١٧١٩ م ، ذكر علـى هامش ص ٢٤ ، من طبعة بولاق ، قوله: « سنة إحدى وثلاثين .. إلخ » ، هكذا فى النسخ ، لكن لايطابق قوله الآتى : « وتجاوز المائة » ، إذ لايتأتى مجاوزته المائة إلا ان يكون ولد قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنوات أ.هـ. مصحح » .

العشماوى فى الصحيحين ، وأبى داود والترمذى والشفاء ، والمواهب ، وشرح المنهج لشيخ الإسلام ، وشرحى المنهاج لكل من الرملى وابن حجر ، وحضر دروس الشيخ الحفنى، وأجازه الملوى ، والجوهرى ، والمدابغى ، وأخذ عن الديربى وغيره، وحضر أيضًا دروس الشيخ على الصعيدى، والسيد البليدى ، وشارك كثيراً من الأشياخ كالشيخ عطية الأجهورى وغيره ، وكان إنسانا حسنا حميد الأخلاق منجمعا عن مخالطة الناس مقبلا على شأنه ، وقد انتفع به أناس كثيرون ، وكف بصره سنينا ، وعُمِّر وتجاوز المائة سنة، ومن تآليفه بأيدى الطلبة : حاشية على المنهج، وأخرى على الخطيب ، وغير ذلك ، وقبل وفاته سافر إلى مصطية بالقرب من بجيرم، فتوفى بها ليلة الإثنين ، وقت السحر ثالث عشر رمضان من السنة المذكورة[1] ، ودفن هناك ، رحمة الله تعالى عليه .

ومات، الأجل العلامة، والفاضل الفهامة ، فريد عصره، علما وعملا ، ووحيد دهره تفصيلا وجملا ، الشيخ مصطفى العقباوى المالكى نسبة لمنية عقبة بالجيزة [2] ، حضر إلى الأزهر صغيرا ، ولازم السيد حسن البقلى ، ثم الشيخ محمد العقاد المالكى، ثم الشيخ محمد عبادة العدوى ، ملازمة كلية حتى تمهر فى مذهبه فى المنقولات ، وفى المعقولات ، وحضر دروس أشياخ العصر : كالشيخ الدردير والشيخ محمد البيلى والشيخ الأمير وغيرهم ، وتصدر لإلقاء الدروس ، وانتفع به الطلبة ؛ واشتهر فضله ، وكان إنسانا حسن الأخلاق ، مقبلا على الإفادة والاستفادة ، لايتداخل فيما لايعنيه ، ويأتيه من بلدته ما يكفيه ، قانعا متورعا متواضعا ، ومن مناقبه أنه كان يحب إفادة العوام ، حتى أنَّه إذا ركب مع المكارى يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة ، إلى أن توفى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة[3] ، ولم يخلف بعده مثله ، رحمه الله تعالى ، وعفا عنا وعنه .

ومات الأجل المعظم ، المبجل ، المحقق المدقق المفضل ، العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ على النجارى المعروف بالقبانى الشافعى مذهبا ، المكى مولدا ، المدنى

---

(١) ١٣ رمضان ١٢٢١ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٨٠٦ م .

(٢) منية عقبة : قرية قديمة ، أنشأها عقبة بن عامر الجهنى ، من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م ، ثم حرف اسمها إلى « ميت عقبة » ، فوردت بهذا الاسم فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، واسمها القبطى (Timoni Nakbe) ومنه العربى « منية عقبة » ، وهى الآن حى من أحياء مدينة الجيزة ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٦٤ .

(٣) ١٩ جمادى الآخرة ١٢٢١ هـ / ٣ سبتمبر ١٨٠٦ م .

أصلا ، ابن العالم الفاضل الشيخ أحمد تقى الدين ابن السيد تقى الدين ، المنتهى نسبه إلى أبى سعيد الخدرى ، وهو سعد بن مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة النجّارى ، أحد بطون الخزرج ، وينتهى نسب أخواله إلى السيد أحمد الناسك ابن عبدالله بن إدريس بن عبدالله بن الحسن الأنور ابن سيدنا الحسن السبط ، رضى الله تعالى عنه ، ولد المترجم بمكة سنة أربع وثلاثين ومائة [1] ، وقدم إلى مصر مع أبيه وأخيه السيد حسن ، سنة إحدى وسبعين ومائة [2] ، فليلة وصولهم مرض أخوه المذكور ، وتوفى صبح ثالث يوم ، فجزع والده لذلك جزعا شديدا ، وتشاءم به ، وعزم على السفر إلى مكة ثانيا ، ولم يتيسر له ذلك إلا أواخر شوّال من السنة المذكورة[3] ، وبقى المترجم ، واشتغل بتحصيل العلوم ، وشراء الكتب النافعة ، واستكتابها ، ومشاركة أشياخ العصر فى الإفادة والاستفادة ، مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الإرساليات التى ترد إليه من أولاد أخيه من جدّة ومكة ، وشراء ما يشترى وإرساله لهم ، إلى أن تمرض وانقطع ببيته الذى بخطة عابدين قريبا من الأستاذ الحنفى ، سنة تسع ومائتين [4] ، وكان عالما ماهرا وأديبا شاعرا ، تخرج على والده ، وعلى غيره بمكة ، وعلى كثير من أشياخ العصر المتقدمين ، كالشيخ العشماوى[5] ، والشيخ الحفنى ، والشيخ العدوى وغيرهم ، وتخرج فى الأدب على والده وعلى الشيخ على بن تاج الدين المكى ، وعلى الشيخ عبدالله الإدكاوى وغيرهم ، وله مؤلفات منها : نفح الأكمام على منظومته فى علم الكلام ، ومنها : تقريره على الرملى ، وهو مجلد ضخم ، ومنها شرح بديعيته التى سماها « مراقى الفرج فى مدح عالى الدرج » ، وله ديوان شعر صغير غالبه جيد ، وكان فى مدة انقطاعه لايشتغل بغير المطالعة ، وتحصيل الكتب الغريبة ، وقيد ولده السيد سلامة بأشغال تجارتهم ، وولده السيد أحمد بملازمته وإسماعه فيما يريد مطالعته ، وكانت داره فى غالب الأوقات لاتخلو من المترددين ، إلى أن توفى ، ليلة السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة [6] ، وعمره سبع وثمانون سنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بمقبرة أخيه بباب الوزير ، وخلف ولديه المذكورين ، وكان وجيها لطيفا محبوبا للنفوس ، ورعا ، رحمة الله تعالى عليه .

---

(١) ١١٣٤ هـ / ٢٢ أكتوبر ١٧٢١ - ١١ أكتوبر ١٧٢٢ م .

(٢) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م .

(٣) آخر شوال ١١٧١ هـ / ٦ يوليه ١٧٥٨ م . (٤) ١٢٠٩ هـ / ٢٩ يوليه ١٧٩٤ - ١٧ يوليه ١٧٩٥ م .

(٥) الشيخ العشماوى : كتب على هامش ص ٢٥ من طبعة بولاق « قوله : العشماوى فى بعض النسخ : العماوى . أ.هـ » .

(٦) ٢٧ رجب ١٢٢١ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٠٦ م .

ومات ، صاحبنا الأجل المعظم ، والوجيه المكرم ، الأمير ذو الفقار البكرى ، نسبة ونسابة ، وهو مملوك السيد محمد بن على أفندى البكرى الصديقى ، اشتراه سيده المذكور عام إحدى وسبعين ومائة وألف [1] ، وربّاه وأدبه وأعتقه ، وزوّجه ابنته ، ونشأ فى عز ورفاهية وسيادة وعفة وطيب خيم وعلوّ همة ، ولما توفى سيده ، اتحد بولده السيد محمد أفندى ، وهو أخو زوجته اتحادا كليا ، بحيث صارا كالأخوين لايصبر أحدهما عن الآخر ساعة واحدة ، وسكنهما واحد فى بيتهم الكبير بالأزبكية ، ولما توفى السيد محمد أفندى اشتغل المترجم بالسكنى فى الدار إلى أن حضر الفرنساوية ، فخرج مع من خرج من مصر إلى ناحية الشام ، ونهبت كتبه وداره ، ثم رجع بأمان فى أيام الفرنساوية ، فوجد الدار قد سكنها الفرنساوية ، فاشترى دارا غيرها بخطة عابدين وجدد بها نظامه .

ولما حصلت حادثة عسكر الأروام العثمانية مع الأمراء المصريين التى خرج فيها إبراهيم بيك والبرديسى وأمراؤهم ، نهبت داره المذكورة أيضًا فيما نهب ، فانتقل إلى ناحية الأزهر ، ثم سكن بحارة السبع قاعات[2] بالأجرة ، واقتنى كتبا شراء واستكتابا ، وجمع عدة أجزاء متفرقة من تاريخ مرآة الزمان لابن الجوزى ، وخطط المقريزى وغيرها ، إلى أن اخترمته المنية ، ومات فجأة ، يوم الثلاثاء فى ثانى عشرين رجب من السنة [3] ، قبيل الغزوب وصلى عليه فى صبحها بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة البكرية ظاهر قبة الإمام الشافعى ، وكان إنسانا حسنا محبوبا لجميع الناس ، وجيه الذات مليح الصفات ، حسن المفاكهة والمعاشرة ، متوقد الفطنة ، صادق الفراسة ، ساكن الجأش ، وقورا أدوبا محتشما ، وخلف من بعده السيد محمد المعروف بالغزاوى المرزوق له من ابنة سيده المذكور ، لكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام ، أنشأه الله إنشاءً صالحا وبارك فيه .

ومات الأمير الكبير ، والضرغام الشهير ، محمد بيك الألفى المرادى ، جلبه بعض التجار إلى مصر فى سنة تسع وثمانين ومائة وألف [4] ، فاشتراه أحمد جاويش المعروف بالمجنون ، فأقام ببيته أياما ، فلم تعجبه أوضاعه ، لكونه كان ماجنا سفيها ممازحا ، فطلب منه بيع نفسه فباعه لسليم أغا الغزاوى، المعروف بتمرلنك ، فأقام

---

(١) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م .

(٢) حارة السبع قاعات : تقع بآخر شارع سوق السمك القديم الذى يبتدئ من شارع خان أبى طاقية وشارع الصقالبة، وينتهى لشارع البندقانيين ، وكانت فى الأصل دار الوزير علم الدين بن زنبور .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٥٠ .

(٣) ٢٢ رجب ١٢٢١ هـ / ٥ أكتوبر ١٨٠٦ م .

(٤) ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ - ٢٠ فبراير ١٧٧٦ م .

عنده شهورا ، ثم أهداه إلى مراد بيك فأعطاه فى نظيره ألف أردب من الغلال ، فلذلك سمى بالألفى ، وكان جميل الصورة ، فأحبه مراد بيك ، وجعله جوخداره[1] ، ثم أعتقه ، وجعله كاشفا بالشرقية ، وعمر داراً بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ضلام[2] ، وأنشأ هناك حماما بتلك الخطة عرفت به ، وكان صعب المراس ، قوى الشكيمة ، وكان بجواره على أغا المعروف بالتوكلى ، فدخل عليه وتشفع عنده فى أمر فقبل رجاءه ثم نكث ، فحنق منه واحتد ودخل عليه فى داره يعاذره ويعاتبه ، فرد عليه بغلظة ، فأمر الخدم بضربه ، فبطحوه وضربوه بالعصى المعروفة بالنبابيت ، فتألم لذلك ، ومات بعد يومين ، فشكوه إلى أستاذه مراد بيك فنفاه إلى بحرى ، فعسف بالبلاد ، مثل : فوّة[3] ومطوبس[4] وبارنبال[5] ورشيد[6] ، وأخذ منهم أرزا وأموالا فتشكوا منه إلى أستاذه ، وكان يعجبه ذلك ، وفى أثناء ذلك وقع خلاف بمصر بين الأمراء ، ونفوا سليمان بيك الأغا وأخاه إبراهيم بيك ، ومصطفى بيك كما ذكر ذلك فى محله ، وأرسل إليه مراد بيك ، وأمره أنْ يتعين على مصطفى بيك ، ويذهب به إلى سكندرية منفيا، ثم يعود هو إلى مصر ، ففعل ورجع المترجم إلى مصر ، فعند ذلك قلدوه الصنجقية ، وذلك فى سنة اثنين وتسعين ومائة وألف[7] ، واشتهر بالفجور فخافته الناس وتحاموا شدته ، وسكن أيضًا بدار بناحية قيصون[8] ، وذلك عندما اتسعت دائرته وهدم داره القديمة أيضًا ووسعها ، وأنشأها إنشاء جديدا ، واشترى المماليك الكثيرة وأمَّر منهم أمراء وكشافا فنشأوا على طبيعة أستاذهم فى التعدى والعسف والفجور ، ويخافون من تجبره عليهم ، والتزم بإقطاع فرشوط[9] ،

---

(١) جوخدار : موظف غير عسكرى ، يناط به النظر فى شئون ملابس السلطان فى العصر العثمانى .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٧١ .
(٢) الشيخ ضلام : خطة معروفة بالقاهرة ، ويعرفها أهل مصر بخطة الشيخ ظلام .
(٣) فوه : انظر ، ص ٢٧ ، حاشية رقم (٩) .
(٤) مطوبس : قرية قديمة ، وهى قاعدة مركز مطوبس ، محافظة الغربية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١١٥ .
(٥) بارنبال : قرية قديمة ، اسمها الأصلى « بورنبارة » ، ثم حرف الاسم إلى « برنبال » ، ووردت به فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وهى إحدى قرى مركز فوه ، محافظة الغربية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١١٢ .
(٦) رشيد : مدينة قديمة ، قاعدة مركز رشيد ، محافظة البحيرة .
(٧) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٨ يناير ١٧٧٩ م .
(٨) قيصون : تقع منطقة قوصون خارج باب زويلة واشتهرت باسم قوصون لأن بها جامع قوصون .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ١٩٨ .
(٩) فرشوط : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز نجع حمادى ، محافظة قنا .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٩٧ .

وغيرها من البلاد القبلية ، ومن البلاد البحرية محلة دمنة[(١)] ، ومليج[(٢)] ، وزوبر[(٣)] وغيرها ، وتقلد كشوفية شرقية بلبيس ، ونزل إليها ، وكان يغير على ما بتلك الناحية من إقطاعات وغيرها ، وأخاف جميع عربان تلك الجهة ، وجميع قبائل الناحية ، ومنعهم من التعدى والجور على الفلاحين بتلك النواحى حتى خافته الكثير من العربان والقبائل ، وكانوا يخشونه وصادهم بأشراك منهم ، وقبض على الكثير من كبرائهم وسحبهم فى الجنازير ، وصادرهم فى أموالهم ومواشيهم ، وفرض عليهم المغارم والجمال ، ولم يزل على حالته وسطوته إلى أن حضر حسن باشا الجزايرلى إلى مصر ، فخرج المترجم مع عشيرته إلى ناحية قبلى ، ثم رجع معهم فى أواخر سنة خمس ومائتين بعد الألف[(٤)] ، بعد الطاعون الذى مات فيه إسماعيل بيك ، وذلك بعد إقامتهم بالصعيد زيادة عن أربع سنوات ، ففى تلك المدة ترزن عقله وانهضمت نفسه، وتعلق قلبه بمطالعة الكتب والنظر فى جزئيات العلوم والفلكيات والهندسيات ، وأشكال الرمل والزايرجات ، والأحكام النجومية والتقاويم ، ومنازل القمر وأنوائها ، ويسأل عمن له إلمام بذلك ، فيطلبه ليستفيد منه ، واقتنى كتبا فى أنواع العلوم والتواريخ ، واعتكف بداره القديمة ، ورغب فى الانفراد ، وترك الحالة التى كان عليها قبل ذلك ، واقتصر على مماليكه ، والاقطاعات التى بيده ، واستمر على ذلك مدة من الزمان ، فثقل هذا الأمر على أهل دائرته ، وبدا يصغر فى أعين خشداشينه[(٥)] ، ويضعف جانبه ، وطفقوا يباكتونه وتجاسروا عليه ، وطمعوا فيما لديه ، وتطلع أدونهم للترفع عليه ، فلم يسهل به ذلك واستعمل الأمر الأوسط ، وسكن بدار أحمد جاويش المجنون بدرب سعادة[(٦)] ، وعَمَّر القصر الكبير بمصر

---

(١) محلة دمنة : قرية قديمة ، كانت تعرف فى المصادر باسم « منية محلة دمنا » ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣م، برسمها الحالى ، وهى إحدى قرى قسم المنصورة ، محافظة الدقهلية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

(٢) مليج : قرية قديمة ، اسمها القبطى (Melig) ، ورد اسمها فى المصادر العربية القديمة ، وهى إحدى قرى قسم شبين الكوم ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٩٣.

(٣) زوبر : قرية قديمة ، وهذا هو اسمها الأصلى ، ولاستهجان هذه الكلمة ، حرفت حاليا إلى « زوير » ، وهو الاسم المعروفة به الآن ، وهى إحدى قرى قسم شبين الكوم ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٨٨ .

(٤) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ ٣٠ أغسطس ١٧٩١ م .

(٥) خشداشينه : انظر ، جـ ٣ ، ص ١٠٨ ، حاشية رقم (٦) .

(٦) درب سعادة : شارع درب سعادة يبتدئ من آخر شارع اللبودية ، وينتهى لرأس حارة الحمام ، عرف بأحد أبواب القاهرة الذى بناه القائد جوهر المعروف بباب سعادة .
مبارك، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٩١ .

القديمة بشاطئ النيل تجاه المقياس ، وأنشأ أيضًا قصرا فيما بين باب النصر والدمرداش، وجعل غالب إقامته فيهما ، وأكثر من شراء المماليك وصار يدفع فيهم الأموال الكثيرة للجلابين ، ويدفع لهم أموالا مقدما يشترونهم بها ، وكذلك الجوارى حتى اجتمع عنده نحو الألف مملوك خلاف الذى عند كشافه ، وهم نحو الأربعين كاشف ، الواحد منهم دائرته قدر دائرة صنجق من الأمراء السابقين ، وكل مدة قليلة يزوّج من يختاره من مماليكه لمن تصلح له من الجوارى ، ويجهزهم بالجهاز الفاخر ، ويسكنهم الدور الواسعة ، ويعطيهم الفائظ والمناصب ، وقلد كشوفية الشرقية لبعض مماليكه ترفعا لنفسه عن ذلك ، وينزل هو إليهم أيضًا على سبيل التروح ، وبنى له قصرا خارج بلبيس ، وآخر بالدمامين [1] ، وأخمد شوكة عربان الشرق ، وجبى منهم الأموال والجمال ، وأخمد ناموسهم الذى كان يغشى أبدان الفلاحين وأرواحهم ، وأضعف شوكتهم ، وأخفى صولتهم ، وكان يقيم بناحية الشرق شهورا ثلاثة أو أربعة، ثم يعود إلى مصر ، واصطنع قصرا من خشب مفصلا قطعا ، ويركب بشناكل وأغربة متينة قوية ، يحمل على عدة جمال ، فإذا أراد النزول فى محطة تقدم الفراشون وركبوه خارج الصيوان ، فيصير مجلسا لطيفا يصعد إليه بثلاث درج مفروش بالفناطس[2] والوسائد يسع ثمانية أشخاص ، وهو مسقوف ، وله شبابيك من الأربع جهات تفتح وتغلق بحسب الاختيار ، وحوله الأسرة من كل جانب ، وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان ، وكان له داران بالأزبكية، إحداهما : كانت لرضوان بيك بلفيا ، والأخرى للسيد أحمد بن عبد السلام ، فبدا له فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف [3] ، أن ينشئ دارا عظيمة خلاف ذلك بالأزبكية ، فاشترى قصر ابن السيد سعودى الذى بخطة الساكت ، فيما بينه وبين قنطرة الدكة [4] ، من أحمد أغا شويكار وهدمه ، وأوقف فى شيادته على العمارة كتخداه ذو الفقار ، أرسله قبل مجيئه من ناحية الشرقية ، ورسم له صورة وضعه فى كاغد كبير ، فأقام جدرانه وحيطانه ، وحضر هو فى أثناء ذلك ، فوجده قد أخطأ الرسم ، فاغتاظ وهدم غالب

---

(١) الدمامين : قرية قديمة ، وردت فى تحفة الإرشاد باسم « الرمتين » ، وترسم « الدميين » ، إحدى قرى مركز فاقوس ، محافظة الشرقية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١١٢ .

(٢) الفناطيس : كتب على هامش، ص ٢٧ من طبعة بولاق « قوله : الفناطس هكذا بالنسخ ، ولعله «الطنافس»، وهى البسط أ . هـ » .

(٣) ١٢١٢ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٧ - ١٤ يونيه ١٧٩٨ م .

(٤) قنطرة الدكة : انظر ، جـ ٣ ، ص ٢٤ ، حاشية رقم (٢) .

ذلك ، وهندسه على مقتضى عقله ، واجتهد فى بنائه ، وأوقف أربعة من كبار أمرائه على تلك العمارة ، كل أمير فى جهة من جهاته الأربع ، يحثون الصناع ، ومعهم أكثر أتباعهم ومماليكهم ، وعملوا عدة قمن لحرق الأحجار وعمل النورة ، وكذلك ركّب طواحين الجبس لطحنه ، وكل ذلك بجانب العمارة ، وقطعوا الأحجار الكبار ونقلوها فى المراكب من طرا إلى جنب العمارة بالأزبكية ، ثم نشروها بالمناشير ألواحا كبارا لتبليط الأرض ، وعمل الدرج والفسحات ، وأحضروا لها الأخشاب المتنوعة من بولاق وإسكندرية ورشيد ودمياط ، واشترى بيت حسن كتخدا الشعراوى المطل على بركة الرطلى[1] من عتقائه وهدمه ، ونقل أخشابه وأنقاضه إلى العمارة ، وكذا نقلوا إليه أنواع الرخام والأعمدة ، ولم يزل الاجتهاد فى العمل حتى تم على المنوال الذى أراده ، ولم يجعل له خرجات ولا حرمدانات بارزة عن أصل البناء ، ولا رواشن بل جعله ساذجا حرصا على المتانة وطول البقاء ، ثم ركبوا على فرجاته المطلة على البركة والبستان والرحبة الشبابيك الخرط المصنعة ، وركبوا عليها شرائح الزجاج ، ووضع به النجف والأشياء والتحف العظيمة التى أهداها إليه الإفرنج ، وعملوا بقاعة الجلوس السفلى فسقية عظيمة بسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر ، يخرج الماء من أفواهها ، وجعل بها حمامين علويا وسفليا ، وبنوا بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق لسكنى المماليك ، وجعله دورا واحدا ، ولما تم البناء والبياض والدهان فرشه بأنواع الفرش ، والوسائد والمساند والستائر والمقصبات وجعل خلفه بستانا عظيما ، وأنشأ به جملونا مستطيلا متسعا به دكك وأعمدة ، وهو من الجهة البحرية ينتهى آخره إلى الدور المتصلة بقنطرة الدكة ، وأهدى إليه أيضًا الإفرنج فسقية رخام فى غاية العظم فيها صورة أسماك مصورة يخرج من أفواهها الماء جعلها بالبستان ، ونجز البناء والعمل ، وسكن بها هو وعياله وحريمه فى آخر شهر شعبان من سنة اثنتى عشرة[2] ، واستهل شهر رمضان [3] ، فأوقدوا فيها الوقدات والأحمال المثلثة بالقناديل بدائر الحوش والرحبة الخارجة ، وكذلك بقاعة الجلوس أحمال النجف والشموع والصحب والفنيارات الزجاج ، وهنته الشعراء ، ونظم مولانا الأستاذ الفاضل الشيخ حسن العطار تاريخا لقاعة الجلوس فى بيتين نقشوهما بالأزمير على أسكفة باب القاعة وموهوهما بالذهب ، وهما :

---

(١) بركة الرطلى : انظر ، جـ ٣ ، ص ٥٦ ، حاشية رقم (١) .

(٢) آخر شعبان ١٢١٢ هـ / ١٦ فبراير ١٧٩٨ م .   (٣) ١ رمضان ١٢١٢ هـ / ١٧ فبراير ١٩٨ م .

شُموسُ التهَانى قدْ أضَاءتْ بِقَاعة مَحَاسِنُها للعينِ تَزْدادُ بالألْفِ
عَلى بابِها قَالَ السُّرور مُؤرخًا سَماءُ سَعَاداتى تُجَددُ بالألفِى

وازدحمت خيول الأمراء ببابه ، فأقام على ذلك إلى منتصف شهر رمضان [1] ، وبدا له السفر إلى الشرقية ، فأبطلوا الوقدة وأطفئوا السرج والشموع ، فكان ذلك فألا ، فكانت مدة سكناه به ستة عشر يوما بلياليها ، وإنما أطنبنا فى ذكر ذلك ليعتبر أولوا الألباب ، ولايجتهد العاقل فى تعمير الخراب ، وفى أثناء غيبته بالشرقية ، وصلت الفرنساوية إلى الإسكندرية ، ثم إلى مصر وجرى ماجرى مما سبق ذكره ، وذهب مع عشيرته إلى قبلى ، وعند وصول الفرنساوية إلى بر إنبابة بالبر الغربى ، وتحاربوا مع المصريين ، أبلى المترجم وجنده فى تلك الواقعة بلاء حسنا ، وقتل من كشافه ومماليكه عدة وفرة ، ولم يزل مدة إقامة الفرنساوية بمصر يتنقل فى الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية ، ويعمل معهم مكايد ، ويصطاد منهم بالمصايد ، ولما وصل عرضى الوزير إلى ناحية الشام ، ذهب إليه وقابله وأنعم عليه ، وكان معه رؤساء من الفرنساوية ، وعدة أسرى ، وأسد عظيم اصطاده فى سروحه ، فشكره الوزير وخلع عليه الخلع السنية ، وأقام بعرضيه أياما ، ثم رجع إلى ناحية مصر ، وذهب إلى الصعيد ، ثم رجع إلى الشام والفرنساوية يأخذون خبره ويرصدونه فى الطرق فيزوغ منهم ، ويكبسهم فى غفلاتهم وينال منهم ، ولما وصل الوزير وحصل انتقاض الصلح ، وانحصر المصريون والعثمانيون بداخل المدينة ، وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة ، فكان يكر ويفر هو وحسن بيك الجداوى ، ويعمل الحيل والمكايد ، وقتل من كشافه فى تلك الحروب رجال معدودة منهم : إسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية ، احترق هو وجنده ببيت أحمد أغا شويكار الذى كان أنشأه برصيف الخشاب ، وكانت الفرنساوية قد عملوا تحته لغم بارود فى أسفل جدرانه ، ولم يعلم به أحد ، فلما تترس فيه إسماعيل كاشف ومن معه ، أرسلوا من ألهمه النار فالتهب على من فيه ، واحترقوا بأجمعهم وتطايروا فى الهواء ، ولما اصطلح مراد بيك مع الفرنساوية ، لم يوافقه على ذلك واعتزله ، ولما اشتد الأمر بين الفريقين ، وشاطت طبخة العثمانيين ومن تبعهم ، طفق يسعى بين الفريقين فى الصلح ، ويمشى مع رسل الفرنساوية فى دخولهم بين العسكر وخروجهم ، ليمنع من يتعدى عليهم من أوباش العسكر ، خوفا من ازدياد الشر إلى أن تم الصلح ، وخرج المترجم مع العثمانية إلى نواحى الشام ، ثم رجع إلى جهة الشرقية ، فيحارب من

(١) ١٥ رمضان ١٢١٢ هـ / ٢ مارس ١٧٩٨ م .

يصادفه من الفرنسيس ، ويقتل منهم فإذا جمعوا جيشهم وأتوا لحربه لم يجدوه ، ويمر من خلف الجبل ، ويمر بالحاجر إلى الصعيد ، فلا يعلم أين ذهب ، ثم يظهر بالبر الغربى ، ثم يسير مشرقا ويعود إلى الشام ، وهكذا كان دأبه بطول السنة التى تخللت بين الصلحين ، إلى أن نظم العثمانية أمرهم ، وتعاونوا بالإنكليز ، ورجع الوزير على طريق البر ، وقبطان باشا بصحبة الإنكليز من البحر ، فحضر المترجم وباقى الأمراء ، واستقر الجميع بداخل مصر ، والإنكليز ببر الجيزة ، وارتحلت الفرنساوية ، وخلت منهم مصر ، فعند ذلك قلق المترجم وداخله وسواس ، وفكر لأنه كان صحيح النظر فى عواقب الأمور ، فكان لايستقر له قرار ، ولم يدخل إلى الحريم ، ولم يبت بداره ، إلا ليلتين على سجادة ومخدة فى القاعة السفلى ، ولم يكن بها حريم .

يقول الفقير [1] ، ذهبت إليه مرة فى ظرف اليومين ، فوجدته جالسا على السجادة ، فجلست معه ساعة ، فدخل عليه بعض أمرائه ، يستأذنه فى زواج إحدى زوجات من مات من خشداشينه ، فنتر فيه وشتمه وطرده ، وقال لى : « انظر إلى عقول هؤلاء المغفلين يظنون أنهم استقروا بمصر ، ويتزوّجوا ويتأهلوا ، مع أنَّ جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها ، أهون من الورطة التى نحن فيها الآن » ، ولما أطلق الوزير لإبراهيم بيك الكبير التصرف ، وألبسه خلعة ، وجعله شيخ البلد كعادته ، وأنَّ أوراق التصرفات فى الإقطاعات والأطيان وغيرها تكون بختمه وعلامته ، اغتر هو وباقى الأمراء بذلك ، وازدحم الديوان ببيت إبراهيم بيك المرادى ، وعثمان بيك حسن ، والبرديسى ، وتناقلوا فى الحديث ، فذكروا ملاطفة الوزير ومحبته لهم ، وإقامته لناموسهم ، فقال المترجم : « لاتغتروا بذلك ، وإنما هى حيل ومكايد ، وكأنها تروح عليكم ، فانظروا فى أمركم ، وتفطنوا لما عساه يحصل ، فإنَّ سوء الظن من الحزم » ، فقالوا له : « وما الذى يكون » ، قال : « إنَّ هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والأزمان المديدة يتمنون نفوذ أحكامهم ، وتملكهم لهذا الإقليم ، ومضت الأحقاب وأمراء مصر قاهرون وغالبون عليهم ، ليس لهم معهم إلا مجرد الطاعة الظاهرة ، وخصوصا دولتنا الأخيرة ، وما كنا نفعله معهم من الإهانة ومنع الخزينة ، وعدم الامتثال لأوامرهم ، وكل ذلك مكمون فى نفوسهم ، زيادة على ما جُبِلوا عليه من الطمع والخيانة والشره ، وقد ولجوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة ، وتآمّروا علينا فلا يهون بهم أنْ يتركوها لنا كما

---

(١) الفقير : تعنى المؤلف نفسه : عبد الرحمن بن حسن الجبرتى .

كانت بأيدينا ، ويرجعوا إلى بلادهم بعد ماذاقوا حلاوتها ، فدبروا رأيكم ، وتيقظوا من غفلتكم » ، فلما سمعوا منه ذلك صادق عليه بعضهم ، وقال بعضهم : « هذا من وساوسك » ، وقال آخر : « هذا لايكون بعدما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات وأشهرا بأموالنا وأنفسنا ، وهم لايعرفون طرائق البلاد ، ولا سياستها فلا غنى لهم عنا » ، وقال آخر : « غير ذلك » ، ثم قالوا له : « وما رأيك الذى تراه » ، فقال : « الرأى عندى إن قبلتموه أنْ نعدى بأجمعنا إلى بر الجيزة ، وننصب خيامنا هناك ، ونجعل الإنكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان ، ونتمم الشروط التى نرتاح نحن وهم عليها بكفالة الإنكليز ولانرجع إلى البر الشرقى ، ولاندخل مصر حتى يخرجوا منها ، ويرجعوا إلى بلادهم ، ويبقى منهم من يبقى مثل من يقلدوه الولاية والدفتردارية ، ونحو ذلك » ، وكان ذلك هو الرأى ، ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر ، وقال : « كيف ننابذهم ولم يظهر لنا منهم خيانة ، ونذهب إلى الإنكليز وهم أعداء الدين ، فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا لدولة الإسلام ، على أنَّهم إنْ قصدوا بنا شيئًا قمنا بأجمعنا عليهم ، وفينا ولله الحمد الكفاية ، وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الإنكليز ، فتكون لنا المندوحة والعذر » ، فقال المترجم : « أمَّا الاستنكاف من الالتجاء للإنكليز فإن القوم لم يستنكفوا من ذلك ، واستعانوا بهم ، ولولا مساعدتهم لما أدركوا هذا المحصول ، ولا قدروا على إخراج الفرنساوية من البلاد ، وقد شاهدنا ما حصل فى العام الماضى ، لما حضروا بدون الإنكليز على أنَّ هذا قياس مع الفارق ، فإنَّ تلك مساعدة حرب وأما هذه ، فهى وساطة مصلحة لا غير ، وأما انتظار حصول المنابذة ، فقد لايمكن التدارك بعد الوقوع لأمور ، والرأى لكم » ، فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار بينهم ، ولما لم يوافقوا المترجم على ما أشار به عليهم ، أخذ يدبر فى خلاص نفسه ، فانضم إلى محمود أفندى رئيس الكتاب لقربه من الوزير وقبوله عنده ، وأوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة منْ الأموال من جهة الصعيد ، إنْ قلده الوزير إمارة الصعيد ، فإنه يجمع له أموالا جمة من تركات الأغنياء الذين ماتوا بالطاعون فى العام الماضى ، وخلافه ، ولم يكن لهم ورثة وغير ذلك من الجهات ، التى لايحيط بها خلافه ، والمال والغلال الميرية ، فلما عرف الرئيس الوزير بذلك لم يكن بأسرع من إجابته لوجهين ، الأول : طمعا فى تحصيل المال ، والثانى : لتفريق جمعهم ، فإنَّهم كانوا يحسبون حسابه دون باقى الجماعة لكثرة جيشه ، وشدة احترازه ، فإنَّه كان إذا ذهب عند الوزير لايذهب فى الغالب إلاَّ وحوله جميع جنوده ومماليكه .

وعندما أجاب الـوزير إلى سفره كتب له فرمـانا بإمارة الجهة القبلـية ، وأطلق له الإذن ، ورخص له فى جميـع ما يؤدى إليه اجتهاده من غير مـعارض ، وتمم الرئيس القصد ، وفى الوقت حضر المترجم فأخذ المـرسوم ولبس الخلعة بنفسه ، وودع الوزير والرئيس وركب فى الوقت والساعة ، وخرج مسافرا ، وجعل رئيس أفندى وكيلا عنه وسفيـرا بينه وبين الـوزير بعدما أسكنه فى داره ، ولم يـشعر بذلك أحـد ، ولم ير للوزير وجهـا بعد ذلك ، وعندما أشيع ذلـك حضر إلى الوزير من اعتـرض عليه فى هـذه الغـفلة ، وأشـار عليـه بنقض ذلك ، فارســل يستدعيه لأمر تـذكَّره على ظن تأخره ، فلم يدركوه إلاَّ وقد قطع مسافة بـعيدة ورجعوا على غير طائل ، وذهب هو إلى أسـيوط ، وشرع فى جـبى الأموال ، وأرسل لـلوزير دفعـة من المال ، وأغنـاما وعبيدا طواشية وغلالا ، ثم لم يمض على ذلـك إلاَّ نحو ثلاثة شهور ، وسافر طائفة من الإنكـليز إلى سـكندرية ، وكـذلك حسين بـاشا القبـطان، ونصبـوا للمصـريين الفخاخ، وأرسل الـقبطان بطلب طائفـة منهم ، فأوقع بهم ما أوقـع ، وقبض الوزير على من بمصر من الأمراء وحبسهم ، وجرى ما هـو مسطور فى محله ، وعينوا على المترجم طاهـر باشـا بعساكر ، وحصلـت المفاقمة وقتل من قتل ، والتجأ من بقى إلى الإنكلـيز ، ولم يندمل الجـرح بعد تقريحـه ، وذهب الجميع إلى الـناحية القبـلية ، وأرسلوا لهم الـتجاريد ، وتصدى المترجـم لحروبهم ، ثم حضر إلى نـاحية بحرى ، ونزل بظاهر الجـيزة ، وسار إلى ناحية البحـيرة بعد حروب ووقائع ، فاجتـهد محمد باشا خـسرو فى إخراج تجريدة عـظيمة ، وصارى عسـكرها كتخداه ، وهـو يوسف كتخدا بيـك ، وهى التجريدة التى سماهـا العوام تجريدة الحمير ، لأنهـم جمعوا من جملة ذلك حـمير الحمَّارة ، والتراسين ، وحميـر اللكاف والسقائين ، وعـملوا على أهل بولاق ألف حمار، وكذلك مصر ومصر القديمة، وطفقوا يخطفون حمير الناس، ويكبسون الـبيوت ، ويأخذون ما يجدونه ، وكان يـأتى بعض معاكيس العـسكر عند الدور ، ويضع أحدهم فمه عند الباب ، ويقول « زر » فينهق الحمار فيأخذوه ، فلما تم مرادهم من جمـع الحمير اللازمة لهم سافروا إلـى ناحية البحيرة ، فكانـت بينهم واقعة عظيمـة بمرآى من الإنكليز ، وكانت الغـلبة على العسكر ، وأخذ مـنهم جملة أسرى ، وانـهزم الباقـون شر هزيمة ، وحـضروا إلى مـصر فى أسوأ حـال ، وهذه الكسرة كانت سببا لحصول الوحشة بين البـاشا والعسكر ، فإنه غضب عليهم وأمرهم بالخروج من مصر ، فطلبوا علائفهم ، فقال : « بأى شىء تستحقون العلائف ، ولم يخرج من أيديكم شىء » ، فامتنعوا من الخروج ، وكان المشار إليه فيهم محمد على سر ششمة ، فأراد الباشا اصطياده فلم يتمكن منه لشده احتراسه فحاربه ، فوقع له ما

ذكر فى محله وخرج الباشا هاربا إلى دمياط ، ومن ذلك الوقت ظهر اسم محمد على، ولم يزل ينمو ذكره بعد ذلك .

وأما المترجم فإنه بعد كسرته للعسكر ذهب ناحية دمنهور ، وذهبت كشافه وأمراؤه إلى المنوفية والغربية والدقهلية ، وطلبوا منهم المال والكلف ، ثم رجعوا إلى البحيرة ، ثم بعد هذه الوقائع سافر المترجم مع الإنكليز إلى بلادهم ، واختار من مماليكه خمسة عشر شخصا أخذهم صحبته ، وأقام عوضه أحد مماليكه المسمى بشتك بيك ، وسمى الألفى الصغير ، وأمّره على مماليكه وأمرائه ، وأمرهم بطاعته ، وأوصاه وصايا، وسافر وغاب سنة وشهرا وبعض أيام ؛ لأنه سافر فى منتصف شهر شوّال سنة سبعة عشر [1] ، وحضر فى أوّل شهر القعدة سنة ثمانية عشر[2] ، وجرى فى مدة غيابه من الحوادث التى تقدم من ذكرها ما يغنى عن إعادتها من خروج محمد باشا خسرو ، وتولية طاهر باشا ، ثم قتله ، ودخول الأمراء المصريين وتحكمهم بمصر، سنة ثمانية عشر [3] ، وتأمير صناجق من أتباع المترجم ، وما جرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى ، البارز بتدبير محمد على ونفاقه وحيله ، فإنه سعى أوّلا فى نقض دولة مخدومه محمد باشا خسرو بتواطئه مع طاهر باشا ، وخازنداره محمد باشا المحافظ للقلعة ، ثم الإغراء على طاهر باشا حتى قتل ، ثم معاونته للأمراء المصريين ودخولهم وتملكهم ، وإظهار المساعدة الكلية لهم ومصادقتهم وخدمتهم ومعاونتهم ، والرمح فى غفلتهم ، وخصوصا عثمان بيك البرديسى ، فإنه كان ممخرقا غشوما يحب التراؤس ، فأظهر له الصداقة والمؤاخاة والمصافاة حتى قضى منهم أغراضه : من قتل الدفتردار والكتخدا وعلى باشا الطرابلسى ، ومحاربة محمد باشا، وأخذه أسيرا من دمياط ، وأخيه السيد على القبطان برشيد ، ونسبة جميع الأفعال والقبائح إليهم ، فلما انقضى ذلك كله لم يبق إلاّ الألفى وجماعته ، والبرديسى الذى هو خشداشه يحقد عليه ويغار منه ، ويعلم أنه إذا حضر لايبقى له معه ذكر ، وتخمد أنفاسه فيتناجيا ويتساراً فى أمر المترجم ، ويتذاكرا تعاظم وكيله وخشداشينه ونقضهم عليه ما يبرمونه مع غياب أستاذهم ، فكيف بهم إذا حضر ، ويوهمه المساعدة والمعاضدة ، ويكون خادما له وعساكره جنده إلى أن حضر المترجم فأوقعا به ما تقدم ذكره ، ونجا بنفسه واختفى عند عشيبة[4] البدوى بالوادى .

---

(١) ١٥ شوال ١٢١٧ هـ / ٨ فبراير ١٨٠٣ م . (٢) اذى القعدة ١٢١٨ هـ / ١٢ فبراير ١٨٠٣ م .
(٣) ١٢١٨ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٣ - ٢ أبريل ١٨٠٤ م .
(٤) عشيبة البدوى : كتب بهامش ص ٣٢ ، طبعة بولاق ، « قوله عشيبة فى بعض النسخ « عشة أ.هـ ».

فلما خلا الجـو من الألفي وجماعته ، فأوقـع محمد على عند ذلك بـالبرديسى وعشيرته ما أوقع ، وظـهر بعد ذلك المترجم من اختفائه ، وذهب إلـى ناحية قبلى ، هو ومملوكه صالح بيك ، واجتمعت علـيه أمراؤه وأجناده ، واستفحل أمره واصطلح مع عشيـرته والبرديسى على مـا فى نفوسهما ، وما زال مـنجمعا عن مخالـطتهم ، وجرى ما جرى من مجيـئهم حوالى مصر ، وحروبهم مع العسـاكر فى أيام خورشيد أحمـد باشا ، وانفـصـالهم عـنها بدون طائـل لتفاشلـهم واختلاف آرائهـم وفساد تدبيـرهم ، ورجعوا إلى نـاحية قبلـى ، ثم عادوا إلى نـاحية بحرى ، بـعد حروب ووقائع مع حسن باشا ، ومحمد على وعساكرهم .

ثم لما حصلت المـفاقمة بينهما وبين خـورشيد أحمد باشا ، وانتصر مـحمد على بالسيد عمر مكرم النقيب ، والمشـايخ ، والقاضى ، وأهل البلدة والرعايا ، وهاجت الحروب بين الـباشا وأهل البـلدة كما هو مـذكور ، كانت الأمـراء المصريون بنـاحية التبين، والمترجم منعزل عنهم بناحية الطرانة[1] ، والسيد عمر يراسله ويعده ويذكر له بأن هذا القيام مـن أجلك ، وإخراج هذه الأوباش ، ويعود الأمر إلـيكم كما كان ، وأنت المعنى بذلك لظننا فيك الخير والصلاح والعدل ، فيصدق هذا القول ، ويساعده بإرسال المال ليصرفه فى مصالح المقاتلين والمحاربين ، ومحمد على يداهن السيد عمر سرا ، ويتملق إليـه ويأتيه ويراسله ويأتى إليه فى أواخر اللـيل وفى أوساطه ، مترددا عليه فى غـالب أوقاته حتى تم له الأمر بعـد المعاهدة والمعاقدة والأيمان الـكاذبة على سيره بالعدل ، وإقـامة الأحكام والشرائع ، والإقلاع عن المظـالم ، ولايفعل أمرا إلاً بمشورته ومشورة العلماء ، وأنه متـى خالف الشروط عزلوه ، وأخرجوه وهم قادرون على ذلك كما يـفعلون الآن ، فيتورط المخاطب بذلك القـول ، ويظن صحته ، وأنَّ كل الوقائع زلابية ، وكـل ذلك سرا لم يشعر به خلافهم ، إلى أنْ عـقد السيد عمر مجلـسا عند محمـد على ، وأحضر المشـايخ والأعيان ، وذكر لهـم أنَّ هذا الأمر ، وهذه الحروب ما دامت عـلى هذه الحالة لاتزداد إلاً فشلا ، ولابد من تـعيين شخص من جنس القوم للولاية ، فانظروا من تجدوه وتـختاروه لهذا الأمر ليكون قائم مقام ، حتى يتعين من طرف الدولة من يتعـين ، فقال الجميع : « الرأى ما تراه » فأشار إلى محمد على ، فأظهر التمنع ، وقال : « أنا لا أصلح لذلك ولست من الوزراء ، ولا من الأمراء ، ولا مـن أكابر الدولة » ، فـقالوا جميعـا : « قد اخترناك لـذلك برأى

(١) الطرانة : انظر ، ص ١٠ ، حاشية رقم (٣) .

الجميع والكافة ، والعبرة رضا أهل البلاد » ، وفى الحال أحضروا فروة وألبسوها له ، وباركوا له وهنؤه ، وجهروا بخلع خورشيد أحمد باشا من الولاية ، وإقامة المذكور فى النيابة حتى يأتى المتولى ، أو يأتى له تقرير بالولاية ، ونودى فى المدينة بعزل الباشا ، وإقامة محمد على فى النيابة إلى أنْ كان ما هو مسطور قبل ذلك فى محله ، فلما بلغ المترجم ذلك ، وكان ببر الجيزة ، ويراسل السيد عمر مكرم والمشايخ فانقبض خاطره ، ورجع إلى البحيرة ، وأراد دمنهور فامتنع عليه أهلها وحاربوه وحاربهم ، ولم ينل منهم غرضا ، والسيد عمر يقويهم ويمدهم ، ويرسل إليهم البارود وغيره من الاحتياجات ، وظهر للمترجم تلاعب السيد عمر مكرم معه ، وكأنه كان يقويه على نفسه ، فقبض على السفير الذى كان بينهما وحبسه وضربه ، وأراد قتله ، ثم أطلقه ، ثم عاد إلى بر الجيزة وسكنت الفتنة ، واستقر الأمر لمحمد على باشا ، وحضر قبطان باشا إلى ساحل أبى قير ، ووصل سلحداره إلى مصر ، وأنزل أحمد باشا المخلوع عن الولاية من القلعة إلى بولاق ليسافر ، ومنع محمد على من الذهاب والمجئ إلى المصريين ، وأوقف أشخاصا برا وبحرا يرصدون من يأتى من قبلهم أو يذهب إليهم بشىء من متاع وملبوس وسلاح وغير ذلك ، ومن عثروا عليه بشىء قبضوا عليه ، وأخذوا ما معه وعاقبوه ، فامتنع الباعة والمتسببون وغيرهم من الذهاب إليهم بشىء مطلقا ، فضاق خناق المترجم ، فاحتال بأن أرسل محمد كتخداه يطلب الصلح مع الباشا ، فانسر لذلك وفرح ، واعتقد صحة ذلك ، وأنعم على الكتخدا ، وعبى هدية جليلة لمخدومه من ملابس وفراوى وأسلحة وخيام ونقود وغير ذلك ، وعندها قضى الكتخدا أشغاله من مطلوبات مخدومه واحتياجاته له ولأتباعه وأمرائه ، ووسق مراكب وذهب بها جهارا من غير أن يتعرض له أحد ، وذهب صحبته السلحدار وموسى البارودى ، ثم عاد الكتخدا ثانيا ، وصحبته السلحدار وموسى البارودى ، وذكروا أنه يطلب كشوفية الفيوم وبنى سويف والجيزة والبحيرة ومائتين بلد من الغربية والمنوفية والدقهلية يستغل فائظها ، ويجعل إقامته بالجيزة ، ويكون تحت الطاعة ، فلم يرض الباشا بذلك ، وقال : « إننا صالحنا باقى الأمراء وأعطيناهم من حدود جرجا بالشروط التى شرطناها عليهم ، وهو داخل فى ضمنهم » ، فرجع محمد كتخدا له بالجواب بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته ، ولوازمه من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك ، وتمت حيلته ، وقضى أغراضه ، وذهب إلى الفيوم ، وتحارب جنده مع جند ياسين بيك ، وانخذل فيها ياسين بيك ، ثم عاد شاهين بيك الألفى بجند كثير بعد شهور إلى بر الجيزة ، وخرج محمد على باشا لمحاربته بنفسه ، فكانت له الغلبة ، وقتل فى هذه الواقعة على كاشف الذى كان تزوج بزوجة حسن بيك

الجداوى ، وهى بنت حسن بيك شنن ، رآه الأخصام متجملا فظنوه الباشا ، فأحاطوا به وأخذوه أسيـرا ، ثم قتلوه ورجع الـباشا إلى بر مصر واجـتهد فى تشهـيل تجريدة أخرى ، وكل ذلك مع طول المدى .

وفى أثناء ذلك ، مات بشتك بيك المعروف بالألفى الصغير مبطونا بناحية قبلى ، ثم إنَّ المترجم خرج من الـفيوم فى أوائل المحرم [1] من السنة المـذكورة ، وكان حسن باشـا طاهـر بناحية جزيرة الهواء بمن معه من العساكر ، فكانت بينهما واقعة عظيمة، انهزم فيها حسـن باشا إلى الرقق [2] ، وأدركه أخوه عابدين بيك ، فـأقام معه بالرقق كما تقدم ، وحضر الألفى إلى بر الجيزة وإنبـابة ، وخرجت إليهم العساكر ، فكانت بينهم واقعة بسوق الغنم ، ظهر عليـهم فيها أيضًا ثم سار مبحرًا ، وعدَّى من عسكره وجنده جملة إلى السبكية ، فأخذوا منها ما أخذوه وعادوا إلى أستاذهم بالطرانة ، ثم إنه انتقل راحلا إلى البـحيرة وحرب دمنهور ومحاصرتها ، وكانوا قـد حصنوها غاية التحصين ، فـلم يقدر عليها ، فعـاد إلى ناحية وردان[3] ، ثم رجع إلـى حوش ابن عيسى [4] ، لأنه بلـغه وصول مراكب وبهـا أمين بيك تابعـه وعدة عساكر من الـنظام الجديد ، وأشخـاص من الإنكليز ، لأنه كان مـع ما هو فيه من التـنقلات والحروب يراسل الدولـة والإنكليز ، وأرسل بـالخصوص أمين بيك إلـى الإنكليز ، فسـعوا مع الدولة بمسـاعدته ، وحضروا إليه بمـطلوبه ، فعمل لـهم بحوش ابن عيسـى ، شنكا وأرسلهم مع أمين بيك إلى الأمراء القبليين .

فلما بلغ محمد على باشا ذلك ، راسـل الأمراء القبليين وداهنهم ، وأرسل لهم الهدايا فراجت أموره عليهم ، مع ما فى صدورهم من الغل للمترجم .

وفـى أثـر ذلك ، حضر قبطـان باشـا إلى الإسكـندرية ، ووردت السعاة بـخبر وروده ، وأنَّ بعده واصل موسى باشا واليا على مصر ، وبالعفو عن المصريين ، وكان خبر هذه القضـية ، والسبب فى حركة القبـطان إرساليات الألفى للإنكلـيز ومخاطبة الإنكلـيز الدولة ووزيرهـا المسمى مـحمد باشا الـسلحدار ، وأصلـه مملوك السـلطان مصطفى ، ولايخفى الميل إلى الجنسية ، فاتفق أنَّه اختلى بسليمان أغا تابع صالح بيك الوكيل الذى كان يوسف باشا الوزير قلده سلحدارا ، وأرسله إلى إسلامبول ، وسأله

---

(١) ١ محرم ١٢٢١ هـ/ ٢١ مارس ١٨٠٦ م

(٢) الرقق : انظر ، ص ٣ ، حاشية رقم (٤) .

(٣) وردان : انظر ، ص ١٤ ، حاشية رقم (٥) .

(٤) حوش ابن عيسى : انظر ، ص ١٦ ، حاشية رقم (٤) .

عن المصريين ، هل بقى منهم غير الألفى ، فقال له : « جميع الرؤساء موجودون وعَدَّدهم له ، وهم ومماليكهم يبلغون ألفين وزيادة » ، فقال : « إنى أرى تمليكهم ورجوعهم على شروط تشترطها عليهم ، أولى من تمادى العداوة بينهم وبين هذا الذى ظهر من العسكر ، وهو رجل جاهل متحيل ، وهم لايسهل بهم إجلاؤهم عن أوطانهم وأولادهم وسيادتهم التى ورثوها عن أسلافهم ، فيتمادى الحال والحروب بينهم وبينه ، واحتياج الفريقين إلى جمع العساكر وكثرة النفقات والعلائف والمصاريف ، فيجمعونها من أى وجه كان ، ويؤدى ذلك إلى خراب الإقليم ، فالأولى والمناسب صرف هذا المتغلب ، وإخراجه وتولية خلافه ، فما رأيك فى ذلك » ، فقال له سليمان : « لا رأى عندى فى ذلك » ، وخاف أن يكون كلامه له باطن خلاف الظاهر ، وأدرك منه ذلك فحلف له عند ذلك الوزير ، أنّ كلامه وخطابه له على ظاهره ، وحقيقته ، لكن لابد من مصلحة للخزينة العامرة » ، فقال له سليمان أغا : « إذا كان كذلك ابعثوا إلى الألفى بإحضار كتخداه محمد أغا لأنه رجل يصلح للمخاطبة لمثل ذلك » ، ففعل وحضر المذكور فى أقرب وقت ، وتمموا الأمر على مصلحة ألف وخمسمائة كيس ، كفلها محمد كتخدا المذكور يدفعها القبطان باشا عند وصوله بيد سليمان أغا المذكور ، وكفالته أيضًا لمحمد كتخدا بعد إتمام الشروط التى قررها مخدومه ، ومن جملتها إطلاق بيع المماليك وشرائهم ، وجلب الجلابين لهم إلى مصر كعادتهم ، فإنّهم كانوا منعوا ذلك من نحو ثلاث سنوات وغير ذلك ، وسافر كل من سليمان أغا الوكيل ، ومحمد كتخدا بصحبة قبودان باشا حتى طلعوا على ثغر سكندرية ، فركبا صحبة سلحدار القبودان ، فتلاقوا مع المترجم بالبحيرة ، وأعلموه بما حصل فامتلأ فرحا وسرورا ، وقال لسليمان أغا : « اذهب إلى إخواننا بقبلى واعرض عليهم الأمر ، ولايخفى أننا الآن ثلاثة فرق كبيرنا إبراهيم بيك وجماعته ، والمرادية وكبيرهم هناك عثمان بيك البرديسى ، وأنا وأتباعى ، فيكون ما يخص كل طائفة خمسمائة كيس ، فإذا استلمت منهم الألف كيس ورجعت إلىَّ سلمتك الخمسمائة كيس » ، فركب المذكور وذهب إليهم ، واجتمع بهم وأخبرهم بصورة الواقع ، وطلب منهم ذلك القدر ، فقال البرديسى : « حيث إنَّ الألفى بلغ من قدره أنه يخاطب الدول والقرانات ، ويراسلهم ، ويتمم أغراضه منهم ويولى الوزراء ويعزلهم بمراده ، ويتعين قبودان باشا فى حاجته ، فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه لأنه صار الآن هو الكبير ، ونحن الجميع أتباع له وطوائف خلفه ، بما فيه والدنا وكبيرنا إبراهيم بيك ، وعثمان بيك حسن وخلافه » ، فقال سليمان أغا : « هو على كل حال واحد منكم وأخوكم » ، ثم إنّه اختلى مع إبراهيم بيك الكبير ،

وتكلم معه فقال إبراهيم بيك : « أنـا أرضى بدخولى أى بيت كان ، وأعيش ما بقى من عمرى مع عيالى وأولادى ، تحت إمارة أىّ من كـان من عشيرتنا ، أولى من هذا الشتات الذى نحن فيه ، ولكن كيف أفعل فى الرفيق المخالف ، وهذا الذى حصل لنا كله بسوء تـدبيره ونحسه ، وعشت أنا ومـراد بيك المدة الطويلة بعـد موت أستاذنا ، وأنا أتغـاضى عن أفعاله ، وأفـعال أتباعه ، وأسامـحهم فى زلاتهم كـل ذلك حذرا وخوفا من وقوع الشر والقتل والعداوة إلى أن مات، وخلف هؤلاء الجماعة المجانين ، وترأس البرديسـى عليهم مع غياب أخـيه الألفى ، وداخله الغرور ، وركـن إلى أبناء جنسه وصـادقهم ، واغتر بهـم ، وقطع رحمه ، وفعـل بالألفى الذى هو خـشداشه وأخوه ما فعل ، ولايستمع لنصح ناصح أولا وآخرا » ، وما زال سليمان أغا يتفاوض معهم فى ذلك أيامـا إلى أن اتفق مع إبراهيم بيك على دفع نصـف المصلحة ، ويقوم المترجم بالـنصف الثانى ، فقال : « سـلمونى القدر أذهب به وأخـبره بما حصل » ، فقالوا : « حتى ترجع إليه وتعلمه وتطييب خـاطره على ذلك لئلا يقبضه ، ثم يطالبنا بغيـره » ، فلما رجع إلـيه وأخبره بما دار بـينهم قـال : « أما قولهم إنِّى أكـون أميرا عليهم فهذا لايتصور ولايصح ، إنى أتعاظـم على مثل والدى إبراهيم بيك ، وعثمان بيك حـسن ، ولا على من هو فـى طبقتى مـن خشداشينـى على أنَّ هذا لايعيـبهم ولاينقص مقدارهم ، بأن يكون المتأمر علـيهم واحدا منهم ومن جنسهم ، وذلك أمر لم يخطر لى ببـال ، وأرضى بأدنى من ذلك ، ويأخذوا علىّ عهدا بمـا أشترطه على نفسى ، أننا إذا عـدنا إلى أوطاننا أنْ لا أداخلهم فى شـىء ، ولا أقارشهم فى أمر ، وأن يكون كبيرنا والدنا إبراهيم بيك على عادته ، ويسمحوا لى بإقامتى بالجيزة ، ولا أعارضهم فى شىء ، وأقنع بإيرادى الذى كان بيدى سابقا فإنَّه يكفينى ، وإنْ اعتقدوا غدرى لهـم فى المستقـبل ، بسبب مـا فعلوه معـى من قتلهـم حسين بيك تـابعى ، وتعصبهم وحرصهم على قتلى وإعدامى أنا وأتباعى ، فبعض ما نحن فيه الآن أنسانى ذلك كله ، فإن حسـين بيك المذكور مملوكى ، وليس هو أبى ولا ابـنى من صلبى ، وإنما هو مملوكى اشتـريته بالدراهم وأشترى غيره ، ومملوكى مملـوكهم ، وقد قتل لى عدة أمراء ومماليك فى الحروب ، فأفرضه من جملـتهم ، ولايصيبنى ويصيبهم إلاَّ ما قدره الله علينا ، وعلـى أنَّ الذى فعلوه بى لم يكن لسابق ذنـب ولاجرم حصل منى فى حقهم ، بل كنا جميعا إخوانا ، وتذكروا إشـارتى عليهم السابقة فى الالتجاء إلى الإنكليز ، وندموا على مخالفتى بعد الذى وقع لهم ، ورجعوا إلىَّ ، ثم أجمع رأيهم على سفرى إلى بلاد الإنكليز فامتثلت ذلك ، وتجشمت المشاق ، وخاطرت بنفسى ، وسافرت إلى بلاد الإنكـليز ، وقاسيت أهوال البحار سنـة وأشهرا ، كل ذلك لأجل

راحتى وراحتهم ، وحصل ما حصل فى غيابى ، ودخلوا مصر من غير قياس ، وبنوا قصورهم على غير أساس ، واطمأنوا إلى عدوّهم وتعاونوا به على هلاك صديقهم ، وبعد أن قضى غرضه منهم غدرهم وأحاط بهم ، وأخرجهم من البلدة وأهانهم وشردهم ، واحتال عليهم ثانيا يوم قطع الخليج، فراجت حيلته عليهم أيضًا ، وأرسلت إليهم فنصحتهم فاستغشونى وخالفونى ، ودخل الكثير منهم البلد وانحصروا فى أزقتها ، وجرى عليهم ما جرى من القتل الشنيع ، والأمر الفظيع ، ولم ينج إلاّ من تخلف منهم ، أو ذهب من غير الطريق ، ثم إنَّه الآن أيضًا يراسلهم ويداهنهم ويهاديهم ، ويصالحهم ويثبطهم عما فيه النجاح لهم ، وما أظنّ أنَّ الغفلة استحكمت فيهم إلى هذا الحد ، فارجع إليهم وذكرهم بما سبق لهم من الوقائع ، فلعلهم ينتبهوا من سكرتهم ويرسلوا معك الثلثين أو النصف الذى سمح به والدنا إبراهيم بيك ، وهذا القدر ليس فيه كبير مشقة ، فإنهم إذا وزعوا على كل أمير عشرة أكياس ، وعلى كل كاشف خمسة أكياس ، وكل جندى أو مملوك كيسا واحدا اجتمع المبلغ وزيادة ، وأنا أفعل مثل ذلك مع قومى والحمد لله ليسوا هم ولانحن مفاليس ، وثمرة المال قضاء مصالح الدنيا ، وما نحن فيه الآن من أهم المصالح » ، وقل لهم : « البدار قبل فوات الفرصة ، والخصم ليس بغافل ولا مهمل ، والعثمانيون عبيد الدرهم والدينار » ، فلما فرغ من كلامه ودعه سليمان أغا ، ورجع إلى قبلى فوجد الجماعة أصروا على عدم دفع شىء ، ورجع إبراهيم بيك أيضًا إلى قولهم ، ورأيهم ، ولما ألقى لهم سليمان أغا العبارات التى قالها صاحبهم وأنه يكون تحت أمرهم ونهيهم ، ويرضى بأدنى المعاش معهم ، ويسكن الجيزة إلى آخر ما قال ، قالوا : « هذا والله كله كلام لا أصل له ، ولاينسى ثأره ، وما فعلناه فى حقه وحق أتباعه ، ولو اعتزل عنا وسكن قلعة الجبل فهو الألفى الذى شاع ذكره فى الآفاق ، ولا تخاطب الدولة غيره ، وقد كنا فى غيبته لانطيق عفريتا من عفاريته ، فكيف يكون هو وعفاريته الجميع ، ومن ينشئه خلافهم » ، وداخلهم الحقد وزاد فى وساوسهم الشيطان ، فقال لهم سليمان أغا : « اقضوا شغلكم فى هذا الحين حتى تنجلى عنكم الأعداء الأغراب ، ثم اقتلوه بعد ذلك ، وتستريحوا منه » ، فقالوا : « هيهات بعد أنْ يظهر علينا ، فإنه يقتلنا واحدا بعد واحد ، ويخرجنا إلى البلاد ، ثم يرسل يقتلنا وهو بعيد المكر ، فلا نأمن إليه مطلقا » ، وغرهم الخصم بتمويهاته وأرسل إليهم هدايا وخيولا وسروجا وأقمشة ، هذا ورسل القبودان تذهب وتأتى بالمخاطبات والعرضحالات حتى تمموا الأمر كما تقدم .

وفى أثناء ذلك ، ينتظر القبودان جوابا كافيا وسلحداره مقيم أيضًا عند المترجم ، والمترجم يشاغل القبودان بالهدايا والأغنام والذخيرة من الأرز والغلال والسمن والعسل وغير ذلك ، إلى أن رجع إليه سليمان أغا بخُفى حُنين[1] ، محزونا مهموما متحيرا فيما وقع من الورطة ، مكسوف البال مع القبودان ووزير الدولة ، وكيف يكون جوابه للمذكور والقبودان جعل فى الإبرة خيطين ليتبع الأروج ، فلما وصل إليه سليمان أغا وأخبره أنَّ الجماعة القبليين لاراحة عندهم ، وامتنعوا من الدفع ومن الحضور ، وأنَّ المترجم يقوم بدفع القدر الذى يقدر عليه ، والذى يبقى ويتجمع عليه يقوم بدفعه فاغتاظ القبودان ، وقال : « أنت تضحك على ذقنى وذقن وزير الدولة ، وقد تحركنا هذه الحركة على ظن أنَّ الجماعة على قلب رجل واحد ، وإذا حصل من المالك للبلدة عصيان ومخالفة ، ولم يكن فيهم مكافأة لمقاومته ساعدناهم بجيش من النظام الجديد وغيره ، وحيث إنهم متنافرون ومتحاسدون ومتباغضون فلا خير فيهم ، وصاحبك هذا لايكفى فى المقاومة وحده ، ويحتاج إلى كثير المعاونة وهى لاتكون إلا بكثرة المصاريف » .

ولما ظهر لسليمان أغا الغيظ والتغير من القبودان، خاف على نفسه أن يبطش به ، وعرف منه أنَّ المانع له من ذلك غياب السلحدار عند المترجم ، لأنَّه قال له : « وأين سلحدارى » ، قال : « هو عند الألفى بالبحيرة » ، فقال : « اذهب فأتنى به واحضر صحبته » ، وكان موسى باشا المتولى قد حضر أيضًا ، فما صدق سليمان أغا بقوله ذلك ، وخلاصه من بين يديه ، فركب فى الوقت ، وخرج من الإسكندرية ، فما هو إلا أنْ بعد عنها مقدار غلوة ، إلا والسلحدار قادم إلى سكندرية ، فسأله : « إلى أين يذهب » ، فقال : « إنَّ مخدومك أرسلنى فى شغل ، وها أنا راجع إليكم » ، وذهب عند المترجم ، ولم يرجع .

وفى أثناء هذه الأيام : كان المترجم يحارب دمنهور ويبعث إليه محمد على باشا التجريدة العظيمة التى بذل فيها جهده ، وفيها جميع عساكر الدلاة وطاهر باشا ومن معه من عساكر الأرنؤد والأتراك وعسكر المغاربة ، فحاربهم وكسرهم ، وهزمهم شر هزيمة ، حتى ألقوا بأنفسهم فى البحر ، ورجعوا فى أسوأ حال ، فلو تجاسر المترجم وتبعهم لهرب الباقون من البلدة ، وخرجوا على وجوههم من شدة ما داخلهم من الرعب ، ولكن لم يرد الله ذلك ، ولم يجسروا للخروج عليه بعد ذلك .

---

(١) كتب بهامش ص ٣٦ ، طبعة بولاق ، « قوله : بخفى حنين ، هو مثل يضرب للخيبة أى رجع خائبا » .

ولما تنحت عنه عشيرته ولم يلبوا دعوته ، وأتلفوا الطبخة ، وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر سكندرية على الصورة المذكورة استأنف المترجم أمرا آخر ، وراسل الإنكليز يلتمس منهم المساعدة ، وأن يرسلوا له طائفة من جنودهم ، ليقوى بهم على محاربة الخصم ، كما التمس منهم فى العام الماضى فاعتذروا له بأنهم [فى] صلح مع العثمانى ، وليس فى قانون الممالك إذا كانوا صلحا أن يتعدوا على المتصادقين معهم ، ولايوجهون نحوها عساكر إلا بإذن منهم أو بالتماس المساعدة فى أمر منهم ، فغاية ما يكون المكالمة والترجى ، ففعلوا وحصل ما تقدم ذكره ، ولم يتم الأمر ، فلما خاطبهم بعد الذى جرى صادف ذلك وقوع الغرة بينهم وبين العثمانى ، فأرسلوا إلى المترجم يوعدوه بإنفاذ ستة آلاف لمساعدته ، فأقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور ، وكان ذلك أوان القيظ وليس ثَم زرع ولانبات ، فضاقت على جيوشهم الناحية ، وقد طال انتظاره للإنكليز ، فتشكى العربان المجتمعون عليه وغيرهم لشدة ما هم فيه من الجهد ، وفى كل حين يوعدهم بالفرج ، ويقول لهم : « اصبروا لم يبق إلا القليل » ، فلما اشتد بهم الجهد اجتمعوا إليه ، وقالوا له : « إمَّا أن تنتقل معنا إلى ناحية قبلى ، فإن أرض الله واسعة ، وإمَّا أن تأذن لنا فى الرحيل فى طلب القوت ، فما وسعه إلا الرحيل مكظوما مقهورا من معاندة الدهر فى بلوغ المآرب ، الأول : مجئ القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ، ورجوعهما من غير طائل ، والثانى : عدم ملكه دمنهور ، وكان قصده أن يجعلها معقلا ويقيم بها حتى تأتيه النجدة ، الثالث : تأخر مجئ النجدة حتى قحطوا واضطروا إلى الرحيل ، الرابع : وهو أعظمها مجانبة إخوانه وعشيرته وخذلانهم له وامتناعهم عن الانضمام إليه ، فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان حتى وصل إلى الأخصاص[1] ، فنادى محمد على باشا على العساكر بالخروج ولايتأخر منهم واحد فخرجوا أفواجا ليلا ونهارا ، حتى وصلوا إلى ساحل بولاق ، وعدوا إلى بر إنبابة ، وجيشوا بظاهرها ، وقد وصل المترجم إلى كفر حكيم[2] يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة[3] ، وانتشرت جيوشه بالبر الغربى ناحية إنبابة والجيزة ، وركب الباشا وأصناف العساكر ، ووقفوا على ظهر خيولهم ، واصطفت الرجالة ببنادقهم وأسلحتهم ، ومر المترجم فى هيئة عظيمة هائلة ، وجيوش تسد الفضاء وهم مرتبون طوابير ومعهم طبول ، وصحبته قبائل العرب من أولاد على

(١) الأخصاص : انظر ، ص ٣٧ ، حاشية رقم (٤) .
(٢) كفر حكيم : انظر ، ص ٣٦ ، حاشية رقم (٥) .
(٣) ١٨ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٢٧ يناير ١٨٠٧ .

والهنادى وعربان الشرق فى كبكبة زائدة، والباشا والعسكر وقوف ينظرون إليهم من بعيد ، وهو يتعجب ، ويقول : « هذا طهماز[1] الزمان وإلا إيش يكون » ، ثم يقول للدلاة والخيالة : « تقدموا وحاربوا وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال » ، ويذكر لهم مقادير عظيمة ، ويرغبهم فلم يتجاسروا على الإقدام وصاروا باهتين ومتعجبين ويتناجون فيما بينهم ويتشاورون فى تقدمهم وتأخرهم ، وقد أصابوه بأعينهم ، ولم يزل سائرا حتى وصل إلى قريب قناطر شبرامنت[2] ، فنزل على علوة هناك ، وجلس عليها وزاد به الهاجس والقهر ، ونظر إلى جهة مصر ، وقال : « يا مصر انظرى إلى أولادك ، وهم حولك مشتتين متباعدين مشردين ، واستوطنك أجلاف الأتراك واليهود ، وأراذل الأرنؤد وصاروا يقبضون خراجك ، ويحاربون أولادك ، ويقاتلون أبطالك ، ويقاومون فرسانك ويهدمون دورك ، ويسكنون قصورك ، ويفسقون بولدانك وحورك ، ويطمسون بهجتك ونورك » ، ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموى ، وفى الحال تقايأ دما ، وقال: « قضى الأمر ، وخلصت مصر لمحمد على ، وما ثَم من ينازعه ويغالبه ، وجرى حكمه على المماليك المصرية، فما أظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم » .

ثم إنه أحضر أمراءه وأمّر عليهم شاهين بيك وأوصاه بخشداشينه ، وأوصاهم به ، وأن يحرصوا على دوام الألفة بينهم ، وترك التنازع الموجب للتفرق والتفاشل ، وأن يحذروا من مخادعة عدوّهم، وأوصاهم أنّه إذا مات يحملوه إلى وادى البهنسا ، ويدفنوه بجوار قبور الشهداء ، فمات فى تلك الليلة وهى ليلة الأربعاء تاسع عشر ذى القعدة[3] ، فلما مات غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ، وحملوه على بعير وأرسلوه إلى البهنسا ، ودفنوه هناك بجوار الشهداء، وانقضى نحبه فسبحان من له سرمدية البقاء ، وفى الحال ، حضر المبشر إلى محمد على باشا ، وبشره بموت المترجم ، فلم يصدقه واستغرب ذلك ، وحبس البدوى الذى أتاه بالبشارة أربعة أيام ، وذلك لأن أتباعه كانوا كتموا أمر موته ، ولم يذيعوه فى عرضيه ، والذى أشاع الخبر وأتى بالبشارة رفيق البدوى الذى حمله على بعيره ، ولما ثبت موته عند الباشا امتلأ فرحا وسرورا وكذا خاصته ورفعوا رؤوسهم ، وأحضر ذلك المبشر ، فألبسه فروة سمور ، وأعطاه مالا ، وأمره أن يركب بتلك الخلعة ، ويشق بها من وسط المدينة ليراه أهل البلدة ،

---

(١) طهماز الزمان : أى حكيم الزمان .

(٢) شبرامنت : انظر ، ص ٣٧ ، حاشية رقم (٩) .

(٣) ١٩ ذى القعدة ١٢٢١ هـ / ٢٨ يناير ١٨٠٧ م .

وشاع ذلك الخبر فى الناس من وقت حضور المبشر ، وهم يكذبون ذلك الخبر ، ويقولون : « هذا من جملة تحيلاته ، فإنه لما سافر إلى بلاد الإنكليز لم يعلم بسفره أحد ، ولم يظهر سفره ، إلا بعد مضى أشهر ، فلذلك أمر الباشا ذلك المبشر أن يركب بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة » ، ومع ذلك استمروا فى شكهم نحو شهرين حتى قويت عندهم القرائن بما حصل بعد ذلك ، فإنه لما مات تفرقت قبائل العربان التى كانت متجمعة حوله ، وبعضهم أرسل يطلب أمانا من الباشا وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره فى ضمن ما تقدم ، وكان محمد على باشا يقول : « ما دام هذا الألفى موجودا لايهنأ لى عيش ، ومثالى أنا وهو مثال بهلوانين يلعبان على الحبل ، لكن هو فى رجليه قبقاب » ، فلما أتاه المبشر بموته قال بعد أن تحقق ذلك : « الآن طابت لى مصر ، وما عدت أحسب لغيره حسابا » .

وكان المترجم ، أميرا جليلا مهيبا محتشما مدبرا بعيد الفكر فى عواقب الأمور ، صحيح الفراسة ، إذا نظر فى سحنة إنسان عرف حاله وأخلاقه بمجرد النظر إليه ، قوى الشكيمة صعب المراس ، عظيم البأس ذا غيرة حتى على من ينتمى إليه أو ينسب إلى طرفه ، يحب علوّ الهمة فى كل شىء ، حتى أنّ التجار الذين يعاملهم فى المشتروات لايساومهم ولايفاصلهم فى أثمانها ، بل يكتبون الأثمان بأنفسهم كما يحبون ويريدون فى قوائم ، ويأخذها الكاتب ليعرضها عليه ، فيمضى عليها ولاينظر فيها ، ويرى أن النظر فى مثل ذلك أو المحاققة فيه عيب ونقص يخل بالإمرية ، ولاتمضى السنة إلاّ والجميع قد استوفوا حقوقهم ، ويستأنفوا احتياجات العام الجديد ، ولذلك راج حال المعاملين له رواجا عظيما ، لكثرة ربحهم عليه ومكاسبهم ، ومع ذلك يواسيهم فى جملة أحبابه والمنتسبين إليه ، بإرسال الغلال لمؤنة بيوتهم وعيالهم وكساوى العيد ، وينتصر لأتباعه ولمن انتمى إليه ، ويحب لهم رفعة القدر عن غيرهم ، مع أنه إذا حصل من أحد منهم هفوة تخل بالمروءة عنّفه وزجره ، فترى كشافه ومماليكه مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم يخافونه خوفا شديدا ، ويهابون خطابه .

ومن عجيب أمره ومناقبه التى انفرد بها عن غيره ، امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصرى لأمره ، وتسخيرهم وطاعتهم له ، لايخالفونه فى شىء ، وكان له معهم سياسة غريبة ، ومعرفة بأحوالهم وطبائعهم ، فكأنما هو مربّى فيهم أو ابن خليفتهم أو صاحب رسالتهم ، يقومون ويقعدون لأمره مع أنه يصادرهم فى أموالهم وجمالهم ومواشيهم ، ويحبسهم ويطلقهم ، ويقتل منهم ، ومع ذلك

لاينفرون منه ، وقد تزوج كثيرا من بناتهم فالتى تعجبه يبقيها حتى يقضى وطره منها والتى لاتوافق مزاجه يسرحها إلى أهلها ، ولم يبق فى عصمته غير واحدة ، وهى التى أعجبته فمات عنها ، فلما بلغ العرب موته ، اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب تناقلته أرباب المغانى يغنون به على آلات اللهو المطربة ، وركبوا عليه أدوارا وقوافى وغير ذلك ، والعجب منه رحمه الله ، أنَّه لما كان فى دولتهم السابقة ، وينزل فى كل سنة إلى شرقية بلبيس ، ويتحكم فى عربانها ويسومهم سوء العذاب بالقبض عليهم ووضعهم فى الزناجير ، ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر ، ويأخذ منهم الأموال والخيول والأباعر والأغنام ، ويفرض عليهم الفرض الزائدة ، ويمنعهم من التسلط على فلاحى البلاد .

ثم إنه لما رجع من بلاد الإنكليز ، وتعصب عليه البرديسى والعساكر وأحاطوا به من كل جانب فاختفى منهم ، وهرب إلى الوادى عند عشيبة البدوى ، فآواه وأخفاه وكتم أمره ، والبرديسى ومن معه يبالغون فى الفحص والتفتيش ، وبذل الأموال والرغائب لمن يدل عليه أو يأتى به ، فلم يطمعوا فى شىء من ذلك ، ولم يفشوا سره ، وقيدوا بالطرق الموصلة له أنفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتى على حين غفلة ، وهذا من العجائب حتى كان كثير من الناس يقولون : « إنَّه يسحرهم أو معه سر يسخرهم به » ، فلما مات تفرق الجميع ، ولم يجتمعوا على أحد بعده وذهبوا إلى أماكنهم ، وبعضهم طلب من الباشا الأمان .

وأما مماليكه وأتباعه ، فلم يفلحوا بعده ، وذهبوا إلى الأمراء القبليين فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ، ولم يحصل بينهم التئام ، ولا صفا كدر الفريقين من الآخر فانعزلوا عنهم إلى أن جرى ما جرى من صلحهم مع الباشا ، وأوقع بهم ما سيتلى عليك بعد إنْ شاء الله تعالى .

وبعد موت المترجم بنحو الأربعين يوما ، وصلت نجدة الإنكليز إلى ثغر الإسكندرية ، وطلعوا إليهم فبلغهم عند ذلك موت المذكور ، فلم يسهل بهم الرجوع ، فأرسلوا رسلهم إلى الجماعة المصريين ظانين أنَّ فيهم أثر الهمة والنخوة ، ويطلبونهم للحضور ويساعدهم الإنكليز على ردهم لمملكتهم وأوطانهم ، وكان محمد على باشا حين ذلك بناحية قبلى يحاربهم ، فطلبهم للصلح معه ، وأرسل إليهم بعض فقهاء الأزهر وخادعهم وثبطهم ، فقعدوا عن الحركة ، وجرى ما جرى على طائفة الإنكليز كما سيتلى عليك خبره ، ثم عليهم بعد ذلك ، وكان أمر الله مفعولا .

وكان للمترجم ولوع ورغبة فى مطالعة الكتب خصوصا العلوم الغريبة ، مثل: الجفريات ، والجغرافيا ، والاسطرنوميا ، والأحكام النجومية ، والمناظرات الفلكية ، وما تدل عليه من الحوادث الكونية ، ويعرف أيضًا مواضع المنازل وأسماءها وطبائعها ، والخمسة المتحيرة ، وحركات الثوابت ومواقعها ، كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقى على طريقة العرب من غير مطالعة فى كتاب ، ولا حضور درس ، وإذا طالع أحد بحضرته فى كتاب أو أسمعه ناضله مناضلة متضلع ، وناقشه مناقشة متطلع ، وله أيضًا معرفة بالأشكال الرملية ، واستخراجات الضمائر بالقواعد الحرفية، وكان له فى ذلك إصابات ، ومنها ما أخبرنى به بعض أتباعه ، أنَّه لما وصل إلى ثغر سكندرية راجعا من بلاد الإنكليز رسم شكلا ، وتأمل فيه ، وقطَّب وجهه ، ثم قال : « إنى أرى حادثا فى طريقنا ، وربما أنى أفترق منكم ، وأغيب عنكم نحو أربعين يوما » ، فلذلك أحب أن يخفى أمره ، ويأتى على حين غفلة ، وكان البرديسى قد أقام بالثغر رقيبا يوصل خبر وروده ، فلما وصل أرسل ذلك الرقيب ساعيا فى الحال ، وكان ما ذكرناه فى سياق التاريخ من غدرهم وقتلهم حسين بيك أبو شاش بالبر الغربى ، وهروب بشتك بيك من القصر ، وإرسال العسكر لملاقاة المترجم على حين غفلة ليقتلوه ، وهروبه واختفاؤه ، ثم ظهوره واجتماعهم عليه بعد انقضاء تلك المدة أو قريب منها ، وكان رحمه الله إذا سمع بإنسان فيه معرفة بمثل هذه الأشياء أحضره ومارسه فيها ، فإن رأى فيه فائدة أو مزية أكرمه وواساه وصاحبه وقربه إليه وأدناه ، وكان له مع جلسائه مباسطة مع الحشمة والترفع عن الهذيان والمجون ، وكان غالب إقامته بقصوره التى عمرها خارج مصر ، وهو القصر الكبير بمصر القديمة تجاه المقياس بشاطئ النيل ، والقصر الآخر الكائن بالقرب من زاوية الدمرداش ، والقصر الذى بجانب قنطرة المغربى على الخليج الناصرى ، وكان إذا خرج من داره لبعض تلك القصور لايمر من وسط المدينة ، وإذا رجع كذلك ، فسئل عن سبب ذلك ، فقال : « أستحى أن أمر من وسط الأسواق وأهل الحوانيت والمارة ينظرون إلىّ ، وأفرجهم على نفسى » .

وللمترجم أخبار وسير ووقائع لو سطرت لكانت سيرة مستقلة ، خصوصا وقائعه وسياحته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ، أيام أقام الفرنساوية بالقطر المصرى ، ورحلته بعد ذلك إلى بلاد الإنكليز ، وغيابه بها سنة وشهورا ، وقد تهذبت أخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن سياسة أحكامهم ، وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم ، وعدلهم فى رعيتهم مع كفرهم ، بحيث لايوجد فيهم فقير ولامستجدى ولا ذو فاقة ولا محتاج ، وقد أهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية، وأشكال هندسية واسطرلابات وكرات ، ونظارات ، وفيها ما إذا نظر الإنسان فيها فى الظلمة يرى أعيان الأشكال كما يراها فى النور ، ومنها لخصوص النظر فى الكواكب ، فيرى بها الإنسان الكوكب الصغير عظيم الجرم ، وحوله عدة كواكب لاتدرك بالبصر الحديد ، ومن أنواع الأسلحة الحربية أشياء كثيرة ، وأهدوا له آلة موسيقى تشبه الصندوق بداخله أشكال تدور بحركات فيظهر منها أصوات مطربة على إيقاع الأنغام وضروب الألحان ، وبها نشانات ، وعلامات لتبديل الأنغام ، بحسب ما يشتهى السامع إلى غير ذلك ، نهب ذلك جميعه العسكر الذين أرسلهم إليه البرديسى ليقتلوه ، وطفقوا يبيعونه فى أسواق البلدة ، وأغلبه تكسر وتلف وتبدد .

وأخبرنى بعض من خرج لملاقاته عند منوف العليا ، أنه لما طلع إليها وقابله سليمان بيك البواب ، أخلى له الحمام فى تلك الليلة ، وكان قد بلغه كافة أفعاله بالمنوفية من العسف والتكاليف ، وكذا باقى إخوانه وأفعالهم بالأقاليم ، فكان مسامرتهم معه تلك الليلة فى ذكر العدالة الموجبة لعمار البلاد ، ويقول لسليمان بيك فى التمثيل : « الإنسان الذى يكون له ماشية يقتات هو وعياله من لبنها وسمنها وجبنها ، يلزمه أن يرفق بها فى العلف حتى تُدِرّ ، وتسمن وتنتج له النتاج ، بخلاف ما إذا أجاعها وأجحفها وأتعبها وأشقاها وأضعفها ، حتى إذا ذبحها لايجد بها لحما ولا دهنا » ، فقال : « هذا ما اعتدناه وربينا عليه » ، فقال : « إن أعطانى الله سيادة مصر والإمارة فى هذا القطر ، لأمنعن هذه الوقائع ، وأجرى فيه العدل ليكثر خيره وتعمر بلاده ، وترتاح أهله ، ويكون أحسن بلاد الله » ، ولكن الإقليم المصرى ليس له بخت ولاسعد ، وأهله تراهم مختلفين فى الأجناس متنافرى القلوب منحرفى الطباع ، فلم يمض على هذا الكلام إلاّ بقية الليل وساعات من النهار حتى أحاطوا به وفر هاربا ونجا بنفسه ، وجرى ما تقدم ذكره من اختفائه وظهوره ، وانتقاله إلى الجهة القبلية ، واجتماع الجيوش عليه ، وحكمت عليه الصورة التى ظهر فيها وحصل له ما حصل .

وأخبرنى من اجتمع عليه فى البحيرة وسامره ، فقال : « يا فلان والله يخيل لى أن أقتل نفسى ، ولكن لاتهون علىّ ، وقد صرت الآن واحدا بين ألوف من الأعداء ، وهؤلاء قومى وعشيرتى فعلوا بى ما فعلوا وتجنبونى وعادونى من غير جرم ولاذنب سبق منى فى حقهم ، وأشقونى وأشقوا أنفسهم ، وملّكوا البلاد لأعدائى وأعدائهم ، وسعيت واجتهدت فى مرضاتهم ومصالحتهم ، والنصح لهم ، فلم يزدهم ذلك إلاّ نفورا وتباعدا عنى ، ثم هذه الجنود ورئيسهم الذين ولجوا البلاد وذاقوا حلاوتها وشبعوا بعد جوعهم ، وترفهوا بعد ذلهم ، يجيشون علىّ ويحاربونى ويكيدونى ويقاتلونى ، ثم إنّ هؤلاء العربان المجتمعين علىّ أصانعهم وأسوسهم وأغاضبهم وأراضيهم ، وكذلك جندى ومماليكى ، وكل منهم يطلب منى رياسة وإمارة ، ويظنون بغفلتهم أنّ البلاد تحت حكمى ، ويظنون أنى مقصر فى حقهم ، فتارة أعاملهم باللطف ، وتارة أزجرهم بالعنف ، فأنا بين الكل مثل الفريسة ، والجميع حولى مثل الكلاب الجياع يريدون نهشى وأكلى ، وليس بيدى كنوز قارون فأنفق على هؤلاء الجموع منها ، فيضطرنى الحال إلى التعدى على عباد الله وأخذ أموالهم وأكل مزارعهم ومواشيهم ، فإن قدر الله لى بالظفر عوضت عليهم ذلك ، ورفقت بحالهم ، وإن كانت الأخرى فالله يلطف بنا وبهم ، ولابدّ أنْ يترحموا علينا ، ويسترضوا عن ظلمنا وجورنا بالنسبة لما يحل بهم بعدنا » .

وبالجملة ، فكان آخر من أدركنا من الأمراء المصريين شهامة وصرامة ونظرا فى عواقب الأمور ، وكان وحيدا فى نفسه ، فريدا فى أبناء جنسه ، وبموته اضمحلت دولتهم ، وتفرقت جمعيتهم ، وانكسرت شوكتهم ، وزادت نفرتهم ، وما زالوا فى نقص وإدبار ، وذلة وهوان وصغار ، ولم تقم لهم بعده راية ، وانقرضوا وطردوا إلى أقصى البلاد فى النهاية .

وأما مماليكه وصناجقه ، فإنهم تركوا نصيحته ، ونسوا وصيته ، وانضموا إلى عدوهم وصادقوه ، ولم يزل بهم حتى قتلهم وأبادهم عن آخرهم ، كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد .

وكانت صفة المترجم معتدل القامة ، أبيض اللون ، مشربا بحمرة ، جميل الصورة ، مدور اللحية ، أشقر الشعر ، قد وخطه الشيب ، مليح العينين ، مقرون الحاجبين ، معجبا بنفسه مترفها فى زيه وملبسه ، كثير الفكر كتوما لايبيح بسر ، ولا لأعز أحبابه ، إلا أنه لم يسعفه الدهر وجنى عليه بالقهر ، وخاب أمله ، وانقضى

أجله ، وخانه الزمان ، وذهب فى خبر كان ، ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة ، غفر الله له .

ومات الأمير عثمان بيك البرديسى المرادى ، وسمى البرديسى ، لأنه تولى كشوفية برديس بقبلى ، فعرف بذلك واشتهر به ، تقلد الإمرية والصنجقية فى سنة عشر ومائتين وألف[1] ، وتزوّج ببنت أحمد كتخدا على ، وهى أخت على كاشف الشرقية ، وعمل لها مهما ، وذلك قبل أن يتقلد الصنجقية ، وسكن بدار على كتخدا الطويل بالأزبكية ، واشتهر ذكره ، وصار معدودا من جملة الأمراء ، ولما قتل عثمان بيك البرديسى المرادى بساحل أبو قير ، ورجع من رجع إلى قبلى ، كان الألفى هو المتعين بالرياسة على المرادية .

فلما سافر الألفى إلى بلاد الإنكليز ، تعين المترجم بالرياسة على خشداشينه مع مشاركة يشتك بيك الذى عرف بالألفى الصغير ، فلما حضروا إلى مصر فى سنة ثمان عشرة[2] بعد خروج محمد باشا خسرو ، وقتل طاهر باشا انضم إليه محمد على باشا ، وكان إذ ذاك سر ششمة العساكر ، وتواخى معه وصادقه ، ورمح فى ميدان غفلته ، وتحالفا وتعاهدا وتعاقدا على المحبة والمصافاة ، وعدم خيانة أحدهما للآخر ، وأن يكون محمد على باشا وعساكره الأروام أتباعا له ، وهو الأمير المتبوع ، فانتفخ جأشه ، لأنه كان طائش العقل مقتبل الشبيبة ، فاغتر بظاهر محمد على باشا ، لأنه حين عمل شغله فى مخدومه محمد باشا ، وبعده طاهر باشا ، دعا الأمراء المصريين وأدخلهم إلى مصر ، وانتسب إلى إبراهيم بيك الكبير لكونه رئيس القوم ، وكبيرهم ، وعين لإبراهيم بيك خرجا وعلوفة مثل أتباعه وسبره واختبره ، فلم تَرُجْ سلعته عليه ، ووجده محرصا على دوام التراحم والألفة والمحبة ، وعدم التفاشل فى عشيرته وأبناء جنسه ، متحرزا من وقوع ما يوجب التقاطع والتنافر فى قبيلته ، فلما أيس منه مال عنه وانضم إلى المترجم ، واستخفه واحتوى على عقله وصاحبه وصادقه وصار يختلى معه ويتعاقر معه الشراب ، ويسامره ويسايره حتى باح له بما فى ضميره من الحقد لإخوانه ، وتطلب الانفراد بالرياسة ، فصار يقوّى عزمه ويزيد فى إغرائه ، ويوعده بالمعاونة والمساعدة على إتمام قصده ، ولم يزل به حتى رسخ فى ذهن المترجم نصحه وصدقه ، كل ذلك توصلا لما هو كامن فى نفسه من إهلاك الجميع ، ثم أشار عليه ببناء أبراج حول داره التى سكن بها بالناصرية ،

---

(١) ١٢١٠ هـ / ١٨ يونيه ١٧٩٥ - ٦ يونية ١٧٩٦ م .

(٢) ١٢١٨ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٣ - ١٢ أبريل ١٨٠٤ م .

فلما أتمها أسكن بها طائفة من عساكره ، كأنهم محافظون لما عساه أن يكون ، ثم سار معه إلى حرب محمد باشا خسرو بدمياط ، فحاربوه وأتوا به أسيرا وحبسوه ، ثم فعلوا بالسيد على القبطان مثل ذلك ، ثم كائنة على باشا الطرابلسى وقتله ، وقد تقدم خبر ذلك كله ، وجميعه ينسب فعله للمصريين ، ولم يبق إلا الإيقاع بينهم فكان وصول الألفى عقب ذلك فأوقعوا به وبجنده ما تقدم ذكره ، وتفاشلوا وتفرقوا بعد جمعهم ، وقلوا بعد الكثرة ، ثم أشار على المترجم المصادق الناصح بتفريق أكثر الجمع الباقى فى النواحى والجهات ، البعض منهم لرصد الألفى والقبض عليه ، وعلى جنده ، والبعض الآخر لظلم الفلاحين فى البلاد ، ولم يبق بالمدينة غير المترجم وإبراهيم بيك الكبير وبعض أمراء ، فعند ذلك سلط محمد على العساكر بطلب علائفهم المنكسرة ، فعجزوا عنها ، فأراد المترجم أن يفرض على فقراء البلدة فرضة بعد أن استشار الأخ النصوح ، وطافت الكتاب فى الحارات والأزقة يكتبون أسماء الناس ودورهم ، ففزعوا وصرخوا فى وجوه العسكر ، فقالوا : « نحن ليس لنا عندكم شىء ، ولانرضى بذلك، وعلائفنا عند أمرائكم، ونحن مساعدون لكم » ، فعند ذلك قاموا على ساق ، وخرجت نساء الحارات وبأيديهم الدفوف يغنون ، ويقولون : « إيش تأخذ من تفليسى يا برديسى » ، وصاروا يسخطون على المصريين ويترضون عن العسكر ، وفى الحال أحاطت العسكر ببيوت الأمراء ، ولم يشعر البرديسى إلا والعسكر الذين أقامهم بالأبراج التى بناها حوله ليكونوا له عزا ومنعة يضربون عليه ، ويحاربونه ويريدون قتله ، وتسلقوا عليه ، فلم يسع الجميع إلا الهروب والفرار ، وخرجوا خروج الضب من الوجار ، وذهب المترجم إلى الصعيد مذؤوما مدحوراً مذموما مطرودا ، وجوزى مجازاة من ينتصر بعدوه ويعول عليه ، ويقص أجنحته برجليه ، وكالباحث على حتفه بظلفه ، والجادع بظفره مارن أنفه ، ولم يزل فى هجاج وحروب كما سطر فى السياق ، ولم ينتصر فى معركة ، ولم يزل مصرا على معاداة أخيه الألفى وحاقدا عليه وعلى أتباعه ، محرصا على زلاته وأعظمها قضية القبودان وموسى باشا إلى غير ذلك ، وكان ظالما غشوما طائشا سئ التدبير ، وقد أوجده الله جل جلاله ، وجعله سببا لزوال عزهم ودولتهم ، واختلال أمرهم وخراب دورهم وهتك أعراضهم ومذلتهم ، وتشتيت جمعهم ، ولم يزل على خبثه حتى مرض ومات بمنفلوط ، ودفن هناك .

ومات ، الأمير بشتك بيك وهو الملقب بالألفى الصغير ، وهو مملوك محمد بيك الألفى الكبير ، أمّره وجعله وكيلا عنه مدة غيابه فى بلاد الإنكليز ، وكان قبل ذلك

سلحداره ، وأمّر كشافه ومماليكه وجنده بطاعته وامتثال أمره ، فلما حضر الأمراء المصريون فى سنة ثمانية عشر[1] ، أقام هو بقصر مراد بيك بالجيزة ، فلم يحسن السياسة ، وداخله الغرور ، وأعجب بنفسه ، وشمخ على نظرائه وعلى أعمامه الذين هم خشداشون لأستاذه ، بل وعلى إبراهيم بيك الكبير الذى هو بمنزلة جده ، وكان مراد بيك الذى هو أستاذ أستاذه يراعى حقه ، ويتأدب معه ، ويقبل يده فى مثل الأعياد ، ويقول : « هو أميرنا وكبيرنا » ، وكذلك أستاذ المترجم كان إذا دخل على إبراهيم بيك قبل يده ولايجلس بحضرته إلا بعد أن يأذن له ، فلم يقتف المترجم فى ذلك أسلافه ، بل سلك مسلك التعاظم والتكبر على الجميع ، واستعمل العسف فى أموره مع الترفع على الجميع ، وإذا عقدوا أمرا بدونه حله ، أو حلوا شيئًا بدونه عقده ، فضاق لذلك خناق الجميع منه ، وكرهوه وكرهوا أستاذه ، وكان هو من جملة أسباب نفورهم من أستاذه وانحراف قلوبهم عنه ، فلما رجع أستاذه وظهر من اختفائه ، وبلغه أفعاله مقته وأبعده ، ولم يزل ممقوتا عنده حتى مات مبطونا فى حياة أستاذه بناحية قبلى فى تلك السنة [2] .

ومات ، غير هؤلاء ممن له ذكر مثل سليمان بيك المعروف بأبو دياب بناحية قبلى أيضًا .

ومات ، أيضًا أحمد بيك المعروف بالهنداوى الألفى فى واقعة النجيلة .

ومات ، أيضًا صالح بيك الألفى ، وهو أيضًا ممن تأمر فى غياب أستاذه ، وعند حضور أستاذه من بلاد الإنكليز ، كان هو متوليا كشوفية الشرقية ، وغائبا هناك ، فأرسلوا له تجريدة ليقتلوه ، وكان بناحية شلشلمون [3] ، فوصله الخبر فترك خيامه وأحماله وأثقاله وهرب واختفى ، فلما وقعت حادثة الأمراء مع العسكر ، وخرجوا من مصر هاربين ، وظهر الألفى من الوادى ، ذهب إليه وأمده بما معه من الأموال ، وذهب مع أستاذه إلى قبلى ، ولم يزل حتى مات أيضًا فى هذه السنة [4] ، وغير أولئك كثير لم تحضرنى أسماؤهم ولا وفاتهم .

---

(١) ١٢١٨ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٣ - ١٢ أبريل ١٨٠٤ .

(٢) ١٢٢١ هـ / ٢١ مارس ١٨٠٦ - ١٠ مارس ١٨٠٧ م .

(٣) شلشلمون : قرية قديمة ، اسمها الأصلى « شنشلمون » ، وردت باسمها الحالى فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣م ، كانت مقسمة إلى أربعة كفور : كفر محمد عليوه ، كفر عزب غزالة ، كفر محمد سحيم ، كفر حسين إبراهيم ، وفى ١٨٨٦ م ، ألغى هذا التقسيم ، وأصبحت شلشلمون ناحية واحدة ، وهى إحدى قرى مركز منيا القمح ، محافظة الشرقية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(٤) ١٢٢١ هـ / ٢١ مارس ١٨٠٦ - ١٠ مارس ١٨٠٧ م .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف[١]

وكان ابتداء المحرم يوم الأربعاء [٢] ، فيه ، وصل القابجى الذى على يده التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر وطلع إلى بولاق .

وفيه [٣] ، وردت مكاتبات من الجهة القبلية ، فيها أنهم كبسوا على عرضى الألفية وصحبتهم سليمان بيك البوّاب ، وحاربوهم وهزموهم ونهبوا حملاتهم ، وقطعوا منهم عدة رؤوس ، وهى واصلة فى طريق البحر ، وصادفت هذه البشارة مع بشارة ورود القابجى ووصوله ، فعمل لذلك شنك ، وضربت لذلك مدافع كثيرة من القلعة فى كل وقت من الأوقات الخمسة ثلاثة أيام ، آخرها الجمعة [٤] ، ثم إنه مضى عدة أيام ولم تحضر الرؤوس التى أخبروا عنها ، واختلفت الروايات فى ذلك .

وفى يوم الثلاثاء سابعه[٥] ، عملوا جمعية ببيت القاضى حضرها المشايخ والأعيان ، وذكروا أنه لما وردت الأوامر بتحصين الثغور ، فأرسل الباشا سليمان أغا ومعه طائفة من العسكر ، وأرسل إلى أهالى الثغور والمحافظين عليها مكاتبات ، بأنهم إنْ كانوا يحتاجون إلى عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين أرسلهم ، فأجابوا بأنَّ فيهم الكفاية ولا يحتاجون إلى عساكر زيادة تأتيهم من مصر ، فإنهم إذا كثروا فى البلد تأتى منهم الفساد والإفساد فعملوا هذه الجمعية لإثبات هذا القول ، ولخلاص عهدة الباشا ، لئلا يتوجه عليه اللوم من السلطنة ، وينسب إليه التفريط .

وفى تاسعه ، وردت مكاتبات مع السعاة من ثغر سكندرية ، وذلك يوم الخميس[٦] ، وقت العصر ، وفيها الإخبار بورود مراكب الإنكليز وعدتهم اثنان وأربعون مركبا ، فيهم عشرون قطعة كبارا ، والباقى صغار ، فطلبوا الحاكم والقنصل وتكلموا معهم ، وطلبوا الطلوع إلى الثغر ، فقالوا لهم : « لانمكنكم من الطلوع إلاَّ بمرسوم سلطانى » ، فقالوا : « لم يكن معنا مراسيم ، وإنما مجيئنا لمحافظة الثغر من الفرنسيس ، فإنهم ربما طرقوا البلاد على حين غفلة ، وقد أحضرنا صحبتنا خمسة آلاف من العسكر ، نقيمهم بالأبراج لحفظ البلدة والقلعة والثغر » ، فقالوا لهم : « لم يكن معنا إذن وقد أتتنا مراسيم بمنع كل من وصل عن الطلوع من أى

---

(١) ١٢٢٢ هـ / ١١ مارس ١٨٠٧ - ٢٧ فبراير ١٨٠٨ م .

(٢) ١ محرم ١٢٢٢ هـ / ١١ مارس ١٨٠٧ م .

(٣) ١ محرم ١٢٢٢ هـ / ١١ مارس ١٨٠٧ م .

(٤) ٣ محرم ١٢٢٢ هـ / ١٣ مارس ١٨٠٧ م .

(٥) ٧ محرم ١٢٢٢ هـ / ١٧ مارس ١٨٠٧ م .

(٦) ٩ محرم ١٢٢٢ هـ / ١٩ مارس ١٨٠٧ م .

جنس كان » ، فقالوا : « لابد من ذلك ، فإما أن تسمحوا لنا فى الطلوع بالرضا والتسليم ، وإما بالقهر والحرب ، والمهلة فى رد الجواب بأحد الأمرين أربعة وعشرون ساعة ، ثم تندموا على الممانعة » ، فكتبوا بذلك إلى مصر ، فلما وصلت تلك المكاتبات اجتمع كتخدا بيك وحسن باشا ويونابارته الخازندار ، وطاهر باشا ، والدفتردار ، والروزنامجى ، وباقى أعيانهم ، وذلك بعد الغروب ، وتشاوروا فى ذلك ، ثم أجمع رأيهم على إرسال الخبر بذلك إلى محمد على باشا ، ويطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ، ليستعدوا لما هو أولى وأحق بالاهتمام ، ففعلوا ذلك وانصرفوا إلى منازلهم بعد حصة من الليل ، وأرسلوا تلك المكاتبة إليه فى صبح يوم الجمعة [1] ، صحبة هجانين ، وشاع الخبر وكثر لغط الناس فى ذلك .

ولما انقضت الأربعة وعشرون ساعة التى جعلها الإنكليز أجلا بينهم وبين أهل الإسكندرية ، وهم فى الممانعة ، ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر ، فهدموا جانبا من البرج الكبير ، وكذلك الأبراج الصغار والسور ، فعند ذلك طلبوا الأمان ، فرفعوا عنهم الضرب ، ودخلوا البلدة وذلك يوم الجمعة [2] التالى .

وفى ليلة الإثنين ثالث عشره [3] ، وردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر ، على سبيل الإجمال من غير معرفة حقيقة الحال ، بل بالعلم بأنهم طلعوا إلى الثغر ، ودخلوا البلدة ، وعدم علمهم بالكيفية ، وتغيب الحال ، واشتبه الأمر .

وفيه [4] ، حضر قنصل الفرنساوية إلى مصر ، وكان بالإسكندرية ، فلما وردت مراكب الإنكليز انتقل إلى رشيد ، فلما بلغه طلوعهم إلى البر حضر إلى مصر ، وذكر أنَّه يريد السفر إلى الشام ، هو وباقى الفرنساوية القاطنين بمصر .

وفى ليلة الخميس سادس عشره [5] ، وردت مكاتبة من الباشا يذكر أنَّه تحارب مع المصريين وظهر عليهم وأخذ منهم أسيوط ، وقبض على أنفار منهم ، وقتل فى المعركة كثير من كشافهم ومماليكهم ، فعملوا فى ذلك اليوم شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية ، ثلاثة أيام فى الأوقات الخمسة ، آخرها السبت [6] ، وأشاعوا أيضًا أنَّ الإسكندرية ممتنعة على الإنكليز ، وأنَّهم طلعوا إلى رأس التين والعجمى ، فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر وحاربوهم وأجلوهم عن البر ، ونزلوا إلى المراكب

---

(١) ١٠ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٠ مارس ١٨٠٧ م .
(٢) ١٧ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٧ مارس ١٨٠٧ م .
(٣) ١٣ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٣ مارس ١٨٠٧ م .
(٤) ١٣ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٣ مارس ١٨٠٧ م .
(٥) ١٦ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٦ مارس ١٨٠٧ م .
(٦) ١٨ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٧ م .

مهزومين ، وحرقوا منهم مركبين ، وأنّه وصل إليهم عمارة العثمانيين والفرنساوية وحاربوهم فى البحر ، وأحرقوا مراكبهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ولم يبق منهم إلا القليل ، واستمر الأمر فى هذا الخلط القبلى والبحرى عدة أيام ، ولم يأت من الإسكندرية سعاة ولا خبر صحيح .

وفيه [1] ، وصل الكثير من أهالى الفيوم ، ودخلوا إلى مصر ، وهم فى أسوأ حال من الشتات والعرى مما فعل بهم ياسين بيك ، فخرجوا على وجوههم ، وجلوا عن أوطانهم ، ولم يمكنهم الخروج من بلادهم حتى ارتحل عنهم المذكور ، يريد الحضور إلى ناحية مصر ، عندما بلغه خبر حضور الإنكليز إلى ثغر سكندرية .

وفى سابع عشره [2] ، وصل ياسين بيك المذكور إلى ناحية دهشور [3] ، وأرسل مكاتبة خطابا للسيد عمر والقاضى وسعيد أغا ، يذكر فيها أنّه لما بلغه وصول الإنكليز أخذته الحمية الإسلامية ، وحضر وصحبته ستة آلاف من العسكر ليرابط بهم بالجيزة أو بقليوب ، ويجاهد فى سبيل الله ، فكتبوا له أجوبة مضمونها إنْ كان حضوره بقصد الجهاد ، فينبغى أن يتقدم بمن معه إلى الإسكندرية ، وإذا حصل له النصر تكون له اليد البيضاء والمنقبة والذكر والشهرة الباقية ، فإنه لافائدة بإقامته بالجيزة أو قليوب ، وخصوصا قليوب بالبر الشرقى ، وكان حسن باشا خرج بعرضيه فى موكب إلى ناحية الخلاء قبل ذلك بأيام ، ويرجع إلى داره آخر النهار ، فيبيت بها ثم يخرج فى الصباح ، وعساكره وأوباشه ينتشرون بتلك النواحى يعبثون ويخطفون متاع الناس ومبيعات الفلاحين وأهل بولاق ، وفى كل يوم يشيعون بأنه مسافر إلى جهة البحيرة لمحاربة الإنكليز ، فلما رد خبر مجئ ياسين بيك تأخر عن السفر ، وعملوا مشورة فاقتضى رأيهم أنَّ حسن باشا يعدى إلى البر الغربى ويقيم بالجيزة ، لئلا يأتى ياسين بيك ويملكها ، فعدى حسن باشا فى يوم الإثنين عشرينه [4] ، وأقام بها ، وأعرض عن السفر إلى جهة البحيرة .

وفيه [5] ، وردت الأخبار الصحيحة بأخذ الإسكندرية واستيلاء الإنكليز عليها يوم الخميس المتقدم تاسع الشهر [6] ، ودخلوها وملكوا الأبراج يوم الأحد صبيحة

---

(١) ١٦ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٦ مارس ١٨٠٧ م .
(٢) ١٧ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٧ مارس ١٨٠٧ م .
(٣) دهشور : قرية قديمة ، كان اسمها أقنطوس (Acanthus) ، ووردت فى المصادر العربية باسمها الحالى ، وهى إحدى قرى مركز العياط ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٤٣ - ٤٤ .
(٤) ٢٠ محرم ١٢٢٢ هـ / ٣٠ مارس ١٨٠٧ م .
(٥) ٢٠ محرم ١٢٢٢ هـ / ٣٠ مارس ١٨٠٧ م .
(٦) ٩ محرم ١٢٢٢ هـ / ١٩ مارس ١٨٠٧ م .

النهار [1] ، وسكن صارى عسكرهم بوكالة القنصل ، وشرطوا مع أهالى البلد شروطا منها : أنهم لايسكنون البيوت قهرا عن أصحابها بل بالمؤاجرة والتراضى ، ولايمتهنون المساجد ولايبطلون منها الشعائر الإسلامية ، وأعطوا أمين أغا الحاكم أمانا على نفسه وعلى من معه من العسكر ، وأذنوا لهم بالذهاب إلى أى محل أرادوه ، ومن كان له دين على الديوان يأخذ نصفه حالا والنصف الثانى مؤجلا ، ومن أراد السفر فى البحر من التجار وغيرهم فليسافر فى خفارتهم إلى أى جهة أراد ما عدا إسلامبول ، وأما الغرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها فمطلق السراح لاحرج ذهابا وإيابا ، ومن شروطهم التى شرطوها مع أهل البلد ، أنهم إن احتاجوا إلى قومانية أو مال لايكلفون أهل الإسكندرية بشيء من ذلك ، وأنّ محكمة الإسلام تكون مفتوحة تحكم بشرائعها ، ولا يكلفون أهل الإسلام بقيام دعوى عند الإنكليز بغير رضاهم ، والحمايات من أى بنديرة تكون مقبولة عند الإنكليز الموجودين فى الإسكندرية ، ويقيمون مأمونين رعاية لخاطر أهل الإسكندرية ، ولم يحصل لهم شيء من المكروه من كامل الوجوه حتى الفرنساوية والجمارك من كل الجهات على كل مائة اثنان ونصف ، وعلى ذلك انتهت الشروط ، وليعلم أن هذه الطائفة من الإنكليز ومن انضم إليهم وعدتهم على ما قيل ستة آلاف لم تأت إلى الثغر طمعا فى أخذ مصر ، بل كان ورودهم ومجيئهم مساعدة ومعاونة للألفى على أخصامه باستدعائه لهم واستنجاده بهم قبل تاريخه ، وسبب تأخرهم فى المجئ لما بينهم وبين العثمانى من الصلح ، فلا يتعدون على ممالكه من غير إذنه لمحافظتهم على القوانين ، فلما وقعت الغرة بينهم وبينه بما تقدم ، فعند ذلك انتهزوا الفرصة وأرسلوا هذه الطائفة ، وكان الألفى ينتظر حضورهم بالبحيرة ، فلما طال عليه الانتظار ، وضاقت عليه البحيرة ، ارتحل بجيوشه مقبلا ، وقضى الله موته بإقليم الجيزة ، وحضر الإنكليز بعد ذلك إلى الإسكندرية فوجدوه قد مات ، فلم يسعهم الرجوع ، فأرسلوا إلى الأمراء القبليين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوّهم ، ويقولون لهم : « إنما جئنا إلى بلادكم باستدعاء الألفى لمساعدته ومساعدتكم ، فوجدنا الألفى قد مات ، وهو شخص واحد منكم ، وأنتم جمع فلا يكون عندكم تأخير فى الحضور لقضاء شغلكم ، فإنكم لاتجدون فرصة بعد هذه ، وتندمون بعد ذلك أن تلكأتم » .

فلما وصلتهم مراسلة الإنكليز تفرق رأيهم ، وكان عثمان بيك حسن منعزلا عنهم ، وهو يدعى الورع ، وعنده جيش كبير فأرسلوا إليه يستدعونه ، فقال : « أنا

---

(١) ١٢ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢٢ مارس ١٨٠٧ م .

مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت فى الفرنساوية ، والآن أختم عملى وألتجئ إلى الإفرنج وانتصر بهم على المسلمين ، أنا لا أفعل ذلك » ، وعثمان بيك يوسف كان بناحية الهو [1] ، وكان الباشا يحارب الذين بناحية أسيوط ، وهم المرادية والإبراهيمية والألفى ، والتقى معهم وانكسروا منه ، وقتل منهم أشخاصا .

فلما ورد عليه خبر الإنكليز انفعل لذلك ، وداخله وهم كبير ، وأرسل إليهم المشايخ وخلافهم ، يطلبهم للصلح ، وكان ما سيتلى عليك قريبًا ، وما كان إلا ما أراده المولى جل جلاله من تعسة الإنكليز والقطر وأهله إلا أن يشاء الله .

وفيه [2] ، وصل مكتوب من محمد على باشا بطلب مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى، ليرسلهم إلى الأمراء القبالى فتراخوا فى الذهاب، لكونهم وجدوا تاريخ المكتوب حادى عشر الشهر [3] ، فعلموا أنَّ ذلك قبل تحقق خبر الإنكليز .

ثم ورد ، منه مكتوب آخر يذكر فيه عزمه على الرجوع إلى مصر قريبا ، فإن العساكر يطالبونه بالعلائف ، ويأمرهم فيه بتحصيل ذلك ، وتنظيمه ليستلموها عند حصولهم بمصر ، ويتجهزوا لمحاربة الإنكليز .

وفى ثالث عشرينه [4] ، ورد مكتوب من أهالى دمنهور خطابا إلى السيد عمر النقيب مضمونه : « أنه لما دخلت المراكب الإنكليزية إلى سكندرية ، هرب من كان بها من العساكر ، وحضروا إلى دمنهور ، فعندما شاهدهم الكاشف الكائن بدمنهور ومن معه من العسكر انزعجوا انزعاجا شديدًا ، وعزموا على الخروج من دمنهور » ، فخاطبهم أكابر الناحية ، قائلين لهم : « كيف تتركونا وتذهبوا ، ولم تروا منا خلافا، وقد كنا فيما تقدم من حروب الألفى من أعظم المساعدين لكم ، فكيف لانساعد الآن بعضنا بعضا فى حروب الإنكليز » ، فلم يستمعوا لقولهم لشدة ما داخلهم من الخوف ، وعبوا متاعهم ، وأخرج الكاشف أثقاله وجبخانته ومدافعه وتركها وعدى وذهب إلى فوّة من ليلته ثم أرسل فى ثانى يوم [5] مَن أخذ الأثقال، فهذا ما حصل أخبرناكم به ، وأما بونابارته الخازندار الذى سافر لحرب الإنكليز ، فإنه نزل على القليوبية، وفعل ما أمكنه ، وقدر عليه بالبلاد من السلب

---

(١) الهو : وصحة الاسم « هو » مدينة قديمة ، اسمها القبطى (Hou) ، وهى إحدى نواحى مركز نجع حمادى ، محافظة قنا .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٩٩ .

(٢) ٢٠ محرم ١٢٢٢ هـ / ٣٠ مارس ١٨٠٧ م . (٣) ١١ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢١ مارس ١٨٠٧ م .

(٤) ٢٣ محرم ١٢٢٢ هـ / ٢ أبريل ١٨٠٧ م . (٥) ٢٤ محرم ١٢٢٢ هـ / ٣ أبريل ١٨٠٧ م .

والنهب والجور والكلف والتساويف حتى وصل إلى المنوفية ، وكذلك طاهر باشا الذى سافر فى أثره وإسماعيل كاشف المعروف بالطوبجى ، فرض على البلاد جمالا وخيولا وأبقارا وغير ذلك ، ومن جملة أفاعيلهم أنَّهم يوزعون الأغنام المنهوبة على البلاد ، ويلزمونهم بعلفها وكلفها ، ثم يطلبون أثمانها مضاعفة بما يضاف إلى ذلك من حق طرق المعينين وأمثال ذلك .

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه [1] ، وردت أخبار من ثغر رشيد يذكرون بأن طائفة من الإنكليز وصلت إلى رشيد فى صبح يوم الثلاثاء حادى عشرينه [2] ، ودخلوا إلى البلد ، وكان أهل البلدة ومن معهم من العساكر متنبهين ومستعدين بالأزقة والعطف وطيقان البيوت ، فلما حصلوا بداخل البلدة ضربوا عليهم من كل ناحية ، فألقوا ما بأيديهم من الأسلحة وطلبوا الأمان ، فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا منهم جملة كثيرة ، وأسروا الباقين ، وفر طائفة إلى ناحية دمنهور ، وكان كاشفها عندما بلغه ما حصل برشيد اطمأن خاطره ، ورجع إلى ناحية ديبى [3] ، ومحلة الأمير [4] ، وطلع بمن معه إلى البر فصادف تلك الشرذمة فقتل بعضهم ، وأخذ ما بقى منهم أسرى ، وأرسلوا السعاة إلى مصر بالبشارة ، فضربوا مدافع وعملوا شنكا ، وخلع كتخدا بيك على السعاة الواصلين ، وأسرعت المبشرون من أتباع العثمانيين ، وهم القواسة الأتراك بالسعى إلى بيوت الأعيان يبشرونهم ، ويأخذون منهم البقاشيش والخلع ، وصار الناس ما بين مصدق ومكذب .

فلما كان يوم الأحد سادس عشرينه [5] ، أشيع وصول رؤوس القتلى ومن معهم من الأسرى إلى بولاق ، فهرع الناس بالذهاب للفرجة ، ووصل الكثير منهم إلى ساحل بولاق ، وركب أيضًا كبار العسكر ومعهم طوائفهم لملاقاتهم ، فطلعوا بهم إلى البر ، وصحبتهم جماعة العسكر المتسفرين معهم ، فأتوا بهم من خارج مصر ، ودخلوا بهم من باب النصر ، وشقوا بهم من وسط المدينة ، وفيهم فسيال كبير وآخر

---

(1) ٢٤ محرم ١٢٢٢ هـ / ٣ أبريل ١٨٠٧ م . (2) ٢١ محرم ١٢٢٢ هـ / ٣١ مارس ١٨٠٧ م .

(3) ديبى : قرية قديمة ، اسمها القديم (Db أو Dbi) ، وردت باسمها الحالى فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وهى إحدى قرى مركز رشيد محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .

(4) محلة الأمير : قرية قديمة ، كانت تابعة لمركز العطف ، فلما أنشئ مركز رشيد فى أول ١٨٩٦ م ، ألحقت به ، وهى إحدى قرى مركز رشيد ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .

(5) ٢٦ محرم ١٢٢٢ هـ / ٥ أبريل ١٨٠٧ م .

كبيـر فى السن ، وهـما راكبان علـى حمارين ، والـبقية مشـاة فى وسط العـسكر ، ورؤوس القتلـى معهم على نبـابيت ، وقد تغيرت وأنـتنت رائحتها ، وعدتـهم أربعة عشر رأسا ، والأحيـاء خمسة وعشرون ، ولم يزالـوا سائرين بهم إلى بركـة الأزبكية وضربوا عند وصولهم شنكا ومدافع، وطلعوا بالأحياء مع فسيالهم إلى القلعة .

وفيه [1] ، نبَّه السيد عمر الـنقيب على الناس ، وأمرهم بحمـل السلاح والتأهب للجهاد فى الإنكليز حتى مـجاورى الأزهر ، وأمرهم بترك حضور الدروس ، وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك إلقاء الدروس .

وفيه [2] ، وصـل عابـدين بيك وعمر بيـك وأحمـد أغا لاظ أوغلى مـن ناحية قبلى ، وأشيع وصول الباشا بعد يومين .

وفى يوم الإثنين [3] ، وصل أيـضًا جملة مـن الرؤوس والأسرى إلـى بولاق ، فطلعوا بهم على الرسم المذكور ، وعدتهم مائة رأس وإحدى وعشرون رأسا ، وثلاثة عشر أسيرا ، وفيـهم جرحى ، ومات أحدهم على بولاق ، فقطـعوا رأسه ورشقوها مع الرؤوس ، وشقوا بهم من وسط المدينة آخر النهار .

وفى يوم الـثلاثاء [4] ، حَصلت جـمعية ببيـت القاضى ، وحضر حـسن باشا ، وعمر بيك ، والدفتردار ، وكتخدا بيك ، والسيد عمر النقيب ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ الأمير ، وباقى المشايخ ، فتكلموا فى شأن حادثة الإنكليز والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم ، فـإنهم أعداء الدين والملة ، وقد صاروا أيضًا أخصـاما للسلطان ، فيجب على المسلمين دفعهم ، ويجب أيـضًا أن يكون الناس والعسكر على حال الألفة والشفقة والاتحـاد ، وأن تمتنع العساكر عن الـتعرض للناس بالإيذاء كمـا هو شأنهم ، وأن يساعدوا بعضهم بعضا على دفع الـعدوّ ، ثم تشاوروا فى تحصين المدينة ، وحفر خنادق ، فقال بعضهم : « إنَّ الإنكليز لايأتون إلا من البر الغربى ، والنيل حاجز بين الفريقين ، وأن الـفرنساوية كانوا أعلـم بأمر الحروب ، وأنهم لم يحـفروا إلا الخندق المتصل من الباب الحديد إلى البر ، فينبغـى الاعتناء بإصلاحه ، ولو لم يكن كوضعهم وإتقانهم ، إذ لايمكن فعل ذلك » ، واتفقوا على ذلك .

وفيه [5] ، حضر مكتوب مـن ثغر رشيد ، عليه إمضاء على بـيك حاكم رشيد ،

---

(1) ٢٦ محرم ١٢٢٢ هـ / ٥ أبريل ١٨٠٧ م .
(2) ٢٦ محرم ١٢٢٢ هـ / ٥ أبريل ١٨٠٧ م .
(3) ٢٧ محرم ١٢٢٢ هـ / ٦ أبريل ١٨٠٧ م .
(4) ٢٨ محرم ١٢٢٢ هـ / ٧ أبريل ١٨٠٧ م .
(5) ٢٨ محرم ١٢٢٢ هـ / ٧ أبريل ١٨٠٧ م .

وأحمد بيك المعروف ببونابارته ، مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشرينه[1] ، يذكرون فيه أنَّ الإنكليز لما حضـروا إلى رشيد ، وحصل لهم ما حصل من الـقتل والأسر ، ورجعوا خائبين حصـل لباقيهم غيظ عظـيم ، وهم شارعون فى الاستعداد لـلعود والمحاربة ، والقصد أن تـسعفونا وتمدونـا بإرسال الرجال والمحاربين والأسـلحة والجبخانـة بسرعة وعجلة وإلا فلا لوم علـينا بعد ذلك ، وقد أخبرناكم وعرفناكـم بذلك ، فأرسلوا فى ذلك اليـوم عدة من المقاتلـين ، وكتبوا مكاتـبات إلى البلاد والـعربان الكائنـين ببلاد البحيرة يدعونـهم للمحاربة والمجاهـدة ، وكذلـك أرسلوا فى ثانى يوم [2] عدة من العسكر .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه [3] ، ركب السيد عمر النـقيب والقاضى والأعيان المتقدم ذكـرهم ، ونزلوا إلى ناحـية بولاق لترتيب أمـر الخندق المذكور ، وصحـبتهم قنصل الفرنساوية ، وهو الذى أشار عليهم بذلك ، وصحبتهم الجمع الكثير من الناس والأتباع والكل بالأسلحة .

وفيه [4] ، وصل المشـايخ الثلاثة الـذين كانوا ذهبوا لإجـراء الصلح بين الـباشا والأمراء القبالى ، وذهـبوا إلى دورهم ، وكان من خبرهم أنَّهم لما وصـلوا إلى الباشا بناحية ملوى [5] ، استأذنـوه فى الذهاب فـيما أتوا بسـببه من الـسعى فى الـصلح ، فاستـمهلهم وتـركهم بناحيـة ملوى ، واستعـد وذهب إلى أسيوط ، وأودع الجـماعة بمنفلوط [6] ، وتلاقى مع الأمراء وحاربهم وظهر علـيهم ، وقتل من الأمراء فى تلك المعركـة سليمان بيـك المرادى المعروف بريّحـه بتشديد الـياء ، وسليمان بـيك الأغا ، ورجع الأمراء القبالى إلى ناحية بحرى ، فعند ذلك حضر المشايخ وكتب مكاتبات إلى الأمراء وأرسلها صحبة المشايخ المذكورين إلـى الأمراء ، وكانوا بالجانب الغربى بناحية ملوى ، فتفاوضوا معـهم فيما أتوا بسببه من أمر الصلـح مع الباشا وكف الحروب ، فقالوا : « كم من مرة يراسلنا فى الصلح ، ثم يغدر بنا ويحاربنا » ، فاحتجوا عليهم بمَا لقنـه لهم من مخالـفتهم لأكثر الـشروط التى كان اشتـرطها عليهـم ، من إرسال الأموال الميرية والغلال ، وتعديهم على الحـدود التى يحددها معهم فى الشروط ، ثم إنَّهم اختلوا مع بعضهم ، وتشاوروا فيما بينـهم، وكان عثمان بيك حسن منعزلا عنهم

---

(١) ٢٤ محرم ١٢٢٢ هـ / ٣ أبريل ١٨٠٧ م .
(٢) ٢٥ محرم ١٢٢٢ هـ / ٤ أبريل ١٨٠٧ م .
(٣) ٢٩ محرم ١٢٢٢ هـ / ٨ أبريل ١٨٠٧ م .
(٤) ٢٩ محرم ١٢٢٢ هـ / ٨ أبريل ١٨٠٧ م .
(٥) ملوى : انظر ، ص ٣٢ ، حاشية رقم (٤) .
(٦) منفلوط : انظر ، ص ٣٢ ، حاشية رقم (٣) .

بالبر الشرقى، ولم يكن معهم فى الحرب ولا فى غيره، وبعد انقضاء الحرب استعلى إلى جهة قبلى، وعثمان بيك يوسف كان أيضًا بناحية الهو والكوم الأحمر .

وفى أثناء ذلك ، ورد على الباشا خبر الإنكليز وأخذهم الإسكندرية ، وأرسلوا رسلهم إلى الأمراء القبالى فارتبك فى أمره ، وأرسل إلى المشايخ يستعجلهم فى إجراء الصلح وقبولهم كل ما اشترطوه على الباشا ، ولايخالفهم فى شىء يطلبوه أبدا ، ولما وصلتهم رسل الإنكليز اختلفت آراؤهم وأرسلوا إلى عثمان بيك حسن يخبروه ويستدعوه للحضور ، فامتنع وتورع ، وقال : « أنا لا أنتصر بالكفار » ، ووافقه على رأيه ذلك عثمان بيك يوسف ، واختلفت آراء باقى الجماعة ، وهم : إبراهيم بيك الكبير ، وشاهين بيك المرادى ، وشاهين بيك الألفى ، وباقى أمرائهم ، فاجتمعوا ثانيا بالمشايخ ، وقالوا لهم : « ما المراد بهذا الصلح » ، فقالوا : « المراد منه راحة الطرفين ، ورفع الحروب ، واجتماع الكلمة ، ولا يخفاكم أنَّ الإنكليز تخاصمت مع سلطان الإسلام ، وأغارت على ممالكه ، وطرقت ثغر سكندرية ودخلتها ، وقصدهم أخذ الإقليم المصرى ، كما فعل الفرنساوية » ، فقالوا : « إنَّهم أتوا باستدعاء الألفى لنصرتنا ومساعدتنا » ، فقالوا : « لا تصدقوا أقوالهم فى ذلك ، وإذا تملكوا البلاد لايبقوا على أحد من المسلمين ، وحالهم ليس كحال الفرنساوية ، فإن الفرنساوية لايتدينون بدين ، ويقولون بالحرية والتسوية ، وأما هؤلاء الإنكليز ، فإنهم نصارى على دينهم ولا تخفى عداوة الأديان ، ولايصح ولا ينبغى منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ، ولا الالتجاء إليهم ، ووعظوهم وذكروا لهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأنَّ الله هداهم فى طفوليتهم ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وقد نشأوا فى كفالة أسيادهم ، وتربوا فى حجور الفقهاء ، وبين أظهر العلماء ، وقرأوا القرآن ، وتعلموا الشرائع ، وقطعوا ما مضى من أعمارهم فى دين الإسلام ، وإقامة الصلوات والحج والجهاد ، ثم يفسدون أعمالهم آخر الأمر ويوادّون من حادّ الله ورسوله ، ويستعينون بهم على إخوانهم المسلمين ، ويملكونهم بلاد الإسلام يتحكمون فى أهلها ، فالعياذ بالله من ذلك » ، وكان بصحبة المشايخ مصطفى أفندى كتخدا قاضى العسكر يكلمهم باللغة التركية ، ويترجم لهم ذلك ، وهو فصيح مكلام ، فقالوا : « كل ما قلتموه وأبديتموه نعلمه ، ولو تحققنا الأمن والصدق من مرسلكم ما حصل منا خلاف ، ولحاربنا وقاتلنا بين يديه ، ولكنه غدار لايفى بعهد ولابوعد ، ولايبر فى يمين ، ولايصدق فى قول ، وقد تقدم أنَّه يصطلح معنا ، وفى أثر ذلك يأتى لحربنا ويقتلنا ، ويمنع عنا من يأتى إلينا باحتياجاتنا

من مصر ، ويعاقب على ذلك حتى من يأتى من الباعة والمتسببين إلى الناحية التى نحن فيها ، ولايخفاكم أنه لما أتى القبودان ، ومعه الأوامر بالرضا والعفو الكامل عنا، والأمر له بالخروج ، فلم يمتثل ، وأرسل إلينا وخدعنا وتحيل علينا بإرسال الهدايا ، وصدقناه واصطلحنا معه ، فلما تم له الأمر غدر بنا ، وما مراده بصلحنا إلا تأخرنا عن ذهابنا إلى الإنكليز ، فلا نذهب إليهم ولانستعين بهم ، وإن كان مراده يعطينا بلادا يصالحنا عليها ، فها هى البلاد بأيدينا ، وقد عمها الخراب باستمرار الحروب من الفريقين ، وقد تفرق شملنا وانهدمت دورنا ، ولم يبق لنا ما نأسف عليه، أو نتحمل المذلة من أجله ، وقد ماتت إخواننا ومماليكنا ، فنحن نستمر على ما نحن معه عليه حتى نموت عن آخرنا ، ويرتاح قلبه من جهتنا » ، فقال لهم الجماعة: « هذه المرة هى الأخرى ، وليس بعدها شر ولا حرب بل بعدها الصداقة والمصافاة ، ويعطيكم كل ما طلبتموه من بلاد وغيرها ، فلو طلبتم من الإسكندرية إلى أسوان [1] لايمنع ذلك ، بشرط أن تكونوا معنا بالمساعدة فى حرب الإنكليز ودفعهم عن البلاد ، وأيضًا تسيرون بأجمعكم من البر الغربى ، والباشا وعساكره من البر الشرقى ، وعند انقضاء أمر الإنكليز ورجوعكم إلى بر الجيزة ، ينعقد مجلس الصلح بحضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية وأكابر العسكر ، وإن شئتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الإنكليز ، ولا شر بعد ذلك أبدا ، فانخدعوا لذلك ، وكتبوا أجوبة ، ورجع بها مصطفى أفندى كتخدا القاضى ، وصحبته يحيى كاشف ، ثم رجع إليهم ثانيا ، وسار الفريقان إلى جهة مصر ، وحضر المشايخ وأخبروا بما حصل .

وفيه [2] ، شرعوا فى حفر الخندق المذكور ، ووزعوا حفره على : مياسير الناس وأهل الوكائل والخانات والتجار وأرباب الحرف والروزنامجى ، وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة ، وعلى البعض أجرة خمسين ، وعشرين ، وكذلك أهل بولاق ، ونصارى ديوان المكس ، والنصارى الأروام والشوام والأقباط ، واشتروا المقاطف والغلقان والفؤوس والنقزم وآلات الحفر ، وشرعوا فى بناء حائط مستدير أسفل تل قلعة السبتية .

وفى يوم الخميس غايته [3] ، ورد مكتوب من السيد حسن كريت نقيب الأشراف برشيد ، والمشار إليه بها ، يذكر فيه أن الإنكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد ، ورجعوا

---

(١) أسوان : مدينة قديمة ، اسمها المصرى (Soun أو Sounou) ، والرومى (Souni) ، واللاتينى (Syéne) والقبطى (Souna) ، وهى قاعدة محافظة أسوان .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) ٢٩ محرم ١٢٢٢ هـ / ٨ ابريل ١٨٠٧ م . (٣) غاية محرم ١٢٢٢ هـ / ٩ ابريل ١٨٠٧ م .

فى هزيمتهم إلى الإسكندرية ، استعدوا وحضروا إلى ناحية الحماد[1] ، قبلى رشيد ، ومعهم المدافع الهائلة والعدد ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر إلى الجبل عرضا ، وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه [2] ، فهذا ما حصل أخبرناكم به ، ونرجو الإسعاف والإمداد بالرجال والجبخانة والعدة والعدد، وعدم التأنى والإهمال ، فلما وصل ذلك الجواب قرأه السيد عمر النقيب على الناس ، وحثهم على التأهب والخروج للجهاد ، فامتثلوا ، ولبسوا الأسلحة وجمع إليه طائفة المغاربة ، وأتراك خان الخليلى ، وكثير من العدوية[3] ، والأسيوطية[4] ، وأولاد البلد ، وركب فى صبحها إلى كتخدا بيك واستأذنه فى الذهاب ، فلم يرض ، وقال : « حتى يأتى أفندينا الباشا ، ويرى رأيه فى ذلك » فسافر من سافر ، وبقى من بقى ، وانقضى الشهر وحوادثه .

وفيه [5] ، ورد الخبر بأن ركب الحاج الشامى رجع من منزلة هدية، ولم يحجج فى هذا العام ، وذلك أنه لما وصل إلى المنزلة المذكورة ، أرسل الوهابى إلى عبدالله باشا أمير الحاج ، يقول له : « لا تأت إلاَّ على الشرط الذى شرطناه عليك فى العام الماضى ، وهو أن يأتى بدون المحمل ، وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة ، وكل ما كان مخالفا للشرع » ، فلما سمعوا ذلك رجعوا من غير حج ، ولم يتركوا مناكيرهم .

واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢ [6]

فيه [7] ، كتبوا مراسلة إلى الأمراء القبالى وختم عليها كثير من مشايخ الأزهر وغيرهم وأرسلوها إليهم .

وفى يوم السبت ثانيه [8]، وردت مكاتبة أيضًا من ثغر رشيد، وعليها إمضاء على بيك السنانكلى حاكم الثغر ، وطاهر باشا ، وأحمد أغا المعروف ببونابارته ، بمعنى مكتوب السيد حسن السابق ، ويذكرون فيه أنَّ الإنكليز ملكوا أيضًا كوم الأفراح [9] ،

---

(١) الحماد : قرية قديمها ، اسمها الأصلى « منية بنى حماد » ، وهى إحدى قرى مركز رشيد ، محافظة البحيرة. رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٢) ٢٨ محرم ١٢٢٢ هـ / ٧ أبريل ١٨٠٧ م .

(٣) العدوية : نسبة إلى بنى عدى .

(٤) الأسيوطية : نسبة إلى أسيوط .

(٥) غاية محرم ١٢٢٢ هـ / ٩ أبريل ١٨٠٧ م .

(٦) صفر ١٢٢٢ هـ / ١٠ أبريل - ٨ مايو ١٨٠٧ م .

(٧) ١ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٠ أبريل ١٨٠٧ م .

(٨) ٢ صفر ١٢٢٢ هـ / ١١ أبريل ١٨٠٧ م .

(٩) كوم الأفراح : لم نعثر على تعريف بهذه الناحية والواضح من النص أنها بقرب رشيد والحماد .

وأبو منضور [1] ، ويستعجلون النجدة .

وفى تلك الليلة [2] ، أعنى ليلة الأحد ، وصل محمد على باشا ، ودخل إلى داره بالأزبكية فى سادس ساعة من الليل ، وكان أشيع وصوله قبل ذلك اليوم ، وخرج السيد عمر النقيب والمشايخ والمحروقى لملاقاته يوم الجمعة ، فبعضهم ذهب إلى الآثار وبات هناك ، وبعضهم بات بالقرافة بضريح الإمام الشافعى ، ورجعوا فى ثانى يوم ، ولم يحصل لهم ملاقاة ، فلما طلع نهار ذلك اليوم ، وأشيع حضوره إلى داره ركب الجميع ، وذهبوا للسلام عليه ، ودار بينهم الكلام فى أمر الإنكليز ، فأظهر الاهتمام وأمر كتخدا بيك وحسن باشا بالخروج فى ذلك اليوم ، فأخرجوا مطلوباتهم وعازتهم إلى بولاق ، وسخط على أهل الإسكندرية والشيخ المسيرى وأمين أغا ، حيث مكنوا الإنكليز من الثغر وملكوهم البلدة ، ولم يقبل لهم عذراً فى ذلك ، ثم قالوا له : « إنا نخرج جميعا للجهاد مع الرعية والعسكر » ، فقال : « ليس على رعية البلد خروج ، وإنما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر » ، وانقضى المجلس وركبوا إلى دورهم .

وفيه [3] ، وصل حجاج المغاربة إلى مصر من طريق البر ، وأخبروا أنهم حجوا وقضوا مناسكهم ، وأن مسعود الوهابى [4] ، وصل إلى مكة بجيش كثيف ، وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار ، وأحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصرى ، وقال له : « ما هذه العويدات والطبول التى معكم » ، يعنى بالعويدات المحمل ، فقال : « هو إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم »، فقال : « لا تأت بذلك بعد هذا العام ، وإن أتيت به أحرقته » ، وأنه هدم القباب وقبة آدم وقباب ينبع [5] والمدينة وأبطل شرب التنباك والنارجيلة من الأسواق ، وبين الصفا والمروة ، وكذلك البدع .

وفى تلك الليلة [6] ، أرسل الباشا وطلب السيد عمر فى وقت العشاء الأخيرة ، وألزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر ، وأن يوزعها بمعرفته .

---

(١) أبو منضور : قرية حديثة من قرى مركز دسوق ، محافظة الغربية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٥١ .

(٢) ٣ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٢ أبريل ١٨٠٧ م . (٣) ٣ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٢ أبريل ١٨٠٧ م .

(٤) مسعود الوهابى : وصحة الاسم : سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، المعروف بسعود الكبير ، حاكم الدولة السعودية الأولى (١٢١٨ - ١٢٢٩ هـ / ١٨٠٣ - ١٨١٤ م) .

عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٥) ينبع : هى ينبع النخل ، وهى منطقة ذات قرى سكانها جهينة وحرب ، فيها إمارة من إمارات المدينة المنورة.

الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٥٥٨ - ١٥٥٩ .

(٦) ٣ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٢ أبريل ١٨٠٧ م .

وفى يوم الإثنين رابعه [1] ، دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة القبلية إلى المدينة ، وطلبوا سكنى البيوت كعادتهم ، ولم يرجعوا إلى الدور التى كانوا ساكنين بها وأخربوها .

وفى يوم الثلاثاء [2] ، وردت مكاتبة من رشيد وعليها إمضاء السيد حسن كريت ، يخبر فيها بأن الإنكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ، ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر ، وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ، ومات كثير من الناس ، وقد أرسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الإغاثة والنجدة ، فلم تسعفونا بإرسال شىء وما عرفنا لأى شىء هذا الحال ، وما هذا الإهمال فالله الله فى الإسعاف ، فقد ضاق الخناق ، وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس ونحو ذلك من الكلام ، وهى خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة فى ثانى شهر صفر[3] .

وفى ذلك اليوم[4] ، اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه وركب إلى بولاق وصحبته حسن باشا وعابدين بيك وعمر بيك ، فسافروا فى تلك الليلة .

وفى يوم الأربعاء [5] سافر أيضًا حجو بيك وخرج معه بعض المتطوعة من الأتراك وغيرهم تهيأوا واتفقوا مع المسافرين معهم ، وأمدهم الكثير من إخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤن ، ونصبوا لهم بيرقا وخرجوا معهم طبل وزمر .

وفى يوم الجمعة [6] ، ركب أيضًا أحمد أغا لاظ وشق بعساكره الذين كان بهم بالمنية ، وتداخل فيهم الكثير من أجناسهم وغيرهم من مغاربة وأتراك بلدية ، ومر الجميع من وسط المدينة فى عدة وافرة ، ويذهب الجميع إلى بولاق يوهمون أنهم مسافرون على قدم الاستعجال بهمة ونشاط ، واجتهاد ، فإذا وصلوا إلى بولاق تفرقوا ، ويرجع الكثير منهم ويراهم الناس فى اليوم الثانى والثالث بالمدينة ، ومن تقدم منهم وسافر بالفعل ذهب فريق منهم إلى المنوفية ، وفريق إلى الغربية ، ليجمعوا فى طريقهم من أهل البلاد والقرى ما تصل إليه قدرة عسفهم من المال والمغارم والكلف ، وخطف البهائم ، ورعى المزارع ، وخطف النساء والبنات والصبيان وغير ذلك .

---

(1) ٤ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٣ أبريل ١٨٠٧ م .
(2) ٥ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٤ أبريل ١٨٠٧ م .
(3) ٢ صفر ١٢٢٢ هـ / ١١ أبريل ١٨٠٧ م .
(4) ٢ صفر ١٢٢٢ هـ / ١١ أبريل ١٨٠٧ م .
(5) ٦ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠٧ م .
(6) ٨ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٧ أبريل ١٨٠٧ م .

وفيه [1] ، سافر أيضًا حسن باشا طاهر ، وفيه نزل الدالاتية إلى بولاق ، وكذلك الكثير من العسكر ، حصل منهم الإزعاج فى أخذ الحمير والجمال قهرا من أصحابها ، ونزلوا بخيولهم على ربب البرسيم والغلال الطائبة التى بناحية بولاق وجزيرة بدران[2] ، وخلافها ، فرعتها وأكلتها بهائمهم فى يوم واحد ، ثم انتقلوا إلى ناحية منية السيرج، وشبرا [3] والزاوية الحمراء[4] والمطرية[5] والأميرية[6] ، فأكلوا زروعات الجميع ، وخطفوا مواشيهم ، وفجروا بالنساء وافتضوا الأبكار ، ولاطوا بالغلمان ، وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مسكة[7] وغيره ، وهكذا تفعل المجاهدون ، ولشدة قهر الخلائق منهم وقبح أفعالهم تمنوا مجئ الإفرنج من أى جنس كان ، وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة الذين ليس لهم ملة ولاشريعة ولا طريقة يمشون عليها ، فكانوا يصرخون بذلك بمسمع منهم ، فيزداد حقدهم وعداوتهم ، ويقولون : « أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لأنهم يكرهونا ويحبون النصارى ، ويتوعدونهم إذا خلصت لهم البلاد ، ولاينظرون لقبح أفعالهم » .

وفى يوم الاثنين حادى عشره[8] ، حضر جماعة من الططر الذين من عادتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب ، وقد وصلوا من طريق الشام يبشرون بولاية السيد على باشا قبودان باشا ، وعزل صالح قبودان عن رياسة الدونانمة ، ويذكرون أنه خرج بالدونانمة التى تسمى بالعمارة ، وصحبته عدة مراكب فرنساوية قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الإنكليز الطرق ، وإن هؤلاء الططر الواصلين لم يعلموا بورود الإنكليز إلى الإسكندرية إلاّ عند وصولهم صيدا[9] ، وذكروا أن سبب عزل صالح القبودان أنّ الإنكليز وردوا بغار إسلامبول باثنى عشر مركبا وقيل أربعة عشر ، وظلوا داخلين والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة ، فلم يبالوا بذلك ، حتى

---

(١) ٨ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٧ ابريل ١٨٠٧ م .

(٢) جزيرة بدران : حى يقع بأول شارع شبرا على يسرة السالك من القللى إلى شبرا .

(٣) شبرا : هى شبرا الخيمة أو المكاسة

(٤) الزاوية الحمراء : هى من أحياء القاهرة .

(٥) المطرية : هى حى المطرية بالقاهرة الآن .

(٦) الأميرية : هى حى الأميرية بالقاهرة الآن .

(٧) سوق مسكة : يقع هذا السوق بحارة مسكة بشارع خليل طينة .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٣٦ .

(٨) ١١ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠٧ م .

(٩) صيدا : بلدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ببلاد الشام .
القرمانى ، أحمد بن يوسف : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٠٢ .

حصلوا بداخل المينة تجاه البلد، فانزعج أهالى البلد انزعاجا شديداً وصرخت النساء ، وهاجت المدينة وماجت بأناسها ، ولو ضرب عليها الإنكليز لاحترقت عن آخرها لكنهم لم يفعلوا بل استمروا يومهم ، ورموا مراسيهم ، ثم أخذوها وولوا راجعين ، ولسان حالهم يقول : « ها نحن ولجنا بغازكم الذى تزعمون أنه لا أحد يقدر على عبوره ، وقدرنا عليكم وعفونا عنكم ، ولو شئنا أخذ دار سلطنتكم لأخذناها أو أحرقناها » ، وعندما فعلوا ذلك طلب السلطان قبودان باشا فوجدوه يتعاطى الشراب فى بعض الأماكن ، فعند ذلك أحضروا السيد على وقلدوه رياسة الدونانمة ، ونزل إلى الإنكليز وتكلم معهم إلى أن خرجوا من البغاز ، وأخرجوا صالح قبودان منفيا إلى بعض الجهات .

وفى ذلك اليوم (١) ، طلع الباشا إلى القلعة وصحبته قنصل الفرنساوية يهندس معه الأماكن ومواطن الحصار ، والقنصل المذكور مظهر الاهتمام والاجتهاد ، ويسهل الأمر ويبذل النصح ، ويكثر من الركوب والذهاب والإياب ، وأمامه الخدم وبأيديهم الحراب المفضضة ، وخلفه ترجمانه وأتباعه .

وفيه (٢) أرسل الأمرا القبليون جوابا عن جواب أرسل إليهم قبل ذلك ، وعليه ختوم كثيرة باستدعائهم واستعجالهم للحضور ، فأرسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه ، بأن السبب فى تأخرهم أنهم لم يتكاملوا وأن أكثرهم متفرقون بالنواحى مثل : عثمان بيك حسن وغيره ، وأنهم إلى الآن لم يثبت عندهم حقيقة الأمر ؛ لأن من الثابت عندهم صداقة الإنكليز مع العثمانى من قديم الزمان ، وأنّ المراسيم التى وردت بالتحذير والتحفظ من الموسكوب ، ولم يذكر الإنكليز فاتفق الحال بأن يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة صحبة مصطفى أفندى كتخدا القاضى ، ويصحب معه المراسيم التى وردت فى شأن ذلك ، وفيها ذكر الإنكليز ومنابذتهم للدولة ، فسافر الكتخدا المذكور فى صبحها إليهم ، وكانوا حضروا إلى ناحية المنية ، وأما ياسين بيك فإنه أذعن للصلح على أن يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات بينه وبين الباشا ، ثم إنَّه عدى إلى ناحية شرق أطفيح (٣) ، وفرض عليهم الأموال الجسيمة ، وكان أهل تلك البلاد اجتمعوا بصول والبرنبل بمتاعهم وأموالهم ومواشيهم ، فنزل عليهم وطلب منهم الأموال فعصوا عليه ، فأوقد فيهم النيران وحرق جرونهم ونهبهم .

---

(١) ١١ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٠ ابريل ١٨٠٧ م . (٢) ١١ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٠ ابريل ١٨٠٧ م .

(٣) شرق أطفيح : قرية قديمة تقع شرقى النيل ، وهى إحدى قرى مركز الصف ، محافظة الجيزة . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٦ - ٢٦ .

وفى عصر يوم الثلاثاء [1] ، حضر جماعة من العرب وصحبتهم ثلاثة أنفار من الإنكليز قبضوا عليهم من البرية ، وأحضروهم إلى مصر فمثلوا بين يدى الباشا وكلمهم ، ثم أمر بطلوعهم إلى القلعة وفيهم شخص كبير يقال إنَّه من قباطينهم .

وفى يوم الخميس رابع عشره[2] ، عملوا ديوانا ببيت القاضى ، اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية ، وقرأوا مرسوما تقدم حضوره قبل وصول الإنكليز إلى الإسكندرية ، مضمونه : « ضبط تعلقات الإنكليز ومالهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور » .

وفى ذلك اليوم [3] ، حضر شخصان من السعاة ، وأخبرا بالنصر على الإنكليز وهزيمتهم ، وذلك أنَّه اجتمع الجم الكثير من أهالى بلاد البحيرة وغيرها ، وأهالى رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر ، وأهل دمنهور ، وصادف وصول كتخدا بيك وإسماعيل كاشف الطوبجى إلى تلك الناحية ، فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة ، وأسروا من الإنكليز طائفة وقطعوا منهم عدّة رؤوس ، فخلع الباشا على الساعيين جوختين ، وفى أثر ذلك وصل أيضًا شخصان من الأتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغا فى الأخبار ، وأن الإنكليز انجلوا عن متاريس رشيد وأبى منضور ، والحماد ، ولم تزل المقاتلون من أهل القرى خلفهم إلى أن توسطوا البرية ، وغنموا جبخاناتهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهراسين [4] عظيمين ، وذكرا أنه واصل خلفهم أسرى ورؤوس قتلى كثيرة فى عدة مراكب ، وأنه وصل معهما من جملة المتطوّعين رجلان من أهل مكة التجار المقيمين بمصر ، كانا فى الواقعة بنحو مائة من البدو المغاربة وغيرهم ، ينفقان عليهم ويحرضانهم على القتال ، ويعينان المقاتلين من الأهالى بما فى أيديهما ، ويقاتلان بأنفسهما وبذلا جهدهما فى ذلك ، وأنَّهما بعد هزم الإنكليز وسلبهم فرقا ما غنماه ، وما بقى معهما من الأشياء على من خرج خلف الإنكليز وحضرا معهما ، وهما : السيد أحمد النجارى وأخوه السيد سلامة ، فطلبهما الباشا وسألهما عن الخبر فأخبراه بخبر التركيين فانسر الباشا لذلك سرورًا عظيما ، وشكر فعلهما ، وأنعم عليهما ، وخلع عليهما ، ورتب لهما مرتبا ،

---

(١) ١٢ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢١ أبريل ١٨٠٧ م . (٢) ١٤ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٧ م .

(٣) ١٤ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٧ م .

(٤) المهراس : أى المدفع ، وتعنى هنا مدفعين كبيرين .

وأوعدهما بالاستخدام فى مصالحه ، وخلع على ذينك التركيين فروتى سمور ، وحضر بصحبة الساعيين إلى منزل السيد عمر النقيب بعد الغروب ، وتعشوا عنده ، وطلبوا البقشيش ، وبعد أن أخذوه توسل التركيان به بأن يسعى لهما عند الباشا فى أنه ينعم عليهما بمناصب فأوعدهما بذلك ، وترجى الباشا لهما فضاعف مرتبهما ، وضربوا فى صبح ذلك اليوم مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية وبولاق والجيزة وذلك بين الظهر والعصر .

وفى يوم الجمعة خامس عشره [1] ، حضروا بأسرى وعدتهم تسعة عشر شخصا ، وعدة رؤوس ، فمروا بهم من وسط الشارع الأعظم [2] ، وأما الرؤوس فمروا بها من طريق باب الشعرية ، وعدتها نيف وثلاثون رأسا موضوعة على نبابيت رشقوها بوسط بركة الأزبكية مع الرؤوس الأولى صفين على يمين السالك من باب الهواء [3] إلى وسط البركة وشماله .

وفيه ، وصل ثلاث داوات من جدة إلى ساحل السويس فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون ، وذكروا أن الوهابى نادى بعد انقضاء الحج أنْ لا يأتى إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن ، وتلا فى المناداة قوله تعالى : ﴿ يَا أيهَا الذينَ آمنُوا إنمَا المشْركُون نَجسٌ فلايقْربُوا المسْجِدَ الحرَامَ بعدَ عَامِهِم هَذَا ﴾[4] ، وأخرجوا هؤلاء الواصلين إلى مصر .

وفى يوم السبت [5] ، وصل أيضًا تسعة أشخاص أسرى من الإنكليز وفيهم فسيال[6] .

وفى يوم الأحد [7] ، وصل أيضًا نيف وستون وفيهم رأس واحدة مقطوعة ، فمروا بهم على طريق باب النصر [8] من وسط المدينة ، وهرع الناس للتفرج عليهم، وبعد الظهر أيضًا مروا بثلاثة وعشرين أسيرا وثمانية رؤوس ، وبعد العصر بثلاثة

---

(١) ١٥ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٤ أبريل ١٨٠٧ م .

(٢) الشارع الأعظم : هو الآن شارع المعز لدين الله .

(٣) باب الهواء : باب يقع على بركة الأزبكية .

(٤) سورة : التوبة ، رقم (٩) ، آية رقم (٢٨) .

(٥) ١٦ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٥ أبريل ١٨٠٧ م .

(٦) فسيال : أى شخصية كبير من كبرائهم ، وتعنى كذلك صاحب الإقطاع .

(٧) ١٧ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٧ م .

(٨) باب النصر : أحد أبواب القاهرة الفاطمية .

وعشرين رأسا وأربعة وأربعين أسيرا من ناحية باب الشعرية ، وطلعوا بالجميع إلى القلعة .

وفى يوم الأربعاء [1] ، وصل إلى ساحل بولاق مراكب وفيها أسرى وقتلى وجرحى ، فطلعوا بهم إلى البر وساروا بهم على طريق باب النصر ، وشقوا بهم من وسط المدينة إلى الأزبكية فرشقوا الرؤوس بالأزبكية مع الرؤوس الأول ، وهم نحو المائة واثنين وأربعين ، والأحياء والمجاريح نحو المائتين وعشرين ، فطلعوا بهم إلى القلعة عند إخوانهم ، فكان مجموع الأسرى أربعمائة أسير وستة وستين أسيرا ، والرؤوس ثلثمائة ونيف وأربعون ، وفى الأسرى نحو العشرين من فسيالاتهم ، وهذه الواقعة حصلت على غير قياس وصادف بناؤها على غير أساس .

وقد أفسد الله رأى كل من طائفة الإنكليز والأمراء المصرية وأهل الإقليم المصرى ، لبروز ما كتبه وقدره فى مكنون غيبه على أهل الإقليم من الدمار الحاصل ، وما سيكون بعد ، كما ستسمع به ، ويتلى عليك بعضه .

أما فساد رأى الإنكليز فلتعديهم الإسكندرية مع قلتهم وسماعهم بموت الألفى ، وتغريرهم بأنفسهم .

وأما الأمراء المصريون فلا يخفى فساد رأيهم بحال .

وأما أهالى الإقليم فلانتصارهم لمن يضرهم ويسلب نعمهم ، وما أصاب من مصيبة فبما كسبت أيدى الناس ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [2] ، ولم يخطر فى الظن حصول هذا الواقع ولا أن الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الإنكليز ، وخصوصا شهرتهم بإتقان الحروب ، وقد تقدم لك أنهم هم الذين حاربوا الفرنساوية وأخرجوهم من مصر .

ولما شاع أخذهم الإسكندرية ، داخل العسكر والناس وهم عظيم ، وعزم أكثر العسكر على الفرار إلى جهة الشام ، وشرعوا فى قضاء أشغالهم واستخلاص أموالهم التى أعطوها للمتضايقين والمستقرضين بالربا ، وإبدال ما بأيديهم من الدراهم والقروش والفرانسة التى يثقل حملها بالذهب البندقى والمحبوب الزر لخفة حملها ، حتى أنّها زادت فى المصارفة بسبب كثرة الطلب لها ، وبلغ صرف البندقى المشخص الناقص فى الوزن أربعمائة وعشرين نصفا ، والزر مائتين وعشرين ، والفرانسة

(١) ٢٠ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٩ أبريل ١٨٠٧ م .

(٢) سورة النساء رقم (٤) الآية رقم (٧٩) .

مائتين ، واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك ، وسيزيد الأمر فحشا ، وسعوا فى مشترى أدوات الارتحال والأمور اللازمة لسفر البر ، وفارق الكثير منهم النساء ، وباعوا ما عندهم من الفرش والأمتعة ، حتى أن محمد على باشا لما بلغه حصولهم بالإسكندرية ، وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم ، فعند ذلك انحلت عزائمه ، وأرسل يصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه ، وثبت فى يقينه استيلاء الإنكليز على الديار المصرية ، وعزم على العود متلكئا فى السير ، يظن سرعة ورودهم إلى المدينة ، فيسير مشرقا على طريق الشام ، ويكون له عذر بغيبته فى الحملة ، فلما وصلت الشرذمة الأولى من الإنكليز إلى رشيد ، ودخلوها من غير مانع ، وحبسوا أنفسهم فيها ، فقتلوا وأسروا وهرب من هرب ، ووصلت الرؤوس والأسرى ، وأسرعت المبشرون إلى الباشا بالخبر ، فعند ذلك تراجعت إليه نفسه ، وأسرع فى الحضور ، وتراجعت نفوس العساكر ، وطمعوا عند ذلك فى الإنكليز ، وتجاسروا عليهم ، وكذلك أهل البلاد قويت هممهم وتأهبوا للبروز والمحاربة ، واشتروا الأسلحة ونادوا على بعضهم بالجهاد ، وكثر المتطوّعون ونصبوا لهم بيارق وأعلاما ، وجمعوا من بعضهم دراهم ، وصرفوا على من انضم إليهم من الفقراء ، وخرجوا فى مواكب وطبول وزمور ، فلما وصلوا إلى متاريس الإنكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم ، وصدقوا فى الحملة عليهم ، وألقوا أنفسهم فى النيران ، ولم يبالوا برميهم ، وهجموا عليهم ، واختلطوا بهم وأدهشوهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم ، فألقوا سلاحهم وطلبوا الأمان ، فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم ، وحضروا بالأسرى والرؤوس على الصور المذكورة ، وفر الباقون إلى من بقى بالإسكندرية ، وليت العامة شُكِروا على ذلك أو نُسِب إليهم فعل ، بل نُسِب كل ذلك للباشا وعساكره وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك [1] .

ولما أصعدوا الأسرى إلى القلعة ، طلع إليهم قنصل الفرنساوية ومعه الأطباء لمعالجة الجرحى ، ومهد لهم أماكن ، وميز الكبار منهم والفسيالات فى مكان يليق بهم ، وفرش لهم فرشات ، ورتب لهم تراتيب ، وصرف عليهم نفقات ولوازم ، واستمر يتعاهدهم فى غالب الأحيان والجرائحية يترددون إليهم فى كل يوم لمداواتهم كما هى عادة الإفرنج مع بعضهم ، إذا وقع فى أيديهم جرحى من المحاربين لهم فعلوا بهم ذلك ، وأكرموا الأسرى ، وأما من وقع منهم فى أيدى العسكر من المردان فإنهم اختصوا بهم ، وألبسوهم من ملابسهم وباعوهم فيما بينهم ، ومنهم من

(١) أراد محمد على أن ينسب النصر لنفسه ، وهذه بداية التنكر من جانبه للشعب المصرى وزعمائه .

احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة ، فمن ذلك أن غلاما منهم قال للذى هو عنده إنّ لى بولصة عند قنصل الفرنساوية ، وهى مبلغ عشرون كيسا ففرح ، وقال له : « أرنيها » ، فأخرج لـه ورقة بخطهم ، وهو لايعرف ما فيها فأخـذها منه طمعا فى إحرازها لنفسه ، وذهـب مسرعا إلى الـقنصل وأعطاها له ، فلما قرأها قال له : « لا أعطيك هذا المبلغ إلا بيد الباشا، ويعطينى بذلك رجعة بختمه لتخلص ذمتى » ، فلما صاروا بين يدى الباشا فأخبره القنصل ، فأمر بإحضار الغلام ، فلما حضر سأله الباشا ، فقال : « أريد الخـلاص منه ، واحتلت عليه بهذه الحيـلة لأتوصل إليك » ، فطيب الباشا خاطر العسكرى بدراهم ، وأرسل الغلام إلى أصحابه بالقلعة .

ولما انقضـى أمر الحرب من ناحيـة رشيد ، وانجلت الإنكـليز عنها ورجـعوا إلى الإسكنـدرية ، نزل الأتراك عـلى الحماد وما جـاورها ، واستباحـوا أهلها ونـساءها وأموالها ومواشيهـا ، زاعمين أنَّها صارت دار حرب بنزول الإنكليز علـيها وتملكها ، حتى أنّ بعض الـظاهرين كلمهم فـى ذلك ، فرد عليه بذلك الجـواب ، فأرسلوا إلى مصر بذلـك ، وكتبوا فى خصـوص ذلك سؤالا ، وكتب علـيه المفتون بالمـنع وعدم الجواز ، وحتـى يأتى الترياق مـن العراق يموت الملـسوع ، ومن يقرأ ومن يـسمع ، وعلى أنه لـم يرجع طالب الفتـوى ، بل أهملت عند المفـتى وتركها المستـفتى ، ثم احاطت العســاكر ورؤساؤهم برشيد ، وضربوا عـلى أهلها الضرائب ، وطلـبوا منها الأموال والكلف الـشاقة ، وأخذوا ما وجدوه بها مـن الأرز للعليق ، فخرج كـبيرها السيد حســن كريت إلى حسن باشا وكتخدا بـيك ، وتكلم معهما وشنـع عليهما ، وقال : « أمـا كفـانا مـا وقع لنـا من الحـروب ، وهدم الدور ، وكـلف الـعسـكر ومساعـدتهـم ومحـاربتنا معهـم ومعـكـم ، وما قاسيناه من التعـب والسهر ، وإنفاق المال ، ونجازى منـكم بعدها بهـذه الأفاعيل ، فدعونـا نخرج بأولادنا وعيـالنا ، ولا نأخذ معنا شيئًا ، ونـترك لكم البلدة ، افعلوا بها ما شئـتم » ، فلاطفوه فى الجواب وأظهروا لـه الاهتمام بالمـناداة والمنع ، وكتـب المذكور أيضًا مـكاتبات بمعـنى ذلك ، وأرسلها إلى الباشا والسيد عمر بمصر ، فكـتبوا فرمانا وأرسلوه إليهم بالكف والمنع ، وهيهات ، ولما وصـل من وصل بالقتلى والأسرى أنـعم الباشا على الواصـلين منهم بالخلع والبـقاشيش ، وألبسهم شـلنجات [(١)] فضة عـلى رؤسهم ، فازداد جبـروتهم وتعديهم ، ولما رجع الإنكليز إلى ناحية الإسكندرية قطعوا السدّ فسالت المياه وغرقت الأراضى حول الإسكندرية .

---

(١) شلنجات : مـفردها شلنج ، حليـة للرأس بالأحجار الكريمـة ، ونوع من الشراريب أو الريش كـان يكافأ به المحاربون .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

وفى يوم الأحد سابع عشره[1] ، وصل ياسين بيك إلى ناحية طرا [2] ، وحضر أبوه إلى مصر ودخل كثير من أتباعه إلى المدينة وهم لابسون زى المماليك المصرية .

وفيه [3] ، دفنوا رؤس القتلى من الإنكليز ، وكانوا قطعوا آذانهم ودبغوها وملحوها ليرسلوها إلى إسلامبول .

وفيه [4] ، أرسل الباشا فسيالا كبيراً من الإنكليز إلى الإسكندرية بدلا عن ابن أخى عمر بيك ، وقد كان المذكور سافر إلى الإسكندرية قبل الحادثة ، ليذهب إلى بلاده بما معه من الأموال فعوقه الإنكليز، فأرسلوا هذا الفسيال ليرسلوا بدله ابن أخى عمر بيك .

وفى يوم الإثنين ثامن عشره [5] ، وصلت خيام ياسين بيك وحملاته ونصبوا وطاقه جهة شبرا ومنية السيرج .

وفى سادس عشرينه[6] ، وصل ياسين بيك المذكور ، وصحبته سليمان أغا صالح وكيل دار السعادة سابقا ، وهو الذى كان بإسلامبول ، وحضر بصحبته القبودان فى الحادثة ، وتأخر عنه واستمر مع الألفى ، ثم مع أمرائه بعد موته ، وكان الباشا قد أرسل له يستدعيه بأمان فأجاب إلى الحضور بشرط أن يجرى عليه الباشا مرتبه بالضربخانة ، وقدر ذلك ألف درهم فى كل يوم فأجابه إلى ذلك ، وحضر صحبته ياسين بيك وقابلا الباشا ، وخلع عليهما خلعتى سمور ونزلا وركبا ولعبا مع أجنادهما بوسط البركة بالرماح ، وظهر من حُسْن رماحة سليمان أغا ما أعجب الباشا ومن حوله من الأتراك بل أصابوه بأعينهم ، لأنه بعد انقضاء ذلك سار مع ياسين بيك إلى ناحية بولاق ، يترامحون ويتلاعبون ، فأخرج طبنجته بيده اليمنى والرمح فى يده اليسرى وكان زنادها مرفوعا فانطلقت رصاصتها وخرقت كفه اليسار القابض به على سرع الجواد ، ونفذت من الجهة الأخرى ، فرجع إلى داره بجراحته وأذن له برد حملته ، وذهب ياسين بيك إلى بولاق فبات بها فى دار حسن الطويل بساحل النيل .

وفيه [7] ، سافر المتسفر بآذان قتلى الإنكليز وقد وضعوها فى صندوق ، وسافر

---

(١) ١٧ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٧ م .

(٢) طرا : قرية قديمة ، اسمها المصرى (Taranu) ، والقبطى (Troja) ، تقع شرقى النيل ، وهى شهيرة بمحاجرها، والآن هى قاعدة لقسم طرا ، محافظة القاهرة .
رمزى ، محمد : ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٦ - ١٧ . .

(٣) ١٧ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٧ م .

(٤) ١٧ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٧ م .

(٥) ١٨ صفر ١٢٢٢ هـ / ٢٧ أبريل ١٨٠٧ م .

(٦) ٢٦ صفر ١٢٢٢ هـ / ٥ مايو ١٨٠٧ م .

(٧) ٢٦ صفر ١٢٢٢ هـ / ٥ مايو ١٨٠٧ م .

بها على طريق الشام ، وصحبته أيضًا شخصان من أسرى فسيالات الإنكليز ، وكتبوا عرضا بصورة الحال من إنشاء السيد إسماعيل الخشاب وبالغوا فيه .

وفيه [١] ، حضر إسماعيل كاشف الطوبجى من ناحية بحرى ليقضى بعض الأغراض ثم يعود .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه [٢] ، سافر عمر بيك تابع عثمان بيك الأشقر ، وعلى كاشف ابن أحمد كتخدا إلى ناحية القليوبية ، لأجل القبض على أيوب فودة ، بسبب رجل يسمى زغلول ، ينسب إليه بأنه يقطع الطريق على المسافرين فى البحر ، وكلما مرت بناحية مركب حاربها ، ونهب ما فيها من بضائع التجار وأموالهم ، أو أنهم يفتدون أنفسهم منه بما يرضيه من المال ، فكثر تشكى الناس منه فيرسلون إلى أيوب فودة كبير الناحية فيتبرأ منه ، فلما زاد الحال عينوا من ذكر للقبض عليه وقتله ، فبلغه الخبر ، فهرب من بلده أبناس [٣] ، فلما وصلوا إلى محله فلم يجدوه ، فأحاطوا بموجوداته وغلاله وبهائمه وماله من المواشى والودائع بالبلاد ، فلما جرى ذلك حضر إلى السيد عمر وصالح على نفسه بثلثمائة كيس ، ورجع الحال إلى حاله ، وذلك خلاف ما أخذه المعينون من الكلف والمغارم من البلاد التى مروا عليها وأقاموا فيها واحتجوا عليها .

وفيه [٤] ، حضر الكثير من أهل رشيد بحريمهم وأولادهم ورحلوا عنها إلى مصر .

وفيه [٥] ، حضر كتخدا القاضى من عند الأمراء القبالى ، وأخبر أنّهم محتاجون إلى مراكب لحمل الغلال الميرية والذخيرة ، فهيأ الباشا عدة مراكب وأرسلها إليهم ، ومع هذه الصورة وإظهار المصالحة والمسالمة يمنعون ويحتجزون من يذهب إليهم من دورهم بثياب ومتاع ، وكذلك يمنعون المتسببين والباعة الذين يذهبون بالمتاجر والأمتعة التى يبيعونها عليهم ، وإذا وقعوا بشخص أو غمزوا عليه عند الحاكم أو صادفه بعض العيون المترقبة عليه قبضوا عليه ونهبوا ما معه وعاقبوه وحبسوه ، بل ونهبوا داره وغرموه ولايغفر ذنبه ولاتقال عثرته ، ويتبرأ منه كل من يعرفه ، وكذلك نبهوا على القلقات الذين يسمونهم الضوابط المتقيدين بأبواب المدينة مثل : باب النصر ، وباب الفتوح ، والبرقية ، والباب الجديد ، بمنع النساء عن الخروج ، خوفا من خروج نساء

(١) ٢٦ صفر ١٢٢٢ هـ / ٥ مايو ١٨٠٧ م .
(٢) ٢٨ صفر ١٢٢٢ هـ / ٧ مايو ١٨٠٧ م .
(٣) أبناس : لم نعثر على تعريف بها ، وواضح من النص أنها إحدى قرى القليوبية .
(٤) ٢٨ صفر ١٢٢٢ هـ / ٧ مايو ١٨٠٧ م .
(٥) ٢٨ صفر ١٢٢٢ هـ / ٧ مايو ١٨٠٧ م .

القبالى وذهابهن إلى أزواجهن ، واتفق أنَّهـم قبضوا على شخص فى هذه الأيام يريد السفر إلـى ناحية قبلى ومعـه تليس [1] ، ففتحـوه فوجدوا بداخله مراكـيب ونعالات مصرية ومغربية التى تسمى بالبلغ ، فـقبضوا عليه واتهموه أنَّه يريد الذهاب بذلك إلى الأمراء وأتباعهم فنهبوا منه ذلك وغيره ، وقبضوا عليه وحبسوه ، واستمر محبوسا ، وكذلك اتـفق أنَّ الوالى ذهب إلى جـهة القرافة ، وقـبض على أشخاص مـن التُرَبَة الذين يدفنون الموتى ، واتهمهم بأن بعض أتباع الأمراء القبالى يخرجون إليهم بالأمتعة لأسيادهم ويخفونها عندهم بداخل القبـور حتى يرسلوها إلى أسيادهم فى الغفلات ، وضربهـــم وهجـم على دورهم فـلم يجد بها شـيئًا ، واجتمع عليـه خدام الأضرحة وأهـل القرافة وشنعـــوا عليه وكـادوا يقتلونه ، فهرب منهــم ، وحضروا فى صبحها عند السيد عـمر يشكون مـن الوالـى ومـــا فعله مع الحفارين ونحـو ذلك ، فاعجب لهذا التناقض .

وفيه [2] ، وصل مكتوب من كبـير الإنكليز الذى بالإسكندرية ، مـضمونه طلب أسماء الأسـرى من الإنكليـز والوصية بهم وإكـرامهم كما هـم يفعلون بـالأسرى من العسكر ، فإنـهـم لما دخلـوا إلى الإسـكنـدرية أكرمـوا مــن كان بـها منهم ، وأذنوا لهم بـالسفر بمتاعـهـم وأحـــوالهم إلى حيـث شاءوا ، وكذلك من أخذوه أسـيرا فى حرابة رشيد .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة ١٢٢٢ [3]

فيه [4] ، كتبوا لكبير الإنكليز جوابا عن رسالته .

وفى يوم السبت خامس عشره [5] ، حضر على كاشف الكـبير الألفى بكلام من طرف شاهين بيك الألفى ، يعتذر عن التأخـير إلى هذا الوقت ، وأنهم على صلحهم واتفاقهم الأوّل وحضورهـم إلى ناحية الجيزة ، وبات تلك الليلة فـى بيته بمصر ، ثم أقام ثلاثة أيام ورجع إلى مرسله وصحبته سليمان أغا الوكيل .

وفيه [6] ، حضر عابدين بيك أخو حسن باشا من ناحية بحرى ، وحضر أيضًا فى أثره أحمد أغـا لاظ وغيره من ناحية بحـرى ، وذلك أنَّهم ذهبوا خلف الإنكـليز إلى

---

(١) تليس : كيس مصنوع من الصوف أو الخيش ، وسعة الكيس ثمان كيلات أو ستة وتسعون قدحًا .

(٢) ٢٨ صفر ١٢٢٢ هـ / ٧ مايو ١٨٠٧ م .

(٣) ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٩ مايو - ٧ يونيه ١٨٠٧ م .

(٤) ١ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٩ مايو ١٨٠٧ م .

(٥) ١٥ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٢٣ مايو ١٨٠٧ م .

(٦) ١٥ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٢٣ مايو ١٨٠٧ م .

قرب معدية البحيرة ، فخرج عليهم طائفة الإنكليز من البر والبحر وضربوا عليهم مدافع ونيرانا كثيرة فولوا راجعين وحضروا إلى مصر .

وفيه [1] ، حضر أيضًا الفسيال الكبير الإنكليزى الذى كان أرسل بدلا عن ابن أخى عمر بيك ، وقيل : إنه ابن أخى صالح قوش ، فلما وصل إليهم أجابوا بأن المذكور سافر مع من سافر إلى الروم بمتاعهم وأموالهم قبل الواقعة ، وحيث لم يكن المطلوب موجودا ، فلا وجه لإبقاء الإنكليزى المذكور ، فردوه بعد أنْ رفعوا منزلته ورتبته عندهم ، فلما رجع إلى مصر خلى سبيله الباشا ، ولم يحبسه مع الأسرى بل أطلق له الإذن أيضًا فى الرجوع إلى الإسكندرية أو إلى بلاده متى أحب واختار .

وفى منتصفه [2] ، استوحش الباشا من ياسين بيك وضاق خناقه منه ، وذلك أنَّه لما حضر إلى مصر وخلع عليه الباشا ودفع إليه ما كان وعده به من الأكياس ، وقدّم له تقادم وإنعامات على أنه يسافر إلى الإسكندرية لمحاربة الإنكليز ، وطلب مطالب كثيرة له ولأتباعه ، وأخذ لهم الكساوى والسراويلات ، وأخذ جميع ما كان عند چبجى باشا [3] من الأقمشة والخيام والجبخانة ، والاحتياجات من القرب وروايا الماء، ولوازم العسكر فى سفر البر ، والإفازة والمحاصرة إلى غير ذلك ، وقلد أباه كشوفية الشرقية ، وخرج هو بعرضيه وخيامه إلى ناحية الخلاء ببولاق ، فانضم إليه الكثير من العسكر والدلاتية وغيرهم ، وصار كل من ذهب إليه يكتبه فى جملة عسكره ، فاجتمع عليه كل عاص وأزعر ومخالف وعاق ، وصرح بالخلاف وتطلعت نفسه للرياسة ، وكلما أرسل إليه الباشا يرده وينهاه عن فعله يعرض عن ذلك ، وداخله الغرور ، وانتشرت أوباشه يعبثون فى النواحى ، وبث أكابر جنده فى القرى والبلدان ، وعينهم لجميع الأموال والمغارم الخارجة عن المعقول ، ومن خالفهم نهبوا قريته وأحرقوها وأخذوا أهلها أسرى ، فعند ذلك أخذ الباشا فى التدبير عليه ، واستمال العسكر المنضمين إليه ، وحلل عرى رباطاته .

فلما كان فى ليلة الأربعاء تاسع عشره [4] ، أمر عساكر الأرنؤد بالاجتماع والخروج إلى ناحية بولاق ، فخرجوا بأجمعهم إلى نواحى السبتية ، والخندق ، وأحالوا بينه وبين بولاق ومصر .

---

(١) ١ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٩ مايو ١٨٠٧ م . (٢) ١٥ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٢٣ مايو ١٨٠٧ م .

(٣) چبجى باشا : أى رئيس العسكر المختصين بصناعة السلاح وصيانته .

(٤) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٢٧ مايو ١٨٠٧ م .

وفى ليلة السبت [1] ، ركب الباشا بجنوده وخرج إلى تلك الناحية ، وحصن أبواب المدينة بالعساكر ، وأيقن الناس بوقوع الحرب بين الفريقين ، وأرسل الباشا إلى ياسين بيك ، يقول له : « إن تستمر على الطاعة ، وتطرد عنك هذه اللموم ، وتكون من جملة كبار العسكر ، وألا تذهب إلى بلادك ، وإلاً فأنا واصل إليك ومحاربك » ، فعند ذلك داخله الخوف وانحلت عزائم جيوشه ، وتفرق الكثير منهم ، فلما كان بعد الغروب طلب الركوب ، ولم يعلم عسكره أين يريد ، فركب الجميع ، وهم ثلاث طوابير ، واشتبهت عليهم الطرق فى ظلام الليل ، فسار هو بفريق منهم إلى ناحية الجبل على طريق حلق الجرة ، وفرقة سارت إلى ناحية بركة الحاج[2] ، والثالثة ذهبت على طريق القليوبية ، وفيهم أبوه ، فلما علم الباشا بركوبهم ركب خلفهم، وذهب خلف الطائفة التى توجهت إلى ناحية البركة حصة ، فلما علموا انفرادهم عن أميرهم رجعوا متفرقين فى النواحى ، ورجع الباشا إلى داره ، ولم يزل ياسين بيك فى سيره حتى نزل بمن معه فى التبين [3] ، واستقر بها .

وأما أبوه فإنه التجأ إلى شيخ قليوب الشواربى ، فأخذ له أمانا ، وأحضر فى ثانى يوم إلى الباشا فألبسه فروة ، وأمره أن يلحق بابنه فنزل إلى بولاق ونزل فى مركب مسافرا .

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه [4] ، عين الباشا عسكرا ورؤساء عساكر وخيالة وأصحب معهم شديدًا ، وجملة من عرب الحويطات للحوق بياسين بيك ومحاربته ، ولما نزل ياسين بيك بناحية التبين نهب قرى الناحية بأسرها مثل التبين وحلوان وطرا والمعصرة والبساتين ، وفعلوا بها أفاعيلهم الشنيعة من السلب والنهب ، وأخذ النساء ونهب الأجران والغلال والأتبان والمواشى ، وأخذ الكلف الشاقة ومن عجز عن شىء من مطلوباتهم أحرقوه بالنار .

وفى يوم الخميس [5] ، رجع العسكر والعربان الذين كانوا ذهبوا لمحاربة ياسين

---

(١) ٢٢ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٣٠ مايو ١٨٠٧ م .

(٢) بركة الحاج : ناحية قديمة ، اسمها القديم جب عميرة ، عرفت بالبركة بسبب انخفاض أرضها عن منسوب الأراضى الزراعية المجاورة ، وهى إحدى قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣١ . .

(٣) التبين : انظر ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ ، حاشية رقم (٤) .

(٤) ٢٤ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ١ يونيه ١٨٠٧ م .

(٥) ٢٧ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٤ يونيه ١٨٠٧ م .

بيك ، وذلك أنَّهـم لما قربوا من وطاقهـم ، ارتحل إلى صول [1] والبرنبل[2] ، فولوا راجعين وتمموا فى ذهابهم وإيابهم تدمير القرى .

وفيه [3] ، ورد قاصد قابجى من إسلامبول وعلى يده مرسوم بالبشارة بولاية السيد على باشا قبودان الدوننمة ، وتاريخه نحو ثلاثة أشهر ، فضربوا لقدومه المدافع من القلعة .

وفى يوم السبت تاسع عشرينه [4] ، رجع سليمان أغا من قبلى إلى مصر ، وأخبر بقرب قدوم الأمراء المصريين ، وأنَّ شاهين بيك وصل إلى زاوية المصلوب [5] ، وإبراهيم بيك جهة قمن العروس [6] ، وأنهم يستدعون إليهم مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الإثنين سنة ١٢٢٢ [7]

فيه [8] ، سافر مصطفى أغا والصابونجى إلى جهة قبلى وصحبتهما كتخدا القاضى.

وفى سادسه [9] ، وصل شخص ططرى وعلى يده مرسوم فعمل الباشا ديوانا وقرأ المرسوم بحضرة الجمع ، مضمونه : أنَّ العرضى الهمايونى الموجه لحرب الموسكوب ، خرج من إسلامبول وذهب إلى ناحية أدرنة ، وأن العساكر سارت لمحاربة الأعداء ، ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة ، وقد وصل رؤوس قتلى وأسرى كثيرة ، وأنَّه بلغ الدولة ورود نحو الأربع عشرة قطعة من المراكب إلى ثغر الإسكندرية ، وأنَّ الكائنين بالثغر تراخوا فى حربهم حتى طلعوا إلى الثغر ، فمن اللازم الاهتمام وخروج العساكر لحروبهم ودفعهم وطردهم عن الثغر ، وقد أرسلنا البيورلديات إلى سليمان باشا والى صيدا ، وإلى يوسف باشا والى الشام ، بتوجيهه

(١) صول : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز الصف ، محافظة الجيزة.
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ٣٣ .
(٢) البرنبل : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز الصف ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ٢٧ .
(٣) ٢٧ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٤ يونيه ١٨٠٧ م . (٤) ٢٩ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ٦ يونيه ١٨٠٧ م .
(٥) زاوية المصلوب : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز الواسطى ، محافظة بنى سويف .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ١٣٠ .
(٦) قمن العروس : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز الواسطى ، محافظة بنى سويف .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ١٣٢ .
(٧) ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٨ يونيه - ٦ يوليه ١٨٠٧ . (٨) ١ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٨ يونيه ١٨٠٧ م .
(٩) ٦ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ١٣ يونيه ١٨٠٧ م .

العساكر إلى مصر للمساعدة ، وإنْ لزم الحال لحضور المذكورين لتمام المساعدة على دفع العدوّ إلى آخر ما نمقوه وسطروه ، ومحل القصد من ورود هذه البيورلديات والفرامانات والأغوات والقبيجات ، إنما هو جرا لمنفعة لهم ، بما يأخذونه من خدمهم وحق طريقهم من الدراهم والتقادم والهدايا ، فإن القادم منهم إذا ورد استعدوا لقدومه ، فإن كان ذا قدر ومنزلة أعدوا له منزلا يليق به ، ونظموه بالفرش والأدوات اللازمة ، وخصوصا إذا كان حضر فى أمر مهم أو لتقرير المتولى على السنة الجديدة، أو بصحبته خلع رضا وهدايا ، فإنه يقابل بالإعزاز الكبير ويشاع خبره قبل وروده إلى الإسكندرية ، وتأتى المبشرون بوروده من الططر قبل خروجه من دار السلطنة بنحو شهر أو شهرين ، ويأخذون خدمتهم وبشارتهم بالأكياس ، وإذا وصل هو أدخلوه فى موكب جليل وعملوا له ديوانا ومدافع وشنكا ، وأنزل فى المنزل المعَدّ له ، وأقبلت عليه التقادم والهدايا من المتولى وأعيان دولته ، ورتب له الزواتب والمصاريف لمأكله هو وأتباعه لمطبخه وشراب حانته أيام مكثه شهرا أو شهورا ، ثم يعطى من الأكياس قدرا عظيما ، وذلك خلاف هدايا الترحيلة من قدور الشربات المتنوعة ، والسكر المكرر ، وأنواع الطيب كالعود والعنبر والأقمشة الهندية والمقصبات لنفسه ورجال دولته ، وإن كان دون ذلك أنزلوه بمنزل بعض الأعيان بأتباعه وخدمه ومتاعه فى أعز مجلس ، ويقوم رب المنزل بمصرفهم ولوازمهم وكلفهم ، وما تستدعيه شهوات أنفسهم ، ويرون أن لهم المنة عليه بنزولهم عنده ، ولايرون له فضلا بل ذلك واجب عليه ، وفرض يلزمه القيام به مع التأمر عليه وعلى أتباعه ، ويمكث على ذلك شهوراً حتى يأخذ خدمته ، ويقبض أكياسه ، وبعد ذلك كله يلزم صاحب المنزل أن يقدم له هدية ، ليخرج من عنده شاكرا ، ومثنيا عليه عند مخدومه ، وأهل دولته ، أقضية يحار العقل والنقل فى تصورها .

وفى يوم الأحد سابعه [1] ، وصلت القافلة والحجاج من ناحية القلزم على مَرسى السويس ، وحضر فيها أغوات الحرم والقاضى الذى توجه لقضاء المدينة ، وهو المعروف بسعد بيك ، وكذلك خدام الحرم المكى ، وقد طردهم الوهابى جميعا ، وأما القاضى المنفصل فنزل فى مركب ولم يظهر خبره ، وقاضى مكة توجه بصحبة الشاميين ، وأخبر الواصلون أنّهم منعوا من زيارة المدينة ، وأنّ الوهابى أخذ كل ما كان فى الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر ، وحضر أيضًا الذى كان أميرا على ركب الحجاج وصحبته مكاتبة من مسعود الوهابى ، ومكتوب من شريف مكة ،

---

(١) ٧ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠٧ م .

وأخبروا أنـه أمر بحرق المحمل ، واضـطربت أخبار الإخبـاريين عن الوهابى بـحسب الأغراض ، ومكاتبـة الوهابى بمعنى الكلام الـسابق فى نحو الكراسة ، وذكـر فيها ما ينسبونه الناس إليه من الأقوال المخالفة لقواعد الشرع ويتبرأ عنها .

وفيه [(١)] ، ورد الخبر ، بأنَّ إبراهيم بيك وصل إلى بنى سويف، وأنَّ شاهين بيك ذهب إلى الفيوم لاختلاف وقع بينهم ، وأن أمـين بيك وأحمد بيك الألفيين ذهبا إلى ناحية الإسكندرية للإنكليز .

وفيه [(٢)] ، كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التى ابتدعوها فى العام الماضى على القراريـط وإقطاعات الأراضى ، وكـذلك أخذ نصف فـائظ الملتزمـين وعينوا المعـينين لتحصـيله من المزارعين ، وذلـك خلاف ما فرضوه على الـبنادر من الأكياس الـكثيرة المقادير .

وفى ذلك الـيوم [(٣)] ، أرسل الأغـا ووالى الشـرطة أتباعـهما لأربـاب الصنـائع والحـرف والـبوابين بالـوكائل والخـانات ، يأمرونـهم بالحضـور من الغد إلـى بيت القاضى ، فانزعجـوا من ذلك ، ولم يعلموا لأى شىء هذا الطلـب وهذه الجمعية ، وباتوا متفكرين ومتوهمين .

فلما أصبح يوم الإثنين [(٤)] ، واجتمع الناس أبرزوا لهم مرسوما قرئ عليهم بسبب زيادة صرف المعاملة ، وذلـك أنَّ الريال الفرانسة وصلت مصارفتـه إلى مائتين وعشرة من الأنصاف الـعددية ، والمحبوب إلى مـائتين وعشرين وأكـثر ، والمشخص البـندقى وصل إلى أربعمائة وأربعين فضة ، ونحو ذلـك ، فلما قرءوا عليهم المرسوم وأمروهم بعدم الزيـادة ، وأن يكون صرف الفرانـسة بمائتين فقـط ، والمحبوب بمائتين وعـشرين فضة ، والـبندقى بأربعـمائة وعشرين ، فـلما سمعوا ذلـك قالوا : « نحن ليـس لنا علاقة بذلك ، هذا أمر منوط بالصيارف » ، وانفض المجلس .

وفيه[(٥)] ، وصلـت مكاتـبة من إبراهيم بيك ، ومن الرسل مضـمونها : الإخبار بقدومهم ، وأرسل إبـراهيم بيك يستدعى إليـه ابنه الصغير ، وولد ابنتـه المسمى نور الدين ، ويطلب بعض لوازم وأمتعة .

وفى يوم السبت ثالث عشره [(٦)] ، سافر أولاد إبراهيم بيك والمطلوبات التى أرسل بطلبها ، وصحبتهم فراشون وباعة ومتسببون وغير ذلك .

---

(١) ٧ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠٧ م .
(٢) ٧ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠٧ م .
(٣) ٧ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠٧ م .
(٤) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٧ م .
(٥) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٧ م .
(٦) ١٣ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠٧ م .

وفى يوم الإثنين (١) ، ورد سلحدار موسى باشا وعلى يده مرسوم بالعربى ، وآخر بالتركى ، مضمونهما : جواب رسالة أرسلت إلى سليمان باشا بعكا بخبر حادثة الإنكليز ، وملخصها أنَّه ورد علينا جواب من سليمان باشا يخبر فيه وصول طائفة الإنكليز إلى ثغر سكندرية ، ودخولهم إليها بمخامرة أهلها ، ثم زحفهم إلى رشيد ، وقد حاربتهم أهل البلاد والعساكر ، وقتلوا الكثير منهم وأسروا منهم كذلك ، ونؤكد على محمد باشا والعلماء وأكابر مصر بالاستعداد والمحافظة ، وتحصين الثغور مثل : السويس ، والقصير ، ومحاربة الكفار وإخراجهم وإبعادهم عن الثغر ، وقد وجهنا لكل من سليمان باشا ، وجنج يوسف باشا بتوجيه ما تريدون من العساكر للمساعدة ونحو ذلك .

وفيه (٢) ، أحضروا أربعة رؤوس من الإنكليز وخمسة أشخاص أحياء ، فمروا بهم من وسط المدينة ، ذكروا أن كاشف دمنهور حارب ناحية الإسكندرية ، فقتل منهم وأسر هؤلاء ، وقيل : إنهم كانوا يسيرون لبعض أشغالهم نواحى الريف ، فبلغ الكاشف خبرهم فأحاط بهم وفعل بهم ما فعل ، وأرسلهم إلى مصر ، وهم ليسوا من المعتبرين ، وكأنهم مالطية ، وقيل : إنهم سألوهم فقالوا : « نحن متسببون ، طلعنا ناحية أبو قير ، وتهنا عن الطريق ، فصادفونا ونحن تسعة لاغير فأخذونا وقتلوا منا من قتلوه وأبقونا » .

وفيه (٣) ، وصلت مكاتبة من إبراهيم بيك ، وأرسل الباشا إليهم جوابا صحبة إنسان يسمى شريف أغا .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه (٤) ، وردت أخبار من ناحية الشام بأنه وقع بإسلامبول فتنة بين الينكجرية والنظام الجديد ، وكانت الغلبة للينكجرية .

وعزلوا ، السلطان سليم وولوا السلطان مصطفى ابن عمه ، وهو ابن السلطان عبد الحميد بن أحمد وخطب له ببلاد الشام .

وفى يوم الخميس (٥) ، وصل ططرى من طريق البر بتحقق ذلك الخبر ، وخطب الخطباء للسلطان مصطفى على : منابر مصر ، وبلاد مصر ، وبولاق ، وذلك يوم الجمعة سادس عشرينه (٦) .

---

(١) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٢٢ يونيه ١٨٠٧ م .
(٢) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٢٢ يونيه ١٨٠٧ م .
(٣) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٢٢ يونيه ١٨٠٧ م .
(٤) ٢٣ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠٧ م .
(٥) ٢٥ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٢ يوليه ١٨٠٧ م .
(٦) ٢٦ ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٣ يوليه ١٨٠٧ م .

وفى أواخره [1] ، أحدثوا طلب مال الأطيان المسموح الذى لمشايخ البلاد [2] ، وحرروا به دفترا ، وشرعوا فى تحصيله ، وهى حادثة لم يسبق مثلها ، أضرت بمشايخ البلاد وضيقت عليهم معايشهم ومضايفهم .

وفيه [3] ، كتبوا أوراقا للبلاد والأقاليم بالبشارة بتولية السلطان الجديد ، وعينوا بها المعينين وعليها حق الطرق مبالغ لها صورة ، وكل ذلك من التحيل على سلب أموال الناس .

وفيه [4] ، كتبوا مراسلة إلى الأمراء القبليين بالصلح ، وأرسلوا بها ثلاثة من الفقهاء وهم : الشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ إبراهيم السجينى ، والسيد محمد الدواخلى ، وذلك أنَّه لما رجع شريف أغا الذى كان توجه إليهم بمراسلتهم ، أرسلوا يطلبون الشيخ الشرقاوى ، والشيخ الأمير ، والسيد عمر النقيب لإجراء الصلح على أيديهم ، فأرسلوا الثلاثة المذكورين بدلا عنهم .

وفى هذه الأيام [5] ، كثر خروج العساكر والدلاة وهم يعدون إلى البر الغربى ، وعدى الباشا بحر النيل إلى بر إنبابة وأقام هناك أياما .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٢ [6]

فيه [7] ، شرع الباشا فى تعمير القلاع التى كانت أنشأتها الفرنساوية خارج بولاق ، وعمل متاريس بناحية منية عقبة وغيرها ، ووزع على الجسيارة جيرا كثيرا ، ووسق عدة مراكب وأرسلها إلى ناحية رشيد ليعمروا هناك سورا على البلد ، وأبراجا وجمعوا البنائين والفعلة والنجارين وأنزلوهم فى المراكب قهرا .

وفى منتصفه [8] ، وصل إلى مصر نحو الخمسمائة من الدلاتية أتوا من ناحية الشام ودخلوا إلى المدينة .

وفيه [9] ، طلب الباشا من التجار نحو الألفى كيس على سبيل السلفة ، فوزعت

---

(١) أخر ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٦ يوليه ١٨٠٧ م .

(٢) مشايخ البلاد : هم الجهاز التنفيذى فى القرية ، لكل قرية شيخ أو عدد من المشايخ ، أبرزهم يطلق عليه شيخ المشايخ أو المقدم .

عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ١٨ - ٢٣ .

(٣) أخر ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٦ يوليه ١٨٠٧ م . (٤) أخر ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٦ يوليه ١٨٠٧ م .

(٥) أخر ربيع الثانى ١٢٢٢ هـ / ٦ يوليه ١٨٠٧ م .

(٦) جمادى الأولى ١٢٢٢ هـ / ٧ يوليه - ٥ اغسطس ١٧٠٨ م .

(٧) ١ جمادى الأولى ١٢٢٢ هـ / ٧ يوليه ١٨٠٧ م . (٨) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٢ هـ / ٢١ يوليه ١٨٠٧ م .

(٩) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٢ هـ / ٢١ يوليه ١٨٠٧ م .

على الأعيـان وتجار البن ، وأهل وكالة الـصابون [1] ، ووكالة الـتفاح [2] ، ووكالة القرب[3] ، وخلافها ، وحجزوا الـبضائع وأجلسوا العساكر علـى الحواصل والوكائل يمنعون مـن يخرج من حاصلـه أو مخزنه شيئًا ، إلاَّ بـقصد الدفع من أصـل المطلوب منهم ، ثم أردفوا ذلك بمطلوبات من أفراد النـاس المساتير ، فيكون الإنسان جالسا فى بيته فما يشعر إلا والمعينون واصلون إليـه ، وبيدهم بصلة الطلب ، إما خمسة أكياس أو عشرة أو أقل أو أكثـر ، فإما أنْ يدفعها ، وإلا قبـضوا عليه وسحبوه إلـى السجن فيحبس ويعاقب حـتى يتمم المطلوب منه ، فنزل بالناس أمـر عظيم ، وكرب جسيم ، وفى النـاس من كان تاجـرا ووقف حاله بتـوالى الفتن والمـغارم ، وانقطـاع الأسباب والأسفـار ، وأفلس ، وصار يتـعيش بالكـد والقـــرض ، وبيع متاعـــه وآثاث داره وعقاره ، واسمه باق فى دفـاتر التجار ، فما يشعر إلاَّ والطلب لاحقـه بنحو ما تقدم لكونه كان معروفا فى التجار ، فيؤخذ ويحـبس ويستغيث فلا يغاث ولايجد شافعا ولا راحما ، وهذ الـشيء خلاف الفرض المتواليـة على البلاد والقرى فـى خصوص هذه الحادثة ، وكـذلك على البـنادر مقاديـر لها صورة وما يـتبعها مـن حق طرق المعـينين والمبـاشرين ، وتـوالى مرور الـعساكـر آناء الليـل ، وأطراف النـهار بطـلب الكـلف واللوازم، وأشياء يكل الـقلم عن تسطيرها ، ويستحى الإنـسان من ذكرها ، ولايمكن الوقوف على بعض جزئـياتها حتى خربت القرى ، وافتقر أهلهـا وجلوا عنها ، فكان يجتمع أهل عدة من الـقرى فى قرية واحدة بعيدة عنهم ، ثم يلحقـها وبالهم فتخرب كذلـك ، وأما غـالب بـلاد السواحـل فإنـها خـربت وهرب أهـلهـا وهدمـوا دورها ومساجدها وأخذوا أخـشابها ، ومن جملة أفاعيـلهم الشنيعة التى لـم يطرق الأسماع نظيرها أنهم قرروا فرضة من فرض المغارم عـلى البلاد ، فكتبوا أوراقا وسموها بشارة الفرضـــة ، يتـولاها بعض من يـكون متطلعا لمنـصب أو منفعة ، ثم يرتـب له خدما وأعوانا ، ثم يسافر إلى الإقليم المعين لـه ، وذلك قبل منصب الأصل ، وفى مقدمته يبعث أعوانه إلى البلاد يبشرونهم بذلك، ثم يقبضون ما رسم لهم فى الورقة من حق الطريق بحسب ما أدى إليه اجتهاده قليلا أو كـثيراً ، وهذه لم يسمع بما يقاربها فى ملة

---

(١) وكالة الصابـون : وكالة كبيرة بالجماليـة ، كان ينزلها التجار بـبضائع بلاد الشام من : الزيت والشـيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب ، وغير ذلك ، وسماها المقريزى بوكالة قوصون .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص.٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) وكالـة الـتفاح : وكالـة كبيـرة تقع بشارع وكالة التفـاح ، كـان بها عدة من تجـار الشوام يبيعون فيهـا البضائع الشامية .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

(٣) وكالة القرب : لم نعثر على تعريف بها ، وواضح من النص أنها تقع بمنطقة الجمالية .

ولا ظلم ولاجور ، وسمعت من بعض من له خـبرة بذلك أن المغارم التى قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس ، وذلك خلاف المصادرات الخارجة .

وفى أواخره [1] ، قوى عزم الباشا على السفر لناحية الإسكندرية ، وأمر بإحضار اللوازم والخيام وما يحتاج إليه الحال من روايا الماء والقرب وباقى الأدوات .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٢ [2]

فى ثانيه [3] ، وهو يوم الجـمعة ، ركب الباشـا إلى بولاق وعدى إلى ناحـية بر إنبابة ، ونصـبوا وطاقه هناك ، وخرجت طـوائف العسكر إلى ناحـية بولاق وساحل البحر ، وطفـقوا يأخذون ما يجدونه من الـبغال والحمير والجمال ، واسـتمروا على الدخول والخروج والذهاب والمجـئ والرجوع والتعدية أياما ، وهم عـلى ذلك النسق من خطف البهائـم ، وامتنعت السقاؤون عن نقل الماء من البـحر حتى شح الماء وغلا سعره وعطشت الناس ، وامتنع حمل البضائع .

وفى ثالثه [4] ، طلبوا أيضًا ، خيول الطواحين لجر المدافع والعربات حتى تعطلت الطواحـين عن طحن الدقـيق ، ولما ذهبوا بهـا إلى العرضى اخـتاروا منها جـيادها ، وأعطوا أربابها عن كل فرس خمسين قرشا ، وردوا البواقى لأصحابها .

وفيه [5] ، طلبوا أيضًا دراهم مـن : طائفة القبانية ، والحطابـة ، وباعة السمك القديد المعروف بالفسيخ ، فكان القدر المطلوب من طائفة القبانية مائة وخمسين كيسا، فأغلقوا حـوانيتهم وهربوا والتجـأوا إلى الجامع الأزهر ، وكذلك الحطـابة وغيرهـم ، منهم من هرب ، ومنهم من التجأ إلى السيد عمر ، واستمر كذلك ثلاثة أيام ، وركب السيـد عمر وعدى إلى البـاشا وتشفع فى الـطوائف المذكورة فرفـعوا عنهم غرامـتهم وكتبوا لهم أمانا بذلك .

وفى خامسه [6] ، حضر قابجى مـن طرف الإنكليز ، وصحبته أشـخاص فأنزلهم الباشا فـى خيمة بمخيـمه بإنبابة ، فرقـدوا بها ليـأخذوا لهم راحة ونامـوا ، فلما

---

(١) آخر جمادى الأولى ١٢٢٢ هـ / ٥ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٢) جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٦ أغسطس - ٣ سبتمبر ١٨٠٧ م .
(٣) ٢ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٧ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٤) ٣ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٨ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٥) ٣ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٨ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٦) ٥ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ١٠ أغسطس ١٨٠٧ م .

استيقظوا فلم يجدوا ثيابهم وسطا عليهم السراق فشلحوهم ، فأرسلوا إلى حارة الفرنساوية [1] ، فأتوا لهم بثياب وقفوات لبسوها .

وفى يوم السبت [2] ، مع ليلة الأحد حادى عشره [3] ، عمل الفرنساوية عيدا ومولدا بحارتهم وأولموا بينهم ولائم وأوقدوا قناديل كثيرة تلك الليلة ، وحراقات نفوط وسواريخ وشنكا حصة من الليل ، وهو عبارة عن مولد بونابارته السنوى .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره [4] ، طلب الباشا حسين أفندى الروزنامجى فعدى إليه ببر إنبابة ، فخلع عليه خلعة الدفتردارية ، وحضر إلى داره الجديدة ، وهو بيت الهياتم بالقرب من قنطرة درب الجماميز [5] ، وذهب إليه الناس يهنؤنه ، وانفصل أحمد أفندى عاصم عن الدفتردارية .

وفى يوم الخميس خامس عشره [6] ، عمل الباشا شنكا بالبر الغربى بين المغرب والعشاء ، ولما أصبح أمر بالارتحال وتمهل حتى تكامل ارتحال العساكر ، فركب قريب الزوال إلى المنصورة .

وفى يوم الجمعة سادس عشره الموافق لسادس مسرى القبطى [7] ، أوفى النيل أذرعه وذلك بعد أن حل فى الناس ضجر وقلق بسبب تأخر الوفاء ، ووقفات حصلت فى الزيادة قبل الوفاء عدة أيام حتى رفعوا الغلال من العرصات ، وزادت أثمانها ، فلما حصل الوفاء اطمأن الناس وتراجعت إليهم أنفسهم ، وأظهروا الغلال فى العرصات والرقع ، وركب كتخدا بيك فى صبح يوم السبت [8] ، وكذلك القاضى وطوسون ابن الباشا والسيد عمر النقيب وكسر السد بحضرتهم ، وجرى الماء فى الخليج .

وفيه [9] ، وصل قابجى إلى ثغر سكندرية ، وحضر بعد ذلك إلى ثغر بولاق من

---

(١) حارة الفرنساوية : لم نعثر على تعريف بها ، وواضح من النص أنها حارة كانت قائمة أيام الجبرتى .
(٢) ١٠ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ١٥ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٣) ١١ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ١٦ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٤) ١٣ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ١٨ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٥) درب الجماميز : درب يقع بشارع الصليبة .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣١٣ .
(٦) ١٥ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٢٠ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٧) ١٦ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٢١ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٨) ١٧ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٩) ١٧ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨٠٧ م .

طريق البر إلى قبرص ، وتحرى الوصول إلى دمياط ، ثم حضر إلى بولاق ، وقابل الباشا فى طريقه ، ووصل على يده سكّة ضرب المعاملة الجديدة بالضربخانه باسم السلطان الجديد ، وكذلك الأمر بالخطبة والدعاء ، والإخبار برفع النظام الجديد وإبطاله من إسلامبول ، ورجوع الوجاقات على قانونها الأوّل القديم [1] ، ووصل فى نيف وخمسين يوما ، فاجتمعوا فى صبحها يوم الأحد بباب الباشا وأحضروا الأغا بموكب ودخل من باب النصر ، وقرئ الفرمان بحضرة الجمع ، وضربوا شنكا ومدافع من أبراج القلعة ثلاثة أيام فى الأوقات الخمسة .

ومن الحوادث ، أنه ظهر فى هذه الأيام رجل بناحية بنها العسل ، يدعى بالشيخ سليمان ، فأقام مدة فى عشة بالغيط ، واعتقد فيه الناس الولاية والسلوك والجذب ، فاجتمع إليه الكثير من أهل القرى ، وأكثرهم الأحداث ونصبوا له خيمة ، وكثر جمعه وأقبلت عليه أهالى القرى بالنذور والهدايا ، وصار يكتب إلى النواحى أوراقا يستدعى منهم القمح والدقيق ، ويرسلها مع المريدين يقول فيها : « الذى نعلم به أهل القرية الفلانية حال وصول الورقة إليكم تدفعوا لحاملها خمسة أرادب قمح أو أقل أو أكثر برسم طعام الفقراء ، وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفا ، أو نحو ذلك » ، فلا يتأخرون عن إرسال المطلوب فى الحال ، وصار الذين حوله ينادون فى تلك النواحى بقولهم : « لا ظلم اليوم ، ولا تعطوا الظلمة شيئًا من المظالم التى يطلبونها منكم ، ومن أتاكم فاقتلوه » ، فكان كل من ورد من العسكر المعينين إلى تلك النواحى يطلب الكلف أو الفرض التى يفرضونها فزعوا عليه وطردوه ، وإن عاند قتلوه ، فثقل أمره على الكشاف والعسكر ، وصار له خيام وأخصاص ، واجتمع لديه من المردان نحو المائة وستين أمرد ، وغالبهم أولاد مشايخ البلاد ، وكان إذا بلغه أنّ بالبلد الفلانية غلاما وسيم الصورة أرسل يطلبه ، فيحضروه إليه فى الحال ، ولو كان ابن عظيم البلدة ، حتى صاروا يأتون إليه من غير طلب ، ولايخفى حال الإقليم المصرى فى التقليد فى كل شىء ، وهذا من جنس المردان ، وكذلك ذوو اللحى هم كثيرون أيضًا ، وعمل للمردان عقودا من الخرز الملوّن فى أعناقهم ولبعضهم أقراطا فى آذانهم ، ثم إن شيخا من فقهاء الأزهر من أهالى بنها يقال له : الشيخ عبد الله البنهاوى ادّعى دعوى بطين مستأجره من أراضى بنها ، كان لأسلافه ، وأنّ الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من غير حق لهم فيه ، بل بإغراء بعض مشايخ القرية ، والمذكور به رعونة ، ولم يحسن سبك دعواه ، وخصوصا كونه مفلسا وخليا

---

(١) قانون الأوجاقات القديم : أى نظامها القديم .

من الدراهم التى لابد منها الآن فى الجعـالات والبراطيل للوسايط ، وأرباب الأحكام وأتباعهم ، ويظـن فى نفسه أنه يقضى قضيته بقال المصنف إكراما لـعلمه ودرسه ، فتخاصم مع المـلتزمين ومشايخ بلده ، وانعـقدت بسببه مجالس ، ولم يـحصل منها شىء سوى التشنيع عـليه من المشايخ الأزهرية ، والسيد عمر الـنقيب ، ثم كتب له عرضحال ورفع أمره إلى كتخدا بيك والباشا ، فأمر الباشا بعقد مجلس بسببه بحضرة السيد عمر والمشايخ، وقالوا للباشا: « إنه غير محق » ، وطردوه ، فسافر إلى بلده ، وسافر الباشا أيضًا إلى جهة البحيرة والإسكندرية ، فذهب الشيخ عبدالله المذكور إلى الشيخ سليمان المذكور ، وأغراه على الحضور إلى مصر ، وأنه متى وصل اجتمع عليه المشايخ وأهـل البلدة وقابلـوه ، ويكون على يده الفـتح والفتوح ، وحركـته خساف العقول المحيطون به والمجتمعون حـوله على المجئ إلى مصر ، ويكون له شأن ، لأن ولايته اشتهرت بالمدينة ، ولهم فيه اعتقاد عظيم ، وحب جسيم ، ومن أوصاف ذلك الشيخ أنه لايتكلم إلا بالذكر أو الكلام النـزر الذى لابد منه ، ويتكلم فى أكثر أوقاته بالإشارة ، ثم إنَّه أطاع شـياطينه ، وحضر برجـاله وغلمانه ، ومعه طـبول وكاسات على طريق مشايخ أهل العصر والأوان الذين يحـسبون أنهم يحسنون صنعا ، ودخلوا إلى المدينة عـلى حين غفلة وبأيديـهم فراقل [1] يفرقعون بـها فرقعة متتابـعة وصياح وجلبة ، ومن خلفهم الغلمان والبدايات وشيخهم فى وسطهم ، فما زالوا فى سيرهم حتى دخلوا المشهد الحسينى ، وجلسوا بالمسجد يذكرون ، ودخل منهم طائفة من بيت السيد عـمر مكـرم النقيـب ، وهم يفرقعون بمـا فى أيديهم من الفرقـلات ، فأقاموا بالمسـجد إلى العصـر ، ثم دعاهم إنسان مـن الأجناد يقال لـه إسماعيل كـاشف أبو مناخـير له فى الشيـخ المذكور اعتقاد ، فـذهبوا معه إلـى داره بعطفة عبـدالله بيك ، فعشَّاهم وبـاتوا عنده إلى الصبـاح ، ولما طلع النهـار ركب الشيخ بغلـة ذلك الجندى وذهب بطائفته إلى ضريح الإمام الشافعى، فجلس بالمسجد أيضًا مع أتباعه يذكرون ، وبلغ خبره كتخدا بيك وأمثاله ، فكتب تذكـرة وأرسلها إلى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور ليتبركوا به ، وأكد فى الطلب وقصده أن يفتك به لقهرهم منه ، وعلم السيد عمـر ما يراد به ، فأرسل يقول لـه : « إن كنت من أهل الكرامة فـأظهر سرك وكرامتـك وإلاَّ فاذهب وتغـيب » ، وكان صالـح أغا قوج لما بـلغه خبـره ركب فى عسكره وذهب إلى مقام الشافعى وأراد القبض عليه، فخوفه الحاضرون ، وقالوا له : « لاينبـغى التعـرض له فـى ذلـك المكـان ، فإذا خـرج فدونك وإياه فـانتظره بـقصر شويكار»، فتباطأ الشيخ إلى قريب العصر، وأشاروا عليه بالخروج من الباب القبلى ،

---

(1) فراقل : مفردها فرقلة وتعنى حبل ثخين يشبه إلى حد كبير الكرباج .

وتفرق عنه الكثير من المجتمعين عليه ، فذهب إلى مقام الليث بن سعد [1] ، ثم سار من ناحية الجبل ، وذهبت بداياته وغلمانه إلى دار إسماعيل كاشف التى باتوا بها ، ولما سار إلى ناحية الصحراء لحقه الحاج سعودى الحناوى واقتفى أثره ، وبلغه رسالة السيد عمر ، ورجع إلى السيد عمر ، فوجد كتخدا بيك ، ورجب أغا ، حضرا إلى السيد عمر يسألانه عنه ، ولم يكتفوا بالطلب الأول فأخبرهما أنه ذهب ولم تلحقه المراسيل ، فاغتاظوا ، وقالوا : « نرسل إلى كاشف القليوبية بالقبض عليه أينما كان »، وانصرفوا ذاهبين، وقصدت العساكر بيت إسماعيل كاشف أبو مناخير ، فقبضوا على الغلمان وأخذوهم إلى دورهم ، ولم ينج منهم إلا من كان بعيدا ، وهرب وتغيب ، وتفرق أتباعه ذوات اللحى ، وأما الشيخ فسار من طريق الصحراء حتى وصل إلى بهتيم [2] ، وذهب إلى نوب[3] ، فعرف بمكانه الشيخ عبدالله زقزوق البنهاوى الذى كان أغراه على الحضور إلى مصر ، ولما سقط فى يده تبرأ عنه ، وذهب إلى كتخدا بيك وطلب له أمانا ، وأخبره أنه مختف بضريح الإمام الشافعى ، فأعطاه أمانا وذهب إليه وأحضره من نوب ، فلما حضر عند الكتخدا قال له : « أرخ لحيتك ، واترك ما أنت عليه ، وأقم فى بلدك ، وأعطيك طينا تزرعه ولاتتعرض لأحد ، ولا أحد يتعرض لك » ، والشيخ ساكت لايتكلم وصحبته أربعة أنفار من تلاميذه هم الذين يخاطبون الكتخدا ويكلمونه ، ثم أمر أشخاصا من العسكر فأخذوه وذهبوا به إلى بولاق ، وأنزلوه فى مركب وانحدروا به ، ثم غابوا حصة وانقلبوا راجعين ، ثم بعد ذلك تبين أنهم قتلوه وألقوه فى البحر إلاَّ واحدا من الأربعة ألقى بنفسه فى البحر ، وسبح فى الماء وطلع إلى البر وهرب وانفض أمره .

وفيه [4] ، أرسل الباشا وهو بالرحمانية يطلب شيخ دسوق فحضر إليه طائفة من العسكر ، فلما أتوا إليه امتنع ، وقال : « ما يريد الباشا منى أخبرونى بطلبه وأنا أدفعه ، إن كان غرامة أو كلفة » ، فقالوا : « لاندرى وإنما أمرنا بإحضارك » ، فشاغلهم بالطعام والقهوة وورع بهائمه وحريمه والذى يخاف عليه ، وفى الوقت وصلت مراكب وبها عساكره وطلعوا إلى البر ، فركب شيخ البلد خيوله وخيالته ، واستعد لحربهم وحاربهم وأبلى معهم ، وقتل منهم عدة كبيرة ، ثم ولى هاربا ، فدخل العسكر إلى البلد ونهبوها وأخذوا ما وجدوه فى دور أهلها ، وعبروا مقام

(١) الليث بن سعد : (٩٤ - ١٧٥ هـ / ٧١٣ - ٧٩١ م) ، هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، بالولاء ، أبو الحارث ، إمام أهل مصر فى عصره ، حديثا وفقها ، قال عنه الإمام الشافعى : « الليث أفقه من مالك » ، وله تصانيف كثيرة .

الزركلى ، خير الدين : الأعلام ، جـ ٥ ، ص ٢٤٨ . .

(٢) بهتيم : قرية قديمة ، اسمها الأصلى « بهتيت » ، إحدى قرى مركز قليوب ، محافظة القليوبية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٢ .

(٣) نوب : هى طحانوب ، إحدى قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية .

(٤) ١٧ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨٠٧ م .

السيد الدسوقى ، وذبحوا من وجدوه من المجاورين وفيهم من طلبة العلم العواجز .

وفيه [1] ، ركب كتخدا بيك ، ومر على بيت الداودية وبه طائفة من الدلاة ، فرأى شخصا منهم يرجم دجاجة بحجر ليرميها من سطح دار أخرى ، فانتهره وأراد ضربه ، فقامت عليه رفقاؤه الدلاتية ، وفزعوا عليه فولى هاربا منهم ، فعدوا خلفه ولم يزل رامحا هو وأتباعه حتى وصل إلى ناحية الأزبكية .

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢ [2]

فى رابعه [3] ، وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه وبين الإنكليز ، واتفقوا على خروجهم من الإسكندرية وخلوها ونزولهم منها ، وأرسل يطلب الأسرى من الإنكليز .

وفى عاشره [4] ، ورد قابجى ، ويسمى نجيب أفندى ، فوصل إلى بولاق يوم الإثنين حادى عشره [5] ، وكان وروده من ناحية دمياط ، فلما علم أنَّ الباشا بناحية البحيرة ذهب إليه وقابله بدمنهور، وبصحبته لخصوص الباشا قفطان وسيف وشلنج ، وخلع لكبار العسكر مثل : حسن باشا ، وطاهر باشا ، وعابدين بيك ، وعمر بيك ، وصالح قوج ، فنزل ببيت محمد الطويل التتنجى ببولاق .

وفيه [6] ، نزلوا بالأسرى من الإنكليز إلى المراكب ليسافروا إلى الإسكندرية .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره [7] ، وصل المبشر بنزول الإنكليز من ثغر الإسكندرية إلى المراكب ودخل إليها كتخدا بيك ونزل بدار الشيخ المسيرى ، واستمر الباشا مقيما عند السد .

وفى يوم السبت سادس عشره [8] ، ركب القابجى من بولاق بالموكب، وشق من وسط المدينة ، وذهب إلى بيت الباشا ، وضربوا لقدومه مدافع من القلعة .

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه [9] ، ولد لمحمد على باشا مولود من حظيته ، وحضر المبشرون بنزول الإنكليز من الإسكندرية ودخول الباشا بها ، فعملوا شنكا

---

(١) ١٧ جمادى الثانية ١٢٢٢ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨٠٧ م .
(٢) رجب ١٢٢٢ هـ / ٤ سبتمبر - ٣ أكتوبر ١٨٠٧ م .
(٣) ٤ رجب ١٢٢٢ هـ / ٧ سبتمبر ١٨٠٧ م .
(٤) ١٠ رجب ١٢٢٢ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٠٧ م .
(٥) ١١ رجب ١٢٢٢ هـ / ١٤ سبتمبر ١٨٠٧ م .
(٦) ١١ رجب ١٢٢٢ هـ / ١٤ سبتمبر ١٨٠٧ م .
(٧) ١٣ رجب ١٢٢٢ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨٠٧ م .
(٨) ١٦ رجب ١٢٢٢ هـ / ١٩ سبتمبر ١٨٠٧ م .
(٩) ٢٧ رجب ١٢٢٢ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨٠٧ م .

وضربوا مدافع من القلعة ثلاثة أيام فى الأوقات الخمسة آخرها السبت [1] .

وفى يوم الخميس والجمعة والسبت [2] وصلت عساكر كثيرة ودخلوا المدينة وطلبوا سكنى البيوت ، وأزعجوا الناس وأخرجوهم من أوطانهم ، وضجت الخلائق ، وحضر الكثير إلى السيد عمر والمشايخ ، فكتبوا عرضا فى شأن ذلك ، وأرسلوه إلى كتخدا بيك ، فأظهر الاهتمام وأحضر طائفة من كبار العسكر وكلمهم فى ذلك ، وقال لهم : « كل من كان ساكنا قبل الخروج إلى العرضى فى دار فليرجع إليها ويسكنها ، ولا تعارضوا الناس فى مساكنهم » ، فلم يفد كلامه فى ذلك شيئًا ، لأنَّ البيوت التى كانوا بها أخربوها وحرقوا أخشابها وتركوها كيمانا وذلك دأبهم .

واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٢ [3]

فى ثالثه يوم الإثنين [4] ، وصل الباشا إلى ساحل بولاق ، فضربوا لقدومه مدافع من القلعة ، وعملوا له شنكا ثلاثة أيام ، واتفق أنَّ الباشا فى حال رجوعه من الإسكندرية نزل فى سفينة صغيرة وصحبته حسن باشا طاهر وسليمان أغا الوكيل سابقا ، فانقلبت بهم ، وأشرف ثلاثتهم على الغرق ، وتعلق بعضهم بحرف السفينة ، فلحقتهم مركب أخرى أنقذتهم من الغرق ، وطلعوا سالمين ، وكان ذلك عند رفيتة[5] .

وفيه [6] ، كتبوا أوراق البشارة بذهاب الإنكليز وسفرهم من الإسكندرية ، وأرسلوها إلى البلاد والقرى وعليها حق الطريق أربعة آلاف وألفين فضة ، وصورة ما حصل : أنه لما وصل الباشا إلى ناحية الإسكندرية راسل الإنكليز ، وحضر إليه أنفار منهم واختلى معهم ، ولم يعلم أحد ما دار بينهم من الكلام ، وذهبوا من عنده وأشيع الصلح ، وفرحت العسكر لأنَّهم لما رأوا صورة المتاريس والطوابى والخنادق وجرى المياه بين ذلك بالأوضاع المتقنة هالهم ذلك ، ثم حضر من عظمائهم أشخاص، ولما علم الباشا بوصولهم رتب العساكر ، ونظم ديوانا وهيأه ، وأوقف العساكر صفوفا يمنة ويسرة ، وعندما وصلوا ضربوا لهم بمدافع كثيرة وشنكا ، وقدم لهم خيولا هدايا وأقمشة هندية ، وخلع عليهم خلعا وشيلانا كشميرية وغير ذلك ،

---

(١) ١ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٤ أكتوبر ١٨٠٧ م .

(٢) ٢٨ ، ٢٩ رجب ، ١ شعبان ١٢٢٢ هـ / ١ ، ٢ ، ٤ أكتوبر ١٨٠٧ م .

(٣) شعبان ١٢٢٢ هـ / ٤ أكتوبر – ١ نوفمبر ١٨٠٧ م . (٤) ٣ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٠٧ م .

(٥) رفيته : انظر ، جـ ٣ ، ص ٤٢٨ ، حاشية رقم (٢) . (٦) ٣ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٠٧ م .

ثم ركب معهم فى قلة إلى حيث منزلة صارى عسكرهم وكبيرهم ، فتلاقى معهم وقدم له الآخر هدايا وطرائف ، ثم ركب معه إلى الإسكندرية ، وتسلم القلعة ، وذلك بعد دخول كتخدا بيك بخمسة أيام ، وكان فى أسرى الإنكليز أنفار من عظمائهم ، فأحضرهم الباشا مع باقى الأسرى ، وتم الصلح على رد المذكورين على أنَّهم لم يأتوا طمعا فى البلاد كما تقدم ، ولما نزلوا بالمراكب لم يبعدوا عن الثغر إلا مسافة قليلة ، واستمروا يقطعون على المراكب الواردين على الثغور ، وذلك لما بينهم وبين العثمانى من المفاقمة ، هذا ما كان من أمر الإنكليز .

وأمّا العساكر ، فإنَّهم أفحشوا فى التعدى على الناس وغصب البيوت من أصحابها ، فتأتى الطائفة منهم إلى الدار المسكونة ويدخلونها فى غير احتشام ولا إذن ، ويهجمون على سكن الحرم بحجة أنَّهم يتفرجون على أعالى الدار ، فتصرخ النساء ، ويجتمع أهل الخطة ويكلمونهم فلا يلتفتون إليهم ، فيعالجونهم مرة بالملاطفة وأخرى بكثرة الجمع إن كان بهم قوّة ، أو بمعونة ذى مقدرة ، وإذا انفصلوا فلا يخرجون من الدار إلا بمصلحة أو هدية لها قدر ، ويشترطون فى ذلك الشيلان الكشميرى ، فإذا أحضروا لهم مطلوبهم فلا يعجب كبيرهم ، ويطلب خلافه أحمر أو أصفر ، واتفق أنَّ بعضهم دخل عليه بينباشا [1] بجماعته ، فلم يزل به حتى صالحه على شال يأخذه ويترك له داره ، فأتاه بشال أصفر فأظهر أنَّه لايريد إلاَّ الأحمر الدودة ، فلم يسعه إلاَّ الرضا ، وأراد أن يرد الأصفر ويأتيه بالأحمر فحجزه ، وقال : « دعه حتى تأتى بالأحمر فأختار منهما الذى يعجبنى » ، فلما أتاه بالأحمر ضمه إلى الأصفر ، وأخذ الإثنين ، ثم انصرف عنه ، وذلك خلاف ما يأخذونه من الدراهم ، فإذا انصرفوا وظن صاحب الدار أنَّهم انحلوا عنه فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلافهم ، ويقع فى ورطة أخرى مثل الأولى أو أخف أو أعظم منها ، وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالتحيل والملاطفة مع صاحب الدار ، فيقول له : « يا أخى يا حبيبى أنا معى ثلاثة أنفار أو أربعة لا غير ، ونحن مسافرون بعد عشرة أيام ، والقصد أنْ تفسح لنا نقيم فى محل الرجال ، وأنت بحريمك فى مكانهم أعلى الدار » ، فيظنّ صدقهم ، ويرضى بذلك على تخوف وكره ، فيعبرون ويجلسون كما قالوا فى محل الرجال، ويربطون خيولهم فى الحوش ويعلقون أسلحتهم ، ويقولون : « نحن صرنا ضيوفك » ، فإذا أراد أن يرفع فرش المكان ، يقولون : « نحن نجلس على الحصير والبلاط وأى شىء يصيب الفرش فيتركه حياء وقهرا » ، ثم يطلبون الطعام والشراب فما يسعه إلا أن يتكلف لهم ذلك فى أوقاته ، ويستعملون الأوانى

---

(١) بينباشى : رتبة عسكرية أعلى من رتبة العسكرى ، وتسبق رتبة الصول .

ويطلبون ما يحتاجون إليه مثل الطشت والإبريق وغير ذلك ، ثم تأتيهم رفقاؤهم شيئًا فشيئًا ، ويدخلون ويخرجون وبأيديهم الأسلحة ويضيق عليهم المكان ، فيقولون لصاحب المكان : « اخل لنا محلا آخر في الدار فوق لرفقائنا » ، فإن قال : « ليس عندنا محل آخر » ، أو قصر فى مطلوب ابتدأوه بالقسوة فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنَّهم لا انفكاك لهم عن المكان ، وربما مضت العشرة أيام أو أقل أو أكثر ، وظهرت قبائحهم وقذروا المكان ، وحرقوا البسط والحصر بما يتساقط عليها من الجمر من شربهم النارجيلات والتنباك والدخان ، وشربوا الشراب ، وعربدوا وصرخوا وصفقوا وغنوا بلغاتهم المختلفة ، وفقعت رائحة العرقى [1] فى المنزل ، فيضيق صدر الرجل وصدر أهل بيته ، ويطيب خاطرهم على الخروج والنقلة ، فيطلبون لأنفسهم مسكنا ولو مشتركا عند أقاربهم أو معارفهم ، وتخرج النساء فى غفلة بثيابهم وما يمكنهم حمله ، ثم يشرعون في إخراج المتاع والأوانى والنحاس والفرش فيحجزونه منهم ، ويقولون : « إذا أخذتم ذلك فعلى أى شيء نجلس ، وفى أى شيء نطبخ وليس معنا فرش ولا نحاس ، والذى كان معنا استهلك منا فى السفر والجهاد ، ودفع الكفار عنكم ، وأنتم مستريحون فى بيوتكم وعند حريمكم ، فيقع النزاع ، وينفصل الأمر بينهم وبين صاحب الدار إما بترك الدار بما فيها ، أو بالمقاسمة والمصالحة بالترجي والوسايط ونحو ذلك ، وهذا الأمر يقع لأعيان الناس ، والمقيمين بالبلدة من الأمراء والأجناد المصريين وأتباعهم ونحوهم ، ثم إنَّهم تعدوا إلى الحارات والنواحى التى لم يتقدم لهم السكنى بها قبل ذلك مثل نواحى : المشهد الحسينى ، وخلف الجامع المؤيدى ، والخرنفش [2] ، والجمالية ، حتى ضاقت المساكن بالناس لقلتها وصار بعض المحتشمين إذا سكن بجواره عسكر يرتحل من داره ، ولو كانت ملكه بعدا من جوارهم وخوفا من شرهم وتسلقهم على الدار ، لأنهم يصعدون على الأسطح والحيطان ، ويتطلعون على من بجوارهم ، ويرمون بالبندقيات والطبنجات ، ومما اتفق أنَّ كبيرا منهم دخل بطائفته إلى منزل بعض الفقهاء المعتبرين ، وأمره بالخروج منها ليسكن هو بها ، فأخبره أنه من مشايخ العلم ، فلم يلتفت لقوله ، فتركه ولبس عمامته وركب بغلته ، وحضر إلى إخوانه المشايخ واستغاث بهم ، فركب معه جماعة

---

(١) العرقى : الخمر المصنوع من البلح .

(٢) الخرنفش : شارع يقع بعد شارع أمير الجيوش ، وهو من الخطوط العريضة التى تصل إلى الخليج ، وموقع هذا الشارع ، كان الحد الشمالى للقصر الغربى الفاطمى ، وكان به ورشة أنشأها محمد على باشا ، لعمل بعض الآلات الأصولية مثل السندانات ، والمخارط الحديد ، والقواديم والمناشير وغيرها ، وأدوات الأنوال لصناعة غزل ونسج الحرير والقطن والمقصبات .

محمد ، محمد كمال السيد : أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٣٣٩ - ٣٤٢ .

منهم ، وذهبوا إلى الدار ، ودخلوا إليها راكبين بغالهم ، فعندما شاهدهم العسكر وهم واصلون فى كبكبة ، أخذوا أسلحتهم وسحبوا عليهم السيوف ، فرجع البعض هاربا ، وثبت الباقون ونزلوا عن بغالهم وخاطبوا كبيرهم ، وعرفوه أنها دار العالم الكبير ، وهذا لايناسب ، وأن النصارى واليهود يكرمون قسسهم ورهبانهم ، وأنتم أولى بذلك لأنكم مسلمون ، فقالوا لهم فى الجواب : « أنتم لستم بمسلمين لأنكم كنتم تتمنون تملك النصارى لبلادكم ، وتقولون إنهم خير منا ، ونحن مسلمون ومجاهدون ، طردنا النصارى وأخرجناهم من البلاد فنحن أحق بالدور منكم » ، ونحو ذلك من القول الشنيع ، ثم لم يزالوا فى معالجتهم إلى ثانى يوم ، ولم ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا لهم مائتى قرش وشال كشمير لكبيرهم ، وفعل مثل ذلك بعدة بيوت دخلها على هذه الصورة وأخذ منها أكثر من ذلك ، ومنها دار إسماعيل أفندى صاحب العيار بالضربخانة ، وهو رجل معتبر أخذ منه خمسمائة قرش وشال كشمير ، وفعل مثل ذلك بغيرهم هو وأمثاله ، ولما أكثر الناس من التشكى للباشا وللكتخدا ، قال الكتخدا : « أناس قاتلوا وجاهدوا أشهرا وأياما ، وقاسوا ما قاسوه فى الحر والبرد والطل ، حتى طردوا عنكم الكفار وأجلوهم عن بلادكم أفلا تسعونهم فى السكنى » ، ونحو ذلك من القول .

ولما انقضى هذا الأمر ، واستقر الباشا واطمأن خاطره ، وخلص له الإقليم المصرى ، وثغر الإسكندرية الذى كان خارجا عن حكمه حتى قبل مجئ الإنكليز ، فإن الإسكندرية كانت خارجة عن حكمه ، فلما حصل مجئ الإنكليز وخروجهم صار الثغر فى حكمه أيضًا ، فأول ما بدأ به أنَّه أبطل مسموح المشايخ والفقهاء ومعافى البلاد التى التزموا بها ، لأنه لما ابتدع المغارم والشهريات [1] ، والفرض التى فرضها على القرى ، ومظالم الكشوفية ، جعل ذلك عاما على جميع الالتزامات والحصص التى بأيدى جميع الناس حتى أكابر العسكر وأصاغرهم ، ما عدا البلاد والحصص التى للمشايخ خارجة عن ذلك ، ولايؤخذ منها نصف الفائظ ولا ثلثه ولا ربعه ، وكذلك من ينتسب لهم أو يحتمى فيهم ، ويأخذون الجعالات والهدايا من أصحابها ومن فلاحيهم تحت حمايتها ونظير صيانتها ، واغتروا بذلك واعتقدوا دوامه وأكثروا من شراء الحصص من أصحابها المنجاحين بدون القيمة ، وافتتنوا بالدنيا وهجروا مذاكرة المسائل ، ومدارسة العلم إلا بمقدار حفظ الناموس مع ترك العمل بالكلية ، وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الأمراء الألوف الأقدمين ، واتخذوا الخدم

---

(١) الشهريات : أى الضرائب التى تُؤْخَذ كل شهر ، ويطلق عليها : المشاهرة أو الشهريات .

والمقدمين والأعوان ، وأجروا الحبس والتعزير والضرب بالفلقة والكرابيج المعروفة بزب الفيل ، واستخدموا كتبة الأقباط وقطاع الجرائم فى الإرساليات للبلاد ، وقدروا حق طرق لأتباعهم ، وصارت لهم استعجالات وتحذيرات وإنذارات عن تأخر المطلوب مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ، ومخاصمتهم القديمة مع بعضهم بموجبات التحاسد والكراهية المجبولة والمركوزة فى طباعهم الخبيثة ، وانقلب الوضع فيهم بضده ، وصار ديدنهم واجتماعهم ذكر الأمور الدنيوية والحصص والالتزام ، وحساب الميرى والفائظ والمضاف والرماية والمرافعات والمراسلات ، والتشكى والتناجى مع الأقباط ، واستدعاء عظمائهم فى جمعياتهم وولائمهم ، والاعتناء بشأنهم والتفاخر بترددادهم عليهم ، والمهاداة فيما بينهم إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، وأوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد على الرياسة ، والتفاقم والتكالب على سفاسف الأمور وحظوظ الأنفس على الأشياء الواهية مع ما جبلوا عليه من الشح والشكوى والاستجداء وفراغ الأعين ، والتطلع للأكل فى ولائم الأغنياء والفقراء والمعاتبة عليهم إن لم يدعوا إليها ، والتعريض بالطلب ، وإظهار الاحتياج لكثرة العيال والأتباع ، واتساع الدائرة وارتكابهم الأمور المخلة بالمروءة المسقطة للعدالة ، كالاجتماع فى سماع الملاهى والأغانى والقيان والآلات المطربة ، وإعطاء الجوائز والنقوط بمناداة الخلبوص ، وقوله وإعلامه فى السامر ، وهو يقول فى سامر الجمع بسمع من النساء والرجال من عوام الناس وخواصهم ، برفع الصوت الذى يسمعه القاصى والدانى ، وهو يخاطب رئيسة المغانى ، ياستى حضرة شيخ الإسلام والمسلمين ، مفيد الطالبين ، الشيخ العلامة فلان منه كذا وكذا من النصيفات الذهب ، قدر مسماه كثير ، وجرمه قليل ، نتيجته التفاخر الكذب والازدراء بمقام العلم بين العوام وأوباش الناس الذين اقتدوا بهم فى فعل المحرمات الواجب عليهم النهى عنها ، كل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد فى كل مجمع ، ومواظبتهم على الهزليات والمضحكات ، والفاظ الكناية المعبر عنها عند أولاد البلد بالأنقاط ، والتنافس فى الأحداث إلى غير ذلك .

وفيه [1] فتحوا الطلب من الملتزمين ببواقى الميرى على أربع سنوات ماضية .

وفى عاشره [2] ، فتحوا أيضًا دفاتر الطلب بميرى السنة القابلة[3] ، ووجهوا الطلب بها إلى العسكر ، فدهى الناس بدواه متوالية منها : خراب القرى بتوالى

---

(1) ٣ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٠٧ م . (2) ١٠ شعبان ١٢٢٢ هـ / ١٣ أكتوبر ١٨٠٧ م .
(3) ١٢٢٣ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠٨ - ١٥ فبراير ١٨٠٩ م .

ظالم والمغارم والكلف وحق الطرق والاستعجالات والتساويف والبشارات ، فكان مل القرية النازل بها ذلك ، ينتقلون إلى القرية المحمية لشيخ من الأشياخ ، قد طلت الحماية أيضًا حينئذ ، ثم أنزلوا بالبنادر مغارم عظيمة لها قدر من الأكياس لكثيرة ، وذلك عقب فرضة البشارة مثل : دمياط ، ورشيد ، والمحلة ، والمنصورة ، ائة كيس ، وخمسون كيسا ، ومائة وخمسون وأكثر وأقل .

وفى أثناء ذلك ، قرروا أيضًا ، فرضة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد القرى ، وإن لم يجد المعينون للطلب شيئًا من الدراهم عند الفلاحين ، أخذوا واشيهم وأبقارهم ، لتأتى أربابها ويدفعوا ما تقرر عليهم ، ويأخذوها ويتركونها الجوع والعطش ، فعند ذلك يبيعونها على الجزارين ويرمونها عليهم قهرا بأقصى لقيمة ، ويلزمونهم بإحضار الثمن ، فإن تراخوا وعجزوا شددوا عليهم بالحبس الضرب .

وفى يوم الخميس ثالث عشره [1] ، مر الباشا فى ناحية سويقة العزى سائرا إلى احية بيت بلفيا ، وهناك المكتب فوق السبيل الذى بين الطريقين تجاه من يأتى من لك الناحية ، فطلع إلى ذلك المكتب شخصان من العسكر يرصدان الباشا فى روره ، فحينما أتى مقابلا لذلك المكتب أطلقا فى وجهه بارودتين فأخطأتاه وأصابت حدى الرصاصتين فرس فارس من الملازمين حوله فسقط ، ونزل الباشا عن جواده على مصطبة حانوت مغلوقة ، وأمر الخدم بإحضار الكامنين بذلك المكتب ، فطلعوا ليهما وقبضوا عليهم ، ثم حضر كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان ، واعتذر إلى لباشا بأنهما مجنونان وسكرانان ، فأمر بإخراجهما وسفرهما من مصر ، وركب ذهب إلى داره .

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه [2] ، اجتمع عسكر الأرنؤد والترك على بيت حمد على باشا ، وطلبوا علائفهم فوعدهم بالدفع ، فقالوا : « لانصبر » ، ضربوا بنادق كثيرة، ولم يزالوا واقفين ثم انصرفوا وتفرقوا وارتجت البلد ، وأرسل سيد عمر إلى أهل الغورية ، والعقادين ، والأسواق يأمرهم برفع بضائعهم من لحوانيت ، ففعلوا وأغلقوها ، فلما كان قبيل الغروب وصل إلى بيت الباشا طائفة لدلاتية ، وضربوا أيضًا بنادق فضرب عليهم عسكر الباشا كذلك ، فقتل من لدلاة أربعة أنفار ، وانجرح بعضهم ، فانكفوا ورجعوا ، وبات الناس متخوفين ،

---

١٣ شعبان ١٢٢٢ هـ / ١٦ أكتوبر ١٨٠٧ م . (٢) ٢٣ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨٠٧ م .

وخصوصا نواحى الأزهر ، وأغلقوا البوابات من بعد الغروب ، وسهروا خلفها بالأسلحة ، ولم تفتح إلاّ بعد طلوع الشمس .

وأصبح يوم الثلاثاء [1] ، والحال على ما هو عليه من الاضطراب ، ونقل الباشا أمتعته الثمينة تلك الليلة إلى القلعة ، وكذلك فى ثانى يوم [2] ، ثم إنّه طلع إلى القلعة فى ليلة الأربعاء [3] ، وشيعه حسن باشا إلى القلعة، ورجع إلى داره، ويقال : إنّ طائفة من العسكر الذين معه بالدار أرادوا غدره تلك الليلة ، وعلم ذلك منهم بإشارة بعضهم لبعض رمزا فغالطهم وخرج مستخفيا من البيت ، ولم يعلم بخروجه إلاّ بعض خواصه الملازمين له وأكثرهم أقاربه وبلدياته ، ولما تحققوا خروجه من الدار وطلوعه إلى القلعة ، صرف بونابارته الخازندار الحاضرين فى الحال ، ونقل الأمتعة والخزينة فى الحال ، وكذلك الخيول والسروج ، وخرجت عساكره يحملون ما بقى من المتاع والفرش والأوانى إلى القلعة ، وأشيع فى البلدة أنّ العساكر نهبوا بيت الباشا ، وزاد اللغط والاضطراب ، ولم يعلم أحد من الناس حقيقة الحال ولا كبار العسكر ، وزاد تخوف الناس من العسكر ، وحصل منهم عربدات وخطف عمائم وثياب وقتل أشخاص .

وأصبح يوم الخميس [4] ، وباب القلعة مفتوح والعسكر مرابطون به وواقفون بأسلحتهم ، وطلع أفراد من كبار العسكر بدون طوائفهم ونزلوا ، واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة [5] ، والعسكر والناس فى اضطراب ، وكل طائفة متخوفة من الأخرى ، والأرنؤد فرقتان فرقة تميل إلى الأتراك ، وفرقة تميل إلى جنسها ، والدلاة تميل إلى الأتراك وتكره الأرنؤد كذلك ، والناس متخوفة من الجميع ومنهم من يخشى من قيام الرعية ويظهر التودد لهم ، وقد صاروا مختلطين بهم فى المساكن والحارات وتأهلوا وتزوجوا منهم .

وفى يوم السبت [6] ، طلع طائفة من المشايخ إلى القلعة وتكلموا وتشاوروا فى تسكين هذا الحال بأى وجه كان ، ثم نزلوا .

وفى ليلة الأحد [7] ، كانت رؤية هلال رمضان ، فلم يعمل الموسم المعتاد ، وهو الاجتماع ببيت القاضى وما يعمل به من الحراقة والنفوط والشنك ، وركب المحتسب

(1) ٢٤ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٢٧ أكتوبر ١٨٠٧ م .
(2) ٢٥ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨٠٧ م .
(3) ٢٥ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨٠٧ م .
(4) ٢٦ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٨٠٧ م .
(5) ٢٧ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٣٠ أكتوبر ١٨٠٧ م .
(6) ٢٨ شعبان ١٢٢٢ هـ / ٣١ أكتوبر ١٨٠٧ م .
(7) ٢٩ شعبان ١٢٢٢ هـ / ١ نوفمبر ١٨٠٧ م .

ومشايخ الحرف والزمور والطبول ، واجتماع الناس للفرجة بالأسواق والشوارع وبيت القاضى فبطل ذلك كله ، ولم تثبت الرؤية تلك الليلة .

وأصبح يوم الأحد [1] ، والناس مفطرون ، فلما كان وقت الضحوة نودى بالإمساك ، ولم تعلم الكيفية .

واستهل شهر رمضان بيوم الإثنين ١٢٢٢ [2]

وفى ليلته بين العصر والمغرب ، ضربوا مدافع كثيرة من القلعة ، وأردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة ، وكذلك العسكر الكائنون بالبلدة فعلوا كفعلهم من كل ناحية ومن أسطحة الدور والمساكن ، وكان شيئًا هائلا ، واستمر ذلك إلى بعد الغروب ، وذلك شنك لقدوم رمضان فى دخوله وانقضائه .

وفى رابعه [3] ، انكشفت القضية عن طلب مبلغ ألفى كيس بعد جمعيات ومشاورات ، تارة ببيت السيد عمر النقيب ، وتارة فى أمكنة أخرى كبيت السيد المحروقى وخلافه ، حتى رتبوا ذلك ونظموه ، فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا ، وجانب على المشايخ الملتزمين نظير مسموحهم فى فرض حصصهم التى أكلوها ، وهى مبلغ مائتى كيس وزعت على القراريط ، على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض ، لأجل أن ترد أو تحسب لهم فى الكشوفات من رفع المظالم ، ومال الجهات ، يأخذونها من فلاحيهم ، وفرض من ذلك مبالغ على أرباب الحرف ، وأهل الغورية ، ووكالة الصابون ، ووكالة القرب ، والتجار الآفاقية ، واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوى بما يتعلق بالفقهاء ، وإسماعيل الطوبجى بالمطلوب من طائفة الأتراك، وأهل خان الخليلى ، والمرجع فى الطلب والدفع والرفع إلى السيد عمر النقيب ، واجتمع الكثير من أهل الحرف كالصرماتية [4] وأمثالهم ، والتجئوا إلى الجامع الأزهر ، وأقاموا به ليالى وأياما ، فلم ينفعهم ذلك ، وأثبت المعينون بالطلب وبأيديهم الأوراق بمقدار المبلغ المطلوب من الشخص ، وعليها حق الطريق ، وهم قواسة أتراك [5] ، وعسكر ودلاة وقوّاسة بلدى [6]، ودهى الناس بهذه

---

(١) ٢٩ شعبان ١٢٢٢ هـ / ١ نوفمبر ١٨٠٧ م . (٢) رمضان ١٢٢٢ هـ / ٢ نوفمبر - ١ ديسمبر ١٨٠٧ م .

(٣) ٤ رمضان ١٢٢٢ هـ / ٥ نوفمبر ١٨٠٧ م .

(٤) صرماتية : أى الذين يقومون بتصنيع الأحذية البلدى ، وإصلاحها .

(٥) قواسة أتراك : القواس تعنى الحارس الذى يشبه الخفير ، ولكنه يحرس سيده فى الذهاب والإياب ، والقواسة الأتراك أى من جنس الترك .

(٦) قواسة بلدى : القواسة البلدى أى مصريين من أبناء البلد .

الداهيـة فى الشهر المبارك ، فيكون الإنسان نائما فـى بيته ومتـفكرا فى قوت عـياله فيدهمه الطلب ، ويأتيه المعين قبل الشروق فـيزعجه ويصرخ عليه بل ويطلع إلى جهة حريمه ، فيـنتبه كالمفلـوج من غير اصطباح ، ويـلاطف المعين ويوعده ويأخـذ بخاطره ويدفع له كراء طريقـه المرسوم له فى الورقة المعين بها المبلغ المـطلوب قبل كل شىء ، فما يفارقه إلا ومعين آخر واصل إليه على النسق المتقدم وهكذا .

وفيه [1] ، حضر محـمد كتخدا شاهين بيـك الألفى بجواب عن مراسلـة أرسلها الباشا إلـى مخدومه ، فأقام أيامـا يتشاور مع الباشـا فى مصالحته مع شـاهين بيك ، وحصل الاتفاق على حضور شاهين بيك إلى الجيزة ، ويتراضى مع الباشا على أمر ، وسافر فى ثانى عشره [2] ، وصحبته صالح أغا السلحدار .

وفى يوم الخـميس ثامـن عشره [3] ، قصـد البـاشا نفـى رجب أغـا الأرنؤدى ، وأرسل إليه يأمـره بالخروج والسفر بعد أن قطـع خرجه ، وأعطاه علوفته فـامتنع من الخروج ، وقال : « أنا لى عنـده خمسون كيسا ، ولا أسافر حتـى أقبضها » ، وذلك أنَّه فى حياة الألفى الكبـير اتفق مع الباشا بأن يذهب عند الألفى وينـضم إليه ويتحيل فى اغتيـالـه وقتله ، فـإن فعل ذلك وقتله وتمـت حيلته علـيه أعطاه خمسـين كيسا ، فذهب عند الألـفى والتجأ إليه ، وأظهر أنـه راغب فى خدمته وكره البـاشا وظلمه ، فرحب به وقبله وأكرمه مـع التحـذر منه، فلما طال به الأمد ولم يتمكن من قصده ، رجع إلى الباشـا ، فلمـا أمره بالذهاب أخذ يـطالبه بالخمسين كيسا ، فامتنع الباشا ، وقال : « جعلت له ذلك فى نظير شىء يفـعله ، ولـم يخرج من يده فعله ، فلا وجه لمطالبته به » ، واستمر رجب أغا فى عنـاده ، وذلك أنه لايهون بهم مفارقة مصر التى صاروا فيـها أمراء وأكابر بعـد أن كانوا يحتطـبون فى بلادهم ، ويتـكسبون بالصـنائع الدنيئة ، ثم إنَّه جمع جـيشه إليه من الأرنؤد بناحية سكنه ، وهـو بيت حسن كتخدا الجربان بباب اللوق ، فأرسل إليه الباشا من يـحاربه ، فحضر حسن أغا سرششمه من ناحية قنطرة باب الخرق [4] ، وحضر أيضًا الجم الكثير مـن الأتراك وكبرائهم من جهة المدابغ ، وعمل كل منهم متاريس من الجهتين ، وتقدموا قليلا حتى قربوا من مساكن الأرنؤد تجاه بيـت البارودى ، فلـم يتـجاسـروا عليـهم مـن الطريق ، بـل دخلوا من

---

(1) ٤ رمضان ١٢٢٢ هـ / ٥ نوفمبر ١٨٠٧ م . (2) ١٢ رمضان ١٢٢٢ هـ / ١٥ نوفمبر ١٨٠٧ م .

(3) ١٨ رمضان ١٢٢٢ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٠٧ م .

(4) قنطرة باب الخرق : كان موقعها على الخليج المصرى فى المنـطقة التى بها ميدان باب الخلق ، عند تقاطع شارعى محمد على والخليج .

محمد ، محمد كمال السيد : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

البيوت التى فى صفهم ، ونقبوا من بيت إلى آخر حتى انتهوا إلى أول منزل من مساكنهم ، فنقبوا البيت الذى يسكن به الشيخ محمد سعد البكرى ، ونفذوا منه إلى المنزل الذى بجواره ، ثم منه إلى منزل على أغا الشعراوى ، ثم إلى بيت سيدى محمد وأخيه سيدى محمود المعروف بأبى دفية الملاصق لمسكن طائفة من الأرنؤد ، وعبثوا فى الدور وأزعجوا أهلها بقبيح أفعالهم ، فإنهم عندما يدخلون فى أول بيت يصعدون إلى الحريم بصورة منكرة من غير دستور ولا استئذان ، وينقبون من مساكن الحريم العليا فيهدمون الحائط ، ويدخلون منها إلى محل حريم الدار الأخرى ، وتصعد طائفة منهم إلى السطح ، وهم يرمون بالبنادق فى الهواء فى حال مشيهم وسيرهم وهكذا ، ولايخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج ويصرن يصرخن ويصحن بأطفالهنّ ، ويهربن إلى الحارات الأخرى مثل : حارة قواديس [١] ، وناحية حارة عابدين بظاهر الدور المذكورة بغاية الخوف والرعب والمشقة ، وطفقت العساكر تنهب الأمتعة والثياب والفرش ويكسرون الصناديق ويأخذون ما فيها ، ويأكلون ما فى القدور من الأطعمة فى نهار رمضان من غير احتشام ، ولقد شاهدت أثر قبيح فعلهم ببيت أبى دفية المذكور من الصناديق المتكسرة ، وانتشار حشو الوسائد والمراتب التى فتقوها وأخذوا ظروفها ، ولم يسلم لأصحاب المساكن سوى ما كان لهم خارج دورهم، وبعيدا عنها أو وزعوه قبل الحادثة ، وأصيب محمد أفندى أبو دفية برصاصة أطلقها بعضهم من النقب الذى نقب عليهم ، نفذت من كتفه ، وكذلك فعل العساكر التى أتت من ناحية المدابغ بالبيوت الأخرى ، واستمروا على هذه الأفعال ثلاثة أيام بلياليها .

فلما كان ليلة الإثنين ثانى عشرينه [٢] ، حضر عمر بيك كبير الأرنؤد الساكن ببولاق ، وصالح قوج إلى رجب أغا المذكور واركباه وأخذاه إلى بولاق ، وبطل الحرب بينهم ، ورفعوا المتاريس فى صبحها ، وانكشفت الواقعة عن نهب البيوت ونقبها ، وازعاج أهلها ، ومات فيما بينهم أنفار قليلة ، وكذلك مات أناس ، وانجرح أناس من أهل البلد .

وفى يوم السبت [٣] وصل شاهين بيك الألفى إلى دهشور ، ووصل صحبته مراكب بها سفار وهدية من إبراهيم بيك ، ومحمد بيك المرادى ، المعروف بالمنفوخ

---

(١) حارة قواديس : حارة تقع بجهة اليسار ، بشارع غيط العدة ، يسلك منها لشارع عابدين وغيرة ، بها جامع ، وضريح صغير يعرف بالشيخ قواديس ، واشتهر الجامع بجامع قواديس .
مبارك ، على : الخطط ، ط٢ ، جـ ٣ ، ص ٢١٢ .

(٢) ٢٢ رمضان ١٢٢٢ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٨٠٧ م .   (٢) ٢٧ رمضان ١٢٢٢ هـ / ٢٨ نوفمبر ١٨٠٧ م .

برسم الباشا ، وهى نحو الثلاثين حصانا ، ومائة قنطار بن قهوة ، ومائة قنطار سكر ، وأربع خصيان ، وعشرون جارية سوداء .

فلما وصل شاهين بيك إلى دهشور ، فحضر محمد كتخداه وعلى كاشف الكبير ، فارسل الباشا إليه صحبتهما هدية ومعهما ولده وديوان أفندى .

وفى خامس عشرينه [١] ، سافر رجب أغا وتخلف عنه كثير من عساكره وأتباعه ، وذهب من ناحية دمياط .

وفيه [٢] ، حضر ديوان أفندى من دهشور وابن الباشا أيضًا ، وخلع شاهين بيك على ابن الباشا فروة ، وقدم له تقدمة وسلاحا نفيسا إنكليزيا .

وفى ثامن عشرينه [٣] ، وصل شاهين بيك إلى شبرامنت ، وقد أمر الباشا بأن يخلوا له الجيزة ، وينتقل منها الكاشف والعسكر ، فعدى الجميع إلى البر الشرقى ، وتسلم على كاشف الكبير الألفى القصر وما حوله وما به من الجبخانه والمدافع وآلات الحرب وغيرها .

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء ١٢٢٢ [٤]

ولم يعمل العسكر شنكهم تلك الليلة من رميهم بالرصاص والبارود الكثير المزعج من سائر النواحى والبيوت والأسطحة لانقباض نفوسهم ، وإنما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة أيام العيد فى الأوقات الخمسة .

وفى خامسه [٥] ، اعتنى الباشا بتعمير القصر لسكن شاهين بيك بالجيزة ، وكان العسكر أخربوه وكذلك بيوت الجيزة ، ولم يتركوا بها دارا عامرة إلاّ القليل فرسم الباشا للمعمارجية بعمارة القصر ، فجمعوا البنائين والنجارين والخراطين ، وحملوا الأخشاب من بولاق وغيرها وهدموا بيت أبى الشوارب ، وأحضروا الجمال والحمير لنقل أخشابه وأنقاضه ، وأخرجوا منه أخشابا عظيمة فى غاية العظم والثخن ليس لها نظير فى هذا الوقت والأوان .

وفى سابعه [٦] ، حضر شاهين بيك إلى بر الجيزة وبات بالقصر وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة ، وعمل له على جربجى موسى الجيزاوى وليمة ، وفرض

(١) ٢٥ رمضان ١٢٢٢ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨٠٧ م .
(٢) ٢٥ رمضان ١٢٢٢ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨٠٧ م .
(٣) ٢٨ رمضان ١٢٢٢ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨٠٧ م .
(٤) شوال ١٢٢٢ هـ / ٢ - ٣٠ ديسمبر ١٨٠٧ م .
(٥) ٥ شوال ١٢٢٢ هـ / ٦ ديسمبر ١٨٠٧ م .
(٦) ٧ شوال ١٢٢٢ هـ / ٨ ديسمبر ١٨٠٧ م .

مصروفها وكلفتها على أهل البلدة ، وأعطاه الباشا إقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية ، وأطلق له فيها التصرف ، وأنعم عليه أيضًا بثلاثين بلدة من إقليم البهنسا مع كشوفيتها ، وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التى ينتقيها ويختارها وتعجبه مع كشوفية الجيزة ، وكتب له بذلك تقاسيط ديوانية ، وضم له كشوفية البحيرة بتمامها إلى حد الإسكندرية ، وأطلق له التصرف فى جميع ذلك ومرسوماته نافذة فى سائر البر الغربى .

وفى صبح يوم الأربعاء تاسعه [1] ، ركب السيد عمر أفندى النقيب والمشايخ وطلعوا إلى القلعة ، باستدعاء إرسالية أرسلت إليهم فى تلك الليلة ، فلما طلعوا إلى القلعة ركب معهم ابن الباشا طوسون بيك ، ونزل الجميع ، وساروا إلى ناحية مصر القديمة ، وكان شاهين بيك عدى إلى البر الشرقى بطائفة من الكشاف والمماليك والهوّارة ، فسلموا عليه ، وكان بصحبتهم طائفة من الدلاة ، ساروا أمام القوم بطبلاتهم وسفافيرهم ، ومن خلفهم طائفة من الهوارة ، ومن خلفهم الكشاف والمماليك ، والسيد عمر النقيب والمشايخ ، ثم شاهين بيك وبجانبه ابن الباشا ، وخلفهم الطوائف والأتباع والخدم، وخلفهم النقاقير، فساروا إلى ناحية جهة القرافة، وزاروا ضريح الإمام الشافعى ، ثم ركبوا وساروا إلى القلعة ، وطلعوا من باب العزب إلى سراية الديوان ، وانفصل عنهم المشايخ ونزلوا إلى دورهم ، وقابلوا الباشا وسلم شاهين بيك عليه ، فخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة وسيفا وخنجرا مجوهرا وتعابى ، وقدم له خيولا بسروجها ، وعزم عليه ابن الباشا فأذن له أن يتوجه صحبته إلى سرايته فركب معه وتغدى عنده ، ثم ركب بصحبته ونزلا من القلعة ، وذهب عند حسن باشا فقابله أيضًا وسلم عليه وخلع عليه أيضًا ، وقدم له خيولا وركب صحبتهما ، وذهبوا عند طاهر باشا ابن أخت الباشا ، فسلم عليه أيضًا وقدم له تقادم، ثم ركب عائدا إلى الجيزة ، وذهب إلى مخيمه بشبرامنت ، واستمر مقيما بالمخيم حتى تمم عمارة القصر ، وتردد كشافهم وأجنادهم إلى بيوتهم بالمدينة فيبيتون الليلة والليلتين ويرجعون إلى مخيمهم .

وفيه [2] ، قطع الباشا رواتب طوائف من الدلاة وأمروا بالسفر إلى بلادهم .

وفى يوم الجمعة [3] ، انتقل الألفية بعرضيهم وخيامهم إلى بحرى الجيزة .

---

(1) ٩ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٠ ديسمبر ١٨٠٧ م .
(2) ٩ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٠ ديسمبر ١٨٠٧ م .
(3) ١١ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٠٧ م .

وفى يوم السبت ثانى عشره [1] ، وصل أربعة من صناجق الألفية وهم : أحمد بيك ، ونعمان بيك ، وحسين بيك ، ومراد بيك ، فطلعوا إلى القلعة ، وخلع عليهم الباشا فراوى وقلدهم سيوفا ، وقدم لهم تقادم ، ثم نزلوا إلى حسن باشا فسلموا عليه ، وخلع عليهم أيضًا خلعا ، ثم ذهبوا إلى بيت صالح أغا السلحدار ، فأقاموا عنده إلى أواخر النهار ، ثم ذهبوا إلى البيوت التى بها حريمهم فباتوا بها وذهبوا فى الصباح إلى الجيزة .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشره [2] ، عملت وليمة وعقدوا لأحمد بيك الألفى على عديلة هانم بنت إبراهيم بيك الكبير ، والوكيل فى العقد شيخ السادات ، وقبل عنه محمد كتخدا بوكالته ، عن أحمد بيك ، ودفع الصداق الباشا من عنده ، وقدره ثمانية آلاف زيال .

وفيه [3] ، اتفقوا على إرسال نعمان بيك ، ومحمد كتخدا ، وعلى كاشف الصابونجى ، إلى إبراهيم بيك الكبير ، لإجراء الصلح .

وفيه [4] ، أيضًا أرادوا إجراء عقد زينب هانم ابنة إبراهيم بيك على نعمان بيك ، فامتنعت ، وقالت : « لايكون ذلك إلا عن إذن أبى ، وهاهو مسافر إليه فليستأذنه ، ولا أخالف أمره » ، فأجيبت إلى ذلك ، وأراد شاهين بيك أن يعقد لنفسه على زوجة حسين بيك المقتول المعروف بالوشاش، وهو خشداشه ، وهى ابنة السفطى، فاستأذن الباشا ، فقال : « إنى أريد أن أزوّجك ابنتى وتكون صهرى ، وهى واصلة عن قريب أرسلت بحضورها من بلدى قولة : « فإن تأخر حضورها جهزت لك سرية وزوّجتك إياها » .

وفى يوم الأربعاء [5] ، نزل الباشا من القلعة وذهب إلى مضرب النشاب ، واستدعى شاهين بيك من الجيزة ، وعمل معه ميدانا وترامحوا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف ، ثم طلع الجميع إلى القلعة ، واستمر شاهين بيك عند الباشا إلى بعد الظهر ، ثم نزل مع نعمان بيك إلى بيت عديلة هانم فمكثا إلى قبيل المغرب ، ثم أرسل إليهما الباشا فطلعا إلى القلعة فباتا عنده ونزلا فى الصباح ، وعديا إلى الجيزة، قال الشاعر :

أمُورٌ تضْحَكُ السفَهاءُ منها ... ويبْكِى مِن عَواقِبها اللبيبُ

(١) ١٢ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٠٧ م .
(٢) ١٥ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٦ ديسمبر ١٨٠٧ م .
(٣) ١٥ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٦ ديسمبر ١٨٠٧ م .
(٤) ١٥ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٦ ديسمبر ١٨٠٧ م .
(٥) ١٦ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٧ ديسمبر ١٨٠٧ م .

وفيه [1] ، تقلد حسن أغا سرششمه إمارة دمياط عوضا عن أحمد بيك ، وتقلد عبدالله كاشف الدرندلى إمارة المنصورة عوضا عن عزيز أغا .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه [2] ، وصل قابجى ومعه مرسومات ، يتضمن أحدها : التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر ، وآخر بالدفترداريـة باسم ولده إبراهيم ، وآخر بالعفو عن جميع العسكر جزاء عن إخراجهم الإنكليز من ثغر الإسكندرية ، وآخر بالتأكيد فى التشهيل والسفر لمحاربة الخوارج [3] بالحجاز ، واستخلاص الحرمين والوصية بالرعية والتجار ، وصحبته أيضًا خلع وشلنجات ، فأركبوه فى موكب فى صبح يوم الخميس [4] ، وطلع إلى القلعة ، وقرئت المراسيم المذكورة بحضرة الباشا والمشايخ وكبار العسكر وشاهين بيك وخشداشينه الألفية وضربوا مدافع وشنكا .

وفيه [5] ، سافر إبراهيم بيك ابن الباشا على طريق القليوبية ، وصحبته طائفة من مباشرى الأقباط وفيهم ، جرجس الطويل ، وهو كبيرهم ، وأفندية من أفندية الروزنامة ، وكتبة مسلمين للكشف على الأطيان التى رويت من ماء النيل والشراقى ، فأنزلوا بالقرى النوازل من الكلف وحق الطرقات ، وقرروا على كل فدان رواه النيل أربعمائة وخمسين نصف فضة تقبض للديوان ، وذلك خلاف ما للملتزم ، والمضاف والبرانى ، وما يضاف إلى ذلك من حق الطرق ، والكلف المتكررة .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٢ [6]

وفيه [7] ، فرضوا على مساتير الناس سلف أكياس ، ويحسب لهم ما يؤخذ منهم من أصل ما يتقرر على حصصهم من المغارم فى المستقبل ، وعينوا العساكر بطلبها ، فتغيب غالبهم وتوارى لعدم ما بأيديهم ، وخلو أكياسهم من المال ، والتجأ الكثير منهم إلى ذوى الجاه ولازموا أعتابهم ، حتى شفعوا فيهم وكشفوا غمتهم .

وفى عاشره [8] ، ورد الخبر من الجهة القبلية بأنَّ الأمراء المصريين تحاربوا مع ياسين بيك بناحية المنية ، وذلك عن أمر الباشا وهزموه فدخل إلى المنية ، ونهبوا حملته ومتاعه .

---

(١) ١٦ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٧ ديسمبر ١٨٠٧ م . (٢) ٢٣ شوال ١٢٢٢ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨٠٧ م .

(٣) الخوارج : صفة أطلقتها الدولة العثمانية على أتباع الدعوة السلفية من آل سعود لخروجهم على سيادتها ، وهو وصف فيه شىء من الإجحاف .

(٤) ٢٤ شوال ١٢٢٢ هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨٠٧ م . (٥) ٢٤ شوال ١٢٢٢ هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨٠٧ م .

(٦) ذى القعدة ١٢٢٢ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨٠٧ – ٢٩ يناير ١٨٠٨ م.

(٧) اذى القعدة ١٢٢٢ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨٠٧ م . (٨) ١٠ذى القعدة ١٢٢٢ هـ / ١٠ يناير ١٨٠٧ م .

وفى أثر ذلك ، حضر أبو ياسين بيك إلى مصر ، وعينت عساكر إلى جهة قبلى وأميرها بونابارته الخازندار ، وتقدمهم سليمان بيك الألفى فى آخرين .

وفى عشرينه [1] ، تعين أيضًا ، عدة عساكر إلى ناحية بحرى ، وفيهم عمر بيك تابع الأشقر المصرلى ، لمحافظة رشيد ، وآخرين[2] إلى الإسكندرية ، ثم تعوّق عمر بيك عن السفر ، وسبب ذلك أنَّه ورد قائف الإنكليز إلى ثغر سكندرية ، وأخبر بخروج عمارة الفرنسيس إلى البحر بسيسيلية [3] ، وربما استولوا عليها ، وكذلك مالطه ، فلما ورد هذا الخبر حضر البطروش قنصل الإنكليز المقيم برشيد إلى مصر بأهله وعياله .

وفى أواخره [4] ، جمعوا عدة كبيرة من البنائين والنجارين وأرباب الأشغال لعمارة أسوار وقلاع الإسكندرية وأبى قير والسواحل .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢ [5]

فى ثانى عشره [6] ، ورد الخبر بأن سليمان بيك الألفى لما وصل إلى المنية ، ونزل بفنائها ، خرج إليه ياسين بيك بجموعه وعساكره وعربانه ، فوقع بينهما وقعة عظيمة، وانهزم ياسين بيك وولى هاربا إلى المنية ، فتبعه سليمان بيك فى قلة وعدى الخندق خلفه ، فأصيب من كمين بداخل الخندق ، ووقع ميتا بعد أنْ نهب جميع متاع ياسين بيك وجماله وأثقاله وشتت جموعه ، وانحصر هو وعساكره وعربانه ، وما بقى منهم بداخل المنية ، وكانت الواقعة يوم الأربعاء سادس الشهر [7] ، فلما ورد الخبر بذلك على الباشا أظهر أنَّه اغتم على سليمان بيك وتأسف على موته ، وأقام العزاء عليه خشداشينه بالجيزة وفى بيوتهم ، وطفق الباشا يلوم على جراءة المصريين وإقدامهم ، وكيف أنَّ سليمان بيك يخاطر بنفسه ويلقى بنفسه من داخل الخندق ، ويقول : « أنا أرسلت إليه أحذره ، وأقول له إنَّه ينتظر بونابارته الخازندار ، ويراسل ياسين بيك ، ويطلعه على ما بيده من المراسيم » ، فإنْ أبى وخالف ما فى ضمنها فعند ذلك يجتمعون على حربه ، وتتقدم عسكر الأتراك لمعرفتهم وصبرهم على محاصرة الأبنية ، فلم يستمع لما قلت له ، وأغرى بنفسه ، وأيضًا ينبغى لكبير الجيش

---

(١) ٢٠ ذى القعدة ١٢٢٢ هـ / ١٩ يناير ١٨٠٨ م .

(٢) صحتها : « وآخرون » . (٣) سيسلية : تعنى صقلية .

(٤) آخر ذى القعدة ١٢٢٢ هـ / ٢٩ يناير ١٨٠٨ م .

(٥) ذى الحجة ١٢٢٢ هـ / ٣٠ يناير - ٢٧ فبراير ١٨٠٨ م .

(٦) ١٥ذى الحجة ١٢٢٢ هـ / ١٣ فبراير ١٨٠٨ م . (٧) ٦ ذى الحجة ١٢٢٢ هـ / ٤ فبراير ١٨٠٨ م .

التأخر عن عسكره، فإنَّ الكبير عبارة عن المدبر الرئيس، وبمصابه تنكسر قلوب قومه ، وهؤلاء القوم بخلاف ذلك يلقون بأنفسهم فى المهالك » ، ولما أرسل جماعة سليمان بيك يخبرون بموت كبيرهم ، وأنَّهم مجتمعون على حالتهم ومقيمون بعرضيهم ومحطتهم على المنية ، وأنَّهم منتظرون من يقيمه الباشا رئيسا مكانه ، فعند ذلك أرسل الباشا إلى شاهين بيك يعزيه ، ويلتمس منه أن يختار من خشداشينه من يقلده الباشا إمارة سليمان بيك ، فتشاور شاهين بيك مع خشداشينه ، فلم يرض أحد من الكبار أن يتقلد ذلك ، ثم وقع اختيارهم على شخص من المماليك يسمى يحيى وأرسلوه إلى الباشا ، فخلع عليه وأمره بالسفر إلى المنية ، فأخذ فى قضاء أشغاله وعدى إلى بر الجيزة .

وفى منتصفه [1] ، ورد الخبر بأنَّ بونابارته الخازندار وصل إلى المنية بعد الواقعة ، وياسين بيك محصور بها ، فأرسل إليه يستدعيه إلى الطاعة ، وأطلعه على المكاتبات والمراسيم التى بيده من الباشا خطابا له وللأمراء الحاضرين والغائبين المصرية ، وفى ضمنها : إن أَبَى ياسين بيك عن الدخول فى الطاعة ، واستمر على عناده وعصيانه ، فإنَّ بونابارته والأمراء المصرية يحاربونه ، فعند ذلك نزل ياسين على حكم بونابارته ، وحضر عنده بعد أنْ استوثق منه بالأمان ، ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر ، وخرجت العربان المحصورون بالمنية بعد أنْ صالحوا على أنفسهم ، وفتحوا لهم طريقا ، وذهبوا إلى أماكنهم ، واستلم بونابارته المنية فأقام بها يومين وارتحل عنها وحضر إلى مصر .

وفى ليلة الثلاثاء تاسع عشره [2] ، حضر ياسين بيك إلى ثغر بولاق ، وركب فى صبحها وطلع إلى القلعة ، فعوّقه الباشا وأراد قتله ، فتعصب له عمر بيك الأرنؤدى وصالح قوج وغيرهما ، وطلعوا فى يوم الجمعة [3] ، وقد رتب الباشا عساكره وجنده وأوقفهم بالأبواب الداخلة والخارجة وبين يديه ، وتكلم عمر بيك وصالح أغا مع الباشا فى أمره ، وأنْ يقيم بمصر ، فقال الباشا : « لايمكن أن يقيم بمصر والساعة أقتله ، وأنظر أى شىء يكون » ، فلم يسع المتعصبين له إلاَّ الامتثال ، ثم أحضره وخلع عليه فروة وأنعم عليه بأربعين كيسا ، ونزلوا بصحبته بعد الظهر إلى بولاق ، وسافر إلى دمياط ليذهب إلى قبرص ، ومعه محافظون .

وفى يوم الأحد [4] ، حضر بونابارته الخازندار من المنية إلى مصر ، وانقضت السنة .

---

(١) ١٥ ذى الحجة ١٢٢٢ هـ / ١٣ فبراير ١٨٠٨ م .
(٢) ١٩ ذى الحجة ١٢٢٢ هـ / ١٧ فبراير ١٨٠٨ م .
(٣) ٢٢ ذى الحجة ١٢٢٢ هـ / ٢٠ فبراير ١٨٠٨ م .
(٤) ٢٤ ذى الحجة ١٢٢٢ هـ / ٢٢ فبراير ١٨٠٨ م .

واما من مات فيها ممن له ذكر [1]

فمات ، الشيخ العلامة بقية العلماء والفضلاء والصالحين ، الورع القانع ، الشيخ أحمد بن على بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوى، الذهبى، الشافعى ، الضرير ، ولد ببلده برما [2] بالمنوفية سنة ١١٣٨[3] ونشأ بها ، وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المعاصرى ، ثم انتقل إلى مصر فجاور بالمدرسة الشيخونية بالصليبة [4] ، وتخرج فى الحديث على الشيخ أحمد البرماوى ، وحضر دروس مشايخ الأزهر ، كالشيخ محمد فارس ، والشيخ على قايتباى ، والشيخ الدفرى ، والشيخ سليمان الزيات ، والشيخ الملوى ، والشيخ المدابغى ، والشيخ الغنيمى ، والشيخ محمد الحفنى ، وأخيه الشيخ يوسف ، وعبد الكريم الزيات ، والشيخ عمر الطحلاوى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ عمر الشنوانى ، والشيخ أحمد رزة ، والشيخ سليمان البسوسى ، والشيخ على الصعيدى ، وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة ، ولازم الإقراء وكان منجمعا عن الناس ، قانعا راضيا بما قسم له ، لايزاحم على الدنيا ، ولايتداخل فى أمورها ، وأخبرنى ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى ، أنه ولد بصيرا فأصابه الجدرى ، فطمس بصره فى صغره ، فأخذه عم أبيه الشيخ صالح الذهبى ودعا له ، فقال فى دعائه : « اللهم كما أعميت بصره نور بصيرته » . فاستجاب الله دعاءه ، وكان قوى الإدراك ، ويمشى وحده من غير قائد ؛ ويركب من غير خادم ، ويذهب فى حوائجه المسافة البعيدة ، ويأتى إلى الأزهر ولايخطئ الطريق ، ويتنحى عما عساه يصيبه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه، أو شيء معترض في طريقه ، أقوى من ذى بصر ، فكان يضرب به المثل فى ذلك من شدة التعجب ، كما قال القائل :

ما عَمَاءُ العيُونِ مثل عَمَى القَلْـ ... ـبِ فهذَا هُو العَمَى والبلاَءَ
فعَمَاءُ العيُونِ تَغْمِيضُ عَينٍ ... وعَمَاءُ القلُوبِ فَهو الشَّقَاءَ

ولم يزل ملازما على حالته من الانجماع والاشتغال بالعلم والعمل به ، وتلاوة

---

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٧٦ ، طبعة بولاق « ذكر من توفى فى هذه السنة » .

(٢) برما : قرية قديمة ، اسمها القديم (Perma) ، وهو اسمها الحالى ، ويقال لها (Baramai) وهى إحدى قرى مركز طنطا ، محافظة الغربية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٣) ١١٣٨ هـ/ ٩ سبتمبر ١٧٢٥ - ٢٨ أغسطس ١٧٢٦ م .

(٤) المدرسة الشيخونية : أنشأها الأمير شيخون العمرى سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، وتقع بشارع الصليبة ، تجاه جامع شيخون ، وهى مدرسة وجامع .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٠ .

القرآن ، وقيام الليل ، فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن إلى أن توفى يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع الأول [1] ، من هذه السنة ، وله من العمر أربع وثمانون سنة ، وصلى عليه بجامع طولون ، ودفن بجوار المشهد المعروف بالسيدة سكينة رضي الله عنها بجانب الشيخ البرماوى ، رحمه الله وبارك فى ولده الشيخ مصطفى ، وأعانه على وقته .

ومات ، العمدة الفاضل ، حاوى الكمالات والفضائل ، الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى ، ولد سنة ١١٦٣[2] ، وتربى فى حجر جده ، وتخلق بأخلاقه ، وحفظ القرآن والألفية والمتون ، وحضر دروس جده وأخى جده الشيخ يوسف الحفناوى ، وحضر أشياخ الوقت ، كالشيخ على العدوى ، والشيخ أحمد الدردير ، والشيخ عطية الأجهورى ، والشيخ عيسى البراوى ، وغيرهم ، وتمهر وأنجب ، وأخذ طريق الخلوتية عن جده ، ولقنه الأسماء ، ولما توفى جده ألقى الدروس فى محله بالأزهر ، ونشأ من صغره على أحسن طريقة وعفة نفس ، وتباعد عن سفاسف الأمور الدنيوية ، ولازم الاشتغال بالعلم ، وفتح بيت جده ، وعمل به ميعاد الذكر كعادته ، وكان عظيم النفس مع تهذيب الأخلاق والتبسط مع الإخوان ، والممازحة مع تجنبه ما يخل بالمروءة ، وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ، ولم يزل على حالته إلى أن توفى يوم السبت رابع شهر ربيع الأول من السنة [3] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن مع جده فى تربة واحدة بمقبرة المجاورين، ولم يخلف ذكورا، رحمه الله .

ومات ، الشيخ العلامة المفيد ، والنحرير المجيد ، محمد الحصافى الشافعى الفقيه النحوى الفرضى، تلقى العلوم ، وحضر أشياخ الطبقة الأولى ، ودرس العلوم بالأزهر ، وأفاد الطلبة ، وقرأ الكتب المفيدة ، وعاش طول عمره منعكفا فى زوايا الخمول منعزلا عن الدنيا ، وهى منعزلة عنه ، راضيا بما قسم الله له ، قانعا بما يسره له مولاه ، لايدعى فى وليمة ولا ينهمك على شىء من أمور الدنيا ، ولم يزل على حالته ، حتى توفى يوم الإثنين ثالث عشر شوال من السنة [4] .

ومات ، العمدة المفضل الشيخ محمد عبد الفتاح المالكى من أهالى كفر حشاد بالمنوفية [5] ، قدم من بلده صغيرا ، فجاور بالأزهر ، وحضر على أشياخ الوقت

---

(١) ١١ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ١٠ مايو ١٧١٠ م .

(٢) ١١٦٣ هـ / ١١ ديسمبر ١٧٤٩ - ٢٩ نوفمبر ١٧٥٠ م .

(٣) ٤ ربيع الأول ١٢٢٢ هـ / ١٣ مايو ١٨٠٧ م .

(٤) ١٣ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨٠٧ م .

(٥) كفر حشاد : كفر قديم ، سمى بهذا الاسم إلى الشيخ عبد المنعم حشاد مؤسسه ، وهو أحد قرى مركز كفر الزيات ، محافظة الغربية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

ولازم دروس الشيخ الأمير ، وبه تخرج ، وتفقه عليه ، وعلى غيره من علماء المالكية ، وتمهر فى المعقولات ، وأنجب وصارت له ملكة واستحضار ، ثم سافر إلى بلده ، وأقام بها يفيد ويفتى، ويرجعون إليه فى قضاياهم ودعاويهم، فيقضى بينهم ، ولايقبل من أحد جعالة ولا هدية ، فاشتهر ذكره بالإقليم واعتقدوا فيه الصلاح والعفة ، وأنَّه لايقضى إلا بالحق ، ولا يأخذ رشوة ولا جعالة ولا يحابى فى الحق ، فامتثلوا لقضاياه ،وأوامره ، فكان إذا قضى قاض من قضاة البلدان بين خصمين رجعا إلى المترجم ، وأعادا عليه دعواهما ، فإن رأى القضاء صحيحا موافقا للشرع أمضاه وامتثل الخصم الآخر ، ولايمانع بعد ذلك أبدا ، ويذعن لما قضاه الشيخ لعلمه أنَّه لا لغرض دنيوى ، وإلا أخبرهم بأن الحق خلافه فيمتثل الخصم الآخر ، ولم يزل على حالته حتى كان المولد المعتاد بطندتا ، فذهب ابن الشيخ الأمير إلى هناك ، فأتى لزيارة ابن شيخه ونزل فى الدار التى هو نازل فيها ، فانهدمت الجهة التى هو بها وسقطت عليه ، فمات شهيدا مردوما ، ومعه ثلاثة أنفار من أهالى قرية العكروت [1]، وذلك فى أوائل شهر الحجة [2] ، ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله .

ومات ، الأمير سعيد أغا دار السعادة العثمانى الحبشى ، قدم إلى مصر بعد مجئ يوسف باشا الوزير فى أهبة ، ونزل بدرب الجماميز فى البيت الذى كان نزل به شريف أفندى الدفتردار بعد انتقاله منه ، وفتح باب التفتيش على جهات أوقاف الحرمين وغيرها ، وأخاف الناس ، وحضر إليه كتبة الأوقاف وجلسوا لمقارفة الناس والتعنت عليهم ، بطلب السندات ويهولون عليهم بالأغا المذكور ، ويأخذون منهم المصالحات ، ثم ينهون إليه الأمر على حسب أغراضهم ، ويعطونه جزءا ويأخذون لأنفسهم الباقى ، ثم تنبه لذلك ، فطرد غالبهم وشدد على الباقين ، وتساهل مع الناس ، وكان رئيسا عاقلا معدودا فى الرؤساء ، تعمل عنده الدواوين والاجتماعات فى مهمات الأمور والوقائع كما تقدم ذكر ذلك فى مواضعه ، ثم إنَّه تمرض بذات الرئة شهورا ، ومات فى يوم الإثنين رابع شهر صفر [3] .

ومات ، الأمير سليمان بيك المرادى ، وهو من الأمراء الذين تأمروا بعد موت مراد بيك، وكان ظالما غشوما ، ويعرف بريّحه بتشديد الياء ، وسبب تسميته بذلك ، أنَّه كان إذا أراد قتل إنسان ظلما ، يقول لأحد أعوانه : « خذه وريّحه » ، فيأخذه

(١) قرية العكروت : لم نعثر فى معاجم البلدان على تعريف بها ، ولم يعرفها محمد رمزى ضمن البلاد المندرسة أو البلاد القائمة ، وإنما عرف بقرية تسمى « العكريشة » ضمن مركز كفر الدوار ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ .

(٢) ١ ذى الحجة ١٢٢٢ هـ / ٣٠ يناير ١٨٠٨ م .

(٣) ٤ صفر ١٢٢٢ هـ / ١٣ أبريل ١٨٠٧ م .

وفيه (١) ، حضر عرب الهنادى ، والجهنة، وصالحوا على أنفسهم ، وأنْ يرجعوا إلى منازلهم بالبحيرة ، ويطردوا أولاد على ، وكانوا تغلبوا على الإقليم ، وحصل منهم الفساد والإفساد ، وكانت مصالحتهم بيد شاهين بيك الألفى ، وسافر معهم شاهين بيك وخشداشينه ، ولم يبق بالجيزة سوى نعمان بيك ، وذهبوا إلى ناحية دمنهور ، وارتحل أولاد عَلِىّ إلى حوش ابن عيسى ، وذلك أواخر المحرم(٢) ، ثم إنَّ شاهين بيك ركب بمن معه وحاربوهم ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وقتل فيها شخصان من كبار الأجناد الألفية ، وهم عثمان كاشف وآخر ، ونحو ستة مماليك ، وقتل جملة كثيرة من العرب ، وانكشف الحرب عن هزيمة العرب ، وأسروا منهم نحو الأربعين ، وغنموا منهم غنائم كثيرة من أغنام وجمال ، وتفرقوا وتشتتوا وذهبوا إلى ناحية قبلى والفيوم ، وذلك فى شهر صفر (٣) .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٣ (٤)

فى عاشره (٥) ، حضر شاهين بيك وباقى الألفية .

وفى عشرينه (٦) ، ورد الخبر بموت شاهين بيك المرادى ، فخلع الباشا على سليم بيك المحرمجى ، وجعله كبيرا ورئيسا على المرادية عوضا عن شاهين بيك ، وسافر إلى قبلى .

وفيه (٧) ، أيضًا حضر أمين بيك الألفى من غيبته ، وكان مسافرا مع الإنكليز الذين كانوا حضروا إلى الإسكندرية ورشيد ، وحصل لهم ما حصل ، فلم يزل غائبا حتى بلغه صلح خشداشينه مع الباشا ، فرجع وطلع على ردته ، فأرسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم وحضر فى التاريخ المذكور .

وفيه (٨) ، زوج الباشا شاهين بيك سرية انتقتها زوجة الباشا ونظمتها ، وفرش له سبع مجالس بقصر الجيزة ، وجمعوا لذلك المنجدين ، وتقيد بتجهيز الشوار والأقمشة واللوازم الخواجا محمود حسن، وكذلك زوج نعمان بيك سرية أخرى ، وسكن بيت المشهدى بدرب الدليل (٩) بعد أنَّ عمرت له الدار ، وفرشت على طرف الباشا ،

---

(١) ٦ محرم ١٢٢٣ هـ / ٤ مارس ١٨٠٨ م . (٢) صفر ١٢٢٣ هـ / ٢٩ مارس - ٢٦ أبريل ١٨٠٨ م .
(٣) آخر محرم ١٢٢٣ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٨ م . (٤) ربيع الثانى ١٢٢٣ هـ / ٢٧ مايو - ٢٤ يونيه ١٨٠٨ م .
(٥) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٣ هـ / ٥ يونيه ١٨٠٨ م . (٦) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٢٣ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٨ م .
(٧) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٢٣ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٨ م . (٨) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٢٣ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٨ م .
(٩) درب الدليل : درب غير نافذ ، على يسرة المار بسكة حيضان المصلى ، بشارع الباطنية .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ .

وكذلك تزوّج عمر بيك بجارية من جوارى الست نفيسة المرادية ، وجهزتها جهازا نفيسا من مالها ، وتزوّج أيضًا على كاشف الكبير الألفى بزوجة أستاذه .

شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٣ [1]

فيه [2] ، سافر مرزوق بيك بعد تقرير أمر الصلح بينه وبين الأمراء المصريين القبالى ، وقلد الباشا مرزوق بيك ولاية جرجا ، وإمارة الصعيد ، وألبسه الخلعة ، وشرط عليه إرسال المال والغلال الميرية ، فعند ذلك اطمأنت الناس ، وسافرت السفار والمتسببون ، ووصل إلى السواحل مراكب الغلال والأشياء التى تجلب من الجهة القبلية .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٣ [3]

فيه [4] ، قطع الباشا مرتب الدلاة الأغراب وأخرجهم وعزل كبيرهم الذى يسمى كردى بوالى الساكن ببولاق ، وقلد ذلك مصطفى بيك من أقاربه ، وجعله كبيرا على طائفة الدلاتية الباقين ، وضم إليه طائفة من الأتراك ألبسهم طراطير وجعلهم دلاتية ، وسافر كردى بوالى لبلاده فى منتصف الشهر [5] ، وخرج صحبته عدة كبيرة من الدلاة .

وفى أواخره [6] ، وردت الأخبار من إسلامبول ، وذلك أنَّ طائفة من الينكجرية تعصبت وقامت على السلطان سليم ، وعزلوه وأجلسوا مكانه السلطان مصطفى ، وأبطلوا النظام الجديد ، وقتلوا دفتردار النظام الجديد ، وكتخدا الدولة ، ودفتردار الدولة وغيرهم ، وقطعوهم فى آت ميدان ، بعد أن تغيبوا واختفوا فى أماكن حتى فى بيوت النصارى ، واستدلوا عليهم واحدا بعد واحد ، فكانوا يسحبون الأمير منهم المترفه على صورة منكرة إلى آت ميدان فيقتلونه ، وبعضهم قطعوه فى الطريق ، وسكن الحال على سلطنة السلطان مصطفى بن عبد الحميد ، وكان السلطان سليم

---

(١) جمادى الأولى ١٢٢٣ ٢٥ يونيه - ٤ يوليه ١٨٠٨ م .

(٢) ١ جمادى الأولى ١٢٢٣ هـ / ٢٥ يونيه ١٨٠٨ م .

(٣) جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٥ يوليه - ٢٢ أغسطس ١٨٠٨ م .

(٤) ١ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٥ يوليه ١٨٠٨ م .

(٥) ١٥ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٨ أغسطس ١٨٠٨ م .

(٦) أخر جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨٠٨ م . كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٧٩ ، طبعة بولاق « عزل السلطان سليم وتولية السلطان مصطفى » .

عندما أحس بحركة الينكجرية أرسل يستنجد ويستدعى مصطفى باشا البيرقدار ، وكان برشق بالروملى بمخيم العرضى المتعين على حرب الموسكوب ، ووصل خبر الواقعة إلى من بالعرضى ، فأقام أيضًا الينكجرية الفتنة بالعرضى ، وقتلوا أغاة العرضى ، وخلافه ، وهرب الرئيس وخلافه عند مصطفى باشا المذكور ، وقد وصله مراسلة السلطان سليم ، فحركوا همته على القيام بنصرة السلطان سليم على الينكجرية ، فركب من العرضى فى عدة وافرة ، وحضر إلى إسلامبول ، وشق بجمعه وعسكره من وسطها فى كبكبة حتى وصل إلى باب السراية ، فوجده مغلوقا ، فأراد كسره أو حرقه إلى أنْ فتحوه بالعنف ، وعبر إلى داخل السراية ، وطلب السلطان سليم ، فعند ذلك أرسل السلطان مصطفى المتولى جماعة من خاصته ، فدخلوا على السلطان سليم فى المكان الذى هو مختف به ، وقتلوه بالخناجر والسكاكين حتى مات ، وأحضروه ميتا إلى مصطفى باشا البيرقدار ، وقالوا له : « ها هو السلطان سليم الذى تطلبه » ، فلما رآه ميتا بكي وتأسف ، ثم إنه عزل السلطان مصطفى [1] وأحضر محمود أخاه ابن عبد الحميد وأجلسه على تخت الملك ونودى باسمه ، وكان ذلك يوم الخميس خامس جمادى الثانية من السنة [2] ، وعمره ثلاث وعشرون سنة ، ومات السلطان سليم وعمره إحدى وخمسون سنة لأنه ولد سنة ١١٧٢ [3] ، ومدة ولايته نحو العشرين سنة ، تنقص شهرا ، فلما وردت هذه الأخبار وتواترت فى مكاتبات التجار والسفار ، خطب بعض الخطباء يوم الجمعة سادس عشرينه [4] ، باسم السلطان محمود ، وبعضهم أطلق فى الدعاء ولم يذكر الاسم .

وفيه [5] ، قوى عزم الباشا على السفر إلى جهة دمياط ورشيد والإسكندرية ، فطلب لوازم السفر ووعد بسفره بعد قطع الخليج ، وطفق يستعجل بالوفاء ، ويطلب ابن الرداد المقياسى ويسأله عن الوفاء ، ويقول « اقطعوا جسر الخليج فى غد أو بعد غد » ، فيقول : « تأمرونا بقطعه قبل الوفاء » ، فيقول : « لا » ، ويقول : « ليس الوفاء بأيدينا » .

فلما كان يوم السبت ، سابع عشرينه وخامس عشر مسرى القبطى [6] ، نقص

---

(١) كتب بهامش ص ٨٠ ، طبعة بولاق « عزل السلطان مصطفى وتولية السلطان محمود » .

(٢) ٥ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٩ يوليه ١٨٠٨ م .

(٣) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ أغسطس ١٧٥٩ م .

(٤) ٢٦ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ١٩ أغسطس ١٨٠٨ م .

(٥) ٢٦ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ١٩ أغسطس ١٨٠٨ م .

(٦) ٢٧ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٠ أغسطس ١٨٠٨ م .

النيل نحو خمسة أصابع ، وانكشف الحجر الراقد الذى عند فم الخليج تحت الحجر القائم ، فضج الناس ، ورفعوا الغلال من الرقع والعرصات والسواحل ، وانزعجت الخلائق بسبب شحة النيل فى العام الماضى ، وهيفان الزرع ، وتنوع المظالم ، وخراب الريف ، وجلاء أهله ، واجتمع فى ذلك اليوم المشايخ عند الباشا ، فقال لهم : « اعملوا استسقاء وأمروا الفقراء والضعفاء والأطفال بالخروج إلى الصحراء ، وادعوا الله » ، فقال له الشيخ الشرقاوى : « ينبغى أنْ ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم » ، فقال : « أنا لست بظالم وحدى ، وأنتم أظلم منى ، فإنى رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم إكراما لكم ، وأنتم تأخذونها من الفلاحين ، وعندى دفتر محرر فيه ما تحت أيديكم من الحصص ، يبلغ ألفين كيس ، ولابد أنّى أفحص عن ذلك ، وكل من وجدته يأخذ الفرضة المرفوعة من فلاحينه أرفع الحصة عنه » ، فقالوا له : « لك ذلك » ، ثم اتفقوا على الخروج والسقيا فى صبحها بجامع عمرو بن العاص لكونه محل الصحابة والسلف الصالح ، يصلون به صلاة الاستسقاء ، ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون إليه في زيادة النيل ، وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الأزهر وغيرهم ، والأطفال ، واجتمع عالم كثير وذهبوا إلى الجامع المذكور بمصر القديمة ، فلما كان صبحها وتكامل الجمع صعد الشيخ جاد المولى على المنبر وخطب بعد أن صلى صلاة الاستسقاء ، ودعا الله ، وأمن الناس على دعائه ، وحوّل رداءه ، ورجع الناس بعد صلاة الظهر وبات السيد عمر هناك .

وفى تلك الليلة [1] ، رجع الماء إلى محل الزيادة الأولى واستتر الحجر الراقد بالماء .

وفى يوم الإثنين [2] ، خرجوا أيضًا وأشار بعض الناس بإحضار النصارى أيضًا ، فحضروا وحضر المعلم غالى ، ومن يصحبه من الكتبة الأقباط ، وجلسوا فى ناحية من المسجد يشربون الدخان ، وانفض الجمع أيضًا .

وفى تلك الليلة [3] ، التى هى ليلة الثلاثاء ، زاد الماء ، ونودى بالوفاء وفرح الناس ، وطفق النصارى يقولون : « إنَّ الزيادة لم تحصل إلاَّ بخروجنا » .

فلما كانت ليلة الأربعاء [4] ، طاف المنادون بالرايات الحمر ، ونادوا بالوفاء ، وعمل الشنك والوقدة تلك الليلة على العادة .

---

(١) ٢٧ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٠ أغسطس ١٨٠٨ م .

(٢) ٢٩ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٢ اغسطس ١٨٠٨ م .

(٣) ٢٩ جمادى الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٢ اغسطس ١٨٠٨ م .

(٤) ١ رجب ١٢٢٣ هـ / ٢٣ اغسطس ١٨٠٨ م .

وفى صبحها [1] ، حضر الباشا والقاضى ، واجتمع الناس ، وكسروا السد ، وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفًا ، لعلوّ أرض الخليج ، وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه من مدة سنين ، وكان ذلك يوم الأربعاء غرة شهر رجب وتاسع مسرى القبطى [2] .

واستهل شهر رجب بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٣ [3]

فى ثانيه يوم الخميس [4] ، وصل إلى بولاق راغب أفندى وهو أخو خليل أفندى الرجائى الدفتردار المقتول ، وعلى يده مرسوم بإجراء الخطبة باسم السلطان محمود بن عبد الحميد ، وأنزلوه ببيت ابن السباعى بالغورية ، وضربوا مدافع بالقلعة وشنكا ثلاثة أيام فى الأوقات الخمسة ، وخطب الخطباء فى صبحها باسم السلطان محمود والدعاء له فى جميع المساجد .

وفى ليلة الأحد خامسه [5] ، سافر محمد على باشا إلى بحرى ، ونزل فى المراكب ، وأرسل قبل نزوله بأيام بتشهيل الإقامات والكلف على البلاد من كل صنف خمسة عشر ، وأخلوا له ولمن معه بيوت البنادر ، مثل : المنصورة ، ودمياط ، ورشيد ، والمحلة ، والإسكندرية ، وفرض الفرض والمغارم على البلاد على حكم القراريط التى كانوا ابتدعوها فى العام الماضى ، على كل قيراط سبعة آلاف وسبعمائة نصف فضة ، وسماها كلفة الذخيرة ، وأمر بكتابة دفتر لذلك ، فكتب إليه الروزنامجى أنّ الخراب استولى على كثير من البلاد ، فلا يمكن تحصيل هذا الترتيب ، فأرسل من المنصورة يأمر بتحرير العمار بدفتر مستقل ، والخراب بدفتر آخر ، فلما فعل الروزنامجى ذلك ، أدخل فيها بلادا بها بعض الرمق لتخلص من الفرضة ، وفيها ما هو لنفسه ، فلما وصلت إليه ، أمر بتوزيع ذلك الخراب على أولاده وأتباعه وأغراضه ، وعدتها مائة وستون بلدة ، وأمر الروزنامجى بكتابة تقاسيطها بالأسماء التى عينها له ، فلم يمكن الروزنامجى أن يتلافى ذلك فتظهر خيانته ، ووزعت وارتفعت عن أصحابها ، وكذلك حصل بإقليم البحيرة لما عمها الخراب وتعطل خراجها ، وطلبوا الميرى من الملتزمين ، فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب فرفعوها عنهم ، وفرقها الباشا على أتباعه ، واستولوا عليها ، وطلبوا الفلاحين الشاردة والمتسحبة من البلاد الآخر ، وأمروهم بسكناها وزادوا فى الطنبور نغمات ، وهو أنّهم

(١ ، ٢) ١ رجب ١٢٢٣ هـ / ٢٣ اغسطس ١٨٠٨ م .

(٣) رجب ١٢٢٣ هـ / ٢٣ أغسطس - ٢١ سبتمبر ١٨٠٨ م .

(٤) ٢ رجب ١٢٢٣ هـ / ٢٤ اغسطس ١٨٠٨ م . (٥) ٥ رجب ١٢٢٣ هـ / ٢٧ اغسطس ١٨٠٨ م .

صاروا يتتبعون أولاد البلد أرباب الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى ، وذلك بإغراء أتباعهم وأعوانهم ، فيكون الشخص منهم جالسا في حانوته وصناعته ، فما يشعر إلاّ والأغوات محيطـون به يطلبونه إلى مخـدومهم، فإن امتنع أو تلكـأ سحبوه بالقهر وأدخلـوه إلى الحبس، وهـو لايعرف له ذنبا ، فيقـول : « ومـاذنبي » ، فيقال : « عليك مال الطين » ، فيقول : « وأي شيء يـكون الطين » ، فيقولون له : « طين فلاحتك من مدة سنين لم تدفـعه ، وقدره كذا وكذا » ، فيقول : « لا أعرف ذلك ، ولا أعرف البلد ، ولا رأيتها في عمري ، لا أنا ولا أبي ولا جدّي » ، فيقـال له : « ألسـت فلان الشبراوي أو المنياوي مثـلا » ، فيقول لهم : « هذه نسبة قديمة سرت إليّ من عمي أو خالـي أو جدّي » ، فلا يقبل منه ، ويحبس ويضـرب حتى يدفع ما ألزموه به ، أو يجد شـافعا يصالح عليه ، وقد وقـع ذلك لكثير من المتسبـبين والتجار وصناع الحرير وغيرهم .

ولم يزل الـباشا في سيره حتى وصل إلـى دمياط ، وفرض علـى أهلها أكـياسا وأخـذ مـن حكامها هدايـا وتقادم ، ثم رجع إلى سـمنود [1] ، وركب في الـبر إلى المحلة [2] ، وقبض مـا فرضه عليـها ، وهو خمسـون كيسا نـقصت سبعـة أكياس ، عجزوا عـنها بعـد الحبس والعقـاب ، وقدم له حاكـمها ستين جـملا وأربعين حـصانا خلاف الأقمشة المحلاويـة مثل : الزردخانات ، والمقاطع الحرير ، وما يـصنع بالمحلة من أنواع الثياب ، والأمتعة صناعة من بقي بها من الصناع ، ثم ارتحل عنها ، ورجع إلى بحـر منوف ، وذهب إلى رشـيد والإسكندريـة ، ولما استقـر بها عبى هـدية إلى الدولة ، وأرسل إلى مصر فطلب عدة قناطير مـن البن والأقمشة الهندية ، وسبعمائة أردب أرز أبيـض ، أخذت من بلاد الأرز ، وأرسـل الهديـة صحبـة إبراهيم أفـندي المهردار [3] ، وحضر إليه وهـو بالإسـكندرية قابـجي من طرف مصطفى باشا البيرقدار الوزير برسالة ، ورجع بالجواب على أثره ، ولم يعلم ما دار بينهما .

وفي منتصفه [4] ، أعني شعبان ، حضر محمد علي باشا من غيبته ، وطلع على

(١) سمنـود : قرية قديـمـة ، اسمهـا المصري (Tebnoutir) ، والقبـطي (Xemnout) ، في سنة ١٨٢٦ م ، أصبـحت قاعدة قسـم سمنود ، وفـي سنة ١٨٧١ م ، سمي مـركز سمنود ، والآن قـاعدة مركز سـمنود ، محافظة الغربية .

رمزي ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) المحلة : أنظر ، جـ ٢ ، ص ٣ ، حاشية رقم (٢) .

(٣) المهردار : حامل أو متولي أمر الختم ، وتستعمل أيضًا للذين يتولون التوقيع على الأوراق الرسمية بالخاتم .

المصري ، حسين مجيب : معجم الدولة العثمانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (د . ت) ، ص ٢١٦ .

(٤) ١٥ شعبان ١٢٢٣ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٠٨ م .

ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره ، وذهب إلى داره بالأزبكية ، ثم طلع فى ثانى يوم [1] ، إلى القلعة وضربوا لحضوره مدافع .

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة ١٢٢٣ [2]

فيه [3] ، وردت الأخبار بحرق القمامة القدسية ، وظهر حريقها من كنيسة الأروام .

وفيه [4] ، سافر عدة من العسكر والدلاة وعمر بيك الألفى ومعه طائفة من المماليك إلى البحيرة ، بسبب عربان أولاد على ، فإنهم كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بالإقليم وشاركوا وزرعوا مثل ما كان عليه الهنادى والجهنة ، فلما اصطلح الألفية مع الباشا توسط شاهين بيك فى صلح الهنادى والجهنة على قدر ، وذلك لما كان بينهم وبين أستاذه من النسابة ، ونزل صحبتهم إلى البحيرة ، وعمرهم بأرضها كما كانوا أولا ، وطرد أولاد على وحاربهم ، ومكن الهنادى والجهنة ، ورجع إلى الجيزة فراسل أولاد على الباشا بوساطة بعض أهل الدولة ، وعملوا للباشا مائة ألف ريال على رجوعهم للبحيرة ، وإخراج الهنادى فأجابهم طمعا فى المال ، فحنق أولئك وعضوا وحاربوا أولاد على ، ونهبوا ونالوا منهم بعد أن كانوا ضيقوا عليهم ، وحصلت اختلافات ، وامتنع أولاد على من دفع المال الذى قرزوه على أنفسهم واجتمعوا بحوش ابن عيسى [5] ، فأرسل إليهم الباشا عمر بيك المذكور ومن معه فحاربوهم مع الهنادى ، فظهر عليهم أولاد على وهزموهم ، وقتل من الدلاة أكثر من مائة ، وكذلك من العسكر ونحو الخمسة عشر من المماليك ، فأمر الباشا بسفر عساكر أيضًا وصحبتهم نعمان بيك وخلافه ، وسافرت طائفة من العرب إلى ناحية الفيوم ، فأرسلوا لهم عدة من العسكر .

وفى أواخره [6] ، سافر أيضًا شاهين بيك وباقى الألفية خلاف أحمد بيك فإنه أقام بالجيزة .

وفيه [7] ، نودى على المعاملة بأن يكون: صرف الريال الفرنسا بمائتين وعشرين ، وكان بلغ فى مصارفته إلى مائتين وأربعين ، والمحبوب بمائتين وخمسين ، فنودى على

---

(١) رمضان ١٢٢٣ هـ / ٢١ أكتوبر - ١٩ نوفمبر ١٨٠٨ م . (٢) ١ رمضان ١٢٢٣ هـ / ٢١ أكتوبر ١٨٠٨ م .
(٣) ١ رمضان ١٢٢٣ هـ / ٢١ أكتوبر ١٨٠٨ م . (٤) ١ رمضان ١٢٢٣ هـ / ٢١ أكتوبر ١٨٠٨ م .
(٥) حوش ابن عيسى : انظر ، ص ١٦ ، حاشية رقم (٤) .
(٦) آخر رمضان ١٢٢٣ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٠٨ م . (٧) آخر رمضان ١٢٢٣ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٠٨ م .

صرفه بمائتين وأربعين ، وذلك كله من عدم الفضة العددية بأيدى الناس والصيارف ، لتحكيرهم عليها ، ليأخذها تجار الشام بفرط فى مصارفتها تضم للميرى ، فيدور الشخص على صرف القرش الواحد فلا يجد صرفه إلا بعد جهد شديد ، ويصرفه الصراف أو خلافه للمضطر بنقص نصفين أو ثلاثة .

وفيه [1] ، سافر أيضًا ، حسن الشماشرجي ولحق بالمجردين .

وفى أواخره [2] ، ورد الخبر بأن محو بيك كاشف البحيرة قبض على السيد حسين نقيب الأشراف بدمنهور وأهانه وضربه وصادره ، وأخذ منه ألفى ريال بعد أن حلف أنه إن لم يأت بها فى مدة أربع وعشرين ساعة وإلاَّ قتله ، فوقع فى عرض النصارى المباشرين فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة ، وكذلك قبض على رجل من التجار ، وقرر عليه جملة كثيرة من المال ، فدفع الذى حصلته يده ، وبقى عليه باقى ما قرره عليه ، فلم يزل فى حبسه حتى مات تحت العقوبة ، فطلب أهله رمته فحلف لايعطيها لهم حتى يكون ابنه فى الحبس مكانه .

ومن الحوادث السماوية ، أن فى سابع عشرين رمضان [3] ، غيمت السماء بناحية الغربية ، والمحلة الكبرى ، وأمطرت بردا فى مقدار بيض الدجاج وأكبر وأصغر ، فهدمت دورا ، وأصابت أنعاما ، غير أنَّها قتلت الدودة من الزرع البدرى .

واستهل شهر شوال بيوم الأحد سنة ١٢٢٣ [4]

فى أواخره [5] ، حضر شاهين بيك الألفى من ناحية البحيرة ، وذلك بعد ارتحال أولاد على من الإقليم .

وفيه أيضًا [6] ، حضر سليمان كاشف البوّاب من ناحية قبلى وصحبته عدة من المماليك وأربعة من الكشاف ، فقابل الباشا وخلع عليه ، وأنزله ببيت طنان بسويقة العزى [7] وسكن بها ، وحضر مطرودا من إخوانه المرادية .

---

(١) آخر رمضان ١٢٢٣ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٠٨ م .   (٢) آخر رمضان ١٢٢٣ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٠٨ م .

(٣) ٢٧ رمضان ١٢٢٣ هـ / ١٧ نوفمبر ١٨٠٨ م .

(٤) شوال ١٢٢٣ هـ / ٢٠ نوفمبر - ١٨ ديسمبر ١٨٠٨ م .

(٥) آخر شوال ١٢٢٣ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨٠٨ م .   (٦) آخر شوال ١٢٢٣ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨٠٨ م .

(٧) سويقة العزى : انظر ، جـ ٣ ، ص ٤٥٥ ، حاشية رقم (٢) .

واستهل شهر القعدة بيوم الإثنين سنة ١٢٢٣ (١)

فيه (٢) ، عزل الباشا السيد المحروقي عن نظارة الضربخانة ، ونصب بها شخصا من أقاربه .

وفي ثالث عشره (٣) ، نزل والي الشرطة وأمامه المناداة على ما يستقرضه الناس من العسكر بالربا والزيادة ، على أن يكون على كل كيس ستة عشر قرشا في كل شهر لا غير ، والكيس عشرون ألف نصف فضة ، وهو الكيس الرومي ، وذلك بسبب ما انكسر على المحتاجين والمضطرين من الناس من كثرة الربا لضيق المعاش ، وانقطاع المكاسب ، وغلوّ الأسعار ، وزيادة المكوس ، فيضطر الشخص إلى الاستدانة ، فلا يجد من يداينه من أهل البلد ، فيستدين من أحد العسكر ، ويحسب عليه على كل كيس خمسين قرشا في كل شهر ، وإذا قصرت يد المديون عن الوفاء ، أضافوا الزيادة على الأصل ، وبطول الزمن تفحش الزيادة ويؤول الأمر لكشف حال المديون ، وجرى ذلك على كثير من مساتير الناس ، وباعوا أملاكهم ومتاعهم ، والبعض لما ضاق به الحال ولم يجد شيئًا خرج هاربا ، وترك أهله وعياله خوفا من العسكري وما يلاقي منه ، وربما قتله ، فأعرض بعض المديونين إلى الباشا ، فأمر بكتابة هذا البيوردي ، ونزل به والي الشرطية ونادى به في الأسواق ، فعدّ ذلك من غرائب الحكام ، حيث ينادى على الربا جهارا في الأسواق من غير احتشام ، ولا مبالاة ، لأنهم لايرون ذلك عيبا في عقيدتهم .

وفي رابع عشرينه (٤) ، غضب الباشا على محو بيك الكبير الذي كان كاشفا بالبحيرة ونفاه إلى أبي قير وأخذ أمواله ، وأنعم ببيته وهو بيت حسين أغا شنن بحارة عابدين ، وما بها من الخيل والجمال والجوار والخيام والمتاع ، على محو بيك الصغير الأورفلي .

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٣ (٥)

فيه (٦) ، وصلت الأخبار من إسلامبول بوقوع فتنة عظيمة ، وأنّه لما حصل ما حصل في منتصف السنة من دخول مصطفى باشا البيرقدار على الصورة المذكورة ،

(١) ذي القعدة ١٢٢٣ هـ / ١٩ ديسمبر ١٨٠٨ - ١٧ يناير ١٨٠٩ م .

(٢) ١ ذي القعدة ١٢٢٣ هـ / ١٩ ديسمبر ١٨٠٨ م . (٣) ١٣ ذي القعدة ١٢٢٣ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١٨ م .

(٤) ٢٤ ذي القعدة ١٢٢٣ هـ / ١١ يناير ١٨١٨ م .

(٥) ذي الحجة ١٢٢٣ هـ / ١٨ يناير - ١٥ فبراير ١٨٠٩ م .

(٦) ١ ذي الحجة ١٢٢٣ هـ / ١٨ يناير ١٨٠٩ م .

وقتل السلطان سليم ، وتولية السلطان محمود ، وخذلان الينكجرية وقتلهم ونفيهم ، وتحكم مصطفى باشا فى أمور الدولة ، واستمر من بقى منهم تحت الحكم ، فأجمعوا أمرهم ومكروا مكرهم ، وحذر بعضهم مصطفى باشا من المذكورين ، فلم يكترث بذلك واستهون أمرهم واحتقر جانبهم ، وقال : « أى شيء هؤلاء منا ولرى » ، بمعنى أنهم بياعون الفاكهة ، فكان حاله كما قيل :

فلا تحتقر كيدَ العَدُوِّ فربمَا ... تموتُ الأفاعِي مِن سُمومِ العقَارِبِ

ثم إنَّهم تحزبوا وحضروا إلى سرايته على حين غفلة بعد السحور ليلة السابع والعشرين من رمضان [1] ، وجماعته وطائفته متفرقون فى أماكنهم ، فحرقوا باب السراية ، وكبسوا عليه فقتل من قتل من أتباعه وهرب من هرب على حمية ، واختفى مصطفى باشا فى سرداب فلم يجدوه ، وأوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب ، وخاف السلطان لأن سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ، ففتح باب السراية التى بناحية البحر ، وأرسل يستعجل قاضى باشا بالحضور ، وكذلك قبطان باشا ، فحضرا إلى السراية ، واشتد الحرب بين الفريقين ، وأكثر الينكجرية من الحريق فى البلدة ، حتى أحرقوا منها جانبا كبيرا ، فلما عاين السلطان ذلك هاله ، وخاف من عموم حريق البلدة ، وهو ومن معه محصورون بالسراية يوما وليلة ، فلم يسعه إلا تلافى الأمر ، فراسل كبار الينكجرية وصالحهم ، وأبطلوا الحرب، وشرعوا فى إطفاء الحريق ، وخرج قاضى باشا هاربا ، وكذلك قبودان باشا ، وهو عبدالله رامز أفندى الذى كان فى أيام الوزير بمصر ، ثم إنَّهم أخرجوا مصطفى باشا من المكان الذى اختفى فيه ميتا من تحت الردم ، وسحبوه من رجليه إلى خارج ، وعلقوه فى شجرة ومثلوا به ، وأكثروا على رمته من السخرية ، وعند وقوع هذه الحادثة ومجئ قاضى باشا ، وكان من أغراض السلطان مصطفى المنفصل ، فخاف السلطان أنَّ قاضى باشا إنْ غلب على الينكجرية فيعزله ويولى أخاه ، ويرده إلى السلطنة ، فقتل السلطان محمود أخاه مصطفى خنقا ، ثم لما سكن الحال عينوا على قاضى باشا وقتلوه ، وكذلك عبدالله أفندى رامز قبودان باشا ، وكان مصطفى باشا البيرقدار هذا مشكور السيرة يحب إقامة العدل ، والوقت بخلاف ذلك .

وفيه [2] ، قوى الاهتمام بسد ترعة الفرعونية ، وتعين لذلك شخص يسمى عثمان السلانكلى الذى كان مباشرا على جسر الإسكندرية .

---

(١) ٢٧ رمضان ١٢٢٣ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م . (٢) ١ ذى الحجة ١٢٢٣ هـ / ١٨ يناير ١٨١٨ م .

وفى منتصفه (١) ، سافر الباشا وصحبته حسن باشا لمباشرة الترعة التى يريدون سدها وأمر بوسق الأحجار ، وأفردوا لذلك عدة كثيرة من المراكب ، تشحن بالأحجار والأخشاب الكثيرة ، وترجع فارغة وتعود موسوقة فى كل يوم مرة ، وأمر بجمع الرجال من القرى للعمل .

وفيه (٢) ، أيضًا شرع الباشا فى إنشاء أبنية بساحل شبرا الشهيرة الآن بشبرا المكاسة (٣) ، وأشيع أن قصده إنشاء سواقى وعمائر وبساتين ومزارع ، وأخذ فى الاستيلاء على ما يحاذى ذلك من القرى والأطيان والرزق والإقطاعات من ساحل شبرا إلى جهة بركة الحاج عرضا .

وفى سابع عشره (٤) ، خرجت عساكر كثيرة إلى البر الغربى بقصد الذهاب إلى الفيوم صحبة شاهين بيك والألفية ، بسبب أولاد على الذين كانوا بالبحيرة .

وفى ثانى عشرينه (٥) ، وصل واحد قابجى وأشيع أنه طلع من بولاق وذهب إلى بيت الباشا وعلى يده مرسومان ، أحدهما تقرير للباشا على ولاية مصر ، والثانى يذكر فيه أنَّ يوسف باشا المعدنى الصدر السابق ، تعين بالسفر على جهة الشام ، لتنظيم بلاد العرب والحجاز ، وأن يقوم محمد على باشا بلوازمه وما يحتاج إليه من أدوات وذخيرة وغير ذلك ، ولم يظهر لذلك الكلام أثر ، ولما أصبح النهار ، وحضر ذلك القابجى فى موكب إلى بيت الباشا ، وحضر الأشياخ والأعيان ، وكان الباشا غائبا فى الترعة كما تقدم ، وعوضه كتخدا بيك وأكابر دولتهم ، وقرئت المراسيم تحقق الخبر ، وانقضت السنة (٦) ، بحوادثها التى لايمكن ضبط جزئياتها لعدم الوقوف على حقيقتها .

فمن الحوادث العامة (٧) ، توالى الفرض والمظالم المتوالية ، وإحداث أنواع المظالم على كل شىء والتزايد فيها ، واستمرار الغلاء فى جميع أسعار المبيعات والمآكل والمشارب بسبب ذلك ، وفقر أهل القرى وبيعهم لمواشيهم فى المغارم ، فقل اللحم والسمن والجبن ، وأخذ مواشيهم وأغنامهم من غير ثمن فى الكلف ، ثم رميها على الجزارين بأغلى ثمن ، ولايذبحونها إلا فى المذبح ، ويؤخذ منهم أسقاطها وجلودها

---

(١) ١٥ الحجة ١٢٢٣ هـ / ١ فبراير ١٨١٨ م .   (٢) ١٥ الحجة ١٢٢٣ هـ / ١ فبراير ١٨١٨ م .

(٣) شبرا المكاسة : أطلق عليها هذا الاسم ، لأن خيمة المكس ، كانت تضرب فيها ، وتعرف بشبرا الخيمة ، وهى قاعدة قسم شبرا الخيمة ، محافظة القليوبية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٢ - ١٣ .

(٤) ١٧ ذى الحجة ١٢٢٣ هـ / ٣ فبراير ١٨١٨ م .   (٥) ٢٢ ذى الحجة ١٢٢٣ هـ / ٨ فبراير ١٨١٨ م .

(٦) ١٢٢٣ هـ / ٢٨ فبراير ١٨١٨ - ١٥ فبراير ١٨٠٩ م .

(٧) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ، ص ٨٥ ، طبعة بولاق « حوادث عامة » .

ورؤسها ورواتب الباشا ، وأهل دولته ، ثم يذهبون ، بما يبقى لهم لحوانيتهم ، فتباع على أهل البلد بأغلى ثمن ، حتى يتخلص للجزار رأس ماله ، وإذا عثر المحتسب على جزار ذبح شاة اشتراها في غير المذبح ، قبض عليه وأشهره وأخذ ما في حانوته من اللحم من غير ثمن ، ثم يحبس ويضرب ويغرم مالا ولايغفر ذنبه ، ويسمى خائنا وفلاتيا .

ومنها انقطاع الحج الشامى والمصرى معتلين بمنع الوهابى الناس عن الحج، والحال ليس كذلك ، فإنه لم يمنع أحدا يأتى إلى الحج على الطريقة المشروعة ، وإنما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التى لايجيزها الشرع ، مثل : المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة ، وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة ، وحجوا ورجعوا فى هذا العام وما قبله ، ولم يتعرض لهم أحد بشيء ، ولما امتنعت قوافل الحج المصرى والشامى ، وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التى كانوا يتعيشون منها ، خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ، ولم يمكث إلا الذى ليس له إيراد من ذلك ، وأتوا إلى مصر والشام ، ومنهم من ذهب إلى إسلامبول يتشكون من الوهابى ، ويستغيثون بالدولة فى خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التى كانوا عليها من إجراء الأرزاق ، واتصال الصلات والتيابات والخدم فى الوظائف التى بأسماء رجال الدولة ، كالفراشة والكناسة ونحو ذلك ، ويذكرون أنَّ الوهابى استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها وأخذها ، فيرون أنَّ أخذه لذلك من الكبائر العظام ، وهذه الأشياء أرسلها ووضعها خساف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم ، إما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتى بعدهم ، أو لنوائب الزمان ، فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها ، فيستعان بها على الجهاد ، ودفع الأعداء ، فلما تقادمت عليها الأزمنة وتوالت عليها السنين والأعوام الكثيرة ، وهى فى الزيادة ارتصدت معنى لا حقيقة ، وارتسم فى الأذهان حرمة تناولها ، وأنها صارت مالا للنبى ﷺ ، فلا يجوز لأحد أخذها ولا إنفاقها ، والنبى عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك ، ولم يدخر شيئًا من عرض الدنيا فى حياته ، وقد أعطاه الله الشرف الأعلى ، وهو الدعوة إلى الله تعالى والنبوّة والكتاب ، واختار أن يكون نبيا عبدا ، ولم يختر أن يكون نبيا ملكا ، وثبت فى الصحيحين وغيرهما أنه قال : « اللـهُمَّ اجْعَلْ رِزقَ آل محمد قُوتا» ، وروى الترمذى بسنده عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ ، قال : « عَرضَ عَلَىَّ ربّى لِيجْعلَ لى بَطحَاء مكّةَ ذهبًا قلْتُ لاَ ياربّ ، ولكِنْ أشبعُ

يومًا وأجوعُ يومًا » ، أو قال ثلاثا أو نحو ذلك ، « فإذا جُعتُ تضرَعْتُ إليك ، وذكَرتُك وإذا شَبِعْتُ شكَرتُك وحَمِدتُك » ، ثم إنْ كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول ومحبة فيه فهو فاسد ، لقول النبى ﷺ : « إنَّ الصدقَةَ لاتنْبغى لآلِ مُحَمد » ، إنما هى أوساخ الناس ومنع بنى هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم ، والمراد الانتفاع فى حال الحياة لابعدها ، فإنَّ المال أوجده المولى سبحانه وتعالى من أمور الدنيا لا من أمور الآخرة ، قال تعالى : ﴿ إنما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكُمْ وتكَاثُر فى الأموال والأولاد ﴾ [1] ، وهو من جملة السبعة التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فى قوله تعالى : ﴿ زُينَ للناسِ حُبُّ الشَّهوات مِن النِّساء والبنينَ والقَنَاطيرِ المقَنْطرَة مِن الذهَب والفضَّة والخيلِ المسوّمَةِ والأنعامِ والحرثِ ذلكَ مَتاعُ الحياةِ الدنيا واللهُ عندَه حُسْنُ المآب ﴾ [2] ، فهذه السبعة بها تكون الخبائث والقبائح ، وليست هى فى نفسها أمورا مذمومة بل قد تكون معينة على الآخرة ، إذا صرفت فى محلها ، وعن مطرف عن أبيه ، قال : « أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر ، قال : « يقولُ ابنُ آدمَ مَالى مَالى فهلْ لكَ يا ابنَ آدم مِن مَالك إلا ما أكلْتَ فأفنيتَ ، أو لَبِسْتَ فأبلَيتَ ، أو تصدقْتَ فأمضَيت » إلى غير ذلك ، ومحبة الرسول بتصديقه واتباع شريعته وسنته لابمخالفة أوامره ، وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين ، وباقى الأصناف الثمانية ، وإن قال المدخر : « أكنزها لنوائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة إليها » قلنا قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم فى مصالحات المتغلبين عليهم من قرانات الإفرنج ، وخلو خزائنهم من الأموال التى أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم ، فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة بكفالة أحد الفرق من الإفرنج المسالمين لهم ، واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والطلبات ، والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم ، ولم يأخذوا من هذه المدخرات شيئًا ، بل ربما كان عندهم أو عند خونداتهم جوهر نفيس من بقايا المدخرات ، فيرسلونه هدية إلى الحجرة ولاينتفعون به فى مهماتهم فضلا عن إعطائه لمستحقه من المحتاجين ، وإذا صار فى ذلك المكان لاينتفع به أحد إلا ما يختلسه العبيد الخصيون الذين يقال لهم أغوات الحرم ، والفقراء من أولاد الرسول ، وأهل العلم والمحتاجون ، وأبناء السبيل يموتون جوعا ، وهذه الذخائر محجور عليها ، وممنوعون منها إلى أن حضر الوهابى ، واستولى على المدينة ، وأخذ تلك الذخائر ، فيقال إنَّه عبى أربعة سحاحير من الجواهر المحلاة

---

(١) سورة : آل عمران ، رقم (٣) ، آية رقم (١٤) . (٢) سورة : الحديد ، رقم (٥٧) ، آية رقم (٢٠) .

بالألماس والياقوت العظيمة القدر ، ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد ، وبدل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة يضئ نورها فى الظلام ، ونحو مائة سيف قراباتها ملبّسة بالذهب الخالص ، ومنزل عليها الماس وياقوت ، ونصَابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك ، وسلاحها من الحديد الموصوف كل سيف منها لا قيمة له ، وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك » .

ومنها : أن الباشا عزم على عمارة المجراة التى تنقل الماء إلى القلعة ، وقد خربت وتلاشى أمرها وتهدمت قناطرها ، وبطل نقل الماء عليها من نحو عشرين سنة ، فقيد بعمارتها محمد أفندى طبل ناظر المهمات ، فعمرها وأجرى الماء بها فى أواخر الشهر الماضى [1] .

ومنها : إحداث عدة مكوس على أصناف كثيرة منها على بضاعة اللبان عن كل قطعة ثلثمائة نصف فضة ، وكذلك على صنف الحناء عن كل مخلة عشرة أنصاف ، وكذلك الموزونات كل مائة درهم أربعة دراهم ، على البائع درهمان ، وعلى المشترى درهمان ، وغير ذلك حوادث كثيرة لانعلمها .

واما من مات بها ممن له ذكر[2]

فمات ، الأجل المبجل ، والمحترم المفضل ، السيد خليل البكرى الصديقى ، ووالدته من ذرية شمس الدين الحنفى ، وهو أخو الشيخ أحمد البكرى الصدّيقى الذى كان متوليا على سجادتهم ، ولما مات أخوه لم يلها المترجم لما فيه من الرعونة وارتكابه أمورا غير لائقة ، بل تولاها ابن عمه السيد محمد أفندى مضافة لنقابة الأشراف ، فتنازع مع ابن عمه المذكور ، وقسموا البيت الذى هو مسكنهم بالأزبكية نصفين ، وعمر مبانيه عمارة متقنة وزخرفه ، وأنشأ فيه بستانا زرع فيه أصناف الأشجار والفواكه ، فلما توفى السيد محمد أفندى تولى المترجم مشيخة السجادة ، وتولى نقابة الأشراف السيد عمر مكرم الأسيوطى ، فلما طرق البلاد الفرنساوية تداخل المترجم فيهم ، وخرج السيد عمر مع من خرج هاربا من الفرنساوية إلى بلاد الشام ، وعرّف المترجم الفرنساوية أنّ النقابة كانت لبيتهم ، وأنّهم غصبوها منه فقلدوه إياها واستولى على وقفها وإيرادها ، وانفرد بسكن البيت ، وصار له قبول عند الفرنساوية ، وجعلوه من أعاظم رؤساء الديوان الذى كانوا نظموه لإجراء

---

(١) آخر ذى الحجة ١٢٢٣ هـ / ١٥ فبراير ١٨٠٩ م .

(٢) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٨٦ ، طبعة بولاق « ذكر من توفى فى هذه السنة » .

الأحكام بين المسلمين ، فكان وافر الحرمة ، مسموع الكلمة ، مقبول الشفاعة عندهم ، فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى ، واجتمع عنده مماليك من مماليك الأمراء المصرية الذين كانوا خائفين ومتغيبين وعدّة خدم وقواسة ، ومقدّم كبير ، وسراجين ، وأجناد ، واستمر على ذلك إلى أن حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الأولى التى انتقض فيها الصلح ، ووقعت الحروب فى البلدة بين العثمانية والفرنساوية والأمراء المصرية وأهل البلدة ، فهجم على داره المتهورون من العامة ونهبوه وهتكوا حريمه وعروه عن ثيابه ، وسحبوه بينهم مكشوف الرأس من الأزبكية إلى وكالة ذى الفقار بالجمالية ، وبها عثمان كتخدا الدولة ، فشفع فيه الحاضرون ، وأطلقوه بعد أن أشرف على الهلاك ، وأخذه الخواجا أحمد بن محرم إلى داره وأسكن روعه وألبسه ثيابا وأكرمه ، وبقى بداره إلى أن انقضت أيام الفتنة ، وظهرت الفرنساوية على المحاربين لهم وخرجوا من البلدة ، واستقر بها الفرنساوية ، فعند ذلك ذهب إليهم وشكا لهم ما حل به بسبب موالاته لهم ، فعوّضوا عليه ما نهب له ، ورجع إلى الحالة التى كان عليها معهم ، وكانت داره أخربها النهابون ، فسكن ببيت البارودى بباب الخرق ، ثم انتقل منه إلى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى بحارة عابدين ، وجدد بها عمارة ، وكان له ابنة خرجت عن طورها فى أيام الفرنسيس ، فلما أشيع حضور الوزير والقبودان والإنكليز وظهر على الفرنساوية الخروج من مصر ، فقتل ابنته المذكورة بيد حاكم الشرطة ، فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية ، عزل المترجم عن نقابة الأشراف ، وتولاها السيد عمر مكرم كما كان قبل الفرنساوية ، ولما حضر محمد باشا خسرو أنهى إليه الكارهون له بأنه مرتكب للموبقات ، ويعاقر الشراب وغير ذلك ، وإن ابنته كانت تذهب إلى الفرنسيس بعلمه ، وأنه قتلها خوفا وتبرئة لنفسه من الشهرة التى لايمكنه سترها ، ولايقبل عذره فيها ، ولا التنصل منها ، وأنّه لايصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية ، وعرفوه أن هناك شخصا من سلسلتهم يقال له الشيخ محمد سعد ، وهو من جملة أتباع المترجم ، ولكنه فقير لايملك شيئًا ولا دابة يركبها ، فقال الباشا : « أنا أواسيه وأعطيه » ، فأحضروه له بعد أن ألبسوه تاجا كبيرا وثيابا ، وهو رجل مبارك طاعن فى السن ، فألبسه فروة سمور ، وقدم له حصانا معددا وقيد له ألف قرش ، وسكن دارا بناحية باب الخرق ، وتريش حاله وخمل أمر المترجم ، واشترى دارا بدرب الجماميز بعطفة الفرن [1] ، وكان بظاهرها قطعة جنينة فاشتراها وغرس بها أشجارا ، وحسنها وأتقنها ، وبنى له مجلسا مطلا

---

(١) عطفة الفرن : عطفة تقع بحارة الشعرانى ، التى تقع بشارع الشعرانى ، وبعطفة الفرن ضريح سيدى محمد ميالة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٧ .

عليها ، وبالأسفل مساطب ، ولواوين جلوس لطيفة ، واشترى دارين من دور الأمراء المتقدمين بظاهر ذلك وهدمهما وبنى بأنقاضهما وأخشابهما ، وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام ، وسد بأثمانها ديونه ، واقتصر على إيراده فيما يخصه من وقف جده لأمه الأستاذ الحنفى ، وتصدى لمقاومته وأذيته أنفار من المتظاهرين مثل : السيد عمر مكرم النقيب ، والشيخ محمد وفا السادات وخلافهما ، حتى أنَّه كان عقد لابنه سيدى أحمد على بنت المرحوم محمد أفندى البكرى ، فتعصبوا عليه بعد عزله من المشيخة والنقابة ، وأبطلوا العقد وفسخوا النكاح ببيت القاضى ، وتسلط عليه من له دين أو دعوى أو مطالبة حتى بيعوه حصصه ، وكان قد اشترى مملوكا فى أيام الفرنساوية جميل الصورة ، فلما حصل له ما حصل ، ادعى عليه البائع أنه أخذه بدون القيمة ، ولم يدفع له الثمن فلم يثبت عليه ذلك ، وكان المملوك ذهب من عنده ، وتم الأمر والمصالحة على أن عثمان بيك المرادى أخذ ذلك المملوك لنفسه ، وقد تقدم ذكر قصته فى الحوادث السابقة ، ولم يزل المترجم على حالة خموله حتى تحرك عليه داء الفتق ، ومات على حين غفلة في منتصف شهر ذى الحجة [1] وصلى عليه بمسجد جده لأمه الشيخ شمس الدين أبو محمد الحنفى ، ودفن عند أسلافه بمشهد السادة البكرية بالقرافة ، رحمه الله ، وعفا عنا وعنه .

ومات، الأمير شاهين بيك المرادى، ويعرف بباب اللوق ، لأنه كان ساكنا هناك ، وهو من مماليك مراد بيك ، وأصله چركسى الجنس ، ولما أعتقه مراد بيك أنعم عليه بكشوفيه إقليم الغربية ، ثم رجع إلى مصر ، وأقام بطالا متطلعا للإمارة ، ويرى أنَّه أحق بها من غيره ، ولما رجع المصريون إلى مصر بعد قتل طاهر باشا ، وكان الألفى غائبا ببلاد الإنكليز ، انضم إليه عثمان بيك البرديسى ووافقه على كراهة الألفى الباطنية ، وكان هو أحد المباشرين والضاربين لحسن بيك الوشاش بالبر الغربى ليلة خروجهم وتعديتهم لملاقاة الألفى ، ثم خرج من مصر مع عشيرته ، ولم يزل حتى مات فى منتصف شهر ربيع الأول من السنة المذكورة [2] ، والله أعلم .

سنة اربع وعشرين ومائتين والف [3]

استهل شهر المحرم بيوم الخميس [4] ، وفى تلك الليلة أعنى ليلة الجمعة ثانيه[5] ، مرت سحابة سوداء مظلمة فى وقت العشاء ، وحصل فيها رعد مزعج وبرق مستنير

(1) ١٥ ذى الحجة ١٢٢٣ هـ / ٤ فبراير ١٨٠٩ م . (2) ١٥ ربيع الأول ١٢٢٣ هـ / ١١ مايو ١٨٠٨ م .
(3) ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ - ٥ فبراير ١٨١٠ م . (4) ١ محرم ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ م .
(5) ٢ محرم ١٢٢٤ هـ / ١٧ فبراير ١٨٠٩ م .

شديد اللمعان ، وأمطرت فى محلات قليلا وفى أخرى كثيراً ، ثم انجلت السماء سريعا ، فظهرت النجوم ، وبعد أيام أخبر الواردون من ناحية بلاد السماحات بالغربية[1] ، أنها أمطرت بتلك الناحية فى تلك الليلة بردا كبيرا وصغيرا ، والكبير فى مقدار حجر الطاحون ، والصغير فى مقدار بيض الدجاج ، وتهدمت منها دور وقتلت مواشى وآدمية ، وأهلكت زروعا كثيرة .

وفى يوم الأحد رابعه [2] ، قتل الباشا حسين بن الخبيرى ، وهو بترعة الفرعونية ، وأرسل رأسه إلى مصر فعلقت بباب زويلة .

وفى أواخره [3] ، حضر الباشا من ترعة الفرعونية ، وقد عجز عن سدها بعد أن بذل جهده وفرض الفرض العظيمة على البلاد ، وأشغلوا المراكب فى نقل الأحجار ليلا ونهارا ، والسيد محمد المحروقى متقيد لذلك ، ومقيم بمسجد الآثار [4] ، لتشهيل الحجارين ووسقها بالمراكب ، وقطعها من الجبل قطعا وصخورا ، فكانوا يشقون الجبل بألغام البارود مثل عمل الإفرنج ، وظهر فى قطعهم كهوف ومغارات وتجاويف ، وتحدث الناس بذلك بأنواع الأكاذيب والخرافات ، كقولهم : « ظهر فى الجبل باب من حديد وعليه أقفال ففتحوه ونظروا من داخله أشخاصا على خيول » ، إلى غير ذلك .

وفيه [5] ، حضر قاصد من قبودان باشا بطلب عوائده بالإسكندرية ، فقال له حاكم الإسكندرية : « ينبغى أن تذهب إلى الباشا بالترعة وتقابله » ، فذهب إليه وقابله عند السد فبات تلك الليلة ، وأصبح ميتا فأخرجوه إلى المقبرة ، ثم حضر قاصد آخر يخبر بوصول قابجى وعلى يده مرسومان ، أحدهما : الإخبار عن صلح الدولة مع الإنكليز والموسكوب وانفتاح البحر وأمن المسافرين ، والثانى : الأمر بالسفر والخروج إلى فتح الحرمين وطرد الوهابية عنهما ، وأنَّ يوسف باشا الصدر السابق المعروف بالمعدن ، تعين بالسفر للحرمين على طريق الشام ، وكذلك سليمان

---

(١) السماحات : وردت فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، كوحدة مالية ، ثم اندثرت ، ويدل على مكانها حوض منشية السماحات ، بأراضى ناحية الوزيرية ، مركز كفر الشيخ ، محافظة الغربية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ١ ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) ٤ محرم ١٢٢٤ هـ / ١٩ فبراير ١٨٠٩ م .

(٣) آخر محرم ١٢٢٤ هـ / ١٧ مارس ١٨٠٩ م .

(٤) مسجد الآثار : مسجد يوجد بعزبة الآثار التى صارت جزءاً من مصر القديمة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣ .

(٥) آخر محرم ١٢٢٤ هـ / ١٧ مارس ١٨٠٩ م .

باشا والى بغداد ، متعين أيضًا بالسفر من ناحيته على الدرعية ، وأحضر للباشا تقريرا بالولاية مجددا وخلعة وسيفا .

واستهل شهر صفر بيوم السبت سنة ١٢٢٤ (١)

فيه (٢) ، حضر الأغا الواصل إلى بولاق فركب لملاقاته أغاة الينكجرية ، والوالى وأرباب العكاكيز ، فأركبوه فى موكب ودخلوا به من باب النصر ، وطلع إلى القلعة ، وقرأوا المراسيم بحضرة الجمع ، وبعد الفراغ من قراءتها ضربوا مدافع وشنكا .

وفى ذلك اليوم (٣) ، غيمت السماء بالسحاب وأمطرت كثيرا ، ونزل مطر ببركة الحاج ، وجدوا فيه سمكا صغيرا من جنس السمك الذى يعرف بالقاروص ، وصار يتنطط على الأرض ، وأحضروا منه إلى مصر وشاهدناه وهو فى غاية البرودة .

وفيه (٤) اهتم الباشا بإخراج تجريدة إلى الأمراء القبليين ، وذلك أنه تقدّم بالإرسال إليهم يطالبهم بالغلال والأموال الميرية المرار العديدة ، ويعدون ولايوفون ، ووصل إليه من عندهم كتخدا البرديسى وهو بالترعة ، ومعه أجوبة وهدية ، وفيها خيول وجوار وعبيد وسكر وخصيان ، فاغتاظ الباشا ، وقال : « أنا لست أطلب إحسانهم وصدقاتهم حتى أنهم يضحكون على ذقنى بهذه الأمور ، وحيث أنّهم لايرجعون عن الكامن فى رؤوسهم ، فلابد من خروجى إليهم ومحاربتهم » ، وأرسل إلى من بمصر من الأكابر يأمرهم بالبراز والخروج ، فخرج حسن باشا ، وصالح أغا قوج ، وطاهر باشا ، وأحمد بيك ، والكثير من أعيانهم بعساكرهم ، وعدوا إلى بر الجيزة ، ونصبوا وطاقهم وخيامهم ، ثم إنَّ رضوان كتخدا لم يزل يلاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه أياما معدودة، فلما حضر من الترعة أخذ فى التشهيل والخروج ، فانتقلت العساكر إلى البر الغربى ، وأخذ يستحث فى المطلوبات وخروج الخيام وجمع المراكب، وسافر قبودان بولاق إلى جهة بحرى لجمع المراكب ، وفرضوا على القرى غلالا وجمالا ، وذلك فى عقب ما فرضه عليهم فى مهمات الترعة المتقدمة وخلافها من بشارة القبطان والتقرير ، وما فى ضمن ذلك من حق طرق المباشرين والمعينين، مع ما الناس فيه من القحط والغلاء فى الغلال وغيرها ، وعدم وجود الغلة ، والذين لايقدرون على تحصيل الغلة يلزمونهم

---

(١) صفر ١٢٢٤ هـ / ١٨ مارس - ١٥ أبريل ١٨٠٩ م . (٢) ١ صفر ١٢٢٤ هـ / ١٨ مارس ١٨٠٩ م .
(٣) ١ صفر ١٢٢٤ هـ / ١٨ مارس ١٨٠٩ م . (٤) ١ صفر ١٢٢٤ هـ / ١٨ مارس ١٨٠٩ م .

بدفـــع ثمنها بأقــصى القيمــة بعد مصانــعة المباشرين لــذلك ، وإعطائهــم الرشوات ، وحضــر أيضًا نــعمان سراج باشا من عند إبراهــيم بيك ، وقابل الباشا عــلى الترعة ، فلم ينفع حضوره أيضًا ، ولم يسمع له قول ، ورجع مزيفا .

وفى خامسه [1] ، حضر عــلى بيك أيــوب وصحبته آخــر يقال له رضــوان بيك البرديسى ، فـطلعا إلى القلعة ، وتقــابلا مع الباشا ، وانخضع له عــلى بيك أيوب ، وقبّل رجله ، وترجى عنده فى عدم خروج التجريدة ، وكلمه فى أمر الغلال المنكسرة والجديدة ، وعلــى أنّهم يقومون بدفــع الغلال القديمة بــالثمن ، والجديدة بــالكيل ، وليــس عندهم مــخالفة والــقصد الإمــهال إلى حصــاد الغلال ، فقــال : « إنّهم إذا حصــدوا الغلال أخذوهــا وفروا إلى الجبال » ، واستمر هذا القيل والــقال نحو أربعة أيام ، ثم أشيع فــى ثامنه [2] ، الصلح ، وفرح الناس واستبــشروا بذلك ، لما يترتب وما يحصل من الــفساد ، وأكل الزروعات وخراب البلدان ، فإنهــم أكلوا فى الأربعة أيام التى ترددوا فيــها بالجيزة نيفا وخمســمائة فدان ، ولما أشيع بالجهة الــقبلية خروج العــساكر للــتجريدة انــزعجوا وأيســوا من زروعاتــهم ، وخرجوا مــن أوطانهم عــلى وجوههم ، لايدرون أيــن يذهبون بأولادهم ونسائــهم وقصاعهم ، وتفرقــوا فى مصر والبلاد البحرية .

وفى صبحها [3] ، أعيد أمر التجــريدة ، وأشيع خروج العساكر ثانيــا ، فانقبضت النفــوس ثانيا ، وباتوا فــى نكد ، وطلبت الــسلف من المساتــير والملتزمين ، وكــتبت الدفاتر ، وحولت الأكياس ، وانبثت المعينون للطلب .

وفــى عاشــره [4] ، بطل أمــر التجريدة ، وانقــضى أمر الصلح عــلى شروط ، وهى : أنهم التزموا بثلث ما عليــهم من غلال الميرى ، وقدره مائة ألف أردب وسبعة آلاف أردب ، بعد مناقشات ومحققات ، والذى تولى المــناقشات معهم مساعدا للباشا شاهين بيك الألفــى ، والموعد أحد وثلاثون يوما ، وسافر عــلى بيك أيوب ورضوان بيك البرديسى وأكرمهما الباشا وخلع عليهما .

وفى حادى عشره [5] ، قتل الباشا مصطفى أغا تــابع حسن بيك فى قصبة رضوان ظلما ، وسبب ذلك أنه لما نزل قبودان بولاق لجمــع المراكب المطلوبة لسفر التجريدة ، فصادف شخــصا من الأرنؤد الذين يــتسببون فى بيــع الغلال فى مركب ومــعه غلة ،

---

(1) ٥ صفر ١٢٢٤ هـ / ٢٢ مارس ١٨٠٩ م .
(2) ٨ صفر ١٢٢٤ هـ / ٢٥ مارس ١٨٠٩ م .
(3) ٨ صفر ١٢٢٤ هـ / ٢٥ مارس ١٨٠٩ م .
(4) ١٠ صفر ١٢٢٤ هـ / ٢٧ مارس ١٨٠٩ م .
(5) ١١ صفر ١٢٢٤ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٩ م .

وذلك عند قرية تسمى سهرجت[1] ، فحجزه ليأخذ منه السفينة ، فقال : « كيف تأخذها وفيها غلتى ؟ » ، وقال : « أخرج غلتك منها على البر واتركها ، فإنها مطلوبة لمهمات الباشا » ، فلم يرض وخاف على تبددها ولم يجد سفينة أخرى ، لأن جميع السفن مطلوبة مثلها ، وقال له : « عندما أصل بها إلى مصر وأنقل منها الغلة أرسل معى من يأخذها » ، فقال القبودان : « أن لاسبيل إلى ذلك » ، وتشاجرا فحنق القبودان على الأرنؤدى ، وسل عليه سيفه ليضربه ، فعاجله الانؤدى وضربه بالطبنجة فقتله ، فأراد أتباع القبودان القبض عليه ففر منهم إلى البلدة وبها جماعة من الدلاة معينون لقبض الفرضة ، فالتجأ إليهم فمانعوا عنه وتنازع الفريقان ، وكان مصطفى أغا المذكور ملتزم البلدة هناك ، وغائبا فى بعض شؤنه ، فبلغه الخبر فحضر إليهم ، وخاف من وقوع قتل أو شر يقع بالبلدة فيكون سببا لخراب الناحية ، فقال : « يا جماعة اذهبوا بنا إلى الباشا ليرى رأيه » ، فرضوا بذلك وحضر بصحبتهم والقاتل معهم ، وطلعوا إلى ساحل بولاق ، فعندما وصلوا إلى البر هرب القاتل ، وذهب عند عمر بيك الأرنؤدى الساكن ببولاق ، فتبعه الأمير مصطفى المذكور ، فقال له عمر بيك : « اذهب إلى الباشا وأخبره أنَّه عندى وأنت لا بأس عليك » ، ففعل ، فقال له الباشا : « ولأى شىء لم تحتفظ عليه وتتركه حتى يهرب » ، فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلاتية الملتجئ إليهم ، وكأنهم هم الذين أفلتوه ، فأمر بحبسه فأرسل إلى عمر بيك ، فحضر إلى الباشا وترجى فى إطلاقه فوعده أنَّه فى غد يطلقه إذا حضر القاتل ، فقال : « إنَّه عند أزمير أغا وهو لايسلم فيه » ، وركب إلى داره ، فلما كان فى الصباح ، أمر بقتل الأمير مصطفى المذكور ، فأنزلوه إلى الرميلة ، ورموا رقبته عند باب القلعة ظلما .

وفى صبحها [2] ، أيضًا قتلوا شخصا من الدلاة بسبب هذه الحادثة .

وفى ثانى يوم [3] ، قتل الأرنؤد شخصين من الدلاة أيضًا .

وفى يوم الخميس ثالث عشره [4] ، أرسل الباشا ، وطلب الأرنؤدى القاتل للقبودان من عمر بيك وشدد فى طلبه ، وقال : « إن لم يرسله ، وإلا أحرقت عليه داره » ، فامتنع من إرساله ، وجمع إليه طائفة الأرنؤد ، وصالح أغا قوج جاره ،

---

(١) سهرجت : قرية قديمة ، وتعرف بـ « صهرجت الكبرى » ، اسمها القبطى (Sahrascht) ، إحدى قرى مركز ميت غمر ، محافظة الدقهلية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ .

(٢) ١١ صفر ١٢٢٤ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٩ م . (٣) ١٢ صفر ١٢٢٤ هـ / ٢٩ مارس ١٨٠٩ م .

(٤) ١٣ صفر ١٢٢٤ هـ / ٣٠ مارس ١٨٠٩ م .

وركب الباشا وذهب إلى ناحية الشيخ فرج ، وحصل ببولاق قلقة ، وانزعاج ، ثم ركب الباشا راجعا إلى داره بالأزبكية وقت الغروب ، وكثرت الإرجاف والقلقلة بين الأرنؤد والدلاتية .

وفى خامس عشره [1] ، قتل الأرنؤد شخصين من الدلاتية أيضًا جهة قناطر السباع، ثم إنَّ القاتل الذى قتل القبودان التجأ إلى كبير من كبار الأرنؤد ، فأرسل الباشا إلى حسن باشا يطلب منه ذلك الكبير ، وأكد فى طلبه ، أو أنه يقطع رأس القاتل ويرسلها ، فكأنه فعل وأرسل إليه برأس ملفوفة فى ملاية تسكينا لحدته ، وبردت القضية وسكنت الحدة ، وراحت على من زاحت عليه .

وفى أواخره [2] ، أمر الباشا بتحرير دفاتر فرضة الأطيان ، وزادوا فيها عن عام الشراقى الماضى الثلث ، وربطوها ورتبوها أربع مراتب تزيد كل ضريبة عن الأخرى مائة نصف فضة ، أعلاها يبلغ ثمانمائة نصف فضة ، على أنَّ الفرضة الماضية بقى الكثير منها بالذمم لخراب القرى وعجزهم، واختلى لتنظيم ذلك من الأفندية والأقباط بجهات متباعدة ، الأفندية بربع أيوب ببولاق ، والأقباط بدير مصر العتيقة ، حتى حرروا ذلك وتمموه ورتبوه فى عدة أيام ، ووقع الطلب فى جانب معجلا سموه الترويجة .

وفيه [3] أمر الباشا عمر بيك الأرنؤدى بالسفر من مصر ، وقطع خرجه ورواتبه هو وعسكره ، فلم تسعه المخالفة ، وحاسب على المنكسر له ولعسكره من العلائف ، وكذلك حلوان البلاد التى فى تصرفه ، فبلغ ستمائة كيس ، وزعت على دائرة الباشا وخلافهم ، وكان الباشا ضبط جملة من حصص الناس ، واستولى عليها من بلاد القليوبية بحرى شبرا واختصها لنفسه ، فلما استولى على حصص عمر بيك ودفع له حلوانها ، وهى بالمنوفية والغربية والبحيرة ، عوَّض بعض من يراعى جانبه من ذلك ، وأخذ عمر بيك ومن يلوذ به فى تشهيل أنفسهم وقضاء حوائجهم .

واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٤ [4]

فيه [5] ، شرع السيد عمر مكرم نقيب الأشراف فى عمل مهم لختان ابن ابنته ، ودعا الباشا والأعيان ، وأرسلوا إليه الهدايا والتعابى ، وعمل له زفة يوم الاثنين

(١) ١٥ صفر ١٢٢٤ هـ / ١ ابريل ١٨٠٩ م . (٢) آخر صفر ١٢٢٤ هـ / ١٥ ابريل ١٨٠٩ م .
(٣) آخر صفر ١٢٢٤ هـ / ١٥ ابريل ١٨٠٩ م . (٤) ربيع الأول ١٢٢٤ هـ / ١٦ ابريل - ١٥ مايو ١٨٠٩ م .
(٥) ١ ربيع الأول ١٢٢٤ هـ / ١٦ ابريل ١٨٠٩ م .

سادس عشره [1] ، مشى فيها أرباب الحرف والعربات والملاعيب ، وجمعيات ، وعصب صعايدة ، وخلافهم من أهالى بولاق والكفور والحسينية وغيرها ، من جميع الأصناف وطبول وزمور وجموع كثيرة فكان يوما مشهودا ، اكتريت فيه الأماكن للفرجة ، وكان هذا الفرح هو آخر طنطنة السيد عمر بمصر ، فإنه حصل له عقيب ذلك ، ما سيتلى عليك قريبا من النفى والخروج من مصر .

وفيه [2] ، كمل سد ترعة الفرعونية واستمر العمل فيها ، وفى تأبيد السد بالأحجار والمشمعات والأتربة نحو ستة أشهر ، وصرف عليها من الأموال ما لايحصى، وجرى مجرى البحر الشرقى وغزر ماؤه ، وجرت فيه السفن من دمياط بعد أن كان مخاضة ، وملحت عذوبة النيل بما انعكس فيه ، وخالطه من ماء البحر الملح إلى قبلى فارس كور [3] ، وأقام بالسد عمر بيك تابع الأشقر لخفارته وتعهد الخلل وكتم الجسر من النشع والتنفيس وسكن هناك ولم يفارقه ، واستمر فى هذه الوظيفة والخدمة ولم يقم بمصر .

وفى هذا الشهر وما قبله [4] ، تشحطت الغلال وغلا سعرها حتى بلغ الأردب القمح ألف وستمائة نصف فضة ، وعز وجوده بالرقع والعرصات ، وأما السواحل فلا يكاد يوجد بها شىء من الغلة بطول السنة ، ولولا لطف الله بوجود الذرة لهلكت الخلائق ، ومع ذلك استمرار المغارم والفرض ، حتى فرض الغلة عين ، وكذلك تبن وجمال وما ينضاف إلى ذلك مما سمعته غير مرة مما يطول شرحه .

وفيه [5] ، نودى على صرف الفرانسة والمحبوب والمجر ، كما نودى فى العام الماضى ، لأنه لما نودى بنقص صرفها ، ومضى نحو الشهر أو الشهرين رجع الصرف إلى ما كان عليه وزيادة ، فأعيد النداء كذلك ، وسيعود الخلاف مادام الكرب والضيق بالناس ، على أنّ هذه المناداة والأوامر بالنقص والزيادة ، ليست من باب الشفقة على الناس ولا الرحمة بهم ، وإنما هى بحسب أغرضهم وزيادة طمعهم ، فإنه إذا توجهت المطالبات بالفرض والمغارم ، نودي بالنقص ليزيد الفرط ، وتتوفر لهم الزيادة ، ويحصل التشديد والمعاقبة على من يقبض بالزيادة من أهل الأسواق ، وإذا كان الدفع من خزانتهم فى علائف العسكر أو لوازمهم الكبيرة قبضوها بأزيد من

---

(١) ١٦ ربيع الأول ١٢٢٤ هـ / ١ مايو ١٨٠٩ م . (٢) ١٦ ربيع الأول ١٢٢٤ هـ / ١ مايو ١٨٠٩ م .

(٣) فارسكور : قرية قديمة ، لما أنشئ قسم فارسكور سنة ١٨٤٠ م ، أصبحت قاعدته ، وفى سنة ١٨٧٠ م ، أصبح مركز فارسكور ، وهى قاعدته ، محافظة الدقهلية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ .

(٤) صفر ١٢٢٤ هـ / ١٨ مارس - ١٥ أبريل ١٨٠٩م .

(٥) ربيع الأول ١٢٢٤ هـ / ١٦ أبريل - ١٥ مايو ١٨٠٩ م

الزيادة التى نادوا عليها من غير مبالاة ولا احتشام ، تناقض ما لنا إلاً السكوت عنه .

وفى أواخره [1] ، تواجدت الغلال وانحل سعرها ، وحضر الفلاحون ببدارى الغلة ، وانحط السعر ، والحمد لله .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٤ [2]

فى سادسه [3] ، وردت مراسيم من الروم وبشارة بمولودة ولدت للسلطان وسموها فاطمة ، وفى المراسيم الأمر بالزينة ، فاقتضى الرأى أن يعملوا شنكا ومدافع من القلعة ، تضرب فى الأوقات الخمسة سبعة أيام ، وهذا شىء لم يسمع بمثله فيما سبق أن يعملوا للأنثى شنكا أو زينة أو يذكر ذلك مطلقا ، وإنما يعمل ذلك للمولود الذكر من بدع الأعاجم .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه [4] ، حضر من الأمراء المصريين القبالى مرزوق بيك ابن إبراهيم بيك ، وسليم أغا مستحفظان ، وقاسم بيك سلحدار مراد بيك ، وعلى بيك أيوب ، وحسب الاتفاق المتقدم فى تقرير الصلح ، ولكن لم يكن سليم أغا مذكورا فى الحضور ، بل كان منجمعا وممتنعا عن التداخل فى هذه الأحوال ، والسبب فى حضوره أنَّ زوجته توفت من نحو نصف شهر ، فحضر لأجل تركتها ومتاعها ومتاعه الذى عندها وحصصها ، ولما حضر وجد الباشا استولى على ذلك ، وأخذ المتاع والمصاغ والجواهر والعقار وأخذ الحصص وأخذ حلوانها ، وذلك بيد محمود بيك الدويدار ، فلما حضر سليم أغا لم يجد شيئًا لا دار ولا عقار ولا نافخ نار ، فنزل عند على بيك أيوب بمنزله بشمس الدولة ، فحضر إليه محمود بيك الدويدار والترجمان ، وأخذا بخاطره وطمناه وأخبراه أن الباشا سيعوض عليه ما ذهب منه وزيادة وزرعا له فوق السطوح ، فلم يسعه إلاَّ التسليم .

وفيه [5] ، سقط سقف القصر الذى أنشأه الباشا بشبرا ، وشرعوا فى تعميره ثانيا .

وفيه [6] ، وصل الخبر بحضور زوجة الباشا أم أولاده وابنه الصغير ، واسمه اسماعيل ، وابن بونابارته الخازندار ، وكثير من أقاربهم وأهاليهم ، حضر الجميع

---

(١) آخر ربيع الأول ١٢٢٤ هـ/ ١٥ مايو ١٨٠٩ م .

(٢) ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ١٦ مايو - ١٣ يونيه ١٨٠٩ م .

(٣) ٦ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٢١ مايو ١٨٠٩ م .

(٤) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٢٣ مايو ١٨٠٩ م .

(٥) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٢٣ مايو ١٨٠٩ م .

(٦) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٢٣ مايو ١٨٠٩ م .

من بلدهم قولة إلى سكندرية ، فإنهم لما طابت لهم مصر واستوطنوها وسكنوها وتنعموا فيها ، أرسلوا إلى أهاليهم وأولادهم وأقاربهم بالحضور ، فكانوا فى كل وقت يأتون أفواجا أفواجا ، نساء ورجالا وأطفالا ، فلما وصل خبر وصولهم إلى سكندرية سافر لملاقاتها ابنها إبراهيم بيك الدفتردار ، وذلك حادى عشره [1] .

وفى ثالث عشره [2] ، حضر المذكور قبل حضور الواصلين ، ولما وصلوا نزل الباشا لملاقاتهم إلى بولاق .

وفى يوم الإثنين رابع عشره [3] ، نبّهوا على جميع النساء والخوندات وكل من كانت لها اسم فى الألتزام أن يركبن بأسرهن، ويذهبن إلى ملاقاة امرأة الباشا ببولاق، وذلك صبح يوم الأربعاء [4] ، واعتذرت الست نفيسة المرادية بأنها مريضة ولاتقدر على الحركة والخروج ، فلم يقبلوا لها عذرا ، فلما كان صبح يوم الأربعاء [5] ، اجتمع السواد الأعظم من النساء بساحل الباشا ، وساروا معها إلى الأزبكية ، وضربوا لوصولها وحلولها بمصر عدة مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية ، ثم وصلت الهدايا والتقادم ، وأقبلت من كل ناحية الهدايا المختصة بالأولاد والمختصة بالنساء .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ [6]

فى ثالثه يوم السبت [7] ، نزل عمر بيك الأرنؤدى إلى المراكب من بيته من بولاق ، وسافر على طريق دمياط ليذهب إلى بلاده ، وسافر معه نحو المائة وهم الذين جمعوا الأموال ، واجتمع لعمر بيك المذكور من المال والنوال أشياء كثيرة عبأها فى صناديق كثيرة ، وأخذها معه وذلك خلاف ما أرسله إلى بلاده فى دفعات قبل تاريخه .

وفى يوم الخميس خامس عشره [8] ، سافر على بيك أيوب وسليم أغا مستحفظان إلى ناحية قبلى ، واستمر بمصر مرزوق بيك وقاسم بيك المرادى .

وفيه [9] ، طلب الباشا ألف كيس من المعلم غالى وألزمه بها ، فوزعها على المباشرين والكتبة ، وجمعها فى أقرب زمن .

(١) ١١ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٢٦ مايو ١٨٠٩ م . (٢) ١٣ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٢٨ مايو ١٨٠٩ م .
(٣) ١٤ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٢٩ مايو ١٨٠٩ م . (٤) ١٦ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٣١ مايو ١٨٠٩ م .
(٥) ١٦ ربيع الثانى ١٢٢٤ هـ/ ٣١ مايو ١٨٠٩ م .
(٦) جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ/ ١٤ يونيه - ٣ يوليه ١٨٠٩ م .
(٧) ٣ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ/ ١٦ يونيه ١٨٠٩ م .(٨) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ/ ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .
(٩) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ/ ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .

وفيه [١] ، حضر سلحدار الوزير يوسف باشا ، وعلى يده مرسوم مضمونه : طلب ما كان أحدثه حين كان بمصر على أوراق الإقطاعات والفراغات ، وتقاسيط الالتزام الذى سموه قصر اليد ، وخرج القلم ، وجعل إيراد ذلك لنفسه ، فأرسل بطلب ذلك من تاريخ سنة ١٢١٧ سبعة عشر ومائتين وألف ، إلى وقت تاريخه [٢] ، حسب قدر ذلك ، فبلغ نيفا وأربعة آلاف كيس .

وفيه [٣] ، شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين ، ودفتر آخر بفرض مال على الرزق الأحباسية المرصدة على المساجد والأسبلة والخيرات وجهات البر والصدقات ، وكذلك أطيان الأوسية المختصة أيضًا بالملتزمين ، وكتبوا بذلك مراسيم إلى القرى والبلاد ، وعينوا بها معينين وحق طرق من طرف كشاف الأقاليم ، بالكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات ، وتقدموا إلى كل متصرف فى شيء من هذه الأطيان وواضع عليها يده بأن يأتى بسنده إلى الديوان ، ويجدد سنده ، ويقوى بمرسوم جديد ، وإنْ تأخر عن الحضور فى ظرف أربعين يوما يرفع عنه ذلك ، ويمكن منه غيره ، وذكروا فى مرسوم الأمر علة وحجة لم يطرق الأسماع نظيرها، بأنه إذا مات السلطان أو عزل بطلت تواقيعه ومراسيمه ، وكذلك نوابه ، ويحتاج إلى تجديد تواقيع من نواب المتولى الجديد ونحو ذلك .

ثم ليعلم : أنَّ هذه الإرصادات والأطيان موضوعة من أيام الملك الناصر يوسف صلاح الدين الأيوبى فى القرن الخامس ، وجعلها من مصاريف بيت المال ، ليصل إلى المستحقين بعض استحقاقهم من بيت المال بسهولة ، ثم اقتدى به فى ذلك الملوك والسلاطين والأمراء إلى وقتنا هذا ، فيبنون المساجد والتكايا والربط والخوانق والأسبلة ، ويرصدون عليها أطيانا يخرجونها من زمام أوسيتهم ، فيستغل خراجها أو غلالها لتلك الجهة ، وكذلك يربطون على بعض الأشخاص من طلبة العلم والفقراء على وجه البر والصدقة ليتعيشوا بذلك ، ويستعينوا به على طلب العلم ، وإذا مات المرصد عليه ذلك ، قرر القاضى أو الناظر خلافه ممن يستحق ذلك ، وقيد اسمه فى سجل القاضى ، ودفتر الديوان السلطانى عند الأفندى المقيد بذلك ، الذى عرف بكاتب الرزق ، فيكتب له ذلك الأفندى سندا بموجب التقرير ، يقال له : « الإفراج » ، ثم يضع عليه علامته ، ثم علامة الباشا والدفتردار ، ولكل إقليم من

---

(١) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .
(٢) ١٢١٧ هـ / ٤ مايو ١٨٠٢ - ٢٢ أبريل ١٨٠٣ م - ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .
(٣) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .

الأقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص عليه طرة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الإقليم ، ليسهل الكشف والتحرير والمراجعة عند الاشتباه ، وتحرير مقادير حصص أرباب الاستحقاقات ، ولم يزل ديوان الرزق الأحباسية محفوظا مضبوطا فى جميع الدول المصرية جيلا بعد جيل ، لايتطرقه خلل إلاً ما ينزل عنه أربابه لشدة احتياجهم بالفراغ لبعض الملتزمين بقدر من الدراهم معجل ، ويقرر للمفرغ على نفسه قدرا مؤجلا دون القيمة الأصلية ، فى نظير المعجل الذى دفعه للمفرغ ، ويسمونها حينئذ داخل الزمام ، ولم تزل على ذلك بطول القرون الماضية ، وتملك الفرنساوية الديار المصرية ، فلم يتعرضوا لشيء من ذلك ، ولما حضر شريف أفندى الدفتردار بعد دخول يوسف باشا الوزير ، ووجه الطلب على الملتزمين بأن يدفعوا للدولة حلوانا جديدا على النظام والنسق الذى ابتدعوه للتحيل على تحصيل المال بأى وجه ، وزاعمين أن أرض مصر صارت دار حرب بتملك الفرنساوية ، وأنَّهم استنقذوها منهم واستولوا عليها استيلاءً جديدا ، وصارت جميع أراضيها ملكا لهم ، فمن يريد الاستيلاء على شيء من أرض وغيرها ، فليشتره من نائب السلطان بمبلغ الحلوان الذى قدروه ، واطلعوا على التقاسيط ، وفى بعضها ما رفع عنه الميرى الذى يقبض للخزينة بإذن الولاة بعد المصالحات والتعويض من المصاريف والمصارف الميرية ، كالعلائف والغلال ، والبعض تمم ذلك بمراسيم سلطانية ، كما يقولون شريفة ، بحيث يصير الالتزام مثل الرزق الأحباسية ، ويسمونه خزينة بند ، ومنهم من أبقى على التزامه شيئًا قليلا سموه مال الحماية ، فلم يسهل بهم إبطال ذلك ، بل جعل عليها الدفتردار الميرى الذى كان مقيدا عليها ، أو أقل أو أزيد بحسب واضع اليد وإكرامه إن كان ممن يكرم ، وضمه إلى مال الحماية الأصلى أو المستجد فقط ، وضيع على الناس سعيهم ، وما بذلوه من مرتباتهم وعلائفهم التى وضعوها وقيدوها فى نظير جعلها خزينة بند ، كما ذكر ، ثم تقيد لكتابة الإعلامات عبد الله أفندى رامز القبودان ، وقاضى باشا ، وسمى فى ذلك الوقت بكاتب الميرى ، وتوجه نحوه الناس لأجل كتابة الإعلامات لثبوت رزقهم الأحباسية ، وتجديد سنداتها ، فتعنت عليهم بضروب من التعنت ، كان يطلب من صاحب العرضحال إثبات استحقاقه ، فإذا ثبت له لايخلوا إمّا أن يكون ذلك بالفراغ أو المحلول، فيكلفه إحضار السندات ، وأوراق الفراغات القديمة ، فربما عدمت أو بليت لتقادم السنين أو تركها واضع اليد لاستغنائه عنها بالسند الجديد ، أو كان القديم مشتملا على غير المفروغ عنه ، فيخصم بهامشه بالمنزول عنه ، ويبقى القديم عند صاحب الأصل ، فإن أحضره إليه تعلل بشيء آخر ، واحتج بشبهة أخرى ، فإذا لم يبق له شبهة طالبه بحلوانها عن مقدارا

إيرادها ثلاث سنوات وإلا فخمس سنوات، وذلك خلاف المصاريف ، فضج الناس ، واستغاثـوا بشريف أفندى الدفتـردار ، فعزل عبدالله أفندى رامز المـذكور عن ذلك ، وقيد أحد كتابه بكتابة الإعلامات ، وقرر على كل فدان عشرة أنصاف فضة فما دونها يرسمها فى السند الجديد ، وجعلهـا مال حماية ، وأوهم الناس أنّ مال الحماية يكون زيادة فى تأكيد الأحباس وحماية له من تطرق الخلل ، فاستسهل الناس ذلك ، وشاع فى الإقليـم المصرى ، فأقبل الناس مـن البلاد القبلية والـبحرية لتجديد سـنداتهم ، فطفقوا يكـتبون السندات على نسق تـقاسيط الالتزام لا على الوضع الـقديم ، ويعلم عليها الدفتردار فـقط ، وأما الصورة القديمة فكانت تكتب فى كاغـد كبير بخط عربى مجوّد ، وعليها طرة بداخلها اسم والى مصر ، ومهورة بختمه الكبير ، وعليها علامة الدفتـردار ، وبداخلها صورة أخـرى تسمى التذكـرة مستطيلـة على صورة التقـسيط الفرمة، ممهورة أيضًا ، وعليها العلامة والختم ، وهى متضمنة ما فى الكبيرة ، وعلى ذلك كان استمرار الحال إلى هذا الأوان من قرون خلت ، ومدد مضت .

وفيه (١) ، أيضًا حرروا دفـترا لإقليم الـبحيرة بمسـاحة الطين الرى والـشراقى ، وأضافـوا إليه طـين الأوسية والـرزق ، وكتبـوا بذلك مـناشيـر ، وأخرج المبـاشرون كشوفاتـها بأسماء الملتـزمين ، فضج الناس ، واجتـمعوا إلى مشايخ الأزهـر وتشكوا فوعدوهم بالتكلم فى شأن ذلك بعد التثبت .

وفيه (٢) ، قبض أغاة التبديل على شخص من أهل العلم من أقارب السيد حسن البقلى وحبسه ، فأرسل المشايخ يترجون فى إطلاقه ، فلم يفعل وأرسله إلى القلعة .

وفيه (٣) ، سعى محمد أفندى طبل ناظر المهمـات لصديقه السيد سلامة النجارى عنـد الباشا فـى إنعام ووظيـفة ، وسبب ذلـك أن المذكور أرسل جـملة طاقـات من الأقمشة الهندية الـغريبة المقصبة وغيرها ، وحصانا من أعـظم خيول المصريين ، كان اشتراه منـهم هدية إلى محمـد أفندى المذكور ، فاقـتضت مروءته أنه أخذهـا وقدمها للباشا ، وقال له : « إنّ السيد سلامة أحضر هذه الهدية لأفندينا شكرا لإنعامه السابق عليه » ، فقبلها الـباشا ، وأنعم عليه بعشرة أكياس ، وأمر محمـد أفندى بأن يجعله فى وظيفة معه .

---

(١) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .
(٢) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .
(٣) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .

وفيه [1] ، أيضًا شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بأنواع الأقمشة وباعة النعالات التى هى الصرم والبلغ ، وجعلوا عليها ختمية ، فلا يباع منها شيء حتى يعلم بيد الملتزم ويختم ، وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقدر بحسب تلك البضاعة ، وثمنها فزاد الضجيج واللغط فى الناس .

وفى يوم السبت سابع عشره[2] ، حضر المشايخ بالأزهر على عادتهم لقراءة الدروس ، فحضر الكثير من النساء والعامة وأهل المسجون ، وهم يصرخون ويستغيثون ، وأبطلوا الدروس ، واجتمع المشايخ بالقبلة ، وأرسلوا إلى السيد عمر النقيب ، فحضر إليهم وجلس معهم ، ثم قاموا وذهبوا إلى بيوتهم ، ثم اجتمعوا فى ثانى يوم [3] ، وكتبوا عرضحالا إلى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع ، وختم الأمتعة ، وطلب مال الأوسية والرزق والمقاسمة فى الفائظ، وكذلك أخذ قريب البقلى وحبسه بلا ذنب ، وذلك بعد أنْ جلسوا مجلسا خاصا وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد ، وترك المنافرة وعند ذلك حضر ديوان أفندى ، وقال : « الباشا يسلم عليكم ويسأل عن مطلوباتكم » ، فعرفوه بما سطروه إجمالا وبينوه له تفصيلا ، فقال : « ينبغى ذهابكم إليه ، وتخاطبوه مشافهة بما تريدون ، وهو لايخالف أوامركم ولايرد شفاعتكم ، وإنما القصد أنْ تلاطفوه فى الخطاب ، لأنه شاب مغرور جاهل وظالم غشوم ، ولاتقبل نفسه التحكم ، وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم ، وعدم إنفاذ الغرض » ، فقالوا بلسان واحد ، « لانذهب إليه أبدا ما دام يفعل هذه الفعال ، فإن رجع عنها وامتنع عن إحداث البدع والمظالم عن خلق الله رجعنا إليه ، وترددنا عليه كما كنا فى السابق ، فإننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور » ، فقال لهم ديوان أفندى : « وأنا قصدى أن تخاطبوه مشافهة ، ويحصل إنفاذ الغرض » ، فقالوا : « لانجتمع عليه أبدا ولا نثير فتنة ، بل نلزم بيوتنا ونقتصر على حالنا ، ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا » ، وأخذ ديوان أفندى العرضحال وأوعدهم برد الجواب ، ثم بعد رجوعه أطلقوا قريب السيد حسن البقلى الذى كان محبوسا ولم يعلم ذلك ، ثم انتظروا عودة ديوان أفندى فأبطأ عليهم ، وتأخر عوده إلى خامس يوم بعد الجمعية [4] ، فاجتمع الشيخ المهدى ، والشيخ الدواخلى ، عند محمد أفندى طبل ناظر المهمات ، وثلاثتهم فى نفسهم للسيد عمر ما فيها ، وتناجوا

---

(1) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٢٨ يونيه ١٨٠٩ م .

(2) ١٧ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠٩ م .

(3) ١٨ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ١ يوليه ١٨٠٩ م .

(4) ٢٢ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٥ يوليه ١٨٠٩ م .

مع بعضهم ، ثم انتقلوا فى عصريتها ، وتفرقوا ، وحضر المهدى ، والدواخلى إلى السيد عمر ، وأخبراه أنَّ محمد أفندى ذكر لهم أنَّ الباشا لم يطلب مال الأوسية ولا الرزق ، وقد كذب من نقل ذلك ، وقال إنه يقول : « إنّى لا أخالف أوامر المشايخ ، وعند اجتماعهم عليه ، ومواجهته يحصل كل المراد » ، فقال السيد عمر : « أما إنكاره طلب مال الرزق والأوسية فها هى أوراق من أوراق المباشرين عندى لبعض الملتزمين مشتملة على الفرضة ، ونصف الفائظ ، ومال الأوسية والرزق ، وأما الذهاب إليه فلا أذهب إليه أبدا ، وإن كنتم تنقضون الأيمان والعهد الذى وقع بيننا فالرأى لكم » ، ثم انفض المجلس وأخذ الباشا يدبر فى تفريق جمعهم ، وخذلان السيد عمر ، لما فى نفسه منه من عدم إنفاذ أغراضه ومعارضته له فى غالب الأمور ، ويخشى صولته ، ويعلم أنَّ الرعية والعامة تحت أمره إن شاء جمعهم ، وإن شاء فرقهم ، وهو الذى قام بنصره وساعده وأعانه ، وجمع الخاصة والعامة حتى ملكه الإقليم ، ويرى أنَّه إن شاء فعل بنقيض ذلك ، فطفق يجمع إليه بعض أفراد من أصحابه المظاهر ويختلى معه ، ويضحك إليه ، فيغتر بذلك ، ويرى أنه صار من المقربين ، وسيكون له شأن إن وافق ونصح ، فيفرغ له جراب حقده ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة ، ثم فى ليلتها حضر ديوان أفندى وعبدالله بكتاش الترجمان ، وحضر المهدى ، والدواخلى الجميع عند السيد عمر ، وطال بينهم الكلام والمعالجة فى طلوعهم ومقابلتهم الباشا ، ورقرق لذلك كل من المهدى والدواخلى ، والسيد عمر مصمم على الامتناع ، ثم قالوا : « لابد من كون الشيخ الأمير معنا ، ولانذهب بدونه » ، فاعتذر الشيخ الأمير بأنه متوعك ، ثم قام المهدى والدواخلى وخرجا صحبة ديوان أفندى والترجمان ، وطلعوا إلى القلعة وتقابلوا مع الباشا ودار بينهم الكلام ، وقال فى كلامه : « أنا لا أرد شفاعتكم ولا أقطع رجاءكم ، والواجب عليكم إذا رأيتم منى انحرافا أن تنصحونى وترشدونى » ، ثم أخذ يلوم على السيد عمر فى تخلفه وتعنته ويثنى على البواقى ، وفى كل وقت يعاندنى ويبطل أحكامى ، ويخوفنى بقيام الجمهور ، فقال الشيخ المهدى : « هو ليس إلا بنا وإذا خلا عنا فلا يسوّى بشىء إن هو إلا صاحب حرفة أو جابى ، وقف يجمع الإيراد ويصرفه على المستحقين » ، فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ، ووافق ذلك ما فى نفوسهم من الحقد للسيد عمر ، والشيخ الدواخلى حضوره نيابة عن الشيخ الشرقاوى وعن نفسه ، ثم تناجوا معه حصة ، وقاموا منصرفين مذبذبين ومظهرين خلاف ما هو كامن فى نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس غير مفكرين فى العواقب ، وحضروا عند السيد عمر ، وهو ممتلئ بالغيظ مما حصل من الشذوذ ونقض العهد ، فأخبروه

بأنَّ الباشا لم يحصل منه خلاف ، وقال : « أنا لا أرد شفاعتكم ولكن نفسى لا تقبل التحكم ، والواجب عليكم إذا رأيتمونى فعلت شيئًا مخالفا أن تنصحونى وتشفعوا فأنا لا أردكم ، ولا أمتنع من قبول نصحكم ، وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالأزهر فهذا لايناسب منكم ، وكأنكم تخوفونى بهذا الاجتماع وتهييج الشرور ، وقيام الرعية كما كنتم تفعلون فى زمان المماليك ، فأنا لا أفزع من ذلك ، وإن حصل من الرعية أمر ما فليس لهم عندى إلا السيف والانتقام » ، فقلنا له : « هذا لايكون ونحن لانحب ثوران الفتن ، وإنما اجتماعنا لأجل قراءة البخارى ، وندعو الله برفع الكرب » ، ثم قال : « أريد أن تخبرونى عمن انتبذ لهذا الأمر ومن ابتدأ بالخلف » ، فغالطناه وأنه وعدنا بإبطال الدمغة ، وتضعيف الفائظ إلى الربع بعد النصف ، وأنكر الطلب بالأوسية والرزق من إقليم البحيرة ، ثم قاموا منصرفين ، وانفتح بينهم باب النفاق ، واستمر القال والقيل ، وكل حريص على حظ نفسه وزيادة شهرته وسمعته ، ومظهر خلاف ما فى ضميره .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الجمعة سنة ١٢٢٤ [١]

فيه [٢] ، حضر ديوان أفندى وعبدالله بكتاش الترجمان ، واجتمع المشايخ ببيت السيد عمر ، وتكلموا فى شأن الطلوع إلى الباشا ومقابلته ، فحلف السيد عمر أنه لايطلع إليه ولايجتمع به ، ولايرى له وجها إلا إذا أبطل هذه الأحدوثات ، وقال : « إنَّ جميع الناس يتهمونى معه ، ويزعمون أنه لايتجارأ على شىء يفعله إلاَّ باتفاقى معه ، ويكفى ما مضى ، ومهما تقادم يتزايد فى الظلم والجور » ، وتكلم كلاما كثيرا ، فلما لم يجبهم إلى الذهاب ، قالوا : « إذا يطلع المشايخ » ، وأرسلوا إلى الشيخ الأمير فاعتذر بأنه متوعك الجسم ولايقدر على الحركة ولا الركوب ، ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوى ، والمهدى ، والدواخلى ، والفيومى ، وذلك على خلاف غرض السيد عمر ، وقد ظنّ أنهم يمتنعون لامتناعه للعهد السابق والأيمان ، فلما طلعوا إلى الباشا وتكلموا معه ، وقد فهم كل منهم لغة الآخر الباطنية ، ثم ذاكروه فى أمر المحدثات فأخبرهم أنه يرفع بدعة الدمغة ، وكذلك يرفع الطلب عن الأطيان الأوسية ، وتقرير ربع الفائظ ، وقاموا على ذلك ، ونزلوا إلى بيت السيد عمر وأخبروه بما حصل ، فقال : « وأعجبكم ذلك » ، قالوا : « قال[٣]

(١) جمادى الثانية ١٢٢٤ هـ / ١٤ يوليه - ١١ اغسطس ١٨٠٩ م .

(٢) ١ جمادى الثانية ١٢٢٤ هـ / ١٤ يوليه ١٨٠٩ م .

(٣) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٩٧ ، طبعة بولاق « قوله قالوا « قال » هكذا فى جميع النسخ التى معنا ، ولعله ، قالوا « لا » أو « نعم » أو نحو ذلك أ هـ » .

إنه أرسل يخبرنى بتقرير ربع المال الفائظ ، لم أرض وأبيت إلا رفع ذلك بالكلية ، فإنه فى العام السابق لما طلب إحداث الربع ، قلت له هذه تصير سنة متبعة ، فحلف أنَّها لاتكون بعد هذا العام ، وذلك لضرورة النفقة ، وإن طلبها فى المستقبل يكون ملعونا ومطرودا من رحمة الله ، وعاهدنى على ذلك ، وهذا فى علمكم كما لايخفاكم » ، قالوا : « نعم » ، وأما قوله : « إنه رفع الطلب عن الأوسية والرزق فلا أصل لذلك ، وها هى أوراق البحيرة وجهوا بها الطلب » ، فقالوا : « إننا ذكرنا له ذلك فأنكر وكابرناه بأوراق الطلب » ، فقال : « إنَّ السبب فى طلب ذلك من إقليم البحيرة خاصة ، فإن الكشافين لما نزلوا للكشف على أراضى الرى والشراقى ليقرروا عليها فرضة الأطيان حصل منهم الخيانة والتدليس ، فإذا كان فى أرض البلدة خمسمائة فدان رى ، قالوا عليها مائة ، وسموا الباقى رزقا وأوسية ، فقررت ذلك عقوبة لهم فى نظير تدليسهم وخيانتهم » ، فقال السيد عمر : « وهل ذلك أمر واجب فعله ، أليس هو مجرد جور وظلم أحدثه فى العام الماضى ، وهى فرضة الأطيان التى ادعى لزومها لإتمام العلوفة، وحلف أنه لايعود لمثلها ، وأنتم توافقونه وتسايرونه ولاتصدونه ولاتصدعونه بكلمة ، وأنا الذى صرت وحدى مخالفا وشاذا ، ووجه عليهم اللوم فى نقضهم العهد والإيمان » ، وانفض المجلس وتفرقت الآراء وراج سوق النفاق ، وتحركت حفائظ الحقد والحسد ، وكثر سعيهم وتناجيهم بالليل والنهار ، والباشا يراسل السيد عمر ويطلبه للحضور إليه والاجتماع به ، ويعده بإنجاز ما يشير عليه به ، وأرسل إليه كتخداه ليترفق به ، وذكر له أن الباشا يرتب له كيسا فى كل يوم ، ويعطيه فى هذا الحين ثلثمائة كيس خلاف ذلك فلم يقبل ، ولم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ، ويتجسس ويتفحص عن أحواله ، وعلى ما يتردد عليه من كبار العسكر ، وربما أغرى به بعض الكبار فراسلوه سرا ، وأظهروا له كراهيتهم للباشا ، وأنه إن انتبذ لمقاقمته ساعدوه ، وقاموا بنصرته عليه ، فلم يخف على السيد عمر مكرم ، ولم يزل مصمما وممتنعا عن الاجتماع به والامتثال إليه ، ويسخط عليه والمتردد ، وأيضًا ينقلون ، ويحرفون بحسب الأغراض والأهواء ، واتفق فى أثناء ذلك أنَّ الباشا أمر بكتابة عرضحال ، بسبب المطلوب لوزير الدولة ، وهى الأربعة آلاف كيس ، ويذكر فيه : أنَّها صرفت فى المهمات ، منها ما صرف فى سد ترعة الفرعونية ، ومبلغه ثمانمائة كيس ، وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الأمراء المصرية حتى دخلوا فى الطاعة ، كذلك مبلغا عظيما ، وما صرف فى عمارة القلعة والمجراة التى تنقل المياه إليها مبلغا أيضًا ، وكذلك في حفر الخلجان والترع ، ونقص المال الميرى ، بسبب شراقى البلاد ونحو ذلك ، وأرسله إلى السيد عمر ليضع خطه وختمه عليه ،

فامتنع ، وقال : « أما ما صرفه على سد الترعة ، فإن الذى جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه أضعافا كثيرة ، وأما غير ذلك فكله كذب لا أصل له ، وإن وجد من يحاسبه على ما أخذه من القطر المصرى من الفرض والمظالم لما وسعته الدفاتر » ، فلما ردوا عليه ، وأخبروه بذلك الكلام ، حنق واغتاظ فى نفسه ، وطلبه للاجتماع به ، فامتنع ، فلما أكثر من التراسل ، قال : « إن كان ولابدّ فأجتمع معه فى بيت السادات ، وأما طلوعى إليه فلا يكون » ، فلما قيل له فى ذلك ازداد حنقه ، وقال : « إنَّه بلغ به أن يزدرينى ويرذلنى ويأمرنى بالنزول من محل حكمى إلى بيوت الناس » .

ولما أصبح يوم الأربعاء سابع عشرينه [1] ، ركب الباشا ، وحضر إلى بيت ولده إبراهيم بيك الدفتردار ، وطلب القاضى والمشايخ المذكورين ، وأرسل إلى السيد عمر رسولا من طرفه ، ورسولاً من طرف القاضى ، يطلبه للحضور ليتحاقق ويتشارع معه فرجعا ، وأخبرا بأنه شرب دواء ، ولايمكنه الحضور فى هذا اليوم ، وكان قد أحضر شيخ السادات الوفائية ، والشيخ الشرقاوى ، فعند ذلك أحضر الباشا خلعة وألبسها لشيخ السادات على نقابة الأشراف ، وأمر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر يوم تاريخه ، فتشفع المشايخ فى إمهاله ثلاثة أيام حتى يقضى أشغاله ، فأجاب إلى ذلك ، ثم سألوه فى أن يذهب إلى بلده أسيوط ، فقال : « لايذهب إلى أسيوط ويذهب إما إلى سكندرية أو دمياط » .

فلما ورد الخبر على السيد عمر بذلك ، قال : « أما منصب النقابة فإنى راغب عنه وزاهد فيه ، وليس فيه إلاَّ التعب ، وأما النفى فهو غاية مطلوبى ، وأرتاح من هذه الورطة ، ولكن أريد أن يكون فى بلدة لم تكن تحت حكمه ، إذا لم يأذن لى فى الذهاب إلى أسيوط ، فليأذن لى فى الذهاب إلى الطور أو إلى ورنه » ، فعرفوا الباشا فلم يرض إلاَّ بذهابه إلى دمياط ، ثم إن السيد عمر أمر باشجاويش أن يأخذ الجاويشية ويذهب بهم إلى بيت السادات ، وأخذ فى أسباب السفر .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه [2] ، الموافق لخامس مسرى القبطى ، أو فى النيل المبارك ، ونودى بالوفاء تلك الليلة ، وخرج الناس لأجل الفرجة والضيافات فى الدور المطلة على الخليج ، فلما كان آخر النهار برزت الأوامر بتأخير الموسم لليلة

---

(١) ٢٧ جمادى الثانية ١٢٢٤ هـ / ٦ أغسطس ١٨٠٩ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٩٨ ، طبعة بولاق « ذكر نفى السيد عمر النقيب إلى دمياط » .

(٢) ٢٨ جمادى الثانية ١٢٢٤ هـ / ١٠ أغسطس ١٨٠٩ م .

السبت بالروضة ، فبرد طعام أهل الولائم والضيافات وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم ، وحصلت الجمعية ليلة السبت بالروضة ، وعند قنطرة السد ، وعملوا الحراقات والشنك ، وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضى وكسر السد بحضرتهم ، وجرى الماء فى الخليج ، وانفض الجمع .

وفى ذلك اليوم [1] ، اعتنى السيد محمد المحروقى بأمر السيد عمر ، وذهب إلى الباشا وكلمه ، وأخبره بأنه أقامه وكيلا على أولاده وبيته وتعلقاته فأجازه بذلك ، وقال : « هو آمن من كل شىء ، وأنا لم أزل أراعى خاطره ولا أفوته » ، ثم أرسل السيد المحروقى فأحضر ابن ابنة السيد عمر ، فقابل به الباشا وطمن خاطره ، ولكن قال : « لابد من سفره إلى دمياط » ، وعندما طلب السيد المحروقى الغلام إلى الباشا أشيع فى الناس وقوع الرضا ، وتناقل الناس ذلك ، وفرح أهل منزله وزغرطوا وسروا واستمروا على ذلك حتى رجع الغلام ، وتبين أنَّه لا شىء ، فانقلب الفرح بالترح ، وتعين بالسفر صحبة السيد عمر كتخدا الألفى إلى دمياط .

واستهل شهر رجب بيوم الأحد سنة ١٢٢٤ [2]

فيه [3] ، اجتمع المودَّعون للسيد عمر ، ثم حضر محمد كتخدا المذكور ، فعند وصوله قام السيد عمر وركب فى الحال ، وخرج صحبته وشيعه الكثير من المتعممين وغيرهم ، وهم يتباكون حوله حزنا على فراقه ، وكذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر ، لأنه كان ركنا وملجأ ومقصدا للناس ولتعصبه على نصرة الحق ، فسار إلى بولاق ، ونزل فى المركب وسافر من ليلته بأتباعه وخدمه الذين يحتاج إليهم إلى دمياط .

وفى صبح ذلك اليوم [4] ، حضر الشيخ المهدى عند الباشا ، وطلب وظائف السيد عمر ، فأنعم عليه الباشا بنظر أوقاف الإمام الشافعى ، ونظر وقف سنان باشا ببولاق ، وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات ، فأمر بدفعها له من خزينته ، نقداً ، وقدرها خمسة وعشرين كيسا ، وذلك فى نظير اجتهاده فى خيانة السيد عمر حتى أوقعوا به ما ذكر .

وفيه [5] ، تقيد الخواجا محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى

---

(١) ٢٨ جمادى الثانية ١٢٢٤ هـ / ١٠ اغسطس ١٨٠٩ م .
(٢) رجب ١٢٢٤ هـ / ١٢ اغسطس - ١٠ سبتمبر ١٨٠٩م .
(٣) ١ رجب ١٢٢٤ هـ / ١٢ اغسطس ١٨٠٩ م .
(٤) ١ رجب ١٢٢٤ هـ / ١٢ اغسطس ١٨٠٩ م .
(٥) ١ رجب ١٢٢٤ هـ / ١٢ اغسطس ١٨٠٩ م .

يعرف بالآثار النبوية ، فعمرها على وضعها القديم ، وقد كان آل إلى الخراب .

وفى يوم الثلاثاء [1] خلع الباشا على ثلاثة من الأجناد المصرية المنسوبين لسليمان بيك البواب ، وقلدهم صناجق وأمراء الوقت ، وضم إليهم عساكر أتراك وأرنؤد ليسافر الجميع إلى الجهة القبلية ، بسبب عصيان الأمراء المرادية ، وتوقفهم عن دفع المال والغلال ، وكذلك عين للسفر أيضًا أحمد أغا لاظ وصالح قوج ، وبونابارته ، وحسن باشا ، وعابدين بيك ، فارتجت البلد وطلبوا المراكب ، فتعطل المسافرون إلى الجهة القبلية والبحرية ، وكذلك امتنع مجئ الواصلين بالغلال والبضائع خوفا من التسخير ، وقد كان حصل بعض الاطمئنان وسلوك الطريق القبلية ، ووصول المراكب بالغلال والمجلوبات .

وفى عاشره [2] ، سافر أحمد أغا لاظ ، وصالح قوج ، خرجوا بعساكرهم ونزلوا فى المراكب وذهبوا إلى قبلى .

وفيه [3] ، حضر محمد كتخدا الألفى من دمياط راجعا من تشييع السيد عمر ووصوله إلى دمياط واستقراره بها .

وفى يوم الخميس تاسع عشره [4] ، سافر من كان متأخرا إلى الجهة القبلية ولم يبق منهم أحد .

وفى ثالث عشرينه [5] ، نادى منادى المعمار على أرباب الأشغال فى العمائر من البنائين والحجارين والفعلة بأن لايشتغلوا فى عمارة أحد من الناس كائناً من كان ، وأنْ يجتمع الجميع فى عمارة الباشا بناحية الجبل .

وفى تاسع عشرينه [6] ، وردت أخبار عن التجريدة أزعجت الباشا فاهتم اهتماما عظيما ، وقصد الذهاب بنفسه ، ونبه على جميع كبراء العساكر بالخروج ، وأنْ لايتخلف منهم أحد حتى أولاده إبراهيم بيك الدفتردار ، وطوسون بيك ، وأنَّه هو المتقدم عنهم فى الخروج فى يوم الخميس [7] ، واستعجل التشهيل والطلب وأمر بتحرير دفتر فرضة ترويجة ، على : إقليم المنوفية ، والغربية ، والشرقية ، والقليوبية ، وذكروا أنَّها من أصل حساب الشهرية المبتدعة .

وفيه [8] ، تقلد حسن أغا الشماشرجى كشوفية المنوفية، وأرخى لحيته على ذلك.

---

(١) ٣ رجب ١٢٢٤ هـ / ١٤ اغسطس ١٨٠٩ م .
(٢) ١٠ رجب ١٢٢٤ هـ / ٢١ اغسطس ١٨٠٩ م .
(٣) ١٠ رجب ١٢٢٤ هـ / ٢١ اغسطس ١٨٠٩ م .
(٤) ١٩ رجب ١٢٢٤ هـ / ٣٠ اغسطس ١٨٠٩ م .
(٥) ٢٣ رجب ١٢٢٤ هـ / ٣ سبتمبر ١٨٠٩ م .
(٦) ٢٩ رجب ١٢٢٤ هـ / ٩ سبتمبر ١٨٠٩ م .
(٧) ٢٦ رجب ١٢٢٤ هـ / ٦ سبتمبر ١٨٠٩ م .
(٨) ٢٩ رجب ١٢٢٤ هـ / ٩ سبتمبر ١٨٠٩ م .

واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٤ (١)

فيه (٢) ، نمق مشايخ الوقت عرضحال فى حق السيد عمر بأمر الباشا ليرسله صحبة السلحدار ، وذكروا فيه سبب عزله ونفيه عن مصر ، وعدّوا له مثالب ومعايب وجنحا وذنوبا ، منها : أنَّه أدخل فى دفتر الأشراف أسماء أشخاص ممن أسلم من القبط واليهود ، ومنها أنه أخذ من الألفى فى السابق مبلغا من المال ليملكه مصر فى أيام فتنة أحمد باشا خورشيد ، ومنها أنَّه كاتب الأمراء المصريين أيضًا فى وقت الفتنة حين كانوا بالقرب من مصر ، ليحضروا على حين غفلة فى يوم قطع الخليج ، وحصل لهم ما حصل ، ونصر الله عليهم حضرة الباشا ، ومنها أنَّه أراد إيقاع الفتن فى العساكر لينقض دولة الباشا ويولى خلافه ، ويجمع عليه طوائف المغاربة والصعائدة وأخلاط العوام وغير ذلك ، وذلك على حد من أعان ظالما سلط عليه ، وكتبوا عليه أسماء المشايخ وذهبوا به إليهم ليضعوا ختومهم عليه ، فامتنع البعض من ذلك ، وقال : « هذا كلام لا أصل له » ، ووقع بينهم محاججات ولام الأعاظم الممتنعين على الامتناع، وقالوا لهم : « أنتم لستم بأورع منا » ، وأثبت لنفسه ورعا ، وحصل بينهم منافسات ومخالفات ومقابحات ، ثم غيروا صورة العرضحال بأقل من التحامل الأوّل ، وكتب عليه بعض الممتنعين ، وكان من الممتنعين أولا وآخرا السيد أحمد الطحطاوى الحنفى ، فزادوا فى التحامل عليه ، وخصوصا شيخ السادات ، والشيخ الأمير وخلافهما ، واتفق أنَّه دعى فى وليمة عند الشيخ الشنوانى بحارة حوش قدم (٣) ، وتأخر حضوره عنهم فصادفهم حال دخوله إلى المجلس وهم خارجون فسلم عليهم ، ولم يصافحهم لما سبق منهم فى حقه من الإيذاء ، فتطاول عليه ابن الشيخ الأمير ورفع صوته بتوبيخه ، وشتمه لكونه لم يقبل يد والده ، ويقول له فى جملة كلامه : « أليس هو إلاَّ قليل الأدب والحياء ثالث طبقة للشيخ الوالد » ، ونحو ذلك .

وفى ثالثه (٤) ، سافر الباشا إلى الجهة القبلية وتبعه العساكر .

وفى منتصفه (٥) ، خرجت الدلاة والأرنؤد وباقى الأجناد والعسكر ، وأقام الباشا وكتخدا بيك قائم مقامه وأقام بالقلعة .

---

(١) شعبان ١٢٢٤ هـ / ١١ سبتمبر - ٩ أكتوبر ١٨٠٩ م . (٢) ١ شعبان ١٢٢٤ هـ / ١١ سبتمبر ١٨٠٩ م .

(٣) حوش قدم : تعرف بحارة « خوشقدم » ، بشارع الغقادين ، وبهذه الحارة زقاق مشهور بحبس الديلم. مبارك ، على : جـ ٢ ، ص ١١٩ .

(٤) ٣ شعبان ١٢٢٤ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٠٩ م . (٥) ١٥ شعبان ١٢٢٤ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨٠٩ م .

وفيه [1] ، اتفق الأشياخ والمتصدرون على عزل السيد أحمد الطحطاوى من إفتاء الحنفية ، وأحضروا الشيخ حسين المنصورى وركبوا صحبته ، وطلعوا به إلى القلعة بعد أن مهدوا القضية ، فألبس قائمقام الشيخ حسين فروة ، ثم نزلوا ، ثم طاف للسلام عليهم وخلعوا هم عليه أيضًا خلعهم ، فلما بلغ الخبر السيد أحمد الطحطاوى طوى الخلع التى كانوا ألبسوها له عندما تقلد الإفتاء بعد موت الشيخ إبراهيم الحريرى فى جماد الأولى [2] ، بقرب عهد وأرسلها لهم ، وكان الشيخ السادات ألبسه حين ذاك فروة ، فلما ردها عليه ، احتد واغتاظ وأخذ يسبه ، ويذكر لجلسائه جرمه ، ويقول : « انظروا إلى هذا الخبيث ، كأنه يجعلنى مثل الكلب الذى يعود فى قيئه ونحو ذلك » .

وأما السيد أحمد [3] ، فإنه اعتكف فى داره لايخرج منها إلاً إلى الشيخونية بجواره ، واعتزلهم وترك الخلطة بهم والتباعد عنهم ، وهم يبالغون فى ذمه والحط عليه ، لكونه لم يوافقهم فى شهادة الزور ، والحامل لهم على ذلك كله الحظوظ النفسانية ، والحسد ، مع أن السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم وعلى أهل البلدة ، ويدافع ويزافع عنهم وعن غيرهم ، ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ، ولم يزالوا بعده فى انحطاط وانخفاض .

وأما السيد عمر ، فإن الذى وقع له بعض ما يستحقه ، ومن أعان ظالما سلط عليه ، ولايظلم ربك أحدا .

وفى ثالث عشره [4] ، سافر حسن باشا وعساكر الأرنؤد وتتابعوا فى الخروج ، وتحدث الناس بروايات عن الباشا والأمراء المصريين وصلحه معهم ، وأنَّ عثمان بيك حسن ، ومحمد بيك المنفوخ ، ومحمد بيك الإبراهيمى وصلوا عند الباشا ، وقابلوه، وأنه أرسل إلى إبراهيم بيك الكبير ولده طوسون باشا فتلقاه وأكرمه ، وأرسل هو أيضًا ولده الصغير إلى الباشا فأكرمه ، ووصل إلى مصر بعض نساء حريمه وحريم الأمراء .

---

(١) ١٥ شعبان ١٢٢٤ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨٠٩ م .

(٢) جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ١٤ يونيه - ١٣ يوليه ١٨٠٩ م .

(٣) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ١٠٠ ، طبعة بولاق « ذكر عزل السيد أحمد الطحطاوى من الإفتاء وتولية الشيخ المنصورى » .

(٤) ١٣ شعبان ١٢٢٤ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨٠٩ م .

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٤ [١]

وفى أواخره [٢] ، وصل طائفة من الدلاتلية من ناحية الشام ، ودخلوا إلى مصر ، وهم فى حالة رثة ، كما حضر غيرهم وصحبتهم من المخنثين المعروفين بالخولات الذين يتكلمون بالكلام المؤنث ومعهم دفوف وطنابير .

وفى أواخره [٣] ، حرروا دفتر الأطيان على ضريبة واحدة عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ، ولم يحصل فى ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة فى شيء كما وقع فى العام الماضى ، والذى قبله فى المراجعة بحسب الرى والشراقى ، وأما فى هذه السنة فليس فيها شراقى ، فحسابها بالمساحة الكاملة لعموم الرى ، فإن النيل فى هذه السنة زاد زيادة مفرطة وعلا على الأعالى ، وتلف بزيادته المفرطة الدراوى والأقصاب بقبلى ، وكذلك غرق مزارع الأرز والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقى ، بسبب انسداد ترعة الفرعونية بتلك الناحية .

ولما تمموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب ، والباشا بقبلى ، وأرسل بطلبها ليطلع عليها ، فسافر إليه بها المعلم غالى ، وأخذ صحبته أحمد أفندى اليتيم من طرف الروزنامة ، وعبد الله بكتاش الترجمان ، فذهبوا إليه بأسيوط وأطلعوه عليها ، فختم عليها ، وانقضى شهر رمضان [٤] .

واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٤ [٥]

فى ثالث عشره [٦] ، حضر المعلم غالى وأحمد أفندى وبكتاش وغيرهم من غيبتهم ، وحضر أيضًا فى أثرهم المعلم جرجس الجوهرى ، وقد تقدم أنَّه خرج من مصر هاربا إلى الجهة القبلية ، واختفى مدة ، ثم حضر بأمان إلى الباشا وقابله وأكرمه ، ولما حضر نزل فى بيته الذى بحارة الونديك ، وفرشه له المعلم غالى وقام له بجميع لوازمه، وذهب الناس مسلمهم ونصرانيهم وعالمهم وجاهلهم للسلام عليه .

وفى يوم الثلاثاء عشرينه [٧] ، وصل الباشا على حين غفلة إلى مصر فى تطريدة ، وقد وصل من أسيوط إلى ناحية مصر القديمة فى ثلاثين ساعة ، وصحبته ابنه طوسون ، وبونابارته الخازندار ، وسليمان أغا الوكيل سابقا لا غير ، فركبوا

(١) رمضان ١٢٢٤ هـ / ١٠ أكتوبر - ٨ نوفمبر ١٨٠٩ م . (٢) آخر رمضان ١٢٢٤ هـ / ٨ نوفمبر ١٨٠٩ م .
(٣) آخر رمضان ١٢٢٤ هـ / ٨ نوفمبر ١٨٠٩ م . (٤) رمضان ١٢٢٤ هـ / ١٠ أكتوبر - ٨ نوفمبر ١٨٠٩ م .
(٥) شوال ١٢٢٤ هـ / ٩ نوفمبر ٧ ديسمبر ١٨٠٩ م . (٦) ١٣ شوال ١٢٢٤ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨٠٩ م .
(٧) ٢٠ شوال ١٢٢٤ هـ / ٢٨ نوفمبر ١٨٠٩ م .

حميرا متنكرين حتى وصلوا إلى القلعة من ناحية الجبل ، وطلع من باب الجبل ، وعند طلوعه من السفينة أمر ملاحيها أنّ لايذكروا لأحد وصوله حتى يسمعوا ضرب المدافع من القلعة ، ثم طلع إلى سرايته ودخل إلى الحريم فلم يشعروا به إلا وهو بالحريم ، وعند ذلك أمر بضرب المدافع ، وأشيع حضوره ، فركب كتخدا بيك وغيره مسرعين لملاقاته ، ثم بلغهم طلوعه إلى القلعة فرجعوا على أثره ، وكان الخواجا محمود حسن البزرجان خرج لملاقاته قبل وصوله بثلاثة أيام إلى ناحية الآثار ، وأخرج معه مطابخ وأغناما واستعد لقدومه استعدادا ، وذهب تعبه في الفارغ البطال ، ثم بعد وصول الباشا بثلاثة أيام ، وصلت طوائف العسكر وعظائمهم ، ومعهم المنهوبات من الغلال والأغنام والفحم والحطب والقلل وأنواع التمر وغير ذلك ، حتى أخشاب الدور وأبوابها .

وفي يوم الإثنين (1) ، وصل حسن باشا ، وطوائف الأرنؤد ، وصالح قوج ، والدلاة والترك ، ووصل أيضًا شاهين بيك الألفي وصحبته محمد بيك المنفوخ المرادي ، ومحمد بيك الإبراهيمي ، وهم الذين حضروا في هذه المرة من المخالفين ، وقيل إنّ البواقي أخذوا مهلة لبعد التخضير ، وأما إبراهيم بيك تابع الأشقر ، ومحمد أغا تابع مراد بيك الصغير ، وصحبتهم عساكر ، فذهبا إلى ناحية السويس ، بسبب وصول طائفة من العربان ، قالوا : « إنها من التابعة للوهابيين » ، حضروا وأقاموا عند بئر الماء ، ومنعوا السقيا منها .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٤ (2)

فيه (3) ، حضر إبراهيم بيك ابن الباشا وباقي العسكر ، وسكنوا الدور وأزعجوا الناس وأخرجوهم من مساكنهم ومنازلهم ببولاق ومصر وغيرهما ، واتفق أنّ بعض ذوي المكر من العسكر عندما أرادا السفر إلى جهة قبلي ، أرسل لصاحب الدار التي هو غاصبها وساكن فيها فأحضره وسلمه المفتاح ، وهو يقول له : « تسلم يا أخي دارك واسكنها بارك الله لك فيها وسامحني وأبرئ ذمتي ، فربما اني أموت ولا ارجع » ، ولأن الكثير منهم تولى المناصب والإمريات بالجهة القبلية ، وعندما يتسلم صاحب الدار داره يفرح بخلاصها ، ويشرع في عمارتها وإعادة ما تهدم منها ،

---

(1) ٢٦ شوال ١٢٢٤ هـ / ٤ ديسمبر ١٨٠٩ م .

(2) ذى القعدة ١٢٢٤ هـ / ٨ ديسمبر ١٨٠٩ - ٦ يناير ١٨١٠ م .

(3) ١ذى القعدة ١٢٢٤ هـ / ٨ ديسمبر ١٨٠٩ م .

فيكلف نفسه ولو بالدين ويعمرها ، فما هو إلا أن تم العمارة والمرمة فى مدة غيبتهم ، فما يشعر إلا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجمله وخدمه ، فما يسع الشخص إلاَّ الرحلة ويتركها لغريمه ، وقد وقع ذلك لكثير من الناس المغفلين .

وفيه [١] ، وصلت أخبار بأن عمارة الفرنساوية نزلت إلى البحر وعدة مراكبهم مائتان وسبعة عشر مركبا محاربين لايعلم قصدهم أىّ جهة من الجهات ، وحضر ثلاثة أشخاص من الططر المعدين لتوصيل الأخبار وبيدهم مرسوم مضمونه : الأمر بالتحفظ على الثغور ، فعند ذلك أمر الباشا بالاستعداد وخروج العساكر إلى الثغور .

وفى يوم السبت ثامنه [٢] ، سافر جملة من العسكر إلى ناحية بحرى ، فسافر كبير منهم ومعه جملة من العسكر إلى سكندرية ، وكذلك سافر خلافه إلى رشيد ، وإلى دمياط ، وأبى قير ، والبرلس .

وفى ليلة الإثنين ثامن عشره [٣] ، ركب الباشا ليلا وخرج مسافرا إلى السويس ليكشف على قلاع القلزم ، وقام له بالاحتياجات من أحمال الماء والعليق والزوادة واللوازم السيد محمد المحروقى ، وكان خروجه ومن معه على الهجن .

وفى ليلة الأحد رابع عشرينه [٤] ، حضر الباشا من السويس ، وكان وصوله ليلا وطلع إلى القلعة .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الأحد سنة ١٢٢٤ [٥]

فيه [٦] ، شرع الباشا فى إنشاء مراكب لبحر القلزم ، فطلب الأخشاب الصالحة لذلك ، وأرسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصرى القبلى والبحرى ، وغيرها من الأخشاب المجلوبة من الروم ، وجعل بساحل بولاق ترسخانة وورشات ، وجمعوا الصناع والنجارين والنشارين فيهيؤونها ، وتحمل أخشابا على الجمال ، ويركبها الصناع بالسويس سفينة ، ثم يقلفطونها ويبيضونها ويلقونها فى البحر ، فعملوا أربع سفائن كبار إحداها يسمى الإبريق ، وخلاف ذلك داوات لحمل السفار والبضائع .

ومن الحوادث فى آخره [٧] ، أنَّ إمرأة ذهبت إلى عرصة الغلة بباب الشعرية ،

(١) ١ ذى القعدة ١٢٢٤ هـ / ٨ ديسمبر ١٨٠٩ م . (٢) ٨ ذى القعدة ١٢٢٤ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨٠٩ م .
(٣) ١٨ ذى القعدة ١٢٢٤ هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨٠٩ م . (٤) ٢٤ ذى القعدة ١٢٢٤ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨٠٩ م .
(٥) ذى الحجة ١٢٢٤ هـ / ٧ يناير – ٥ فبراير ١٨١٠ م . (٦) ١ذى الحجة ١٢٢٤ هـ / ٧ يناير ١٨١٠ .
(٧) ٥ فبراير ١٨١٠ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ١٠٣ ، طبعة بولاق « ذكر حوادث هذه السنة » .

واشترت حنطة ، ودفعت ثمنها قروشا ، فلما ذهبت نظروها ونقدوها ، فإذا هى من عمل الزغلية ، ثم عادت بعد أيام ، فاشترت الغلة ، ودفعت الثمن قروشا أيضًا ، فذهب البائع معها إلى الصيرفى فوجدها مزغولة مثل الأولى ، فعلموا أنَّها الغريمة ، فقال لها الصيرفى : « من أين لك هذا » ، فقالت : « من زوجى » ، فقبضوا عليها وأتوا بها إلى الأغا ، فسألها الأغا عن زوجها ، فقالت : « هو عطار بسوق الأزهر » ، فأخذها الأغا ، وحضر بها إلى بيت الشيخ الشرقاوى بعد العشاء ، وأحضروا زوجها وسألوه ، فقال : « أنا أخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوى » ، فانفعل الشيخ ، وقال : « إنْ يكن هو ابنى فأنا برئ منه » ، وطلبوه فتغيب واختفى وأخذ الأغا المرأة وزوجها وقررهما ، فأقر الرجل وعرف عن عدة أشخاص يفعلون ذلك ، وفيهم من مجاورى الأزهر ، فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض بالبعض ، وقبض على أشخاص ومعهم العدد والآلات ، وحبسهم أيضًا بالقلعة عند كتخدا بيك ، وفرَّ ناس من مجاورى الأزهر من مصر ، لما قام بهم من الوهم ، وفى كل يوم يشاع بالتنكيل والتجريس للمقبوض عليهم وقتلهم ، ولم يزل الأغا يتجسس حتى جمعوا ستة عشر عدة ، وأرسلوها إلى بيت محمد أفندى ناظر المهمات ، وسألوا الحدادين عمن اصطنع هذه العدد منكم فأنكروا وجحدوا ،وقالوا : « هذا من صناعة الشام » ، ثم كسروها وأبطلوها ، وطال أمر المحبوسين والتفحص عن غيرهم ، فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره أو شريكه ، فكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث ، خصوصا بنسبتها لخطة الأزهر ، فكان كل من اشترى شيئًا ودفع الثمن للبائع قروشا ، ذهب بها إلى الصيرفى لأن فى ذاك الوقت لم يكن موجودا بأيدى الناس خلافها ، وكانوا يقولون فى ذهابهم إلى الصيرفى لربما تكون أزهرية ولاحول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم ، وانقضت السنة بحوادثها التى منها ما ذكر .

ومنها ، إحداث بدعة المكس على النشوق ، وذلك أن بعض المتصدرين من نصارى الأروام أنهى إلى كتخدا بيك ، أمر النشوق ، وكثرة المستعملين له والدقاقين والباعة ، وأنه إذا جمعت دقاقوه وصناعه فى مكان واحد ، ويجعل عليهم مقادير ويلتزم به ، ويضبط رجاله ، وجمع ماله وإيصاله إلى الخزينة ، من يكون ناظرا وقيما عليه كغيره من أقلام المكوس التى يعبرون عنها بالجمارك ، فإنه يتحصل من ذلك مال له صورة ، فلما سمع كتخدا بيك ذلك أنهاه إلى مخدومه ، فأمر فى الحال بكتابة فرمان بذلك ، واختار الذى جعلوه ناظرا على ذلك خانا بخطة بين الصورين ، ونادوا

علـى جميع صـناع النشـوق ، وجمعوهـم بذلك الخـان ، ومنعوهـم من جلوسـهم بالأسواق والخطط المـتفرقة ، والقيم علـى ذلك يشترى الدخان المعـد لذلك من تجاره بثمن معلوم حدده لايزيد على ذلك ولايشتـريه سواه ، وهو يبيعه على صناع النشوق بثمن حدده ولاينقص عنه ، ومن وجده باع شيئًا من الدخان أو اشتراه أو سحق نشوقا خارجا عن ذلك الخان ، ولو لخاصة نفسه قبضوا عليه وعاقبوه وغرموه مالا ، وعينوا معينين لجميع القـرى والبلدان القبلية والبحرية ، ومعهم مـن ذلك الدخان فيأتون إلى القرية ، ويطـلبون من مشايخهـا ويعطونهم قدرا موزونـا ، ويلزمونهم بالثـمن المعين بالمرسوم الذى بـيدهم ، فيقول أهل القريـة : « نحن لانستعمل النـشوق ولانعرفه ، ولايوجـد عندنا مـن يصنعه ، وليس لنا به حاجة ولانشتـريه ، ولا نأخذه » ، فيقال لهم : « إنْ لم تأخذوه فهاتوا ثمنه » ، فإن أخذوه أو لم يأخذوه فهم ملزومون بدفع القدر المعين المرسوم ، ثم كراء طريق المعينين وكلفتهم وعليق دوابهم .

ومنها أيضًا : النطرون فرقوه وفرضوه على الـقرى محتجين أيضًا باحتياج الحياكة والقزازين إليه ، لغسل غزل الكتان وبيـاض قماشه ونحو ذلك ، وأشنع من ذلك كله أنَّهم أرادوا فعل مـثل هذا فى الشراب المسكـر المعروف بالعرقى ، وإلـزام أهل القرى بأخذه ودفع ثمنه ، إنْ أخذوه أو لم يأخذوه ، فقيل لهم فى ذلك فقالوا : « إنَّ شربه يقـوِّى أبدانهم عـلى أعمال الـزرع والزراعة ، والحرث والـكد فى القـطوة والنطـالة والشادوف » ، ثم بطل ذلك .

ومنهـا ، أنَّ الباشا شـرع فى عمل زلاقة تجـاه باب القلعـة المعروف ببـاب الجبل موصلة إلى أعلى الجبل المقطم ، فجمعوا البنائين والحجارين والفعلة للعمل ، وحرَّقوا عدة قمينات للجير بجانب العمارة ، وطواحين للجبس ، ونودى بالمدينة على البنائين والفعلة ، بأن لايشتغلوا فى عمارة أحد من الناس كائنا من كان ، ويجتمع الجميع فى عمارة الباشا بالقلعة والجبل إلى أن كمل عملـها فى السنة التالية طريقا واسعا منحدراً مـن الأعلى إلى الأسفل ، ممتدا فى المسافة ، سهلا فى الطلوع إلى الجبل أو الانحدار منه ، بحيث يجوز عليه الماشى والراكب من غير مشقة ولاتعب كثير .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر (١)

مات ، العلامـة المفيد ، والنحريـر الفريد ، الفقيه الـنبيه ، الشيخ إبـراهيم ابن الشيخ محمد الحريرى الحنفى ، مفتى مـذهب السادات الحنفية ، كوالده ، تفقه على

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ١٠٤ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة وتراجمهم » .

والده ، وحضر فى المعقولات على أشياخ الوقت : كالبيلى ، والدردير ، والصبان ، وغيرهم ، وأنجب وتمهر ، وصارت فيه ملكة جيدة ، واستحضار للفروع الفقهية ، ولما مات والده فى شهر رجب سنة عشرين ومائتين وألف [1] ، تقلد منصب والده فى الإفتاء ، وكان لها أهلا مع التحرى والمراجعة فى المسائل المشكلة والعفة والصيانة والديانة ، والتباعد عن الأمور المخلة بالمروءة ، مواظبا لوظائفه ودروسه ، ملازما لداره إلاَّ ما دعته الضرورة إليه من المواساة ، وحضور المجالس مع أرباب المظاهر ، وكان مبتلى بضعف البصر ، وبآخرته اعتراه داء الباسور ، وقاسى منه شدة ، وانقطع بسببه عن الخروج من داره ، ووصف له حكيم بدمياط فسافر إليه لأجل ذلك ، وقصد تغيير الهواء ، وذلك بإشارة نسيبه الشيخ المهدى ، وقاسى أهوالاً فى معالجته وقطعه بالآلة ، فلم ينجح ورجع إلى مصر متزايد الألم ، ولم يزل ملازما للفراش حتى توفى إلى رحمة الله سبحانه وتعالى ، فى يوم الإثنين تاسع عشر جمادى الأولى من هذه السنة [2] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بمدرسة الشعبانية [3] بحارة الدويدارى ، ظاهر حارة كتامة [4] ، المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الأزهر، وخلف ولده النجيب الأديب سيدى محمد الملقب عبد المعطى ، بارك الله فيه ، وأعانه على وقته .

ومات ، الإمام العلامة والعمدة الفهامة ، شيخ الإسلام والمسلمين ، الشيخ عبد المنعم ابن شيخ الإسلام الشيخ أحمد العماوى المالكى الأزهرى ، وهو من آخر طبقة الأشياخ من أهل القرن الثانى [5] ، تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه ، وحضر الأشياخ المتقدمين كالدفرى ، والحفنى ، والصعيدى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ الصباغ السكندرى ، والشيخ فارس ، وقرأ الدروس وانتفع به الطلبة ، ولم يزل ملازما على إلقاء الدروس بالأزهر على طريقة المتقدمين مع العفة والديانة والانجماع عن الناس ، راضيا بحاله ، قانعا بمعيشته ، ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدى أبى السعود أبى العشائر ، ولم يتجرأ على الفتيا مع أهليته لذلك وزيادة ، ولم تطمح نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الأمور ، مع التجمل فى الملبس والمركب ، وإظهار الغنى ، وعدم التطلع لما فى أيدى الناس ،

(١) رجب ١٢٢٠ هـ / ٢٥ سبتمبر - ٢٤ أكتوبر ١٨٠٥ م .
(٢) ١٩ جمادى الأولى ١٢٢٤ هـ / ٢ يوليه ١٨٠٩ م .
(٣) المدرسة الشعبانية : تقع بأقصى حارة الدواداری ، بجوار كتامة ، وتعرف بزاوية الشيخ عبد العليم ، مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ١٩ .
(٤) حارة كتامة : حارة خارج حارة الدويدارى بخط الأزهر .
(٥) القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى .

ويصدع بالحق فى المجالس ، ولايتردد إلى بيوت الحكام والأكابر إلا فى النادر ، بقدر الضرورة مع الأنفة والحشمة ، ولايشكو ضرورة ولا حاجة ، ولازمانا ، ولم يزل على حالته حتى مرض أياما وتوفى ليلة الخميس حادى عشر ذى القعدة [1] عن أربع وثمانين سنة ، وخرجوا بجنازته من منزله الكائن بدرب الحلفاء بالقرب من باب البرقية ، فمروا بالجنازة على خطة الجمالية على النحاسين على الأشرفية ، ودخلوا من حارة الخرّاطين إلى الجامع الأزهر ، وصلى عليه فى مشهد حافل ، ودفن على والده بتربة المجاورين ، وخلف من الأولاد الذكور أربعة رجال ذوى لحى صلحاء وخطهم الشيب ، خلاف البنات ، رحمه الله ، وعفا عنا وعنه .

ومات ، الفقيه النبيه الصالح ، الورع العالم ، المحقق ، الشيخ أحمد الشهير ببرغوت المالكى ، ومولده بالبلدة المعروفة باليهودية [2] بالبحيرة ، تفقه على أشياخ العصر ، ومهر فى الفقه والمعقول ، وأقرأ الدروس ، وانتفع به الطلبة ، واشتهر ذكره بينهم ، وشهدوا بفضله ، وكان على حالة حسنة ، منجمعا عن الناس ، وراضيا بما قسمه له مولاه ، منكسر النفس متواضعا ، ولم يتزى بعمامة الفقهاء ، يمشى فى حوائجه ، وتمرض بالزمانة مدة سنين ، يتعكز بعصاه ، ولم يقطع دروسه ولا أماليه حتى توفى إلى رحمة الله سبحانه وتعالى ، يوم الأربعاء خامس شهر صفر من السنة[3] ، ودفن بتربة المجاورين رحمه الله .

ومات ، العمدة النحرير ، والنبيل الشهير ، الشيخ سليمان الفيومى المالكى ، ولد بالفيوم ، وحضر إلى مصر ، وحفظ القرآن ، وجاور برواق الفيمة بالأزهر ، وكان فى أوّل عمره يمشى خلف حمار الشيخ الصعيدى ، وعليه دراعة صوف وشملة صفراء ، ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما ، واختلط مع المنشدين ، وكان له صوت شجى ، فيذهب مع المتذكرين إلى بيوت الأعيان فى الليالى ، فينشد الإنشادات ، ويقرأ الأعشار ، فيعجبون به ويكرمونه زيادة على غيره، واختلط ببعض الأعيان الذين يقال لهم البرقوقية من ذرية السلطان برقوق ، وهم نظار على أوقافه ، فراج أمره ، وكثرت معارفه بالأغوات الطواشية ، وبهم توصل إلى نساء الأمراء ، والسعى فى حوائجهن وقضاياهن ، وصار له قبول زائد عندهن وعند أزواجهن ،

---

(١) ١١ القعدة ١٢٢٤ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٩ م .

(٢) بلدة اليهودية : قرية قديمة ، تغير اسمها سنة ١٩٣٤ م ، بناء على طلب عضو مجلس النواب عن الناحية ، إلى اسم « الوفائية » ، وهى إحدى قرى مركز الدلنجات ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ .

(٣) ٥ صفر ١٢٢٤ هـ / ٢٢ مارس ١٨٠٩ م .

وتجمل بالملابس ، وركب البغال ، وأحدق به المحـدقون ، وتزوّج بإمراة بناحية قنطرة الأمير حسين [1] ، وسكن بدارها ، فماتت فورثها ، ولما مات الشيخ محمد العقاد ، تعين المترجم لمشيخة رواق الفيمة ، وبنى لـه محمد بيك المعروف بالمبدول دارا عظيمة بحارة عابديـن ، واشتهر ذكره وعلا شأنه وطار صـيته ، وسافر فى بعض مـقتضيات الأمراء إلى دار السلطنة ، وعاد إلى مصر ، وأقبلت عليه الهدايا من الأمراء والحريمات والأغوات والأقباط وغيرهم واعتنوا بشأنه ، وزوجـته الست زليخا زوجة إبراهيم بيك الكبير ببنت عبدالله الرومى ، وتصرف فـى أوقاف أبيها ، ومنها عزب البر تجاه رشيد وغيرها ، فاشتـهر بالبلاد القبلية والبحـرية ، وكان مع قلة بضاعته في الـعلم مشاركا بسبب التداخل فى الـقضايا ، وكان كريم النفس جدا يجود وما لديـه قليل مع حسن المعاشرة والـبشاشة والتواضع والمواسـاة للكبير والصـغير والجليل والحقيـر ، وطعامه مبذول للـواردين ، ومن أتى فى منزله إلـى حاجة أو زائرا لايمكنه من الـذهاب حتى يغديـه أو يعشيـه ، وإذا أتاه مستـرفد ، ولم يجـد معه أشيـاء اقترض وأعطـاه فوق مأموله، ولايبخل بجاهه وسعيه على أحد كائنا من كان بعوض وبدونه ، ومما اتفق له مرارا ، أنّه يركب من الصـباح فى حوائج الناس فلا يعود إلاّ بعـد العشاء الأخيرة ، فيلاقيه آخر ذو حاجة فى نصف الطريق أو آخره ، فينهى إليه قصته ، إمّا بشفاعة عند أمير أو خلاص مسجون أو غير ذلك ، فيقف لـه ويستمع قصته وهو راكب ، فيقول له : « فى غد نذهب إليه فإن الوقت صار ليلا » ، فيقول صاحب الحاجة : « هو فى داره فى هذا الـوقت » ، فيعود مـن طريقه مع صاحـب الحاجة إلى ذلك الأمـير ولو بعدت داره ، ويـقضى حاجته ، ويـعود بعد حصة مـن الليل ، وهكذا كـان شأنه ، ولاينتظـر ولا يؤمـل جعـالة ولا أجرة نظير سعـيه ، فإن أتوه بشـىء أخذه أو هدية قبلها ، قلت أو كثرت وشكرهم على ذلك ، فمالت إليه القلوب ، ووفدت إليه ذوو الحاجات مـن كل ناحية فلا يـرد أحدا ، ويستقـبلهم بالـبشاشة ، وينزلـهم فى داره ويطعـمهم ويكرمهـم ويستمرون فى ضـيافته حتى يـقضى حوائجهـم ، ويزودهـم ، ويرجعون إلى أوطانهم مـسرورين ومجبورين وشاكرين ، ثم يكافئـونه بما أمكنهم من المكافآت ، وإذا وصلت إليه هدية وصادف وصولها حضوره بالمنزل فرق منها على من بمجلسه من الحاضرين ، فبذلك انجذبت إليه القلوب ، وساد على أقرانه ومعاصريه ، كما قيل .

---

(١) قنطرة الأمير حسين : تقع أمام النهاية البحرية لمحكمة مصر عند مدخل شارع الأمير حسين أمام جامع البنات عند سكة المناصرة ، بناها حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن حيدر بك الرومى من أمراء دولة الناصر محمد ابن قلاوون ، ليعبر عليها إلى جامعه الذى بناه بالجانب الغربى من الخليج .
محمد ، محمد كمال السيد : المرجع السابق ، ص ٩٠ ، ١٠٦ .

بِبذْلٍ وحلْمٍ سَادَ فى قَومِهِ الفتَى وَكَونـكَ إيّـاهُ عَليـكَ يَسيرُ

ولما حضر حسن باشا الجزايرلى إلى مصر ، وارتحل الأمراء المصريون إلى الصعيد ، وأحاط بدورهم وطلب الأموال من نسائهم ، وقبض على أولادهم وجواريهم وأمهات أولادهم ، وأنزلهم سوق المزاد ، التجأ إلى المترجم الكثير من نساء الأمراء الكبار فآواهن ، وأجهد نفسه فى السعى فى حمايتهن والرفق بهن ومواساتهن ، مدة إقامة حسن باشا بمصر ، وبعدها فى إمارة إسماعيل بيك ، فلما رجع أزواجهن بعد الطاعون إلى إمارتهم ، ازداد قدر المترجم عندهم وقبوله ومحبته ووجاهته ، واشتهر عندهم بعدم قبوله الرشوة ، ومكارم الأخلاق والديانة والتورع ، فكان يدخل إلى بيت الأمير ويعبر إلى محل الحريم ويجلس معهن ، وينسرون بدخوله عندهم ، ويقولون : « زارنا أبونا الشيخ ، وشاورنا أبانا الشيخ ، فأشار علينا بكذا ، ونحو ذلك » ، ولم يزل مع الجميع على هذه الحالة إلى أن طرقت الفرنساوية البلاد المصرية ، وأخرجوا منها الأمراء ، وخرج النساء من بيوتهن وذهبن إليه أفواجا أفواجا حتى امتلأت داره وما حولها من الدور بالنساء ، فتصدى لهن المترجم ، وتداخل فى الفرنساوية ودافع عنهن ، وأقمن بداره شهورًا ، وأخذ أمانا لكثير من الأجناد المصرية ، وأحضرهم إلى مصر ، وأقاموا بداره ليلا ونهارا ، وأحبه الفرنساوية أيضًا ، وقبلوا شفاعاته ، ويحضرون إلى داره ، ويعمل لهم الولائم وساس أموره معهم ، وقرروه فى رؤساء الديوان الذى رتبوه لإجراء الأحكام بين المسلمين ، ولما نظموا أمور القرى والبلدان المصرية على النسق الذى جعلوه ، ورتبوا على مشايخ كل بلد شيخا ، ترجع أمور البلدة ومشايخها إليه ، وشيخ المشايخ المترجم ، مضافا ذلك لمشيخة الديوان ، وحاكمهم الكبير فرنساوى يسمى أبريزون ، فازدحمت داره بمشايخ البلدان ، فيأتون إليه أفواجا ، ويذهبون أفواجا ، وله مرتب خاص خلاف مرتب الديوان ، واستمر معهم فى وجاهته إلى أن انقضت أيامهم ، وسافروا إلى بلادهم ، وحضرت العثمانية والوزير ، والمترجم فى عداد العلماء والمتصدرين ، وافر الحرمة شهير الذكر ، بعيد الصيت مرعى الجانب ، مقبول القول عند الأكابر والأصاغر ، ولما قتل خليل أفندى الرجائى الدفتردار ، وكتخدا بيك فى حادثة مقتل طاهر باشا ، التجأ إليه أخو الدفتردار ، وخازنداره وغيرهما ، وذهبوا إلى داره ، وأقاموا عنده فحماهم وواساهم حتى سافروا إلى بلادهم ، ولم يزل على حالته حتى نزل به خلط بارد ، فأبطل شقه ، وعقد لسانه ، واستمر أياما ، وتوفى

ليلة الأحد خامس عشر ذى الحجة [1] ، وخرجوا بجنازته من بيته بحارة عابدين ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد عظيم جدا ، مثل مشاهد العلماء الكبار المتقدمين ، وربما كان جمع النساء خلفه كجمع الرجال فى الكثرة ، ووجدوا عليه ديونا نحو العشرة آلاف ريال سامحه أصحابها ، ولم يخلف من الأولاد إلا بنتين ، رحمه الله وسامحه ، وعفا عنا وعنه آمين .

سنة خمس وعشرين ومائتين وألف [2]

استهل المحرم بيوم الإثنين ، فيه [3] ، وردت الأخبار من الديار الرومية بغلبة الموسكوب واستيلائهم على ممالك كثيرة ، وأنه واقع بإسلامبول شدة حصر وغلاء فى الأسعار وتخوف وأنهم يذيعون فى الممالك بخلاف الواقع ، لأجل التطمين .

وفى خامسه [4] ، حضر إبراهيم أفندى القابجى الذى كان توجه إلى الدولة من مدة سابقة ، وعلى يده مراسيم بطلب ذخيرة وغلال ، وعملوا لقدومه شنكا ومدافع ، وطلع فى موكب إلى القلعة .

وفيه [5] ، رجع ديوان أفندى من ناحية قبلى وصحبته أحمد أغا شويكار ، فأقاما بمصر أياما ، ثم رجعا بجواب إلى الأمراء القبليين .

وفى ليلة السبت ثالث عشره [6] ، حصلت زلزلة عجيبة مزعجة وارتجت منها الجهات ثلاث رجات متواليات ، واستمرت نحو أربع دقائق فانزعج الناس منها من منامهم وصار لهم جلبة وقلقة ، وخرج الكثير من دورهم هاربين إلى الأزقة ، يريدون الخلاص إلى الفضاء مع بعده عنهم ، وكان ذلك فى أول الساعة السابعة من الليل ، وأصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم ، وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة ، وتشققت جدران ، وسقطت منارة بسوس ونصف منارة بأم أخنان [7] ، بالمنوفية ، وغير ذلك لانعلمه .

وفى عصر يوم السبت أيضًا [8] ، حصلت زلزلة ولكن دون الأولى ، فانزعج

---

(1) ١٥ذى الحجة ١٢٢٤ هـ / ٢١ يناير ١٨١ م . (2) ١٢٢٥ هـ / ٦ فبراير ١٨١٠ - ٢٥ يناير ١٨١١ م .
(3) ١ محرم ١٢٢٥ هـ / ٦ فبراير ١٨١٠ م . (4) ٥ محرم ١٢٢٥ هـ / ١٠ فبراير ١٨١٠ م .
(5) ٥ محرم ١٢٢٥ هـ / ١٠ فبراير ١٨١٠ م . (6) ١٣ محرم ١٢٢٥ هـ / ١٨ فبراير ١٨١٠ م .
(7) أم خنان : قرية قديمة ، وقد عرفت بالمرسين تمييزا لها من سميتها التى بمحافظة الجيزة ، وهى إحدى قرى مركز قويسنا ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص
(8) ١٣ محرم ١٢٢٥ هـ / ١٨ فبراير ١٨١٠ م .

الناس منها أيضًا ، وهاجوا ثم سكنوا ، ثم كثر لغط العالم بمعاودتها ، فمنهم من يقول ليلة الأربعاء ، ومنهم من يقول خلافه ، وأنها تستمر طويلا ، وأسندوا ذلك لبعض المنجمين ، ومنهم من أسنده لبعض النصارى واليهود ، وأنَّ رجلا نصرانيا ذهب إلى الباشا وأخبره بحصول ذلك ، وأكد فى قوله ، وقال له : « احبسنى ، وإن لم يظهر صدقى اقتلنى » ، وأن الباشا حبسه حتى يمضى الوقت الذى عينه ليظهر صدقه من كذبه ، وكل ذلك من تخيلاتهم واختلاقاتهم وأكاذيبهم ، وما يعلم الغيب إلا الله .

وفى يوم الأحد رابع عشره (١) ، أمر الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الأقباط : كالمعلم غالى ، والمعلم جرجس الطويل ، وأخيه ، وفلتيوس ، وفرانسيكو ، وعدتهم سبعة ، فأحضروهم فى صورة منكرة ، وسمروا دورهم ، وأخذوا دفاترهم ، فلما حضروا بين يديه ، قال لهم : « أريد حسابكم بموجب دفاتركم هذه » ، وأمر بحبسهم ، فطلبوا منه الأمان ، وأن يأذن لهم فى خطابه ، فأذن لهم ، فخاطبه المعلم غالى ، وخرجوا من بين يديه إلى الحبس ، ثم قرر عليهم بواسطة حسين أفندى الروزنامجى سبعة آلاف كيس ، بعد أنْ كان طلب منهم ثلاثين ألف كيس .

وفى يوم الخميس ثامن عشره (٢) ، شاع فى الناس حصول زلزلة تلك الليلة ، وهى ليلة الجمعة ، ويكون فى ذلك نصف الليل ، فتأهب غالب الناس للطلوع بخارج البلد ، فخرجوا بنسائهم وأولادهم إلى شاطئ النيل ببولاق ، ونواحى الشيخ قمر ووسط بركة الإزبكية ، وغيرها ، وكذلك خرج الكثير من العسكر أيضًا ، ونصبوا خياما فى وسط الرميلة وقراميدان والقرافتين ، وقاسوا تلك الليلة من البرد مالا يكيف ولا يوصف ، لأن الشمس كانت ببرج الدلو وهو وسط الشتاء ، ولم يحصل شىء مما أشاعوه وأذاعوه وتوهموه ، وتسلق العيارون والحرامية تلك الليلة على كثير من الدور والأماكن وفتشوها ، فلما أصبح يوم الجمعة كثر التشكى إلى الحكام من ذلك ، فنادوا فى الأسواق بأن لا أحد يذكر أمر الزلزلة ، وكل من خرج لذلك من داره عوقب ، فانكفوا وتركوا هذا اللغط الفارغ .

وفيه (٣) ، ظهر بالأزهر أنفار يقفون بالليل بصحن الجامع الأزهر ، فإذا قام إنسان لحاجته منفردا أخذوا ما معه ، وأشيع ذلك ، فاجتهد الشيخ المهدى فى الفحص والقبض على فاعل ذلك إلى أن عرفوا أشخاصهم ونسبهم ، وفيهم من هو من أولاد

---

(١) ١٤ محرم ١٢٢٥ هـ / ١٩ فبراير ١٨١٠ م .
(٢) ١٨ محرم ١٢٢٥ هـ / ٢٣ فبراير ١٨١٠ م .
(٣) ١٨ محرم ١٢٢٥ هـ / ٢٣ فبراير ١٨١٠ م .

أصحـــاب المظاهر المتعـممين ، فستروا أمـرهم وأظهروا شخصـا من رفقائهم لـيس له شهرة ، وأخرجوه من الـبلد منفيا ، ونسبوا إلـيه الفعال ، وسينكشف سـتر الفاعلين فيما بعـد ويفتضحون بين العالم ، كـما يأتى خبر ذلك فى سنة سـبع وعشرين [1] ، وكذلك أخـرجوا طائفة من الـقوادين والنساء الـفواحش ، سكنوا بـحارة الأزهر ، واجتمـعوا فى أهله ، حـتى أن أكابر الدولـة وعساكرهم بـل وأهل البلد والـسوقة ، جعلوا سـمرهـم وديدنهـــم ذكر الأزهـر وأهلــه ، ونسبوا له كل رذيلة وقـبيحة ، ويقولون : « نرى كل موبـقة تظهر منه ، ومن أهله ، وبعد أن كان مـنبع الشريعة ، والعلم صار بعكـس ذلك ، وقـد ظهر منه قبل الزغلية ، والآن الحرامية ، وأمور غير ذلك مختفية » .

وفيه [2] ، طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلـة من القلعة إلى الزلاقة التى أنشأها، طريقا يصـعد منها إلى الجبل المقـطم السابق ذكرها ، وأراد أنْ يفـرض على الأخطاط والحارات رجالا للعمـل بعدد مخصوص ، ومن اعتذر عن الخـروج والمساعدة يفرض علـيه بدلا عنـه ، أو قدرا من الدراهـم يدفعهـا نظير الـبدل ، وأشيع هـذا الأمر ، واستحضر الأوبـاش على الطبول والزمور كما كـانوا يفعلون فى قضية عـمارة محمد باشا خسرو ، ثم إنَّ الشيخ المهدى اجتمع بكتخدا بيك ، وأدخل عليه وهما أن محمد باشا خسروا لمـا فعل ذلك ، لم يتم له أمـر وعزل ، ولم تطل أيامه ، ونحـن نطلب دوام دولتكم ، والأولى ترك هذا الأمر ، فتركوا ذلك ، ولم يذكروه بعد .

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٥ [3]

فيه [4] ، قلد الباشا خلـيل أفندى النظر على الروزنامجى وكـتابه ، وسموه كاتب الذمة أى ذمة الميرى مـن الإيراد والمصرف ، وكان ذلك عند فتح الطـلب بالميرى عن السنة الجديدة [5] ، فلا يكتب تحويل ولاتـنبيه ولاتذكرة حتى يطلعوه عـليها ، ويكتب علـيها علامـته ، فتكـدر من ذلك الروزنـامجى وبـاقى الكتـبة ، وهذه أوّل دسيـسة أدخلوها فى الروزنامـة وابتداء فضيحتها وكشف سرها ، وذلك بـإغراء بعض الأفندية الخاملين ، أنهى إليهـم أنَّ الروزنامجى ومن معه من الكتاب يوفرون لأنـفسهم الكثير من الأموال المـيرية ، ويتـوسعون فيهـا ، وفى ذلك إجحاف بمـال الخزينة ، وخـليل أفندى هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ، ولايفيق من الشرب .

---

(١) ١٢٢٧ هـ / ١٦ يناير ١٨١٢ - ٣ يناير ١٨١٣ م .
(٢) ١٨ محرم ١٢٢٥ هـ / ٢٣ فبراير ١٨١٠ م .
(٣) صفر ١٢٢٥ هـ / ٨ مارس - ٥ أبريل ١٨١٠ م .
(٤) ١ صفر ١٢٢٥ هـ / ٨ مارس ١٨١٠ م .
(٥) ١٢٢٥ هـ / ٦ فبراير ١٨١٠ - ٢٥ يناير ١٨١١ م .

وفيه [1] ، طلب الباشا ثلاثة أشخاص من كتبة الأقباط الذين كانوا متقيدين بقياس الأراضى بالمنوفية، وضربهم وحبسهم ، لكونه بلغه عنهم أنهم أخذوا البراطيل والرشوات على قياس طين أراضى بعض البلاد ، وأنقصوا من القياس فيما ارتوى من الطين ، وهى البدعة التى حدثت على الطين الرى ، وسموها القياسة ، وقد تقدم ذكرها غير مرة ، وحررت فى هذه السنة [2] على الكامل ، لكثرة النيل ، وعموم الماء الأراضى على أنه بقى الكثير من بلاد البحيرة وغيرها شراقى ، بسبب عدم حفر الترع ، وحبس الحبوس ، وتجسير الجسور ، واشتغال الفلاحين والملتزمين بالفرض والمظالم ، وعجزهم عن ذلك .

وفى خامسه [3] ، طلب الباشا كشاف الأقاليم وشرع فى تقرير فرضة على البلاد ، بما يقتضيه نظره ونظر كشاف الأقاليم والمعلمين القبط ، فقرروا على أعلاها ثمانين كيسا ، والأدنى خمسة عشر كيسا ، ولم يتقيد بتحرير ذلك أحد من الكتبة الذين يحررون ذلك بدفاتر ، ويوزعونها على مقتضى الحال ، ولم يعطوا بالمقادير أوراقا لملتزمى الحصص ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، فإنَّ الملتزم كان إذا بلغه تقرير فرضة تدارك أمره وذهب إلى ديوان الكتبة ، وأخذ علم القدر المقرر على حصته ، وتكفل بها ، وأخذ منهم مهلة بأجل معلوم ، وكتب على نفسه وثيقة وأبقاها عندهم ، ثم يجتهد فى تحصيل المبلغ من فلاحيه ، وإن لم يسعفوه فى الدفع وحولوا عليه الطلب دفعه من عنده إن كان ذا مقدرة أو استدانه ولو بالربا ، ثم يستوفيه بعد ذلك من الفلاحين شيئًا فشيئًا ، كل ذلك حرصا على راحة فلاحى حصته وتأمينهم واستقرارهم فى وطنهم ، ليحصل منهم المطلوب من المال الميرى ، وبعض ما يقتاتون به هم وعيالهم ، وإن لم يفعل ذلك تحول باستخلاص ذلك كاشف الناحية وعين على الناحية الأعوان بالطلب الحثيث ، وما ينضاف إلى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم ، وإنْ تأخر الدفع تكرر الإرسال والطلب على النسق المشروح ، فيتضاعف الهم ، وربما ضاع فى ذلك قدر الأصل المطلوب وزيادة عنه مرة أو مرتين ، والذى يقبضونه يحسبونه بالفرط ، وهو فى كل ريال عشرة أنصاف فضة ، يسمونها ديوانى ، فيقبض المباشر عن الريال تسعين نصفا فضة ، ويجعل التسعين ثمانين ، وذلك خلاف ما يقرره فى أوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط ، فينكشف حال الفلاح ، ويبيع ما عنده من الغلة والبهيمة ، ثم يفر من بلدته إلى غيرها ،

(١) ١ صفر ١٢٢٥ هـ / ٨ مارس ١٨١٠ م . (٢) ١٢٢٥ هـ / ٦ فبراير ١٨١٠ - ٢٥ يناير ١٨١١ م .

(٣) ٥ صفر ١٢٢٥ هـ / ١٢ مارس ١٨١١ م .

فيطلبه الملتزم ويبعث إليه المعينين من كاشف الناحية بحق طريق أيضًا ، فربما أداه الحال إن كان خفيف العيال والحركة إلى الفرار ، والخروج من الإقليم بالكلية ، وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر الذين جلوا عنها ، وخرجوا منها ، وتغربوا عن أوطانهم من عظيم هول الجور ، وإذا ضاق الحال بالملتزم وكتب له عرضحالا يشكو حاله وحال بلده أو حصته وضعف حالها ، ويرجو التخفيف ، وتجاسر وقدم عرضحاله إلى الباشا ، يقال له : « هات التقسيط وخذ ثمن حصتك أو بدلها » ، أو يعين له ترتيبا بقدر فائظها على بعض الجهات الميرية من المكوس والجمارك التى أحدثوها ، فإن سلم سنده وكان ممن يراعى جانبه حول إلى بعض الجهات المذكورة صورة ، وإلا أهمل أمره وبعضهم باعها لهم بما انكسر عليه من مال الفرض ، وقد وقع ذلك لكثير من أصحاب الذمم المتعددة ، انكسر عليه مقادير عظيمة ، فنزل عن بعضها ، وخصموا له ثمنها من المنكسر عليه من الفرضة ، وبقى عليه الباقى يطالب به ، فإن حدثت فرضة أخرى قبل غلاق الباقى وقعد بها ، وضمت إلى الباقى ، وقصرت يده لعجز فلاحيه ، واستدان بالربا من العسكر تضاعف الحال ، وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر إلى خلاص نفسه، وينزل عما بقى تحت يديه كالأول ، وقد يبقى عليه الكسر ، ويصبح فارغ اليد من الالتزام ومديونا ، وقد وقع ذلك لكثير كانوا أغنياء ذوى ثروة ، وأصبحوا فقراء محتاجين من حيث لايشعرون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وفيه [1] ، تحركت همم الأمراء المصريين القبليين إلى الحضور إلى ناحية مصر بعد ترداد الرسل والمكاتبات ، وحضور ديوان أفندى ورجوعه ، وحضور محمد بيك المنفوخ أيضًا ، وكل من حضر منهم أنعم عليه الباشا وألبسه الخلع ، ويقدم له التقادم ويعطيه المقادير العظيمة من الأكياس ، وقصده الباطنى صيدهم ، حتى أنه كان أنعم على محمد بيك المنفوخ بالتزام جمرك ديوان بولاق ، ثم عوضه عنه ستمائة كيس وغير ذلك .

وفيه [2] ، قلّد الباشا نظر المهمات لصالح بن مصطفى كتخدا الرزاز ، ونقلوا ورشة الحدادين ومنافخهم ، وعددهم من بيت محمد أفندى طبل الودنلى المعروف بناظر المهمات إلى بيت صالح المذكور بناحية التبانة ، وكذلك العربجية ، وصناع الجلل والمدافع ، ونزعوا منه أيضًا معمل البارود ، وكان تحت نظره ، وكذلك قاعة الفضة وجمرك اللبان وغيره .

---

(١) ٥ صفر ١٢٢٥ هـ / ١٢ مارس ١٨١٠ م .

(٢) ٥ صفر ١٢٢٥ هـ / ١٢ مارس ١٨١٠ م .

وفيه [1] ، وصلت الأخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها ، بوقوع الزلزلة فى الوقت الذى حصلت فيه بمصر ، إلا أنها كانت أعظم وأشد وأطول مدة ، وحصل فى بلاد كريت إتلافات كثيرة ، وهدمت أماكن ودورا كثيرة ، وهلك كثير من الناس تحت الردم ، وخسفت أماكن وتكسر على ساحل مالطه عدة مراكب ، وحصل أيضًا باللاذقية [2] خسف ، وحكى الناقلون أنَّ الأرض انشقت فى جهة من اللاذقية ، فظهر فى أسفلها أبنية انخسفت بها الأرض قبل ذلك ، ثم انطبقت ثانيا .

وفيه [3] ، من الحوادث ، ما وقع ببيت المقدس ، وهو أنه لما احترقت القمامة الكبرى كما تقدم ذكر حرقها فى العام الماضى ، أعرضوا إلى الدولة ، فبرز الأمر السلطانى بإعادة بنائها ، وعينوا لذلك أغا قابجى وعلى يده مرسوم شريف ، فحضر إلى القدس ، وحصل الاجتهاد فى تشهيل مهمات العمارة ، وشرعوا فى البناء على وضع أحسن من الأول ، وتوسعوا فى مساحة جرمها وأدخلوا فيها أماكن مجاورة لها ، وأتقنوا البناء إتقانا عجيبا ، وجعلوا أسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ، ونقلوا إليها من رخام المسجد الأقصى ، فقام بمنع ذلك جماعة من الأشراف الينكجرية ، وشنعوا على الأغا المعين وعلى كبار البلدة ، وتعصبوا حماية للدين ، قائلين : « إنَّ الكنائس إذا خربت لايجوز إعادتها إلاَّ بأنقاضها ، ولايجوز الاستعلاء بها ، ولا تشييدها ، ولا أخذ رخام الحرم القدسى ، ليوضع فى الكنيسة » ، ومانعوا فى ذلك ، فأرسل ذلك الأغا المعين إلى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لأوامر الدولة ، فأرسل يوسف باشا طائفة من عسكره فى عدة وافرة ، فوصلوا من طريق الغور ، وهو مسلك موصل إلى القدس قريب المسافة ، خلاف الطريق المعتاد ، فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة ، وحاصروهم فى دير ، وقتلوهم عن آخرهم ، وهم نيف وثلاثون نفرا ، وشيدوا القمامة كما أرادوا أعظم وأضخم مما كانت عليه قبل حرقها ، فنسأل المولى السلامة فى الدين .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢٢٥ [4]

فيه [5] ، وصلت الأمراء المصريون القبالى إلى ناحية بنى سويف ، وكثير من

---

(١) ٥ صفر ١٢٢٥ هـ / ١٢ مارس ١٨١٠ م .

(٢) اللاذقية : ثغر سورى على البحر الأبيض المتوسط .

(٣) صفر ١٢٢٥ هـ / ٨ مارس - ٥ أبريل ١٨١٠ م .

(٤) ربيع الأول ١٢٢٥ هـ / ٦ أبريل - ٥ مايو ١٨١٠ م . (٥) ١ ربيع الأول ١٢٢٥ هـ / ٦ أبريل ١٨١٠ م .

الأجناد إلى مصر ، وترددت الرسل ، وحضر ديوان أفندى ، ثم رجع ثانيا إليهم .

وفيه [1] ، أمر الباشا الكتاب بعمل حساب حسين أفندى الروزنامجى عن السنتين الماضيتين ، وهما : سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين [2] ، وذلك بإغراء البعض منهم ، فاستمروا فى عمل الحساب أياما ، فزاد لحسين أفندى مائة وثمانون كيسا ، فلم يعجب الباشا ذلك ، واستخونهم فى عمل الحساب ، ثم ألزمه بدفع أربعمائة كيس ، وقال : « أنا كنت أريد منه ستمائة كيس ، وقد سامحته فى مائتين فى نظير الذى تأخر له » ، وطلع فى صبحها إلى الباشا ، وخلع عليه فروة باستقراره فى منصبه ، ونزل إلى داره ، فلما كان بعد الغروب حضر إليه جماعة من العسكر فى هيئة مزعجة ، ومعهم مشاعل ، وطلبوا الدفاتر وهم يقولون : « معزول معزول » ، وأخذوا الدفاتر وذهبوا ، وحوّلوا عليه الحوالات بطلب الأربعمائة كيس ، فاجتهد فى تحصيلها ودفعها ، ثم ردوا له الدفاتر ثانيا .

وفيه [3] ، حصلت كائنة أحمد أفندى المعروف باليتيم من كتاب الروزنامة ، وذلك أن الباشا كان ببيت الأزبكية ، فوصل إليه مكتوب من كاشف إقليم الدقهلية ، يعرفه فيه أنه قاس قطعة أرض جارية فى إقطاع أحمد أفندى المذكور ، فوجد مساحتها خلاف المقيد بدفتر المقياس الأوّل ، ومسقوط منها نحو الخمسمائة فدان ، وذلك من فعل المذكور ومخامرته مع النصارى الكتبة والمساحين ، لأنهم يراعونه ويدلسون معه ، لأن دفاتر الروزنامة بيده ، فلما قرأ المكتوب أمر فى الحال بالقبض على أحمد أفندى وسجنه ، وكان السيد محمد المحروقى حاضرا ، وكذلك على كاشف الكبير الألفى ، فترجيا عند الباشا ، وأخبراه بأن المذكور مريض بالسرطان فى رجله ، ولايقدر على حركتها ، واستأذنه السيد المحروقى بأن يأخذه إلى داره ، فإن داره باب من أبوابه ، فأجابه إلى ذلك ، وركب فى الحال ولحق بالمعينين ، وكانوا قد وصلوا إليه ، وأزعجوه ، فمنعهم عنه وأخذه إلى داره ، وراجع الباشا فى أمره ، فقرر عليه ثمانين كيسا ، بعد أن قال : « إنِّى كنت أريد أن أقول ثلثمائة كيس ، فسبق لسانى ، فقلت مائة كيس وقد تجاوزت لأجلك عن عشرين كيسا ، وهو يقدر على أكثر من ذلك ، لأنه يفعل كذا وكذا ، وعدد أشياء تدل على أنَّه ذو غنية كبيرة ، منها أنه لما سافر إلى الباشا بدفتر الفرضة إلى ناحية أسيوط ، طلع إلى البلدة فى هيئة وصحبته

(١) ١ ربيع الأول ١٢٢٥ هـ / ٦ أبريل ١٨١٠ م .
(٢) ١٢٢٣ هـ / ١٢٢٤ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠٨ - ٥ فبراير ١٨١٠ م .
(٣) ١ ربيع الأول ١٢٢٥ هـ / ٦ أبريل ١٨١٠ م .

فرش وسحاحير وبشخانات وكرارات وفراشون وخدم وكيلارجية ، ومصاحبجية والحكيم والمزين » ، فلما شاهد الباشا هيئته سأل عنه وعن منصبه فقيل له إنه چاچرت من كتبة الروزنامة ، فقال : « إذا كان چاچرت بمعنى تلميذ ، فكيف يكون باش چاچرت أو قلفاوات الإقليم فضلا عن كبيرهم الروزنامجى، وأى شىء ذلك »، وأسر ذلك فى نفسه وطفق يسأل ويتجسس عن أحوالهم ، لأنه من طبعه الحقد والحسد والتطلع لما فى أيدى الناس ، ولما قلد خليل أفندى كتابة الذمة فى الروزنامة ، كما تقدم ، انضم إليه الكارهون للمذكور الذين كانوا خاملى الذكر بوجوده ، وتوصلوا إلى باب الباشا ، وكتخدا بيك ، وأنهوا فيه أنه يتصرف فى الأموال الميرية كما يختار ، وأنَّ حسين أفندى الروزنامجى لايخرج عن مراده وإشارته ، وبيته مفتوح للضيفان ، ويجتمع عنده فى كل ليلة عدة من الفقراء يثرد لهم الثريد فى القصاع ، ويواسى الكثير من أهل العلم وغيرهم ، ويتعهد بكثير من الملتزمين بالفرض التى تقرر على حصصهم ويضمها فى حسابه ، ويصبر عليهم حتى يوفوها له فى طول الزمن ، ونحو ذلك ، وكل ما ذكر دليل على سعة الحال والمقدرة ، وأما الذنب الذى أخذه به ، فإن القدر المذكور من الطين كان من الموات ، فاتفق المذكور مع شركائه ملتزمى الناحية وجرفوه وأحيوه ، وأصلحوه بعد أن كان خرسا ومواتا ، لاينتفع به ، وجعلوه صالحا للزراعة ، وظن أنَّ ذلك لايدخل فى المساحة ، فأسقطه منها فوقع له ما وقع، وأسقطوا اسمه من كتاب الروزنامة ومنعوه ، وانقطع فى داره ، وزاد به ألم رجله .

وفيه [1] ، انحرف أيضًا الباشا على الخواجا محمود حسن وعزله من الجمارك والبزرجانية ، وأكل عليه المطلوب له ، وهو مبلغ ألفان وخمسون كيسا .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٢٥ [2]

فيه [3] ، وصلت الأخبار من البلاد الحجارية بنزول سيل عظيم، حصل منه ضرر كثير وهدم دورا كثيرة بمكة وجدة ، وأتلف كثيرا من البضائع للتجار ، حكوا أنَّه هدم بمكة خاصة ستمائة دار وكان ذلك فى شهر صفر [4] .

وفيه [5] ، وصل الأمراء المصريون إلى ناحية الرقق [6] ، وأوائلهم وصلوا إلى

---

(١) ١ ربيع الأول ١٢٢٥ هـ / ٦ ابريل ١٨١٠ م . (٢) ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٦ مايو - ٣ يونيه ١٨١٠ م .
(٣) ١ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٦ مايو ١٨١٠ م . (٤) صفر ١٢٢٥ هـ / ٨ مارس - ٥ ابريل ١٨١٠ م .
(٥) ١ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٦ مايو ١٨١٠ م . (٦) الرقق : انظر ، جـ٤ ، ص٣ ، حاشية رقم (٤) .

دهشور [1] ، وخرج إليهم الأتباع بالملاقاة من بيوتهم وأحبابهم ، وذهب إليهم مصطفى أغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجى ، وديوان أفندى ، ثم الباشا ، ثم فى أثرهم طوسون ابن الباشا ، وقدم له إبراهيم بيك تقادم ، وأقام بوطاقه ، ثم رجعوا وكثر ترداد المراسلات والاختلافات فى أمر الشروط .

وفى خامسه [2] ، حضر عثمان بيك يوسف وصحبته صنجق آخر ، فطلعا إلى القلعة وقابلا الباشا ، ثم رجعا ، وحضرا فى ثانى يوم كذلك ، فخلع عليهما ، وأعطاهما أكياسا وأرسل إلى إبراهيم بيك هدايا ، وإلى سليم بيك المحرمجى المرادى أيضًا .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره [3] ، وصل الجميع إلى الجيزة ، ونصبوا وطاقهم خارج الجيزة ، وصحبتهم عربان وهوّارة كثيرة ، وانتظروا أن الباشا يضرب لحضورهم مدافع ، فلم يفعل ، وقال إبراهيم بيك : « سبحان الله ما هذا الاحتقار ، ألم أكن أمير مصر نيفا وأربعين سنة ، وتقلدت قائمقامية ولايتها ووزارتها مرارا ، وبآخرة صار من أتباعي ، وأعطيه خرجه من كيلارى ، ثم أحضر أنا وباقى الأمراء على صورة الصلح ، فلا يضرب لنا مدافع ، كما يفعل لحضور بعض الإفرنج » ، وتأثر من ذلك ، وأشيع فى الناس فى تعدية الباشا من الغد للسلام على إبراهيم بيك ، فلم يثبت ، وظهر أنَّه لم يفعل وأصبح مبكرا إلى شبرا ، وجلس فى قصره وحضر إليه شاهين بيك الألفى فى سفينة ، ووقع بينهما مكالمات ، ورجع من عنده عائدا إلى الجيزة منفعل الخاطر ، ثم إنَّ الباشا عرض عساكره فاجتمع إليه الجميع وبدأ اللغط وكثرت اللقلقة ، وعندما وصل شاهين بيك إلى الجيزة أزر حريمه وأركبهن وأرسلهن إلى الفيوم ، ونقل متاعه وفرشه من قصر الجيزة فى بقية اليوم ، وكسر المرايات وزجاج الشبابيك التى فى مجالسه الخاصة ، ثم ركب فى طوائفه وأتباعه وخشداشينه ومماليكه وذهب إلى عرضى إخوانه وقبيلته ، ونصب خيامه ووطاقه بحذائهم ، واجتمع بهم وتصافى معهم ، وقد كان حضر إليه عبد الرحمن بيك تابع عثمان بيك المرادى المعروف بالطنبرجى ، وحول دماغه واتفق معه على الانضمام إليهم ، والخروج عن الباشا ففعل ما فعل ، وجعلوه رئيس الأمراء المرادية .

وفى ذلك اليوم [4] ، عدى حسن باشا ، وصالح أغا قوج إلى بر الجيزة ،

---

(١) دهشور : انظر : جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم (٢) .
(٢) ٥ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ١٠ مايو ١٨١٠ م . (٣) ١١ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ١٦ مايو ١٨١٠ م .
(٤) ١١ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ١٦ مايو ١٨١٠ م .

وذهبا إلى عرضى الأمراء وسلما عليهم وتغديا عند شاهين بيك ، وجرى بينهما وبين إبراهيم بيك كلام كثير ، وقال له حسن باشا : « إنكم وصلتم إلى هنا لتمام الصلح على الشروط التى حصلت بينكم وبين الباشا ، والاتفاق الذى جرى بأسيوط ، ويكون تمامه عند وصولكم إلى الجيزة ، واجتماعكم ، وقد حصل » ، فقال له إبراهيم بيك : « وما هى الشروط » ، قال : « هى أنْ تدخلوا تحت حكمه وطاعته ، وهو يوليكم المناصب التى تريدونها بشرط أن تقوموا بدفع الفرض التى يقررها على النواحى والغلال الميرية والخراج ، وتعيين من يريده منكم صحبة العساكر الموجهة إلى البلاد الحجازية لفتح الحرمين ، وتكونوا معه أمراء مطيعين ، وهو يعطيكم الإمريات والإنعامات الجزيلة ، ويعمر لكم ما تريدونه من الدور والقصور التى لكم ولأتباعكم على طرفه لايكلفكم بشىء من الأشياء ، وقد رأيتم وسمعتم ما فعله من الإكرام والإنعام على شاهين بيك ، وما أعطاه من المماليك والجوار الحسان ، وشفاعاته عنده لاترد ، وأطلق له التصرف فى البر الغربى من رشيد إلى الفيوم إلى بنى سويف والبهنسا مما هو تحت حكمه ، ويراعى جانبه إلى الغاية » ، فقال له إبراهيم بيك : « نعم إنه فعل مع شاهين بيك ما لاتفعله الملوك ، فضلا عن الوزراء ، وليس ذلك لسابق معروف فعله شاهين بيك معه ليستحق به ذلك ، بل هو لغرض سوء يكمنه فى نفسه ، وشبكة يصطاد بها غيره ، فإننا سبرنا أحواله وخيانته ، وشاهدنا ذلك فى كثير ممن خدموه ونصحوا معه حتى ملكوه هذه المملكة » ، قال : « ومن هم » ، قال : « أولهم مخدومه محمد باشا خسرو ، ثم كتخداه ، ومعه خازنداره عثمان أغا جنج الذى خامر معه ، وملك مع أخيه المرحوم طاهر باشا القلعة ، وأحرق سرايته ، ثم سلط الأتراك على طاهر باشا حتى قتلوه فى داره ، وأظهر موالاتنا وصداقتنا ومساعدتنا ، وصير نفسه من عسكرنا ، واتحد بعثمان بيك البرديسى ، وأظهر له خلوص الصداقة والأخوة ، وعاهده بالإيمان حتى أغراه على على باشا الطرابلسى ، وجرى ما جرى عليه من القتل ، ونسب ذلك إلينا ، ثم اشتغل معه على خيانته لأخيه الألفى وأتباعه ، ثم سلط علينا العساكر بطلب العلوفة ، وأشار على عثمان بيك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ما وقع وخرجنا من مصر على الصورة التى خرجنا عليها ، ثم أحضر أحمد باشا خورشيد وولاه وزيرا ، وخرج هو لمحاربتنا ، ثم اتضح أمره لأحمد باشا وأراد الإيقاع به ، فعجل العود إلى مصر ، وأوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه ونابذوه ، وألقى إلى السيد عمر ، والقاضى ، والمشايخ أنّ أحمد باشا يريد الفتك بهم ، فهيجوا العامة والخاصة ، وجرى ما جرى من الحروب وحرق الدور ، وبذل السيد عمر جهده فى

النصح معه بما يظهره له من الحب والصداقة ، وراجت عليه أحواله ، حتى تمكن أمره ويلغ مراده وأوقع به ما أوقع ، وأخرجه من مصر وغربه عن وطنه ، ونقض العهود والمواثيق التى كانت بينه وبينه، كما فعل بعمر بيك وغيره ، وكل ذلك معلوم ومشاهد لكم ولغيركم ، فمن يأمن لهذا ويعقد معه صلحا ، واعلم يا ولدى أننا كنا بمصر نحو العشرة آلاف أو أقل أو أكثر ما بين : مقدمى ألوف ، وأمراء ، وكشاف ، وأكابر وجاقات ، ومماليك ، وأجناد ، وطوائف ، وخدم ، وأتباع ، مرفهى المعاش بأنواع الملاذ ، كل أمير مختص ومعتكف بإقطاعه مع كثرة مصارفنا وإنعاماتنا على أتباعنا ومن ينتسب إلينا ، وأسمطة الجميع ممدوة فى الأوقات المعهودة ، ولانعرف عسكرا ولا علوفة عسكر ، والقرى والبلاد مطمئنة ، والفلاحون ومشايخ البلاد مرتاحون فى أوطانهم ، ومضايفهم مفتوحة للواردين والضيفان مع ما كان يلزم علينا من المصارف الميرية ، ومرتبات الفقراء ، وخزينة السلطان ، وصرة الحرمين والحجاج ، وعوائد العربان ، وكلف الوزراء المتولين ، والأغوات والقباجية المعينين وخدمهم ، والهدايا السلطانية وغير ذلك ، وأفنـدينا مـا كفاه إيراد الإقليم ومـا أحدثه من الجمارك والمكوس ، وما قرره على القرى والبلدان من فرض المال والغلال ، والجمال والخيول ، والتعدى على الملتزمين ومقاسمتهم فى فائظهم ومعاشهم ، وذلك خلاف مصادرات الناس والتجار فى مصر وقراها ، والدعاوى والشكاوى والتزايد فى الجمارك ، وما أحدثه فى الضربخانة من ضرب القروش النحاس واستغراقها أموال الناس ، بحيث صار إيراد كل قلم من أقلام المكوس بإيراد إقليم من الأقاليم ، ويبخل علينا بما نتعيش به نحن وعيالنا ومن بقى معنا من أتباعنا ومماليكنا ، بل وقصده صيدنا وهلاكنا عن آخرنا » ، فقال حسن باشا : « حاشا لله لم يكن ذلك ، ودائما يقول والدنا إبراهيم بيك ، ولكن لايخفاكم أنَّ الله أعطاه ولاية هذا القطر ، وهو يؤتى الملك من يشاء ، ولاترضى نفسه من يخالف عليه ، أو يشاركه بالقهر والاستيلاء ، فإذا صار الصلح ووقع الصفا ، أعطاكم فوق مأمولكم » ، فهز إبراهيم بيك رأسه ، وقال : « صحيح يكون خيرا » ، وانفض المجلس ، ورجع حسن باشا ، وصالح قوج ، وعديا إلى بر مصر .

وفى تلك الليلة [1] ، خرج جميع من كان بمصر من الأمراء والأجناد المصرية بخيلهم وهجنهم ومتاعهم ، وعدوا إلى بر الجيزة ، ولم يبق منهم إلاّ القليل ، واجتمعوا مع بعضهم وقسموا الأمر بينهم ثلاثة أقسام ، قسم للمرادية وكبيرهم شاهين

(١) ١١ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ١٦ مايو ١٨١٠ م .

بيك ، وقســم للمحمـدية وكبيرهم علـى بيك أيوب ، وقسم لـلإبراهيمية وكـبيرهم عثمان بيـك حسن ، وكتبوا مكاتبات وأرسـلوها إلى مشايخ العربـان ، لم أقف على مضمونها .

وفى يوم الجمعـة رابع عشره [١] ، أوقفوا عـساكر على أبـواب المدينة ، يمـنعون الخارجين من البلد حـتى الخدم ، ومنعوا التعدية إلى البر الغـربى ، وجمعوا المراكب والمعادى إلى البر الشرقى ، ونقلوا البضائع الـتى فى مراكب التجار المعدة لسفر رشيد ودمياط المعروفة بالرواحل ، وأخذوها إليهم وشـرعـوا فى التعدية بطول يوم الجمعة والسبت [٢] ، وعـدى البـاشـا آخر النهار دخـل إلى قصر الجيزة الذى كـان به شاهين بيك ، وكذا عدوا بالخيام والمدافع والعربات والأثقال ، واجتمعت طوائف العسكر من الأتراك والأرنؤد والدلاة والـسجمان بالجيزة ، وتحـققت المفاقمة ، والأمـراء المصرية خلف السور فـى مقابلتهم ، واستمـروا على ذلك إلى ثانى يوم ، والنـاس متوقعون حصول الحرب بين الفريقـين ، ولم يحصل ، وانتقل وترفعوا إلى قبلـى الجيزة بناحية دهشور وزنين [٣] .

وفى يوم الإثنين والثلاثاء [٤] ، أنفق الباشـا على العسكر وكان لـه مدة شهور لم ينفق عليهم .

وفى ليلة الثلاثاء [٥] ، ركب الباشا ليلا وسافـر إلى ناحية كرداسة [٦] على جرائد الخيل ، ورجع فى ثانى ليلة ، وكان سبب ركوبه أنّه بلغه أنّ طائفة من العربان مارين يريدون المصرية ، فأراد أن يقطع عليهم الطريق ، فلم يجد أحدا وصادف نجعا مقيمين في محطة ، فنهب مـواشيهم ، ورجع متعوبا ، وانقطع عنه أفـراد من العسكر ومات بعضهم من العطش .

وفى يوم الجمعة [٧] ، ارتحل المصرية وترفعوا إلى ناحـية جزر الهوى بالقرب من الرقق .

---

(١) ١٤ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ/ ١٩ مايو ١٨١٠ م . (٢) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٢٠ مايو ١٨١٠ م .
(٣) زنين : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى قسم الجيزة ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥
(٤) ١٧ ، ١٨ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٢٢ ، ٢٣ مايو ١٨١٠ م .
(٥) ١٨ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٢٣ مايو ١٨١٠ م . (٦) كرداسة : انظر ، جـ٣، ص ٥٤ ، حاشية رقم (٣) .
(٧) ٢١ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٢٦ مايو ١٨١٠ م .

وفيه[1] ، حضر مشايخ عربان أولاد على للباشا فكساهم وخلع عليهم وألبسهم شالات كشميرى عدتها ثمان شالات ، وأنعم عليهم بمائة وخمسين كيسا ، وحضر عند المصرية عربان الهنادى ومشايخهم وانضموا إليهم .

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه [2] ، عدى الباشا إلى بر مصر وذهب إلى بيته بالأزبكية ، فبات به ليلتين ، ثم طلع فى يوم الثلاثاء إلى القلعة ، وقد تكدر طبعه من هذه الحادثة بعد أن حصلوا بالجيزة ، وكاد يتم قصده فيهم ، وخصوصا ما فعله شاهين بيك الذى أنفق عليه ألوفا من الأموال ، ذهبت جميعها فى الفارغ البطال .

وفى هذه الأيام ، أعنى منتصف شهر بشنس القبطى [3] زاد النيل زيادة ظاهرة أكثر من ذراع ونصف ، واستمر أياما ، ثم رجع إلى حاله الأول ، وفى هذا من جملة عجائب الوقت .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة ١٢٢٥ [4]

فيه [5] ، عمل الباشا ميدان رماحة بالجيزة فتقنطر به الحصان ووقع به الأرض فأقاموه ، وأصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات ، ويقال : « إنَّ الضارب لها كان قاصد الباشا فأخطأته وأصابت ذلك المملوك » ، والأجل حصن .

وفيه [6] ، نبَّهوا على العسكر بالخروج ، فسعوا بالجد والعجلة فى قضاء أشغالهم ولوازمهم ، وطفقوا يخطفون حمير الناس وجمالهم ، ومن يصادفونه ويقدرون عليه من أهل البلد وخلافهم ، ويقولون : « فى غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين » ، والمصريون أيضًا مستمرون فى منزلتهم ولم ينتقلوا عنها .

وفى خامسه [7] ، خرج حسن باشا وبرز خيامه بناحية الآثار ، وخرج أيضًا محو بيك بعسكره وطوائفه ومعهم بيارق ، وسافر جملة عساكر فى المراكب ليرابطوا فى البنادر ، فإنها خالية ليس بها أحد من المصريين ، وفى كل يوم يخرج عساكر ، ثم يرجعون إلى المدينة ، وهم مستديمون على خطف الدواب وحمير البطيخ وجمال

---

(١) ٢١ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٢٦ مايو ١٨١٠ م . (٢) ٢٣ ربيع الثانى ١٢٢٥ هـ / ٢٨ مايو ١٨١٠ م .
(٣) منتصف بشنس ١٥٢٦ ق / ٢٣ مايو ١٨١٠ م .
(٤) جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٤ يونيه - ٣ يوليه ١٨١٠ م .
(٥) ١ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٤ يونيه ١٨١٠ م . (٦) ١ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٤ يونيه ١٨١٠ م .
(٧) ٥ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٨ يونيه ١٨١٠ م .

السقائين ، والباشا يعدى إلى بر مصر فى كل يومين أو ثلاثة ويطلع إلى القلعة ، ثم يعود إلى مخيمه فى الجيزة ، وامتنع سفر المسافرين قبلى وبحرى .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره[1] ، بلغ الباشا أنَّ الأمراء المرادية والإبراهيمية وغالب المصرية لهم مراسلات ومعاملات مع السيد سلامة النجارى وأخيه وابن أخيه ، وأنَّه يرسل لهم جميع ما يلزم من أسلحة وأمتعة وخلافها بواسطة بعض عملائهم من العربان خفية ، وأنَّه اشترى جملة أسلحة وخيول وثياب وغيرها ، وأخذ أشياء من بيوت بعضهم ، لأجل أن يرسل الجميع إليهم ، وأنَّ جميع ذلك موجود عند المذكور الآن ، ومن جملة أيام حضر مرسول من عندهم بدراهم ومعه حصان نعمان بيك وهو عنده أيضًا ، فأمر بجلبه وحبسه ، وهجم منزله وضبط أوراقه ، وضبط ما يوجد بها ، ففعلوا ذلك وحبسوا معه ابن أخيه وأزعجوهما ، وهجموا منزله فوجدوا فيه خمسة خيول وجملة أسلحة فطغوا وبغوا ونهبوا متاعه ، وبددوا شمل كتب أبيه ، ولم يجدوا مكاتبات من الأمراء القبالى ولا أثر لذلك ، بل إنَّهم وجدوا جوابا من أخيه السيد أحمد ، مضمونه : « إننا عند وصولنا إلى مكة المشرفة اشترينا أربعة خيول نجدية بها العلامات التى أفدتونا عنها ، وهى مرسولة لكم عسى أن تفوزوا بتقديمها لأفندينا » ، ولما سئل عن الأسلحة والخيول التى عنده ، قال : « إنَّ السلاح عندنا من قديم وله مدد ، ورؤيته تدل على ذلك ، وأما الخيول فمنها أربعة أحضرتها هدية لأفندينا ، وجاءت ضعيفة فأبقيتها عندى حتى تقوى وأقدمها إليه ، والحصان الخامس اشتريته لنفسى من رجل عميلنا ، اسمه عطوان أحمد من أهالى كفر حكيم ، أخبرنى أنَّه اشتراه من ناحية صول ، ولما رأيت فيه علامات الجودة ، وجاءت الأربعة خيول تركت ركوبه ، وأبقيته معها حتى أقدم الجميع لأفندينا » ، فعند ذلك توجه محمد أفندى طبل للباشا ، وفهمه براءة ذمة المذكور وأخبره بما صار وما وجدوه ، وما قاله المذكور ، وسعى فى إزالة هذه التهمة عنه ، وعرف أنَّ هذا الرجل مستقيم الأحوال ، وأنه من وقت توظيفه معه لم ينظر عليه ما يخالف ، وصدق عليه الحاضرون ، فلما ظهر للباشا كذب التهمة ، وتحقق براءته ، وأنَّه أحضر هذه الخيول هدية له أمر بإطلاقه من السجن ، واسترجاع ما نهبته الأعوان من منزله ، وتخلق عليهم بسبب ذلك ، ثم أمر بإحضاره وإحضار الخيول المهداة له ، فقبلها منه ، ثم سأله عن علامات الجودة ، وما يحمد فى الخيل وما يذم فيها ، فأجابه بأجوبة مفيدة استحسنها ، فأنعم عليه وضاعف مرتبه ، وأحال عليه نظر مشترى الخيول .

---

(١) ١٧ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٢٠ يونيه ١٨١٠ م .

وفيه [1] ، وصلت الأخبار بأن حسن باشا ، وصالح قوج ، وعابدين بيك ، وعساكر الأرنؤد ، وصلوا إلى ناحية صول ، والبرنبل ، فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البر ، ليمنعوا مرور المراكب فحاربوهم حتى أجلوهم عنها ، وملكوا المتاريس ، وقتل رجل من الأجناد وهو الذى كان محافظا على المتاريس ، يقال له إبراهيم أغا ، سقط به الجرف إلى البحر فأخذوه إليهم ومعه آخر وقتلوهما ، وقطعوا رؤوسهما وأرسلوهما صحبة المبشرين إلى الباشا ، فعلقوا الرأسين بباب زويلة ، ولما بلغ الأمراء المصريين أخذ المتاريس تأهبوا وساروا من أوّل الليل ، وهى ليلة السبت رابع عشره [2] ، مكمنين وكاتمين أمرهم ، فدهموا الأرنؤد من كل ناحية ، فوقع بينهم مقتلة عظيمة ، وأخذوا منهم عدة بالحياة ، وأخذوا منهم أشياء ، وكان حسن باشا وأخوه عابدين بيك صعدا بمراكبهما إلى قبلى المتاريس ، فاحترق من مراكب أخيه مركب ، وألقى من فيها بأنفسهم إلى البحر فمنهم من نجا ومنهم من غرق ، وأما مراكب حسن باشا فإنه ساعدها الريح أيضًا فسارت إلى ناحية بني سويف ، ثم إنَّ المصريين عدى منهم طائفة إلى شرق أطفيح ، وانتقل بواقيهم راجعين إلى ناحية الجيزة قريبا من عرضى الباشا .

وفى ليلة الخميس تاسع عشره [3] ، عدى الباشا إلى بر مصر وطلع إلى القلعة ، فلما كان الليل ، وصل طائفة من المصريين إلى المرابطين لخفارة عرضى الباشا واحتاطوا بهم وساقوهم إليهم ، فانزعج العرضى ، وحصل فيهم غاغة ، فأرسل طوسون باشا إلى أبيه ، فركب ونزل من القلعة فى سادس ساعة من الليل ، وعدى إلى البر الغربى ، ومما سمعته أن الباشا عندما نزل المعدية وسار بها فى البحر ، سمع واحدا يقول لآخر : « قدِّم حتى نقتل المصريين ونبدد شملهم » ، ويكرر ذلك ، فأرسل الباشا مركبا ، وأرسل بعض أتباعه بها لينظروا هذين الشخصين ، ولأى شىء نزلا البحر فى هذا الوقت ، فلما ذهبوا إلى الجهة التى سمع منها الصوت ، لم يجدوا أحدا ، وتفحصوا عنهما فلم يجدوهما ، فاعتقد من له اعتقاد منهم أنهما من الأولياء ، وأنَّ الباشا مساعد بأهل الباطن .

وفى عشرينه [4] ، ظهر التفاشل بين الأمراء المصريين ، وتبين أنَّ الذين كانوا

---

(١) ١٧ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٢٠ يونيه ١٨١٠ م .
(٢) ١٤ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ١٧ يونيه ١٨١٠ م .
(٣) ١٩ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٢٢ يونيه ١٨١٠ م .
(٤) ٢٠ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٢٣ يونيه ١٨١٠ م .

عدوا إلى البر الشرقى هم ثلاثة أمراء من الألفية ، وهم نعمان بيك ، وأمين بيك ، ويحيى بيك ، وذلك أنَّهم لما تصالحوا مع الباشا وأميرهم شاهين بيك ، وهو الرئيس المنظور إليه ، ومطلق التصرف فى معظم البر الغربى والفيوم ، يتحكم فيهم وفى طوائف العربان وأهالى البلاد والفلاحين بما يريد ، وكذلك أموال المعادى بناحية الأخصاص ، وإنبابة ، والخبيرى ، وغير ذلك ، وهو شىء له قدر كبير ، وزاد فيهم أيضًا أضعاف المعتاد ، فيأخذ جميع ذلك ويختص به ، وذلك خلاف إنعامات الباشا عليه بالمئين من الأكياس ، ويشترى المماليك والجوارى الحسان ، ولايدفع لهم ثمنا فيشكون إلى الباشا فيدفعه إلى اليسرجية من خزينته ، وهو منشرح الخاطر ، وإخوانه يتأثرون لذلك وتأخذهم الغيرة ويطمعون فى جانبه وهو يقصر فى حقهم ، ولايعطيهم إلا النزر مع المن والتضجر ، وفيهم من هو أقدم منه هجرة ، ويرى فى نفسه أنه أحق بالتقدم منه ، ولما دنت وفاة أستاذهم أحضر شاهين بيك ، وسلمه خزينته وأوصاه بأن يعطى لكل أمير من خشداشينه سبعة آلاف مشخص ، ولم يعطهم وطفق كلما أعطاهم شيئًا حسبه عليهم من الوصية ، حتى إذا أعطى اليلك والبنش لنعمان بيك مثلا يعطيه له أنقص من بنش أمين بيك نصف ذراع، ويقول : « هو قصير القامة » ، ونحو ذلك ، فيحقدون ذلك عليه ، ويتشكون من خسته وتقصيره فى حقهم ، ويعلم الباشا ذلك ، فلما نقض شاهين بيك عهده وانضم إلى المخالفين وخشداشينه المذكورون معه بالتنافر القلبى ، راسلهم الباشا سرا ووعدهم ومناهم ، بأنهم إذا حضروا إليه وفارقوا شاهين بيك الخائن المقصر فى حقهم ، أنزلهم منزلة شاهين بيك وزيادة ، واختص بهم اختصاصا كبيرا ، فمالت نفوسهم لذلك القول ، واعتقدوا بخسافة عقولهم صحته ، وأنَّهم إذا رجعوا إليه هذه المرة ونبذوا المخالفين اعتقد صداقتهم وخلوصهم ، وزاد قدرهم ومنزلتهم عنده ، وتذكروا عند ذلك ما كانوا فيه مدة إقامتهم بمصر من التنعم والراحة فى القصور التى عمروها بالجيزة ، والبيوت التى اتخذوها بداخل المدينة ، والرفاهية والفرش الوطيئة ، وتحركت غلمتهم للنساء والسرارى التى أنعم عليهم الباشا بها ، وقالوا : « ما لنا والغربة وتعب الجسم والخاطر والانزعاج ، والحروب والإلقاء بنفوسنا فى المهالك ، وعدم الراحة فى النوم واليقظة » ، فردوا الجواب بالإجابة ، وتمنوا عليه أيضًا ما حاك فى نفوسهم ، بشرط طرح المؤاخذة والعفو الكامل ، بواسطة من يعتمد صدقه ، فأجابهم لكل ما سألوه وتمنوه بواسطة مصطفى كاشف المورلى ، وهو معدود سابقا منهم وانفصل عنهم ، وانتمى إلى كتخدا بيك ، وصار من أتباعه ، فعند ذلك شرعوا فى مناكدة أخيهم شاهين بيك ومفارقته ، وعقدوا معه مجلسا ، وقالوا له : « قاسمنا فى ربع المملكة

التى خصونا به فى القسمة التى شرطوها ، فإننا شركاؤك ، فإن إبراهيم بيك قسم مع جماعته ، وكذلك عثمان بيك ، وعلى بيك أيوب » ، فقال لهم : « ما هو الذى ملكناه حتى أقاسمكم فيه » ، فقالوا : « أنت تجحف علينا وتختص بالشىء دوننا ، فإنك لما اصطلحنا معك مع الباشا ، وصرفك فى البر الغربى ، اختصيت بإيراده ، وهو كذا وكذا دوننا ، ولم تشركنا معك فى شىء ، ولولا أن الباشا كان يراعينا ويواسينا من عنده لمتنا جوعا ، فنحن لانرافقك ولانصحبك ولانحارب معك ، حتى تظهر لنا ما نقاتل معك عليه ، وتزايدوا معه فى المكالمة والمعاتبة والمفاقمة » ، ثم انفصلوا عنه ، ونقلوا خيامهم إلى ناحية البحر ، واعتزلوه وفارقوا عرضى الجميع ، فلما علم بذلك إبراهيم بيك الكبير تنكد خاطره ، وقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أىّ شىء هذا الفشل وخسافة العقل ، والتفرق بعد الالتئام والاجتماع » ، وذهب إليهم ليصالحهم ، ويضمن لهم كل ما طلبوه وطمعوا فيه عند تملكهم ، وقال لهم : « إن كنتم محتاجين فى هذا الوقت لمصرف ، أنا أعطيكم من عندى عشرين ألف ريال ، قسموها بينكم ، وعودوا لمضربكم معنا » ، فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بيك ، فرجع إبراهيم بيك يريد أخذ شاهين بيك إليهم فامتنع من ذهابه إليهم ، وقال : « أنا لست محتاجا إليهم وإنْ ذهبوا قلدت أمراء خلافهم ، وعندى من يصلح لذلك ، ويكون مطيعا لى دونهم ، فإنَّ هؤلاء يرون أنَّهم أحق منى بالرياسة » ، والجماعة شرعوا فى التعدية وانتقلوا إلى البر الشرقى، وحال البحر بين الفريقين ، ووصل إليهم مصطفى كاشف المنورلى بمرسوم الباشا ، واجتمعوا معه عند عبد الله أغا المقيم بناحية بنى سويف ، وضرب لهم شنكا ومدافع ، ثم إنهم عزموا على الحضور إلى مصر، فوصلوا فى يوم الخميس خامس عشرينه [1] ، وقابلوا الباشا وخلع عليهم وأعطاهم تقادم ، ورجعوا إلى مضربهم ناحية الآثار، وصحبتهم ستة عشر من كشافهم ، والجميع يزيدون عن المائتين ، وأنعم عليهم الباشا بمائتى كيس ، لكل كبير من الأربعة عشرون [2] كيسا ، ومائة وعشرون كيسا لبقيتهم ، واشتروا دورا واسعة ، وشرعوا فى تعميرها وزخرفتها على طرف الباشا ، فاشترى أمين بيك دار عثمان كتخدا المنفوخ بدرب سعادة من عتقائه ، ودفع له الباشا ثمنها ، وأمر لكل أمير منهم بسبعة آلاف ريال ليصرفها فيما يحتاج إليه فى العمارة واللوازم ، وحولهم بذلك

---

(١) ٢٥ جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٢٨ يونيه ١٨١٠ م .

(٢) كتب أمام هذه العبارة بهامش ، ص ١١٨ ، طبعة بولاق « قوله من الأربعة ، كذا بالنسخ هنا ، وتقدم أنهم ثلاثة : نعمان بيك ، وأمين بيك ، ويحيى بيك أ هـ مصحح » .

على المعلم غـالى ، ولما تحقق شاهين بيك انفـصالهم قلد أربعة من أتبـاعه إمرياتهم ، وأعطـاهم بيرقـا وخيولا ، وضـم لهم مماليك وطوائف ، وتمـت حيلـة الباشا الـتى أحكمهـا بمكـره ، وعنـد ذلك أشيع فى الإقليـم القبلى والبحرى تفرقهم وتفاشلهم ، ورجع من كان عازمـا من القبائل والعربـان عن الانضمام إليهم ، وطـلبوا الأمان من الباشا ، وحضروا إليه ودخلوا فى طاعته ، وأنـعم عليه وكساهم وكانت أهالى البلاد عندمـا حصلت هـذه الحادثة عصت عـن دفع الفرض والمـغارم ، وطردوا المعـينين ، وتعطل الحال ، وخصوصـا عندما شاع غلبة المصريين على الأرنؤد ، وتـفرقت عنهـم العربـان الـذين كانـوا انضموا إليـهم ، وأطاع المخالف والـعاصى والممانع ، وكـلها أسباب لبروز المقدور المستور فى غيبه سبحانه وتعالى .

وفى أواخره [١] ، حضر كثير من عسكر الدلاة من الجهة الشامية ، وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر كثيرون .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٥ [٢]

فى ثالثه يوم الخميس [٣] ، قلد الباشا ديوان أفندى نظـر مهمات الحرمين والتأهب لسفر الحجاز لمحاربة الوهابية ، وسكن ببيت قصبة رضوان ، كل ذلك مع توجه الهمة والاستعداد لمحاربة الأمراء المصريين والمذكورون بناحية قنطرة اللاهون .

وأما حسن باشا ، وصـالح قوج ، وعابدين بيك ، ومن معهـم ، فإنهم صعدوا إلى قبلى وملكوا البنادر إلى حد جرجا ، واستقر دبوس أغلى بمنية ابن خصيب .

وفى يوم السبت خامسه [٤] ، ارتحل الباشا بعساكره مـن الجيزة وانتقل إلى جزيرة الذهب ، ونودى فى المـدينة بخروج العساكر المـقيمين بمصر ولايتخلـف منهم أحد ، فزاد تعديهـم وخطفهم الحمير والجمال والـرجال الفلاحين وغيرهم ، لتسـخيرهم فى خدمتهم وفى المراكـب ، عوضا عن النوتية والملاحين الذين هربوا وتـركوا سفائنهم ، فكانوا يقبضون على كل من يصدفونـه يحبسونهم فى الحواصل ببولاق ، واتفق أنّهم حبسوا نحو ستين نفرا فى حاصل مظلـم وأغلقوه عليهم ، وتركوهم من غير أكل ولا

---

(١) اخر جمادى الأولى ١٢٢٥ هـ / ٣ يوليه ١٨١٠ م .

(٢) جمادى الثانية ١٢٢٥ هـ / ٤ يوليه - ١ أغسطس ١٨١٠ م .

(٣) ٣ جمادى الثانية ١٢٢٥ هـ / ٦ يوليه ١٨١٠ م ، كتب أمـام هـذه الفقرة بهامش ص ١١٨ ، طبـعة بولاق « تقليد ديوان أفندى نظر مهمات الحرمين ، وسفره لمحاربة الوهابية » .

(٤) ٥ جمادى الثانية ١٢٢٥ هـ / ٨ يوليه ١٨١٠ م .

شرب أياما حتى مـاتوا عن آخرهم ، وانحدر قبطان بولاق وأعوانـه فى طلب المراكب من بحر النيـل ، فكانوا يقبضون على المـراكب الواصلة إلى مصر بالغـلال والبضائع والسفار ، فيلقون شحنها التى لا حاجة لـهم بها على شطوط الملق ، ويأتون بالمراكب إلى بولاق والجيزة إلا أن يعطوهـم براطيل على تركهم الغلة بالمركـب حتى يصلوا بها إلى ساحل بولاق فيخرجونها منها ، ثـم يأخذون المركب وهكذا كان دأبهم بطول هذه المدة .

وفى عاشره (١) ، ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة المصريين .

وفى منتصفه (٢) ، ورد الخبر بأنَّ حسين بيك تابع حـسين بيك المعروف بالوشاش الألفى ، أراد الهـروب والمجئ إلى الباشا ، فقبـض عليه شاهين بيك وأهـانه وسلب نعمـته وكتفه ، وأركـبه على جمـل مغطى الرأس ، وأرسـله إلى الواحات فـاحتال وهرب ، وحضـر إلى عرضى البـاشا فأكرمه وأنـعم عليه ، وأعـطاه خمسين كـيسا ، واستمر عنده .

وفى خامس عشرينه (٣) ، وصلت الأخبار بأنَّ الباشـا ملك قناطر اللاهون ، وأن المصريين ارتحلوا إلى ناحية البهنسا ، ولم يقع بينهم كبير محاربة ، وأنَّ الباشا استولى على الـفيوم ، وأرسل البـاشا هدايا لمن فـى سرايته ، ولكـتخدا بيك ، مـن طرائف الفيوم مثل : ماء الورد والعنب والفاكهـة وغير ذلك ، واستولى على ما كان مودوعا للمصريين من الغلال بالفيوم .

وفى أواخره (٤) ، وصلت أخبار من نـاحية الشام بأن طائفة من الـوهابية جردوا جيشا إلى تلك الجهة ، فتوجه يوسف باشـا إلى المزيريب ، وحصن قلعتها ، واستعد إليهم بجيش وحاربوهـم وطردوهم ، ثم اضطربت الأخبار واختلفت الأقوال .

واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٢٥ (٥)

فيه (٦) ، وردت الأخبار بورود قزلار أغا من طرف الدولة وعلى يده أوامر وخلعة

---

(١) ١٠ جمادى الثانية ١٢٢٥ هـ / ١٣ يوليه ١٨١٠ م .

(٢) ١٥ جمادى الثانية ١٢٢٥ هـ / ١٨ يوليه ١٨١٠ م .

(٣) ٢٥ جمادى الثانية ١٢٢٥ هـ / ٢٨ يوليه ١٨١٠ م .

(٤) آخر جمادى الثانية ١٢٢٥ هـ / ١ أغسطس ١٨١٠ م .

(٥) رجب ١٢٢٥ هـ / ٢ أغسطس - ٣١ أغسطس ١٨١٠ م .

(٦) ١ رجب ١٢٢٥ هـ / ٢ أغسطس ١٨١٠ م ، كتب أمام هذه الفقـرة بهامش ص ١١٩ ، طـبعة بولاق « ورود قزلار أغا المسمى بعيسى أغا من طرف الدولة لمحاربة الوهابية » .

وسيف وخنجر لمحمد على باشا ، وصحبته أيضًا مهمات وآلات مراكب ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ، ومحاربة الوهابية ، وهو يسمى عيسى أغا ، وأنه طلع إلى ثغر سكندرية .

وفى يوم السبت عاشره [1] ، الموافق لسادس مسرى القبطى ، أوفى النيل ، وحصلت الجمعية ، وحضر كتخدا بيك والقاضى وباقى الأعيان ، وكسر السد بحضرتهم فى صبحها يوم الأحد ، وجرى الماء فى الخليج .

وفيه [2] ، وصل الأغا شبرا ، وعملوا له هناك شنكا وحراقات وتعليقات قبالة القصر الذى أنشأه الباشا بساحل شبرا ، وخرجوا لملاقاته فى صبحها بعد ثلاث ليال فى يوم الثلاثاء ثالث عشره [3] ، وعملوا له موكبا عظيما ، وطلع إلى القلعة ، وضربوا عند طلوعه إلى القلعة مدافع ، وهذا الأغا أسمر اللون حبشى مخصى لطيف الذات ، متعاظم فى نفسه ، قليل الكلام ، وفى حال مروره كان بجانبه شخصان ينثران الذهب والفضة الإسلامبولى على الناس المتفرجين ، وحضر صحبته وصحبة أتباعه السكة الجديدة التى ضربت بإسلامبول من الذهب والفضة ، وهى دراهم فضه خالصة سالمة من الغش ، زنة الدرهم منها درهم وزنى كامل ستة عشر قيراطا ، يصرف بخمسة وعشرين نصفا من الأنصاف المعاملة العددية المستعملة فى معاملة الناس الآن ، وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزنى ، تصرف بخمسين ، وكذلك قطعة مضروبة وزنها أربعة دراهم ، وتصرف بمائة نصف ، وقطعة وزنها ثمانية دراهم ، وتصرف بمائتين ، وكذلك ذهب فندقلى إسلامى ، يصرف بأربعمائة نصف ، وأربعين نصفا ، ونصفه، وربعه .

وفى يوم الجمعة سادس عشره [4] ، حضر الأغا المذكور إلى المسجد الحسينى ، وصلى به الجمعة ، وخرج وهو يفرق على الفقراء والمستجدين أرباع الفنادقة ، وأعطى خدمة الضريح وخدمة المسجد قروشا إسلامبولى فى صرر ، أقل ما فى الصرة الواحدة عشرة قروش .

وفى يوم السبت سابع عشره [5]، عملوا ديوانا بالقلعة ، وأحضروا خلعة وصلت صحبة الأغا المذكور ، أرسلها صحبة خازنداره ، وألبسوها لابن الباشا ، وجعلوه

---

(1) ١٠ رجب ١٢٢٥ هـ / ١١ أغسطس ١٨١٠ م .
(2) ١٠ رجب ١٢٢٥ هـ / ١١ اغسطس ١٨١٠ م .
(3) ١٣ رجب ١٢٢٥ هـ / ١٤ أغسطس ١٨١٠ م .
(4) ١٦ رجب ١٢٢٥ هـ / ١٧ اغسطس ١٨١٠ م .
(5) ١٧ رجب ١٢٢٥ هـ / ١٨ أغسطس ١٨١٠ م .

باشا ميرميران ، وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى إسماعيل ، وضربوا شنكا ومدافع ، وأشيع أنَّه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين ، وأرسلوا بذلك أوراقا للأعيان ، أخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب [1] .

وفى ليلة الثلاثاء عشرينه [2] ، أرسلوا تنابيه [3] ، إلى المشايخ بالحضور من الغد لأنفار عدوها ، ويكون حضورهم بالمشهد الحسينى ، فبات الناس فى ارتياب وظنون وتخامين ، فلما أصبح اليوم حضر شيخ السادات ، وهو الناظر على أوقاف المشهد إلى قبة المدفن ، وحضر الشيخ البكرى ، وأغلقوا باب القبة ، ومنعوا الناس من العبور بالمسجد متشوفين لثمرة هذا الاجتماع ، وكل من حضر من الأشياخ المشاهير أستأذنوا له ، وأدخلوه إلى القبة ، وحضر الشيخ الأمير والشيخ المهدى ، وتأخر حضور الشيخ الشرقاوى ، لكونه كان يبيت فى بولاق ، ثم حضر الأغا المذكور ودخل إلى القبة ، وصحبته ظرف من خشب ، ففتحه وأخرج منه لوحا طوله أزيد من ذراعين فى عرض ذراع ونصف ، مكتوب فيه البسملة بخط الثلث مموّه بالذهب ، وهى بخط يد السلطان محمود ، وتحتها طرة العلامة السلطانية ، فعلقوه على مقصورة المقام ، وقرأوا الفاتحة ، ودعا السيد محمد المنزلاوى ، خطيب المسجد بدعوات للسلطان ، ولما فرغ دعا أيضًا السيد بدر الدين المقدسى ، ثم خلع على المشايخ خلعا ، وفرق ذهبا ، ثم خرج الجميع وركبوا إلى دورهم ، فكان هذا الجمع جمع سخف لا غير .

وفى يوم الجمعة [4] ، ركب الأغا المذكور ، وذهب إلى ضريح السادات الوفائية بالقرافة صحبة الشيخ المتولى خلافتهم، فزار مقابرهم وعلق هناك لوحا أيضًا ، وفرق دراهم ، وخلع على الشيخ المذكور خلعة .

ومن الحوادث : البدعية من هذا القبيل ، أن عثمان أغا المتولى أغات مستحفظان سوّلت له نفسه عمارة مشهد الرأس ، وهو رأس زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ﷺ ، ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين وبذلك اشتهر ، ويقصدونه بالزيارة صبح يوم الأحد ، فلما كانت الحوادث ، ومجئ الفرنسيس أهملوا ذلك وتخرب المشهد وأهيلت عليه الأتربة ، فاجتهد عثمان أغا المذكور فى تعمير ذلك ، فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به سترا وتاجا ليوضعا على

---

(١) ١٠ رجب ١٢٢٥ هـ / ١١ أغسطس ١٨١٠ م . (٢) ٢٠ رجب ١٢٢٥ هـ / ٢١ أغسطس ١٨١٠ م .
(٣) تنابيه : بطاقات الدعوة . (٤) ٢٣ رجب ١٢٢٥ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨١٠ م .

المقام ، وأرسل فنادى على أهل الطرق الشيطانية المعروفين بالأشاير ، وهم السوقة وأرباب الحرف المرذولة الذين ينسبون أنفسهم لأرباب الضرائح المشهورين ، كالأحمدية ، والرفاعية ، والقادرية ، والبرهامية ، ونحو ذلك ، وأكد فى حضورهم قبل الجمع بأيام ، ثم إنَّهم اجتمعوا فى يوم الأحد خامس عشرينه [1] ، بأنواع من الطبول والزمامير والبيارق والأعلام والشراميط والخرق الملونة والمصبغة ، ولهم أنواع من الصياح والنياح والجلبة والصراخ الهائل حتى ملأوا النواحى والأسواق ، وانتظموا وساروا وهم يصيحون ويترددون ويتجاوبون بالصلوات والآيات التى يحرفونها ، وأنواع التوسلات ومناداة أشياخهم أيضًا المنتسبين إليهم بأسمائهم ، كقولهم برفع الصوت ، وضرب الطبلات ، وقولهم : « يا هو يا هو ، يا جباوى ، ويا بدوى ، ويا دسوقى ، ويا بيومى » ، ويصحبهم الكثير من الفقهاء والمتعممين ، والأغا المذكور راكب معهم ، والستر المصنوع مركب على أعواد وعليه العمامة مرفوعة بوسط الستر على خشب ، ومتحلقين حوله بالصياح والمقارع يمنعون أيدى الناس الذين يمدون أيديهم للتمسح والتبرك من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ، ويرمون الخرق والطرح ، حتى أنَّهم يرخونها من الطيقان بالحبال لتصل إلى ذلك التمثال ، لينالوا جزءًا من بركته ، ولم يزالوا سائرين به على هذا النمط ، والخلائق تزداد كثرة حتى وصلوا إلى ذلك المشهد ، خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح حيث المجراة ، وصنع فى ذلك اليوم والليلة أطعمة وأسمطة للمجتمعين ، وباتوا على ذلك إلى ثانى يوم [2] .

وفيه [3] ، بعث عيسى أغا الواصل نجيب أفندى إلى الباشا يخبره بحضوره وبالغرض الذى حضر من أجله ويستدعيه للمجئ .

وفى يوم الجمعة غايته [4] ، وردت أخبار بوقوع حرابة بين الباشا والمصريين ، وقتل بين الفريقين مقتلة عظيمة عند دلجة [5] ، والبدرمان [6] ، وكانت الغلبة للباشا على المصريين ، وأخذوا منهم أسرى ، وحضر إلى الباشا جماعة من الأمراء الألفية بأمان ، وهرب الباقون وصعدوا إلى قبلى ، فعملوا لذلك اليوم شنكا ومدافع ثلاثة أيام كل يوم ثلاث مرات .

---

(١) ٢٥ رجب ١٢٢٥ هـ / ٢٦ أغسطس ١٨١٠ م .　(٢) ٢٥ رجب ١٢٢٥ هـ / ٢٦ أغسطس ١٨١٠ م .

(٣) ٢٥ رجب ١٢٢٥ هـ / ٢٦ أغسطس ١٨١٠ م .　(٤) غاية رجب ١٢٢٥ هـ / ٣١ أغسطس ١٨١٠ م .

(٥) دلجة : قرية قديمة ، اسمها القبطى (Btelke) ، وهى احدى قرى مركز ديروط ، محافظة أسيوط .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٤٦.

(٦) البدرمان : قرية قديمة ، كانت تسمى « برمنت » ، غُيِّر إسمها فى الروك الصلاحى إلى « البدرمان » ، وهى إحدى قرى مركز ملوى ، محافظة أسيوط .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٦١.

واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٥ [١]

فيه [٢] ، حضر الباشا وقت الغروب فى تطريدة وصحبته جماعة قليلون ، وطلع من البحر من برّ طرا والمعيصرة ، وركب من هناك خيولا من خيول العرب ، وطلع إلى القلعة على حين غفلة ، فضربوا فى ذلك الوقت مدافع إعلاما بحضوره .

وفى ثانى ليلة [٣] ، صعد إليه عيسى أغا المذكور عند الغروب وقابله وسلم عليه.

وفى يوم الإثنين ثالثه [٤] ، عمل الباشا ديوانا وركب ذلك الأغا من بيت عثمان أغا الوكيل الكائن بدرب الجماميز فى موكب وطلع إلى القلعة ، وقرأ المرسوم الذى وصل صحبته بالمعنى السابق ، وهو الأمر بالخروج إلى الحجاز ولبس الباشا الخلعة والسيف بحضرة الجمع ، وضربوا مدافع كثيرة عقيب ذلك .

وفيه [٥] ، وردت الأخبار بمجئ يوسف باشا والى الشام إلى ثغر دمياط ، وكان من خبر وروده على هذه الصورة ، أنه لما ظهر أمره وأتته ولاية الشام ، فأقام العدل وأبطل المظالم ، واستقامت أحواله ، وشاع أمر عدله النسبى فى البلدان ، فثقل أمره على غيره من الولاة وأهل الدولة لمخالفته طرائقهم ، فقصدوا عزله وقتله ، فأرسلوا له ولوالى مصر أوامر بالخروج إلى الحجاز فحصل التوانى .

وفى أثناء ذلك ، حضر فرقة من العربان الوهابيين ، وخرج إليهم يوسف باشا المذكور ، وحصن المزيريب كما تقدم ، ورجع إلى الشام ، وتفرقت الجموع ، ثم وصل عيسى أغا هذا وعلى يده مراسيم بولاية سليمان باشا على الشام ، وعزل يوسف باشا ، وأشاعوا ذلك ، وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا فى جمع ، وخرج يوسف باشا بجموعه أيضًا ، فتحاربا فانهزم يوسف باشا ونزل بالمزة ، واستعجل الرجوع إلى الشام ، فقامت عليه عساكره ونهبوا متاعه ، وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا ، وتفرقوا عنه ، فما وسعه إلا الفرار ، وترك ثقله وأمواله ونزل فى مركب ومعه نحو الثلاثين نفرا ، وحضر إلى مصر ملتجئا لواليها محمد على باشا ، لأن بينهما صداقة ومراسلات ، فلما وصلت الأخبار بوصوله أرسل إلى ملاقاته طاهر باشا ، وحضر صحبته إلى مصر ، وأنزله بمنزل مطل على بركة الأزبكية ، وعين له ما يكفيه ، وأرسل إليه هدايا وخيولا وما يحتاج إليه .

---

(١) شعبان ١٢٢٥ هـ / ١ سبتمبر - ٣٠ سبتمبر ١٨١٠ م . (٢) ١ شعبان ١٢٢٥ هـ / ١ سبتمبر ١٨١٠ م .
(٣) ٢ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢ سبتمبر ١٨١٠ م . (٤) ٣ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٣ سبتمبر ١٨١٠ م .
(٥) ٣ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٣ سبتمبر ١٨١٠ م .

وفى هذه الأيام ، اختل سد تـرعة الفرعونية وانفتح منه شـرم واندفع فيه الماء ، فضج الـناس ، وتعين لسدهـا ديوان أفندى ، وأخذ مـعه مراكب وأحجارا وأخـشابا وغاب يومين ، ثم رجـع واتسع الخرق ، واستمر عمر بـيك تابع الأشقر مقيمـا عليها لخفارتهـا ، وليمنع مرور المراكـب ، ويقوى ردمها لئـلا تنحرها المياه ، فـيزداد اتساع الخرق .

وفى هذه الأيام ، توقفت زيادة النيل فكان يزيـد من بعد الوفاء قليلا ، ثم ينقص قليـلا ، ثم يرجع النقـص وهكذا ، فأشار الـبعض بالاجتـماع للاستسقـاء بالأزهر ، فتجمع الـقليل ، ثم تفرقوا وذلك يوم الـثلاثاء رابعه [1] ، وخرج النصـارى الأقباط يستسقـون أيضًا ، واجتمعوا بالروضة وصحـبتهم القساقسة والرهـبان ، وهـم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير فى تجمل زائـد ، وصحبتهم طائفة من أتباع الباشا بالعصى المـفضضة ، وعملوا فى ذلك الـيوم سيانة [2] ، وحانات وقهـوات وأسمطة وسكر دانات [3] ، عند جميز العبد ، ويقولون : « إن النيل لما توقفت زيادته فى العام الذى قبل العام الماضى ، وخرج الناس يستـسقون بجامع عمرو ، وخرج النصارى فى ثانى يوم ، فزاد النيـل تلك الليلة » ، وذلك لا أصل له على أنَّه لا اسـتغراب للزيادة فى أوانها ، وهذه الأيام أيضًا أواخر مسرى وأيام الـنسىء ، وفيها قوة الزيادة ، وأيام النوروز .

وفى يوم الـسبت [4] ، خرج المشـايخ والناس إلـى جامع عمـرو بمصر القـديمة ، وأرسلوا تلك الـليلة فجمعوا الأطفال مـن مصر وبولاق ، فحضر الكثـير ، وخطبوا وصلوا ، وأضر بالمجتمعين الجوع فى ذلك اليوم ، ولم يجدوا ما يأكلونه .

وفى ثانى يوم [5] ، نقص النيل واستمر ينقص فى كل يوم .

وفى يوم الخميس ثالث عشره [6] ، حضرت العساكر والتجريدة إلى نواحى الآثار والبساتين ، ودخـلوا فى صبحية يوم الجمـعة رابع عشره [7] ، بطموشهم وحملاتهم

---

(١) ٤ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٤ سبتمبر ١٨١٠ م .

(٢) سيانة : احتفالا أو استعراضا ، فيه ألعاب سحرية .

(٣) سكردانات : أى صنعُوا الحلوى من السكر فى أوان كبيرة .

(٤) ٨ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٨ سبتمبر ١٨١٠ م . (٥) ٩ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٩ سبتمبر ١٨١٠ م .

(٦) ١٣ شعبان ١٢٢٥ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨١٠ م . (٤) ١٤ شعبان ١٢٢٥ هـ / ١٤ سبتمبر ١٨١٠ م .

حتى ضاقت بهم الأرض ، وحضر صحبتهم الكثير من الأجناد المصرية أسرى ومستأمنين .

وفيه [1] ، حضر يوسف باشا المنفصل عن الشام ، ونزل بقصر شبرا ، وضربوا لحضوره مدافع ، ثم انتقل إلى الأزبكية وسكن هناك كما تقدم ذكره .

وفى خامس عشرينه [2] ، زاد النيل ورجع ما كان انتقصه وزاد على ذلك نحو قيراطين ، وثبت إلى أواخر توت [3] واطمأن الناس .

وفى غايته [4] ، سافر عيسى أغا بعدما قبض ما أهداه إليه الباشا له ولمخدومه من الهدايا والأكياس ، والتحف والسكاكر والشرابات والأقمشة الهندية وغير ذلك ، ونزل لتشييعه عثمان أغا الوكيل ، وسافر صحبته نجيب أفندى .

وفى أواخره [5] ، سافر سليمان بيك البواب لمصالحة الأمراء المنهزمين على يد حسن باشا .

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة ١٢٢٥ [6]

فى سابع عشره [7] ، قبض الباشا على المعلم غالى كبير المباشرين الأقباط ، والمعلم فلتيوس ، والمعلم جرجس الطويل ، والمعلم فرنسيس أخى المعلم غالى ، وباقى أعيان المباشرين ، فأما غالى وفلتيوس فنزلوا بهما تلك الليلة إلى بولاق ، وأنزلوهما فى مركب ليسافرا إلى دمياط ، وحبسوا الباقين بالقلعة ، وختموا على دورهم ، ووجدوا عند المعلم غالى نيفا وستين جارية بيضاء وسوداء وحبشية ، ثم قلدوا المباشرة إلى المعلم منصور ضريمون الذى كان معلم ديوان الجمرك ببولاق سابقا ، والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشاركان معه ، ثم أنزلوا النصارى المعتقلين من القلعة إلى بيت إبراهيم بيك الدفتردار بالأزبكية ، وفيهم جرجس الطويل ، وأخوه حنا ، وجريس ، وفرنسيس ، أخو غالى ، ويعقوب كاتب وغيرهم ، وأشاعوا عمل حسابهم ، ثم دار الشغل وسعت الساعون فى المصالحة على غالى ورفقائه إلى أن تمّ الأمر على أربعة وعشرين ألف كيس ، ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر ، وذلك فى آخر رمضان [8] .

---

(١) ١٤ شعبان ١٢٢٥ هـ / ١٤ سبتمبر ١٨١٠ م .. (٢) ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م .

(٣) آخر توت ١٥٢٦ ق / ٩ أكتوبر ١٨١٠ م . (٤) غاية شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٠ م .

(٥) آخر شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٠ م .

(٦) رمضان ١٢٢٥ هـ / ٣٠ سبتمبر - ٢٩ أكتوبر ١٨١٠ م .(٧) ١٧ رمضان ١٢٢٥ هـ / ١٦ أكتوبر ١٨١٠ م .

(٨) آخر رمضان ١٢٢٥ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٨١٠ م .

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٥ [1]

فيه [2] ، نزلت طبلخانة الباشا إلى بيت المعلم غالى ، واستمروا يضربون النوبة التركية ثلاثة أيام العيد ببيته ، وكذلك الطبل الشامى وباقى الملاعيب ، وترمى لهم الخلع والبقاشيش .

وفى سابعه [3] ، حضر المعلم غالى وطلع إلى القلعة ، وخلع عليه الباشا خلع الرضا ، وألبسه فروة سمور وأنعم عليه ، ونزل له عن أربعة آلاف كيس من أصل الأربعة وعشرين ألف كيس المطلوبة فى المصالحة ، ونزل إلى داره وأمامه الجاويشية والأتباع بالعصى المفضضة ، وجلس بدكة داره ، وأقبل عليه الأعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه ، والتهنئة له بالقدوم المبارك ، وأما المعلم منصور ضريمون فجبروا خاطره بأن قيدوه بخدمه بيت إبراهيم بيك ابن الباشا الدفتردار، وقيدوا رفيقيه فى خدم أخرى .

وفى يوم الخميس عاشر شوّال [4] ، حضر شاهين بيك الألفى ومن معه إلى مصر ، ونصب وطاقه بناحية البساتين ، وذلك بعد أنْ تمموا الصلح على يد حسن باشا بواسطة سليمان بيك البوّاب ، فلما استقر بخيامه وعرضيه ببر مصر ، حضر مع رفقائه وقابل الباشا وهو ببيت الأزبكية ، فبش فى وجهه ، فقال شاهين بيك : « نرجو سماح أفندينا وعفوه عما أذنبناه » ، فقال : « نعم من قبل مجيئكم بزمان ، وهو مصر لهم على كل كريهة » ، وأخلى له بيت محمد كتخدا الأشقر بجوار طاهر باشا بالأزبكية وفرشوه ونظموه ، ووعده برجوعه إلى الجيزة فى مناصبه كما كان ، حتى يتحول منها محرم بيك صهر الباشا ، لأنه عند انتقال شاهين بيك من الجيزة عدى إليها محرم بيك بحريمه ، وهى ابنة الباشا ، وسكن القصر بعسكره ، وكذلك أسكن كبار أتباعه وخواصه القصور التى كان يسكنها الألفية ، وكذلك البيوت والدور فوعده بالرجوع إلى محله ، وظن بخسافة عقله صحة ذلك ، وحضر صحبة شاهين بيك جملة من العسكر والدلاة وغيرهم ، واستمرت حملاتهم وأمتعتهم تدخل إلى المدينة أرسالا فى عدة أيام .

وفى يوم الجمعة [5] ، عمل الباشا ديوانا بالأزبكية فى بيت ابنه إبراهيم بيك

---

(١) شوال ١٢٢٥ هـ / ٣٠ أكتوبر - ٢٧ نوفمبر ١٨١٠ م . (٢) ١ شوال ١٢٢٥ هـ / ٣٠ أكتوبر ١٨١٠ م .
(٣) ٧ شوال ١٢٢٥ هـ / ٥ نوفمبر ١٨١٠ م . (٤) ١٠ شوال ١٢٢٥ هـ / ٨ نوفمبر ١٨١٠ م .
(٥) ١١ شوال ١٢٢٥ هـ / ٩ نوفمبر ١٨١٠ م .

الدفتردار ، واجتمع عنده المشايخ والوجاقلية وغيرهم ، فتكلم الباشا ، وقال : « يا أحبابنا لايخفاكم احتياجي إلى الأموال الكثيرة ، لنفقات العساكر ، والمصاريف والمهمات والإيراد لايكفى ذلك ، فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والأطيان ، وقد أجحف ذلك بأهاليها حتى جلت وخربت القرى ، وتعطلت المزارع وبارت الأطيان ، ولايمكننى رفع ذلك بالكلية ، والقصد أنْ تدبروا لنا تدبيرا وطريقا لتحصيل المال من غير ضرر ولا إجحاف على أهل القرى ، وتعود مصلحة التدبير عليهم وعلينا ، فقال الجميع : « الرأى لك » ، فقال : « إنى فوّضت الرأى فى تدبير الأمور السابقة لجماعة الكتبة ، وهم الأفندية والأقباط ، فوجدت الجميع خائنين ، وإنى دبرت رأيا لاتدخله التهمة ، وهو أن من المعلوم أن جميع الحصص لها سندات ، ومعين بها مقدار الميرى والفائظ ، فتقرر على كل حصة قدر ميريها وفائظها ، إما سنة أو سنتين فلا يضر ذلك بالملتزمين ، ولا بالفلاحين ، فانتبذ أيوب كتخدا الفلاح ، وهو كبير الاختيارية ، وقال : « لكن يا أفندينا إلى مساواة الناس ، فإن حصص كثير من المشايخ مرفوع ما عليها من المغارم ، ويرجع تتميم الغرامة على حصص الشركاء » ، فحنق من كلامه الشيخ الشرقاوى ، وقال له : « أنت رجل سوء » ، وثار عليه باقى المشايخ الحاضرين ، وزاد فيهم الصياح ، فقام الباشا من المجلس وتركهم وذهب بعيدا عنهم ، وهم يترادون ويتشاجرون ، فأرسل إليهم الباشا الترجمان ، وقال : « إنكم شوشتم على الباشا ، وتكدر خاطره من صياحكم » ، فسكتوا وقاموا من المجلس وذهبوا إلى دورهم ، وهم منفعلون المزاج ، ولعل كلام أيوب كتخدا وافق غرض الباشا أو هو بإغرائه ، ثم شرعوا فى تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات ، وكان فى العزم أولا أنْ يجعلها على ذمم الأطيان ، شارقا وغارقا بما فيها من الأوسية التى للملتزمين ، والأرزاق ، ومسموح مشايخ البلاد ، وذكر ذلك فى المجلس ، فقيل له : إنَّ الأوسية معايش الملتزمين ، والرزق قسمان ، قسم داخل فى زمام أطيان البلد ، ومحسوب فى مساحة فلاحتها ، وقسم خارج عن زمامها ، والقسمان من الإرصادات على الخيرات ، وعلى جهات البر والصدقة ، والمساجد والأسبلة والمكاتب والأحواض لسقى الدواب وغير ذلك ، فيلزم منه إبطال هذه الخيرات وتعطيلها ، فقال الباشا : « إنَّ المساجد غالبها متخرب ومتهدم ، فقالوا له : « عليك بالفحص والتفتيش ، وإلزام المتولى على المسجد بعمارته ، إذا كان إيراده رائجا ، إلى آخر ما قيل » .

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه (1) قتلوا شخصا من الأجناد الألفية ، وقطعوا رأسه بباق الخرق ، بسبب أنه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٥ (2)

فى ثانيه (3) سافر الباشا إلى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الأبراج والأسوار ، ويبيع الغلال التى جمعها من البلاد فى الفرض التى فرضت عليهم ، وكذلك ما أحضره من البلاد القبلية ، فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال ، وأرسلها إلى الإسكندرية ليبيعها على الإفرنج ، فباع عليهم أزيد من مائتى ألف أردب كل أردب بمائة قرش ، وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشا ، وهو لم يشترها ، ولم تكن عليه بمال ، بل أخذها من زراعات الفلاحين من أصل ما فرضه عليهم من الظلم ، مع تطفيف الكيل عليهم، وإلزامهم بكلفة شيله وأجرة نقله إلى المحل الذى يلزمونهم بوضعه فيه ، وأخذ من الإفرنج فى ثمنه أصناف النقود من الذهب المشخص البندقى والمجر والفرانسة ، وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة ، والدودة التى يقال لها القرمز ، والقزدير ، وأصناف البضائع الإفرنكية ، وأحدث وهو بالإسكندرية أحداثا ومكوسا .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الأحد سنة ١٢٢٥ (4)

فى ثانى عشرينه (5) ، حضر الباشا من الإسكندرية إلى مصر وذلك يوم الجمعة(6) أواخر النهار ، وحضر فى العشية إلى بيت الأزبكية وبات عند حريمه ، وطلع فى صبح يوم السبت (7) ، إلى القلعة ، وضربوا مدافع كثيرة لحضوره ، وبذلك علم الناس حضوره ، وانقضت السنة بحوادثها التى قصصنا بعضها ، إذ لايمكن استيفاؤها للتباعد عن مباشرة الأمور ، وعدم تحققها على الصحة وتحريف النقلة ، وزيادتهم ونقصهم فى الرواية ، فلا أكتب حادثة حتى أتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار ، وغالبها من الأمور الكلية التى لاتقبل الكثير من التحريف ، وربما أخرت قيد حادثة حتى أثبتها ويحدث غيرها وأنساها ، فأكتبها فى طيارة حتى أقيدها فى محلها إن شاء

(١) ٢١ شوال ١٢٢٥ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨١٠ م .
(٢) ذى القعدة ١٢٢٥ هـ / ٢٨ نوفمبر - ٢٧ ديسمبر ١٨١٠ م .
(٣) ٢ ذى القعدة ١٢٢٥ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨١٠ م .
(٤) ذى الحجة ١٢٢٥ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨١٠ م - ٢٥ يناير ١٨١١ م .
(٥) ٢٢ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ / ١٨ يناير ١٨١١ م .   (٦) ٦ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ / ٢ يناير ١٨١١ م .
(٧) ٧ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ / ٣ يناير ١٨١١ م .

الله تعالى عنـد تهذيب هذه الكتابـة ، وكل ذلك من تشويش البـال ، وتكدر الحال ، وهمٌ العيال ، وكثرة الاشتغال ، وضعف البدن ، وضيق العطن .

ومن حوادثها [١] ، إحداث عدة مكوس زيادة على مـا أحدث على الأرز والكتان والحرير والحطب والملح وغـير ذلك ، مما لم يصل إلينا خبره حتـى غلت أسعارها إلى الغاية ، وكان سعر الدرهـم الحرير نصفين ، فصار بخمسة عشر نـصفا ، وكنا نشترى القنطار من الحطـب الرومى فى أوانه بثلاثين نصفا ، وفى غير أوانـه بأربعين نصفا ، فصـار بثلـثمائة نصف ، وكان الملح يأتـى من أرضه بثمن القفاف التـى يوضع فيها لا غير ، ويبيعه الـذين ينقلونه إلى ساحل بولاق الأردب بعشريـن نصفا ، وأردبه ثلاثة أرادب ، ويشتريه المـتسبب بمصر بذلك الـسعر لأن أردبه أردبان ، ويبيعـه أيضًا بذلك السعر ، ولكـن أردبه واحد ، فالتفاوت فى الـكيل لا فى السعر ، فلـما احتكر صار الكيـل لايتفاوت ، وسعـره الآن أربعمائة وخـمسون نصـفا ، والتزم به مـن التزم ، وأوقف رجاله فى موارده البـحرية ، لمنع من يأخذ منه شيئًا من المـراكب المارة بالسعر الرخيص من أربابه ، ويذهب به إلى قبلى أو نحو ذلك .

ومنها : وهـى من الحوادث الغريبة أنه ظـهر بالتل الكائـن خارج رأس الصوّة [٢] المعروفة الآن بالحطابـة ، قبالة الباب المعروف بباب الوزير ، فـى وهدة بين التلول نار كامنة بداخل الأتـربة ، واشتهر أمرها ، وشاع ذكرها ، وزاد ظـهورها فى أواخر هذه السنة [٣] ، فيظـهر من خلال التـراب ثقب ويخرج مـنها الدخـان بروائح مختـلفة ، كرائحة الخرق البالية وغير ذلك ، وكثر ترداد الناس للإطلاع عليها أفواجا أفواجا نساء ورجالا وأطـفالا ، فيـمشون علـيها وحـولها ، ويـجدون حرارتهـا تحت أرجلـهم ، فيحفرون قلـيلا ، فتظهر النار مثل نـار الدمس ، فيقربون منها الخـرق والحلفاء ونحو ذلك ، فـتـدق فيها النار وتـورى ويصعد منها الـدخان ، وإن غوّصوا فيهـا خشبة أو قصبة احترقت ، ولما شـاع ذلك وأخبروا بها كتخدا بيك ، نزل إليهـا بجمع من أكابره وأتباعه وغيرهم وشاهد ذلك ، فأمر والى الشـرطة بصب الماء عليها وإهالة الأتربة من أعالى التل فوقها فـفعلوا ذلك ، وأحضروا السقائين وصبوا عليهـا بالقرب ماء كثيرا ، وأهالوا عليـها الأتربة ، وبعد يومين صارت الـناس المنجمعة والأطفـال يحفرون تحت

---

(١) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ١٢٤ ، طبعة بولاق « ذكر جملة حوادث » .

(٢) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ١٢٥ ، طبعة بولاق « قوله الصوة ، هى ما غلـظ وارتفع من الأرض كـما فى القاموس أ هـ » .

(٣) آخر ١٢٢٥ هـ / ٢٥ يناير ١٨١١ م .

ذلك الماء المصبوب قليلا فتظهر النار دخانـها ، فيقربون منها الخرق والحلفاء واليدكات فتورى وتـدخن ، واستمر النـاس يغدون ويروحــون للفرجة عـليها نحو شـهرين ، وشاهدت ذلك فى جملتهم ثم بطل ذلك .

ومنها : أنَّه نودى فى أواخر السنة [1] ، على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفـا ، وكان يصرف بمائتين وخمسين مـن زيادات الناس فى مـعاملاتهم ، فـكانوا ينادون بالنقص ورجوعها إلى ما كان قبل الزيادة ، ويعاقبون على التزايد .

وفـى هـذه الأيام نودى بالزيادة ، وذلك بحسب الأغراض والمقاصد والمقتضيات، ومراعاة مصالح أنفسهم لا المصلحة العامة ، هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناداة ، وكذلك نـقصوا وزن القروش وجعلوا القرش على الـنصف من القرش الأوّل ، ووزنه درهمين ، وكان أربعة دراهم ، وفى الدرهمين ربع درهم فضة ، هذا مع عدم الفـضة العددية ووجودها بـأيدى الناس والصيـارف ، وإذا أراد إنسان صرف قرش واحد من غـيره صرفه بنقـص ربع العشر ، وأخذ بـدله قطعا صغـارا إفرنجية ، يصرف منهـا الواحد باثنى عشر ، وأخرى بـعشرة ، وأخرى بخمسة ، ولكـنها جيدة العــيار ، وهم الآن يجمعـونها ويضربونـها بما يزاد عليـها من النحاس ، وهـو ثلاثة أرباعها قروشا ، لأنَّ القطعة الصغيرة التى تصرف بخمسة أنصاف ، وزنها درهم واحد وزنى ، فيصيـرونها أربعة قروش ، فتضـاعف الخمسة إلى ثمانـين ، وكل ذلك نقص واختلاس أموال الناس من حيث لايشعرون .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر [2]

فمات الفقـيه الفريد ، والعلامة المفـيد ، الشيخ على الحصـاوى الشافعى ، ولا أعلم له ترجمة، وإنما رأيته يقرر الدروس ، ويفيد الطلبة فى الفقه والمعقول ، ويشهد الفضلاء بفضله ورسوخه ، وكان على طريـقة المتقدمين فى الانقطاع للإفادة ، وعدم الرفاهية والـرضا بما قسم له ، منعكفـا فى حاله ، وتمرض بالبرودة ، ولم يـنقطع عن ملازمة الدروس ، حتى توفى فى منتصف جمادى الثانية من السنة [3] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن فى تربة المجاورين بالصحراء .

---

(1) آخر ١٢٢٥ هـ / ٢٥ يناير ١٨١١ م .

(2) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ١٢٥ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

(3) ١٥ جمادى الثانية ١٢٢٥ هـ / ١٨ يوليه ١٨١٠ م .

ومات المعلم جرجس الجوهرى القبطى ، كبير المباشرين بالديار المصرية ، وهو أخو المعلم إبراهيم الجوهرى ، ولما مات أخوه فى زمن رياسة الأمراء المصرية ، تعين مكانه فى الرياسة على المباشرين والكتبة ، وبيده حل الأمور وربطها فى جميع الأقاليم المصرية ، نافذ الكلمة ، وافر الحرمة ، وتقدم فى أيام الفرنسيس ، فكان رئيس الرؤساء ، وكذلك مجئ الوزير والعثمانيين ، وقدموه وأجلسوه لما يسديه إليهم من الهدايا والرغائب ، حتى كانوا يسمونه جرجس أفندى ، ورأيته يجلس بجانب محمد باشا خسرو ، وبجانب شريف أفندى الدفتردار ، ويشرب بحضرتهم الدخان وغيره ، ويراعون جانبه ويشاورونه فى الأمور ، وكان عظيم النفس ، ويعطى العطايا ، ويفرق على جميع الأعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والأرز والكساوى والبن ، ويعطى ويهب ، وبنى عدة بيوت بحارة الونديك [1] والأزبكية ، وأنشأ دارا كبيرة وهى التى يسكنها الدفتردار الآن ، ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين عند قنطرة الدكة ، وكان يقف على أبوابه الحجاب والخدم ، ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالى ، وتداخل فى هذا الباشا ، وفتح له الأبواب لأخذ الأموال ، والمترجم يدافع فى ذلك ، وإذا طلب الباشا طلبا واسعا من المعلم جرجس ، يقول له : « هذا لايتيسر تحصيله » ، فيأتى المعلم غالى فيسهل له الأمور ، ويفتح له أبواب التحصيل ، فضاق خناق المترجم وخاف على نفسه ، فهرب إلى قبلى ، ثم حضر بأمان كما تقدم ، وانحط قدره ، ولازمته الأمراض ، حتى مات فى أواخر شعبان[2] ، وانقضى ، وخلا الجوّ للمعلم غالى ، وتعين بالتقدم ، ووافق الباشا فى أغراضه الكلية والجزئية ، وكل شىء له بداية وله نهاية ، والله أعلم .

واستهلت سنة ست وعشرين ومائتين وألف [3]

فكان أوّل المحرّم يوم السبت[4] ، فيه أظهر الباشا الاهتمام بأمر الحجاز والتجهيز للسفر ، وركب فى ليلة الجمعة سابعه [5] إلى السويس ، وسافر صحبته السيد محمد المحروقى ، وقام باحتياجاته ولوازمه ، فلما وصل إلى السويس حجز الداوات التى وصلت بالمحمل ، وسفر عدة من المراكب التى أنشأها ، ليقبضوا على الداوات والسفن التى بالأساكل وحوزها ، واستولى على البن الذى وجده ببندر السويس

---

(١) حارة الونديك : لم نعثر على تعريف بها .

(٢) آخر شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٠ م . (٣) ١٢٢٦ هـ / ٢٦ يناير ١٨١١ - ١٥ يناير ١٨١٢ م .

(٤) ١ محرم ١٢٢٦ هـ / ٢٦ يناير ١٨١١ م . (٥) ٧ محرم ١٢٢٦ هـ / ١ فبراير ١٨١١ م .

للتجار ، فلما وصل خبر ذلك إلى مصر ، فغلا سعر البن وزاد حتى وصل إلى خمسين ريالاً فرانسة ، بعد أن كان بستة وثلاثين ، عنها اثنا عشر ألف فضة وخمسمائة نصف فضة .

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأحد سنة ١٢٢٦ (١)

فى ثانيه يوم الإثنين (٢) ، حضر الباشا من السويس إلى مصر فى سادس ساعة من الليل ، فضربوا فى صبحها عدة مدافع لحضوره ، وقد حضر على هجين بمفرده ، ولم يصحبه إلاَّ رجل بدوى على هجين أيضًا ، ليدله على الطريق ، وقطع المسافة فى إحدى عشرة ساعة ، وحضر من كان بصحبته فى ثانى يوم (٣) ، وهم مجدون السفر وحضر السيد محمد المحروقى بحموله فى اليوم الثالث (٤) ، وأخبروا أنَّ الباشا أنزل من ساحل السويس خمسة مراكب من المراكب التى أنشأها باحتياجاتها ولوازمها وعساكرها ، ووجههم إلى ناحية اليمن ، ليقبضوا على ما يجدونه من المراكب ، وأنَّ الصناع مجتهدون فى العمل فى مراكب كبار ، لحمل الخيول والعساكر واللوازم .

وفيه(٥) ، حضر صالح أغا قوج ، حاكم أسيوط ، وتناقلت الأخبار عن الأمراء المصريين القبليين ، بأنهم حضروا إلى الطينة ، ورجعوا إلى ناحية قنا وقوص ، وخرج إليهم أحمد أغا لاظ وتحارب معهم ، وقتل من عساكره عدة وافرة .

وفيه (٦) ، قلد الباشا ابنه طوسون باشا صارى عسكر الركب الموجه إلى الحجاز ، وأخرجوا جيشهم إلى ناحية قبة العزب ، ونصبوا عرضيا وخياما ، وأظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة ، وعدم التوانى ، ونوه بتسفير عساكر لناحية الشام لتمليك يوسف باشا لمحله ، وصارى عسكرهم شاهين بيك الألفى ، ونحو ذلك من الإيهامات ، وطلب من المنجمين أن يختاروا وقتا صالحا لإلباس ابنه خلعة السفر ، فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة (٧) ، فلما كان يوم الخميس رابعه (٨) ، طاف الآى چاويش بالأسواق على صورة الهيئة المصرية القديمة فى المناداة على المواكب العظيمة ، وهو لابس الضلمة والطبق على رأسه ، وراكب حمارا عاليا ، وأمامه

(١) صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٥ فبراير - ٢٥ مارس ١٨١١ م . (٢) ٢ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٦ فبراير ١٨١١ م .
(٣) ٣ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٧ فبراير ١٨١١ م . (٤) ٣ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٧ فبراير ١٨١١ م .
(٥) ٣ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٧ فبراير ١٨١١ م .
(٦) ٣ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٧ فبراير ١٨١١ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ١٢٧ ، طبعة بولاق « ذكر مقتل الأمراء المصريين وأتباعهم » .
(٧) ٦ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢ مارس ١٨١١ م . (٨) ٤ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٨ فبراير ١٨١١ م .

مقدم بعكار ، وحوله قابجية ينادون بقولهم : « يارن آلاى » ، ويكررون ذلك فى أخطاط المدينة ، وطافوا بأوراق التنابيه على كبار العسكر والبينبات والأمراء المصرية الألفية وغيرهم، يطلبونهم للحضور فى باكر النهار إلى القلعة، ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم أمام الموكب ، فلما أصبح يوم الجمعة سادسه [1]، ركب الجميع ، وطلعوا إلى القلعة ، وطلع المصرية بمماليكهم وأتباعهم وأجنادهم ، فدخل الأمراء عند الباشا ، وصبحوا عليه ، وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحك معهم ، ثم انجر الموكب على الوضع الذى رتبوه ، فانجر طائفة الدلاة وأميرهم المسمى أزون على ، ومن خلفهم الوالى والمحتسب والأغا والوجاقلية والألداشات المصرية ، ومن تزيا بزيهم ، ومن خلفهم طوائف العسكر الرحالة والخيالة والبيكباشيات ، وأرباب المناصب منهم ، وإبراهيم أغا أغات الباب ، وسليمان بيك البواب ، يذهب ويجئ ويرتب الموكب ، وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا ، وصالح قوج والكتخدا فقط ، غدر المصرية ، وقتلهم ، وأسرّ بذلك فى صبحها إبراهيم أغا أغات الباب ، فلما انجر الموكب ، وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والألداشات المصرية ، وانفصلوا من باب العزب ، فعند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب ، وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية ، وقد انحصروا بأجمعهم فى المضيق المنحدر الحجر المقطوع فى أعلى باب العزب ، مسافة ما بين الباب الأعلى الذى يتوصل منه إلى رحبة سوق القلعة إلى الباب الأسفل ، وقد أعدوا عدة من العساكر أوقفوهم على علاوى النقر الحجر والحيطان التى به ، فلما حصل الضرب من التحتانيين أراد الأمراء الرجوع القهقرى ، فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول فى مضيق النقر ، وأخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم أيضًا ، وعلم العسكر الواقفون بالأعالى المراد فضربوا أيضًا ، فلما نظروا ما حل بهم سقط فى أيديهم ، وارتبكوا فى أنفسهم وتحيروا فى أمرهم ، ووقع منهم أشخاص كثيرة ، فنزلوا عن الخيول ، واقتحم شاهين بيك وسليمان بيك البواب وآخرون فى عدة من مماليكهم راجعين إلى فوق ، والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ، ونزعوا ما كان عليهم من الفراوى والثياب الثقيلة ، ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا إلى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة وقد سقط أكثرهم، وأصيب شاهين بيك، وسقط إلى الأرض فقطعوا رأسه، وأسرعوا بها إلى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش ، وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية ، وذهب إلى البيت الذى به الحريم ، وهو بيت إسماعيل

---

(١) ٦ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢ مارس ١٨١١ م .

أفندى الضربخانة ، وأما سليمان بيك البواب فهرب من حلاوة الروح ، وصعد إلى حائط البرج الكبير ، فتابعوه بالضرب حتى سقط ، وقطعوا رأسه أيضًا ، وهرب كثير إلى بيت طوسون باشا ، يظن الالتجاء به والاحتماء فيه ، فقتلوهم ، وأسرف العسكر فى قتل المصريين ، وسلب ما عليهم من الثياب ، ولم يرحموا أحدا ، وأظهروا كامن حقدهم ، وضبعوا فيهم وفيمن رافقهم متجملا معهم من أولاد الناس ، وأهالى البلد الذين تزيوا بزيهم لزينة الموكب ، وهم يصرخون ويستغيثون ، ومنهم من يقول : « أنا لست جنديا ولا مملوكا » ، وآخر يقول : « أنا لست من قبيلتهم » ، فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث ، وتتبعوا المتشتتين والهربانين فى نواحى القلعة وزواياها ، والذين فروا دخلوا فى البيوت والأماكن ، وقبضوا على من أمسك حيا ، ولم يمت من الرصاص أو متخلفا عن الموكب ، وجالسا مع الكتخدا : كأحمد بيك الكيلارجى ، ويحيى بيك الألفى ، وعلى كاشف الكبير ، فسلبوا ثيابهم وجمعوهم إلى السجن تحت مجلس كتخدا بيك ، ثم أحضروا أيضًا المشاعلى لرمى أعناقهم فى حوش الديوان ، واحدا بعد واحد من ضحوة النهار إلى أن مضى حصة من الليل فى المشاعل ، حتى امتلأ الحوش من القتلى ، ومن مات من المشاهير المعروفين ، وانصرع فى طريق القلعة قطعوا رأسه ، وسحبوا جثته إلى باقى الجثث حتى أنهم ربطوا فى رجلى شاهين بيك ويديه حبالا ، وسحبوه على الأرض مثل الحمار الميت إلى حوش الديوان ، هذا ما حصل بالقلعة .

وأما أسفل المدينة ، فإنه عندما أغلق باب القلعة ، وسمع من بالرميلة صوت الرصاص ، وقعت الكرشة فى الناس ، وهرب من كان واقفا بالرميلة من الأجناد فى انتظار الموكب ، وكذلك المتفرجون ، واتصلت الكرشة بأسواق المدينة ، فانزعجوا وهرب من كان بالحوانيت لانتظار الفرجة ، وأغلق الناس حوانيتهم ، وليس لأحد علم بما حصل ، وظنوا ظنونا ، وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الأمراء ، انبثوا كالجراد المنتشر إلى بيوت الأمراء المصريين ومن جاورهم ، طالبين النهب والغنيمة ، فولجوها بغتة ونهبوها نهبا ذريعا ، وهتكوا الحرائر والحريم ، وسحبوا النساء والجوارى والخوندات والستات، وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر والثياب، وأظهروا الكامن فى نفوسهم ، ولم يجدوا مانعا ولا رادعا ، وبعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار ، فلم يتمكن من نزعها بسرعة ، فقطع يد المرأة ، وحل بالناس فى بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف ، وتوقع المكروه ، ما لايوصف ، لأن المماليك والأجناد تداخلوا وسكنوا فى جميع الحارات والنواحى ، وكل أمير له دار

كبيرة فيها عـياله وأتباعه ومماليكه وخيوله وجمـاله ، وله دار وداران صغار فى داخل العطف ونواحـى الأزهر ، والمشهد الحسينى ، يوزعـون فيها ما يخافون عليـه لظنهم بعدها وحمايتهـا بحرمة الخطة وصونها عند وقوع الحوادث ، وكثيـر من كبار العسكر مجاورون لهم فى جميع النواحى ، ويرمقون أحوالهم ، ويطلعون على أكثر حركاتهم وسكناتـهم ، ويتداخلون فـيهم ويعاشرونـهم ويسامرونهـم بالليل ، ويظـهرون لهم الصداقة والمحبة ، وقلوبـهم محشوّة من الحقد عليهم والكراهة لـهم بل ولجميع أبناء العرب ، فلمـا حصلت هذه الحادثة ، بادروا لـتحصيل مأمولهـم ، وأظهروا ما كان مخفيا فى صدورهم ، وخـصوصا من التشفى فى النساء ، فإن العـظيم منهم كان إذا خطب أدنى امرأة لـيتزوّج بها فلا ترضى بـه ، وتعافه وتأنف قربه ، وإن ألـح عليها استجارت بمن يحميها منه وإلا هربت من بيتها ، واختفت شهورا ، وذلك بخلاف ما إذا خطبها أسفل شـخص من جنس المماليك أجابته فى الحـال ، واتفق أنّه لما اصطلح الباشا مع الألفية ، وطلبوا البيوت ظهر كثير من النساء المستترات المخفيات ، وتنافسوا فى زواجهم ، وعملوا لـهم الكساوى ، وقدموا لهم التقادم ، وصـرفوا عليهم لوازم البـيوت التـى تلزم الأزواج لـزوجاتهـم، كل ذلك بمـرآى من الأتراك يـحقدونـه فى قلوبهم، وفيـهم من حمى جاره ، وصان دياره ، ومانع أعلاهم أدنـاهم ، وقليل ما هم ، وذلك لغـرض يبتغيه ، وأمر يـرتجيه ، فإنه بعد ارتـفاع النهب كانوا يـقبضون عليهم مـن البيوت ، فيستولى الذى حـماه ودافع عنه على داره وما فيهـا ، وانتهبت دور كثيرة من المجـاورين لهـم أو لدور أتباعهـم بأدنى شبهة وبغير شبهة ، أو يدخلون بحجة التفتيـش ، ويقولون : « عندكم مملوك أو سمعنا أنَّ عنـدكم وديعة لمملوك » ، وبات الناس وأصـبحوا على ذلك ، ونهـب فى هذه الحادثة من الأموال والأمـتعة ما لايقدر قدره ويـحصيه إلا الله سبحانه وتـعالى ، ونهبت دور كثيـرة من دور الأعيان الذين ليســوا من الأمراء المقصودين ، ومن المتقـيدين بخدمة الباشا ، مـثل ذى الفقار كتخدا المتولى خوليـا على بساتين الباشا التى أنشأها بشبـرا ، وبيت الأمير عثمان أغا الوردانى ، ومـصطفى كـاشف المورلى ، والأفنـدية الكتـبة وغيرهم ، وأصـبح يوم السبت [1] والنهب والقتل والقبض على المتـوارين والمختفين مستمر ، ويدل البعض أو يغمز عليه ، وركـب الباشا فى الضحوة، ونزل من القلعة وحوله أمراؤه الكبار مشاة ، وأمامه الصفاشية والجـاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة ، والجمـيع مشاة ليس فيهم راكب سواه ، وهم محدقون به ، وأمامه وخلـفه عدة وافرة ، والفرح والسـرور بتتل

---

(١) ٧ صفر ١٢٢٦ هـ / ٣ مارس ١٨١١ م .

المصريين ونهبهم والظفر بهم طافح مـن وجوههم ، فكان كلما مر على أرباب الدرك والقلـقات والضابطين وقـف عليهم ووبخـهم على النـهب ، وعدم منعهـم لذلك ، والحال أنَّهم هم الذين كانوا ينهبون أوّلا ويتبعـهم غيرهم ، فمر على العقادين الرومى والشوائين ، فخـرج إليه شخص من تجار المغاربة ، يسمى العربى الحلو ، وصرخ فى وجهه ، وهو يقول : « إيش هذا الحال وإيش لنا علاقة حـتى ينهبنا العسكر ، ونحن ناس فقراء مغاربة متسببون ، ولسنا مماليك ولا أجناد » ، فوقف إليه وأرسل معه نفرا إلى داره ، فوجدوا بها شخـصين أحدهما تركى والآخر بلدى ، وهما يـلتقطان آخر النهب ، وما سقط من الـنهابين ، فأمر بقتلهما فأخذوهـما إلى باب الخرق ، وقطعوا رؤوسهمـا » ، ثم إنه عطف عـلى جهة الكـعكيين ، فلاقـاه من أخبره بأن المـشايخ مجتمعون ونيتهم الركوب لملاقاته والسلام عـليه والتهنئة بالظفر ، فقال : « أنا أذهب إليهم » ، ولم يزل فى سيره حتى دخل إلى بيت الشيخ الشرقاوى وجلس عنده ساعة لطيفة ، وكان قد التجأ إلى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية ، فكلمه فى شأنهما وترجى عنده فى إعتاقـهما من القتل ، وأن يؤمنهما على أنـفسهما ، وقال له : « لا تفضح شيبتـى يا ولدى ، واقبل شفاعتى ، وأعطهما محـرمة الأمان » ، فأجابه إلى ذلك، وقال له : « شفاعتك مقبولة ولكن نحن لانعطى محارم ، وأنا أمانى بالقول ، أو نكتب ورقة ، ونـرسلها إليك بالأمان » ، فـاطمأن الشيخ لذلك ، ثـم قام الباشا وركب وطلع إلى القلعة ، وأرسـل ورقـة إلى الشيـخ بطلبهما ، فقـال لهما الشيخ : « إن الباشا أرسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبـكما إليه » ، فقالا : « وما يفعل بذهابنا إليه ، فلا شك فى أنه يقتلنا » ، فقـال الشيخ : « لايصح ذلك ولايكون ، كيف أنه يأخذكم من بيتى ويقتلكم ، بعد أن قبل شفاعتى » ، فذهبا مع الرسول فعندما وصلا إلى الحوش وهو مملوء بـالقتلى ، وضرب الرقاب واقع فى المحـبوسين والمحضرين ، قبضوا عليهما وأدرجا فى ضمنهـم ، وفى ذلك اليوم ، نزل طوسون ابن الباشا وقت نزول أبيه ، وشق المدينـة ، وقتل شخصا من النهابين أيضًا ، فارتـفع النهب وانكف العسكر عن ذلك ، ولولا نزول الباشا وابنه فى صبح ذلك اليوم ، لنهب العسكر بقية المدينة ، وحصل منهـم غاية الضرر ، وأما القبض على الأجناد والممـاليك فمستمر ، وكذلك كل من كان يشبههم فى الملبس والـزى ، وأكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الأرنؤدى ، فيـكبسون عليهم فى الدور أو فى الأماكـن التى تواروا فيها ، واستدلوا عليهم ، فيقبضون على من يقبـضون عليه ، وينهبون من الأماكن ما يمكنهم حمله وثياب النسـاء وحليهن ، ويسحبون الواحد والاثنين أو أكثـر بينهم ، ويأخذون عمائمهم وثيابهم ، وما فى جيوبهم فى أثناء الطريق ، وإذا كان كبيرا أو أميرا يستحى

منه طلبوه بالرفق ، فإذا ظهر لهم ، قالوا له : « سيدنا حسن باشا يستدعيك إليه ، فلا تخش من شيء » ، ويطمئن قليلا ، ويظن أنهم يجيرونه وعلى أى حال لايسعه إلاّ الإجابة، لأنه إن امتنع أخذوه قهرا، فإذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم ، وطلع البواقى إلى الدار ، فأخذوا ما قدروا عليه ، ولحقوا بهم ، وجرى على المأخوذ ما يجرى على أمثاله من المأخوذين ، والبعض توارى والتجأ إلى طائفة الدلاة وتزيا بشكلهم، ولبس له طرطورا وأجاروه، وهرب كثير فى ذلك اليوم وخرجوا إلى قبلى، وبعضهم تزيا بزى نساء الفلاحين ، وخرج فى ضمن الفلاحات اللاتى يبعن الجلة والجبنة وذهبوا فى ضمنهم ، وفر من نجا منهم إلى الشام وغيرها ، وأما كتخدا بيك فإنه لشدة بغضه فيهم ، صار لايرحم منهم أحدا ، فكان كل من أحضروه ، ولو فقيرا هرما من مماليك الأمراء الأقدمين ، يأمر بضرب عنقه ، وأرسل أوراقا إلى كشاف النواحى والأقاليم ، بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلدان ، فوردت الرؤوس فى ثانى يوم من النواحى فيضعونها بالرميلة ، وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة ، وكان كثير من الأجناد بالأرياف ، لتحصيل الفرض التى تعهدوا بدفعها عن فلاحيهم ، وانقضت أجلتهم ، وطولبوا بالدفع ، والفلاحون قصرت أيديهم ، ولم يقبلوا للملتزمين عذرا فى التأخير ، فلم يسعهم إلاّ الذهاب بأنفسهم لأجل خلاص المطلوب منهم للديوان ، فعندما وصلت الأوامر إلى كشاف الأقاليم بقتل الكائنين بالبلاد بادروا بقتل من يمكنهم قتله ، ومن بعد عنهم أرسلوا لهم العساكر فى محلاتهم ، فيدهمونهم على حين غفلة ، ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال ، ويرسلون برؤوسهم أو يتحيلون على القبض عليهم وقتلهم ، فصار يصل فى كل يوم العدد من الرؤوس من قبلى وبحرى ، ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة ، ولم يقبلوا شفاعة فى أحد أبدا ، ويعطون الأمان للبعض ، فإذا حضروا قبضوا عليهم وشلحوهم ثيابهم وقتلوهم ، والباشا يعلم من كتخداه شدة الكراهة لجنس المماليك ، ففوض له الأمر فيهم ، حتى أنّه كان بينه وبين محمد أغا كتخدا الجاويشية سابقا بعض منافرة من مدة سابقة ، أو لكونه صاهر بعض الألفية وزوّجه ابنته ، وكان غائبا ببلدة يقال لها الفرعونية [1] ، جارية فى إقطاعه ، وتعهد بما عليها من الفرضة ، فذهب إليها بنفسه ليستخلص منها الفرضة ، والمال الميرى ، فأرسل الكتخدا بيك إلى كاشف المنوفية قبل الحادث بيوم ، يأمره فيه بأمره ، فأرسل إليه طائفة من العسكر دخلوا عليه فى الفجرية وهو يتوضأ لصلاة الصبح فقتلوه ، وقطعوا

(١) بلدة الفرعونية : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز أشمون ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ .

رأسه وأحضروها إلى مصر ، وكانوا يأتون بأشخاص من بقايا البيوت القديمة ، فيمثلونهم بين يدى الكتخدا ، فيسألهم فيخبرون عن أنفسهم ونسبتهم فيكذبهم ، ويأمر بهم إلى الحبس الأعلى حتى يتبين أمرهم ، فإما تدركهم الألطاف فينجون بعد معاينة الموت وهذا فى النادر ، فقتل فى هذه الحادثة أكثر من ألف إنسان أمراء وأجناد وكشاف ومماليك ، ثم صاروا يحملون رممهم على الأخشاب ، ويرمونهم عند المغسل بالرميلة ، ثم يرفعونهم ويلقونهم فى حفر من الأرض فوق بعضهم البعض ، لايتميز الأمير عن غيره ، وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظماء ، وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم فى تلك الحفر ، فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التى لم يتفق مثلها ، ولم ينج من الألفية إلا أحمد بيك زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بيك الكبير ، فإنه كان غائبا بناحية بوش[1]، وأمين بيك تسلق من القلعة، وهرب إلى ناحية الشام ، وعمر بيك أيضًا الألفى كان مسافرا فى ذلك اليوم إلى الفيوم فقتلوه هناك ، وبعثوا برأسه بعد خمسة أيام ، ومعها نحو الخمسة عشر رأسا ، وأرسل دبوس أوغلى حاكم المنية خمسة وثلاثين رأسا ، وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير .

وأما من قتل فى ذلك اليوم [2] ، ممن له ذكر وبلغنى خبره فهم : شاهين بيك كبير الألفية ، ويحيى بيك ، ونعمان بيك ، وحسين بيك الصغير ، ومصطفى بيك الصغير ، ومراد بيك، وعلى بيك ، هؤلاء من الألفية ، ومن غيرهم : أحمد بيك الكلارجى ، ويوسف بيك أبو دياب ، وحسن بيك صالح ، ومرزوق ابن إبراهيم بيك الكبير ، وسليمان بيك البواب ، وأحمد بيك تابعه ، ورشوان بيك ، وإبراهيم بيك تابعاه ، وقاسم بيك تابع مراد بيك الكبير ، وسليم بيك الدمرجى ، ورستم بيك الشرقاوى ، ومصطفى بيك أيوب ، ومصطفى بيك تابع عثمان بيك حسن ، وعثمان بيك إبراهيم ، وذو الفقار تابع جوجر ، وهو رجل كبير من الأقدمين البطالين ، هرب هو ومصطفى بيك الجداوى وآخر عند صالح بيك السلحدار ، والتجؤوا إليه وظمنهم وأرسل بخبرهم ، فحضر الأمر بقطع رؤوسهم ، فأحضر المشاعلى ، وقطع رؤوسهم فى مقعده وأرسلها ، ومن الأمراء الكشاف الألفية فهم : على كاشف الخازندار ، وعثمان كاشف الحبشى ، ويحيى كاشف ، ومرزوق كاشف ، وعبد العزيز كاشف ، ورشوان كاشف ، وسليم كاشف ططر ، وقايد كاشف ، وجعفر

---

(١) بوش : قرية قديمة ، اسمها القبطى (Ben Tchora Pouschin) ، تقع فى الجهة الغربية من النيل ، وهى إحدى قرى مركز بنى سويف ، محافظة بنى سويف .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥٨ .

(٢) ٣ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٧ فبراير ١٨١١ م .

كاشف ، وعثمان كاشف ،ومحمد كاشف أبو قطية ، وأحمد كاشف الفلاح ، وأحمد كاشف صهر محمد أغا ، وخليل كاشف ، وعلى كاشف قيطاس ، وأحمد كاشف ، وموسى كاشف ، وغير ذلك ممن لم يحضرنى أسماؤهم ، وهم كثيرون ، وختم الله للجميع بالخير فإنه بلغنى ممن عاينهم بالحبوس ، وفى حال القتل أنهم كانوا يقرءون القرآن وينطقون بالشهادتين والاستغفار ، وبعضهم طلب ماء وتوضأ وصلى ركعتين قبل أن يرمى عنقه ، ومن لم يجد ماء تيمم ، ولاشتغال أهل المقتولين بأنفسهم ، وما حصل لهم من النهب والسلب والتشتيت عن أوطانهم ، لم يعوا ولم يسألوا عن موتاهم غير أم مرزوق بيك ابن إبراهيم بيك الكبير ؛ فإنها وجدت عليه وجدا عظيما ، وطلبته فى القتلى فعرفوا جثته بعلامة فيه ، وجمجمته بكونه كان كريم العين ، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه فى تربتهم ، وذلك بعد مضى يومين من الحادثة ، واجتمع عندها الكثير من أهل المقتولين ونسائهم ، وأقاموا على ذلك شهورا .

وفى يوم الحادثة أرسل محرم بيك صهر الباشا حاكم الجيزة ، فجمع مال المصرية بإقليم الجيزة فى الربيع من الخيول والجمال والهجن وغيرها ، فكان شيئًا كثيراً .

وفى ثامنه (١) : نودى على نساء المقتولين بالأمان ، وأن يحضرن إلى بيوتهن ويسكن فيها مع كونها صارت بلاقع فرجع البعض ، وهنّ اللاتى لم يحصل لهن كثير الضرر ، وبقى البعض فى اختفائه ، وأنعم الباشا على خواصه بالبيوت بما فيها فنزلوها وسكنوها ، وألبسوا النساء الخواتم وجددوا الفرش والأوانى وغالبها من المنهوبات ، وأنعم ببيت شاهين بيك على حسين أغا من أقاربه ، ولم يحصل به ما حصل بغيره ، لكونه ملاصقا لبيت طاهر باشا ، وأرسل الباشا طائفة من العسكر جلسوا على بابه ، وأما أحمد بيك الألفى فإنه وصله النذير فانتقل من بوش ، وذهب عند الأمراء القبالى ، ولما وصلتهم أخبار هذه الحادثة ، وبلغ إبراهيم بيك موت ولده على هذه الصورة أقاموا العزاء على إخوانهم ولبسوا السواد .

وفى ثانى يوم الواقعة (٢) ، حضر أحد الكشاف رسولا من عند الأمراء القبليين يطلبون العفو من الباشا ، وأن يعطيهم جهة يتعيشون منها فوعده برد الجواب فى غير الوقت ، فأهمله وما أدرى ما تم له .

---

(١) ٨ صفر ١٢٢٦ هـ / ٤ مارس ١٨١١ م .

(٢) ٤ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٨ فبراير ١٨١١ م .

وفيه [1] ، قلد الباشا مصطفى بيك ابن أخته، وجعله كبيراً على طائفة الدلاة ، وكان أحضره من ناحية الشرقية ليذهب إلى قبلي ، وأقام بدله في كشوفية الشرقية على كاشف ابن أحمد كتخدا من المصرلية .

وفي ثامن عشره[2] ، عدى مصطفى بيك المذكور إلى بر الجيزة ، ليسافر إلى قبلي ، ونصب وطاقه بحري القصر ، وعدى أيضًا الباشا وأقام بالقصر ، وشرع عسكره الدلاة في التعدية ليلا ونهارا .

وفيه أيضًا [3] ، خرج عدة من عسكر الدلاة نحو الخمسمائة نفر إلى ناحية قبة العزب ، ليسافروا إلى بلادهم ، فاستمروا في قضاء أشغالهم أياما ، ثم سافروا .

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه [4] ، ارتحل مصطفى بيك وانتقل إلى ناحية الشيخ عثمان مسافرا إلى قبلي ، وعدى الباشا راجعا إلى مصر .

وفيه [5] ، حضر ططريان من الروم يبشران بالعفو عن يوسف باشا المنفصل عن الشام ، وقُبل فيه ترجي باشة مصر وشفاعته .

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه [6] ، أحضروا من ناحية قبلي أربعة وستين شخصا ، وأكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد من بقايا البيوت القديمة السنين العديدة ومحترفين ، فلما أحضروهم إلى مصر القديمة أبقوهم إلى الليل في محبس ، ثم أوقدوا المشاعل بساحل البحر ، وقطعوا رؤوسهم ورموا بجثثهم إلى البحر ، وأتوا بالرؤوس فوضعوها تجاه باب زويلة ليراها الناس كما رأوا غيرها .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٦ [7]

وفي يوم الأحد سادسه [8] ، عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكبا عظيما ، ونبهوا في ليلتها على اجتماع العسكر في صبحها ، ونزل هو إلى جامع الغورية ليتفرّج على الموكب وصحبته حسن باشا ، واستعد لذلك السيد المحروقي ، وفرش له بالجامع المذكور فروشا ومراتب ووسائد ، فمر الموكب ، وفي أوّله طائفة الدلاة ، فلما فرغوا ، مروا بعشرة مدافع كبار على عربيات ، وعربيتين تحملان هونين قنابر ،

(1) ٤ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢٨ فبراير ١٨١١ م .
(2) ١٨ صفر ١٢٢٦ هـ / ١٤ مارس ١٨١١ م .
(3) ١٨ صفر ١٢٢٦ هـ / ١٤ مارس ١٨١١ م .
(4) ٢٣ صفر ١٢٢٦ هـ / ١٩ مارس ١٨١١ م .
(5) ٢٣ صفر ١٢٢٦ هـ / ١٩ مارس ١٨١١ م .
(6) ٢٥ صفر ١٢٢٦ هـ / ٢١ مارس ١٨١١ م .
(7) ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٢٦ مارس - ٢٤ أبريل ١٨١١ م .
(8) ٦ ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٣١ مارس ١٨١١ م .

وخلفهم طوائف العسكر الرجالة أرنؤد وأتراك وسجمان ، وهم كثيرون مختلطون من غير ترتيب مدة طويلة ، ثم كبارهم ركبانا بطوائفهم ، ثم الوالى والمحتسب وأغاة مستحفظان ، ثم طوائف صاحب الموكب وجنائبه وكذا هجنه ، ثم الجاويشية والسعاة والملازمون ، ثم طوسون باشا وخلفه أتباعه وأغواته ، ثم الكتخدا وهو محمد كتخدا المعروف بالبرديسى ، وهو الذى كان كتخدا الألفى ، وصحبته الخازندار ، وخلفهم النوبة التركية ، ولما انقضى أمر الموكب ، دعاه المحروقى إلى منزله ، فنزل معه من باب السر الذى بالجامع المعروف بالغورى ، وصحبته حسن باشا ، وتوجهوا إلى بيت المحروقى وتغدى عنده هو وأتباعه وخواصه ، وأحضر له آلات الطرب واستمر هناك إلى آخر النهار فى حظ وكيف ، وقدم له المحروقى تعابى هدية ، ثم ركب عائدا إلى محله .

وفى يوم الإثنين رابع عشره [1] ، نزل الباشا إلى ترعة الفرعونية للاهتمام بسدها ، ونقل الأحجار فى المراكب مستمر ، فأقام عند السد أربع ليال ، وذهب إلى الإسكندرية عندما أتته الأخبار بورود مراكب الإنكليز ، لأجل مشترى الغلال ، فذهب ليبيع عليهم الغلال التى جمعها ، فباع عليهم كل أردب بمائة قرش رومى ، عنها أربعة آلاف فضة ، وأكثر واجتهد ببناء أسوار الإسكندرية ، وجدد بها أبراجا وحصونا ، وأرسل بطلب البنائين والصناع فجمعوهم من كل ناحية ، وطالت غيبته هناك ، وإقامته لتتميم أغراضه ، وأمن مشايخ عربان أولاد على المستولين على البحيرة ، وتحيل عليهم ، فلما حضروا إليه قبض عليهم وقرر عليهم أموالا عظيمة ، ثم خلع عليهم وعوقهم ، وأرسل العساكر فنهبت نجوعهم ، وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم ، وأما كتخدا بيك فإنه بمصر يقرر الفرض على البلاد هو والكتبة ، حسب أوامر مخدومه ، ونظموا كيفية أخرى ، وهى أنهم جمعوا الميرى والمضاف والفائظ والرزق إيراد أربع سنوات ، وكتبوا بها مراسيم بنصف المقرر ، ليقبض فى دفعتين ، وبعد أن تقرر النصف الأول وتحصل منه ما تحصل ، ويبقى الباقى مع النصف الآخر ، ويطلب من أربابه ولابد ، لا مسامحة فى شىء منه ، ومن تكفل بما تقرر على حصته والزم نفسه بدفعه ، وكتب على نفسه وثيقة ، لأجل طولب حتى قبل حلول الأجل ، لاحتياج المهمات ، فتتوجه عليه الحوالات بيد العساكر ، فينزلون بداره ويلازمونها ويضيقون أنفاسه ، ويكلفونه ما لايطيق ، فلا يجد ملجأ ولا خلاصا إلا بأحد الشيئين ، إما الدفع بأى وجه كان ، وإما ينزل عن حصته بالفراغ للديوان ، ولايبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ، ويصبح فقيرا لايملك شيئًا إن لم يكن له إيراد من جهة أخرى .

---

(1) ١٤ ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٨ أبريل ١٨١١ م .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٦ (١)

والكتخدا يتنوع فى استجلاب الأموال، ويتحيل فى استخراجها بأنواع من الحيل، فمنها : أنه يرسل إلى أهل حرفة من الحرف ويأمرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها ، ويظهر أنه يريد الشفقة والرأفة بالناس ، ويرخص فى أسعار المبيعات ، وأن أرباب الحرف تعدوا الحدود فى غلاء الأسعار ، فيجتمع أهل الحرفة ويضجون ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم ، وما ينضاف إليه من غلو جزئيات تلك البضاعة ، وما استحدث عليها من الجمارك والمكوس ، وغلو الأجر فى البحر والبر ، فلا يستمع لقولهم ، ولايقبل لهم عذرا ، ويأمر بهم إلى الحبس ، فعند ذلك يطلبون الخلاص ، ويصالحون على أنفسهم بقدر من المال يدفعونه ، ويوزعون ذلك على أفرادهم فيما بينهم ، ثم يزيدون فى سعر تلك البضاعة ، ليعوضوا غرامتهم من الناس معتذرين بتلك الغرامة ، وما حل بهم من الخسارة ، ثم تستمر الزيادة على الدوام ، وأظن استمرار الغرامة أيضًا ، فجمع بهذه الكيفية أموالا عظيمة ، وهى فى الحقيقة سلب أموال الناس من الأغنياء والفقراء .

وفى أواخره (٢) ، حضر الباشا من الإسكندرية على حين غفلة فبات بقصر شبرا ، ثم حضر إلى بيت الأزبكية فأقام به يومين ، ثم طلع إلى القلعة .

وفيه (٣) ، وصلت عساكر كثيرة من الأرنؤد والأتراك حتى غصت بهم المدينة ، فلا يكاد المار يقع بصره إلاَّ عليهم أمام وخلف ، وبداخل الأزقة والعطف ، وذلك خلاف الذين أقرهم وأبقاهم فى الإسكندرية ، ومن هو بالجهات والأقاليم القبلية والبحرية ، ومَا يعلمُ جنودَ ربِّك إلا هُو .

وفيه (٤) اهتم الباشا بتشهيل العرضى اهتماما زائدا ، وفرض على البلاد جمالا وأتبانا وغلالا .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٦ (٥)

فيه (٦) ، ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده بشارة بأنه ولد للسلطان مولودة

---

(١) ربيع الثانى ١٢٢٦ هـ / ٢٥ أبريل - ٢٣ مايو ١٨١١ م .
(٢) آخر ربيع الثانى ١٢٢٦ هـ ٢٣ مايو ١٨١١ م .
(٣) آخر ربيع الثانى ١٢٢٦ هـ / ٢٣ مايو ١٨١١ م .
(٤) آخر ربيع الثانى ١٢٢٦ هـ ٢٣ مايو ١٨١١ م .
(٥) جمادى الأولى ١٢٢٦ هـ / ٢٤ مايو - ٢٢ يونيه ١٨١١ م .
(٦) ١ جمادى الأولى ١٢٢٦ هـ / ٢٤ مايو ١٨١١ م .

أنثى ، فعملوا لـها شنكا ، وهى مدافع تضرب من أبراج القلـعة فى الأوقات الخمسة ثلاثة أيام .

وفيه [1] ، فرضوا فرضة بغال على مياسير الناس وأهل الحرف ، بغلة وبـغلتين وثلاثة ، والذى لم يكن عنـده بغلة يلزم بالشراء أو أنه يدفع ثمنـها كيسا عشرون ألف فضة .

وفيه [2] ، انقطع الـوارد من الديار الحجازيـة ، وغلا سعر البن حتـى وصل إلى مائتين وسـبعين نصف فضة كـل رطل ، وقل وجوده من الأسواق والـدكاكين ، فلا يوجد إلا مـع المشقة ، وصـنع الناس الـقهوة من أنـواع الحبوب المحمـصة كالشـعير والقمح والفول وبزر العاقول وغيره ، مخلوطا مع البن وبغير خلط .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٦ [3]

فى عشرينه [4] ، خرج البـاشا إلى البـركة ، وطلب الجـمال وقوافل الـعرب ، وشـهـل طائفة مـن الـعسكر للسـفر إلى السويس ، فـاهتموا بالدخـول والخروج من المدينة ، وطفقوا يـخطفون الحمير والبغال والجمال ، وكـل ما صادفوه من الدواب ، ومن وجدوه راكبا ولو من وجهاء الناس أنزلوه عن دابته وركبوها ، فانقبض الناس ، وانكمش غـالبهم عن الركوب لـمصالحهم ، وأخفوا حمـيرهم وبغالهم ، وأقـام الباشا ثلاثة أيام جهة البركة ، ثم ركب إلى السويس .

وفيه [5] ، وردت مراكب وداوات وفـيها البن ، وذلـك باستدعـاء الباشا لـها من ناحية جدة واليمن ، لأجل حمل العساكر واللوازم ، وانحل سعر البن قليلا .

واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٦ [6]

فـى ثانـى عشرينه يوم الإثنـين الموافق لسابع مسرى الـقبطى [7] ، أوفـى الـنيل أذرعه ، وكسر السد فى صبـحها يوم الثلاثاء [8] ، بحضرة كتخدا بـيك والباشا غائب بالسويس .

(١) ١ جمادى الأولى ١٢٢٦ هـ / ٢٤ مايو ١٨١١ م . (٢) ١ جمادى الأولى ١٢٢٦ هـ / ٢٤ مايو ١٨١١ م .
(٣) جمادى الثانية ١٢٢٦ هـ / ٢٣ يونيه - ٢١ يوليه ١٨١١ م .
(٤) ٢٠ جمادى الثانية ١٢٢٦ هـ / ١٢ يوليه ١٨١١ م . (٥) ٢٠ جمادى الثانية ١٢٢٦ هـ / ١٢ يوليه ١٨١١ م .
(٦) رجب ١٢٢٦ هـ / ٢٢ يوليه - ٢٠ أغسطس ١٨١١ م . (٧) ٢٢ رجب ١٢٢٦ هـ / ١٢ أغسطس ١٨١١ م .
(٨) ٢٣ رجب ١٢٢٦ هـ / ١٣ أغسطس ١٨١١ م .

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٢٦ [١]

فى ثانيه [٢] ، سافر ديوان أفندى بمن بقى من العساكر البحرية .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه [٣] ، حضر الباشا من السويس وشرع فى تشهيل العساكر البرية .

وفى خامس عشره [٤] ، خرج الباشا إلى العادلية ، واجتهد فى تشهيل سفر العساكر البرية اجتهادا كبيرا ، وجمع من أهل كل حرفة طائفة ، وكذلك من أهل كل صنعة ، والذى يعجز عن السفر يخرج عنه بدلا ، وتعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدى من الشافعية ، ومن الحنفية السيد أحمد الطحطاوى ، وشيخ حنبلى ، وصل من ناحية الشام ، وكانوا رسموا بإحضار السيد حسن كريت المالكى من رشيد ، والشيخ على خفاجى من دمياط ، فحضرا واعتذرا فأعفيا من السفر ، ورجعا إلى بلديهما .

وفى هذا الشهر [٥] ، ظهر نجم له ذنب فى جهة الشمال ، بين بنات نعش الصغرى ، وبين منار بنات نعش الكبرى ، رأسه جهة المغرب وذنبه صاعد إلى جهة المشرق ، وله شعاع مستطيل فى مقدار الرمح ، واستمر يظهر فى كل ليلة والناس ينظرون إليه ويتحدثون به ، ويسألون الفلكيين عنه ، ويبحثون عن دلائله عن الملاحم المصنفة فى ذوات الأذناب ، واستمر ظهوره قريبا من ثلاثة أشهر ، واضمحل بعض جرمه ، ومشى إلى ناحية الجنوب وقرب من النسر الطائر .

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٦ [٦]

وفى يوم الخميس تاسعه [٧] ، ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج .

وفى يوم الأحد ثانى عشره [٨] ، ارتحلوا من البركة فكان مدة مكث العرضى من يوم خروج الموكب إلى يوم ارتحالهم من البركة قريبا من ستة أشهر ونصف ، والناس فى أمر مريج فى كل شىء .

---

(١) شعبان ١٢٢٦ هـ / ٢١ أغسطس - ١٨ سبتمبر ١٨١١ م . (٢) ٢ شعبان ١٢٢٦ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨١١ م .
(٣) ٨ شعبان ١٢٢٦ هـ / ٢٨ أغسطس ١٨١١ م . (٤) ١٥ شعبان ١٢٢٦ هـ / ٤ سبتمبر ١٨١١ م .
(٥) شعبان ١٢٢٦ هـ / ٢١ أغسطس - ١٨ سبتمبر ١٨١١ م .
(٦) رمضان ١٢٢٦ هـ / ١٩ سبتمبر - ١٨ أكتوبر ١٨١١ م .
(٧) ٩ رمضان ١٢٢٦ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٨١١ م . (٨) ١٢ رمضان ١٢٢٦ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨١١ م .

وفيه [1] ، خرج السيد محمد المحروقى ليسافر صحبة الركب ، وخرج فى موكب جليل ، لأنه هو المشار إليه فى رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته ، وأمور العربان ومشايخها ، وأوصى الباشا ولده طوسون باشا أمير العسكر بأن لايفعل شيئًا من الأشياء إلا بمشورته واطلاعه ، ولاينفذ أمرا من الأمور إلا بعد مراجعته .

وفيه [2] ، وردت الأخبار بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ، ونهبوا ما كان فيه من ودائع التجار ، وذلك أنه كان بمرساة الينبع عدة مراكب وداوات ، والشريف غالب أمير مكة يكاتب الباشا ويراسله ويظهر له النصح والصداقة وخلوص المودة ، والباشا أيضًا يراسله ويكاتبه ، وأرسل له السيد سلامة النجارى ، والسيد أحمد المنلا الترجمان المحروقى ، بمراسلات وجوابات مرارا عديدة ، فكانا هما السفيرين بينهما ، وأيضًا الشريف فى كل كتابة مع كل مرسول يعاهد الباشا ويعاقده ويواعده بنصر عساكره متى وصلت ، وينافق للطرفين الذى هو العثمانى والوهابى ويداهنهما ، أما الوهابى فلخوفه منه وعدم قدرته عليه ، فيظهر له الموافقة والامتثال ، وأنه معه على العهود التى عاهده عليها من ترك الظلم واجتناب البدع ونحو ذلك ، ويميل باطنا للعثمانيين لكونه على طريقتهم ومذاهبهم ، وتعاقد مع الباشا أنَّه متى وصلت عساكره قام بنصرتهم وساعدهم بكليته وجميع همته ، وأرسل إلى المراكب الكائنة بمرساة الينبع بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ، ويودعوه قلعة الينبع تحت يد وزيره ، وترك معه نحو الخمسمائة من عسكره ، وأخذ المراكب فأوسقها من بضائعه وبهاره وبُنّه وأرسلها إلى السويس لتباع بمصر ، ثم توسق بمهمات العسكر البحرية ، فلما وصلت مراكب العساكر البحرية وألقت مراسيها قبالة الينبع احتاجوا إلى الماء ، فلم يسعفوهم بالماء ، فطلع طائفة من العسكر إلى البر فى طلب عين الماء ، فمانعهم من عندها مرابط ، فقاتلوهم وطردوهم ومنعوهم عن الماء ، وفى حال رجوعهم رموا عليهم من القلعة المدافع والرصاص ، والحال أنَّ الأمر مبهم على الفريقين ، فعند ذلك استعدت العساكر لمحاربة من بالقلعة ، واحتاطوا بها ، وضربوا عليها القنابر والمدافع ، وركبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها ، وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهم من الكائنين بالقلعة ، فملكوا القلعة ، وقتلوا من كان بها ، ولم ينج منهم إلا الوزير ومعه ستة أنفار ، خرجوا هاربين على الخيول ، ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن ، وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر ، وأخذوهن أسرى ، ويبيعوهن على

---

(1) ١٢ رمضان ١٢٢٦ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨١١ م . (2) ١٢ رمضان ١٢٢٦ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨١١ م .

بعضهم البعض ، ووصل المبشرون بذلك فى عشرينه [1] ، فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة ، وعملوا شنكا ، وطافت المبشرون على بيوت الأعيان ليأخذوا منهم البقاشيش ، وأرسلوا بتلك البشارة شخصا معينا كبيرا إلى إسلامبول ، يبشرون أهل الدولة وسلطان الإسلام ، وكان ذلك أوّل فتح حصل .

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢٦ [2]

وكان حقه أن يكون بيوم السبت ، لأن الهلال لم يكن موجودا ليلة الجمعة ، ولم يره ليلة السبت إلا النادر من الناس ، وكان قوسه ليلة السبت عشر درجات .

وفى سادس عشره [3] ، وصلت هجانة ومكاتبات من عساكر البر يخبرون بوصولهم إلى بندر المويلح فى اليوم السابع من الشهر [4] ، وكان العيد عندهم بمغاير شعيب[5] ، يوم السبت .

وفيه [6] ، خرجت تجريدة لتسافر إلى قبلى لمحاربة من بقى من الأمراء المصريين بناحية أبريم .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الأحد سنة ١٢٢٦ [7]

فيه [8] ، وصلت حجاج مغاربة فى عدة مراكب على ظهر البحر ، وتلف منهم نحو ثلاثة مراكب ، وحضر بعدهم بأيام الركب الطرابلسى ، ونزل بساحل بولاق .

وفى سادسه [9] ، حضر أيضًا الركب الفاسى وفيهم ابن سلطان المغرب مولاى إبراهيم ابن مولاى سليمان ، فاعتنى الباشا بشأنه ، وأرسل كتخدا بيك لملاقاته ، وقدم له تقادم ، وأعدوا له منزل على كاشف بالقرب من بيت المحروقى لينزل فيه ، وتقيد بخدمته الرئيس حسن المحروقى وحواشيهم لمطبخه وكلف طعامه ، فلما عدى طلع إلى القلعة، وقابل الباشا ، ونزل إلى المنزل الذى أعده له ، وأمامه قواسة أتراك وطرّادون ، وأشخاص أتراك يضربون على طبلات ، وأمامه جميع المغاربة مشاة ، ويأمرون الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم ، فأقام خمسة أيام حتى

(١) ٢٠ رمضان ١٢٢٦ هـ / ٨ أكتوبر ١٨١١ م . (٢) شوال ١٢٢٦ هـ / ١٩ أكتوبر - ١٦ نوفمبر ١٨١١ م .
(٣) ١٦ شوال ١٢٢٦ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١١ م . (٤) ٧ شوال ١٢٢٦ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨١١ م .
(٥) مغاير شعيب : قرية من قرى إمارة العلا ، فيها مركز من مراكز الإمارة .
الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٩١ .
(٦) ٧ شوال ١٢٢٦ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨١١ م . (٧) ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ١٧ نوفمبر - ١٦ ديسمبر ١٨١١ م .
(٨) ١ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ١٧ نوفمبر ١٨١١ م . (٩) ٦ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨١١ م .

قضى أشغاله ، وفى تلك المدة تغدو إليه وتروح رسل الباشا ، وأرسل له هدية وذخيرة من كل صنف : سكر وعسل وسمن ودقيق وبقسماط وأشياء أخر، وبارود ، وأعطى له ألف بندقية لضرب الرصاص ، وبرز فى عاشره [1] ، وسافروا فى ثانى عشره[2] .

وفى يوم الخميس تاسع عشره [3] ، وصلت هجانة على أيديهم مكاتبات خطابا إلى الباشا وغيره ، وفيهم الخبر بأنَّ العسكر البرى اجتمع مع العسكر البحرى ، وأخذوا ينبع البر من غير حرب ، وأنَّ العربان أتت إليهم أفواجا ، وقابلوا طوسون باشا ، وكساهم وخلع عليهم ، ثم انقطعت الأخبار .

واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٢٦ [4]

فى منتصفه [5] ، وصلت هجانة ومعهم رؤوس قتلى ومكاتبات مؤرخة فى منتصف شهر القعدة [6] ، مضمونها : « أنَّهم وصلوا إلى ينبع البر فى حادى عشرين شوّال [7] ، واجتمع هناك العسكران البرى والبحرى ، وأنَّهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية ، وتسمى قرية السويق [8] وفر ابن جبارة هاربا ، وحضرت عربان كثيرة وقابلوا ابن الباشا ، وأنَّهم مقيمون وقت تاريخه فى منزلة الينبع منتظرين وصول الذخيرة ، وعاق المراكب ريح الشتاء المخالف ، وأنَّه ورد عليهم خبر ليلة أربعة عشر شهره [9] ، بأن جماعة من كبار الوهابية حضروا بنحو سبعة آلاف خيال وفيهم عبدالله ابن مسعود ، وعثمان المضايفى ، ومعهم مشاة ، وقصدوا أن يدهموا العرضى على حين غفلة ، فخرج إليهم شديد شيخ الحويطات ، ومعه طوائفه ، ودلاة وعساكر ، فوافاهم قبل شروق الشمس ، ووقع بينهم القتال والوهابية يقولون : « هاه يا مشركون » ، وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية ، وغنموا منهم نحو سبعين هجينا من الهجن الجياد ، محملة أدوات ، وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين » ، هذا ملخص ما ذكروه فى الأجوبة التى حضرت .

---

(١) ١٠ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨١١ م . (٢) ١٢ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ٢٨ نوفمبر ١٨١١ م .
(٣) ١٩ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ٥ ديسمبر ١٨١١ م .
(٤) ذى الحجة ١٢٢٦ هـ / ١٧ ديسمبر ١٨١١ م - ١٥ يناير ١٨١٢ م .
(٥) ١٥ ذى الحجة ١٢٢٦ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١١ م . (٦) ١٥ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١١ م .
(٧) ٢١ شوال ١٢٢٦ هـ / ٨ نوفمبر ١٨١١ م .
(٨) قرية السويق : قرية تابعة لينبع النخل ، كلها لقبائل بنى سالم من حرب .
البلادى ، عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، جـ ٤ ، دار مكة للنشر ، والتوزيع ، ١٩٨٠ م ، ٢٥٠.
(٩) ١٤ ذى الحجة ١٢٢٦ هـ / ٣٠ ديسمبر ١٨١١ م .

وفى يوم الجمعة خامس عشرينه [1] ، وصلت قافلة من السويس ، وحضر فيها جاويش باشا وصحبته مكاتبات ، وحضر أيضًا السيد أحمد الطحطاوى ، والشيخ الحنبلى ، وأخبروا أنَّ العرضى ارتحل من ينبع البر فى سابع عشر ذى القعدة [2] ، ووصلوا إلى منزلة الصفراء والجديدة ، ونصبوا عرضيهم وخيامهم ووطاقاتهم بالقرب من الجبال ، فوجدوا هناك متاريس وأحجار فحاربوا على أوّل متراس حتى أخذوه ، ثم أخذوا متراسا آخر ، وصعدت العساكر إلى قلل الجبال فهالهم كثرة الجيش ، وسارت الخيالة فى مضيق الجبال ، هذا والحرب قائم فى أعلى الجبال يوما وليلة إلى بعد الظهيرة من يوم الأربعاء ثالث عشرى القعدة [3] ، فما يشعر السفلانيون إلا والعساكر الذين فى الأعالى هابطون منهزمون فانهزموا جميعا وولوا الأدبار ، وطلبوا جميعا الفرار، وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم، وطفقوا ينهبون ما خَفّ عليهم من أمتعة رؤسائهم، فكان القوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابته ويركبها، وربما قتله وأخذ دابته، وساروا طالبين الوصول إلى السفائن بساحل البريك [4] ، لأنهم كانوا أعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط ، ووقع فى قلوبهم الرعب ، واعتقدوا أن القوم فى أثرهم ، والحال أنه لم يتبعهم أحد لأنهم لايذهبون خلف المدبر ، ولو تبعوهم ما بقى منهم شخص واحد ، فكانوا يصرخون على القطائر فتأتى إليهم القطيرة ، وهى لاتسع إلا القليل فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها ، فيصعد منهم الجماعة ويمنعون البواقى من إخوانهم ، فإن لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص ، حتى كانوا من شدة حرصهم وخوفهم واستعجالهم على النزول فى القطائر ، يخوضون فى البحر إلى رقابهم ، وكأنما العفاريت فى أثرهم تريد خطفهم ، وكثير من العسكر والخدم لما شاهدوا الازدحام على أسكلة البريك ذهبوا مشاة إلى ينبع البحر ، ووقع التشتيت فى الدواب والأحمال والخلائق من الخدم وغيرهم ، ورجع طوسون باشا إلى ينبع البحر ، بعد أن تغيب يوما عن معسكره حتى أنهم ظنوا فقده ، ورجع أيضًا المحروقى وديوان أفندى ، واستقروا بالينبع ، وترك المحروقى خيامه بما فيها ، فنزل بها طائفة من العسكر المنهزمين وهم على جهد من التعب والجوع، فوجدوا بها المآكل والحلاوات وأنواع الملبسات والكعك المصنوع بالعجمية ، والسكر المكرر والغريبات والخشكنانكات والمربيات ، وأنواع الشرابات ، فوقعوا عليها أكلا ونهبا ، ولما تحققوا أن العرب لم تتبعهم ، ولم تأت فى

(1) ٢٥ ذى الحجة ١٢٢٦ هـ / ١٠ يناير ١٨١٢ م . (2) ١٧ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ١٢ يناير ١٨١١ م .

(3) ١٣ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨١١ م .

(4) البريك : قرية من قرى حرب ، وبنى عبس ، فى القنفذة ، بمنطقة إمارة مكة ، بالقرب من الساحل . الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٨ .

أثرهم أقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا أغراضهم ، وشبعت بطونهم وارتاحت أبدانهم ، ثم لحقوا بإخوانهم فكانوا هم أثبت القوم وأعقلهم ، ولو كان على غير قصد منهم ، فكان مدة إقامة المعسكر والعرضى بينبع البر أربعة وعشرين يوما ، وأما الخيالة فإنهم اجتمعوا وساروا راجعين إلى المويلح وقد أجهدهم التعب ، وعدم الذخيرة والعليق حتى حكوا أنَّهم كانوا قبل الواقعة يعلفون على الجمل بنصف قدح قمح مسوس ، وكانت علائفهم فى كل يوم أربعمائة وخمسين أردبا، وأما المحروقى فإن كبار العسكر قامت عليه وأسمعوه الكلام القبيح ، وكادوا يقتلونه ، فنزل فى سفينة وخلص منهم ، وحضر من ناحية القصير ، وحضر الكثير من أتباعه وخدمه متفرقين إلى مصر ، فأما الذين ذهبوا إلى المويلح ، فهم تامر كاشف ، وحسين بيك دالى باشا وآخرون ، فأقاموا هناك فى إنتظار إذن الباشا فى رجوعهم إلى مصر أو عدم رجوعهم ، وأما صالح أغا قوج ، فإنه عندما نزل السفينة كر راجعا إلى القصير، واستقل برأيه لأنه يرى فى نفسه العظمة ، وأنه الأحق بالرياسة ويسفه رأى المحروقى وطوسون باشا ، ويقول : «هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحروب» ، ويصرح بمثل هذا الكلام وأزيد منه ، وكان هو أوّل منهزم ، وعلم كل ذلك الباشا بمكاتبات ولده طوسون فحقده فى نفسه ، وتمم ذلك بسرعة رجوعه إلى القصير ، ولم ينتظر إذنا فى الرجوع أو المكث ، ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا ، واستمر على همته فى تجهيزه عساكر أخرى ، وبرزوا إلى خارج البلدة ، وفرض على البلاد جمالا ذكر أنَّها من أصل الغرائم والفرض فى المستقبل ، وكذلك فرض غلالا ، فكان المفروض على إقليم الشرقية خاصة اثنى عشر ألف أردب بعناية على كاشف قابله الله بما يستحق ، وانقضت السنة بحوادثها التى منها : هذه الحادثة ، وأظنها طويلة الذيل.

ومنها : أنَّ النيل هبط قبل الصليب بأيام قليلة ، بعد أنْ بلغ فى الزيادة مبلغا عظيما حتى غرق الزرع الصيفى ، والدراوى ، ولما انحسر عن الأرض زرعوا البرسيم، والوقت صائف والحرارة مستجنة فى الأرض ، فتولدت فيه الدودة وأكلت الذى زرع ، فبذروه ثانيا فأكلته أيضًا ، وفحش أمر الدودة جدًّا فى الزرع البدرى ، وخصوصا بإقليم الجيزة ، والقليوبية ، والمنوفية ، بل وباقى الأقاليم .

ومنها : أنَّ الباشا أحدث ديوانا ورتبوه ببيت البكرى القديم بالأزبكية ، وأظهر أن هذا الديوان لمحاسبة ما يتعلق به من البلاد ومحاسباتها ، والقصد الباطنى غير ذلك ، وقيد به إبراهيم كتخدا الرزاز ، والشيخ أحمد يوسف كاتب حسين أفندى

الروزنامجى ، وما انضم إليهم من الكتبة المسلمين دون الأقباط ، ليحرروا به قوائم المصروف والمضاف والبرانى ، فكانوا يجلسون لذلك كل يوم ما عدا يوم الجمعة ، ثم تطرق الحال لسور بلاد الباشا ، وهو أنّ الكثير من الفلاحين لما سمعوا فى ذلك ، أتوا من كل ناحية إلى مصر ، وكتبوا عرضحالات إلى كتخدا بيك وللباشا يتظلمون من أستاذيهم ، وينهون أنهم يزيدون عليهم زيادات فى قوائم المصروف ، ويشددون عليهم فى طلب الفرض أو بواقيها ، فيدفعهم الباشا أو الكتخدا إلى ذلك الديوان المحدث ، لينظر فى أمورهم ، ويصحبهم معين تركى مباشر يأتى بالملتزم أيضًا ، والفلاحين والشاهد والصراف ، وقوائم المصروف لأجل المحاققة ، فعند ذلك تعنت إبراهيم كتخدا فى القوائم ، ويطلب قوائم السنين الماضية المختومة ونحو ذلك ، ولما فشا هذا الأمر ، وأشيع فى البلدان أتت طوائف الفلاحين أفواجا إلى هذا الديوان ، يطلبون الملتزمين ويخاصمونهم ويكافحونهم ، فيكون أمرا مهولا وغاية فى الزحام والعياط والشباط ، وكذلك رفعوا المعلم منصور ومن معه من الكتبة من مباشرة ديوان ابنه إبراهيم بيك الدفتردار ، وقيدوا بدلهم السيد محمد غانم الرشيدى ، ومحمد أفندى سليم ، ومن انضم إليهم ، وأظهر الباشا أنَّه يفعل ذلك لما علمه من خيانة الأقباط ، والقصد الخفى خلاف ذلك ، وهو الاستيلاء والاستحواذ الكلى والجزئى ، وقطع منفعة الغير ولو قليلا ، فيضرب هذا بهذا والناس أعداء بعضهم لبعض ، وقلوبهم متنافرة ، فيغرى هذا بذاك وذاك بهذا ، ومن الناس من سمى هذا الديوان ديوان الفتنة .

ومنها : الزيادة الفاحشة فى صرف المعاملة والنقص فى وزنها وعيارها ، وذلك أنّ حضرة الباشا أبقى دار الضرب على ذمته ، وجعل خاله ناظرا عليها ، وقرر لنفسه عليها فى كل شهر خمسمائة كيس ، بعد أن كان شهريتها أيام نظارة المحروقى خمسين كيسا فى كل شهر ، ونقصوا وزن القروش نحو النصف عن القرش المعتاد ، وزادوا فى خلطه حتى لايكون فيه مقدار ربعه من الفضة الخالصة ، ويصرف بأربعين نصفا ، وكذلك المحبوب نقصوا من عياره ووزنه ، ولما كان الناس يتساهلون فى صرف المحبوب والريال الفرانسة ، ويقبضونها فى خلاص الحقوق من المماطلين والمفلسين ، وفى المبيعات الكاسدة بالزيادة ، لضيق المعايش حتى وصل صرف الريال إلى مائتين وخمسين نصفا ، والمحبوب إلى مائتين وثمانين ، ثم زاد الحال فى التساهل فى الناس بالزيادة أيضًا عن ذلك ، فينادى الحاكم بمنع الزيادة ، ويمشى الحال أياما قليلة ، ويعود لما كان أو أزيد ، فتحصل المناداة أيضًا ، ويعقبونها بالتشديد والتنكيل بمن يفعل ذلك ، ويقبض عليه أعوان الحاكم ويحبس ويضرب ، ويغرمونه غرامة وربما

مثلوا به ، وخرموا أنفه وصلبوه على حانوته ، وعلقوا الريال فى أنفه ردعا لغيره ، وفى أثناء ذلك إذا بالمناداة بأن يكون صرف الريال بمائتين وسبعين ، والمحبوب بثلثمائة وعشرة ، فاستمع وتعجب من هذه الأحكام الغريبة ، التى لم يطرق سمع سامع مثلها ، هذا مع عدم الفضة العددية فى أيدى الناس ، فيدور الشخص بالقرش ، وهو ينادى على صرفه بنقص أربعة أنصاف ، نصف يوم حتى يصرفه بقطع إفرنجية منها ما هو باثنى عشر أو خمسة وعشرين أو خمسة فقط ، أو يشترى من يريد الصرف شيئًا من الزيات أو الخضرى أو الجزار ، ويبقى عنده الكسور الباقية ، يوعده بغلاقها فيعود إليه مرارا حتى يتحصل عنده غلاقها ، وليس هو فقط بل أمثاله كثير ، وسبب شحة الفضة العددية أنه يضرب منها كل يوم بالضربخانة ألوف مؤلفة ، يأخذها التجار بزيادة مائة نصف فى كل ألف ، يرسلونها إلى بلاد الشام والروم ، ويعوضون بدلها فى الضربخانة ، الفرانسة والذهب ، لأنها تصرف فى تلك البلاد بأقل مما تصرف به فى مصر ، وزاد الحال بعد هذا التاريخ حتى استقر على صرف الألف مائتين ، وتقرر ذلك فى حساب الميرى ، فيدفع الصارف ثلاثين قرشا عنها ألف ومائتان ، ويأخذ ألف فقط ، والفرانسة والمحبوب بحسابه المتعارف بذلك الحساب ، والأمر لله وحده .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر

فلم يمت من مشاهير الفقهاء من له شهرة ولا ذكر ، وأما الأمراء فقد تقدم ذكرهم ، وما وقع لهم ، ومقتلهم إجمالا ، فأغنى عن التكرار فالله يرحمنا أجمعين ثم دخلت .

سنة سبع وعشرين ومائتين وألف [1]

وما تجدد بها من الحوادث ، فكان ابتداء المحرم بالرؤية يوم الخميس ، فى عاشره [2] ، وصل كثير من كبار العسكر الذين تخلفوا بالمويلح ، فحضر منهم حسين بيك دالى باشا وغيره ، فوصلوا إلى قبة النصر جهة العادلية ، ودخلت عساكرهم المدينة شيئًا فشيئًا ، وهم فى أسوأ حال من الجوع وتغير الألوان وكآبة المنظر والسحن، ودوابهم وجمالهم فى غاية العىّ ، ويدخلون إلى المدينة فى كل يوم ، ثم دخل أكابرهم إلى بيوتهم ، وقد سخط عليهم الباشا ، ومنع أن يأتيه منهم أحد

(١) ١٢٢٧ هـ / ١٦ يناير ١٨١٢ - ٣ يناير ١٨١٣ م . (٢) ١٠ محرم ١٢٢٧ هـ / ٢٥ يناير ١٨١٢ م .

ولايراه ، وكأنهم كانوا قادرين على النصرة والغلبة ، وفرطوا فى ذلك ، ويلومهم على الانهزام والرجوع ، وطفقوا يتهم بعضهم البعض فى الانهزام ، فتقول الخيالة : « سبب هزيمتنا القرابة » ، وتقول القرابة بالعكس ، ولقد قال لى بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع : « أين لنا بالنصر ، وأكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لايتدين بدين ، ولاينتحل مذهبا ، وصحبتنا صناديق المسكرات ، ولايسمع فى عرضينا أذان ، ولاتقام به فريضة ، ولايخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين ، والقوم إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع ، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائم ، أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف ، فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة ، وعسكرنا يتعجبون من ذلك ، لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ، وينادون فى معسكرهم هلموا إلى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط ، والشاربين الخمور ، التاركين للصلاة ، الآكلين الربا ، القاتلين الأنفس ، المستحلين المحرمات ، وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر ، فوجدوهم غلفا غير مختونين ، ولما وصلوا بدرا واستولوا عليها ، وعلى القرى والخيوف ، وبها خيار الناس وبها أهل العلم والصلحاء ، نهبوهم وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم ، فكانوا يفعلون فيهم ويبيعونهم من بعضهم لبعض ، ويقولون : « هؤلاء الكفار الخوارج » ، حتى اتفق أنَّ بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته ، فقال له : « حتى تبيت معى هذه الليلة وأعطيها لك من الغد » .

وفيه [1] ، خرج العسكر المجرد إلى السويس وكبيرهم بونابارته الخازندار ، ليذهب لمحافظة الينبع صحبة طوسون باشا .

وفيه [2] ، وصل جماعة من الإنكليز وصحبتهم هدية إلى الباشا ، وفيها طيور ببغا هندية خضر الألوان وملونة ، وريالات فرانسة نقود معبأة فى براميل وحديد وآلات ، ومجيئهم وحضورهم فى طلب أخذ الغلال ، وفى كل يوم تساق المراكب المشحونة بالغلال إلى بحرى ، وكل ما وردت مراكب سيرت إلى بحرى حتى شحت الغلال ، وغلا سعرها وارتفعت من السواحل والرقع ، ولايكاد يباع إلاَّ ما دون الويبة ، وكان سعر الأردب من أربعمائة نصف إلى ألف ومائتين ، والفول كذلك ، وربما كان سعره أزيد من القمح لقلته ، فإنه هاف زرعه فى هذه السنة ، ولم يتحصل من رميه إلاَّ نحو التقاوى ، وحصل للناس فى هذه الأيام شدة بسبب ذلك ، ثم بعد قليل وردت غلال ، وانحلت الأسعار ، وتواجدت الغلال بالسواحل والرقع .

---

(١) ١٠ محرم ١٢٢٧ هـ / ٢٥ يناير ١٨١٢ م .　(٢) ١٠ محرم ١٢٢٧ هـ / ٢٥ يناير ١٨١٢ م .

وفى منتصفه [1] ، حضر رجل نصرانى من جبل الدروز ، وتوصل إلى الباشا ، وعرفه أنه يحسن الصناعة بدار الضرب ، ويوفر عليه كثيرا من المصاريف ، وأنَّها بها نحو الخمسمائة صانع ، وأن يقوم بالعمل بأربعين شخصا لا غير ، وأنه يصنع آلات وعِدَدًا لِضَرب القروش وغيرها ، ولا تحتاج إلى وقود نيران ، ولا كثير من العمل ، فصدق الباشا قوله ، وأمر بأن يفرد له مكان ، ويضم إليه ما يحتاجه من الرجال والحدادين والصناع ، ليعمل لصناعته العدد والآلات التى يحتاجها ، وشرع فى أشغاله ، واستمر على ذلك شهورا .

وفيه [2] ، التفت الباشا إلى خَدَمة الضربخانة وأفنديتها ، وطمعت نفسه فى مصادرتهم ، وأخذ الأموال لما يرى عليهم من التجمل فى الملابس والمراكب ، لأن من طبعه داء الحسد والشره والطمع والتطلع لما فى أيدى الناس وأرزاقهم ، فكان ينظر إليهم ويرمقهم ، وهم يغدون ويروحون إلى الضربخانة هم وأولادهم ، راكبون البغال والرهوانات المجملة ، وحولهم الخدم والأتباع ، فيسأل عنهم ويستخبر عن أحوالهم ودورهم ومصارفهم ، وقد اتفق أنَّه رأى شخصا خرج آخر الصناع ، وهو راكب رهوانا وحوله ثلاثة من الخدم ، فسأل عنه ، فقيل له إنَّ هذا البوّاب الذى يغلق باب الضربخانة بعد خروج الناس منها ، ويفتحه لهم فى الصباح ، فسأل عن مرتبه فى كل يوم ، فعرفوه أنَّ له فى كل يوم قرشين لا غير ، فقال إنَّ هذا المرتب له لايكفى خدمه الذين هم حوله ، فكيف بمصرف داره وعليق دوابه ، وجميع لوازمه مما ينفقه ويحتاجه فى تجملاته وملابسه ، وملابس أهله وعياله ، إن هؤلاء الناس كلهم سراق ، وكل ما هم فيه من السرقة والاختلاس ، ولابدّ من إخراج الأموال التى اختلسوها وجمعوها ، وتناجى فى ذلك مع المعلم غالى وقرنائه ، ثم طلب أوّلا إسماعيل أفندى ليلا ، وهو الأفندى الكبير ، وقال له : « عرفنى خيانة فلان النصرانى ، وفلان اليهودى المورد » ، فقال : « لا أعلم على أحد منهم خيانة ، وهذا شىء يدخل بالميزان ويخرج بالميزان » ، ثم صرفه وأحضر النصرانى ، وقال له : « عرفنى بخيانة إسماعيل أفندى وأولاده ، والمداد ، وإبراهيم أفندى الخضراوى الختام وغيره ، فلم يزد على ما قاله إسماعيل أفندى » ، ثم أحضر الحاج سالم الجواهرجى وهدده فلم يزد على قول الجماعة شيئًا ، فقال : « الجميع شركاء لبعضهم البعض ومتفقون على خيانتى » ، ثم أمر بحبس الحاج سالم ، وأحضر شخصا آخر من الجواهرجية يسمى صالح الدنف ، وألبسه فروة وجعله فى خدمة الحاج سالم ،

(1) ١٥ محرم ١٢٢٧ هـ / ٣٠ يناير ١٨١٢ م . (2) ١٥ محرم ١٢٢٧ هـ / ٣٠ يناير ١٨١٢ م .

ثم ركب الباشا إلى بيت الأزبكية ، وطلب إسماعيل أفندى ليلا ، هو وأولاده ، فأحضروهم بجماعة من العسكر فى صورة هائلة ، وهددهم بالقتل ، وأمر بإحضار المشاعلى فأحضروه ، وأوقدوا المشاعل ، وسعت المتكلمون فى العفو عنهم من القتل ، وقرروا عليهم مبلغا عظيما من الأكياس ، التزموا بدفعها خوفا من القتل ، ففرضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيسا ، وعلى إبراهيم المداد مائتى كيس ، وعلى أحمد أفندى الوزان مائتى كيس ، وعلى أولاد الشيخ السحيمى مائتى كيس ، لأن لهم بها آلات ختم ووظائف يستغلون أجرتها ، وأخذ الجماعة فى تحصيل ما فرض عليهم ، فشرعوا فى بيع أمتعتهم وجهات إيرادهم ، وزهنوا وتداينوا بالربا ، وحولت عليهم الحوالات ، لطف الله بنا وبهم .

واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧ (١)

فى سابعه يوم الخميس (٢) ، حضر السيد محمد المحروقى إلى مصر ، ووصل من طريق القصير ، ثم ركب بحر النيل ، ولم يحضر الشيخ المهدى بل تخلف عنه بقنا وقوص ، لبعض أغراضه .

وفيه (٣) ، ألبس الباشا صالح أغا السلحدار خلعة ، وجعله سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر إلى الحجاز ، وكذلك ألبس باقى الكشاف .

وفى يوم الأحد عاشره (٤) ، ورد قابجى وعلى يده مرسوم ببشارة مولود ولد للسلطان محمود ، وتسمى بمراد ، وصحبته أيضًا مقرر للباشا على ولاية مصر ، فضربوا مدافع لوروده ، وطلع إلى القلعة فى موكب ، وقرئت المراسيم ، وعملوا شنكا ومدافع تضرب فى الأوقات الخمسة سبعة أيام من القلعة ، والأزبكية ، وبولاق ، والجيزة .

واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٧ (٥)

فيه (٦) ، حضر إبراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلية .

وفى منتصفه (٧) ، حضر أحمد أغا لاظ الذى كان أميرا بقنا وقوص ، وباقى

---

(١) صفر ١٢٢٧ هـ / ١٥ فبراير - ١٤ مارس ١٨١٢ م . (٢) ٧ صفر ١٢٢٧ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٢ م .
(٣) ٧ صفر ١٢٢٧ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٢ م . (٤) ١٠ صفر ١٢٢٧ هـ / ٢٤ فبراير ١٨١٢ م .
(٥) ربيع الأول ١٢٢٧ هـ / ١٥ مارس - ١٣ أبريل ١٨١٢ م .
(٦) ١ ربيع الأول ١٢٢٧ هـ / ١٥ مارس ١٨١٢ م . (٧) ١٥ ربيع الأول ١٢٢٧ هـ / مارس ١٨١٢ م .

الكشاف ، بعد أن راكوا جميع البلاد القبلية والأراضى ، وفرضوا عليها الأموال على كل فدان سبعة ريالات وهو شىء كثير جدا ، وأحصوا جميع الرزق الأحباسية المرصدة على المساجد والبر والصدقة بالصعيد ومصر ، فبلغت ستمائة ألف فدان ، وأشاعوا بأنهم يطلقون للمرصد على المساجد خاصة نصف المفروض ، وهو ثلاثة ريال ونصف ، فضجت أصحاب الرزق ، وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ ، فركبوا إلى الباشا ، وتكلموا معه فى شأن ذلك ، وقالوا له : « هذا يترتب عليه خراب المساجد » ، فقال : « وأين المساجد العامرة الذى لم يرض بذلك يرفع يده ، وأنا أعمر المساجد المتخربة ، وأرتب لها ما يكفيها » ، ولم يفد كلامهم فائدة ، فنزلوا إلى بيوتهم .

وفى أواخره [1] ، انتقل السيد عمر مكرم النقيب من دمياط إلى طندتا ، وسكن بها .

وسبب ذلك ، أنه لما طالت إقامته بدمياط وهو ينتظر الفرج ، وقد أبطأ عليه ، وهو ينتقل من المكان الذى هو فيه إلى مكان آخر على شاطئ البحر ، وتشاغل بعمارة خان أنشأه هناك ، والحرس ملازمون له ، فلم يزل حتى ورد عليه صديق أفندى قاضى العسكر ، فكلمه بأن يتشفع له عند الباشا فى انتقاله إلى طندتا ففعل ، وأجاب الباشا إلى ذلك .

واستهل شهر ربيع الآخر سنة ١٢٢٧ [2]

فى رابعه [3] ، وصل الحجاج المغاربة ، ووصل أيضًا مولاى إبراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب ، وسبب تأخرهم إلى هذا الوقت ، أنهم أتوا من طريق الشام ، وهلك الكثير من فقرائهم المشاة ، وأخبروا أنهم قضوا مناسكهم وحجوا وزاروا المدينة ، وأكرمهم الوهابية إكراما زائدا ، وذهبوا ورجعوا من غير طريق العسكر .

وفى عاشره [4] ، حضر تامر كاشف ، ومحو بيك ، وعبدالله أغا ، وهم الذين كانوا حضروا إلى المويلح بعد الهزيمة ، فأقاموا به مدة ، ثم ذهبوا إلى ينبع البحر عند طوسون باشا ، ثم حضروا فى هذه الأيام باستدعاء الباشا ، وكان محو بيك فى

---

(١) آخر ربيع الأول ١٢٢٧ هـ / ١٣ أبريل ١٨١٢ م .

(٢) ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ١٤ أبريل - ١٢ مايو ١٨١٢ م .

(٣) ٤ ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ١٧ أبريل ١٨١٢ م . (٤) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ٢٣ أبريل ١٨١٢ م .

مركب من مراكب الباشا الكبار التى أنشأهـا ، فانكسر على شعب وهلك من عسكره أشخاص ، ونجا هو بمن بـقى معه ، وأخبروا عنه أنه كان أوّل من تـقدم فى البحر ، هو وحسين بيك ، فقتل من عسكرهما الكثير من دون البقية الذين استعجلوا الفرار .

وفيه [1] ، خرجت أوراق الفرضة على نسـق العام الأوّل عن أربع سنوات ، مال وفائظ ومضاف وبرانـى ورزق وأوسية ، واستقر طلبها فى دفـعة واحدة ، ويؤخذ من أصل حسابها الغلال من الأجران بحسـاب ثمانية ريال كل أردب ، ويجمع غلال كل إقليـم فى نواحى عيـنوها لتساق إلـى الإسكندرية ، وتـباع على الإفرنج ، فـشحت الغلال وغلا سعرها ، مع كون الفلاح لايقدر علـى رفع غلته المتحصلة له من زراعة أرضه ، التى غرم عـليها المغارم بطول السـنة ، بل تؤخذ منه قهـرا مع الإجحاف فى الثمن والكيل ، بحيث يكال الأردب أردبا ونصفا ، ثـم يلزمونه بأجرة حملها للمحل المعد لذلك ، ويلزم أيضًا بأجرة الكيال وعوائد المباشرين لذلك من الأعوان ، وخدمة الكشوفيـة ، وأجرة المعادى ، وبعض البلاد يـطلق له الإذن بدفع المطلـوب بالثمن ، والبعـض النصف غلال والـنصف الآخر دراهم ، حسـب رسم المعلم غـالى وأوامره وإذنه ، فإنه هو المرخص فى الأمر والنهى ، فيبـيع المأذون له غلته بأقصى قيمة بمرآى من المسكين الآخر الـذى لم تسعده الأقدار ، وحضر الكثير مـن الفلاحين وازدحموا بباب المعلم غالى ، وتركوا بيادرهم وتعطلوا عن الدراس .

وفى ليلة الإثنين خامس عشره [2] ، ذهب الباشا إلى قصـر شبرا ، وسافر تلك الليلـة إلى ثغر الإسكندريـة ، ورجع ابنه إبراهيم بيـك إلى الجهة القبلـية ، وكذلك أحمد أغا لاظ لتحرير وقبض الأموال .

وفيه [3] ، ورد الخبر بأن العسكـر بقبلى ذهبوا خلف الأمراء القبـليين الفارين إلى خلف أبريم ، وضـيقوا عليهم الـطرق ، وماتت خيولـهم وجمالهم ، وتفـرق عنهم خدمهم ، واضمحل حالهم ، وحضر عدة من مماليكهم ، وأجنادهم إلى ناحية أسوان بأمان من الأتراك ، فقبضـوا عليهم وقتلوهم عن آخرهم ، وفعلـوا قبل ذلك بغيرهم كذلك .

وفى أواخره [4] ، سافر عدة من عسـكر المغاربة إلى الينبع ، ووصل جـملة كبيرة من عسكر الأروام إلى الإسـكندرية ، فصرف عليهم الباشـا علائف ، وحضروا إلى مصر وانتظموا فى سلك من بها ، ويعين منهم للسفر من يعين .

(1) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ٢٣ أبريل ١٨١٢ م . (2) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ٢٨ أبريل ١٨١٢ م .
(3) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ٢٨ أبريل ١٨١٢ م . (4) آخر ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ١٢ مايو ١٨١٢ م .

وفيه [1] ، وقعت حادثة بخط الجامع الأزهر ، وهو أنه من مدة سابقة من قبل العام الماضى ، كان يقع بالخطة ونواحيها من الدور والحوانيت سرقات وضياع أمتعة ، وتكرر ذلك حتى ضج الناس وكثر لغطهم وضاع تخمينهم ، فمن قائل : « إنه مسترعيات يدخلون من نواحى السور ، ويتفرقون فى الخطة ، ويفعلون ما يفعلون » ، ومنهم من يقول : « إن ذلك فعل طائفة من العسكر الذين يقال لهم الحيطة فى بلادهم إلى غير ذلك » ، ثم فى تاريخه سرق من بيت امرأة رومية صندوق ومتاع ، فاتهمت أشخاصا من العميان المجاورين بزاويتهم تجاه مدرسة الجوهرية الملاصقة للأزهر ، فقبض عليهم الأغا وقررهم فأنكروا ، وقالوا : « لسنا سارقين ، وإنما سمعنا فلانا سموه » ، وهو محمد بن أبى القاسم الدرقاوى المغربى ، المنفصل عن مشيخة رواق المغاربة ، ومعه إخوته وآخرون - ونعرفه بصوته - وهم يتذاكرون فى ذلك ، ونحن نسمعهم ، فلما تحققوا ذلك وشاع بين الناس والأشياخ ، ذهب بعضهم إلى أبى القاسم وخاطبوه وكلموه سرا وخوّفوه من العاقبة ، وكان المذكور جعل نفسه مريضا ومنقطعا فى داره ، فغالطهم ، فقالوا له : « نحن قصدنا بخطابك التستر على أهل الخرقة المتسبين إلى الأزهر فى العمل بالشريعة ، وأخذ العلم ، أو ما عملت ما قد جرى فى العام السابق من حادثة الزغل وغير ذلك » ، فلم يزالوا به حتى وعدهم أنه يتكلم مع أولاده ، ويفحصون على ذلك بنباهتهم ونجابتهم .

وفى اليوم الثالث ، وقيل الثانى ، أرسل أبو القاسم المذكور فأحضر السيد أحمد الذى يقال له جندى المطبخ وابن أخيه ، وهما اللذان يتعاطيان الحسبة والأحكام بخط الأزهر ، ويتكلمان على الباعة والخضرية والجزارين الكائنين بالخطة ، فلما حضرا عنده عاهدهما وحلفهما بأن يسترا عليه وعلى أولاده ولايفضحاهم ، ويبعدا عنهم هذه القضية ، وأخبرهما بأن ولده لم يزل يتفحص بفطانته حتى عرف السارق ووجد بعض الأمتعة ، ثم فتح خزانة بمجلسه وأخرج منها أمتعة ، فسألوه عن الصندوق ، فقال : « هو باق عند من هو عنده ، ولايمكن إحضاره فى النهار ، فإذا كان آخر الليل انتظروا ولدى محمداً هذا عند جامع الفاكهانى بالعقادين الرومى [2] ، وهو يأتيكم بالصندوق مع سارقه ، فاقبضوا عليه ، واتركوا أولادى ولاتذكروهم ولاتتعرضوا لهم ، فقالوا له : « كذلك » ، وحضر الجندى وابن أخيه فى الوقت

---

(1) آخر ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ١٢ مايو ١٨١٢ م .

(2) جامع الفاكهانى : من الجوامع الفاطمية ، وكان يعرف بجامع الظافر ، ويقع فى وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجين ، وعُرف بعد ذلك بسوق الشوائين ، عمَّر هذا الجامع الخليفة الظافر بالله . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

الذى وعدهم به ، وصحبتهما أشخاص من أتباع الشرطة ، ووقفوا فى انتظاره عند جامع الفاكهانى ، فحضر إليهم وصحبته شخص صرماتى ، فقالا لهم : « مكانكم حتى نأتيكم » ، ثم طلعا إلى ربع بعطفة الماطيين ورجعا فى الحال بالصندوق حامله الصرماتى على رأسه ، فقبضوا على ذلك الصرماتى وأخذوه بالصندوق إلى بيت الأغا فعاقبوه بالضرب وهو ، يقول : « أنا لست وحدى ، وشركائى : ابن أبى القاسم وأخواه ، وآخر يسمى شلاطة ، وابن عبد الرحيم الجميع خمسة أشخاص » ، فذهب الأغا وأخبر كتخدا بيك ، فأمره بطلب أولاد أبى القاسم ، فأرسل إليه ورقة بطلبهم ، فأجابه بأن أولاده حاضرون عنده بالأزهر من طلبة العلم ، وليسوا بسارقين فبالاختصار أخذهم الأغا ، وأحضر ذلك الصرماتى معهم لأجل المحاققة ، فلم يزل يذكر لإبن أبى القاسم ما كانوا عليه فى سرحاتهم القديمة والجديدة ، ويقول له : « أما كنا كذا وكذا ، وفعلنا ما هو كذا فى ليلة كذا ، واقتسمنا ما هو كذا وكذا ، ويقيم عليه أدلة وقرائن وأمارات » ، ويقول له : « أنت رئيسنا وكبيرنا فى ذلك كله ، ولانمشى إلى ناحية ولا سرحة إلا بإشارتك » ، فعند ذلك لم يسع ابن أبى القاسم الإنكار ، أقر واعترف هو وإخوته وحبسوا سوية ، وأما شلاطة ورفيقه ، فإنهما تغيبا وهربا واختفيا ، وشاعت القضية فى المدينة ، وكثر القال والقيل فى أهل الأزهر ونواحيه ، وتذكروا قضية الدراهم الزغل التى ظهرت قبل تاريخه ، وتذكروا أقوالا أخر ، واجتمع كثير من الذين سرق لهم ، فمنهم : رجل يبيع السمن أخذ من مخزنه عدة مواعين سمن وصينية الفطاطرى التى يعمل عليها الكنافة ، وأمتعة وفرش ، وجدوا فى ثلاثة أماكن ، وخاتم ياقوت ، ذكروا أنه بيع بجملة دنانير ، وعقد لؤلؤ وغير ذلك ، واستمروا أياما والناس يذهبون إلى الأغا ويذكرون ما سرق لهم ، ويسألون فيقرون بأشياء دون أشياء ، ويذكرون ضياع أشياء تصرفوا فيها وباعوها وأكلوا بثمنها ، ثم اتفق الحال على المرافعة فى المحكمة الكبيرة ، فذهبوا بالجميع واجتمع العالم الكثير من الناس ، وأصحاب السرقات ، وغيرهم نساء ورجالا ، وادعوا على هؤلاء الأشخاص المقبوض عليهم ، فأحضروا بعض ما ادعوا به عليهم ، وقالوا : « أخذنا » ، ولم يقولوا : « سرقنا » ، وبرأ محمد بن أبى القاسم أخويه وقال : « إنهما لم يكونا معنا فى شىء من هذا » ، وحصل الاختلاف فى ثبوت القطع بلفظ أخذنا، وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ ، ثم إنّ القاضى كتب إعلاما للكتخدا بيك بصورة الواقع ، وفوض الأمر إليه ، فأمر بهم إلى بولاق ، وأنزلوهم عند القبطان، وصحبتهم أبوهم أبو القاسم فأقاموا أياما ، ثم إن كتخدا بيك أمر بقطع أيدى الثلاثة وهم : محمد بن أبى القاسم الدرقاوى ،

ورفيقه الصرماتى ، والصباغ ، الذى ثبتت عليه السرقة فى الحادثة الأخرى ، فقطعوا أيدى الثلاثة فى بيت السقبطان ، ثم أنزلوهم فى مركب وصحبتهم أبوهم أبو القاسم وولداه الآخران اللذان لم تقطع أيديهما ، وسفروهم إلى الإسكندرية ، وذلك فى منتصف شهر جمادى الأولى من السنة [1] .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٧ [2]

فيه[3] ، حضر الثلاثة أشخاص المقطوعين الأيدى ، وذلك أنهم لما وصلوا إلى الإسكندرية ، وكان الباشا هناك تشفع فيهم المتشفعون عنده ، قائلين إنه جرى عليهم الحد بالقطع ، فلا حاجة إلى نفيهم وتغريبهم ، فأمر بنفى أبى القاسم وولديه الصغار إلى أبى قير ، ورجع ولده الآخر مع رفيقه الصرماتى والصباغ إلى مصر ، فحضروا إليها وذهبوا إلى دورهم ، وأما ابن أبى القاسم فذهب إلى داره وسلم على والدته ، ونزل إلى السوق يطوف على أصحابه ويسلم عليهم وهو يتألم مما حصل فى نفسه ، ولايظهر ذلك لشدة وقاحته ، وجمودة صدغه وغلاظة وجهه ، بل يظهر التجلد وعدم المبالاة بما وقع له من النكال وكسوف البال ، ومر فى السوق والأطفال حوله وخلفه ، وأمامه يتفرجون عليه ، ويقولون : « انظروا الحرامى » ، وهو لايبالى بهم ولايلتفت إليهم ، حتى قيل إنه ذهب إلى مسجد خرب بالباطلية ، ودعا إليه غلاما يهواه بناحية الدرب الأحمر ، فجلس معه حصة من النهار ، ثم فارقه وذهب إلى داره ، واشتد به الألم لأن الذى باشر قطع يده لم يحسن القطع ، فمات فى اليوم الثالث [4] .

وفى هذا الشهر [5] ، وما قبله وردت عساكر كثيرة من الأتراك ، وعينوا للسفر وخرجوا إلى مخيم العرضى خارج بابى النصر والفتوح ، فكانوا يخرجون مساء ، ويدخلون فى الصباح ، ويقع منهم ما يقع من أخذ الدواب وخطف بعض النساء والأولاد كعادتهم .

وفى ليلة الخميس ثانى عشرينه [6] ، حضر الباشا من الإسكندرية ليلا ، وصحبته حسن باشا إلى القصر بشبرا ، وطلع فى صبحها إلى القلعة ، وضربوا لقدومه مدافع

---

(١) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٧ هـ / ٢٧ مايو ١٨١٢ م .
(٢) جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ١٢ يونيه - ١٠ يوليه ١٨١٢ م .
(٣) ١ جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ١٢ يونيه ١٨١٢ م . (٤) ٣ جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ١٤ يونيه ١٨١٢ م .
(٥) جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ١٢ يونيه - ١٠ يوليه ١٨١٢ م .
(٦) ٢٢ جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ٣ يوليه ١٨١٢ م .

من الأبراج ، فكان مدة غيبته فى هذه المدة شهرين وسبعة أيام ، واجتهد فيها فى عمارة سور المدينة وأبراجها ، وحصنها تحصينا عظيما ، وجعل بها جبخانات وبارودا ومدافع وآلات حرب ، ولم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه منها على الرسم الذى رسمه لهم ، وأخذ جميع ما ورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ، ثم باعه للمتسببين بما أحب من الثمن ، وورد من ناحية بلاد الإفرنج كثير من البن الإفرنجى ، وحبه أخضر ، وجرمه أكبر من حب البن اليمنى الذى يأتى إلى مصر فى مراكب الحجاز ، أخذه فى جملة ما أخذ فى معاوضة الغلال ، ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة وعشرين فرانسة القنطار ، والتجار يبيعونه بالزيادة ويخلطونه مع البن اليمنى، وفى ابتداء وروده كان يباع رخيصا لأنه دون البن اليمنى فى الطعم واللذة فى شربه وتعاطيه ، وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف البتة .

وفيه [1] وصل مرسوم صحبة قابجى من الديار الرومية ، مضمونه : « وكالة دار السعادة باسم كتخدا بيك ، وعزل عثمان أغا الوكيل تابع سعيد أغا » ، فعمل الباشا ديوانا يوم الأحد [2] ، وقرئ المرسوم ، وخلع على كتخدا بيك خلعة الوكالة ، وخلعة أخرى باستمراره فى الكتخدائية على عادته ، وركب فى موكب إلى داره ، فلما استقر فى ذلك أرسل فى ثانى يوم [3] ، فأحضر الكتبة من بيت عثمان أغا وأمرهم بعمل حسابه من ابتداء سنة ١٢٢١ لغاية تاريخه ، فشرعوا فى ذلك ، وأصبح عثمان أغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه ، ويطالب بما دخل فى طرفه ، وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين وأوقافهما وغير ذلك .

وفى يوم الخميس غايته [4] ، وصل صالح قوج ، ومحو بيك ، وسليمان أغا ، وخليل أغا من ناحية الينبع على طريق القصير ، من الجهة القبلية ، وذهبوا إلى دورهم .

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧ [5]

فى ثالثه [6] ، طلع الجماعة الواصلون إلى القلعة وسلموا على الباشا وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم ، لأنه طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم ، فحضروا بجملة عساكرهم ، وقد كان ثبت عنده أنهم هم الذين كانوا سببا

(١) ٢٢ جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ٣ يوليه ١٨١٢ م . (٢) ٢٥ جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ٦ يوليه ١٨١٢ م .
(٣) ٢٦ جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ٧ يوليه ١٨١٢ م . (٤) غاية جمادى الثانية ١٢٢٧ هـ / ١٠ يوليه ١٨١٢ م .
(٥) رجب ١٢٢٧ هـ / ١١ يوليه - ٩ أغسطس ١٨١٢ م .
(٦) ٣ رجب ١٢٢٧ هـ / ١٣ يوليه ١٨١٢ م .

للهزيمة لمخالفتهم على ابنه ، واضطراب رأيهم وتقصيرهم في نفقات العساكر ، ومبادرتهم للهرب والهزيمة عند اللقاء ، ونزولهم بخاصتهم إلى المراكب ، وما حصل بينهم وبين ابنه طوسون باشا من المكالمات ، فلم يزالوا مقيمين فى بيوتهم ببولاق ومصر ، والأمر بينهم وبين الباشا على السكوت نحو العشرين يوما ، وأمرهم فى ارتجاج واضطراب وعساكرهم مجتمعة حولهم ، ثم إنَّ الباشا أمر بقطع خرجهم وعلائفهم ، فعند ذلك تحققوا منه المقاطعة .

وفى رابع عشرينه [1] ، أرسل إليهم علائفهم المنكسرة وقدرها ألف وثمانمائة كيس ، جميعها ريالات فرانسة ، وأمر بحملها على الجمال ، ووجه إليهم بالسفر فشرعوا فى بيع بلادهم وتعلقاتهم ، وضاق ذرعهم وتكدر طبعهم إلى الغاية ، وعسر عليهم مفارقة أرض مصر ، وما صاروا فيه من التنعم والرفاهية والسيادة والإمارة ، والتصرف فى الأحكام والمساكن العظيمة ، والزوجات والسرارى والخدم والعبيد والجوارى ، فإن الأقل منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الأمراء ، ونسائهم اللاتى قتلت أزواجهن على أيديهم ، وظنوا أنَّ البلاد صفت لهم حتى أنَّ النساء المترفهات ذوات البيوت والإيرادات والالتزامات ، صرن يعرضن أنفسهن عليهم ليحتمين فيهم ، بعد أن كن يَعَفْنَهُم ويأنفن من ذكرهم فضلا عن قربهم .

وفيه [2] ، ورد أغا قابجى من دار السلطنة ، وعلى يده مرسوم بالبشارة بمولود ولد للسلطان ، فعملوا ديوانا يوم الأحد رابع عشرينه [3] ، وطلع الأغا المذكور فى موكب إلى القلعة ، وقرئ ذلك المرسوم وصحبته الأمراء ، وضربوا شنكا ، ومدافع ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام فى وقت كل أذان كأيام الأعياد .

وفى يوم الثلاثاء [4] ، مات أحمد بيك ، وهو من عظماء الأرنؤد وأركانهم ، وكان عندما بلغه قطع خرج المذكورين أرسل إلى الباشا ، يقول له : « اقطع خرجى واعطنى علوفة عساكرى ، وأسافر مع إخوانى » ، فمنعه الباشا وأظهر الرأفة به ، فتغير طبعه ، وزاد قهره وتمرض جسمه ، فأرسل إليه الباشا حكيمه فسقاه شربة وافتصده ، فمات من ليلته ، فخرجوا بجنازته من بولاق ودفنوه بالقرافة الصغرى ، وخرج أمامه صالح أغا ، وسليمان أغا ، وطاهر أغا ، وهم راكبون أمامه ، وطوائف الأرنؤد عدد كبير مشاة حوله .

---

(1) ٢٤ رجب ١٢٢٧ هـ / ٣ اغسطس ١٨١٢ م .
(2) ٢٤ رجب ١٢٢٧ هـ / ٣ اغسطس ١٨١٢ م .
(3) ٢٤ رجب ١٢٢٧ هـ / ٣ اغسطس ١٨١٢ م .
(4) ٢٦ رجب ١٢٢٧ هـ / ٥ اغسطس ١٨١٢ م .

واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة ١٢٢٧ (١)

في رابعه يوم الأربعاء (٢) ، الموافق لسابع مسرى القبطي ، أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونزل الباشا في صبح يوم الخميس (٣) ، في جم غفير وعدة وافرة من العساكر وكسر السد بحضرته وحضرة القاضي ، وجرى الماء في الخليج ، ومنع المراكب من دخولهم الخليج .

وفي منتصفه (٤) ، سافر سليمان أغا ومحو بيك بعد أن قضوا أشغالهم ، وباعوا تعلقاتهم وقبضوا علائفهم .

وفي يوم الخميس تاسع عشره (٥) ، سافر صالح أغا قوج وصحبته نحو المائتين ممن اختارهم من عساكره الأرنؤدية ، وتفرق عنه الباقون ، وانضموا إلى حسن باشا وأخيه عابدين بيك وغيرهما .

وفي يوم الجمعة (٦) ، برزت خيام الباشا إلى خارج باب النصر ، وعزم على الخروج والسفر بنفسه إلى الحجاز ، وقد اطمأن خاطره عندما سافر الجماعة المذكورون ، لأنه لما قطع خرجهم ورواتبهم وأمرهم بالسفر ، جمعوا عساكرهم إليهم وخيولهم ، وأخذوا الدور والبيوت ببولاق وسكنوها ، وصارت لهم صورة هائلة ، وكثرت القالة ، وتخوف الباشا منهم وتحذر ، ونبه على خاصته وسفاشيته وغيرهم بالملازمة والمبيت بالقلعة وغير ذلك .

وفي يوم السبت حادى عشرينه (٧) ، اجتمعت العساكر والمجر الموكب من باكر النهار ، فكان أوّلهم طوائف الدلاة ، ثم العساكر وأكابرهم ، وحسن باشا وأخوه عابدين بيك ، وهو ماش على أقدامه في طوائفه أمام الباشا ، ثم الباشا وكتخدا بيك وأغواتهم الصقلية وطوائفهم ، وخلفهم الطبلخانات ، وعند ركوبه به من القلعة ضربوا عدة مدافع ، فكان مدة مرورهم نحو خمس ساعات ، وجروا أمام الموكب ثمانية عشر مدفعا وثلاث قنابر .

---

(١) شعبان ١٢٢٧ هـ / ١٠ اغسطس - ٧ سبتمبر ١٨١٢ م .
(٢) ٤ شعبان ١٢٢٧ هـ / ١٣ اغسطس ١٨١٢ م .
(٣) ٥ شعبان ١٢٢٧ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨١٢ م .
(٤) ١٥ شعبان ١٢٢٧ هـ / ٢٤ اغسطس ١٨١٢ م .
(٥) ١٩ شعبان ١٢٢٧ هـ / ٢٨ اغسطس ١٨١٢ م .
(٦) ٢٠ شعبان ١٢٢٧ هـ / ٢٩ اغسطس ١٨١٢ م .
(٧) ٢١ شعبان ١٢٢٧ هـ / ٣٠ أغسطس ١٨١٢ م .

واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٢٧ [١]

فى رابع عشرينه [٢] ، وردت هجانة مبشرون باستيلاء الأتراك على عقبة الصفراء والجديدة من غير حرب ، بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب ، وتدبير شريف مكة ، ولم يجدوا بها أحدا من الوهابيين ، فعندما وصلت هذه البشارة ، ضربوا مدافع كثيرة تلك الليلة من القلعة ، وظهر فيهم الفرح والسرور .

وفى تلك الليلة [٣] ، حضر أحمد أغا لاظ حاكم قنا ونواحيها ، وكان من خبره أنه لما وصلت إليه الجماعة الذين سافروا فى الشهر الماضى ، وهم : صالح أغا ، وسليمان أغا ، ومحو بيك ، ومن معهم ، واجتمعوا على المذكور ، بثوا شكواهم وأسرُّوا نجواهم ، وأضمروا فى نفوسهم أنهم إذا وصلوا إلى مصر ، ووجدوا الباشا منحرفا منهم أو أمرهم بالخروج والعود إلى الحجاز ، امتنعوا عليه وخالفوه ؛ وإن قطع خرجهم وأعطاهم علائفهم بارزوه ونابذوه وحاربوه ، واتفق أحمد أغا المذكور معهم على ذلك ، وأنه متى حصل هذا المذكور وأرسلوا إليه فيأتيهم على الفور بعسكره وجنده ، وينضم إليه الكثير من المقيمين بمصر من طوائف الأرنؤد ، كعابدين بيك ، وحسن باشا ، وغيرهم بعساكرهم لاتحاد الجنسية ، فلما حصل وصول المذكورين ، وقطع الباشا راتبهم وخرجهم وأعطاهم علائفهم المنكسرة ، وأمرهم بالسفر ، أرسلوا لأحمد أغا لاظ المذكور بالحضور بحكم اتفاقهم معه ، فتقاعس وأحب أن يبدى لنفسه عذرا فى شقاقه مع الباشا ، فأرسل إليه مكتوبا يقول له فيه : « إن كنت قطعت خرج إخوانى ، وعزمت على سفرهم من مصر ، وإخراجهم منها فاقطع أيضًا خرجى ودعنى أسافر معهم » ، فأخفى الباشا تلك المكاتبة ، وأخر عود الرسول ، ويقال له الخجا لعلمه بما أضمروه فيما بينهم حتى أعطى للمذكورين علائفهم على الكامل ، ودفع لصالح أغا كل ما طلبه وادعاه ، حتى أنه كان أنشأ مسجدا بساحل بولاق بجوار داره وبنى له منارة ظريفة ، واشترى له عقارا ، وأمكنة وقفها على مصالح ذلك المسجد وشعائره ، فدفع له الباشا جميع ما صرفه عليه وثمن العقار وغيره ، ولم يترك لهم مطالبة يحتجون بها فى التأخير ، وأعطى الكثير من رواتبهم لحسن باشا وعابدين بيك أخيه فمالوا عنهم ، وفارقهم الكثير من عسكرهم ، وانضموا إلى أجناسهم المقيمين عند حسن باشا وأخيه ، فرتبوا لهم العلائف معهم ، وأكثرهم مستوطنون ومتزوّجون بل ومتناسلون ، ويصعب عليهم مفارقة الوطن ، وما

---

(١) رمضان ١٢٢٧ هـ / ٨ سبتمبر – ٧ أكتوبر ١٨١٢ م . (٢) ٢٤ رمضان ١٢٢٧ هـ / ١ أكتوبر ١٨١٢ م .
(٣) ٢٤ رمضان ١٢٢٧ هـ / ١ أكتوبر ١٨١٢ م .

صاروا فيه من التنعـم ، ولايهون بمطلق الحيوان استبدال النعيم بـالجحيم ، ويعلمون عاقبة ما هم صـائرون إليه ، لأنه فيما بلغـنا أن من سافر منهم إلى بلاده قـبض عليه حاكمـها ، وأخذ منه مـا معه من المال الـذى جمعه من مـصر وما معه مـن المتاع ، وأودعه السجن ، ويفرض عـليه قدرا فلا يطلقه حتى يقوم بدفـعه على ظن أن يكون أودع شيئًا عند غيره ، فيشترى نفسه به أو يشتريه أقاربه ، أو يرسل إلى مصر مراسلة لعشيرته وأقاربه فـتأخذهم عليه الغيرة ، فيرسلون له مـا فُرض عليه ويفتدونه ، وإلا فيموت بالسجن أو يـطلق مجردا ، ويرجع إلى حالته التى كان علـيها فى السابق من الخدم المـتهنة والاحتـطاب من الجبل والـتكسب بالـصنائع الدنـيئة ، ببيـع الأسقاط والكـروش ، والمؤاجرة فى حـمل الأمتـعة ونحو ذلـك ، فلذلـك يختارون الإقـامة ويتركون مخاديمهم ، خصوصا والخسة من طبـاعهم ، هذا والباشا يستحث صالح أغا ورفقاءه فى الرحـيل ، حيث لم يبق له عذر فـى التأخير ، فعندما نـزلوا فى المراكب وانحـدروا فى الـنيل ، أحـضر البـاشا الخـجا المذكـور ، وهو عبـارة عن الأفـندى المخصوص بكتابة سره وإيراده ومصرفه ، وأعطاه جـواب الرسالة ، مضمونها تطمينه وتأمينه ، ويذكر له أنه صعب عليه وتأثر مـن طلبه المقاطعة وطلبه المفارقة ، وعدَّد له أسباب انحرافه عن صالح أغا ورفقائه ، ومـا استوجبوا به ما حصل لهم من الإخراج والإبعاد ، وأما هـو فلم يحصل منه ما يوجب ذلك ، وأنـه باق على ما يعـهده من المودة والمحبة ، فإن كان ولابد من قصده وسفره فهو لايمنعه من ذلك ، فيأتى بجميع أتباعه ويتوجه بالسلامة أينما شاء ، وإلا بأن صرف عن نفسه هذا الهاجس ، فليحضر فى القنجة فى قلة ، ويترك وطاقه وأتباعه، ليواجهه ويتحدث معه فى مشورته وانتظام أموره التى لايتحمـلها هذا الكتاب ، ويعود إلى محل ولايته وحـكمه مكرما ، فراج علـيه ذلك الـتمـويه وركن إلـى زخرف القـول ، وظن أنَّ البـاشا لايـصله بمـكروه ولايواجهه بقـبيح من القول فضلا عن الفـعل ، لأنه كان عظيما فيـهم ومن الرؤساء المعدودين ، صـاحب همة وشهامـة وإقدام ، جسورا فى الحروب والخـطوب ، وهو الذى مهد الـبلاد القبلية وأخـلاها من الأجناد المصريـة ، فلما خلت الديـار منهم ، واستقر هو بقنـا وقوص ، وهو مطلق التصرف ، وصالح أغا قـوج بالأسيوطية ، ثم إنَّ الباشا وجه صالح أغا إلى الحجاز ، وقلد ابنـه إبراهيم باشا ولاية الصعيد ، فكان يناقض عليه أحـمد أغا المذكور فى أفعاله ، ويمانعه التعـدى على أطيان الناس وأرزاق الأوقاف والمساجد ، ويحل عـقد إبراماته ، فيرسل إلى أبيه بالأخبـار فيحقد ذلك فى نفسه ويظهـر خلافه ويتغافل ، وأحمد أغا المـذكور على جليته وخلوص نـيته ، فلما وصلته الرسالة اعتقد صدقه وبادر بالحضـور فى قلة من أتباعه حسب إشارته ، وطلع

إلى القلعة ليلة السبت ، وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان [1] ، فعبر عند الباشا وسلم عليه ، فحادثه وعاتبه ونقم عليه أشياء ، وهو يجاوبه ويرادده حتى ظهر عليه الغيظ ، فقام كتخدا بيك وإبراهيم أغا ، فأخذاه وخرجا من عند الباشا ، ودخلا إلى مجلس إبراهيم أغا ، وجلسوا يتحدثون ، وصار الكتخدا وإبراهيم أغا يلطفان معه القول ، وأشارا عليه بأن يستمر معهما إلى وقت السحور وسكون حدة الباشا ، فيدخلون إليه ويتسحرون معه فأجابهم إلى رأيهم ، وأمر من كان بصحبته من العسكر وهم نحو الخمسين بالنزول إلى محلهم ، فامتنع كبيرهم ، وقال : « لانذهب ونتركك وحيدا » ، فقال الكتخدا : « وما الذى يصيبه وهو هنمشرى ومن بلدى ، وإن أصيب بشىء كنت أنا قبله » ، فعند ذلك نزلوا وفارقوه ، وبقى عنده من لايستغنى عنه فى الخدمة ، فعند ذلك أتاه من يستدعيه إلى الباشا ، فلما كان خارج المجلس قبضوا عليه وأخذوا سيفه وسلاحه ، ونزلوا به إلى تحت سلم الركوب ، وأشعل الضوى المشعل ، وأداروا كتافه ورموا رقبته ، ورفعوه فى الحال وغسلوه وكفنوه ، وذلك فى سادس ساعة من الليل ، وأصبح الخبر شائعا فى المدينة ، وأحضر الباشا الخجا وطولب بالتعريف عن أمواله وودائعه ، وعين فى الحال باشجاويش ليذهب إلى قنا ، ويختم على داره ويضبط ماله من الغلال والأموال ، وطلبت الودائع ممن هى عنده التى استدلوا عليها بالأوراق ، فظهر له ودائع فى عدة أماكن وصناديق مال وغير ذلك ، ولم يتعرض لمنزله ولا لحريمه .

واستهل شهر شوال بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٧ [2]

فى رابعه يوم السبت [3] ، قدم قابجى من إسلامبول وعلى يده مقرر للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ، ومعه فروة لخصوص الباشا ، فلما وصل إلى بولاق ، فنزل كتخدا بيك لملاقاته ، فركب فى موكب جليل وخلفه النوبة التركية ، وشق من وسط البلد ، وصعد إلى القلعة ، وحضر الأشياخ وأكابر دولتهم ، وقرئ المرسوم بحضرة الجميع ، فلما انقضى الديوان ضربوا عدة مدافع من القلعة .

وفيه [4] ، ألبس شيخ السادات ابن أخيه سيدى أحمد خلعة وتاجا ، وجعله وكيلا عنه فى نقابة الأشراف ، وأركبه فرسا بعباءة ومشى أمامه أيضًا الجاويشية المختصين بنقيب الأشراف ، وأمره بأن يذهب إلى الباشا ، ويقابله ليخلع عليه ،

---

(١) ٢٧ رمضان ١٢٢٧ هـ / ٤ أكتوبر ١٨١٢ م . (٢) شوال ١٢٢٧ هـ / ٨ أكتوبر - ٥ نوفمبر ١٨١٢ م .
(٣) ٤ شوال ١٢٢٧ هـ / ١١ أكتوبر ١٨١٢ م . (٤) ٤ شوال ١٢٢٧ هـ / ١١ أكتوبر ١٨١٢ م .

وأرسل صحبته محمد أفندى ، فقال : « مبارك » وأشار إليه محمد أفندى بأن يخلع عليه فروة ، فقال الباشا : « إنَّ عمه جعله نائبا عنه ووكيلا ، فليس له عندى تلبيس ، لأنه لم يتقلدها بالأصالة من عندى » ، فقام ونزل من غير شيء إلى داره بجوار المشهد الحسينى .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه [1] ، سافر مصطفى بيك دالى باشا بجميع الدلاة وغيرهم من العسكر إلى الحجاز ، وحصل للناس فى هذا الشهر عدة كربات .

منها : وهو أعظمها عدم وجود الماء العذب ، وذلك فى وقت النيل ، وجريان الخليج من وسط المدينة ، حتى كاد الناس يموتون عطشا ، وذلك بسبب أخذهم الحمير للسخرة ، والرجال لخدمة العسكر المسافرين ، وغلو ثمن القرب التى تشترى لنقل الماء ، فإن الباشا أخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة عند الخليلية ، وما كان بغيرها أيضًا ، حتى أرسل إلى القدس والخليل فأحضر جميع ما كان بهما ، وبلغت الغاية فى غلوّ الأثمان ، حتى بيعت القربة الواحدة التى كان ثمنها مائة وخمسين نصفا بألف وخمسمائة نصف ، ويأخذون أيضًا الجمال التى تنقل الماء بالروايا إلى الأسبلة والصهاريج وغيرهما من الخليج ، فامتنع الجميع عن السراح والخروج ، واحتاج العسكر أيضًا إلى الماء ، فوقفوا بالطرق يرصدون مرور السقائين أو غيرهم من الفقراء الذين ينقلون الماء بالبلاليص والجرار على رؤوسهم ، فيوجد على كل موردة من الموارد عدة من العسكر وهم واقفون بالأسلحة ، ينتظرون من يستقى من السقائين أو غيرهم ، فكان الخدم والنساء والفقراء والبنات والصبيان ، ينقلون بطول النهار والليل بالأوعية الكبيرة والصغيرة على رؤوسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب ، وبيعت القربة الواحدة بخمسة عشر نصف فضة وأكثر ، وشح وجود اللحم وغلا فى الثمن زيادة على غلو سعره المستمر ، حتى بيع بثمانية عشر نصف فضة كل رطل ، هذا إن وجد ، والجاموسى الجفيط بأربعة عشر ، وطلبوا للسفر طائفة من القبانية ، ومن الخبازين ، ومن أرباب الصنائع والحرف ، وشددوا عليهم الطلب فى أواخر الشهر [2] ، فتغيبوا وهربوا فسمرت بيوتهم وحوانيتهم ، وكذلك الخبازون والفرانون بالطوابين والأفران حتى عدم الخبز من الأسواق ، ولم يجد أصحاب البيوت فرنا يخبزون فيه عجينهم ، فمن الناس القادرين على الوقود من يخبز عجينه فى داره أو عند جاره الذى يكون عنده فرن ، أو عند بعض الفرانين التى تكون فرنه بداخل عطفة

(١) ٢٣ شوال ١٢٢٧ هـ / ٣٠ أكتوبر ١٨١٢ م . (٢) آخر شوال ١٢٢٧ هـ / ٥ نوفمبر ١٨١٢ م .

مستورة خفية ، أو ليلا من الخوف من العسس والمرصدين لهم ، وكذلك عدم وجود التبن ، بسبب رصد العسكر فى الطرق لأخذ ما يأتى به الفلاحون من الأرياف ، فيخطفونه قبل وصوله إلى المدينة ، وحصل بسبب هذه الأحوال المذكورة شبكات ومشاجرات ، وضرب وقتل وتجريح أبدان ، ولولا خوف العسكر من الباشا وشدته عليهم ، حتى بالقتل ، إذا وصلت الشكوى إليه ، لحصل أكثر من ذلك .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧[١]

فى سابعه يوم الخميس [٢] ، سافر الباشا هجانا إلى السويس ، وصحبته حسن باشا .

وفى يوم الجمعة خامس عشره [٣] ، وصل مبشرون من ناحية الحجاز ، وهم أتراك على الهجن والخبر عنهم أن عساكرهم وصلوا إلى المدينة المنوّرة، ونزلوا بفنائها .

وفى يوم الأحد سابع عشره [٤] ، رجع الباشا من ناحية السويس إلى مصر .

وفيه [٥] ، وردت أخبار لطائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيمين بمصر بأن بونابارته وعساكر الفرنساوية ، زحفوا فى جمع عظيم على بلاد المسكوب ، ووقع بينهم حروب عظيمة ، فكانت الهزيمة على المسكوب ، وانكسروا كسرة قوية ، وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بحيطان دوائرهم وحاراتهم ، ولما حضر الباشا طلع إليه القنصل ، وأخبره بتلك الأخبار ، وأطلعه على الكتب الواردة من بلادهم .

وفى ليلة الثلاثاء [٦] ، عدى الباشا إلى بر الجيزة ، وأمر بخروج العساكر إلى البر الغربى ، وعدى أيضًا كتخدا بيك ، وذلك بسبب أن عربان أولاد على نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم ، وأكلوا الزروعات ، فخرج إليهم حسن أغا الشماشرجى ، فوزن نفسه معهم ، فرأى أنه لايقاومهم لكثرتهم ، فحضر إلى مصر وأخبر الباشا ، وتحرك الباشا للخروج إليهم ، ثم بعقيبه أرسل لهم وخادعهم ، فحضر إليه عظماؤهم ، فأخذ منهم رهائن ، وخلع عليهم وكساهم وأعطاهم راحتهم ، وعين لهم جهات ، وشرط عليهم أن لايتعدوها ، ثم رجع وعدى إلى بر مصر فى ليلة الخميس حادى عشرينه [٧] .

(١) ذى القعدة ١٢٢٧ هـ / ٦ نوفمبر - ٥ ديسمبر ١٨١٢ م .
(٢) ٧ ذى القعدة ١٢٢٧ هـ / ١٢ نوفمبر ١٨١٢ م .
(٣) ١٥ ذى القعدة ١٢٢٧ هـ / ٢٠ نوفمبر ١٨١٢ م .
(٤) ١٧ ذى القعدة ١٢٢٧ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨١٢ م .
(٥) ١٧ ذى القعدة ١٢٢٧ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨١٢ م .
(٦) ١٩ ذى القعدة ١٢٢٧ هـ / ٢٥ نوفمبر ١٨١٢ م .
(٧) ٢١ ذى القعدة ١٢٢٧ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨١٢ م .

وفى سادس عشرينه (١) ، نهب العرب القافلة القادمة من السويس تحمل بضائع التجار وغيرهم ، وقتلوا العسكر الذين بصحبتهم وخفارتهم ، وأخذوا الجمال بأحمالها ، وذهبوا بها لناحية الوادى ، والجمال المذكورة على ملك الباشا وأتباعه ، لأنهم صيروا لهم جمالا وأعدوها لحمل البضائع ، ويأخذون أجرتها لأنفسهم بدلا عن جمال العرب ، وذلك من جملة الأمور التى احتكروها طمعا وحسدا فى كل شىء ، ولم ينج من الجمال إلا البعض الذين سبقوهم ، وهم لكتخدا بيك ، فحنق لذلك الباشا ، وأرسل فى الحال مراسلات إلى سليمان باشا محافظ عكا يعلمه بذلك ، ويلزمه بإحضارها ، ويتوعده إن ضاع منها عقال بعير ، والذى ذهب بالمراسلة إبراهيم أفندى المهردار (٢) .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم السبت سنة ١٢٢٧(٣)

فى عاشره يوم الأضحى (٤) ، وردت هجانة من ناحية الحجاز وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على قلعة المدينة المنورّة ، ونزول المتولى بها على حكمهم ، وأنّ القاصد الذى أتت بشائره وصل إلى السويس ، وصحبته مفاتيح المدينة ، فحصل للباشا بذلك سرور عظيم ، وضربوا مدافع وشنكا بعد مدافع العيد ، وانتشرت المبشرون على بيوت الأعيان لأجل أخذ البقاشيش .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره (٥) ، وصل القادمون إلى العادلية فعملوا لقدومهم شنكا عظيما ، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج قبة العزب ، حيث العرضى المعد للسفر ، وأيضًا ضربوا بنادق كثيرة متتابعة من جميع الجهات ، حتى من أسطحة البيوت الساكنين بها ، واستمر ذلك أكثر من ساعتين فلكيتين ، فكان شيئًا مهولا مزعجا ، وأشيع فى الناس دخول الواصلين فى موكب ، واختلفت رواياتهم ، وخرج الباشا إلى ناحية العادلية ، فاصطف الناس على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة ، فلما كان قريب الغروب دخل طائفة من العسكر وصحبتهم بعض أشخاص راكبين على الهجن ، وفى يد أحدهم كيس أخضر وبيد الآخر كيس أحمر بداخلهما المكاتبات والمفاتيح ، وعاد الباشا من ليلته وصعد إلى القلعة ، هذا

---

(١) ٢٦ ذى القعدة ١٢٢٧ هـ / ١ ديسمبر ١٨١٢ م .

(٢) المهردار : حامل أو متولى أمر الخاتم ، ويطلق هذا المعنى على من يتولون التوقيع على الأوراق الرسمية بالخاتم .

المصرى ، حسين مجيب ، معجم الدولة العثمانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (د.ت) ، ص ٢١٦.

(٣) ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ٦ ديسمبر ١٨١٢ - ٣ يناير ١٨١٣ م .

(٤) ١٠ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨١٢ م . (٥) ١١ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ١٦ ديسمبر ١٨١٢ م .

والمدافع والشنك يعمل فى كل وقت من الأوقات الخمسة ، وفى الليل وفى صبح يوم الأربعاء [1] ، شق الأغا والوالى وأغات التبديل ، وأمامهم المناداة على الناس بتزيين الأسواق ، وما فيها من الحوانيت والدور ووقود قناديل وتعاليق ، ويسهرون ثلاث ليال بأيامها أولها يوم الخميس [2] ، وآخرها يوم السبت الذى هو خامس عشره [3] ، وأخرجوا وطاقات وخياما إلى خارج بابى النصر والفتوح ، وخرج الباشا فى ثانى يوم إلى ناحية العادلية [4] ، وهو ليلة يوم الزينة ، وعملوا حراقات ونفوطا وسواريخ ومدافع من كل ناحية مدة أيام الزينة ، وكتبت البشائر إلى جميع النواحى ، وأنعم الباشا بإمريات ومناصب على عشرين شخصا من خواصه ، وعين لطيف بيك أغات المفتاح للتوجه إلى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبته ، وسافر فى صبح يوم الزينة على طريق البر ، وتعين خلافه أيضًا للسفر بالبشائر إلى البلاد الرومية والشامية والأساكل الإسلامية مثل : بلاد الأنضول ، والرومنلى ، ورودس ، وسلانيك ، وأزمير ، وكريت وغيرها .

وفى أواخره [5] ، وردت الأخبار المترادفة بوقوع الطاعون الكثير بإسلامبول ، فأشار الحكماء على الباشا بعمل كورنتيلة بالإسكندرية على قاعدة اصطلاح الإفرنج ببلادهم ، فلا يدعون أحدا من المسافرين الواردين فى المراكب من الديار الرومية ، يصعد إلى البر إلا بعد مضى أربعين يوما من وروده ، وإذا مات بالمركب أحد فى أثناء المدة ، استأنفوا الأربعين .

وفيه [6] ، أوشى بعض اليهود على الحاج سالم الجواهرجى ، المباشر لإيراد الذهب والفضة إلى الضربخانة ، وانعزل عنها كما ذكر فى وسط السنة ، وذلك عند ورود الرجل النصرانى الدرزى الشامى ، بأنه كان فى أيام مباشرته للإيراد يضرب لنفسه دنانير خارجة عن حساب الميرى خاصة ، فأمر الباشا بإثبات ذلك وتحقيقه ، فحصل كلام كثير ، والحاج سالم يجحد ذلك وينكره ، فقال له : « أيوب تابعك الذى كان ينزل آخر النهار بالخرج على حماره فى كل يوم بحجة الأنصاف العددية التى يفرقها على الصيارف بالمدينة ، وأكثر ما فى الخرج خاص بك » ، فأحضروا أيوب المذكور وطلبوه للشهادة ، فقال : « لا أشهد بما لا أعلم ، ولم يحصل هذا مطلقا ، ولايجوز لى ولايخلصنى من الله أن أتهم الرجل بالباطل » ، فقال

(١) ١٢ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ١٧ ديسمبر ١٨١٢ م . (٢) ١٣ ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨١٢ م .
(٣) ١٥ ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ٢٠ ديسمبر ١٨١٢ م .
(٤) العادلية : انظر ، جـ٣ ، ص ١٢ ، حاشية رقم (١) .
(٥) آخر ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ٣ يناير ١٨١٣ م . (٦) آخر ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ٣ يناير ١٨١٣ م .

اليهـــودى : « هذا رفيـقه وصاحبه وخـادمه ولايمكنـه أنه يخبر ويـقر إلا إذا خوّف وعوقب ، وإذا ثبت قولى فإنه يطلع عليـه ستة آلاف كيس » ، فلما سمع الباشا قول اليهودى ستة آلاف كيس ، أمر بحبس الحاج سالم ، ثم أحضروا إخوته والحاج أيوب وسجنوهم وضربوهم ، والباشا يطلب سـتة آلاف كيس كما قال اليهودى ، واستمروا على ذلك أياما ، وذلك الحبس عند قرا علـى بجوار بيت الحريم بالأزبكية ، وسبب خصومة شـمعون اليهودى مـع الحاج سالم ، أنهم احتـجوا على اليهـودى بأشياء ، وقرروا عليه غرامـة أيضًا ، فطلب من الحاج سالم المساعـدة ، وقال له : « ساعدنى كما ساعدتك فى غرامتك » ، فقال الحاج سالم : « إنك لم تساعدنى بمال من عندك بل هو من حسابى معك»، فقال اليهودى: « ألست كنت أدارى عليك فيما تفعله » ، واتسع الكلام بينهما ، وحضرة الباشا وأعـوانه مترقبون لحادث يستخرجون به الأموال بأى وجه كان ، ويتقولـون ويوقعون بين هذا وهذا والناس أعداء لبعـضهم البعض ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ثم إنّ الـسيد محمد المحروقى خاطب الباشا فى شأن الحاج سالم ، وحلف له أن الغرامة الأولى تأخر عليـه منها ثلاثمائة كيس ، استدانها من الأوربيين ودفعـها وهى باقية عليـه إلى الآن ، ومطلوبة منه ، وذلـك بعد أن باع أملاكه وحصة التزامه ، فإذا كان ولابد من تغريمه ثانيا ، فإننا نمهل أصحاب الديون ، ونقوم بدفع الثلثمائة كيس المطلوبة للمـداينين وندفعها للخزينة ، فأجابه لذلك ، وأمر بالإفراج عـن الحاج سالم وإخـوته ومن معـه ، فدفعوا لـقرا على المتولى سجـنهم وعقوبتهم وأتباعه سبعة أكياس .

وفيه [1] ، اشتد الأمر على إسماعيل أفندى أمين عيار الضربخانة وأولاده بالطلب من أرباب الحـوالات ، مثل دالى باشـا وخلافه ، وضيق الـعسكر المـعينون علـيهم منافسهم ولازمـوا دورهم ، ولم يجدوا شافعا ولا دافعا ولا رافعا ، فـباعوا أملاكهم وعقاراتـهم وفراشهم ومـصاغ حريمهم وأوانـيهم وملابسـهم ، وكان الباشـا أخذ من إسماعيل أفنـدى المذكور داره التى بالقلعة عنـدما انتقل إلى القلعة ، فـأمره بإخلائها ففعل ، ونزل إلى داره بحارة الروم بالقرب من دار ابـنه محمد أفندى ، فاتخذ الباشا دار إسماعيل أفندى دارا لحـريمه ، وأسكنهم بها ، لأنها دار عظيمة جـليلة ، عمرها المذكور وصرف عليها فى الأيام الخالية أموالا جمة ، فلما استولى عليها الباشا أسكن بها حـريمه وجواريه وسراريه ، ولما قرر عـليه غرامته أسقـط عنه منها عشريـن كيسا لاغير ، وجعلـها فى ثمن داره المذكورة ، وذلك لايـقوم بثمن رخامها فـقط ، فلما

(١) آخر ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ٣ يناير ١٨١٣ م .

أشتد الحال بإسماعيل أفندى أشار عليه بعض المتشفعين بأن يكتب له عرضحالا ، ويطلع به إلى الباشا صحبة المعلم غالى كبير الأقباط المباشرين ، ففعل ودخل معه المعلم غالى إلى الباشا فعندما رآه مقبلا صحبة المذكور ، وأشار إليه بالرجوع ولم يدعه يتكلم ، فرجع بقهره ونزل إلى داره ، فمرض وتوفى بعد أيام إلى رحمة الله تعالى ، ومات قبله ولده حسن أفندى ، وبقى جميع الطلب على ولده محمد أفندى ، فحصل له مشقة زائدة ، وباع أثاث بيته وأوانيه وكتبه التى اقتناها وحصلها بالشراء والاستكتاب ، فباعها بأبخس الأثمان على الصحافين وغيرهم ، وطال عليه الحال ، وانقضت مواعيد المداينين له ، فطالبوه وكربوه ، فتداين من غيرهم بالربا والزيادة وهكذا ، والله يحسن لنا وله العاقبة .

وفيه [1] ، قدم إلى الإسكندرية فليون من بلاد الإنكليز فيه بضائع وأشياء للباشا ، ومنها خمسون ألف كيس نقودا ثمن غلال وخيول ، يأخذونها من مصر إلى بلادهم ، فطفقوا يطلبون لهم الخيول من أربابها ، فيقيسون طولها وعرضها وقوائمها بالأشبار ، فإن وجدوا ما يوافق غرضهم ومطلوبهم فى القياس والقيافة أخذوه ، ولو بأغلى ثمن وإلا تركوه .

وفيه [2] ، أيضًا أرسل الباشا لجميع كشاف الوجه القبلى بحجز جميع الغلال والحجر عليها لطرفه ، فلا يدعون أحدا يبيع ولايشترى شيئًا منها ، ولايسافر بشىء منها فى مركب مطلقا ، ثم طلبوا ما عند أهل البلاد من الغلال حتى ما هو مدخر فى دورهم للقوت ، فأخذوه أيضًا ، ثم زادوا فى الأمر حتى صاروا يكبسون الدور ، ويأخذون ما يجدون من الغلال قل أو كثر ، ولايدفعون له ثمنا بل يقولون لهم : « نحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة » ، ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا التى استجدها وأعدها لنقل الغلال ، ثم يسيرون بها إلى بحرى ، فتنقل إلى مراكب الإفرنج بحساب مائة قرش عن كل أردب ، وانقضت السنة ، ولم تنقض حوادثها بل استمر ما حدث بها كالتى قبلها وزيادة .

فمنها [3] : ما أحاط به علمنا وذكرنا بعضه ، ومنها ما لم يحط به علمنا أو أحاط ونسيناه ، بحدوث غيره قبل التثبت .

ومنها : أنَّ الباشا عمل ترسخانة عظيمة بساحل بولاق ، واتخذ عدة مراكب

---

(١) آخر ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ٣ يناير ١٨١٣ م . (٢) آخر ذى الحجة ١٢٢٧ هـ / ٣ يناير ١٨١٣ م .

(٣) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ١٥٢ ، طبعة بولاق « ذكر جملة حوادث » .

بالإسكندرية ، لخصوص جلب الأخشاب المتنوعة ، وكذلك الحطب الرومى من أماكنها على ذمته ، ويبيعه على الحطابين بما حدده عليهم من الثمن ، ويحمل فى المراكب المختصة به بأجرة مخددة أيضًا ، ويأتى إلى ديوان الكمرك ببولاق ، فيؤخذ كمركه أى مكسبه ، وهو راجع إليه أيضًا ، إلى أن استقر سعر القنطار الواحد من الحطب بثلثمائة وخمسة عشر نصف فضة ، وأجرة حمله من بولاق إلى مصر ثلاثة عشر نصف فضة ، وأجرة تكسيره مثل ذلك ، فيكون مجموع ذلك ثلثمائة وأربعين نصف فضة القنطار ، وقد اشتريناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين نصفا ، وأجرة حمله فى المركب عشرة أنصاف ، وأجرته من بولاق إلى مصر ثلاثة أنصاف ، وتكسيره كذلك ، فيكون مجموع ذلك ستة وأربعين نصفا ، وكذلك فعل فى أنواع الأخشاب الكرسنة والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلوبات ، واستمر ينشىء فى المراكب الكبار والصغار التى تسرح فى النيل من قبلى إلى بحرى ، ومن بحرى إلى قبلى ، ولايبطل الإنشاء والأعمال والعمل على الدوام ، وكل ذلك على ذمته ومرمتها وعمارتها ولوازمها وملاحوها بأجرتهم على طرفه ، لا بالضمان كما كان فى السابق ، ولهم قَوَمَة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار .

ومنها : وهى من الحوادث الغريبة التى لم يتفق فى هذه الأعصار مثلها : أن فى أواخر ربيع الآخر [1] ، احترق بحر النيل وجف بحر بولاق ، وكثرت فيه الرمال ، وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول ، وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون إلى قريب إنبابة بمداساتهم ، وكذلك بحر مصر القديمة بقى مخاضا ، وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو ، واشتد بالناس العطش بسبب ذلك ، وبسبب تسخير السقائين ، ونادى الأغا والوالى على أن يكون حمل القربة للمكان البعيد باثنى عشر نصف فضة، واستهل شهر بشنس القبطى [2]، فزاد النيل فى أوله فى ليلة واحدة نحو ذراع، ثم كان يزيد كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أبيب [3] ومسرى [4] ، وجرى بحر بولاق ومصر القديمة ، وغطى الرمال ، وسارت فيه المراكب الكبار منحدرة ومقلعة ، وغرقت المقاثئ مثل : البطيخ والخيار والعبد اللاوى ، وما كان مزروعا بالسواحل وهو شىء كثير جدًا ، واستمرت الزيادة نحو عشرين يوما حتى تغير وابيض ، وكاد يحمر ، وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التى فى غير وقتها ، حتى اعتقدوا أنه يوفى أذرع الوفاء قبل نزول النقطة ، ولم يعهد مثل ذلك ، وكان ذلك

---

(١) آخر ربيع الثانى ١٢٢٧ هـ / ١٢ مايو ١٨١٢ م .
(٢) ١ بشنس ١٥٢٨ ق / ٨ مايو ١٨١٢ م .
(٣) آخر أبيب ١٥٢٨ ق / ٤ يوليه ١٨١٢ م .
(٤) آخر مسرى ١٥٢٨ ق / ٥ سبتمبر ١٨١٢ م .

رحمة من الله بـعبيده الفقـراء العطاش ، ثم إنى طالـعت فى تاريخ الحافـظ المقريزى المسمـى بالسلوك فـى دول الملوك ، فذكر مـثل هذه النـادرة فى سنة ثمـان وثلاثين وثمانمائة [1] ، ولما ترادفت هذه الزيادات خرج الوالى إلى قنطرة السد ، وجمع الفعلة للعمل فـى سد فم الخليج ، ونادى على نزح الخـليج وتنظيفه وكسـح أوساخه وقطع أرضه ، ثم وقفت الزيادة بل نقص قليلا ، وزاد فى أوان الزيادة على العادة ، وأوفى أذرعه فى أيامه المعتادة فسبحان الفعال .

ومنها : شـحة الغلال وخلوّ الـسواحل منها فـلا يجد الناس إلا ما بـقى بأيدى فلاحى الجـهات البحرية الـقريبة ، فيحـملونه على الحـمير إلى العرصـات والرقع ، ويبيعـونه على الناس كـل أردب بأربعة وعشريـن قرشا ، خلاف المكس والـكلف ، واستقر مكس الأردب الواحد أربعة وثلاثـين نصف فضة ، وأجرته إذا كان من طريق البحر مـن المنـوفيـة أو نحـوها ، مائة نـصف وأقل وأكثر ، وأجرتـه من بولاق إلى مصر خمسة وعشرون نصفا .

ومنها : أنه لما انتظم له ملك بلاد الصعيد ، ولم يبق له فيه منازع ، وقلَّد إمارته لابنه إبـراهيم باشـا ، ورسم بأن يضـبط جميـع أطيان بلاد الـصعيد ، حـتى الرزق الأحباسية المرصدة عـلى المساجد والخيرات الكائنة بمصـر وغيرها ، وأوقاف سلاطين مصر المتقـدمين وخيراتهم ومساجدهم ومـكاتبهم وصهاريجهـم ، ووظائف المدرسين والمقرئين وغـير ذلك ففعل ذلك وراك الأراضـى بأسرها ، وشاع أنَّه جعـل على كل فدان من أراضى الرزق والأوقاف ثلاثة ريالات لا غيـر ، وعلى باقى فدادين الأطيان ثمانية ريالات ، خلاف النبارى ، وهو مزارع الذرة ، فجعل على كل عود من عيدان القـطوة سبعـة ريالات ، فرضى أصـحاب الرزق والأطيـان بهذه التـنظيم ، وظـنوا استمـراره ، فإن الكثيـر من المرتزقة ما كـان يحصـل له مـن مزارعى رزقته مـقدار ما يحصل له على هذا الحساب .

ومنها : أنه رسـم له بالحجر على جـميع حصص الالتزام ، فلم يـبق لأربابها شيئًا إلا ما ندر ، وهو شـىء قليل جدا ، واحتج فى ذلك باستـيلاء الأمراء المصريين عليها عندما خرجوا من مصر ، وأقاموا بالبلاد القبلية ، فوضعوا أيديهم على ذلك ، وأنه حـاربهم وطـردهم وقتلـهم وورث ما كان بـأيديهم بـحق أو باطل ، وسـموه المضبوط ، وأما ماكان بـأيدى أربابه أيام استيلاء المصريين ، وهم الملـتزمون القاطنون

---

(1) ٨٣٨ هـ / ٧ أغسطس ١٤٣٤ - ٢٦ يوليه ١٤٣٥ م .

بالبلاد القبلية أو بمصر ممن يراعى جانبه ، فإنه إذا عرض حاله ، وطلب إذنا فى التصرف ، وإخبر بأنه كان مفروجا عنه أيام استيلاء المصريين ، وأثبت ذلك بالكشف من الروزنامة وغيرها ، فإما أن يؤذن له فى التصرف ، أو يقال له نعوّضك بدلها من البلاد البحرية ، ويسوّف وتتمادى الأيام ، أو يحيل ذلك على ابنه إبراهيم باشا ، ويقول : « أنا لا علقة لى فى البلاد القبلية ، والأمر فيها لإبراهيم باشا » ، وإذا ذهب لإبراهيم باشا ، يقول له : « أنا أعطيك الفائظ » ، فإن رضى أعطاه شيئًا نزرا ووعده بالإعطاء ، وإن لم يرض قال له : « هات لى إذنا من أفندينا » ، وكل منهما إما مرتحل أو مسافر ، أو أحدهما حاضر ، والآخر غائب ، فيصير صاحب الحاجة كالجملة المعترضة بين الشارط والمشروط ، وأمثال ذلك كثير .

ومنها : الاستيلاء على جميع مزارع الأرز بالبحر الغربى والشرقى ، ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون عليهم من الكلف والتقاوى والبهائم ، ويؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التى قررها على النواحى ، وعند استغلال الأرز يرفعونها بأيديهم ويسعرونها بما يريدونه ، ويستوفون المصاريف ومعاليم القومة والمباشرين المعين لهم ، وإن فضل بعد ذلك شىء أعطوه للمزارع ، أو أخذوه منه وأعطوه ورقة يحاسب بها فى المستقبل ، وفرض على كل دائرة من دوائر الأرز خمسة أكياس فى كل سنة ، خلاف المقرر القديم ، وعلى كل عود ثلاثة أكياس ، فإذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيرا على أصحاب الدوائر والمناشر ، حتى إذا صلح وابيضّ حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم ، فإن زاد لهم شىء أعطوهم به ورقة وحاسبوا بها من قابل ، وأبطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم ، واستقر الحال إلى أن صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا ، ويباع الموجود على ذمته لأهل الأقاليم المتسببين وغيرهم ، وهو عن كل أردب مائة قرش بل وزيادة ، وللإفرنج وبلاد الروم والشام بما لا أدرى .

ومنها : أنّه حصل بين عبدالله أغا بكتاش الترجمان وبين النصرانى الدرزى منافسة ، وهو الذى حضر من جبل الدروز ، ويسمى إلياس ، واجتمع بمصر على من أوصله إلى الباشا ، وهو بكتاش وخلافه ، وعرفوه عن صناعته ، وأنه يعمل آلات بأسهل مما يصنعه صناع الضربخانة ، ويوفر على الباشا كذا وكذا من الأموال التى تذهب فى الدواليب والكلف ، وما يأخذه المباشرون من المكاسب لأنفسهم ، وأفرد له بقعة خاصة به بجانب الضربخانة ، وأمر بحضور ما يطلبه إليه من الحديد والصناع ، واستمر على ذلك شهورا ، ولما تم الآلة صنع قروشا وضربها ناقصة فى

الوزن والعيار ، وجعل كتابتها علـى نسق القروش الرومية ، ووزن الـقرش درهمان وربع ، وفيه من الفضة الخالصة الربـع بل أقلّ ، والثلاثة أرباع نحاس ، وكان المرتب فى الأموال من النحاس فى كل يوم قنطارين ، فضوعف إلى ستة قناطير ، حتى غلا سعر النحاس والأوانى المتخذة منه ، فبلغ سعـر الرطل النحاس المستعمل مائة وأربعين نصف فضة ، بـعد أن كان سعره فى الأزمان الســابقة أربعة عشر نصـفا ، والقراضة سبعة أنـصاف أو أقل ، ثم زاد الطلـب للضربخانة إلـى عشرة قناطيـر فى كل يوم ، والمباشر لذلـك كله بكتاش أفندى ، ثـم إن بكتاش أفندى المذكور انـحرف على ذلك الدرزى ، وذلك بإغراء المعاير ، وحـصل بينهما مناقشة بين يدى البـاشا والمعلم غالى بينهم ، وانحط الأمر فى ذلك المجلس علـى منع الدرزى من مباشرة العمل ، ورتب له الباشا أربـعة أكياس لمصرفه فى كل شـهر ، ومنعوا أيضًا من كان مـعه من نصارى الشوام من الطلوع إلى الضربخانة ، واستمـر بكتاش أفندى ناظرا عليها ، ودقق على أرباب الوظائف والخدم ، ليـأخذ بذلك وجاهة عند مخدومه ، ثم إنَّ الـباشا بعد أيام أمر بنفى الدرزى من مصر وجميع أهلـه وأولاده ، وانقضى أمره بعد أن تعلموا تلك الصناعـة منه ، وفى تلك المدة بلـغ إيراد الضربخانة لخـزينة الباشا فى كل شـهر ألفا وخمسمائة كيس ، وكان الذى يرد منها فى زمن المصريين ثلاثين كيسا فى كل شهر أو أقلّ مـن ذلك ، فلمـا التزم بـها السيـد أحمد المحـروقى أوصلـها إلى خمـسين ، واستمرت على ابنه الـسيد محمد كذلك مدّة ، فانتبذ لها محـمد أفندى طبل المعروف بناظر المهمات ، وزاد عليها ثلاثين كيسا ، وبقيت تحت نظارة المحروقى بذلك القدر ، ثم إنَّ الباشـا عزل السيد محمـد المحروقى عنها وأبقـاها على ذمته ، وقيـد خاله فى نظارتها ، ولـم يـزل الباشا يلعب هذه الملاعيـب حتى بلغت هذا المبلغ المـستمر وربما يزيد ، وذلك خلاف الغـرامات والمصادرات لأربابها ، ثم وشى له عـلى عبدالله أغا بكتاش بأنه يزيد فى وزن القروش وينقص منه عن القدر المحدود ، فإذا حسب القدر المنقوص وعمل معدله فى مدة نظارته ، تحصـل منه مقدار عظيم من الأكياس ، فلما نوقش فى ذلك قال : « هذا الأمر يسئل فيـه صاحب العيار » ، فأحضروه وأحضروا محمد أفندى ابن إسماعيل أفندى بدفتره ، وتحاققوا فى الحساب ، فسقط منهم خمسة أكياس لم تـدخل الحساب ، فقالوا : « أين ذهـبت هذه الخمسة أكياس » ، فـطفقوا ينظرون إلى بعضهم ، فقال المورد : « الحق أن هذه الخمسة أكياس من حساب محمد أفندى ، ومطلوبة له ، وتجاوز عنها لفلان الـيهودى المورد من مدة سابقة » ، فالتفت الباشا إلى محمد أفندى ، وقال له: « لأى شـىء تجاوزت لليهودى عن هذا القدر » ، فقال : « لعـلمى أنه خلى ليس عـنده شىء فأخذتنى الـرأفة عليه ، وتركت مطـالبته

حتى يحصل له اليسار » ، فقال : « كيف تنعم بمالى على اليهودى » ، فقال : « إنه من حسابى » ، فقال : « ومن أين كان لك ذلك » ، وأمر به فبطحوه وضربوه بالعصىّ ، ثم أقاموه وأضافوا الخمسة أكياس على باقى الغرامة المطلوبة منه التى هو متحير فى تحصيلها ، ولو بالإستدانة من الربويين ، كما قال القائل :

شكَوتُ جلُوسَ إنسانٍ ثقيلٍ فجاوُونى بمَنْ هوَ منهُ أثقَلُ

فكنتُ كَمن شكَا الطاعُونَ يوما فزادوه علَى الطاعُونِ دُمَّلْ

ومحمد أفندى هذا من وجهاء الناس وخيارهم يفعل به هذه الفعال ، ثم انحط الحال مع بكتاش أفندى على أن فرض عليه ستمائة كيس يقوم بدفعها ، فقال : « ويعفونى أفندينا من نظارة الضربخانة » ، فلم يجبه إلى ذلك واستمر فى تلك الخدمة مكرها خائفا من عواقبها .

ومنها : أنّ الريال الفرانسة بلغ فى مصارفته من الفضة العددية إلى مائتين وثمانين نصفا ، بل وزيادة خمسة أنصاف ، فنودى عليه بنقص عشرة ، وشددوا فى ذلك ، وبعد أيام نودى بنقص عشرة أخرى ، فخسر الناس حصة من أموالهم ، ثم إنّ ذلك القرش الذى يضاف إليه من الفضة ربع درهم ، ووزن الريال تسعة دراهم فضة ، فيكون الريال الواحد بما يضافُ إليه من النحاس على هذا الحساب ستة وثلاثين قرشا ، يخرج منها ثمن الريال ستة قروش ونصف ، وكلفة الشغل فى الجملة قرش أو قرشان ، يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون قرشا ونصف ، وهو المكسب فى الريال الواحد ، وهو من جملة سلب الأموال ، لأن صاحب الريال ، إذا أراد صرفه أخذ بدله ستة قروش ونصفا ، وفيها من الفضة درهم ونصف وثمن ، وهى بدل التسعة دراهم التى هى وزن الريال ، ثم زيد فى الطنبور نغمة ، وهى الحجر على الفضة العددية ، فلا يصرفون شيئًا منها للصيارف ولا لغيرهم إلا بالفرط ، وهو أربعة قروش على كل ألف ، فيعطى للضربخانة تسعة وعشرون قرشا زلائط[1] ، ويأخذ ألف فضة عنها خمسة وعشرون قرشا ، ثم زادوا بعد ذلك فى الفرط ، فجعلوه

---

(١) زلائط : مفردها زلاطة ، فى التركية زلوطة (Zolota) ، عملة فضية عثمانية ، وكانت الزلاطة العثمانية تساوى ثلاثين بارة فى تركيا ، أما فى مصر فكانت تساوى سبعا وعشرين بارة فى ١٧٢٢ م ، ثم أربعين بارة فى ١٧٦٩ م ، ثم ضربت فى هذا العام فى القاهرة قروش فضية على نمط الزلاطة العثمانية التى سكت فى عهد السلطان مصطفى الثالث ، فكان وزن الزلاطة يتراوح بين ١٣,٧٣٧ جم ، وبين ١٤,٧٧٤ جم ، وكان وزن القرش الذى يسك فى القاهرة ١٥ جم .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

خمسة قروش ، فيعطى ألفا ومائتين ، ويأخذ بدلها ألفا ، فانظر إلى هذه الزيادة والرذالة ، وكذا السفالة .

ومنها : استمرار غلاء الأسعار فى كل شىء ، وخصوصا فى الأقوات التى لايستغنى عنها الغنى والفقير فى كل وقت ، بسبب الإحداثات والمكوس التى ترتبت على كل شىء ، ومنها المأكولات : كاللحم ، والسمن ، والعسل ، والسكر وغير ذلك ، ثم الخضارات ، وإبطال جميع المذابح خلاف مذبح الحسينية ، والتزم به المحتسب بمبلغ عظيم ، مع كفاية لحم الباشا ، وأكابر دولته بالثمن القليل ، ويوزع الباقى على الجزارين بالسعر الأعلى ، الذى يخرج منه ثمن لحوم الدولة من غير ثمن ، فينزل أجزار بما يكون معه من الغنمة أو الاثنين الجفيط إلى بيت أو عطفة مستورة ، فتزدحم عليه المتبعون له والمنتظرون إليه ، ويقع بينهم من المضاربة والمشاجرة ما لايوصف ، وثمن الرطل اثنا عشر نصفا ، وقد يزيد على ذلك ، ولا ينقص عن الاثنى عشر ، وكذلك الخضراوات التى كانت تباع جزافا تباع بأقصى القيمة ، حتى أنّ الخس مثلا الذى كان يباع كل عشرة أعداد بنصف واحد ، صارت الواحدة تباع بنصف ، وقس على ذلك باقى الخضراوات ، وأن الباشا لما وضع يده على الأراضى القريبة ، وأنشأ السواقى تجاه القصر والبستان بناحية شبرا ، وحرث الأراضى الخرس وزرع فيها أنواع الخضراوات ، وأجرى عليها المياه ، وقيد لخدمتها المرابعين أيضًا والمزارعين بالمؤاجرة ، والمباشر على ذلك كله ذو الفقار كتخدا ، وعندما يبدو صلاح البقول والخضراوات يبيعها على المتسببين فيها بأغلى ثمن ، وهم يبيعونها على الناس بما أحبوا ، وشاع بين الناس إضافة ذلك إلى الباشا فيقولون : « كرنب الباشا ، ولفت الباشا ، وملوخية الباشا ، وفجل الباشا ، وقرنبيط الباشا » ، وزرع أيضًا بستانه من أنواع الزهور العجيبة المنظر المتنوّعة الأشكال من الأحمر والأصفر والأزرق والملوّن ، أتوا بنقائلها من بلاد الروم ، فنتجت وأفلحت ، وليس لها إلا حسن المنظر فقط ، ولا رائحة لها أصلا .

ومنها : أن ديوان المكس ببولاق الذى يعبرون عنه بالكمرك ، لم يزل يتزايد فيه المتزايدون حتى أوصلوه إلى ألف وخمسمائة كيس فى السنة ، وكان فى زمن المصريين يؤدى من يلتزمه ثلاثين كيسا مع محاباة الكثير من الناس ، والعفو عن كثير من البضائع لمن ينسب إلى الأمراء ، وأصحاب الوجاهة من أهل العلم وغيرهم ، فلايتعرضون له ، ولو تحامى فى بعض أتباعهم ولو بالكذب ، ويعاملون غيرهم بالرفق مع التجاوز الكثير ، ولاينبشون المتاع ولا رباط الشىء المحزوم ، بل على

الصندوق أو المحزوم قدر يسير معلوم ، فلما ارتفع أمره إلى هذه المقادير ، صاروا لايعفون عن شىء مطلقا ، ولا يسامحون أحدا ولو كان عظيما من العلماء أو من غيرهم ، وكان من عادة التجار إذا بعثوا إلى شركائهم محزوما من الأقمشة الرخيصة مثل : العاتكى ، والنابلسى ، جعلوا بداخل طيها أشياء من الأقمشة الغالية فى الثمن ، مثل : المقصبات الحلبى ، والكشميرى ، والهندى ، ونحو ذلك ، فتندرج معها فى قلة الكمرك ، وفى هذا الأوان يحلون رباط المحزوم ، ويفتحون الصناديق ، وينبشون المتاع ، ويهتكون ستره ، ويحصون عدده ، ويأخذون عشره أى من كل عشرة واحدا ، أو ثمنه ، كما يبيعه التاجر غاليا أو رخيصا حتى البوابيج والأخفاف والمسوت التى تجلب من الروم ، يفتحون صناديقها ويعدونها بالواحد ، ويأخذون عشورها عينا أو ثمنا ، ويفعل ذلك أيضًا متولى كمرك الإسكندرية ، ودمياط ، وإسلامبول ، والشام ، فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شىء لفحش هذه الأمور ، وخصوصا فى الأقمشة الشامية ، والحلبية ، والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف ، فإن عليها بمفردها مكوسا فاحشة قبل نسجها ، وكان الدرهم الحرير فى السابق بنصف فضة ، فصار الآن بخمسة عشر نصفا وما يضاف إليه من الأصباغ ، وكلف الصناع والمكوس المذكورة ، فبذلك بلغ الغاية فى غلوّ الثمن ، فيباع الثوب الواحد من القماش الشامى المسمى بالألاجة الذى كانت قيمته فى السابق مائتى نصف فضة ، بألفين فضة ، مع ما يضاف إليه من ربح البائع ، وطمع التاجر والنعل الرومى الذى كان يباع بستين نصفا ، صار يباع بأربعمائة نصف ، والذراع الواحد من الجوخ الذى كان يباع بمائة نصف فضة ، بلغ فى الثمن إلى ألف فضة وهكذا ، مما يُستَعْصَى تتبعه ولاتستقصى مفرداته ، ويتولى هذه الكمارك ، كل من تزايد فيها من أى ملة كان من نصارى القبط أو الشوام أو الأروام ، أو من يدعى الإسلام ، وهم الأقلّ فى الأشياء الدون ، والمتولى الآن فى ديوان كمرك بولاق ، شخص نصرانى رومى يسمى كزابيت ، من طرف طاهر باشا لأنه مختص بإيراده ، وأعوان كرابيت من جنسه ، وعنده قوّاسة أتراك ، يحجزون متاع الناس ، ويقبضون على المسلمين ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم ، وإذا عثروا بشخص أخفى عنهم شيئًا ، حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به ، وألزموه بغرامة مجازاة لفعله .

والعجب أن بضائع المسلمين يؤخذ عشرها ، يعنى من العشرة واحد ، وبضائع الإفرنج والنصارى ومن ينتسب إليهم ، يؤخذ عليها من المائة اثنان ونصف .

وكذلك أحدث عدة أشياء واحتكارات فى كثير من البضائع مثل السكر الذى يأتى من ناحية الصعيد ، وزيادات فى المكوس القديمة خلاف المحدثات ، وذلك أن من كان بطالا أو كاسد الصنعة أو قليل الكسب أو خامل الذكر ، فيعمل فكرته فى شىء مهمل مغفول عنه ، ويسعى إلى الحضرة بواسطة المتقربين ، أو بعرضحال ، يقول فيه : « إن الداعى للحضرة يطلب الالتزام بالصنف الفلانى ، ويقوم للخزينة العامرة بكذا من الأكياس فى كل سنة » ، فإذا فعل ذلك تنبه المشار إليه ، فيوعد بالإنجاز ويؤخر أياما ، فتتسامع المتكالبون على أمثال ذلك ، فيزيدون على الطالب حتى تستقر الزيادة على شخص ، إما هو أو خلافه ، ويقيد اسمه بدفتر الروزنامة ، ويفعل بعد ذلك الملتزم ما يريده وما يقرره على ذلك الصنف ، ويتخذ له أعوانا وخدمة وأتباعا يتولون استخلاص المقررات ، ويجعلون لأنفسهم أقدارا خارجة عن الذى يأخذه كبيرهم ، والذى تولى كبر ذلك ، وفتح بابه نصارى الأروام والأرمن فترأسوا بذلك ، وعلت أسافلهم ولبسوا الملابس الفاخرة ، وركبوا البغال والرهوانات ، وأخذوا بيوت الأعيان التى بمصر القديمة وعمروها ، وزخرفوها وعملوا فيها بساتين وجنائن ، وذلك خلاف البيوت التى لهم بداخل المدينة ، ويركب الكلب منهم ، وحوله وأمامه عدة من الخدم والقوّاسة ، يطردون الناس من أمامه وخلفه ، ولم يدعوا شيئًا خارجا عن المكس حتى الفحم الذى يجلب من الصعيد والحطب السنط والرتم ، وحطب الذرة الذى كان يباع منه كل مائة حزمة بمائة نصف ، فلما احتكروه صار يباع كل مائة حزمة بألف ومائتى نصف ، وبسبب ذلك تشحطت أشياء كثيرة ، وغلت أثمانها مثل الجبس والجير ، وكل ما يحتاج للوقود حتى الخبازين فى الأفران ، فإننا أدركنا الأردب من الجبس بثمانية عشر نصف فضة ، والآن بمائتين وأربعين نصفا ، « وكذلك أدركنا القنطار من الجير بعشرة أنصاف ، والآن بمائة وعشرين ، والحال فى الزيادة » .

ومنها : « أنَّ الباشا شرع فى عمارة قصر العينى ، وكان قد تلاشى وخربته العسكر ، وأخذت أخشابه ، ولم يبق فيه ولا الجدران ، فشرع فى إنشائه وتعميره ، وتجديده على هذه الصورة التى هو عليها الآن على وضع الأبنية الرومية » .

ومنها : أنَّه هدم سراية القلعة ، وما اشتملت عليه من الأماكن ، فهدم المجالس التى كانت بها والدواوين ، وديوان قايتباى وهو المقعد المواجه للداخل إلى الحوش علو الكلار الذى به الأعمدة ، وديوان الغورى الكبير ، وما اشتمل عليه من المجالس التى كانت تجلس بها الأفندية والقلفاوات أيام الدواوين ، وشرع فى بنائها على وضع

آخر ، واصطلاح رومى ، وأقاموا أكثر الأبنية من الأخشاب ، ويبنون الأعالى قبل بناء السفل ، وأشيع أنَّهم وجدوا مخبآت بها ذخائر لملوك مصر الأقدمين .

ومنها : أن الباشا أرسل لقطع الأشجار المحتاج إليها فى عمل المراكب مثل : التوت ، والنبق ، من جميع البلاد القبلية والبحرية ، فانبث المعينون لذلك فى البلاد ، فلم يبقوا من ذلك إلا القليل ، لمصانعة أصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون ، فيجتمع بترسخانة الأخشاب لصناعة المراكب مع ما ينضم إليها من الأخشاب الرومية شىء عظيم جدا ، يتعجب منه الناظر من كثرته ، وكلما نقص منه شىء فى العمل اجتمع خلافه أكثر منه .

ومنها : أن أحمد أغا أخا كتخدا بيك ، لما تقلد وكالة دار السعادة ونظارة الحرمين ، انضم إليه أباليس الكتبة ، لتحرير الإيراد والمصرف ، وحصروا الأحكار المقررة على الأماكن ، والأطيان التى أجرها النظار السابقون المدد الطويلة ، وجعلوا عليها قدرا من المال ، يقبض فى كل سنة لجهة وقف أصله على عادة مصر السابقة واللاحقة فى استئجار الأوقاف من نظارها ، والأطيان والأماكن المستأجرة من أوقاف الحرمين وتوابعها : كالدشيشة ، والخاصكية ، والمحمدية ، والمرادية وغير ذلك ، كثيرة جدًا ، ففتحوا هذا الباب ، وتسلطوا على الناس فى طلب ما بأيديهم من السندات وحجج التآجرات ، فإذا اطلعوا عليها فلا يخلو إما أنْ تكون المدة قد انقضت ومضت ، أو بقى منها بقية من السنين ، فإن كان بقى منها بقية ، زادوا فى الأجرة المؤجلة التى هى الحكر مثلها أو مثليها بحسب حال المحل ورواجه ، وإنْ كانت المدة قد انقضت ومضت ، استولوا على عين المحل ، وضبطوه أو جددوا له تآجرا ، وزادوا فى حكره ، ويكون ذلك بمصلحة جسيمة ، وعلى كلتا الحالتين لابد من التغريم والمصالحات الجوانية والبرانية للكتاب والمباشرين والخدم والمعينين ، ثم المرافعة إلى القاضى ، ودفع المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة السندات التى يأخذها واضع اليد .

ومنها : التحجير على الأجراء والمعمرين المتصلين فى الأبنية والعمائر ، مثل البنائين والنجارين والنشارين والخراطين ، وإلزامهم فى عمائر الدولة بمصر وغيرها بالإجارة والتسخير ، واختفى الكثير منهم ، وأبطل صناعته ، وأغلق من له حانوت حانوته ، فيطلبه كبير حرفته الملزم بإحضاره عند معمار باشا ، فإما أنه يلازم الشغل أو يفتدى نفسه أو يقيم بدلا عنه ، ويدفع له الأجرة من عنده ، فترك الكثير صناعته ، وأغلق حانوته وتكسب بحرفة أخرى ، فتعطل بذلك احتياجات الناس فى

التعمير والبناء ، بحيث إن من أراد أن يبنى له كانونا أو مدودا لدابته تحير فى أمره ، وأقام أياما فى تحصيل البناء ، وما يحتاجه من الطين والجير والقصرمل ، وكان الباشا اشترى ألف حمار ، وعملوا لها مزابل ، وأعدوها لنقل أتربة عمائره ، وشيل القصرمل من مستوقدات الحمامات بالمدينة وبولاق ، ونودى فى المدينة منع الناس كافة عن أخذ شىء من القصرمل ، فكان الذى تلزمه الضرورة لشىء ، إن كان قليلا أخذه كالسرقة فى الليل من المستوقد ، بأغلى ثمن وإن كان كثيرا لا يأخذه إلا بفرمان بالإذن من كتخدا بيك ، بعد أن كان شيئًا مبتذلا ، وليس له قيمة ، ينقلونه إذا كثر بالمستوقدات إلى الكيمان بالأجرة ، وإن احتاجه الناس فى أبنيتهم إما نقلوه على حميرهم ، أو نقله خدمة المستوقد بأجرتهم كل فردين بنصف وأقل وأزيد ونحو ذلك ، كما إذا ضاع لإنسان مفتاح خشب لايجد نجارا يصنع له مفتاحا آخر إلا خفية ، ويطلب ثمنه خمسة عشر نصف فضة ، وكان من عادة المفتاح نصف فضة إن كان كبيرا أو نصف نصف إن كان صغيرا .

ومنها : أنّ الذى التزم بعمل البارود قرر على نفسه مائتى كيس ، واحتكر جميع لوازمه مثل الفحم ، وحطب الترمس ، والذرة ، والكبريت ، فقرر على كل صنف من ذلك قدرا من الأكياس ، وأبطل الذين كانوا يعملون فى السباخ بالكيمان ، ويستخرجون منه ملح البارود ، ثم يؤخذ منهم عبيطا إلى المعمل فيكررونه حتى يخرج ملحا أبيض ، يصلح للعمل ، وهى صناعة قذرة ممتهنة ، فأبطلهم منها وبنى أحواضا بدلا عن الصناديق ، وجعلها متسعة وطلاها بالخافقى ، وعمل ساقية ، وأجرى الماء منها إلى تلك الأحواض ، وأوقف العمال لذلك بالأجرة ، يعملون فى السباخ المذكور .

ومنها : شحة الحطب الرومى فى هذه السنة ، وإذا ورد منه شىء حجزه الباشا لاحتياجاته ، فلا يرى الناس منه شيئًا ، فكان الحطابة يبيعون بدله خشب الأشجار المقطوعة من القطر المصرى ، وأفضلها السنط ، فيباع منه الجملة بثلثمائة نصف فضة ، وأجرة حملها عشرة ، وتكسيرها عشرة ، وعز وجود الفحم أيضًا ، حتى بيعت الأقة بعشرين نصفا ، وذلك لانقطاع الجالب إلا ما يأتى قليلا من ناحية الصعيد مع العسكر ، يتسببون فيه ويبيعونه بأغلى ثمن ، كل حصيرة باثنى عشر قرشا وخمسة عشر قرشا ، وهى دون القنطار ، وكانت تباع فى السابق بستين نصفا ، وهى قرش ونصف ، وغير ذلك أمور وإحداثات وابتداعات لايمكن استقصاؤها ، ولم يصل إلينا خبرها ، إذ لايصل إلينا إلا ما تعلقت به اللوازم والاحتياجات الكلية ، وقد يستدل بالبعض على الكل .

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر[1]

فمات ، الشيخ الإمام العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه الأصولى النحوى ، شيخ الإسلام والمسلمين ، الشيخ عبدالله بن حجازى بن إبراهيم الشافعى الأزهرى ، الشهير بالشرقاوى ، شيخ الجامع الأزهر ، ولد ببلدة تسمى الطويلة [2] ، بشرقية بلبيس ، بالقرب من القرين ، في حدود الخمسين بعد المائة [3] ، وتربى بالقرين ، فلما ترعرع وحفظ القرآن قدم إلى الجامع الأزهر ، وسمع الكثير من الشهابين الملوى ، والجوهرى ، والحفنى ، وأخيه يوسف ، والدمنهورى ، والبليدى ، وعطية الأجهورى ، ومحمد الفارسى ، وعلى المنسفيسى الشهير بالصعيدى ، وعمر الطحلاوى ، وسمع الموطأ فقط على علىّ بن العربى الشهير بالسقاط ، وبآخرة تلقن بالسلوك والطريقة على شيخنا الشيخ محمود الكردى ولازمه ، وحضر معنا فى أذكاره وجمعياته ، ودرس الدروس بالجامع الأزهر ، وبمدرسة السنانية بالصنادقية ، وبرواق الجبرت ، والطيبرسية ، وأفتى فى مذهبه ، وتميز فى الإلقاء والتحرير ، وله مؤلفات دالة على سعة فضله من ذلك : « حاشيته على التحرير » ، « وشرح نظم يحيى العمريطى » ، و « شرح العقائد المشرقية » ، والمتن له أيضًا ، و « شرح مختصر فى العقائد ، والفقه والتصوّف » ، مشهور فى بلاد داغستان ، وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى فى العقائد، ومختصر الشمائل، وشرحه له ، ورسالة فى « لا إله إلا الله » ، ورسالة فى مسألة أصولية فى جمع الجوامع ، « وشرح الحكم والوصايا الكردية فى التصوّف » ، و « شرح ورد سحر للبكرى » ، و « مختصر المغنى فى النحو » ، وغير ذلك ، ولما أراد السلوك فى طريق الخلوتية ولقنه الشيخ الحفنى الاسم الأوّل ، حصل له ولّه واختلال فى عقله ، ومكث بالمارستان أياما ، ثم شفى ولازم الإقراء والإفادة ، ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود الكردى ، وقطع الأسماء عليه ، وألبسه التاج ، وواظب على مجالسته ، وكان فى قلة من خشونة العيش ، وضيق المعيشة ، فلا يطبخ فى داره إلا نادرا ، وبعض معارفه يواسونه ، ويرسلون إليه الصحفة من الطعام ، أو يدعونه ليأكل معهم ، ولما عرفه الناس واشتهر ذكره ، فواصله بعض تجار الشوام وغيرهم بالزكوات والهدايا والصلات ، فراج حاله ، وتجمل بالملابس ، وكبر تاجه ، ولما توفى الشيخ الكردى ، كان المترجم من جملة خلفائه ، وضم إليه

---

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ١٥٩ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة ممن لهم ذكر » .

(٢) بلدة الطويلة : قرية قديمة ، كانت تسمى « منزلة نعمة » ، كانت تابعة لمركز ههيا ، وفى سنة ١٩٣٣ م ، ألحقت بمركز فاقوس لقربها منه ، محافظة الشرقية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١١٣ .

(٣) ١١٥٠ هـ / ١ مايو ١٧٣٧ - ٢٠ أبريل ١٧٣٨ م .

أشخاصا من الطلبة والمجاورين الذين يحضرون فى درسه ، يأتون إليه فى كل ليلة عشاء ، يذكرون معه ، ويعمل لهم فى بعض الأحيان ثريدا ، ويذهب بهم إلى بعض البيوت فى مياتم الموتى ، وليالى السبح ، والجمع المعتادة ، ومعهم منشدون ومولهون ، ومن يقرأ الأعشار عند ختم المجلس ، فيأكلون العشاء ويسهرون حصة من الليل فى الذكر والإنشاد والتّوله ، وينادون فى إنشادهم بقولهم يا بكرى مدد ، يا حفنى مدد ، يا شرقاوى مدد ، ثم يأتون إليهم بالطارى ، وهو الطعام بعد انقضاء المجلس ، ثم يعطونهم أيضا دراهم ، ثم اشترى له دارا بحارة كتامة المسماة بالعينية ، وساعده فى ثمنها بعض من يعاشره من المياسير ، وترك الذهاب إلى البيوت إلا فى النادر ، واستمر على حالته حتى مات الشيخ أحمد العروسى ، فتولى بعده مشيخة الجامع الأزهر ، فزاد فى تكبير عمامته وتعظيمها حتى كان يضرب بعظمها المثل ، وكانت تعارضت فيه ، وفى الشيخ مصطفى الصاوى ، ثم حصل الاتفاق على المترجم ، وأنّ الشيخ الصاوى يستمر فى وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعى بعد صلاة العصر ، وهى من وظائف مشيخة الجامع ، ولما تولاها الشيخ العروسى تعدى على الوظيفة المذكورة الشيخ محمد المصيلحى الضرير ، وكان يرى فى نفسه أنه أحق بالمشيخة من العروسى ، فلم ينازعه فيها حسما للشر ، فلما مات المصيلحى تنزه عنها العروسى ، وأجلس فيها الصاوى ، وحضر درسه فى أول ابتدائه لكونه من خواص تلامذته ، فلما مات العروسى، وتولى المترجم المشيخة، اتفقوا على بقاء الصاوى فى الوظيفة ، ومضى على ذلك أشهر ، ثم إنّ المجتمعين على الشرقاوى وسوسوا له وحرضوه على أخذ الوظيفة ، وأنّ مشيخته لاتتم إلا بها ، وكان مطواعا ، فكلم فى ذلك الشيخ محمد بن الجوهرى ، وأيوب بيك الدفتردار ووافقاه على ذلك ، واغتر بهما وذهب بجماعته ومن انضم إليهم وهم كثيرون ، وقرأ بها درسا فلم يحتمل الصاوى ذلك ، وتشاور مع ذوى الرأى والمكايد من رفقائه ، كالشيخ بدوى الهيتمى وأضرابه ، فبيتوا أمرهم ، وذهب الشيخ مصطفى إلى رضوان كتخدا إبراهيم بيك الكبير ، وله به صداقة ومعاملة ومقارضة فسامحه فى مبلغ كان عليه له ، فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور ، وحضر عند الشرقاوى وتكلم معه وأفحمه ، ثم اجتمعوا فى ثانى يوم ببيت الشرقاوى ، وحضر الصاوى وعزوته وباقى الجماعة ، فقال الشرقاوى : « اشهدوا يا جماعة أنّ هذه الوظيفة استحقاقى ، وأنا نزلت عنها إلى الشيخ مصطفى الصاوى » ، فقال له الصاوى : « ارجع أما الآن فلا ، ولا جميلة لك الآن فى ذلك » ، وباكته بكلام كثير ، وبإنفاذه لرأى من حوله ، وغير ذلك ، وانفض المجلس على منعه من الوظيفة ، واستمرار

الصاوى فيها إلى أن مات ، فعادت إلى المترجم عند ذلك من غير منازع ، فواظب الإقراء فيها مدة ، وطالب سدنة الضريح بمعلومها فماطلوه ، فتشاجر معهم وسبهم فشكوه للمعاضدين لهم ، وهم أهل المكايد من الفقهاء وغيرهم ، وتعصبوا عليه ، وأنهوا إلى الباشا ، وضموا إلى ذلك أشياء حتى أغروا عليه صدره ، واتفقوا على عزله من المشيخة ، ثم انحط الأمر على أن يلزم داره ولايخرج منها ولايتداخل فى شىء من الأشياء ، فكان ذلك أياما ، ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضى ، فركب وقابله ولكن لم يعد إلى القراءة فى الوظيفة بل استناب فيها بعض الفقهاء ، وهو الشيخ محمد الشبراوينى ، ولما حضرت الفرنساوية إلى مصر فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف[1] ، ورتبوا ديوانا لإجراء الأحكام بين المسلمين جعلوا المترجم رئيس الديوان ، وانتفع فى أيامهم بما يتحصل إليه من المعلوم المرتب له عن ذلك ، وقضايا وشفاعات لبعض الأجناد المصرية ، وجعالات على ذلك ، واستيلاء على تركات ، وودائع خرجت أربابها فى حادثة الفرنساوية وهلكوا ، واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها ، واشترى دار ابن بيره بظاهر الأزهر ، وهى دار واسعة من مساكن الأمراء الأقدمين ، وزوجته بنت الشيخ الزعفرانى هى التى تدبر أمره ، وتحرز كل ما يأتيه ويجمعه ، ولايروح ولايغدو إلا عن أمرها ومشورتها ، وهى أم ولده سيدى على الموجود الآن ، وكانت قبل زواجه بها فى قلة من العيش ، فلما كثرت عليه الدنيا اشترت الأملاك والعقار والحمامات والحوانيت بما يغل إيراده مبلغا فى كل شهر له صورة ، وعمل مهما لزواج ابنه المذكور فى أيام محمد باشا خسرو سنة سبع عشرة ومائتين وألف[2] ، ودعا إليه الباشا ، وأعيان الوقت ، فاجتمع إليه شىء كثير من الهدايا ، ولما حضر إليه الباشا أنعم على ابنه بأربعة أكياس ، عنها ثمانون ألف درهم ، وذلك خلاف البقاشيش ، واتفق للمترجم فى أيام الأمراء المصرية أنّ طائفة المجاورين بالأزهر من الشرقاويين يقطنون بمدرسة الطيبرسية بباب الأزهر ، وعمل لهم المترجم خزائن برواق معمر ، فوقع بينهم وبين بعض المجاورين بها مشاجرة ، فضربوا نقيب الرواق ، فتعصب لهم الشيخ إبراهيم السجينى ، شيخ الرواق على الشرقاويين ، ومنعوهم من الطيبرسية وخزائنها ، وقهروا المترجم وطائفته ، فتوسط بامرأة عمياء فقيهة تحضر عنده فى درسه إلى عديلة هانم ابنة إبراهيم بيك ، فكلمت زوجها إبراهيم بيك المعروف بالوالى ، بأن يبنى له مكانا خاصا بطائفته ، فأجابه إلى ذلك ، وأخذ سكن إمام الجامع المجاور لمدرسة الجوهرية من غير ثمن ، وأضاف إليه

(١) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م . (٢) ١٢١٧ هـ / ٤ مايو ١٨٠٢ - ٢٢ ابريل ١٨٠٣ م .

قطعة أخرى ، وأنشأ ذلك رواقا خاصا بهم ، ونقل إليه الأحجار والعامود الرخام الذى بوسطها من جامع الملك الظاهر بيبرس خارج الحسينية ، وهو تحت نظر الشيخ إبراهيم السجينى ، ليكون ذلك نكاية له نظير تعصبه عليه ، وعمل به قوائم وخزائن ، واشترى له غلالا من جرايات البشون ، وأضافها إلى أخباز الجامع ، وأدخلها فى دفتره يستلمها خباز الجامع ويصرفها خبز قرصة لأهل ذلك الرواق فى كل يوم ، ووزعها على الأنفار الذين اختارهم من أهل بلاده ، ومما اتفق للمترجم أن بخارج باب البرقية خانكاه ، أنشأتها خوند طغاى الناصرية بالصحراء على يمنة السالك إلى وهدة الجبانة ، المعروفة الآن بالبستان ، وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة ، يقال له ابن الشاهينى ، فلما مات تقرر فى نظرها المترجم ، واستولى على جهات إيرادها ، فلما ولج الفرنساوية أراضى مصر وأحدثوا القلاع فوق التلول والأماكن المستعلية حوالى المدينة ، هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط الشمالية ، وتركوها على ذلك ، فلما ارتحلوا عن أرض مصر بقيت على وضعها فى التخرب ، وكانت ساقيتها تجاه بابها فى علوة يصعد إليها بمزلقان ، ويجرى الماء منها إلى الخانكاه على حائط مبنى وبه قنطرة يمر من تحتها المارون ، وتحت الساقية حوض لسقى الدواب ، وقد أدركنا ذلك ، وشاهدنا دوران الثور فى الساقية ، ثم إنَّ المترجم أبطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية ، وعمل لنفسه بها مدفنا ، وعقد عليه قبة ، وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع وعلى أركانه عساكر فضة ، وبنى بجانبها قصرا ملاصقا لها يحتوى على أروقة ومساكن ومطبخ وكلار ، وذهبت الساقية فى ضمن ذلك ، وجعلها بئرا ، وعليه خرزة يملأون منها بالدلو ، ونسيت تلك الساقية وانطمست معالمها ، وكأنها لم تكن ، وقد ذكر هذه الخانكاة العلامة المقريزى فى خططه عند ذكر الخوانك لا بأس بإيراد ما نصه للمناسبة ، فقال : « خانكاه أم أنوك هذه الخانكاه خارج باب البرقية بالصحراء ، أنشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الأمير طاشتمر الساقى ، فجاءت من أجلّ المبانى ، وجعلت بها صوفية وقرّاء ، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة ، وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها » ، ثم ترجمها بقوله : « طغاى الخوندة الكبرى ، زوج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأم ابنه الأمير أنوك ، كانت من جملة إمائه فأعتقها وتزوجها ، ويقال إنَّها أخت الأمير آقبغا عبد الواحد ، وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال ، رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ، وتنعمت فى ملاذ ما وصل سواها لمثلها ، ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها ، وصارت خوندة بعد ابنة توكاى أكبر نسائه حتى من ابنة الأمير تنكز ، وحج بها القاضى كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها ،

وحمل لهـا البقول فى محـاير طين على ظهـور الجمال ، وأخذ لها الأبـقار الحلابة ، فسارت معـها طول الطريق ، لأجل اللـبن الطرى والجبن ، وكان يقلى لـها الجبن فى الغداء والـعشاء ، وناهـيك بمن وصل إلى مـداومة البقـل والجبن واللبن فـى كل يوم بطريــق الحـج ، فـما عساه يـكون بعد ذلـك ، وكان القاضـى كريم الدين ، وأمـير مجلـس ، وعدة من الأمراء يتـرجلون عند الـنزول ، ويسيـرون بين يدى محفـتها ، ويقبلون الأرض لهـا كما يفعلون بالسلـطان ، ثم حج بها الأمير بشتـاك فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة [1] ، وكان الأمير تنكـز إذا جهز من دمشق تقدمة للـسلطان ، لابد أن يكون لخوندطـغاى منها جزء وافر ، فلمـا مات السلطان الملك النـاصر ، استمرت عظمتها من بـعده إلى أن ماتت فى شهر شوّال سنة تسع وأربـعين وسبعمائة [2] ، أيام الوباء عن ألف جارية ، وثمانين خصيا ، وأموال كثيرة جدا ، وكانت عفيفة طاهرة ، كثيرة الخـير والصدقات والمعروف ، جـهزت سائر جواريهـا ، وجعلت على قبـر ابنها بقبة المـدرسة الناصرية بـين القصرين قراء ، ووقفـت على ذلك وقفا ، وجـعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ، ودفـنت بهذه الخانكاه ، وهى من أعمر الأماكن إلى يومنا هذا » ، انتهى كلامه .

يقـول الحقير ، إنى دخلت هـذه الخـانكاة فى أواخـر القرن الماضى [3] فوجدت بها روحانيـة لطيفة ، وبها مسـاكن وسـكان قاطنون بها ، وفيهم أصـحاب الوظائف ، مثل : المؤذن ، والـوقاد ، والكناس ، والملاء ، ودخـلت إلى مدفن الواقـفة وعلى قبرها تركيـبة من الرخام الأبيض ، وعند رأسهـا ختمة شريفة كبيرة عـلى كرسى بخط جليـل ، وهى مذهبة ، وعـليها اسم الواقـفة ، رحمها الله تـعالى ، فلو أن الـشيخ المترجم عمر هـذه الخانكاه بدل هذا الذى ارتكبه مـن تخريبها لكان له بذلـك منقبة ، وذكر حسن فى حياته وبعد مماته ، وبالله التوفيق .

وللمترجم طبقات جمعها فى تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين من أهل عصره ، ومن قبـلهم من أهل القرن الثانى عـشر ، نقل تراجم المتقدمـين من طبقات السبكى والإسنوى ، وأما المتأخرون فنقلـهم من تاريخنا هذا بالحرف الواحد ، وأظن أنّ ذلك آخر تآليفاته ، وعـمل تاريخا قبله مختصرا فى نحـو أربعة كراريس عند قدوم الوزير يوسف باشا إلى مصر ، وخروج الفرنسـاوية منها ، وأهداه إليه عدّد فيه ملوك

---

(١) ٧٣٩ هـ / ٢٠ يوليه ١٣٣٨ - ٨ يوليه ١٣٣٩ م .

(٢) شوال ٧٤٩ هـ / ١ أبريل ١٣١٨ - ٢١ مارس ١٣٤٩ م .

(٣) آخر القرن الثانى عشر الهجرى / ٢٣ أكتوبر ١٧٨٦ م .

مصر ، وذكر فى آخره خروج الفرنسيس ، ودخول العثمانية فى نحو ورقتين ، وهو فى غاية البرود ، وغلط فيه غلطات منها : إنه ذكر الأشرف شعبان ابن الأمير حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون ، فجعله ابن السلطان حسن ونحو ذلك ، ولم يزل المترجم حتى تعلل ومات فى يوم الخميس ثانى شهر شوال من السنة (١) ، وصلى عليه بالأزهر فى جمع كثير ، ودفن بمدفنه الذى بناه لنفسه كما ذكر ، ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة أكبر من طبيزيته التى كان يلبسها فى حياته بكثير ، وعمموها بشاش أخضر ، وعصبوها بشال كشميرى أحمر ، ووقف شخص عند باب مقصورته ، وبيده مقرعة يدعو الناس لزيارته ويأخذ منهم دراهم ، ثم إنَّ زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ، ابتدعوا له مولدا وعيدا فى أيام مولد العفيفى ، وكتبوا بذلك فرمانا من الباشا ، ونادى به تابع الشرطة بأسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد ، وكتبوا أوراقا ورسائل للأعيان وأصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور ، وذبحوا ذبائح ، وأحضروا طباخين وفراشين ، ومدُّوا أسمطة بها أنواع الأطعمة والحلاوات والمحمرات والخشافات ، لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والأعيان وأرباب الأشاير والبدع ، ونصبوا قبالة تلك القبة صوارى علقوا بها قناديل وبيارق وشراريب حمرا وصفرا يلوحها الريح ، واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس ، وعملوا قهاوى وبياعين الحلوى والمخللات والترمس المملح والفول المقلى ، ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الأموات ، وأوقدوا بها النيران ، وصبوا عليها القاذورات مع ما يلحقهم من البول والغائط ، وأما ضجة الأوباش والأولاد وصراخهم وفرقعتهم بالبارود وصياحهم وضجيجهم ، فقد شاهدنا به ما كنا نسمعه من عفاريت الترب ، وضرب المثل بهم ، فهم أقبح منهم ، فإن العفاريت الحقيقية ، لم نر لهم أفعالا مثل هذه .

ولما مات الشيخ المترجم ، ومضى على موته ثلاثة أيام ، اجتمع المشايخ فى يوم الأحد خامسه (٢) ، وطلعوا إلى القلعة ، ودخلوا إلى الباشا ، وذكروا له موت المترجم ، ويستأذنونه فيمن يجعلونه شيخا على الأزهر ، فقال لهم الباشا : « اعملوا رأيكم واختاروا شخصا يكون خاليا عن الأغراض ، وأنا أقلده ذلك » ، فقاموا من مجلسه ، ونزلوا إلى بيوتهم واختلفت آراؤهم ، فالبعض اختار الشيخ المهدى ، والبعض ذكر الشيخ محمد الشنوانى ، وأما الشيخ محمد الأمير فإنه امتنع من ذلك ، وكذلك ابن الشيخ العروسى ، والشيخ الشنوانى المذكور منعزل عنهم ، وليس

---

(١) ٢ شوال ١٢٢٧ هـ / ٩ أكتوبر ١٨١٢ م .
(٢) ٥ شوال ١٢٢٧ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨١٢ م .

له درس بالأزهر ، ويقرأ دروسه بجامع الفاكهاني الذى فى العقادين ، وبيده وظائف خدم الجامع ، وعند فراغه من الدروس يغير ثيابه ، ويكنس المسجد ، ويغسل القناديل ، ويعمرها بالزيت والفتائل حتى يكنس المراحيض ، فلما بلغه أنهم ذكروه تغيب ، ثم إن الباشا أمر القاضى وهو بهجة أفندى بأن يجمع المشايخ عنده ، ويتفقوا على شخص يجتمع رأيهم عليه بالشرط المذكور ، فأرسل إليهم القاضى وجمعهم ، وذلك فى يوم الثلاثاء سابعه [1] ، وحضر فقهاء الشافعية مثل القويسنى والفضالى ، وكثير من المجاورين ، والشوام ، والمغاربة ، فسأل القاضى هل بقى أحد ، فقالوا : « لم يكن أحد غائبا عن الحضور إلا ابن العروسى والهيتمى والشنوانى » ، فأرسلوا إليهم فحضر العروسى والهيتمى ، فقال : « وأين الشنوانى فلابد من حضوره » ، فأرسلوا رسولا فغاب ورجع وبيده ورقة ، ويقول الرسول إنَّه له ثلاثة أيام غائبا عن داره ، وترك هذه الورقة عند أهله ، وقال : « إن طلبونى أعطوهم هذه الورقة » ، فأخذها القاضى وقرأها جهارا ، يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، لحضرة شيخ الإسلام إننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوى الهيتمى إلى آخر ما قال » ، فعندما سمع الحاضرون ذلك القول ، قاموا قومة ، وأكثرهم طائفة الشوام ، وقال بعضهم هو لم يثبت له مشيخة حتى أنَّه ينزل عنها لغيره ، وقال كبارهم من المدرسين : « لايكون شيخا إلا من يدرس العلوم ويفيد الطلبة » ، وزادوا فى اللغط ، فقال القاضى : « ومن الذى ترضونه » ، فقالوا : « نرضى الشيخ المهدى » ، كذلك قال البقية ، وقاموا وصافحوه وقرءوا الفاتحة ، وكتب القاضى إعلاما إلى الباشا بما حصل ، وانفض الجمع ، وركب الشيخ المهدى إلى بيته فى كبكبة ، وحوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين ، وشربوا الشربات وأقبلت عليه الناس للتهنئة ، وانتظر جواب الإعلام بقية ذلك اليوم ، فلم يأت الجواب ومضى اليوم الثانى ، والمدبرون يدبرون شغلهم ، وأحضروا الشيخ الشنوانى من المكان الذى كان متغيبا فيه بمصر القديمة ، وتمموا شغلهم ، وأحضروا السيد منصور اليافاوى المنفصل عن مشيخة الشوام ليلا، ليعيدوه إلى مشيخة الشوام ، ويمنعوا الشيخ قاسما المتولى ، قمعا له ولطائفته الذين تطاولوا فى مجلس القاضى بالكلام ، وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل ، وركبوا فى الصباح إلى القلعة ، فقابلوا الباشا ، فخلع على الشيخ محمد الشنوانى فروة سمور [2] ، وجعله شيخا على

---

(١) ٧ شوال ١٢٢٧ هـ / ١٤ أكتوبر ١٨١٢ م .

(٢) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ١٦٤ ، طبعة بولاق « تولية حضرة الشيخ محمد الشنوانى مشيخة الأزهر ».

الأزهر ، وكذلك على السيد منصور اليافاوى ليكون شيخا على رواق الشوام كما كان فى السابق ، ثم نزلوا وركبوا وصحبتهم أغات السينكجرية بهيئة الموكب ، وعلى رأسه المجوزة الكبيرة، وأمامه الملازمون بالبراقع والريش على رؤوسهم ، وما زالوا سائرين حتى دخلوا حارة خوشقدم، فنزلوا بدار ابن الزليجى ، لأن دار ذات الشيخ الشنوانى صغيرة وضيقة لاتسع ذلك الجمع ، والذى أنزله فى ذلك المنزل السيد محمد المحروقى ، وقام له بجميع الاحتياجات ، وأرسل من الليل الطباخين والفراشين والأغنام والأرز والحطب والسمن والعسل والسكر والقهوة ، وأوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام والتهنئة ، ومناولة القهوة والشربات والبخور وماء الورد ، وازدحمت الناس عليه ، وأتوا أفواجا إليه ، وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره[1] ، ووصل الخبر إلى الشيخ المهدى ومن معه ، وحصل لهم كسوف ، وبطلت مشيخته ، ولما كان يوم الجمعة [2] ، حضر الشيخ الجديد إلى الأزهر وصلى الجمعة ، وحضر باقى المشايخ ، وعملوا الختم للشيخ الشرقاوى ، وحصل ازدحام عظيم ، وخصوصا للتفرج على الشيخ الجديد ، وكأنه لم يكن طول دهره بينهم ولايلتفتون إليه ، وبعد فراغ الختم ، أنشد المنشد قصيدة يرثى بها المتوفى من نظم الشيخ عبدالله العدوى المعروف بالقاضى ، وانفض الجمع .

ومات، الأستاذ المكرم بقية السلف الصالحين ، ونتيجة الخلف ، المعتقد ، الشيخ محمد المكنى أبا السعود ابن الشيخ محمد جلال ابن الشيخ محمد أفندى المكنى بأبى المكارم ابن السيد عبد المنعم ابن السيد محمد المكنى بأبى السرور ، صاحب الترجمة ابن السيد القطب الملقب بأبى السرور البكرى الصديقى العمرى من جهة الأم ، تولى خلافة سجادتهم فى سنة سبع عشرة ومائتين وألف [3] ، عندما عزل ابن عمه السيد خليل البكرى ، ولم تكن الخلافة فى فرعهم بل كانت فى أولاد الشيخ أحمد ابن عبد المنعم وآخرهم السيد خليل المذكور ، فلما حضرت العثمانية إلى مصر ، واستقر فى ولايتها محمد باشا خسرو ، سعى فى السيد خليل الكارهون له ، وأنهوا إليه فيه ورموه بالقبائح ، ومنها تداخله فى الفرنسيس وامتزاجه بهم ، وعزلوه من نقابة الأشراف ، وردّت للسيد عمر مكرم ، ولم يكتفوا بذلك ، وذكروا أنه لايصلح لخلافة البكرية ، فقال الباشا : « وهل موجود فى أولادهم خلافه » ، قالوا : « نعم وذكروا المترجم فيمن ذكروه ، وأنه قد طعن فى السن ، وفقير من المال » ، فقال

(١) ١٤ شوال ١٢٢٧ هـ / ٢١ أكتوبر ١٨١٢ م . (٢) ١٧ شوال ١٢٢٧ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٨١٢ م .
(٣) ١٢١٧ هـ / ٤ مايو ١٨٠٢ - ٢٢ ابريل ١٨٠٣ م .

الباشا : « الفقر لاينفى النسب » ، وأمر له بفرس وسرج وعباءة كعادة مركوبهم ، فاحضروه وألبسوه التاج والفرجية ، وخلع عليه الباشا فروة سمور ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ، وأن يأخذ له فائظا فى بعض الإقطاعات ، ويعفى من الحلوان ، وسكن بدار جهة باب الخرق وراج أمره ، واشتهر ذكره من حينئذ ، وسار سيرا حسنا مقرونا بالكمال ، جاريا على نسق نظامهم بحسب الحال ، ويتحاكم لديه خلفاء الطرائق الصوفية، وأصحاب الأشاير البدعية، كالأحمدية ، والرفاعية ، والبرهامية ، والقادرية ، فيفصل قوانينهم العادية[1] ، وينتقل فى أوائل شهر ربيع الأول إلى دار بالأزبكية بدرب عبد الحق ، فيعمل هناك وليمة المولد النبوى على العادة ، وكذلك مولد المعراج فى شهر رجب بزاوية الدشطوطى خارج باب العدوى ، ولم يزل على حالته وطريقته مع انكسار النفس إلى أن ضعفت قواه ، وتعلل ولازم الفراش فعند ذلك طلب الشيخ الشنوانى وبلقى المشايخ ، وعرفهم أن مرضه الذى هو به مرض الموت ، لأنه بلغ التسعين وزيادة ، وأنه عهد بالخلافة على سجادتهم لولده السيد محمد لأنه بالغ رشيد ، والتمس منهم بأن يركبوا معه من الغد ويطلعوا إلى القلعة ويقابلوا به الباشا ، فأجابوه إلى ذلك ، وركبوا من الغد صحبته إلى القلعة فخلع عليه الباشا فروة سمور ، ونزل إلى داره بالأزبكية بدرب عبد الحق ، وتوفى المترجم فى أواخر شهر شوال من السنة [1] وحضروا بجنازته إلى الأزهر ، فصلوا عليه ، وذهبوا به إلى القرافة ، ودفن بمشهد أسلافهم ، رحمه الله تعالى .

ومات الأجل المكرم المهذب فى نفسه، النادرة فى أبناء جنسه، محمد أفندى الودنلى الذى عرف بناظر المهمات، ويعرف أيضًا بطبل أى الأعرج، لأنه كان به عرج، قدم إلى مصر فى أيام قدوم الوزير يوسف باشا، وولاه محمد باشا خسرو كشوفية أسيوط، ثم رجع إلى مصر فى ولاية محمد على باشا، فجعله ناظرا على مهمات الدولة، وسكن ببيت سليمان أفندى ميسوا بعطفة أبى كلبة بناحية الدرب الأحمر، فتقيد بعمل الخيام، والسروج ، والبرقات ، ولوازم الحروب ، فضاقت عليه الدار ، فاشترى بيت ابن الدالى بااللبودية بالقرب من قنطرة عمر شاه ، وهى دار واسعة عظيمة متخربة هى وما حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها، ورتب بها ورشات أرباب الأشغال والصنائع، والمهمات المتعلقة بالدولة كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات، وغير ذلك من الخيام والسروج ومصاريف طوائف العساكر الطبجية والعربجية والرماة ، وعمر ما حول تلك الدار من الرباع

---

(١) هكذا فى طبعة بولاق جـ ٤ ص ١٧٦ وواضح أن هناك سقطا .

(٢) آخر شوال ١٢٢٧ هـ / ٥ نوفمبر ١٨١٢ م .

والحوانيت ، والمسجد الذى بجواره ومكتبا لإقراء الأطفال ، ورتب تدريسا في المسجد المذكور بعد العصر ، وقرر فيه السيد أحمد الطحطاوى الحنفى ومعه عشرة من الطلبة ، ورتب لهم ألف عثمانى تصرف لهم من الروزنامة ، وللأطفال ، وكسوتهم خلاف ذلك ، ويشترى فى عيد الأضحى جواميس وكباش يذبح منها ، ويفرق على الفقراء والموظفين ، ويرسل إلى أصحابه عدة كباش فى عيد الأضحية إلى بيوتهم الكبش والكبشين على قدر مقاديرهم ، ويرسل فى كل ليلة من ليالى رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم إلى الفقراء بالجامع الأزهر ، واتفق أنّ الباشا قصد تعمير المجراة والسواقى التى تنقل الماء من النيل إلى القلعة ، وكانت قد تهدمت وتخربت وتلاشت وبطل عملها مدة سنين ، فأحضروا المعمارجية فهولوا عليه أمرها ، وأخبروه أنها تحتاج خمسمائة كيس تنفق فى عمارتها ، فعرض ذلك على المترجم ، فقال له: « أنا أعمرها بمائة كيس »، قال : « كيف تقول » ، قال : « بل بثمانين كيسا » ، والتزم بذلك ، ثم شرع فى عمارتها حتى أتمها على ما هى عليه الآن ، وأهدى إليه رجال دولتهم عدة أثوار معونة له ، فعمر أيضًا سواقيها ، وأدارها وجرى فيها الماء إلى القلعة ونواحيها ، وانتفع بها أهل تلك الجهات ورخص الماء ، وكثر فى تلك الأخطاط ، وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء عدة سنين ، ومما عد من مناقبه أن القلقات المقيدين بالمراكز وأبواب المدينة ، كانوا يأخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين من الفلاحين وغيرهم ، ومعهم أشياء أو أحمال ولو حطبا أو برسيما أو تبنا أو سرجينا دراهم على كل شيء ، ولو امرأة فقيرة معها أو على رأسها مقطف من رجيع البهائم تبيعه فى الشارع وتقتات بثمنه ، فيحجزونها ولايدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف فضة ، ثم يأخذون أيضًا من ذلك الشىء ويأخذون على كل حمل حمار أو بغل أو حمل نصف فضة ، وإذا اشترى شخص من ساحل بولاق أو مصر القديمة أردب غلة أو حملة حطب لعياله ، أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون، فإذا خلص منهم استقبله الكائنون بالباب الحديد ، وهكذا سائر الطرق التى يدخل منها المارة إلى المدينة ويخرجون ، مثل باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب الشعرية ، وباب العدوى ، وطرق الأزبكية ، وباب القرافة ، والبرقية ، وطرق مصر القديمة ، فسعى المترجم بإبطال ذلك ، وتكلم مع الباشا وعرفه تضرر الناس ، وخصوصا الفقراء ، وهؤلاء المتقيدون لهم علائف يقبضونها من الباشا كغيرهم ، وهذا قدر زائد فرخص له فى إبطال هذا الأمر ، وكتب له بيورلدى بمنع هؤلاء المركوزين عن أخذ شىء من الناس جملة كافية ، وقيد بكل مركز شخصا من أتباعه لمراقبتهم ، وأشاع ذلك فى الناس فانكبوا وامتنعوا عن أخذ شىء من عامة الناس ،

وكانوا يجمعون من ذلك مقادير من الفضة العددية ، يتقاسمونها آخر النهار ، وذلك خلاف ما يأخذونه من الأشياء المحمولة : كالجبن والزبد والخيار والقثاء وأنواع البطيخ والفاكهة والبرسيم والأحطاب والخضارات وغير ذلك .

ومن مناقبه أيضًا ، أن الجاويشية والقوّاسة الأتراك المختصين بخدمة الباشا والكتخدا ، كان من عوائدهم القبيحة أنهم فى كل يوم جمعة يلبسون أحسن ملابسهم ، وينتشرون بالمدينة ، ويطوفون على بيوت الأعيان ، وأرباب المظاهر ، وأصحاب المناصب ، ويأخذون منهم البقاشيش ، ويسمونها الجمعية ، فما هو إلا أن يصطبح أحد من ذكر ، ويجلس مجلسه إلا واثنان أو ثلاثة عابرون عليه من غير استئذان ، فيقفون قبالته وبأيديهم العصى المفضضة ، فيعطيهم القرشين أو الثلاثة بحسب منصبه ومقامه ، فإذا ذهبوا وانصرفوا حضر إليه خلافهم . وهكذا ، ولايرون فى ذلك ثقلا ولا رذالة ، بل يرون إنَّ ذلك من اللازمات الواجبة ، فلا يكفى أحد المقصودين الخمسون قرشا أو أقل أو أكثر فى ذلك اليوم تذهب سبهللا ، فكان منهم من ينقطع فى حريمه ذلك اليوم ، أو يتوارى ويتغيب عن منزله ، فإذا صادفوه مرة أخرى ذاكروه فيما فاتهم فى السابق ، فإما سامحوه وامتنوا عليه بتركها ، أو طالبوه بها إن لم يكن ممن يخشوه ، فسعى أيضًا المترجم مع الباشا فى منعهم من ذلك .

ومن مساويه : أنه أول من فتح باب الزيادة فى متحصل الضربخانة ، حتى تنبه الباشا من ذلك الوقت لأهل الضربخانة ، وأوقع بهم ما تقدم ذكره .

ومنها : إحداث المكس على اللبان والحناء والصمغ على ما قيل :

وَمَن ذاَ الذى تُرضَى سَجَاياهُ كُلُّها   كَفَى المرءُ نُبلاً أنْ تُعَد مَعايِبُه

وبالجملة ، فمن رأس العين يأتى الكدر ، كما قاله الليث بن سعد لما سأله الرشيد ، وقال له : « يا أبا الحرث ما صلاح بلدكم » ، فقال له : « أما صلاح أمر زراعتها وجدبها وخصبها فبالنيل ، وأما صلاح أحكامها فمن رأس العين يأتى الكدر » ، فقال له : « صدقت » ، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى المرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية ، وعلى كل ، فكان المترجم أحسن ما رأينا فى هذه الدولة ، وكان قريبا من الخير وفعله ، مواظبا على الصلوات الخمس فى أوقاتها ، ملازما على الاشتغال ومطالعة الكتب والممارسة فى دقائق الفنون ، واقتنى كتبا كثيرة فى سائر الفنون ، واستنباط الصنائع حتى أنَّه صنع الجوخ الملون الذى يعمل ببلاد الإفرنج ، ويجلب إلى الآفاق ، ويلبسه الناس للتجمل ، وكان قل وجوده بمصر وغلا ثمنه ،

فعمل عـدة أنوال ومناسج غريبـة الوضع ، وأحضر أشخـاصا من النساجين فـنسجوا الصوف بعد غزله مـدّات حددها لهم فى الطول والعرض ، ثم يتسلمه رجال أعدهم لتخميره وتلبيده بـالقلى والصابـون ، منشوراً ومطويـا بكيفيات فـى أوقات وأيام ، بمباشرته لـهم فى العمل وإشارته ، ثم يـضعونه مطويا فى أحواض مـن خشب ثخين مزفت تمـتلئ بالمـاء من ساقية صـنعها لخـصوص ذلك ، يصب مـنها الماء إلـى تلك الأحواض ، تديـرها الأثوار وعلـى تلك الأحواض مدقـات شبيهـة بمدقات الأرز ، تتحرك فى صعودها وهبوطها من تـرس خاص يدور بدوران الساقية ، وما يفيض من ماء الأحواض يجرى إلى بستان زرعه حول ذلك، فيسقى ما به من الأشجار والمزارع، فلا يذهب الماء هدرا، ثم يخرجونه بعد ذلك، ويبردخونه ويصبغونه بأنواع الأصباغ ، ويضعونه فى مـكبس كبير يقال له التـخت ، صنعه لذلك ، وعند ذلك يـتم عمله ، فكان الـناس يذهبـون للتفـرج على ذلك لـغرابته عـندهم ، ثم حـضر إليه شـخص فرنساوى ، وأشار عليه بإشارات فى تغيير المـدقات وأفسد العمل ، واشتغل هو بكثرة المهمات ، فتكاسل عن إعادتها ثانيا ، وبطل ذلك ، وكان مع كثرة أشغاله ومصاريفه ليس لـه كاتب بل يـكتب ويحسـب لنفسـه وبين يديه عدة دفـاتر ، لكل شـىء دفتر مخـصوص ، ولايشغـله شىء عن شـىء ، ولما اتسـعت دائرته وكـثرت حاشيـته ، واجتمعـت فيه عدة مناصب مـضافة لنظر المهـمات ، مثل : معمل الـبارود ، وقاعة الفضة ، ومدابغ الجلود ، وغير ذلك ، فكان كتخدا بيك يحقد عليه فى الباطن لأمور بينـهما ، حتـى قيل إن نفـسه طمحـت فى الكتـخدائية ، فـكان يتصـدر فى الأمور والقضايا ، ويرافع ويدافع ، ويهزل مع الباشا ويضاحكه ويرادده ، ويدخل عليه من غير استـئذان ، فلم يزل الكتخدا يلقـى فيه الدسائس ، ويعمل معـدل الأشغال التى تحت نظره ، ويعرف البـاشا بما يتوفر من ذلك حتى نزعه من نظـارة جميع المهمات ، وقلدها صالح كتخدا الرزاز .

ومما نقمه عـليه أن الكتخدا ، حضر لزيـارة المشهد الحسينى فى عـصرية يوم من رمضان ، ثم ركب متـوجها إلى داره قبيل الغروب ، فصادف فى طـريقه عدة قصاع كبار مغطاة تحـملها الرجال ، فسأل عنها فـعرفوه أنَّ المترجم يرسلها فـى كل ليلة من ليالى رمـضان إلى فقراء الجامـع الأزهر ، وبها الثريـد واللحم فامتـعض من ذلك ، وعرَّف الباشا أنَّه يؤلف الـناس ويتوادد إليهم بأموالك ونحو ذلـك ، واستمر المترجم بطالا نحـــو السنتين ، ولم يتضعضع ولم يـظهر عليه تغير ، ونظامه ومـطبخه على حاله ، وطعامه مبذول ورواتبه جار ، وفى تلك المدة اشتغل بمطالعة الكتب والممارسة والمدارسة ، وعانى الحسابـيات وصناعة التقويم حتى مهر فـى ذلك ، وعمل الدستور

السنوى ، وما يشتمل عليه من تقويم الكواكب السيارة ، وتداخل التواريخ والأهلة والاجتماعات والاستقبالات ، وطوالع التحاويل والنصبات ، ويصنع بيده أيضًا الصنائع الفائقة ، مثل الظروف التى تأتى من بلاد الهند والإفرنج والروم ، ويضع فيها الكتبة محابرهم وأقلامهم ، فيصنعها أولا من الخشب الرقيق والقرطاس المقوم المتلاصق ، ويصبغها وينقشها بأنواع الليق ، ويعيد على النقوشات بالسندروس المحلول، ويضعها فى صندوق من الزجاج، صنعه لخصوص تلك الأشياء والقبورات، وجفاف دهانها بحرارة الشمس المحجوب بالزجاج عن الهواء والغبار ، وعند تمامها تكون فى غاية الحسن والظرافة والبهجة ، بحيث لايشك من يراها بأنها من صناعة الهند أو الإفرنج المتقنين الصناعة ، وكان كلما سمع بشخص ذى معرفة لصناعة من الصنائع أو المعارف اجتهد فى تحصيلها وتلقيها عنه بأى وجه كان ولو ببذل الرغائب ، وأعد بمنزله أماكن لأشخاص من أرباب المعارف ، ينزلهم فيها ويجرى عليهم النفقات والكساوى حتى يجتنى ثمار معارفهم وصنائعهم ، ويجتمع عنده فى كل ليلة جمعة جماعة من القراء التى مساكنهم قريبة من داره ، فيذكر الله معهم حصة من الليل ، ثم يفرق فيهم دراهم ، ولما طال به الإهمال ، وفتور الأحوال ، والباشا قليل الإقامة بمصر ، وأكثر أيامه غائب عنها ، فحسن بباله الرحلة من مصر إلى الديار الرومية ، ويذهب إلى بلاده ، فاستأذن الباشا عند وداعه ، وهو متوجه إلى ناحية قبلى ، فأذن له ، وأخذ فى أسباب السفر ، فأرسل الكتخدا إلى الباشا ، ودس إليه كلاما ، فأرسل يمنعه ويرتب له خروجا لمطبخه ، فتعوق عن السفر على غير خاطره ، وفى أوائل السنة [1] ، حضرت إليه والدته وابنته وزوجها ، فأنزلهم فى دار تجاه داره ، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه من النفقة ، فاتفق أن صهره المذكور حلف يمينا بالطلاق الثلاث وحنث فيه ، ففرق بينه وبين ابنته ، وطرده فشكاه إلى كتخدا بيك ، فكلمه فى شأنه ، فلم يقبل ، وقال لايجوز أنْ أحلل المحرم لأجلك ، واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقى ما يلقيه فى حقه من النميمة ، ويذكر له عنه فى حقه ما يزيده غيظا وكراهة ، ويقول له : « إنه يجمع أناسا فى كل ليلة جمعة يقرءون ويدعون عليك وعلى مخدومك » ، وذكر له أنه يقول لكم : « إن قصده السفر إلى بلده ، وإنما قصده السفر إلى إسلامبول ، وليجتمع على مخدومه الأوّل ، لكونه تولى قبودان باشا ، ورياسة الدونانمة، ويقول عندما أكون بدار السلطنة أفعل وأفعل ، وأخبرهم بحقيقة هؤلاء وأفاعيلهم ، وأنقض عليهم أمرهم ، وذكر له أيضًا أنه

---

(١) ١ محرم ١٢٢٧ هـ / ١٦ يناير ١٨١٢ م .

استخرج من أحكام النجوم التى يعانيها ، أن الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قريبة ، ويحصل ما يحصل من الفتن فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك ونحو ذلك » ، فلما رجع الباشا من سفرته توسل المترجم بالكتخدا فى أن يأخذ له إذنا من الباشا بالسفر ، وهو لايعلم سريرته ففاوض الباشا فى ذلك ، وألقى إليه ما ألقاه حتى أوغر صدره منه ، ثم رد عليه بقوله : « إنى استأذنت الباشا فلم يسهل به مفارقتك » ، وقال : « إن كان عن ضيق فى المعيشة ، فأطلق له فى كل شهر كيسين عنها أربعون ألف نصف فضة » ، فلما قال له ذلك ، قال : « أنا لايكفينى هذا المقدار ، فإن كان فيطلق لى خمسة أكياس » ، فقال : « لم يرض بأزيد مما ذكرته لك » ، وكل ذلك مخادعة من الكتخدا ، ليحقق ما حشده فى صدر مخدومه ، وما زال يتردد فى طلب الإذن حتى أذن له ، وأضمر له القتل بعد خروجه من مصر ، فعند ذلك باع داره ، وما استجده حولها ، والبستان خارج قناطر السباع ، وما زاد عن حاجته من الأشياء والأمتعة ، واشترى عبيدا وجوارى، وقضى لوازمه وسافر إلى رشيد ، فعندما مضى من نزوله يومان أو ثلاثة ، كتبوا إلى خليل بيك حاكم الإسكندرية مرسوما بقتله ، فبلغه خبر ذلك وهو بثغر رشيد ، فلم يصدقه ، وقال : « أى ذنب أستوجب به القتل ، ولو أراد قتلى ما الذى يمنعه منه وأنا عنده بمصر ، وأنا سافرت بإذنه وودعته وقبلت يديه وطرفه ، وأخذت خاطره ، وهو مبشوش معى كعادته » ، فلما حصل بالإسكندرية ، واستقر بالسفينة ومضى أيام ، وهم ينتظرون اعتدال الريح والإذن من الحاكم بالإقلاع ، ووصل المرسوم إلى خليل بيك ، فأرسل إليه فى وقت يدعوه ليتغدى معه فى رأس التين ، ونظر إلى خليل بيك وهو واقف فى انتظاره على بعد منه فوق علوة فأجاب وخرج من السفينة ، فوصل إليه جماعة من العسكر وأحاطوا به ، فتحقق عند ذلك ما كان بلغه وهو برشيد ، ونظر إلى خليل بيك فلم يره ، فقال : « أمهلونى حتى أتوضأ وأصلى ركعتين » ، وقام من حلاوة الروح وألقى بنفسه فى البحر ، فضربوا عليه بالرصاص ، وأخرجوه وتمموا قتله ، وأخرجوا صناديقه وأخذوا ما فيها من الكتب ، لأن الباشا أرسل بطلبها ، وأخذ ما معه من المال والدراهم خليل بيك ، فأعطى لولده جانبا منه ، وأذن له بالسفر مع عياله ، وانقضى أمره ، ووصلت الكتب إلى سراية الباشا ، وأودعت عند ولىّ خوجا وتبدد الكثير منها ، وفرق منها عدة على غير أهلها ، وكانت قتلته فى أواخر شهر صفر من السنة [1] ، والله أعلم ، ثم دخلت.

---

(١) آخر صفر ١٢٢٧ هـ / ١٤ مارس ١٨١٢ م .

سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف [1]

استهل المحرم بيوم الاثنين سنة ١٢٢٨ [2]

فيه [3] ، وصل الخبر من الجهة القبلية بأن إبراهيم بيك ابن الباشا ، قبض على أحمد أفندى ابن حافظ أفندى الذى بيده دفاتر الرزق الأحباسية ، وشنقه ، وضرب قاسم أفندى ابن أمين الدين كاتب الشهر علقة قوية ، وكان والده أصحبهما معه ليباشرا معه الأمور ، ويعرفاه الأحوال ، وكان قاسم أفندى خصيصا به مثل الوزير والصاحب والنديم ، ورتب له الباشا فى كل سنة ثمانين كيسا خلاف الخروج والكساوى ، وشرط عليه المناصحة فى كشف المستورات ، وما يكون فيه تحصيل الأموال ، فكأنه قصر فى كشف بعض الأشياء ، وأرسل إلى والده يعلمه بخيانته هو وكاتب الأرزاق ، وأنهما منهمكان فى ملاذهما ، فأذن له فى فعله بهما ما ذكر ، وأخذ ما كانا جمعاه لأنفسهما ، وأظهر أنه إنما فعل بهما ذلك عقوبة على ارتكابهما المعصية .

وفى عشرينه [4] حضر إبراهيم بيك المذكور إلى مصر .

وفيه [5] ، حصلت منافسة بين حسين أفندى الروزنامجى وبين شخصين من كتابه وهما : مصطفى أفندى باش جاجرت ، وقيطاس أفندى ، ولعل ذلك بإغراء باطنى على حسين أفندى ، فرفعا أمرهما إلى الباشا ، وعرفاه عن مصارف وأمور يفعلها حسين أفندى ، ويخفيها عن الباشا ، وأنه إذا حوسب على السنين الماضية يطلع عليه ألوف من الأكياس ، فعندما سمع ذلك أمرهما بمباشرة حسابه عن أربع سنوات متقدمة ، فخرجا من عنده وأخذا صحبتهما مباشرا تركيا ، ونزلوا على حين غفلة بعد العصر ، وتوجهوا إلى منزل أخيه عثمان أفندى السرجى ، ففتحوا خزانة الدفاتر وأخذوها بتمامها إلى بيت ابن الباشا إبراهيم بيك الدفتردار ، واجتمعوا فى صبحها للمحاققة والحساب مع أخيه عثمان أفندى المذكور ، واستمروا فى المناقشة والمحاققة عدة أيام مع المرافعة والمدافعة والميل الكلى على حسين أفندى ، ويذهبون فى كل ليلة يخبرون الباشا بما يفعلون وبالقدر الذى ظهر عليه ، فيعجبه ذلك ويثنى عليهما،

---

(١) ١٢٢٨ هـ / ٤ يناير ١٨١٣ - ٢٣ ديسمبر ١٨١٣ م .

(٢) محرم ١٢٢٨ هـ / ٤ يناير ١٨١٣ م - ٢ فبراير ١٨١٣ م .

(٣) ١ محرم ١٢٢٨ هـ / ٤ يناير ١٨١٣ م .

(٤) ٢٠ محرم ١٢٢٨ هـ / ٢٣ يناير ١٨١٣م .

(٥) ٢٠ محرم ١٢٢٨ هـ / ٢٣ يناير ١٨١٣ م .

ويحرضهما على التدقيق ، فتنتفخ أوداجـهما ، ويزيدان فى الممانعة والمدافعة والمرافعة فى الحساب ، وحسين أفندى على جـليته ، ويظن أنه عـلى عادته فى كونـه مطلق التصرف فى الأمـوال الميرية ، ويبلغها إذا سئـل فيها للقائم بالدولـة إيرادا ومصرفا ، ليكون إجمالا لا تفصيلا لكونه أمينا وعدلا ، وكان الإيراد والمصرف محررا ومضبوطا فى الدفـاتر التى بـأيدى الأفندية الـكتاب ، ومن انـضم إليهم مـن كتاب اليـهود فى دفاترهم أيضًا بالعبرانى ، لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الأخرى ، فلما استقل هذا الباشا بمملكة الديار المصرية واستغول فى تحصيل الأموال بأىّ وجه ، واستحدث أقلام المكوس ، وجعلها فى دفاتر تحت أيدى الأفـندية وكتبة الروزنامة ، فصارت من جملة الأموال الميرية فى قبضها وصرفها وتحاويلها ، والباشا مرخى العنان للروزنامجى ومرخص له فى الإذن والتـصرف ، والروزنامجى كذلك مرخى الـعنان لأحد خواص كتابه المعروف بأحمـد اليتيم لفطانته ودرايته ، فكان هو المـشار إليه من دون الجميع ، ويتطاول علـيهم ويمقت من فعل فـعلا دون اطلاعه ، وربما سبه ، ولو كـان كبيرا أو أعلى منزلة مـنه فى فنه فيمتلئ غيظـا ، وينقطع عن حضور الديوان فيـهمله ولايسأل عنه ، والأفندى الكبير لايخرج عن رأيه لكونه سادا مسد الجميع ، فدبروا على أحمد أفندى المذكور ، وحفروا له وأغروا به حتى نكـبه الباشا ، وصادره فى ثمانين كيسا ، ومخدومه حسين أفندى فى أربعمائة كيس، وانقطع أحمد أفندى عن حضور الديوان، وتقدم المتأخر وضم الـباشا إلى ديوانهم من طرفه خليل أفنـدى ، وسموه كاتب الذمة بمعنى أنَّه لايكتـب تحويل ولا ورقة ميرى ولا خلاف ذلك مما يسطر فـى ديوانهم حتى يطلـع عليه خـليل أفنـدى المذكور ، ويرسم عـليه علامـته ، فأحاط عـلمه بجـميع أسرارهم ، وكل قـليل يستخبر مـنه الباشا فيحيـطه بمعلوماته ، ولم يـزل حتى تحول ديوانهم وانتقل إلى بـيت خليل أفندى تجاه منزل إبراهيم بيك ابـن الباشا بالأزبكية ، وترأس بالديوان قاسم أفندى كاتب الشهر ، وقريبه قيطاس أفندى ، ومصطفى أفندى باش جاجرت ، وبعد مدة أشهر سافر إبراهيم بيك ، وأخذ صحبته قاسم أفندى على الصـورة المتقدمـة ، والروزنامـجى وولده محـمد أفندى يـراعيان جـانب رفيقـيه ، ولايتعرضان لهما فيما يتصدران له ، ويضمانـه فى عهدتهما ، فلما وصل الخبر بنكبة إبراهيم بيك لقاسم أفندى ، فعند ذلك قصرا معهما ، وأظهر ابن الروزنامجى مكمون غيظه فى حقهمـا ومانعهما أيضًا ، وخشن القول لهما ، فاتفـقا على إنهاء الحال إلى باب الـباشا ففـعلا ما ذكـر ، وكان حسين أفـندى عنـدما استـأذن الباشا فـى صرف الجامكية السائرة للعامة والخاصة ، فأذن له فى صرف ما يتعلق بمشايخ العلم والأفندية والكتبة والسيد مـحمد المحروقى بالكامل ، وما عداهم ربع استـحقاقهم ، وكتب له

فرمانا بذلك ، فقال له الروزنامجى : « فى بعضهم من يستحق المراعاة كبعض أهل العلم الخاملين ، وأهل الحرمين المهاجرين ومستوطنين بمصر بعيالهم ، وليس لهم إيراد يتعيشون منه إلا ما هو مرتب لهم من العلائف فى كل سنة ، وكذلك بعض الملتزمين الذين اعتادوا سداد ما عليهم من الميرى ، وبعضه بما لهم من الإتلافات والعلائف والغلال »، فقال له: « النظر فى ذلك لرأيك ، فإن هذا شيء يعسر ضبط جزئياته ، فاعتمد ذلك » ، وطفق يفعل فى البعض بالنصف ، والبعض بالثلث أو الثلثين ، وأما العامة والأرامل ، فيصرف لهم الربع لاغير حسب الأمر ، ويقاسون فى تحصيل ربع استحقاقهم الشدائد من السعى وتكرار الذهاب والتسويف والرجوع فى الأكثر من غير شيء مع بعد المسافة ، وفيهم الكثير من العواجز، فلما ترافعوا فى الحساب مانع المتصدر فيما زاد على الربع ، وطلع إلى الباشا فعرفه بذلك ، فقال الباشا : « لاتخصموا له إلا ما كان بإذنى وفرمانى ، وما كان بدون ذلك فلا » ، وأنكر الحال السابق منه له ، وقال : « هو متبرع فيما فعله » ، فتأخر عليه مبلغ كبير فى مدة أربع سنوات ، وكذلك كان يحوّل عليه حوالات لكبار العسكر برسول من أتباعه فلا يسعه الممانعة ، ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان اتكالا على الحالة التى هو معه عليها ، فرجعوا عليه فى كثير من ذلك ، وتأخر عليه مبلغ كبير أيضًا ، فتمموا حساب سنة واحدة على هذا النسق ، فبلغت نحو الألف كيس ومائتى كيس وكسور ، تبلغ فى الأربع سنوات خمسة آلاف كيس ، فتقلق حسين أفندى وتحير فى أمره ، وزاد وسواسه ، ولم يجد مغيثا ولا شافعا ولا دافعا .

وفى أواخره [1] ، عمل الباشا مهما لختان ابن بونابارته الخازندار الغائب ببلاد الحجاز ، وعملوا له زفة فى يوم الجمعة بعد الصلاة اجتمع الناس للفرجة عليها .

وفيه [2] ، أيضًا زاد الإرجاف بحصول الطاعون ، ووقع الموت منه بالإسكندرية ، فأمر الباشا بعمل كورنتيله بثغر رشيد ودمياط والبرلس وشبرا ، وأرسل إلى الكاشف الذى بالبحيرة بمنع المسافرين المارين من البر ، وأمر أيضًا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، وكذلك يقرءون بالمساجد والزوايا سورة الملك [3] والأحقاف [4] فى كل ليلة ، بنية رفع الوباء فاجتمعوا إلا قليلا بالأزهر نحو ثلاثة أيام ، ثم تركوا ذلك وتكاسلوا عن الحضور .

وفى يوم الإثنين تاسع عشرينه [5] ، كسفت الشمس وقت الضحوة ، وكان

---

(1) آخر محرم ١٢٢٨ هـ / ٢ فبراير ١٨١٣ م .
(2) آخر محرم ١٢٢٨ هـ / ٢ فبراير ١٨١٣ م .
(3) سورة : الملك ، رقم (٦٧) .
(4) سورة : الأحقاف ، رقم (٤٦) .
(5) ٢٩ محرم ١٢٢٨ هـ / ١ فبراير ١٨١٣ م .

المنكسف نحو ثلاثة أرباع الجرم ، وكانت الشمس فى برج الدلو أيام الشتاء ، فأظلم الجو إلا قليلا ، ولم يتنبه له كثير من الناس لظنهم أنها غيوم متراكمة ، لأنهم فى فصل الشتاء .

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٨ (١)

فيه (٢) فى أخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة باردة واستمرت لعصر يوم السبت (٣) ، وكانت قوّتها يوم الجمعة (٤) ، أثارت غبارا أصفر ، ورمالا مع غيم مطبق ، وقتام ورش مطر قليل فى بعض الأوقات .

وفى يوم الثلاثاء سابعه (٥) ، وردت بشائر من البلاد الحجازية باستيلاء العساكر على جدة ومكة من غير حرب ، وذلك أنه لما انهزمت الأتراك فى العام الماضى ، ورجعوا على الصورة التى رجعوا عليها مشتتين ومتفرقين ، وفيهم من حضر من طريق السويس ، ومنهم من أتى من البر ، ومنهم من حضر من ناحية القصير ، ونفى الباشا من استعجل بالهزيمة والرجوع من غير أمره ، ويخشى صولته ، ويرى فى نفسه أنه أحق بالرياسة منه ، مثل : صالح قوج ، وسليمان ، وحجو ، وأخرجهم من مصر ، واستراح منهم ، ثم قتل أحمد أغا لاظ ، جدد ترتيبا آخر ، وعرفه كبراء العرب الذين استمالهم ، واندرجوا معه ، وشيخ الحويطات أنَّ الذى حصل لهم ، إنما هو من العرب الموهبين ، وهم عرب حرب والصفراء ، وأنهم مجهودون ، والوهابية لايعطونهم شيئًا ، ويقولون لهم : « قاتلوا عن دينكم وبلادكم » ، فإذا بذلتم لهم الأموال ، وأغدقتم عليهم بالإنعام والعطاء ارتدوا ورجعوا وصاروا معكم، وملكوكم البلاد ، فاجتهد الباشا فى جمع الأموال بأى وجه كان ، واستأنف الطلب ، ورتب الأمور وأشاع الخروج بنفسه ، ونصب العرضى خارج باب النصر ، وذلك فى شهر شعبان (٦) ، وخرج بالموكب كما تقدم وجلس بالصيوان ، وقرر للسفر فى المقدمة بونابارته الخازندار ، وأعطاه صناديق الأموال والكساوى ، ورافق معه عابدين بيك ومن يصحبهما ، وواظب على الخروج إلى العرضى ، والرجوع تارة إلى القلعة ، وتارة إلى الأزبكية ، والجيزة ، وقصر شبرا ، ويعمل الرماحة والميدان فى يومى الخميس والإثنين ، والمصاف على طرائق حرب

(١) صفر ١٢٢٨ هـ / ٣ فبراير - ٣ مارس ١٨١٣ م .
(٢) ١ صفر ١٢٢٨ هـ / ٣ فبراير ١٨١٣ م .
(٣) ٤ صفر ١٢٢٨ هـ / ٦ فبراير ١٨١٣ م .
(٤) ٣ صفر ١٢٢٨ هـ / ٥ فبراير ١٨١٣ م .
(٥) ٧ صفر ١٢٢٨ هـ / ٩ فبراير ١٨١٣ م .
(٦) شعبان ١٢٢٨ هـ / ٣٠ يوليه - ٢٧ أغسطس ١٨١٣ م .

الإفرنج ، وسافر بونابارته في أواخر شعبان[1] ، واستمر العرضى منصوبا ، والطلب كذلك مطلوبا ، والعساكر واردة من بلادها على طريق الإسكندرية ودمياط ، ويخرج الكثير إلى العرضى ، ويستمرون على الدخول إلى المدينة فى الصباح ، لقضاء أشغالهم والرجوع أخريات النهار مع تعدى أذاهم للباعة والحمارة وغيرهم .

ولما غدر الباشا بأحمد أغا لاظ وقتله فى أواخر رمضان [2] ، ولم يبق أحد ممن يخشى سطوته ، وسافر عابدين بيك فى شوّال [3] ، وارتحل بعده بنحو شهر مصطفى بيك دالى باشا وصحبته عدة وافرة من العسكر ، ثم سافر أيضًا يحيى أغا ومعه نحو الخمسمائة ، وهكذا كل قليل ترحل طائفة بعد أخرى ، والعرضى كما هو ، وميدان الرماحة كذلك ، ولما وصل بونابارته إلى ينبع البر ، أخذوا فى تأليف العربان واستمالتهم ، وذهب إليه ابن شديد الحويطى ، ومن معه ، وتقابلوا مع شيخ حرب ، ولم يزالوا به حتى وافقهم ، وحضروا به إلى بونابارته ، فأكرمه وخلع عليه الخلع ، وكذلك على من حضر من أكابر العربان فألبسهم الكساوى والفراوى السمور والشالات الكشميرى ، ففرق عليهم من الكشمير ملء أربع سحاحير ، وصب عليهم الأموال ، وأعطى لشيخ حرب مائة ألف فرانسة عين ، وحضر باقى المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم ، فخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة ، ثم رتب لهم علائف تصرف لهم فى كل شهر ، لكل شخص خمسة فرانسة ، وغرارة بقسماط ، وغرارة عدس ، فعند ذلك ملكوهم الأرض ، والذى كان متأمرا بالمدينة من جنسهم فاستمالوه أيضًا ، وسلم لهم المدينة ، وكل ذلك بمخامرة الشريف غالب أمير مكة وتدبيره وإشارته ، فلما تم ذلك أظهر الشريف غالب أمره وملكهم مكة والمدينة ، وكان ابن مسعود الوهابى حضر فى الموسم وحج ، ثم ارتحل إلى الطائف ، وبعد رحيله فعل الشريف غالب فعله وسيلقى جزاءه ، ولما وصلت البشائر بذلك فى يوم الثلاثاء سابعه [4] ، ضربوا مدافع كثيرة ، ونودى فى صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق ، فزينوا خمسة أيام أولها الأربعاء [5] ، وآخرها الأحد [6] ، وقاسى الناس فى ليالى هذه الأيام العذاب الأليم من شدة البرد والصقيع وسهر الليل الطويل ، وكان ذلك فى قوّة فصل الشتاء ، وكل صاحب حانوت جالس فيها ، وبين يديه مجمرة نار يتدفأ ويصطلى بحرارتها ، وهو ملتف بالعباءة والأكسية الصوف أو اللحاف ، وخرج الباشا من ليلة الأربعاء المذكور ، ونصبت الخيام ، وخرجت الجمال

---

(١) آخر شعبان ١٢٢٨ هـ / ٢٧ اغسطس ١٨١٣ م . (٢) آخر رمضان ١٢٢٨ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٨١٣ م .
(٣) شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٧ سبتمبر - ٢٥ أكتوبر ١٨١٣ م . (٤) ٧ صفر ١٢٢٨ هـ / ٩ فبراير ١٨١٣ م .
(٥) ٨ صفر ١٢٢٨ هـ / ١٠ فبراير ١٨١٣ م . (٦) ١٢ صفر ١٢٢٨ هـ / ١٤ فبراير ١٨١٣ م .

المحملة باللوازم من الفرش والأوانى وأزيار الماء والبارود لعمل الشنانك والحرائق ، وفى كل يوم يعمل مرماح وشنك عظيم مهول بالمدافع وبنادق الرصاص المتواصلة ، من غير فاصل مثل الرعود والطبول من طلوع الشمس إلى قريب الظهر ، وفى أوّل يوم من أيام الرمى أصيب إبراهيم بيك ابن الباشا برصاصة فى كتفه ، أصابت شخصا من السوّاس ونفذت منه إليه ، وهى باردة فتعلل بسببها ، وخرج بعد يومين فى عربة إلى العرضى ، ثم رجع ، ولما كان يوم الأحد [1] ، وقت الزوال ركب الباشا وطلع إلى القلعة ، وقلعوا خيام الشنك وحملوا الجمال ، ودخلت طوائف العسكر ، وأذن للناس بقلع الزينة ، ونزول التعاليق ، وكان الناس قد عمروا القناديل وأشاعوا أنها سبعة أيام ، فلما حصل الإذن بالرفع ، فكأنما نشطوا من عقال ، وخلصوا من السجون ، لما قاسوه من البرد والسهر ، وتعطيل الأشغال ، وكساد الصنائع ، والتكليف بما لاطاقة لهم به ، وفيهم من لايملك قوت عياله أو تعميّز سراجه ، فيكلف مع ذلك هذه التكاليف ، وكتب الباشا بالبشائر إلى دار السلطنة ، وأرسلها صحبة أمين جاويش وكذلك إلى جميع النواحى ، وأنعم بالمناصب على خواصه .

وفى هذا الشهر [2] ، وردت أخبار بوقوع أمطار وثلوج كثيرة بناحية بحرى ، وبالإسكندرية ، ورشيد ، بحدود الغربية والمنوفية والبحيرة ، وشدة برد ، ومات من ذلك أناس وبهائم والزروع البدرية ، وطف على وجه الماء أسماك موتى كثيرة ، فكان موج البحر يلقيه على الشطوط ، وغرق كثير من السفن من الرياح العواصف التى هبت فى أوّل الشهر [3] .

وفى سابعه [4] ، يوم وصول البشارة أحضر الباشا حسين أفندى الروزنامجى وخلع عليه خلعة الإبقاء على منصبه فى الروزنامة ، وقرر عليه ألفين وخمسمائة كيس ، وذلك أنهم لما رافعوه فى الحساب على الطريقة المذكورة ، أرسل إليه الباشا بطلب خمسمائة كيس من أصل الحساب فضاق خناقه ، ولم يجد له شافعا ، ولا ذا مرحمة ، فأرسل ولده إلى محمود بيك الدويدار يستجير فيه ، وليكون واسطة بينه وبين الباشا ، وهو رجل ظاهره خلاف باطنه ، فذهب معه إلى الباشا فبش فى وجهه ورحب به ، وأجلسه محمود بيك فى ناحية من المجلس ، وتناجى هو مع الباشا ، ورجع إليه يقول له : « إنه يقول إنّ الحساب لم يتم إلى هذا الحين ، وأنه ظهر على أبيك تاريخ أمس خمسة آلاف كيس وزيادة ، وأنا تكلمت معه ، وتشفعت عنده فى

(١) ١٢ صفر ١٢٢٨ هـ / ١٤ فبراير ١٨١٣ م .
(٢) صفر ١٢٢٨ هـ / ٣ فبراير - ٣ مارس ١٨١٣ م .
(٣) ١ صفر ١٢٢٨ هـ / ٣ فبراير ١٨١٣ م .
(٤) ٧ صفر ١٢٢٨ هـ / ٩ فبراير ١٨١٣ م .

ترك باقى الحساب ، والمسامحة فى نصف المبلغ والكسور ، فيكون الباقى ألفين وخمسمائة كيس تقومون بدفعها » ، فقال : « ومن أين لنا هذا القدر العظيم ، وقد عزلنا من المنصب أيضًا كنا نتداين ، ولا يأمننا الناس إذا كان القدر دون هذا أيضًا : فرجع إلى الباشا وعاد إليه ، يقول له : « لم يمكنى تضعيف القدر سوى ما سامح فيه ، وأما المنصب فهو عليكم ، وفى غد يطلع والدك ، ويتجدد عليه الإبقاء ، وينكمد الخصم ، وعلى الله السداد » ، ونهض وقبل يده وتوجه فنزل إلى دارهم ، وأخبر والده بما حصل ، فزاد كربه ، ولم يسعه إلا التسليم ، وركب فى صبحها وطلع إلى الباشا فخلع عليه ، ونزل إلى داره بقهره ، وشرع فى بيع تعلقاته وما يتحصل لديه .

وفى يوم الإثنين ثالث عشره [1] ، خلع الباشا على مصطفى أفندى ، ونزل إلى داره وأتاه الناس يهنئونه بالمنصب .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه [2] ، وردت بشائر بتملكهم الطائف وهروب المضايفى منها ، فعملوا شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها ثلاثة أيام فى كل وقت أذان ، وشرع الباشا فى تشهيل ولده إسماعيل باشا بالبشارة ، ليسافر إلى إسلامبول وتاريخ تملكها فى سادس عشرين المحرم [3] .

وفى هذه الأيام ، ابتدعوا تحرير الموازين ، وعملوا لذلك ديوانا بالقلعة ، وأمروا بإبطال موازين الباعة ، وإحضار ما عندهم من الصنج ، فيزنون الصنجة ، فإن كانت زائدة أو ناقصة أخذوها وأبقوها عندهم ، وإن كانت محررة الوزن ختموها بختم ، وأخذوا على كل ختم صنجة ثلاثة أنصاف فضة ، وهى النصف أوقية ، والأوقية إلى الرطل الذى يكون وزنه غير محرر يعطوه رطلا من حديد ، ويدفع ثمنه مائة نصف فضة ، والنصف رطل خمسون ، وهكذا ، وهو باب ينجمع منه أكياس كثيرة .

وفيه [4] ، أيضًا طلب الباشا من عرب الفوائد [5] غرامة سبعين ألف فرانسة ، فعصوا ورمحوا بإقليم الجيزة ، وأخذوا المواشى ، وشلحوا من صادفوه ورمح كاشف الجيزة عليهم ، فصادف منهم أباعر محملة أمتعة لهم وصحبتهم نساء وأولاد فأخذهم ورجع بهم .

---

(1) ١٣ صفر ١٢٢٨ هـ / ١٥ فبراير ١٨١٣ م .
(2) ٢٣ صفر ١٢٢٨ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٣ م .
(3) ٢٦ المحرم ١٢٢٨ هـ / ٢٩ يناير ١٨١٣ م .
(4) ٢٣ صفر ١٢٢٨ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٣ م .
(5) عرب الفوائد : من نسل فايد برغوث ، نزلوا من برقة فى صحراء مصر الغربية ، ويقيم أغلب الفوائد فى محافظة المنيا فى مغاغة ، وفى محافظة الفيوم ، ومحافظة البحيرة ، ولم يبق منهم فى ليبيا سوى عدد قليل.

الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، ص ٤٣٧ - ٤٤٨ .

وفيه [1] ، سافر إبراهيم بيك ابن الباشا إلى ناحية قبلى، ووصلت الأخبار بوقوع الطاعون بالإسكندرية ، فاشتد خوف الباشا والعسكر مع قساوتهم وعسفهم وعدم مرحمتهم .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢٢٨ [2]

فيه [3] ، قلدوا شخصا يسمى حسين البرلى وهو الكتخدا عند كتخدا بيك ، وجعلوه فى منصب بيت المال ، وعزلوا رجب أغا ، وكان إنسانا سهلا لا بأس به ، فلما تولى هذا أرسل لجميع مشايخ الخطط والحارات ، وقيد عليهم بأنهم يخبرونه بكل من مات من ذكر أو أنثى ، ولو كان ذا أولاد أو ورثة أو غير ذلك ، وكذلك على حوانيت الأموات ، وأرسل فرمانات إلى بلاد الأرياف والبنادر بمعنى ذلك .

وفى يوم الأحد رابعه [4] ، طلب الباشا حسين أفندى الروزنامجى ، وطلب منه ما قرره عليه ، وكان قد باع حصصه وأملاكه ودار مسكنه ، فلم يوف إلا خمسمائة كيس ، فقال له : « مالك لم توف القدر المطلوب ، وما هذا التأخير ، وأنا محتاج إلى المال » ، فقال : « لم يبق عندى شيء ، وقد بعت التزامى وأملاكى وبيتى وتداينت من الربويين حتى وفيت خمسمائة كيس ، وها أنا بين يديك » ، فقال له : « هذا كلام لايروج على ولاينفعك ، بل أخرج المال المدفون » ، فقال : « لم يكن عندى مال مدفون ، وأما الذى أخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله » ، فحنق منه وسبه وقبض على لحيته ولطمه على وجهه ، وجرد السيف ليضربه فترجى فيه الكتخدا والحاضرون ، فأمر به فبطحوه ، وأمر القواسة الأتراك بضربه ، فضربوه بالعصى المفضضة التى بأيديهم بعد أن ضربه هو بيده عدة عصى ، وشج جبهته حتى أتوا عليه ، ثم أقاموه وألبسوه فروته وحملوه وهو مغشى عليه ، وأركبوه حمارا ، وأحاط به خدمه وأتباعه حتى أوصلوه إلى منزله ، وأرسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ولايدعونه يدخل إلى حريمه ، ولايصل إليهم منه أحد ، وركب فى أثره محمود بيك الدويدار بأمر الباشا ، وعبر داره ودار أخيه عثمان أفندى المذكور ، وأخذه صحبته إلى القلعة ، وسجنوه ، وأما ولده وأخواه فإنهم تغيبوا من وقت الطلب واختفوا ، ونزل إليه فى اليوم الثانى إبراهيم أغا أغات الباب يطالبه بغلاق ثمانمائة كيس ، وقتئذ ، فقال له : « وكيف أحصل شيئا وأنا رجل ضعيف ، وأخى

---

(١) ٢٣ صفر ١٢٢٨ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٣ م . (٢) ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٤ مارس - ٢ أبريل ١٨١٣ م .
(٣) ١ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٤ مارس ١٨١٣ م. (٤) ٤ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٧ مارس ١٨١٣ م .

عثمان عندكم فى الترسيم ، وهو الذى يعيننى ويقضى أشغالى ، وأخذتم دفاترى المختصة بأحوالى مع ما أخذتموه من الدفاتر » ، فأقام عنده إبراهيم أغا برهة ثم ركب إلى الباشا وكلمه فى ذلك ، فأطلقوا له أخاه ، ليسعى فى التحصيل .

وفى حادى عشرينه [1] ، عدى الباشا إلى بر الجيزة بقصد السفر إلى بلاد الفيوم ، وأخذ صحبته كتبة مباشرين مسلمين ونصارى ، وأشاع أنَّ سفره إلى الصعيد ليكشف على الأراضى وروكها ، وارتحل فى ليلة الثلاثاء ثالث عشره [2] ، بعد أن وجه ابنه إسماعيل إلى الديار الرومية فى تلك الليلة بالبشارة .

وفى خامس عشرينه [3] ، حضر لطيف أغا راجعا من إسلامبول ، وكان قد توجه ببشارة فتح الحرمين ، وأخبروا أنَّه لما وصل إلى قرب دار السلطنة ، خرج لملاقاته الأعيان ، وعند دخوله إلى البلدة ، عملوا له موكبا عظيما مشى فيه أعيان الدولة وأكابرها وصحبته عدة مفاتيح ، زعموا أنَّها مفاتيح مكة وجدة والمدينة ، وضعوها على صفائح الذهب والفضة ، وأمامها البخورات فى مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب ، وخلفهم الطبول والزمور ، وعملوا لذلك شنكا ومدافع وأنعم عليه السلطان ، وأعطاه خلعا وهدايا ، وكذلك أكابر الدولة ، وأنعم عليه الخنكار بطوخين وصار يقال له : « لطيف باشا » .

وفيه [4] ، وردت الأخبار بقدوم قهوجى باشا ، ومعه خلع وأطواق للباشا ، وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده ، فاحتفل الباشا به عندما وصلته أخباره ، وأرسل إلى أمراء الثغور بالإسكندرية ودمياط بالاعتناء بملاقاته عند وروده على ثغر منها .

وفيه [5] ، حضر خليل بيك حاكم الإسكندرية إلى مصر فرارا من الطاعون ، لأنه قد فشا بها ، ومات أكثر عسكره وأتباعه .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الأحد سنة ١٢٢٨ [6]

فى ثامنه [7] ، حضر الباشا على حين غفلة من الفيوم إلى الجيزة ، وأخبروا أنه

(١) ٢١ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٢٤ مارس ١٨١٣ م . (٢) ١٣ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ١٦ مارس ١٨١٣ م .
(٣) ٢٥ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٣ م . (٤) ٢٥ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٣ م .
(٥) ٢٥ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٣ م .
(٦) ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ٢ أبريل - ١ مايو ١٨١٣ م .
(٧) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٠ أبريل ١٨١٣ م .

لما وصل إلى ناحية بنى سويف ، ركب بغلة سريعة العدو ومعه بعض خواصه على الهجن والبغال ، فوصل إلى الفيوم فى أربع ساعات ، وانقطع أكثر المرافقين له ، ومات منهم سبعة عشر هجينا .

وفى يوم الثلاثاء عاشره [1] ، عملوا مولد المشهد الحسينى المعتاد ، وتقيد لتنظيمه السيد المحروقى الذى تولى النظارة عليه ، وجلس ببيت السادات المجاور للمشهد بعد أن أخلوه له ، وفى ذلك اليوم [2] ، أمر الباشا بعمل كورنتيلة بالجيزة ونوه بإقامته بها ، وزاد به الخوف والوهم من الطاعون ، لحصول القليل منه بمصر ، وهلك الحكيم الفرنساوى ، وبعض نصارى أروام ، وهم يعتقدون صحة الكورنتيلة ، وأنها تمنع الطاعون ، وقاضى الشريعة الذى هو قاضى العسكر ، يحقق قولهم ، ويمشى على مذهبهم ، ولرغبة الباشا فى الحياة الدنيا ، وكذلك أهل دائرته وخوفهم من الموت يصدقون قولهم ، حتى أنَّه اتفق أنَّه مات بالمحكمة عند القاضى شخص من أتباعه ، فأمر بحرق ثيابه ، وغسل المحل الذى مات فيه ، وتبخيره بالبخورات ، وكذلك غسل الأوانى التى كان يمسها وبخروها ، وأمروا أصحاب الشرطة أنَّهم يأمرون الناس وأصحاب الأسواق بالكنس والرش والتنظيف فى كل وقت ، ونشر الثياب ، وإذا ورد عليهم مكاتبات ، خرقوها بالسكاكين ودخنوها بالبخور قبل ورودها ، ولما عزم الباشا على كورنتيلة الجيزة ، أرسل فى ذلك اليوم [3] ، بأن ينادوا بها على سكانها بأن من كان يملك قوته وقوت عياله ستين يوما ، وأحب الإقامة فليمكث بالبلدة ، وإلا فليخرج منها ، ويذهب ويسكن حيث أراد فى غيرها ، ولهم مهلة أربع ساعات ، فانزعج سكان الجيزة وخرج من خرج وأقام من أقام ، وكان ذلك وقت الحصاد ولهم مزارع وأسباب مع مجاوريهم من أهل القرى ، ولايخفى احتياجات الشخص لنفسه وعياله وبهائمه ، فمنعوا جميع ذلك حتى سدوا خرق السور والأبواب ومنعوا المعادى مطلقا ، وأقام الباشا ببيت الأزبكية لايجتمع بأحد من الناس إلى يوم الجمعة [4]، فعدى فى ذلك اليوم وقت الفجر، وطلع إلى قصر الجيزة، وأوقف مركبين الأولى ببر الجيزة والأخرى فى مقابلتها ببر مصر القديمة ، فإذا أرسل الكتخدا أو المعلم غالى إليه مراسلة ناولها المرسل للمقيد بذلك فى طرف مزراق ، بعد تبخير الورقة بالشيح واللبان والكبريت ، ويتناولها منه الآخر بمزراق آخر على بعد منهما ، وعاد راجعا فإذا قرب من البر تناولها المنتظر له أيضًا بمزراق ، وغمسها فى

---

(١) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٢ أبريل ١٨١٣ م . (٢) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٢ أبريل ١٨١٣ م .
(٣) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٢ أبريل ١٨١٣ م . (٤) ١٣ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٥ أبريل ١٨١٣ م .

الخلع ، وبخرها بالبخور المذكور ، ثم يوصلها لحضرة المشار إليه بكيفية أخرى ، فأقام أياما ، وسافر إلى الفيوم ورجع كما ذكر ، وأرسل مماليكه ومن يعز عليه ويخاف عليه من الموت إلى أسيوط .

وفى يوم السبت سابعه [1] نودى بالأسواق بأن السيد محمد المحروقى ، شاه بندر التجار بمصر وله الحكم على جميع التجار ، وأهل الحرف والمتسببين فى قضاياهم وقوانينهم ، وله الأمر والنهى فيهم .

وفيه [2] ، وصل إلى مصر عدة كبيرة من العساكر الرومية على طريق دمياط ، ونصبوا لهم وطاقا خارج باب النصر ، وحضر فيهم نحو الخمسمائة نفر أرباب صنائع بنائين ونجارين وخراطين ، فأنزلوهم بوكالة بخط الخليفة .

وفى يوم الأحد ثامنه [3] ، تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن ، ولبس الخلعة وركب وشق المدينة وأمامه الميزان ، فرسم برد الموازين إلى الأرطال الزياتى التى عبرة الرطل منها أربع عشرة أوقية ، فى جميع الأدهان والخضراوات على العادة القديمة ، ونقص من أسعار اللحم وغيره ، ففرح الناس بذلك ولكن لم يستمر ذلك.

وفى يوم الأربعاء حادى عشره [4] ، بين الظهر والعصر كانت السماء مصحية والشمس مضيئة صافية ، فما هو إلا والسماء والجوّ طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غربية جنوبية ، وأظلم ضوء الشمس ، وأرعدت رعدتين الثانية أعظم من الأولى ، وبرق ظهر ضوءه ، وأمطرت مطرا متوسطا ، ثم سكن الريح ، وانجلت السماء وقت العصر ، وكان ذلك سابع بشنس القبطى وآخر يوم من نيسان الرومى [5] ، فسبحان الملك الفعال مغير الشئون والأحوال ، وحصل فى تاليه يوم الجمعة [6] ، مثل ذلك الوقت أيضًا غيوم ورعود كثيرة ومطر أزيد من اليوم الأوّل .

واستهل شهر جمادى الثانى سنة ١٢٢٨ [7]

فى ثانى عشره [8] ، وصل فى النيل على طريق دمياط أغا من طرف الدولة يقال

---

(١) ٧ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ٩ أبريل ١٨١٣ م .
(٢) ٧ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ٩ أبريل ١٨١٣ م .
(٣) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٠ أبريل ١٨١٣ م .
(٤) ١١ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٣ أبريل ١٨١٣ م .
(٥) ٧ بشنس ١٥٢٩ ق / ١٤ مايو ١٨١٣ م .
(٦) ١٣ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٥ أبريل ١٨١٣ م .
(٧) جمادى الثانية ١٢٢٨ هـ / ١ يونيه - ٢٩ يونيه ١٨١٣ م .
(٨) ١٢ جمادى الثانية ١٢٢٨ هـ / ١٢ يونيه ١٨١٣ م .

له قهوجى باشا [1] السلطان ، فاعتنى الباشا بشأنه ، وحضر إلى قصره بشبرا ، وأمر بإحضاره عدة من المدافع وآلات الشنك ، وعملوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات ، ونبه على الطوائف بالاجتماع بملابسهم وزينتهم ، ووصل الأغا المذكور يوم الأحد ، فخرج الأغوات والسفاشية والصقلية ، وهم لابسون القواويق وجميع العساكر الخيالة ليلا ، فما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا ، وانتظموا فى موكب ودخلوا من باب النصر ، ويقدمهم طوائف الدلاة وأكابرهم ، ويتلوهم أرباب المناصب مثل الأغا والوالى والمحتسب وبواقى وجاقات المصرية ، ثم موكب كتخدا بيك وبعده موكب الأغا الواصل ، وفى أثره ما وصل معه من الخلع وهى أربع بقج وخنجران مجوهران وسيف وثلاث شلنجات عليها ريش مجوهرة ، وخلف ذلك العساكر الخيالة والتفكجية ، وخلفهم النوبة التركية ، فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع ، وليس فيهم رجالة مشاة سوى الخدم ، وقليل عسكر مشاة ، وأما بقية العسكر فهم متفرقون بالأسواق والأزقة كالجراد المنتشر ، خلاف من يرد منهم فى كل وقت من الأجناس المختلفة برا وبحرا ، فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا ، وهو فروة وخنجر وريشة بشلنج وأطواخ ، ولابنه إبراهيم بيك مثل ذلك ، وأسكنوا ذلك الأغا ورفيقه وأتباعهما بمنزل إبراهيم بيك ابن الباشا بالأزبكية بقنطرة الدكة ، وأرسل بإحضار ولده من ناحية قبلى ، فحضر على الهجن ولبس الخلعة بولايته على الصعيد ، فنزل بالجيزة وعدى إلى بر مصر عند أبيه بقصر شبرا ، ولبس الخلعة وأقام عند أبيه ثلاث ليال ، ثم عدى إلى بر الجيزة ، وعندما وصل إلى البر أمر بتغريق السفينة بما فيها من الفرش ، ثم أخرجوها ، وكذلك أمر من معه من الرجال بالغطوس فى الماء وغسل ثيابهم ، كلّ ذلك خوفا من رائحة الطاعون ، وتطيرا وهروبا من الموت .

وفى خامس عشرينه [2] ، سافر إبراهيم بيك راجعا إلى الصعيد .

وفيه [3] ، حضر عرضى الباشا الذى كان سافر فى ربيع الأول [4] ، إلى الجهة القبلية ، ومعه الكتبة أيضًا المسلمون ، لتحرير حساب الأقباط ومساحة الأراضى .

---

(١) قهوجى باشا : أى رئيس القهوجية المختصين بتقديم القهوة للسلطان وضيوفه .
(٢) ٢٥ جمادى الثانية ١٢٢٨ هـ / ٢٥ يونيه ١٨١٣ م .
(٣) ٢٥ جمادى الثانية ١٢٢٨ هـ / ٢٥ يونيه ١٨١٣ م .
(٤) ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٤ مارس - ١٢ أبريل ١٨١٣ م .

وفى أواخـره [1] ، نودى علـى أهل الجيزة باسـتمرار الكـورنتيلة شـهرى رجب وشعبان[2] ، وأن يعطوا لهم فسـحة للمتسببين والباعة ثلاثـة أيام ، وكذلك لمن يخرج أو إذا دخل لايـخرج ، إذا كان عنـده ما يكفـيه ويكفـى عياله فـى مدة الشهـرين ، والثلاثة أيام المـفسح لهم فيها ، لـيقضوا أشغالهم واحـتياجاتهم ، فخرج أهـل البلدة بأسرهم ولـم يبق منهم إلا الـقليل النادر القـاذر ، وأيضًا تفرقوا فى الـبلاد ، وبقى الكثير حـول البلدة ، وفى الغيطان حول بـيادرهم وأجرانهم ، وعملوا لـهم أعشاشا تظلهم من حر الشمس ووهج الهجير ، وينادى المـقيم بالبلدة بحاجته من أعلى السور لرفيـقه أو صاحبـه الذى هو خارج البـلدة ، فيجـيبه ويرد جوابـه من مكان بـعيد ، ولايمكنونـهم من تناول الأشياء ، وأمـا العسكر فإنـهم يدخلون ويخرجـون ويقضون حوائجهـم ، ويشترون الخضراوات والبطـيخ وغيره ، ويبيعـونه على المقيمين بـالبلدة بأغلى الأثمان ، وإذا أراد أحد من أهل البلدة الخـروج منعوه من أخذ شىء من متاعه أو بهيمته أو شاته أو حماره ، ولايخرج إلا مجردا بطوله .

وفى أواخره [3] ، وصل من الـديار الرومية واصـل وعلى يده مرسـوم ، فقرئ بالمحكمـة فى يوم الأحد ثامن عـشرينه [4] ، بحضرة كـتخدا بيك والقاضـى والمشايخ وأكابر الدولة والجم الغفير من الناس ، ومضـمونه : « الأمر للخطباء فى المساجد يوم الجمعة على المنابر ، بأن يقولوا عند الدعاء للـسلطان ، فيقولوا السلطان ابن السلطان بتكرير لـفظ السلطان ثلاث مرات ، محمـود خان ابن السلطان عبد الحـميد خان ابن السلطان أحمد خان المغازى ، خادم الحرمين الشريفين » ، لأنه استحق أن ينعت بهذه النعوت ، لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين ، وغزت الخوارج ، وأخرجتهم منها ، لأن المفتى أفتاهم بأنهم كفار لتكفيرهـم المسلمين ، ويجعلونهم مشركين ، ولخروجهم على السلطان وقتلهم الأنفس ، وأن من قاتـلهم يكون مغازيا ومجاهدا ، وشهيدا إذا قتل » ، ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة ، وعملوا شنكا، واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان عشرة أيام ، وذلك ونحوه من الخور .

(1) آخر جمادى الثانية ١٢٢٨ هـ / ٢٩ يونيه ١٨١٣ م .

(2) رجب وشعبان ١٢٢٨ هـ / ٣٠ يونيه - ٢٧ أغسطس ١٨١٣ م .

(3) آخر جمادى الثانية ١٢٢٨ هـ / ٢٩ يونيه ١٨١٣ م .

(4) ٢٨ جمادى الثانية ١٢٢٨ هـ / ٢٨ يونيه ١٨١٣ م .

واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٨[1]

فى منتصفه[2] ، حضر بونابارته الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير .

وفى أواخره [3] ، سافر قهوجى باشا الذى تقدم ذكر حضوره بالخلع والشلنجات والخناجر ، بعدما أعطى خدمته مبلغا من الأكياس ، وأصحب معه الباشا هدية عظيمة لصاحب الدولة وأكابرها ، وقدره من الذهب العين أربعون ألف دينار ، ومن النصفيات يعنى نصف الدينار ستون ألفا ، ومن فروق البن خمسمائة فرق ، ومن السكر المكرور مرتين مائة قنطار ، ومن المكرر مرة واحدة مائتى قنطار ، ومائتا قدر صينى ، الذى يقال له إسكى معدن مملوءة بالمربيات ، وأنواع الشربات الممسك المطيب المختلف الأنواع ، ومن الخيول خمسون جوادا مرختة بالجوهر والنمدكش[4] واللؤلؤ والمرجان ، وخمسون حصانا من غير رخوت ، وأقمشة هندية كشميرى ومقصبات وشاهى ومهترخان فى عدة تعابى بقج ، وبخور عود وعنبر ، وأشياء أخرى .

وفيه [5] ، أيضًا حضر أغا يقال له جانم أفندى وصحبته مرسوم قرئ بالديوان فى يوم الاثنين[6] ، مضمونه : « البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه عثمان » ، واجتمع لسماع ذلك المشايخ والأعيان وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع ، واستمر ذلك سبعة أيام فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وفى يوم الثلاثاء عشرينه [7] ، الموافق لثالث عشر مسرى القبطى ، أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك فى الأسواق على العادة ، وكثر اجتماع غوغاء الناس للخروج إلى الروضة ، وناحية السد ، والولائم فى البيوت المطلة على الخليج ، وما يحصل من اجتماع الأخلاط ، أمام جرى الماء كما هو المعتاد فى كل سنة ، وأنه إذا نودى بالوفاء ، حصل ذلك الاجتماع فى تلك الليلة ، وكسروا السد فى صبحها ، عادة لاتتخلف فيما نعلم ، فلما كان آخر النهار ، ورد الخبر بأن الباشا أمر بتأخير فتح الخليج إلى يوم الخميس ثانيه[8] ، فكان كذلك ، وخرج الباشا فى صبح يوم الخميس [9] ، وكسر السد وجرى الماء فى الخليج ، وتكلف أرباب الدور المطلة على الخليج كلفة ثانية لضيفانهم .

---

(١) رجب ١٢٢٨ هـ / ٣٠ يونيه ١٨١٣ م .
(٢) ١٥ رجب ١٢٢٨ هـ / ١٤ يوليه ١٨١٣ م .
(٣) آخر رجب ١٢٢٨ هـ / ٢٩ يوليه ١٨١٣ م .
(٤) أمام هذا الرقم كتب بهامش ص ١٧٨ ، طبعة بولاق « (١) فى بعض النسخ « والمزركش » بدل « والنمدكش » اهـ » .
(٥) آخر رجب ١٢٢٨ هـ / ٢٩ يوليه ١٨١٣ م .
(٦) ١٩ رجب ١٢٢٨ هـ / ١٨ يوليه ١٨١٣ م .
(٧) ٢٠ رجب ١٢٢٨ هـ / ١٩ يوليه ١٨١٣ م .
(٨) ٢ رجب ١٢٢٨ هـ / ١ يوليه ١٨١٣ م .
(٩) ٢ رجب ١٢٢٨ هـ / ١ يوليه ١٨١٣ م .

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٢٨ [1]

وفى خامسه ، يـوم الثلاثاء [2] ، حضر ابن البـاشا المسمى بإسماعـيل من الديار الرومية، ووصل إلى ساحل النيل بشبرا ، وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا والجيزة ، وتقدم أنه توجه ببشارة الحرمين ، وأكرمته الدولة وأعطوه أطواخا .

وفى عاشره [3] ، حضر قاصد مـن الديار الرومية ، ووصل إلى سـاحل النيل ، وصحبته بشـارة بمولودة ولدت لحضرة السلطان ، فـعملوا الديوان بالقلعـة واجتمع به المشـايخ والأعيـان وأكابر الـدولة ، وقرئ الفـرمان الواصـل فى شأن ذلـك ، وفى مضمونه : « الأمر للـكافة بالفرح والسرور وعمل الشنـك » ، وبعد الفراغ من ذلك ضربت المـدافع من أبراج القلـعة ، واستمر ضربـها فى كل وقت أذان خمـسة أيام ، وهذا لم يعهد فى الدول الماضية إلا للأولاد الذكور ، وأما الإناث فليس لهم ذكر .

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرينه [4] ، عمل الباشا جمعية ببيت الأزبكية ، وأحضر الأعيان والمشـايخ والقضاة الثـلاثة ، وهم بهجت أفنـدى المنفصل عن قـضاء مصر ، وصديق أفـندى المتوجه إلى قـضاء مكة المنـفصل عن قضـاء مصر العام الذى قـبله ، والقاضى المتوجـه إلى المدينة ، فعقدوا عقد ابـنه إسماعيل باشا على ابـنة عارف بيك التى حضرت بصحبـته من الديار الرومية ، وعقدوا عقد أخته ابنة الـباشا على محمد أفندى الذى تقلد الدفتردارية ، ولما تم ذلك قدموا لهم تعابى بقج فى كل واحدة أربع قطع مـن الأقمشة الهنـدية ، وهى شال كشمـيرى وطاقة مسـجر وطاقة قطنـى هندى وطاقة شاهى ، وفرقـوا على الدون من الناس الحاضرين محـارم ، ثم إن الباشا شرع فى الاهتمام إلى سفر الحجاز ، وتشهيل المـطاليب واللوازم ، فمن جملة ذلك أربعون صندوقا من الصفيح المشمع داخلها بالشمع والمصطكى ، وبالخشب من خارج وفـوق الخشب جـلود البقر المدبـوغ ، ليودع بها مـاء النيل المغـلى لشربه وشرب خـاصته ، ومثلها فى كل شهر يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد المحروقى ، ويرسله فى كل شهر .

واستهل شهر شوال بيوم الأحد سنة ١٢٢٨ [5]

فى سـابعه يـوم السبت[6] ، أداروا كسـوة الكعبة ، وكانت مصنـوعة مـن نحـو

---

(١) رمضان ١٢٢٨ هـ / ٢٨ أغسطس - ٦ سبتمبر ١٨١٣ م . (٢) ٥ رمضان ١٢٢٨ هـ / ١ سبتمبر ١٨١٣ م .
(٣) ١٠ رمضان ١٢٢٨ هـ / ٦ سبتمبر ١٨١٣ م . (٤) ٢٧ رمضان ١٢٢٨ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨١٣ م .
(٥) شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٧ سبتمبر - ٢٥ أكتوبر ١٨١٣ م . (٦) ٧ شوال ١٢٢٨ هـ / ٣ أكتوبر ١٨١٣ م .

خمس سنوات ومودوعة فى مكان بالمشهد الحسينى ، فأخرجوها فى مستهل الشهر (١) ، وقد توسخت لطول المدة فحلوها ومسحوها ، وكان عليها اسم السلطان مصطفى فغيروه وكتبوا اسم السلطان محمود ، فاجتمع الناس للفرجة عليها ، وكان المباشر لها الريس حسن المحروقى فركب فى موكبها .

وفى ليلة السبت رابع عشره (٢) ، خرج محمد على باشا مسافرا إلى الحجاز ، وكان خروجه وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور إلى بركة الحاج ، وخرج الأعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار ، فأخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار ، وركب هو متوجها إلى السويس بعد مضى ثمان ساعات وربع من النهار ، وبرزت الخيالة والسفاشية إلى خارج باب النصر ليذهبوا على طريق البر ، وقبل خروج الباشا بيومين ، قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المضايفى بناحية الطائف ، وكان قد جرد على الطائف فبرز إليه الشريف غالب وصحبته عساكر الأتراك والعربان ، فحاربوه وحاربهم ، فأصيب جواده فنزل إلى الأرض واختلط بالعسكر ، فلم يعرفوه ، فخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو أربع ساعات ، فصادفه جماعة من جند الشريف ، فقبضوا عليه ، وأصابته جراحة ، وعندما سقط من بين قومه ارتفع الحرب فيما بين الفريقين أخريات النهار ، ولما أحضروه إلى الشريف غالب ، جعل فى رقبته الجنزير ، والمضايفى هذا زوج أخت الشريف ، وخرج عنه ، وانضم إلى الوهابيين ، فكان أعظم أعوانهم ، وهو الذى كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ، ويدعوهم عدة سنين ، ويوجه السرايا على المخالفين ، ونما أمره واشتهر لذلك ذكره فى الأقطار ، وهو الذى كان افتتح الطائف وحاربها وحاصرها ، وقتل الرجال وسبى النساء ، وهدم قبة ابن عباس الغريبة الشكل والوصف ، وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب (٣) ، فى العام الماضى بناحية الصفراء والجديدة (٤) ، وهزمهم وشتت شملهم ، ولما قبضوا عليه أحضروه إلى جدة ، واستمر فى الترسيم عند الشريف ، ليأخذ بذلك وجاهة عند الأتراك الذى هو على ملتهم ، ويتحقق لديهم نصحه لهم ومسالمته إياهم ، وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ، ووبال أمره ، كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل .

---

(١) ١ شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٨١٣ م .   (٢) ١٤ شوال ١٢٢٨ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨١٣ م .

(٣) عربان حرب : قبيلة كبيرة من العرب القحطانية ، استقر بنو حرب فيما بين مكة والمدينة ، وانتقلت منهم فروع كثيرة إلى نجد .

الجاسر ، حمد : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ، دار اليمامة ، الرياض ١٩٨١ م ، جـ ١ ، ص ١٤٤ .

(٤) الصفراء والجديدة : الصفراء قرية من قرى بدر بمنطقة المدينة ، والجديدة قرية من قرى بدر فى منطقة المدينة .

الجاسر ، حمد : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر) ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، جـ١ ، ص ٣٥٧ ، جـ ٢ ، ص ٨٤٧ .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٨ (١)

وفى أوائله (٢) ، وردت أخبار من الجهة الرومية بأن عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من أيدى طائفة الصرب ، وكانوا استولوا عليها نيفا وأربعين سنة ، والله أعلم بصحة ذلك .

وفيه (٣)، عزل محمود حسن من الحسبة، وتقلدها عثمان أغا المعروف بالوردانى.

وفى خامس عشره(٤) ، وصل عثمان المضايفى صحبة المتسفرين معه إلى الريدانية آخر الليل ، وأشيع ذلك ، فلما طلعت الشمس ضربوا مدافع من القلعة إعلاما وسرورا بوصوله أسيرا ، وركب صالح بيك السلحدار فى عدة كبيرة ، وخرجوا لملاقاته ، وإحضاره ، فلما واجهه صالح بيك نزع من عنقه الحديد ، وأركبه هجينا، ودخل به إلى المدينة وأمامه الجاويشية والقوّاسة الأتراك، وبأيديهم العصىّ المفضضة، وخلفه صالح بيك وطوائفه ، وطلعوا به إلى القلعة ، وأدخله إلى مجلس كتخدا بيك وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقى أعيانهم ، ونجيب أفندى قبى كتخدا الباشا ووكيله بباب الدولة ، وكان متأخرا عن السفر ، ينتظر قدوم المضايفى ليأخذه بصحبته إلى دار السلطنة ، فلما دخل عليهم أجلسوه معهم فحدثوه ساعة ، وهو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب ، وأفصح جواب ، وفيه سكون وتؤدة فى الخطاب ، وظاهر عليه آثار الإمارة والحشمة والنجابة، ومعرفة مواقع الكلام ، حتى قال الجماعة لبعضهم البعض ، « يا أسفا على مثل هذا ، إذا ذهب إلى إسلامبول يقتلونه » ، ولم يزل يتحدث معهم حصة ، ثم أحضروا الطعام فواكلهم ، ثم أخذه كتخدا بيك إلى منزله ، فأقام عنده مكرما ثلاثة حتى تمم نجيب أفندى أشغاله ، فأركبوه وتوجهوا به إلى بولاق ، وأنزلوه في السفينة مع نجيب أفندى ، ووضعوا فى عنقه الجنزير وانحدروا طالبين الديار الرومية ، وذلك يوم الاثنين حادى عشرينه (٥) .

وفى أواخره (٦) ، وصلت أخبار بأن مسعود الوهابى أرسل قصادا من طرفه إلى ناحية جدة ، فقابلوا طوسون باشا والشريف غالب خلع عليهم ، وأخذهم إلى أبيه ، فخاطبهم وسألهم عما جاءوا فيه ، فقالوا : « الأمير مسعود الوهابى يطلب الإفراج عن المضايفى ، ويفتديه بمائة ألف فرانسة ، وكذلك يريد إجراء الصلح بينه وبينكم ،

---

(١) ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٢٦ أكتوبر - ٢٤ نوفمبر ١٨١٣ م .
(٢) ١ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٣ م .
(٣) ١ ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٣ م . (٤) ١٥ ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٩ نوفمبر ١٨١٣ م .
(٥) ٢١ القعدة ١٢٢٨ هـ / ١٥ نوفمبر ١٨١٣ م . (٦) آخر ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٨١٣ م .

وكف القتال » ، فقال لهم : « فإنه سافر إلى الدولة ، وأما الصلح فلاتأباه بشروط ، وهو أن يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من أول ابتداء الحرب إلى وقت تاريخه، وأن يأتى بكل ما أخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التى كانت بالحجرة الشريفة ، وكذلك ثمن ما استهلك منها ، وأن يأتى بعد ذلك ، ويتلاقى معى ، وأتعاهد معه ، ويتم صلحنا بعد ذلك ، وإن أبى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون إليه » ، فقالوا له : « اكتب له جوابا » ، فقال : « لا أكتب جوابا ، لأنه لم يرسل معكم جوابا ، ولا كتابا ، وكما أرسلكم بمجرد الكلام ، فعودوا إليه كذلك » ، فلما أصبح الصباح وقت انصرافهم أمر باجتماع العساكر ، فاجتمعوا ونصبوا ميدان الحرب والرمى المتتابع من البنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ، ويروه ويخبروا عنه مرسلهم .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٨ (١)

وفى ليلة الأحد تاسع عشره (٢) ، وقعت كائنة لطيف باشا ، وذلك أنَّ المذكور مملوك الباشا أهداه له عارف بيك ، وهو عارف أفندى ابن خليل باشا المنفصل عن قضاء مصر نحو خمس سنوات ، واختص به الباشا وأحبه ، ورقاه فى الخدم والمناصب إلى أن جعله إنختار أغاسى (٣) أى صاحب المفتاح ، وصار له حرمة زائدة وكلمة فى باب الباشا وشهرة ، فلما حصلت النصرة للعسكر واستولوا على المدينة ، وأتوا بمفاتيح زعموا أنها مفاتيح المدينة كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة ، وأرسلوا صحبته مضيان الذى كان متأمراً بالمدينة ، ولما وصل إلى دار السلطنة، ووصلت أخباره احتفل أهل الدولة بشأنه احتفالا زائدا ، ونزلوا لملاقاته فى المركب فى مسافة بعيدة ، ودخلوا إلى إسلامبول فى موكب جليل وأبهة عظيمة إلى الغاية ، وسعت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانا ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وقتلوا مضيان المذكور فى ذلك اليوم ، وعلقوه على باب السراية ، وعملوا شنانك ومدافع وأفراحا وولائم ، وأنعم السلطان على لطيف المذكور وأعطاه أطواخا، وأرسل إليه أعيان الدولة الهدايا والتحف ، ورجع إلى مصر فى أبهة زائدة، وداخله الغرور وتعاظم فى نفسه ، ولم يحتفل الباشا بأمره ، وكذلك أهل دولته

---

(١) ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ٢٥ نوفمبر - ٢٣ ديسمبر ١٨١٣ م .

(٢) ١٩ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨١٣ م .

(٣) انختار أغاسى : الشخص الذى يشرف على جميع العاملين فى الخاص أودة من أصحاب الوظائف ، ويرسلهم إذا مرضوا للمستشفى ، ويصرح لهم بالذهاب إلى بيوتهم ، ويوقظ الأغوات فى السحر لصلاة ، ويصلح بينهم إذا اختصموا ، وكانت له اختصاصات واسعة .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

لكونه من جنس المماليك ، وأيضًا قد تأسست عداوتهم فى نفوسهم وكراهتهم له أشد من كراهتهم لأبنائنا ، وخصوصا كتخدا بيك ، فإنه أشد الناس عداوة وبغضا فى جنس المماليك ، وطفق يلقى لمخدومه ما يغير خاطره عليه ، ومنها أنه يضم إليه أجناسه من المماليك البطالين ليكونوا عزوته ويغترون به ، بحيث إنّ الباشا فوض إليه الأمر إن ظهر منه شىء فى غيابه ، وسافر الباشا فى أثر ذلك واستمر لطيف باشا مع الجماعة فى صلف وهم يحدقون عليه ، ويرصدون حركاته ، ويتوقعون ما يوجب الإيقاع به ، وهو فى غفلة وتيه لايظن بهم سوءًا ، فطلب من الكتخدا الزيادة فى رواتبه وعلائفه لسعة دائرته وكثرة حواشيه ومصاريفه ، فقال له الكتخدا : « أما أنا لست صاحب الأمر ، وقد كان هنا ولم يزدك شيئًا ، فراسله وكاتبه ، فإن أمر بشىء فأنا لا أخالف مأمورياته » ، وتزايد هو والحاضرون فى الكلام والمفاقمة ، ففارقهم على غير حالة ، ونزل إلى داره ، وأرسل فى العشية إلى مماليك الباشا ليحضروا إليه فى الصباح ، ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة ، وأسر إليهم أن يصحبوا ما خف من متاعهم وأسلحتهم ، فلما أصبحوا استعدوا كما أشار إليهم ، وشدوا خيولهم ، ووصل خبرهم إلى الكتخدا ، فطلب كبيرهم ، وسأله فأخبره أن لطيف باشا طلبهم ، ليعمل معهم رماحة ، فقال : « إن هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة »، ومنعهم من الركوب ، وفى الحال أحضر حسن باشا ، وطاهر باشا ، وأحمد أغا ، المسمى بونابارته الخازندار ، وصالح بيك السلحدار ، وإبراهيم أغا أغات الباب ، ومحو بيك وخلافهم ، ودبوس أوغلى وإسماعيل باشا ابن الباشا ، ومحمود بيك الدويدار ، وتوافق الجميع على الإيقاع به ، وأصبحوا يوم السبت [1] مجتمعين ، وقد بلغه الخبر وأخذوا عليه الطرق ، وأرسلوا يطلبونه للحضور فى مجلسهم فامتنع ، وقال : « ما المراد من حضورى » ، فنزل إليه دبوس أوغلى وخدعه ، فلم يقبل فركب وعاد إليه ثانيا يأمره بالخروج من مصر إن لم يحضر مجلسهم ، فقال : « أما الحضور فلا يكون ، وأما الخروج فلا أخالف فيه ، بشرط أن يكون بكفالة حسن باشا ، أو طاهر باشا ، فإنى لا آمن أن يتبعونى ويقتلونى خصوصا وقد أوقفوا بجميع الطرق » ، ففارقه دبوس أوغلى ، فتحير فى أمره ، وأمر بشد الخيول وأراد الركوب، فلم يتسع له ذلك، ولم يزل فى نقض وإبرام إلى الليل ، فشركوا الجهات وأبواب المدينة أيضًا بالعساكر وكثر جمعهم بالقلعة وأبوابها ، وفى تاسع ساعة من الليل ، نزل حسن باشا ومحو بيك فى نحو الألفين من العسكر واحتاطوا بداره بسويقة العزى ، وقد أغلق داره ، فصاروا يضربون عليه بالبنادق

(١) ١٨ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨١٣ م .

والقرابين إلى آخر الليل ، فلما أعياهم ذلك هجموا على دور الناس التى حوله وتسلقوا عليه من الأسطحة ، ونزلوا إلى سطح داره ، وقتلوا من صادفوه من عسكره وأتباعه ، واختفى هو فى مخبأ أسفل الدار مع ستة أشخاص من الجوارى ومملوك واحد ، وعلم بمكانهم أغات الحريم ، فدازوا بالدار يفتشون عليه ، فلم يجدوه فنهبوا جميع ما فى الدار ، ولم يتركوا بها شيئًا وسبوا الحريم والجوارى والمماليك والعبيد ، وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ، ودور حواشيه وهم نيف وعشرون دارا ، حتى حوانيت الباعة وغيرهم التى بالخطة ودار عليّ كتخدا صالح الفلاح ، هذا ما جرى بتلك الناحية ، وباقى نواحى المدينة لايدرون بشىء من ذلك ؛ إلا أنَّهم لما طلع نهار يوم الأحد [1] ، وخرج الناس إلى الأسواق والشوارع وجدوا العساكر مائجة وأبواب البلد مغلوقة ، وحولها العساكر مجتمعة ، ومنهم من يعدو ومعه شىء من المنهوبات ، فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوى التى من عادتهم التبكير بفتحها ، وظنوا ظنا ، واستمر لطيف باشا بالمخبأة إلى الليل واشتد به الخوف ، وتيقن أن العبد الطواشى سينم عليه ويعرفهم بمكانه، فلما أظلم الليل ، وفرغوا من النهب والتفتيش ، وخلا المكان خرج من المخبأة بمفرده ونط من الأسطحة حتى خلص إلى دار خازنداره ، وصحبته كبير عسكره ، وآخر يسمى كاشف دياب من بقايا الأجناد المصرية ، وباتوا بقية تلك الليلة ، ويوم الإثنين [2] ، والكتخدا وأهل دولته يدأبون فى الفحص والتفتيش عليه ، ويتهمون كثيرا من الناس بمعرفة مكانه ، ومحمود بيك داره بالقرب من داره أوقف أشخاصا من عسكره على الأسطحة ليلا ونهارا لرصده ، وكان المذكور له اعتقاد فى شخص يسمى حسن أفندى اللبلبى ، ولبلب لفظ تركى علم على : الحمص المجوهر ، أى المقلى ، ومن شأن حسن أفندى هذا أنَّه رجل درويش، يدخل إلى بيوت الأعيان والأكابر من الناس الأتراك وغيرهم ، وفى جيوبه من ذلك الحمص ، فيفرق على أهل المجلس منه ، ويلاطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ، ويعرف باللغة التركية ، ويجانس الفريقين فمن أعطاه شيئًا أخذه ، ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئًا ، وبعضهم يقول له : « انظر ضميرى أو فالى » ، فيعد على سبحته أزواجا وأفرادا ، ثم يقول : « ضميرك كذا وكذا » ، فيضحكون منه ، فوشى بحسن أفندي هذا إلى كتخدا بيك وباقى الجماعة ، بأنه كان يقول : « لطيف باشا إنَّه سيلى سيادة مصر وأحكامها » ، ويقول له : « هذا وقت انتهاز الفرصة فى غيبة الباشا ، ونحو ذلك » ، وجسموا الدعوى وأنه كان يعتقد صحة كلامه ، ويزوره فى داره ، ورتب له ترتيبا ، وأشاعوا أنَّه أراد أنْ يضم إليه أجناس

(١) ١٩ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨١٣ م . (٢) ٢٠ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٣ م .

المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ، ويعطيهم نفقات ، ويريد إثارة فتنة ، ويغتال الكتخدا بيك وحسن باشا وأمثالهما على حين غفلة ، ويتملك القلعة والبلد ، وأن اللبلبى يغريه على ذلك ، وكل وقت يقول له : « جاء وقتك » ، ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله أعلم بصحته ، فأرسل كتخدا بيك إلى اللبلبى فحضر بين يديه في يوم الإثنين [1] ، فسأله عنه ، فقال : « لا أدرى » ، فقال : « انظر فى حسابك هل نجده أم لا ؟ فمسك سبحته وعدها كعادته » ، وقال : « إنكم تجدونه وتقتلونه » ، ثم إنَّ الكتخدا أشار إلى أعوانه ، فأخذوه ونزلوا به وأركبوه على حماره ، وذهبوا به إلى بولاق ، فأنزلوه في مركب وانحدروا به إلى شلقان ، وشلحوه من ثيابه وأغرقوه فى البحر .

وفى ذلك اليوم [2] ، عرفهم أغات حريم لطيف باشا بعد أن هددوه وقرروه عن محل أستاذه ، وأخبرهم أنَّه فى المخبأة ، وأراهم المكان ففتحوه فوجدوا به الجوارى الستة والمملوك ، ولم يجدوه معهم فسألوهم عنه ، فقالوا : « إنه كان معنا وخرج فى ليلة أمس ، ولم نعلم أين ذهب ، فأخرجوهم وأخذوا ما وجدوه فى المخبأة من متاع وسروج ومصاغ ونقود وغير ذلك ، فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء [3] ، اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق ، فأراد أن ينتقل من بيت الخازندار إلى مكان آخر ، فطلع إلى السطح ، وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكباشى ليخلص إلى حوش مجاور لتلك الدار ، فنظرهما شخص من العسكر المرصد بأعلى سطح دار محمود بيك الدويدار ، فصاح على القريبين منه لينتبهوا له ، فعندما صاح ضربه لطيف باشا رصاصة فأصابته ، وتنبهت المرصدون بالنواحى عند سماع الصيحة ، وبندقة الرصاصة ، وتسارعوا إليه من كل ناحية ، وقبضوا عليه وعلى رفيقه وأتوا بهما إلى محمود بيك فبات عنده ، ورمحت المبشرون إلى بيوت الأعيان يبشرونهم بالقبض عليه ، ويأخذون على ذلك البقاشيش ، فلما طلع نهار يوم الثلاثاء [4] ، طلع به محمود بيك إلى القلعة ، وقد اجتمع أكابرهم بديوان الكتخدا ، واتفقوا على قتله ، ووافقهم على ذلك إسماعيل ابن الباشا بما نقموه عليه ، لأنه فى الأصل مملوك صهره عارف بيك ، فعندما وصل إلى الدرج قبض عليه الأعوان وهو بجانب محمود بيك فقبض بيده على علاقة سيفه ، وهو يقول له بالتركى « عرظندايم » يعنى أنا فى عرضك ، وماتت يده على قيطان السيف ، فأخرج بعضهم سكينا وقطع القيطان

---

(١) ٢٠ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٣ م . (٢) ٢٠ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٣ م .
(٣) ٢١ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨١٣ م . (٤) ٢١ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨١٣ م .

وجذبوه إلى أسفل سلم الركوية ، وأخذوا عمامته ، وضربه المشاعلى بالسيف ضربات ، ووقع إلى الأرض ، ولم ينقطع عنقه فكملوا ذبحه مثل الشاة ، وقطعوا رأسه ، وفعلوا برفيقه كذلك ، وعلقوا رؤسهما تجاه باب زويلة طول النهار .

وفى ثانى يوم وهو يوم الأربعاء ثانى عشرينه [1] ، أحضروا أيضًا يوسف كاشف دياب وقتلوه أيضًا عند باب زويلة ، وانقضى أمرهم والله أعلم بحقيقة الحال ، وفتح أهل الأسواق حوانيتهم بعدما تخيل الناس بأنها ستكون فتنة عظيمة ، وأنّ العسكر ينهبون المدينة ، وخصوصا الكائنون بالعرضى خارج باب النصر ، فإنهم جياع ويردانون وغالبهم مفلس ، لأنّ معظمهم من الجدد الواردين الذين لم يحصل لهم كسب من نهب أو حادث واقع أدركوه ، ولولا أنّهم أوقفوا عساكرهم عند الأبواب منعتهم من العبور ، لحصل منهم غاية الضرر .

وانقضت السنة وحوادثها التى ربما استمرت إلى ما شاء الله بدوامها وانقضائها .

فمنها : أنّ الباشا لما فرغ من أمر الجهة القبلية بعدما ولى ابنه إبراهيم باشا عليها ، وحرر أراضى الصعيد ، وقاس جملة أراضيه وفدنه وضبطه بأجمعه ، ولم يترك منه إلا ما قل ، وضبط لديوانه جميع الأراضى الميرية والإقطاعات التى كانت للملتزمين من الأمراء ، والهوّارة ، وذوى البيوت القديمة ، والرزق الأحباسية والسراوى والمتأخرات والمرصد على الأهالى والخيرات ، وعلى البر والصدقة وغير ذلك مثل : مصارف الولاية التى رتبها أهالى الخير المتقدمون لأربابها ، رغبة منهم فى الخير ، وتوسعة على الفقراء المحتاجين ، وذوى البيوت ، والدواوير المفتوحة المعدة لإطعام الطعام للضيفان ، والواردين والقاصدين وأبناء السبيل والمسافرين ، فمن ذلك أن بناحية سهاج دار الشيخ عارف ، وهو رجل مشهور كأسلافه ومعتقد بتلك الناحية وغيرها ، ومنزله محط لرحال الوافدين والقاصدين من الأكابر والأصاغر والفقراء والمحتاجين ، فيقرى الكل بما يليق بهم ، ويرتب لهم التراتيب والإحتياجات ، وعند انصرافهم بعد قضاء أشغالهم يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل والتمر والأغنام وهذا دأبه ، ودأب أسلافه من قبله على الدوام والاستمرار ، ورزقته المرصدة التى يزرعها وينفق منها ستمائة فدان فضبطوها ، ولم يسمحوا له منها إلا بمائة فدان بعد التوسط والترجى والتشفع ، وأمثال ذلك بجرجا وأسيوط ومنفلوط وفرشوط وغيرهم ، وإذا قال المتشفع والمترجى للمتأمر ينبغى مراعاة مثل هذا ومسامحته ، لأنه يطعم الطعام ، وتنزل بداره الضيفان ، فيقول : « ومن كلفه

(1) ٢٢ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٦ ديسمبر ١٨١٣ م .

بذلك ؟ » ، فيقال له : « وكيف يفعل إذا نزلت به الضيوف على حسب ما اعتادوه ؟ » ، فيقول : « يشترون ما يأكلون بدراهمهم من أكياسهم ، أو يغلقون أبوابهم ، ويستقلون بأنفسهم وعيالهم ، ويقتصدون فى معايشهم فيعتادون ذلك ، وهذا الذى يفعلونه تبذير وإسراف ونحو ذلك على حسب حالهم وشأنهم فى بلادهم » ، ويقول : « الديوان أحق بهذا فإن عليه مصاريف ونفقات ومهمات ، ومحاربات الأعداء وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز » ، ولما حضر إبراهيم باشا إلى مصر وكان أبوه على أهبة السفر إلى الحجاز ، حضر الكثير من أهالى الصعيد يشكون ما نزل بهم ويستغيثون ويتشفعون بوجهاء المشايخ وغيرهم ، فإذا خوطب الباشا فى شيء من ذلك يعتذر بأنه مشغول البال واهتمامه بالسفر ، وأنه أناط أمر الجهة القبلية وأحكامها وتعلقاتها ، لابنه إبراهيم باشا ، وأن الدولة قلدته ولاية الصعيد ، فأنا لا علاقة لى بذلك ، وإذا خوطب ابنه أجابهم بعد المحاججة بما تقدم ذكره ونحو ذلك ، وإذا قيل له : « هذا على مسجد » ، فيقول : « كشفت على المساجد فوجدتها خرابا ، والنظار عليها يأكلون الإيراد والخزينة أولى منهم ، ويكفيهم أنى أسامحهم فيما أكلوه فى السنين الماضية ، والذى وجدته عامرا أطلقت له ما يكفيه وزيادة ، وإنى وجدت لبعض المساجد أطيانا واسعة ، وهى خراب ومعطلة ، والمسجد يكفيه مؤذن واحد وأجرته نصفان ، وإمام مثل ذلك ، وأما فرشه وإسراجه فإنى أرتب له راتبا من الديوان فى كل سنة » ، فإذا تكرر عليه الرجاء أحال الأمر على أبيه ، ولايمكن العود إليه لحركاته وتنقلاته وكثرة أشغاله وزوغانه ، ولما زاد الحال بكثرة المتشكين والواردين ، وبرز الباشا للسفر بل وسافر بالفعل ، فلم يمكث بعده ابنه إلا أياما قليلة يبيت بالجيزة ليلة ، وعند أخيه ببولاق ليلة أخرى ، ثم سافر راجعا إلى الصعيد يتمم ما بقى عليه لأهله من العذاب الشديد ، فإنه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالأقطار ، وأذل أعزة أهله وأساء أسوأ السوء معهم فى فعله ، فيسلب نعمهم وأموالهم ، ويأخذ أبقارهم وأغنامهم ، ويحاسبهم على ما كان فى تصرفهم واستهلكوه ، أو يحتج عليهم بذنب لم يقترفوه ، ثم يفرض عليهم المغارم الهائلة ، والمقادير من الأموال التى ليست أيديهم إليها طائلة ، ويلزمهم بتحصيلها وغلاقها وتعجيلها ، فتعجز أيديهم عن الإتمام ، فعند ذلك يجرى عليهم أنواع الآلام من الضرب والتعليق والكى بالنار والتحريق ، فإنه بلغنى والعهدة على الناقل ، أنه ربط الرجل ممدودا على خشبة طويلة ، ومسك بطرفيها الرجال ، وجعلوا يقلبوه على النار المضرمة مثل الكباب ، وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل سنه دون العشرين عاما ، وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه ، لم يؤدبه مؤدب ، ولايعرف شريعة

ولامأمورات ولامنهيات ، وسمعت أن قائلا قال له : « وحق من أعطاك » ، قال : « ومن هو الذى أعطانى ؟ » ، قال له : « ربك » ، قال له : « إنه لم يعطنى شيئًا والذى أعطانى أبى ، فلو كان الذى قلت ، فإنه كان يعطينى وأنا ببلدى ، وقد جئت وعلى رأسى قبع مزفت مثل المقلاة » ، فلهذا لم تبلغه دعوى ، ولم يتخلق إلا بالأخلاق التى بدربه عليها والده ، وهى تحصيل المال بأى وجه كان ، فأنزل بأهل الصعيد الذل والهوان ، فلقد كان به من المقادم والهوارة كل شهم يستحى الرئيس من مكالمته والنظر إليه بالملابس الفاخرة ، والأكراك السمور ، والخيول المسوّمة والأنعام والأتباع والجند والعبيد والأكمام الواسعة ، والمضايف والإنعامات والإغداقات والتصدقات ، وخصوصا أكابرهم المشهورون ، وهمام ، وما أدراك ما همام ، وقد تقدم فى ترجمته ما يغنى عن الإعادة ، فخربت دور الجميع ، وتشتتوا وماتوا غرباء ، ومن عسر عليه مفارقة وطنه جرى عليه ما جرى على غيره ، وصار فى عداد المزارعين ، وقد رأيت بعض بنى همام ، وقد حضروا إلى مصر ليعرضوا حالهم على الباشا ، لعله يرفق بهم ويسامحهم فى بعض ما ضبطه ابنه من تعلقاتهم يتعيشون به ، وهم أولاد: عبد الكريم، وشاهين، ولدى همام الكبير ، ومعهم حريمهم وجوارهم ، وزوجة عبد الكريم ، ويقولون لها : « الست الكبيرة » ، وهى أم أولاده ، فلما وصلوا إلى ساحل مصر القديمة ، ورأى أرباب ديوان المكس الجوارى وعدتهم ثلاثة حجزوهم وطالبوهم بكمركهن ، فقالوا : « هؤلاء جوارنا للخدمة ، وليسوا مجلوبين للبيع » ، فلم يعبأوا بذلك وقبضوا منهم ما قبضوه ، ثم إنهم لم يتمكنوا من الباشا ، وكان إذ ذاك قد توجه إلى الفيوم ، وعاد إلى العرضى مسافرا إلى الحجاز ، فاستمروا بمصر حتى نفدت نفقاتهم ، ورأيتهم مرة مارين بالشارع وهم مخلقنون وفيهم صغير مراهق ، واتفق أنهم تفاقموا مع ابن عمهم ، وهو عمر وشكوه إلى مصطفى بيك دالى باشا ، بأنه حاف عليهم فى أشياء من استحقاقهم دعوى مفلس على مفلس ، فأحضره وحبسه مدة وما أدرى ما حصل لهم بعد ذلك ، وهكذا :

.... تَخْفِضُ العَالى وتُعْلِى مَن سَفَلْ

اللهم إنَّا نعوذ بك من زوال النعم ، ونزول النقم .

وأما من مات فى هذه السنة[1]

فمات ، الأستاذ الشهير، والجهبذ النحرير ، الرئيس المفضل ، والفريد المبجل ، نادرة عصره ، ووحيد دهره ، الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد الرحمن

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ١٨٥ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

المعروف بابن عارفين ، سبط بنى الوفاء ، وخليفة السادات الحنفاء ، وشيخ سجادتها ، ومحط رحال سيادتها ، وشهرته غنية عن مزيد الإفصاح ، ومناقبه أظهر من البيان والإيضاح ، وأمه السيدة صفية بنت الأستاذ جمال الدين يوسف أبى الإرشاد بن وفا ، تزوّج بها الخواجا عبد الرحمن المعروف بعارفين ، فأولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف ، وكان أسن منه ، فتربى مع أخيه فى حجر السيادة والصيانة والحشمة ، وقرأ القرآن وتولع بطلب العلم ، وحضر دروس أشياخ الوقت ، وتلقى طريقة أسلافه وأورادهم وأحزابهم عن خاله الأستاذ شمس الدين محمد أبو الإشراق بن وفا ، عن عمه الشيخ عبد الخالق ، عن أبيه الشيخ يوسف أبى الإرشاد ، عن والده أبى التخصيص عبد الوهاب إلى آخر السند المنتهى إلى الأستاذ أبى الحسن الشاذلى ، ولازم العلاّمة القدوة الشيخ موسى البجيرمى ، فحضر عليه كما ذكره فى برنامج شيوخه : أم البراهين ، وشرح المصنف عليها ، والآجرومية ، وشرحها للشيخ خالد ، وشرح الستين مسألة للجلال المحلى ، وهو أوّل أشياخه ، ثم لازم الشيخ خليل المغربى ، فحضر عليه شرح إيساغوجى ، لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وشرح العصام على السمرقندية ، والفاكهى على القطر ، ومتن التوضيح ، والأشمونى على الخلاصة ، ورسالة الوضع والمغنى ، وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد الميجرى الملوى ، فى صحيح البخارى ، والشيخ عبد السلام ، على الجوهرة ، وأجازه بمروياته ومؤلفاته الإجازة العامة ، وكذلك أجازه الشيخ أحمد الجوهرى الشافعى إجازة عامة ، وإجازة خاصة بطريقة مولاى عبد الله الشريف ، ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهرى الصغير ، وحضر أيضًا دروس الأستاذ الحفنى فى: شرح التلخيص ، للسعد التفتازانى ، وشرح التحرير ، لشيخ الإسلام ، وشرح الألفية لابن عقيل ، والأشمونى ، وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوى المالكى فى : شرح الآجرومية ، للشيخ خالد ، وشيئًا من شرح الهمزية ، للحافظ ابن حجر ، وشيئًا من تفسير الجلالين ، والبيضاوى ، وحضر الشيخ مصطفى السندويى الشافعى ، فى شرح ابن قاسم الغزى ، على أبى شجاع ، وعلى السيد البليدى ، فى شرح التهذيب ، للخبيصى ، وعلى الشيخ عطية الأجهورى الشافعى ، فى شرح الخطيب على أبى شجاع ، وشرح التحرير لشيخ الإسلام ، وتفسير الجلالين ، وعلى الشيخ محمد النارى ، شرح السلم ، لمصنفه ، وشرح التحرير ، وعلى الشيخ أحمد القوصى ، شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادى ، وسمع المسلسل بالأولية من عالم أهل المغرب فى وقته ، الشيخ محمد بن سودة التاودى الفاسى المالكى عند وروده مصر ، فى سنة اثنين وثمانين ومائة

وألف [1] ، بقصد الحج ، وكتب له إجازة بخطه مع سنده ، وأجازه أيضًا بدلائل الخيرات ، وأحزاب الشاذلى ، وكذلك تلقى الإجازة من الأستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفى المرزوقى ، وتلقى أيضًا من إمام الحرم المكى الشيخ إبراهيم ابن الرئيس محمد الزمزمى ، الإجازة بالمسبعات واستجازه هو أيضًا بما لأسلافه من الأحزاب ، وكناه بأبى الفوز ، وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة وألف [2] بمكة سنة حجة المترجم.

وصل ، ولما مات، السيد محمد أبو هادى ، وانقرضت بموته سلسلة أولاد الظهور ، وذلك فى سنة ست وسبعين ومائة وألف[3] ، تاقت نفس المترجم لخلافة بيتهم ، وتهيأ لذلك ولبس التاج أيضًا ، والعصابة التى يجعلونها عليه ، فلم يتم له ذلك وعورض بسيدى أحمد بن إسماعيل بيك المعروف بالدالى المكنى بأبى الأمداد ، لأنه فى طبقته فى النسب ، وأمه السيدة أم المفاخر ابنة الشيخ عبد الخالق باتفاق أرباب الحل والعقد ، لكونه من بيت الإمارة ، وقد صار منزلهم كمنازل الأمراء فى الاتساع والتأنق والمجالس المزخرفة والقيعان والقصور ، وفى ضمنه البستان بالنخيل والأشجار وما يجتنى منها من الفواكه والثمار ، لأن معظم الوجاهة والسيادة فى هذه الأزمان بالمساكن الأنيقة والملابس الفاخرة وكثرة الإيراد والخدم والحشم ، خصوصا إن اقترن بذلك شىء من المزايا المتعدية من بذل الإحسان ، وإكرام الضيفان ، فعند ذلك يصير ربه قطب الزمان ، وفريد العصر والأوان ، فلو فرضنا أنَّ شخصا اجتمعت فيه أوصاف الكمالات المعنوية والمعارف اللدنية ، وخلا عما ذكر ، وكان صعلوكا قليل المال ، كثير العيال ، فلا يعد فى الرجال ، ولايلتفت إليه بحال ، حِكم إلهية ، وأحكام ربانية ، فلما تقلدها سيدى أحمد المذكور دون المترجم ، بقى متطلعا يسلى نفسه بالأمانى ، ثم قصد الحج فى سنة تسع وسبعين[4] ،كما ذكر ، فلما عاد من الحج تزوّج بوالدة الشيخ محمد أبى هادى وأسكنها بمنزل ملاصق لدار الخليفة توصلا وتقربا لمأموله ، ولم تطل مدة الشيخ أبى الإمداد ، وتوفى سنة أثنتين وثمانين [5] ، كما ذكرناه فى ترجمته ، وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض ، وقد مهد أحواله ، وتثبت أمره مع من يخشى صولته ومعارضته من الأشياخ وغيرهم ، ودفن السيد أحمد ، وركب المترجم فى صبحها مع أشياخ الوقت ، والشيخ أحمد البكرى وجماعة الحزب ، ونقبائهم إلى الرباط بالخرنفش ، ودخل إلى خلوة جدهم فجلس

(1) ١١٨٢ هـ/ ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩ م . (2) ١١٧٩ هـ/ ٣٠ يونيه ١٧٦٥ - ١٨ يونيه ١٧٦٦ م .
(3) ١١٧٦ هـ/ ٢٣ يوليه ١٧٦٢ - ١١ يوليه ١٧٦٣ م (4) ١١٧٩ هـ/ ٣٠ يونيه ١٧٦٥ - ١٨ يونيه ١٧٦٦ م .
(5) ١١٨٢ هـ/ ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩ م .

بها ساعة ، وقـرأ أرباب الحزب وظيفتهم ، ثـم ركب مع المشايخ إلى أميـر البلدة ، وكان إذ ذاك على بيـك فخلع عليه ، وركبـوا إلى دارهم ومحل سيادتهـم المعهودة ، وأصبح متقلدا خلافـة أسلافهم ومشيخة سجادتهم ، فكان لـها أهلا ومحلا ، وتقدم على أخيه الشيخ يوسف مع كونه أسن منه لما فيه من زيادة الفضيلة ، ولما ثبطه به من مخادعته ، وسلامة صـدر أخيه ، وحسن ظنه فيه ، وانتظم أمـره ، وأحسن سلوكه بشهامة وحـشمة ، ورآسة وتؤدة ، وأدب مع الأشياخ والأقـران ، وتحبَّب إلى أرباب المظاهـر والأكابر ، واستجلاب الخـواطر ، وسلوك الطرائـق الحميدة ، والتبـاعد عن الأمور المخلـة بالمروءة ، والأخذ بالحـزم والرفق ، مع الاشـتغال فى بعـض الأحيان بالمطالعة والمذاكرة فى المسائل الدينية والأدبية ، ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم والمناقشة معهـم فى النكـات ، واقتناء الـكتب من كـل فن ، كل ذلك مـع الجد والتحـصيل للأسباب الدنيويـة ، وما يتوصل به إلى كثرة الإيراد ، بحسن تداخـل وجميل طريقة مبعدة عما يـخل بالمقدار ، بحيث يقضـى مرامه من العظيم ، وجميـل الفضل له ، ويراسـل ويكاتب ويـشاحح علـى أدنى شىء ، ويحـاسب ولايدفع لأربـاب الأقلام عوائدهم المقررة فـى الدفاتر ، بل يرون أن أخذها منه من الكـبائر ، وكذلك دواوين المكوس المبنى على الإجحاف ، فكل ما نسب له فيها فهو معاف ، وكلما طال الأمل زاد المدد وخصوصـا إذا تقلبت الدول ، وارتفـعت السفل ، كان الأسبـق القديم فى أعينهم هـو الجليل العظيم ، وهم لديـه صغار لاينظر إليهم إلا بعـين الاحتقار ، ولما انقرضت بقايـا الشيوخ الذين كان يهابهـم ويخضع لهم ويتأدب معهـم ، وكانوا على طرائق الأقدمين فى العفة والانجماع عما يخل بتعظيم العلم وأهله ، والتباعد عن بنى الدنيا إلا بقدر الضرورة ، وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك ، وهم أعاظـم مدرسى الوقت ، فأحدقـوا به ، وأكثروا من الترداد عليه وعلى مـوائده ، وبالغوا فى تعظيمه وتـقبيل يده ، ومدحوه بالقصائد الـبليغة طمعا فى صلاته وجوائـزه القليلة ، وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردَّد إلى داره من الأمراء والأكابر ، وزاد هو أيضًا وجها ووجاهة بمجالستهم ، ولايريـهم فضلا بسعيهم إليه ، ويزداد كبرا وتيها ويبلغ به أنـه لايقوم لأكثرهم إذا دخل عليه ، ومنهـم من يدخل بغاية الأدب ، فيضم ثيابه ، ويقول عند مشاهدته : « يا مولاى يا واحد » ، فيجيبه هو بقوله : « يا مولاى يا دائم يا على يـا حكيم » ، فإذا حصل بالقرب منه بنـحو ذراعين حبى على ركبتيه ومد يمينه لتقبيـل يده ، أو طرف ثوبه ، وأما الأدون فلا يقبل إلا طرف ثوبه ، وكذلك أتباعه وخدمه الخواص ، وإذا كان من أهل الـذمة أو كبار المباشرين ، وقبلوا يده وخاطبهم فى أشـغاله ، وهم قيام ، وانصرفوا طلب الطـشت والإبريق ، وغسـل

يده بالصابون ، لإزالة أثـر أفواههم ، ولايجيب فى رد التحية إلا بـقول خير خير ، ولايقطع غـالب أوقاته مع مجالـسيه ، وخاصته ومـسامريه إلا بإنتقـاد أهل مصره ، وغيبة غالب أهل عصره، وتنبسط نفسه لذلك وإليه يصغى ، كلا إن الإنسان ليطغى، وفى سنة تسعين ومائة وألف [1] ، ورد إلى مصر عبد الرزاق أفـندى رئيس الكتاب ، ومن أكابر أهل الدولة ، فتداخل معه واصـطحب به ، وأهدى إليه هدايا ، واستدعاه وأضافه ، وحضـر فى ذلك العام محـمد باشا المعروف بـالعزتى واليا عـلى مصر ، فأنهى إليـه بمعونة الرئيس المذكور احتـياج زاوية أسلافه للعمارة ، ودعا الـباشا لزيارة قبورهم فى يوم المولـد المعتاد السنوى ، وذكر له المقصود ، وأظـهر له بعض الخلل ، وزين له ذلك الفـعل وأنه من تمام الشعائر الإسـلامية ، والمشاهد التى يـجب الاعتناء بشأنها ، والسعى والطواف بحرمها ، وكـان المعين والسفير والمساعد فى ذلك أيضًا ، شيخنا مـحدث العصر السيد مـحمد مرتضى ، وهو عنـد العثمانيين مقـبول القول ، وكان عبـد الرزاق الرئيس يـتلقى عنـه المسلسلات والإجـازات ، وقرأ عليه مـقامات الحريـرى فأجاب البـاشا ووعد بإتمـام ذلك ، وكاتـب الدولة ، وورد الأمر بـإطلاق خمسين كيسا لمصرف العمارة من خزينـة مصر ، فشرع فى هدم حوائطها ووسعها عن وضعها الأصلى ، واندرس فى جدرانها قبور ومـدافن ، وحوطها وزخرفها بالنقوش وأنواع الرخام الملوّن والمموّه بالذهب ، والأعـمدة الرخام ، ثم كاتب الدولة ، وأنهى أنّ ذلك القـدر لم يكف ، وأنّ العمـارة لم تكمل والإحـسان بالإتمام ، فأطلـقوا له خمسين كيـسا أخرى ، وأتمها على هذا الـوضع الذى هى عليه الآن ، وأنشـأ حولها مساكن ومخادع ، ووسـع القصر الملاصق لها المختص به لجـلوسه ، ومواضع الحريم أيام الموالد ، ثم أرسل فى أثر ذلك كتخداه ووزيـره الشيخ إبراهيم السندوبى إلى دار السلطنة بمكاتبات ، وأعرض لرجال الدولة والـتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها مما فى حوزه مـن الالتزام من المال المـيرى الذى يدفع إلـى الديوان فى كل سـنة ، وكان إبراهـيم المذكـور غاية فـى الدهاء والحـيل الساسـانية ، والـتصنعات الشـيطانـية ، والتخلـيطات الوهميـة ، وتقلبات الملامـتية ، فتمم مـرامه بما ابتدعه مـن المخرقة ، والإيهامات الملـفقة ، ولم يدفع ما جرت بـه العادة من العوائد ، بل اجـتلب خلاف ذلك فوائد ، ولمـا حضر حسن باشا الجـزايرلى إلى مصر علـى رأس القرن ، وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبلية، واستباح أموالهم، وقبض على نسائهم وأولادهم، وأمر بإنزالهم سوق المزاد وبيعهم ، زاعما أنهم أرقاء لبيت المـال ، وفعل ذلك فاجتمع الأشياخ وذهبوا إليـه ، فكان المخاطب له المترجم ، قائلا لـه : « أنت أتيت إلى هذه البلـدة ، وأرسلك السـلطان إلى إقـامة العدل ، ورفـع الظلم كـما تقول ، أو لـبيع

(1) ١١٩٠ هـ / ٢١ فبراير ١٧٧٦ - ٨ فبراير ١٧٧٧ م .

الأحرار وأمهات الأولاد ، وهتك الحريم » ، فقال : « هؤلاء أرقاء لبيت المال » ، فقال له : « هذا لايجوز ، ولم يقل به أحد » ، فاغتاظ غيظا شديدا ، وطلب كاتب ديوانه ، وقال له : « أكتب أسماء هؤلاء ، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره » ، فقال له السيد محمود البنوفرى : « اكتب ما تريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا » ، فأفحم وانكف عن إتمام قصده ، وأيضًا تتبع أموالهم وودائعهم ، وكان إبراهيم بيك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة ، وكذلك مراد بيك أودع عند محمد أفندى البكرى وديعته ، وعلم ذلك حسن باشا ، فأرسل عسكرا إلى السيد البكرى ، فلم تسعه المخالفة ، وسلم ما عنده ، وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة إبراهيم بيك ، فامتنع من دفعها ، قائلا : « إنَّ صاحبها لم يمت ، وقد كتبت على نفسى وثيقة ، فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها فى قيد الحياة » ، فاشتد غيظ الباشا منه وقصد البطش به ، فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق ، فكان يقول : « لم أر فى جميع الممالك التى ولجتها من اجترأ على مخالفتى مثل هذا الرجل ، فإنه أحرق قلبى » ، ولما ارتحل من مصر ، ورجع المصريون إلى دولتهم ، حصل من مراد بيك فى حق السيد البكرى ما حصل ، وغرمه مبلغا عظيما باع فيه إقطاعه فى نظير تفريطه فى وديعته ، واحتج عليه بامتناع نظيره ، وحصل له قهر تمرض بسببه ، وتسلسل به المرض حتى مات ، ويقال إن مراد بيك أرسل إليه الحكيم ودس له السم فى العلاج ، ثم مات رحمه الله ، وكانت منه هفوة ، ولابد للجواد من كبوة ، ومن لم ينظر فى العواقب ، فليس له الدهر بصاحب ، حتى قيل إنه هو الذى عرف حسن باشا عن ذلك ، لينال به زيادة فى الحظوة عنده ، ويترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه فى عقب ذلك من التوسع ، وقد غلب على ظنه بل وظن غالب الناس انقراض المصريين ، وغفلوا عن تقلبات الدهر فى كل حين .

وأما المترجم ، فإنه لما أخذ بالحزم سلم ، ورد الأمانة إلى صاحبها حين قدم ، وحسنت فيهم سيرته ، وزادت عندهم محبته ، وفى عقب ذلك نزل السيد محمد أفندى البكرى المذكور عن وظيفة نظر المشهد الحسينى للمترجم ، وأرسل إليه بصندوق دفاتر الوقف ، وكان نظر المشهد ببيتهم مدة طويلة ، ووعده المترجم بأن يبدله عنه وظيفته النظر على وقف الشافعى ، فلما حصل الفراغ ، واحتوى على الدفاتر ، نكث وطمع على الوظيفتين ، بل ومد يده إلى غيرهما ، لعدم من يعارضه ولايدافعه من الأمراء وغيرهم مثل نظر المشهد النفيسى والزينبى ، وباقى الأضرحة الكثيرة الإيراد التى تصاد بها الدنيا من كل ناد ، وتأتيها الخلائق بالقربانات وأنواع

النذورات ، وأخذ يحاسب المباشرين ، وخدَمة الأضرحة المذكورة على الإيرادات والنذورات ، ويحاققهم على الذرات ، ويسبهم ويهينهم ويضربهم بالجريد المحمص على أرجلهم ، وفعل ذلك بالسيد بدوى مباشر المشهد الحسينى ، وهو من وجهاء الناس الذين يخشى جانبهم ومشهور ومذكور فى المصر وغيره ، وكان معظم انقباض السيد البكرى ، ونزوله عن نظر المشهد ، ضيق صدره من المذكور ومناكدته له ، واستيلائه على المحل ، ومحصول الوقف ، والتقصير فى مصارفه اللازمة ، وينسب التقصير للناظر ، وكان رحمه الله عظيم الهمة يغلب عليه الحياء والمسامحة ، ويرى خلاف ذلك من سفاسف الأمور ، فتنصل من ذلك ، وترك فعله لغيره ، فلما أوقع المترجم بالسيد بدوى وباقى عظماء السدنة ما أوقع انقمع الباقون وذلوا ، وخافوه أشد الخوف ، ووشوا على بعضهم البعض ، وطفق يطالبهم بالنذور والشموع والأغنام والعجول ، وما يتحصل بصندوق الضريح من المال ، وكانوا يختصون بذلك كله ، وأقلهم فى رفاهية من العيش ، وجمع المال مع السفالة والشحاذة حتى من الفقير المعدم المفلس ، والكسرة الناشفة ، وكان إذا أراد الإيقاع بشخص أو إهانته وخشى عاقبة ذلك ، أو ما يلحقه ممن ينتصر له ، مهد له الطريق سرا قبل الإيقاع به ، فإنه لما أراد ضرب السيد بدوى طاف على الشيخ العروسى وأمثاله ، وأسرهم ما فى نفسه ، وامتدت يده أيضًا إلى شهود بيت القاضى ، فكان إذا بلغه أنَّ أحدهم كتب حجة استبدال أو إجارة مكان مدة طويلة لناظر أو مستحق ، وكان ذلك المكان يؤول بعد انقراض مستحقيه لضريح من الأضرحة التى تحت نظره ، أحضر ذلك الكاتب ووبخه ولعنه ولربما ضربه ، وأبطل تلك المكاتبة ومحاها من سجل القاضى ، أو يصالحونه على تنفيذ ذلك مع أنَّها لا تؤول إلى تلك الجهة إلا بعد سنين وأعوام متطاولة ، وقد نص علماء الشرع على أنَّ الوقف والنذر للقبور والأضرحة باطل ، فإن قيل بصحته على الفقراء ، قلنا إنَّ سدنة هذه الأضرحة ليسوا بفقراء ، بل هم الآن أغنى الناس ، والفقراء حقيقة خلافهم من أولاد الناس الذين لاكسب لهم ، والكثير من أهل العلم الخاملين ، والذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسينى ، قهر السيد بدوى المباشر المذكور ، وأخذ دار سكنه شرقى المسجد وأخرجه منها وهدمها ، وأنشأها دارا لنفسه ينزل بها أيام المولد المعتاد ، ويأتى إليها فى كل جمعة أو جمعتين ، ولما تم بناؤها ونظامها ، وقرب وقت أيام المولد انتقل إليها بخدمه وحريمه ، وتقدم إلى حكام الشرطة بأمر الناس والمناداة على أهل الأسواق والحوانيت بالسهر بالليل ، ووقود السرج والقناديل خمس عشرة ليلة المولد ، وكان فى السابق ليلة واحدة ، وأحدثوا فى تلك الليالى

سيارات وجمعيات وطبولا وزمورا ومناور ومشاعل ، وجمع خلائق من أوباش العالم الذين ينتسبون إلى الطرائق كالأحمدية ، والسعدية ، والشعيبية ، ويتجاوبون فى وسط الطبول بألفاظ مستهجنة ، ينادون بها مشايخ طرقهم بكلمات وعبارات تشمئز منها الطباع ، وأمرهم بأن يمروا من تحت داره ، ودعا أمراء البلدة فى ظرف تلك الأيام متفرقين ، ودعا عابدين باشا يوم المولد ، ولما سكن بتلك الدار وهى قبالة الميضأة والمراحيض ، فكان يتضرر من الرائحة ، فقصد إبطالها من تلك الجهة ، فاشترى دارا قبلى المسجد ، وهى بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها وبين المسجد ، وأدخل منها جانبا فى المسجد ، وزاد فيه مقدار باكية ، وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لتمتار عن البناء القديم ، وجعل به محرابا ومن خلفه خلوة يسلك إليها من باب بصدر الليوان المذكور إلى فسحة لطيفة أمام الخلوة ، وبالخلوة شباك مطل على الليوان الصغير الذى بقبة الضريح ، وأنشأ فيما بقى من الدار ميضأة ومراحيض ، وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل ، وأبطل الميضأة القديمة لانحراف مزاجه وتأذيه من رائحتها ، وتحول عبور الناس من داخل وخارج إلى هذه الجديدة ، وأتت عليها عدة أيام ، ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد ، وما انضاف إلى ذلك أيضًا من البلل والتقذير من أرجل الأوباش لقربها من المسجد ، فلغط الناس ، ومن يحضر فى أوقات الصلاة من أتراك خان الخليلى والتجار ، وشنعوا القالة ، وقاموا قومة واحدة ، وأغلقوا الباب ، وأبطلوا تلك الميضأة ، ومنعوا من دخولها ، وساعدهم المتصوفون من أجناسهم ، فانكسف بال المترجم لذلك، ولم يمكنه تنفيذ فعله، وأعاد الميضأة القديمة كما كانت ، وجعل المستجدة مربطا للحمير يستغل أجرته بعد أن أزال تلك الميضأة ، ومحا أثر ذلك ، وكان بناء هذه الزيادة سنة ست بعد المائتين [1] ، ثم زاد فى منزل سكنهم زيادة من ناحية البركة المعروفة ببركة الفيل خلف البستان ، أخذ فى تلك الزيادة مقدارا كبيرا من أرض البركة ، وأنشأه مجلسا مربعا متسعا مطلا على البركة من جهتيه ، وبوسطه عامود من الرخام ، وبلط دور قاعته بالرخام ، وجعل به مخدعا ، وخارجه فسحة كبيرة ، وشبابيكها مطلة على البركة ، وصارت القاعة القديمة المعروفة بالغزال الملتفت بابها فى ضمن الفسحة ، وبها باب القيطون ، وسمى هذه المنشية الأسعدية ، وبتلك الفسحة باب يدخل منه إلى منافع ومرافق ، ثم عن له التغيير والتبديل لأوضاع البيت من ناحية أخرى ، فهدم الساتر على القاعة الكبيرة

(1) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩١ - ١٨ أغسطس ١٧٩٢ م .

وفسحتها ، وهى التى يسمونها بأم الأفراح ، وهى من إنشاء الشيخ أبى التخصيص ، وهى أعظم المجالس التى بدارهم ، مزخرفة بالنقوش الذهب ، والقيشانى الصينى بجميع حيطانها ، والرخام الملوّن ، وبها الفسقية والسلسبيل والقمريات الملوّنة ، فكشف حائطها ، وأدخل فسحتها فى رحبة الحوش ، وهدم القاعة الأخرى التى كان يصعد إليها بسلم من الفسحة الأخرى ، وأبطل الحواصل التى أسفلها ، وساواها بالأرض ، وعمل بها فسقية بالرخام ومرافقها من داخلها ، وبها باب يتوصل منه إلى الحريم ، وسماها الأنوارية ، نسبة لكنيته ، وأمامها فسحة عظيمة ديوان بدكك وكراسى بجانب البستان ، وبها الطرقة والدهليز الممتد بوسط البستان الموصل إلى القاعة المسماة بالغزال والأسعدية ، وهدم المقعد القديم الذى به العامود وقناطره ، وما كان بظاهر الحاصل المسمى بحاصل السجادة من الحواصل السفلية ، وجعله مسجدا يصلى فيه الجمعة، ونصب فيه منبرا للخطبة ، وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره ، وتعاظمه عن السعى الكثير والاختلاط بالعامة ، وأخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاويشية وسع بها البستان ، وغرس بها الأشجار والرياحين والثمار ، وأفنى غالب عمره فى تحصيل الدنيا ، وتنظيم المعاش والرفاهية ، واقتناء كل مرغوب للنفس ، وشراء الجوارى والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان ، والتأنق فى المآكل والمشارب والملابس ، واستخراج الأدهان والعطريات والمركبات المفرحة والمنعشة للقوة ، وتعاظم فى نفسه ، وتعالى فى نفسه ، وتعالى على أبناء جنسه ، حتى أنّه ترفع على لبس التاج ، وحضور المحيا بالأزهر ليلة المعراج ، وكذا الحضور فى مجلس وردهم الذى هو محل عزهم وفخرهم ، وصار يلبس قاووقا بعمامة خضراء ، تشبها بأكابر الأمراء، وبعدا عن التشبه بالمتعممين والفقهاء والمقرئين ، ولما طالت أيامه وماتت أقرانه ، والذين كان يستحى منهم ويهابهم ، وتقلبت عليه الدول ، واندرجت أكابر الأمراء ، وتأمر أتباعهم ومماليكهم الذين كانوا يقومون على أقدامهم بين يدى مخاديمهم وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم ، لا جرم كانت هيبته فى قلوبهم أعظم من أسلافهم ، واستصغار هولهم كذلك ، فكان يصدعهم بالكلام وينفذ أمره فيهم ، ويذكر الأمير الكبير بقوله : « ولدنا الأمير فلان » ، وحوائجه عندهم مقضية، وكلامه لديهم مسموع ، وشفاعته مقبولة ، وأوامره نافذة فيهم ، وفى حواشيهم وحريماتهم ، واتفق أن بعض أعاظم المباشرين من الأقباط توقف معه فى أمر ، فأحضره ولعنه وسبه وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد ، ولم يراع حرمة أميره ، وهو إذ ذاك أمير البلدة ، ولما شكا إلى مخدومه ما فعل به ، قال له : « وما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا » ، فرحم الله عظامهم .

واتفق أيضًا أنَّ جماعة من أولاد البلد ووجهائها ، اجتمعوا ليلة بمنزل بعض أصحابهم وتباسطوا ، فأخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض أصحاب المظاهر ، فوشى للمترجم مجلسهم ، وأنهم أدرجوه فى سخريتهم ، فتسماهم وأحضرهم واحدا بعد واحد ، وعزرهم بالضرب والإهانة ، فكان كل قليل يقع فى بيته الضرب والإهانة لأفراد من الناس ، وكذلك فلاحو الحصص التى حازها والتزم بها ، فإنَّه زاد فى خراجهم عن شركائه ، ويفرض عليهم زيادات ، ويحبسهم عليها شهورا ويضربهم بالكرابيج ، وبالجملة فقد قلب الموضوع ، وغير الرسم المطبوع ، بعد أن كان منزلهم محل سلوك ورشاد ، وولاية واعتقاد ، فصار كبيت حاكم الشرطة يخافه من غلط أدنى غلطة ، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس ، وجلساؤه ومرافقوه لايعارضوه فى شىء بل يوافقوه ، ولايتكلمون معه إلا بميزان وملاحظة الأركان ، ويتأدّبون معه فى رد الجواب ، وحذف كاف الخطاب ، ونقل الضمائر عن وضعها فى غالب الألفاظ ، بل كلها حتى فى الآثار المروية والأحاديث النبوية ، وغير ذلك من المبالغات ، وتحسين العبارات ، والوصف بالمناقب الجليلة ، والأوصاف الجميلة ، حتى أنَّ السيد حسين المنزلاوى الخطيب ، كان ينشىء خطبا يخطب بها يوم الجمعة التى يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسينى ، وبزاويتهم أيام المولد ، ويدرج فيها الإطراء العظيم في المترجم ، والتوسل به فى كشف المهمات ، وتفريج الكروب ، وغفران الذنوب ، حتى أنى سمعت قائلا يقول بعد الصلاة : « لم يبق على الخطيب إلا أن يقول اركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات » ، ولما قدمت الفرنساوية إلى الديار المصرية فى أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف [1] ، لم يتعرضوا له فى شىء ، وراعوا جانبه وأفرجوا عن تعلقاته ، وقبلوا شفاعاته ، وتردد إليه كبيرهم وأعاظمهم ، وعمل لهم ولائم ، وكنت أصاحبه فى الذهاب إلى مساكنهم ، والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم إلى أن حضر ركب العثمانيين فى سنة خمسة عشر [2] ، وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من أرض مصر ورجوعهم إلى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية .

ومنها : حسابات تدفع إليهم ، وأخرى تخصم عليهم ، وظن المترجم وخلافه إتمام الأمر والارتحال لا محالة ، فعند ذلك لحقه الطمع ، فذكر مصلحة دفعها لكاتب جيشهم فى نظير الإفراج عن تعلقاته ، وأرسل يطلبها من بوسليك مدبر الجمهور ، وكذلك ما قبضه ترجمانه ، فقال : « هذه عوائد لابد منها ، ودخلت فى حساب

(١) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م . (٢) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

الجمهور » ، وتغير خاطرهم منه ، وكانت منه هفوة ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة ، ولما انتقض الصلح ، وحصلت المفاقمة ، ووقعت المحاربة في داخل المدينة ، وتترست العساكر الإسلامية وأهل البلد في النواحي والجهات ، وانقطع الجالب عن أهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما ، التزم أغنياء الناس وأصحاب المظاهر الإطعام والإنفاق على المحاربين والمقاتلين في جهتهم ونواحيهم ، والتزم المترجم كغيره الإنفاق على من حوله ، فلما انقضت أيام المحاربة ، وانتصر الفرنساوية ، ورجع الوزير ومن معه إلى جهة الشام منهزمين ، فعند ذلك انتقم الفرنساوية من المبارزين لهم بأخذ المال بدلا عن الأرواح ، وقبضوا على المترجم وحبسوه وأهانوه أياما ، وفرضوا عليه قدرا عظيما من المال قام بدفعه كما ذكرنا ذلك مفصلا في محله ، وقيل إنَّ الذى زاد الفرنساوية إغراء به مراد بيك حين اصطلح معهم وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة ، وسببه أنه لما دهمت الفرنساوية وطلعوا الإسكندرية ، ووصل الخبر إلى مصر اجتمع الأمراء بالمساطب ، وطلبوا المشايخ ليشاوروا في هذا الحادث ، فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ ، وقال : « كل هذا سوء فعالكم وظلمكم ، وآخر أمرنا معكم ملكتمونا للإفرنج » ، وشافه مراد بيك ، « وخصوصا بأفعالك وتعديك أنت وأمرائك على متاجرهم ، وأخذ بضائعهم وإهانتهم » ، فحقدها عليه ، وكتمها في نفسه حتى اصطلح مع الفرنساوية ، وألقى إليهم ما ألقاه ففعلوا به ما ذكر ، وذلك في ثاني يوم الضيافة ، فلما رجع العثمانية في السنة الثانية إلى مصر بمعونة الإنكليز ، وصاروا بالقرب من المدينة ، حبسوا المترجم مع مَن حبس بالقلعة من أرباب المظاهر ، خوفا من إحداثهم فتنة بالبلدة ، ومات ولده الذى كان سماه محمد نور الله ، وهو معوق وممنوع ، فأذنوا له في حضوره جنازة ولده ، فنزل وصحبته شخص حرس منهم ، فلازمه حتى واراه ، وعاد به ذلك الحرسى إلى القلعة ، وكان هذا الولد مراهقا له من العمر اثنتا عشرة سنة ، كان في أمله أنْ يكون هو الخليفة في بيتهم من بعده ، ويأبى الله إلا ما يريد ، ولما انفصل الأمر وارتحل الفرنساوية من أرض مصر ، ودخل إليها يوسف باشا الوزير ومن معه ، تقدم المترجم يشكو إليه حاله وما أصابه ، وادّعى الفقر والإملاق ، مع أنَّ الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئًا من تعلقاته وإيراده ، وجعل شكواه وما حصل له سلما للإفراج عن جميع تعلقاته ، وإيراده من غير حلوان كغيره من الناس ، وزاد على ذلك أشياء ومطالب ومسامحات ، ودعا الوزير إلى داره وأفراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الأمور ، وعاد إلى حالته في التعاظم والكبرياء ، وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر ، وكان سموحا ، وكذلك شريف أفندى الدفتردار فرمح في غفلتهما واستكثر من التحصيل والإيراد إلى

أن تقلبت الأحوال ، وعادت للمصريين فى سنة ثمان عشرة[1] ، ثم خروجهم ، وما وقع من الحوادث التى تقدم ذكرها ، واستقر محمد على باشا وثبتت قدمه بمعونة العامة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر ، وشرع فى تمهيد مقاصده ، فكان السيد عمر يمانعه ، فدبر على إخراجه من مصر ، وجمع المشايخ ، وأحضر المترجم وخلع عليه وقلده النقابة ، وأخرج السيد عمر من مصر منفيا إلى دمياط ، وذلك فى سنة أربع وعشرين كما تقدم [2] ، ووافق فعله ذلك غرض المترجم ، بل ربما كان بمعونته لحقده الباطنى على السيد عمر وتشوفه إلى النقابة ، وادعائه أنَّها كانت ببيتهم لكون الشيخ أبى هادى تولاها أياما ، ثم تولاها بعده أبو الإمداد ، ثم نزل عنها لمحمد أفندى البكرى الكبير، فلم يزل فى نفس المترجم التطلع لنقابة الأشراف ، ويصرح بقوله : « إنَّها من وظائفنا القديمة » ، وأحضر بها مرسوما من دار السلطنة وأخفاه ، ولم يظهره مدة حياة محمد أفندى البكرى الكبير ، فلما مات وتقلدها ولده محمد أفندى ادعاها ، وأظهر المرسوم ، وشاع خبر ذلك ، فاجتمع الجم الغفير من الأشراف بالمشهد الحسينى ممانعين ، وقائلين : « لانرضاه نقيبا ولا حاكما علينا » ، فلم يتم له مراده ، فلما توفى محمد أفندى الصغير ، ظنّ أنه لم يبق له فيها منازع ، فلا يشعر إلا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بيك وإبراهيم بيك لصحبته معهما ، ومرافقته لهما فى الغربة حين كان المصريون بالصعيد ، فسكت على ضغن وغيظ يخفيه تارة ويظهره أخرى ، وخصوصا وهو يرى أنَّ السيد عمر فى ذلك دون ذلك بكثير ، فلما خرج الفرنساوية ، ودخل الوزير إلى مصر وصحبته السيد عمر متقلدا للنقابة كما كان ، وانفصل عنها السيد خليل البكرى ، وارتفع شأن السيد عمر وزاد أمره بمباشرة الوقائع وولاية محمد على باشا ، وصار بيده الحل والعقد ، والأمر والنهى ، والمرجع فى الأمور الكلية والجزئية ، والمترجم يحقد عليه فى الباطن ويظهر له خلافه ، وهو الآخر كذلك ، كقول الشاعر :

أصَادِقُه كرْهًا ويظهِـرُ أنّـهُ ... صديقى كرهًا والعَـدَاوةُ تشْتَـدُّ
ولست بمعتـدٌّ له بصَـداقةٍ ... كما أنَّه منّـى بهَـا ليس يعتَـدُّ
ولكننى أخشَاهُ وهُـوَ يخافُنى ... فيخفَى ويبدُو بيننا البغضُ والودُّ

فلما أخرج الباشا السيد عمر ، وتقلد المترجم النقابة ، وبلغ مأموله عند ذلك

(١) ١٢١٨ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٣ - ١٢ أبريل ١٨٠٤ م .
(٢) ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ - ٥ فبراير ١٨١٠ م .

أظهر الكامن فى نفسه ، وصرح بالمكروه فى حق السيد عمر ، ومن ينتمى إليه ، أو يواليه ، وسطر فيه عرضا محضرا إلى الدولة، نسب إليه فيه أنواعا من الموبقات التى

منها : أنه أدخل جماعة من الأقباط فى دفتر الأشراف ، وقطع أناسا من الشرفاء المستحقين ، وصرف راتبهم للأقباط المدخلين .

ومنها : أنه تسبب فى خراب الإقليم ، وإثارة الفتن ، وموالاة البغاة المصريين وتطميعهم فى المملكة حتى أنه وعدهم بالهجوم على البلدة يوم قطع الخليج فى غفلة الباشا ، والناس والعساكر ، وأنَّه هو الذى أغرى المصريين على قتل على باشا برغل الطرابلسى حين قدم واليا على مصر ، وهو الذى كاتب الإنكليز وطمَّعهم فى البلاد مع الألفى حين حضروا إلى سكندرية وملكوها ، ونصر الله عليهم العساكر الإسلامية ، وغير ذلك من عبارات عكس القضية ، وتنميق الأغراض النفسانية ، وكتب الأشياخ عليه خطوطهم وطبعوا تحتها ختومهم ما عدا الطحطاوى الحنفى ، فإنه تنحى عن الشرور ، وامتنع من شهادة الزور ، فأوسعوه سخطا ومقتا ، وعزلوه من الإفتاء ، وقد تقدم خبر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين[1] ، وإنما المعنى بإعادة ذلك هنا تتمة لترجمة المشار إليه ، وحذرا من نقصها مع النسيان لأكثر جملها ، فلو سلمت الفكرة من النسيان لفاقت سيرته كان وكان ، وفى سنة ست وعشرين [2] أنشأ دارا عظيمة بجانب المنزل ، وصرف جملا من المال ، وأنشأ بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقى ، وأنشأ فيها بستانا غرس فيه أنواع الأشجار المثمرة، وأدخل به ما حازه من دور الأمراء المتخربة ، وكان السيد خليل البكرى اشترى دارا بدرب الفرن ، وذلك بعد خروج الفرنساوية ، وخمول أمره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة ، وأنشأ بها بستانا أنيقا وأنشأ قصرا برسم ولده مطلا على البستان ، فلما توفى السيد خليل تعدى على ولده سيدى أحمد وقهره ، وأخذ منه ذلك البستان بأبخس الأثمان ، وخلطه ببستان الدار الجديدة ، وبنى سوره وأحاطه ، وأقام حائطا بينه وبين دار المذكور وطمسها، وأعماها وسدت الحائط شبابيك ذلك القصر وأظلمته، ولم يزل كلما طال عمره زاد كبره ، وقل بره ، وتعدى شره ، ولما ضعفت قواه تقاعد عن القيام لأعاظم الناس إذا دخل عليه محتجا بالإعياء والضعف ، ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة :

.... وَلايصْلِحُ العطارُ مَا أفسَدَ الدهرُ

(١) ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ - ٥ فبراير ١٨١٠ م .
(٢) ١٢٢٦ هـ / ٢٦ يناير ١٨١١ - ١٥ يناير ١٨١٢ م .

وفى شهر شوّال [1] ، من السنة التى توفى فيهـا ، أحضر ابن أخيه سيدى أحمد الذى تـولـى المشـيخة بعـده ، وألبسـه خلعة وتـاجا ، وجعـله وكيلا عـنه فى نقـابة الأشـراف ، وأركبه فـرسا بعباءة ، وأرسله إلى الـباشا صحبة سيدى مـحمد المعروف بأبى دفية ، وأمامه جاويشية النقابة على العادة ، فلما دخلا إلى الباشا وعرفه المرسول بأن عمه أقامه وكيلا عنه ، فقال : « مبارك » ، فـأشار إليه أن يلبسه خلعة ، فقال : « إنَّ موكله ألبسه ، ولم يتقلدها بالأصالـة ، ولو كنت قلدته ، أنا كنت أخلع عليه ، وألبسه » ، فـقام ونزل إلى داره التى أسـكنه بها عمـه ، وهى الدار التى عنـد المشهد الحسينى ، وحضر إليه الناس للسلام والتهنئة .

وفى هذه السنة [2] أيضًا عنّ للمتـرجم أن يزيد فى المسجد الحسيـنى زيادة مضافة لزيادته الأولى التى كان زادها ، فـى سنة ست ومائتين وألف [3] ، فهدم الحائط التى كان بناها الجنوبـية ، وأدخل القطعة التى كان عمل بها المـيضأة ، وزاد باكية أخرى ، وصف عواميد ، وصارت مع الـقديمة ليوانا واحدا ، وشرع فى بناء دار عظـيمة لينزل فيها وقـت مجيئه هناك فـى أيام المولد وغيره ، عـوضا عن الدار التى نزل عـنها لابن أخيه ، فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضأة القديمة ، وتكون بالشارع ، وتمر من تحتها مواكب الأشاير ، ولايحتـاجون إلى تعديهم المسجد ودخولهم مـن طريق باب القبة ، وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة شـبابيك مطلة على المسجد ، لينظر منها المجالس والوقودات من يكون بالـدار من الحريم وغيرهـم ، فما هو إلاَّ وقد قرب إتمام ذلك إلاَّ وقـد زاد به الإعياء والمرض ، وانقـطع عن النزول مـن الحريم ، وتمت الزيادة ولم يبق إلاَّ إتمام الدار فيستعجل ويشـتم المشد والمهندس ، وينسب إليهم إهمال استحـثاث العمال ، ويقـول : « قد قرب المولد ولم تـكمل الدار ، فأين نجـلس أيام المولد » ، هـذا وكل يوم يزيد مـرضه ، وتورمت قـدماه وضعف عن الحـركة ، وهو يقـول ذلك ، ويؤمل الحيـاة ، فلما زاد به الحـال وتحقق الرحـيل إلى مغفـرة المولى الجليل ، أوصى لأتباعه بدراهم ، ولذى الـفقار الذى كان كتخذا الألفى ، والآن فى خوالة بسـتان الباشا الذى بشـبرا بخمسمائـة ريال ، لكون زوجته خشـداشة حريمه ، وهما من جوارى إسمـاعيل بيك الكبير ، وليكـون معينا لها ومساعدا فـى مهماتها ، ولسيـدى محمد أبى دفيـة مثلها فى نـظير خدمتـه وتقيده وملازمتـه له ، وأوصى أنْ

(1) شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٧ سبتمبر - ٢٥ أكتوبر ١٨١٣ م .
(2) ١٢٢٨ هـ / ٤ يناير - ٢٣ ديسمبر ١٨١٣ م .
(3) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩١ - ١٨ أغسطس ١٧٩٢م .

لايغسل إلاّ على سريره الهـندى الذى كان ينام عليه فى حياته ، ليكون مـخالفا للعالم حتى فـى حال الموت ، فلمـا كان يوم الأحد ثامن عـشر ربيع الأول من الـسنة [1] ، انقضى نحبه ، وتوفـى إلى رحمة الله تعالى وقت العصر ، وبات بالمنـزل ميتا ، فلما أصبح يوم الاثنين [2] ، غسل وكفن كـما أوصى على السرير ، وخرجوا بـجنازته من المنزل ، ووصلوا بها إلى الأزهر فصلى عليه بعدما أنشد المنشد مرثية من إنشاء العلامة الشيخ حسـن العطار ، وجعل براعة استهـلالها الإشارة إلى ما كان عليـه المترجم من التعاظم والتفاخر ، فقال : « سَلاَمٌ على الدنيْا فقدْ ذَهبَ الفخْرُ » .

ثم حمل إلى مشهد أسـلافه بالقرافة ، ودفن فى التربة التى أعدهـا لنفسه بجانب مقـام جـدهـم ، وتقلـد مشيخة سجـادتهم فى ذلك اليـوم السيد أحمد ابـن الشيخ يوسف ، وهـو ابن عمه وعـصبته وكـنيته أبـو الإقبال بإجـماع من الخاص والـعام ، وجلـس هو وأخوه سيـدى يحيـى لتلقـى العزاء ، وفـى الصبـاح حضر إلى الـرباط بالخرنفش ، وكان بزاوية الرباط المذكور خلوة جدهم ، أقام بها حين حضر من الغرب إلى مصر ، وعادتهم إذا تولى شخص منهم المـشيخة لابد أنْ يأتى فى الصباح ويدخل الخلوة ، فيجلس بها حصة لطيفة فيتروحن وتلبسه الولاية .

فلما كان المـترجم هدم حائط تلك الخـلوة زاعما أنه خاتمة أوليـائه ، وأنه لـم يأت من يصلح للمشيخة سواه ، وكأنه أخذ بذلك عهدا وميثاقا ، ولـم يعلم أنَّ ربه لـم يزل خلاقا ، وأن الولاية ليست بفعل العبد ، ولا بالسعى والقصد ؛ قال تعالى فى محكم آياته : ﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يجعَلُ رِسَالاته ﴾ [3] ، وقال سبحانه : ﴿ الا إنَّ أولياءَ الله لاَ خوفٌ عـلَيهم ولا هـم يحزَنُون الـذين آمَنُوا وكَانُوا يـتقُون ﴾ [4] وإن أوليـاؤه إلا المتقون نسأله الـتوفيق والهداية ، والحفظ عن أسباب الغـواية ، ولما كان ذلك وأحبوا إجراء العادة القديمة ، حضر المتولى وصحبته أشياخ الوقت ، والسيد محمد المحروقى ، وجماعة الحـزب وغيرهم من المتـفرجين ، وقد جعلـوا على محل الخلـوة ساترا بدل الحائط المهدوم ، ودخل المتولى خلفها ، وقرأ جماعة الحزب شيئًا من القرآن ، ثم قام النقيب مع الشيخ البكرى فتلقوا الشيخ ، فخرج على الحاضرين متطيلسا ، وصافحهم وركب بصحبتهم إلى الـقلعة ، فخلع عليه كتخدا بيك خلـعة سمور ، وقاموا ونزلوا إلى زاويتهـم بالقرافة ، وأمامهـم جماعة الحزب وجاويشيـة النقابة ، فجلـسوا حصة وقرءوا أحزابهم ، ثم ركب ورجع إلى المنزل ، وجـلـس مع أخيه لعمل المأتم والقراءة

---

(١) ١٨ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٢١ مارس ١٨١٣ م . (٢) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٢٢ مارس ١٨١٣ م .
(٣) سورة : الأنعام رقم (٦) ، آية رقم (١٢٤) . (٤) سورة : يونس رقم (١٠) ، آية رقم (٦٢) .

الجمعية على العادة ، وأرسل كتخدا بيك ساعيا بخبر موته إلى الباشا بالفيوم ، لأنه لما سافر إلى جهة قبلى ، ووصل إلى ناحية بنى سويف ، ركب بغلة سريعة العدو ، وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال فوصلها فى أربع ساعات ، وانقطع أكثر المتوجهين معه ، ومات منهم سبعة عشر هجينا ، ورجع الساعى بعد ثلاثة أيام بجواب الرسالة ، ومضمونها : « عدم التعرض لورثة المتوفى حتى يقدم الباشا من غيبته » ، فبقى الأمر على السكوت أربعة عشر يوما ، وحضر الباشا ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر [1] ، فبمجرد وصوله إلى الجيزة أرسل بالختم على منزلهم ، فما يشعرون إلاّ وحسين كتخدا الكتخدا بيك ، وبيت المال واصل إليهم ومعه آخرون ، فختموا على المجالس التى بالحريم ، ومجلس الجلوس الرجالى ، ختموا على خزائنه ، وقبضوا على الكاتب القبطى المسمى عبد القدوس ، والفراش وحبسوهما ، وعدى الباشا من ليلته إلى بر مصر ، وطلع إلى القلعة ، فركب إليه فى صبحها المشايخ ، وصحبتهم ابن أخى المتوفى وهو الذى تولى المشيخة فخاطبوه ، وقالوا له كلامًا معناه: « إنّ بيوت الأشياخ مكرمة ، ولم تجر العادة بالختم على أماكنهم ، وخصوصا أن هذا المتوفى كان عظيما فى بابه ، وأنتم أخبر به ، وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة » ، فقال : « نعم إنّى لا أريد إهانة بيتهم ، ولا أطمع فى شىء مما يتعلق بمشيختهم ولا وظائفهم القديمة ، ولايخفاكم أنّ المتوفى كان طماعا وجماعا للمال ، وطالت مدته وحاز التزامات وإقطاعات ، وكان لايحب قرابته ولايخصهم بشىء ، بل كتب ما حازه لزوجته وهى جارية نهاية ثمنها ألفا قرش أو أقل أو أكثر ، ولم يكتب لأولاد أخيه شيئًا ، فلا يصح أن أمة تختص بذلك كله ، والخزينة أولى به ، لاحتياجات مصاريف العساكر ومحاربة الخوارج واستخلاص الحرمين وخزينة السلطان، وأنا أرفع الختم رعاية لخواطركم » ، فدعوا له ، وقاموا إلى مجلس الكتخدا ، وخلع على الشيخ المتولى فروة سمور أخرى ، وقلد السيد محمد الدواخلى نقابة الأشراف ، وخلع عليه فروة سمور عوضا عن سيدى أحمد أبى الإقبال المتولى على خلافة السادات ، فانفصل من النقابة ، ونزلت الجاويشية ولوازم النقابة مثل باش جاويش والكاتب أمام الدواخلى وخلفه ، وقلد السيد المحروقى نظارة المشهد الحسينى عوضا عن المتوفى ، وكان فرغ بها لابن أخيه فلم ينفذ الباشا ذلك ، وفى ثانى يوم [2] ، حضر الأعوان إلى بيت السادات وفكوا الختوم ، وطلبوا سقاء الحريم ، فأخذوه معهم ، وأوجعوه بالضرب ، وأحضروا البنَّاءَ وسألوهما عن

---

(1) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٠ أبريل ١٨١٣ م . (٢) ٩ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١١ أبريل ١٨١٣ م .

محل الخبايا ، ثم رجعوا إلى المنزل ففتحوا مخبأة مسدودة بالبناء ، فوجدوا بها قوالب مساند قطيفة غير محشوّة، ووجدوا نحاسا وقطنا وأوانى صينى فتركوا ذلك ، وذهبوا وأبقوا بالدار عدة من العسكر فباتوا بها ، ثم رجعوا فى ثالث يوم [1] ، وفتحوا مخبأة أخرى فوجدوا بها أكياسا مربوطة فظنوا بداخلها المال ، ففتحوها فوجدوا بها بن قهوة وبغيرها صابون وشموع عسل ، ولم يجدوا شيئًا من المال ، فتركوا تلك الأشياء ونزلوا إلى قاعة جلوسه ، وفتحوا خزانة فوجدوا بها نقودًا فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسا فأخذوها ، ثم سعى السيد محمد المحروقى فى مصالحة الباشا حتى قرر عليهم ألف كيس وخمسين كيسا وخمسة أكياس برانى لبيت المال ، وخصموا منها الذى وجدوه بالخزانة ، وطولبوا بالباقى ، وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة وتوعدوها بالتغريق فى البحر إنْ لم تظهر المال ، وأمر الكاتب بحساب إيراده ومصرفه فى كل سنة ، وما صرفه فى الأبنية وينظر ما يتبقى بعد ذلك فى مدة سنين ماضية ، فلم يزل السيد محمد المحروقى يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور، والتزم هو بدفعه وحوّلت عليه الحوالات ، وضبط الباشا حصص الإلتزام التى كتبت باسم الزوجة ومنها قلقشندة[2] بالقليوبية وسوادة[3] ودفرينه[4] ، بالجهة القبلية وغير ذلك ، وبعد انقضاء عدة الزوجة استأذن السيد المحروقى الباشا فى عقد نكاحها على ابن أخى المتوفى الذى هو السيد أحمد أبو الإقبال الذى تولى خلافة بيتهم ، فأذن بذلك ، فحضر فى الحال ، وأجرى العقد بعد أنْ حكمت عليه بطلاق التى فى عصمته ، وهى جاريتها زوّجته بها فى حياة عمه ، ورزق منها أولادا واستقر المشار إليه فى المنزل خليفة وشيخا على سجادتهم ومحل سيادتهم ، وسكن معه أخوه سيدى يحيى زادهما الله توفيقا وخيرا واتفاقا ، وأشرق نجم المصدر على أفق السعادة إشراقا، فهو أبو الإقبال ، المتحلى بالجمال والكمال .

فى المهدِ ينطقُ عن سَعادة جَدِه ... أثرُ النجَابة واضِحُ البرهَانِ
إنَّ الهلالَ إذا رأيتَ نُمُوّه ... أيقنتَ أنْ سَيَزيدُ فى اللّمعَانِ

---

(١) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٢ أبريل ١٨١٣ م .

(٢) قلقشندة : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز طوخ ، محافظة القليوبية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

(٣) سوادة : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز المنيا ، محافظة المنيا .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ .

(٤) دفرينه : لم نعثر على تعريف بها ، ولعل المقصود بها ، قرية دفش مركز سمالوط ، محافظة المنيا .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ .

ومات ، الشيخ الناسك ، محمد بن عبد الرحمن اليوسى المغربى ، ورد إلى مصر وحج ورجع ونزل بدار الحاج مصطفى الهجين العطار ، منجمعا عن خلطة الناس ، والسعى على طريقة حميدة ومذاكرة حسنة ، ويأتى إليه الناس يزورونه ويتبركون به ويسألونه الدعاء ، ويستفهمون منه مسائل ، فيجيب كل إنسان بما يفسر منه بتواضع وانكسار ، وتزهيد فى الدنيا وتمرض سنينا ، وتوفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم[1] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بجانب الخطيب الشربينى بتربة المجاورين ، وهى القرافة الكبرى .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين وألف[2]

استهل المحرم بيوم الجمعة [3]

فيه [4] ، فى ليلة الجمعة ثامنه [5] ، وردت مكاتبات من الديار الحجازية ، وفيها الإخبار بأن الباشا قبض على الشريف غالب أمير مكة ، وقبض على أولاده الثلاثة ، وأربعة عبيد طواشية من عبيده ، وأرسلهم إلى جدة ، وأنزلهم فى مركب من مراكبه ، وهى واصلة بهم ، والذى وصل بالخبر وصل فى مركب صغيرة ، تسمى السبحان سبقتهم فى الحضور إلى السويس ،وأخبروا أيضًا فى المكاتبة ، أنه لما قبض عليهم أحضر يحيى ابن الشريف سرور وقلده الإمارة عوضا عن عمه غالب ، وقبضوا أيضًا على وزيره الذى بجدة ، وأصحبوه معهم ، وقلد مكانه فى الكمارك شخصا من الأتراك يسمى على الوجاقلى ، فلما وصل الهجان بهذه المكاتبة إلى السيد محمد المحروقى ليلا ، ركب من وقته إلى كتخدا بيك فى بيته ، وأطلعه على المكاتبات ، فلما طلع النهار نهار يوم الجمعة ، ضربوا عدة مدافع من القلعة إعلاما وسرورا بذلك .

وفيه [6] ، احتفل كتخدا بيك بعمل مهم أيضًا لزواج إسماعيل باشا ابن محمد على باشا ، ومحمد بيك الدفتردار على ابنة الباشا ، وإسماعيل باشا على ابنة عارف بيك ابن خليل باشا التى أحضرها صحبته من إسلامبول ، وقد تقدم ذكر العقد عليهما فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية[7] ، قبل توجه

---

(١) ٢٨ محرم ١٢٢٨ هـ / ٣١ يناير ١٨١٣ م . (٢) ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ - ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .
(٣) ١ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ م .
(٤) محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ - ٢٢ يناير ١٨١٤ م .
(٥) ٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١٣ م . (٦) ٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١٣ م .
(٧) ٢٧ رمضان ١٢٢٨ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨١٣ م .

الباشا إلى الحجاز ، فألزم كتخدا بيك السيد محمد المحروقى بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم ، واتفقوا على أن يكون نصبة الفرح ببركة الأزبكية تجاه بيت حريم الباشا ، وطاهر باشا ، وتعمل الولائم واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا ، والمطبخ بخرائب بيت الصابونجى ، وأرسلوا أوراق التنابيه للمدعوّين على طبقات الناس بالترتيب ، ونصبوا بوسط البركة عدة صوارى لأجل الوقدات والقناديل التى تعمل عليها التصاوير من القناديل ، فترى من البعد صورة مركب ، أو سبعين متقابلين، أو شجرة أو محمل على جمل، أو كتابة مثل: ما شاء الله ، ونحو ذلك ، وصفوا بوسط البركة عدة مدافع صفين متقابلين، ونصب بهلوان الحبل حبله أوله من تجاه بيت الباشا وآخره برأس المنارة التى جهة حارة الفوالة[1] ، خلف رصيف الخشاب حيث الأبنية المتخربة فى الحوادث الماضية بالقرب من القشلة [2] ، وعمارات محمد باشا خسرو التى لم تكمل ، وبهلوان آخر شامى بالناحية الأخرى ، وانتقل السيد محمد المحروقى من داره إلى بيت الشرايبى تجاه جامع أزبك ، لأجل مباشرة المهمات.

فلما أصبح يوم السبت [3] ، وهو يوم الابتداء ، ودعوة الأشياخ ، رتبوهم فرقتين ، فرقة تأتى ضحوة النهار ، وأخرى بعد العصر ، واجتمع بالأزبكية أصناف أرباب الملاعيب ، والمغزلكين ، والحنباذية ، والحبيظية ، والحواة ، والقرداتية ، والرقاصين ، والبرامكة ، وغير ذلك أصناف وأشكال ، فاحتفلت ، وأقبل من كل ناحية أصناف الناس رجال ونساء ، وأقارب وأباعد ، وأكابر وأصاغر ، وعساكر وفلاحون، ويهود ونصارى وأروام ؛ لأجل التفرج حتى ازدحمت الطرق الموصلة إلى الأزبكية من جميع النواحى، بأصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددين ، واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور إلى ليلة الجمعة التالية[4] الأخرى ليلا ونهاراً ، والحرائق والنفوط ، والسواريخ فى الليل ، ولعبت أرباب الملاعيب ، والبهلوانات على الحبال ، وكذلك احتفل النصارى ، وعملوا وقدات وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم ، وصادف ذلك عيد الميلاد ، وعملوا لهم مراجيح وملاعيب .

وفى أثناء ذلك ، وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات

---

(١) حارة الفوالة : حارة بشارع البكرى الذى يبتدئ بآخر شارع العتبة الخضراء ، وآخر شارع مشتهر . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٨٧ .

(٢) القشلة : سكنات الجند .

(٣) ٩ محرم ١٢٢٩ هـ / ١ يناير ١٨١٤ م .

(٤) ١٥ محرم ١٢٢٩ هـ / ٧ يناير ١٨١٤ م .

مشكلة ، وممثلة بحرفتهم وصنائعهم ، ليمشوا بهم فى زفة العروس ، فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنميق وتزيين شكله ، وتباهوا أو تناظروا وتفاخروا على بعضهم البعض ، فكان كل من سولت له نفسه وحدثه الشيطان بأحداث شيء فعله ، وذهب إلى المتعين لذلك فيعطيهم ورقة ؛ لأن ذلك لم يكن لأناس مخصوصة أو عدد مقدر ، بل بتحكماتهم وإلزام بعضهم البعض ، فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم وينفقها على العربة ، وما يلزمها من أخشاب وحبال وحمير أو خيل أو رجال يسحبونها ، وما يكتريه أو يستعيره لزينتها من المزركشات والمقصبات والطلعيات ، وأدوات الصنعة التى تتميز بها عن غيرها ، فتصير فى الشكل كأنها حانوت ، والبائع جالس فيها كالحلوانى ، وأمامه الأوانى فيها أنواع الحلوى والسكرى وحوله أوانى الملبس وأقماع السكر معلقة حوله ، والشربات والشربتلى والعطار ، والحريرى والعقاد البلدى والرومى ، والزيات والحداد والنجار ، والخياط والقزاز ، والحباك ، والنشار وهو ينشر الخشب بمنشاره المعلق ، والطحان والفران ومعه الفرن وهو يخبز فيه ، والفطاطرى والجزار وحوله لحم الغنم ، ومثله جزار الجاموس والكبابجى ، والنيفاوى ، وقلاء الجبن والسمك ، والجيارين والجباسين بالحجر ، والثور يدور به وهو ماش بالعربة ، والبناء والمبلط ، والمبيض للنحاس وللبناء والسمكرى ، تتمته إحدى وتسعون عربة ، وفيهم حتى المراكبى فى قنجة كبيرة كاملة العدة ، والقلوع تمشى على الأرض على العجل ، خلاف أربع عربات المختصة بالعروس.

فلما كان يوم الأربعاء (1) ، سحبوا تلك العربات وانجروا بمواكبهم وطبولهم وزمورهم ، وأمام كل عربة أهل حرفتها وصناعها مشاة خلف الطبول والزمور وهم مزينون بالملابس ، وملابسهم الفاخرة وأكثرها مستعارة ، فكانوا ينزلون إلى البركة من ناحية باب الهواء ، ويمرون من تحت بيت الباشا إلى ناحية رصيف الخشاب ، ويأتى كبير الحرفة بورقته إلى المتعين لملاقاتهم ، فينعم عليه بخلعة ودراهم ، فيعطى البعض شال كشميرى وألفين فضة ، والبعض طاقة تفصيلة قطنى أو أربعة أذرع جوخ على قدر مقام الصنعة وأهلها ، واستمر مرورهم من أول النهار إلى بعد الغروب ، واصطفوا بأسرهم عند رصيف الخشاب .

ولما أصبح يوم الخميس (2) ، رتبوا مرور الزفة وعين لترتيبها أشخاصا ومنهم السيد محمد ضرب الشمس ، وهو كبير المنظمين ، وكان خروجها من بيت الحريم ،

(1) ١٣ محرم ١٢٢٩ هـ / ٥ يناير ١٨١٤ م .   (2) ١٤ محرم ١٢٢٩ هـ / ٦ يناير ١٨١٤ م .

وهو الذى كان سكن الشيخ خليل البكرى ، وذهبوا وانجروا على طريق الموسكى على تحت الربع إلى باب زويلة ، إلى الغورية ، إلى بين القصرين ، إلى سوق مرجوش ، إلى باب الحديد ، إلى بولاق ، إلى سراية إسماعيل باشا التى جددوها قبلى بولاق قريبا من الشون ، فلم تصل إلى منزلها إلا عند الغروب ، وكان فى أول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ، ثم والى الشرطة ، ثم المحتسب ، ثم موكب أغات الينكجرية ، وبعدهم المساخر والنقاقير ، وعدتها عشرة نقاقير ، وعلى كل نقارة تفصيلة ، ثم العربات المذكورة ، وفيها أيضًا تجار الغورية ، وطائفة تجارخان الخليلى فى موكب حفل ، وتجار الحمزاوى من نصارى الشوام وغيرهم ، وكان يوما مشهودا اجتمعت فيه الخلائق للفرجة فى طرقها حتى طريق بولاق ، واكترى الناس الأماكن المطلة على الشارع والحوانيت بأغلى الأثمان ، ولما وصلت العروس إلى قصرها ضربوا عدة مدافع من بولاق والأزبكية والجيزة ، وكان العزم على عمل المهم الثانى ، والابتداء فيه من يوم السبت [1] الذى بعد الجمعة ، فرسموا بتأخيره إلى الجمعة الأخرى [2] ، لتأخر أم العريس ، ومن يصحبها من النساء ، وأقمن ببولاق تلك الجمعة ، واستمرت نصبة الصوارى والحبال والآلات على حالها بالأزبكية .

وفى يوم الأحد سابع عشره [3] ، وصل السيد غالب شريف مكة إلى مصر القديمة ، وقد أتت به السفينة من القلزم إلى مرساة ثغر القصير ، فتلقاه إبراهيم باشا ، وحضر صحبته إلى قنا وقوص [4] ، ثم ركب النيل بمن معه من أولاده وعبيده والعسكر الواصلون صحبته ، وحضر إلى مصر القديمة ، فلما وصل الخبر إلى كتخدا بيك ضربوا عدة مدافع من القلعة إعلاما بوصوله وإكراما على حد قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إنكَ أنتَ العَزِيزُ الكَرِيم ﴾[5] ، وركب صالح بيك السلحدار وأحمد أغا أخو كتخدا بيك فى طائفة لملاقاته ، وإحضاره وهيأوا له مكانا بمنزل أحمد أغا أخى كتخدا بيك ، بعطفة ابن عبدالله بيك بخط السروجية ، ليتنزل فيه ، وانتظره الكتخدا هناك ، وصحبته بونابارته الخازندار ، ومحمود بيك ، ومحو بيك ، وإبراهيم أغا أغات الباب ، والسيد محمد المحروقى ، فلما وصل إلى الدار نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه عند سلم الركوبة ، وقبلوا يده ، ولزم الكتخدا بيده تحت إبطه حتى صعد إلى محل الجلوس الذى أعدوه له ، واستمر الكتخدا قائما على قدميه حتى أذن له فى

---

(١) ١٦ محرم ١٢٢٩ هـ / ٨ يناير ١٨١٤ م . (٢) ٢٢ محرم ١٢٢٩ هـ / ١٤ يناير ١٨١٤ م .

(٣) ١٧ محرم ١٢٢٩ هـ / ٩ يناير ١٨١٤ م .

(٤) قوص : مدينة قديمة ، اسمها المصرى (Hat Hor) ، واسمها المدنى (Qst, Qs) ، واسمها القبطى (qous) ، وهى قاعدة مركز قوص ، محافظة قنا .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٨٧ - ١٨٩ .

(٥) سورة : الدخان ، رقم (٤٤) ، آية رقم (٤٩) .

الجلوس هو وباقى الجماعة ، وعرفه الكتخدا عن السيد محمد المحروقى فتقدم وقبل يده ، فقام له وسلم عليه ، وجلس بحذاء الكتخدا ، ليترجم عنه فى الكلام ، ويؤانسوه ويطمنوا خاطره ، ثم إن الكتخدا اعتذر له باشتغاله بأحوال الدولة ، واستأذنه فى الذهاب إلى ديوانه ، وعرفه أن أخاه ينوب عنه فى الخدمة ولوازمه فقبل عذره ، وقام منصرفا هو وباقى الجماعة ، ما عدا السيد محمد المحروقى ، ومحمود بيك ، فإن الكتخدا أمرهما بالتخلف عنده ساعة ، فجلسا معه وتغديا صحبته ومعه أولاده الثلاثة وعبيده ، ثم انصرفا إلى منزلهما ، ولم يأذن الكتخدا لأحد من الأشياخ أو غيرهم من التجار بالسلام عليه والاجتماع به ، والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه ، أنه لما ذهب الباشا إلى مكة واستمر هو وابنه طوسون باشا مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة ، وجدد معه العهود والأيمان فى جوف الكعبة بأن لا يخون أحد صاحبه ، وكان الباشا يذهب إليه فى قلة ، وهو الآخر يأتى إليه وإلى ابنه كذلك ، واستمروا على ذلك خمسة عشر يوما من ذى القعدة ، دعاه طوسون باشا إليه ، فأتى إليه كعادته فى قلة ، فوجد بالدار عساكر كثيرة ، فعندما استقر به المجلس وصل عابدين بيك فى عدة وافرة ، وطلع إلى المجلس فدنا منه وأخذ الجنبية من حزامه ، وقال له : « أنت مطلوب للدولة » ، فقال : « سمعا وطاعة ولكن حتى أقضى أشغالى فى ظرف ثلاثة أيام وأتوجه » ، فقال : « لاسبيل إلى ذلك والسفينة حاضرة فى انتظارك » ، فحصل فى جماعة الشريف وعبيده رجة ، وصعدوا على أبراج سرايته وأرادوا الحرب ، فأرسل إليهم الباشا ، يقول لهم : « إن وقع حرب أحرقت البلدة ، وقتلت أستاذكم ، وأرسل لهم أيضًا الشريف يكفهم عن ذلك » ، وكان بها أولاده الثلاثة فحضر إليهم الشيخ أحمد تركى ، وهو من خواص الشريف وخدمهم ، وقال لهم : « لم يكن هناك بأس ، وإنما والدكم مطلوب فى مشاورة مع الدولة ، ويعود بالسلامة ، وحضرة الباشا يريد أن يقلد كبيركم نيابة عن أبيه إلى حين رجوعه » ، ولم يزل حتى انخدع كبيرهم لكلامه ، وقاموا معه فذهب بهم إلى محل خلاف الذى به والدهم محتفظا بهم ، وفى الوقت أحضر الباشا الشريف يحيى ابن سرور وهو ابن أخى الشريف غالب ، وخلع عليه وقلده إمارة مكة ، ونودى فى البلدة باسمه وعزل الشريف غالب حسب الأوامر السلطانية ، واستمر الشريف غالب أربعة أيام عند طوسون باشا ، ثم أركبوه وأصحبوا معه عدة من العسكر ، وذهبوا به وبأولاده إلى بندر جدة ، وأنزلوهم السفينة ، وساروا بها من ناحية القصير من صعيد مصر ، وحضر كما ذكر .

وفى يوم الأربعاء [1] ، وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده مثالان ، فعمل كتخدا بيك ديوانا فى صبيحة يوم الخميس حادى عشرينه [2] ، وقرئ ذلك ، وهما مثالان يتضمن أحدهما : التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر على السنة الجديدة ، والثانى : الإخبار والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد الصرب ، ولما فرغوا من قراءتهما ضربوا عدة مدافع من القلعة ، وفى عصرية ذلك اليوم ، حضر حريم الباشا من بولاق إلى الأزبكية فى عربات ، فضربوا لحضورهنّ مدافع من الأزبكية ، وشرعوا فى عمل المهم الثانى لابنة الباشا على الدفتردار ، وافتتحوا ذلك من ليلة السبت [3] ، على النسق المتقدم ، وعملوا العزائم والولائم واحتفلوا أزيد من المهم الأول ، وأحضروا الشريف غالب وأعدوا له مكانا ببيت الشرايبى على حدته هو وأولاده ، ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهاراً ، والشنك والحراقات ليلا ، وعلى الشريف وأولاده الحرس ، ولايجتمع بهم أحد على الوجه والصورة التى كانوا عليها بالمنزل الذى أنزلوا فيه ، فلما كان فى يوم الأربعاء [4] ، اجتمع أرباب العربات وأصحابها ، وقد زادوا عن الأولى خمسة عشر عربة ، وفيهم معمل الزجاج ، وباتوا بنواحى البركة على النسق المتقدم ، ونصبوا لهم خياما تقيهم من البرد والمطر ، لأن الوقت شات .

ولما أصبح يوم الخميس [5] ، انجرت العربات وموكب الزفة من ناحية باب الهواء ، على قنطرة الموسكى ، على باب الخرق ، على درب الجماميز ، وعطفوا من الصليبة ، على المظفر ، على السروجية ، على قصبة رضوان بيك ، على باب زويلة ، على شارع الغورية ، على الجمالية ، على سوق مرجوش ، على بين السورين ، على الأزبكية ، على باب الهواء ، إلى المنزل الذى أعدوه لها ، وهو بيت ابنة إسماعيل بيك ، وهى بنت إبراهيم بيك ، وكانت متزوّجة بإسماعيل بيك ، ولما مات تزوّج بها مملوكه محمد أغا ويعرف بالألفى ، وقد تولى أغاوية مستحفظان فى هذه الدولة ، واعتنى بهذه الدار وعمر بها مكانين بداخل الحريم ، وزخرفها ونقشها نقشا بديعا صناعة صناع العجم ، واستمروا فى نقشها سنتين ، ولما ماتت المذكورة فى أوائل هذه السنة [6] ، واستمر هو ساكنا فيها ، وأنزل الباشا عنده القاضى المنفصل عن قضاء مصر المعروف ببهجة أفندى ، وقاضى مكة صادق أفندى ، حين حضر من إسلامبول ، ثم أمره الباشا بالخروج منها وإخلائها ، لأجل أن يسكن بها ابنته هذه

---

(1) ٢٠ محرم ١٢٢٩ هـ / ١٢ يناير ١٨١٤ م .
(2) ٢١ محرم ١٢٢٩ هـ / ١٣ يناير ١٨١٤ م .
(3) ٢٣ محرم ١٢٢٩ هـ / ١٥ يناير ١٨١٤ م .
(4) ٢٧ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢١ يناير ١٨١٤ م .
(5) ٢٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٢ يناير ١٨١٤ م .
(6) أول ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ م .

المزفوفة ، فخرج منها فى أوائل شوال [1] ، وكذلك سافر القاضيان إلى الحجاز بصحبة الباشا ، وعند ذلك بيضوها وزادوا فى زخرفتها وفرشوها بأنواع الفرش الفاخرة ، ونقلوا إليها جهاز العروس والصناديق ، وما قدم إليها من الهدايا والأمتعة والجواهر ، والتحف من الأعيان وحريماتهم حتى من نساء الأمراء المصريين المنكوبين ، وقد تكلفوا فوق طاقتهم ، وباعوا واستدانوا وغرموا فى النقوط والتقادم والهدايا فى هذين المهمين ، ما أصبحوا به مجردين ومديونين ، وكان إذا قدّمت إحدى المشهورات منهنّ هديتها ، عرضوها على أم العروسين التى هى زوجة الباشا ، فقلبت ما فيها من المصاغ المجوهر والمقصبات وغيرها ، فإن أعجبتها تركتها وإلا أمرت بردها قائلة هذا مقام فلانة التى كانت بنت أمير مصر أو زوجته ، فتتكلف المسكينة للزيادة ونحو ذلك مع ما يلحقها من كسر الخاطر وانكساف البال ، ثم أدخلوا العروس إلى تلك الدار عندما وصلت بالزفة .

ومما حصل : أنَّه قبل مرور موكب الزفة بيومين ، طاف أصحاب الشرطة ومعهم رجال وبأيديهم مقياس ، فكلما مروا بناحية أو طريق يضيق عن القياس هدموا عارضهم من مساطب الدكاكين أو غيرها من الجهتين ، لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها ، فأتلفوا كثيرا من الأبنية ونودى فى يوم الأربعاء [2] بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس .

ومما حصل : من الحوادث السماوية أن فى يوم الخميس المذكور [3] عندما توسطت الزفة فى مرورها بوسط المدينة ، أطبق الجوّ بالغيام ، وأمطرت السماء مطرا غزيرا حتى تبحرت الطرق ، وتوحلت الأرض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المتجمعين للفرجة ، وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب ، وأما المتعينون للمشى فى الموكب ولابد الذين لامفر لهم من ذلك ولامهرب ، فاختل نظامهم ، وابتلت ثيابهم ، وتكدرت طباعهم ، وانتقضت أوضاعهم ، وزادت وساوسهم ، وتلفت ملابسهم ، وهطل الغيث على الإبريسم والحرير والشالات الكرخانة والسليمى والكشمير ، وما زينت به العربات من أنواع المزركش والمقصبات ، ونفذت على من بداخلها من القيان ، والأغانى الحسان ، وكثير من الناس وقع بعدما تزحلق ، وصار ثوبه بالوحل أبلق ، ومنهم من ترك الزفة ، وولى هاربا فى عطفة ، يمسح يديه فى الحيط بما تلطخ بها من الرطيط ، وتعارجت

---

(١) ١ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨١٤ م . (٢) ٢٧ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢١ يناير ١٨١٤ م .
(٣) ٢٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٢ يناير ١٨١٤ م .

الحمير ، وتعثرت البياجير ، وانهدم تنور الزجاج ، ولم ينفع به العلاج ، وتلف للناس شيء كثير ، ولايدفع قضاء الله حيلة ولا تدبير ، ولم تصل العروس إلى دارها إلا قبيل دنو الشمس من غروبها ، وعند ذلك انجلى الجوّ ، وانكشفت بيوت النوّ ، ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبة (١) ، من شهور القبط المحسوبة ، وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم .

وفيه (٢) ، وردت مكاتبات من العقبة فيها الإخبار بوصول قافلة الحج صحبة المحمل ، وأميرها مصطفى بيك دالى باشا .

وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه (٣) ، وصل كثير من الحجاج والأتراك وغيرهم ، وردوا فى البحر إلى بندر السويس ، ووصل تابع قهوجى باشا ، وأخبر عنه أنه فارق مخدومه من العقبة ، ونزل فى مركب مع أم عابدين بيك ، وحضر إلى السويس .

واستهل شهر صفر بيوم الأحد سنة ١٢٢٩ (٤)

مما وقع فى ذلك اليوم(٥) ، من الحوادث أن صناع البارود والكائنين بباب اللوق ، حملوا نحو عشرة أحمال من الجمال أوعية ملآنة بارود ، وهى الظروف المصنوعة من الجلود التى تسمى البطط ، يريدون بها القلعة ، فمروا من باب الخرق إلى ناحية تحت الربع ، فلما وصلوا تجاه معمل الشمع وبصحبة الجمال شخص عسكرى ، فتشاجر مع الجمال ورد عليه القول ، فحنق منه فضربه بفرد الطبنجة فأصابت إحدى البطط ، فالتهبت بالنار وسرت إلى باقى الأحمال فالتهب الجميع ، وصعد إلى عنان السماء ، فاحترقت السقيفة المظلة على الشارع ، وما بناحيتها من البيوت والذى أسفلها من الحوانيت ، وكذلك من صادف مروره فى ذلك الوقت ، واحترق ذلك العسكرى والجمال فيمن احترق ، واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها فاحترقت ثيابها مع رفيقتها ، وذهبت تجرى والنار ترعى فيها ، وكانت دارها بالقرب من تلك الناحية ، فلما وصلت إلى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب ، واحترق أكثر جسدها ، ووصلت الأخرى بعدها وهى محترقة وعريانة ، فماتت من ليلتها ولحقتها الأخرى فى ضحوة اليوم الثانى (٦) ، ومات فى هذه الحادثة أكثر من المائة نفس من رجال ونساء وأطفال وصبيان ، وأما الجمال فأخذوها إلى بيت أبى الشوارب ، وهى

---

(١) ١٣ طوبه ١٥٣٠ ق / ٢٠ يناير ١٨١٤ م .
(٢) ٢٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٠ يناير ١٨١٤ م .
(٣) ٢٩ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢١ يناير ١٨١٤ م .
(٤) صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٣ يناير - ٢٠ فبراير ١٨١٤ م .
(٥) ١ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٣ يناير ١٨١٤ م .
(٦) ٢ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يناير ١٨١٤ م .

سود محترقة الجلود ، وفيها من خرجت عينه فإما يعالجوهـا أو ينحروها ، وكل هذا الذى حصل من الحرق والموت والهدم فى طرفة عين .

وفى ثانيه يوم الإثنين [1] ، وصل مصطفى بيك أمير ركب الحجاج إلى مصر ، وترك الحجاج بالدار الحمراء ، فبات فى داره ، وأصبح عائدا إلى البركة ، فدخل مع المحمل يوم الأربعاء [2] ، ودخل الحجاج وأتعبهم بحيث إنه أخذ المسافة فى أحد وعشرين يوما ، وسبب حضور المذكور أنه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف إلى ناحية تربة [3] ، والمتأمر عليها امرأة فحاربتهم وانهزم منها شر هزيمة ، فحنق عليه الباشا وأمره بالذهاب إلى مصر مع المحمل .

وفيه [4] ، أرسل الباشا يستدعى ثنتين أو ثلاثة عينهم من محاظيه وصحبتهن خمسة من الجوارى السود الأسطاوات فى الطبخ ، وعمل أنواع الفطور فأرسلوهن فى ذلك اليوم إلى السويس ، وصحبتهن نفيسة القهرمانة ، وهى من جواريه أيضًا ، وكانت زوجا لقاضى أوغلى المحتسب الذى مات بالحجاز فى العام الماضى .

وفيه [5] ، أيضاً وصل حريم الشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه جهة سويقة العزى ، فسكنها ومعه أولاده ، وعليهم المحافظون ، واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب من نقود وأمتعة ، وودائع ومخبآت ، وشرك وتجارات ، وبن وبهار ، ونقود بمكة وجدة والهند واليمن ، شىء لايعلم قدره إلا الله ، وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهن من الثياب بعدما فتشوهن تفتيشا فاحشا ، وهتك حرمته ، قل اللهم مالك الملك ، هذا الشريف غالب انتزع من مملكته ، وخرج من دولته وسيادته ، وأمواله وذخائره ، وانسل من ذلك كله كالشعرة من العجين ، حتى أنه لما ركب وخرج مع العسكر وهم متوجهون به إلى جدة ، أخذوا ما فى جيوبه فليعتبر من يعتبر . وكل الذى وقع له ، وما سيقع له بعد من التغريب وغيره فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة والطمع فى الدنيا ، وتحصيلها بأى طريق ، نسأل الله السلامة وحسن العاقبة .

وفى يوم الخميس خامسه [6] ، طاف الأغا أيضًا بأسواق المدينة ، وأمامه المناداة

---

(١) ٢ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يناير ١٨١٤ م . (٢) ٤ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٦ يناير ١٨١٤ م .

(٣) تربة : قرية من قرى العلا بمنطقة إمارة المدينة .

الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

(٤) ٢ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يناير ١٨١٤ م . (٥) ٢ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يناير ١٨١٤ م .

(٦) ٥ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٧ يناير ١٨١٤ م .

على أبواب الخانـات والوكائل من التجار ، بأنـهم لايتعاملون فى بيـع البن والبهار إلا بحساب الريال المتـعارف فى معاملة الناس ، وهو الذى يصرف تسـعين نصفا لأن باعة البن لايـسمون فى بـيعه إلا الـفرانسـة ، ولايقبضـون فى ثمـنه إلا إياهـا بأعيانـها ، ولايقبـلون خلافها مـن جنس المعامـلات ، فيحصل بذلـك تعب للمـتسببين الـفقراء والقطاعين ، ومن يشتـرى بالقنطار أو دونه ، فبهذه المناداة يدفع المـشترى ما يشاء من جنس المعـاملات ، قروشا أو ذهبا أو فرانســة أو أى صنف من المعاملات ، ويـحسبه المعاملة والريال المـعروف بين الناس الذى صرفه تسعون نصفـا فضة ، وإذا سمى سعر القنـطار فلا يسمـى إلا بهذا الريال ، وهـذه المناداة بإشارة الـسيد محمـد المحروقى ، بسبب ما كان يقع من تعطيل الأسباب .

وفيه [1] ، سافر محمود بيـك وصحبته المعلم غالى للكـشف عن قياس الأراضى البحرية ، التـى نزل إليها القياسون بصحـبة مباشريهم من النصـارى والمسلمين ، من وقت انحسار الماء عن الأراضـى ، وانتشروا بالأقاليم البحرية ، وهم يقـيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة .

وفـى يـوم الاثنين تاسـعه [2] ، وصل حـريم الشـريف غـالب مـن الـسـويس ، فأنزلـوهن ببيت الـسيد محمد المحروقـى ، وعدتهن خمـسة إحداهن جارية بـيضاء ، والأربعة حبشيات ، ومعهن جوارى سود وطواشيـة ، وحضر إليهم سيدهم وصحبته أحمد أغا أخـو كتخدا بيك ، وصحبـتهم نحو العشـرين نفرا من العسكـر ، واستمر الجميع مقيمين بمـنزل المذكور ، وهو يجرى عليهم النفقات الـلائقة بهم والمصاريف ، وفصل لهم كساوى من مقصبات وكشميرى وتفاصيل هندية .

وفى يوم السبـت رابع عشره [3] ، خرج محو بـيك إلى ناحية الآثار بـعساكره ، ليسافـر من ســاحـل القصير إلى الحجـاز باستدعاء الباشا ، فاسـتمر مقيما هناك عدة أيام لمخالفة الريح ، وارتحـــل فى أواخـــره [4] ، وفى أوائل هذا الشـهر بل والذى قبله [5] ، عملوا كورنتيلة فى سكندرية ودمياط .

---

(١) ٥ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٧ يناير ١٨١٤ م .
(٢) ٩ صفر ١٢٢٩ هـ / ٣١ يناير ١٨١٤ م .
(٣) ١٤ صفر ١٢٢٩ هـ / ٥ فبراير ١٨١٤ م .
(٤) آخر صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٠ فبراير ١٨١٤ م .
(٥) ١ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٣ يناير ١٨١٤ م .

واستهل شهر ربيع الأول ١٢٢٩ (١)

فيه (٢) ، رجع محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما .

وفيه (٣) ، انتقل الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقى إلى المنزل الذى أعدوه له ، وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزى بعد ما أصلحوه وبيضوه وأسكنوه به ، وعليه اليسق والعسكر الملازمون لبابه .

وفيه (٤) ، أبرز كتخدا بيك فرمانا وصل إليه من الباشا ، يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ، ورفع أيدى الملتزمين عن التصرف ، بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزينة ، فلما أشيع ذلك ضج الناس وكثر فيهم اللغط ، واجتمعوا على المشايخ ، فطلعوا إلى كتخدا بيك وسألوه ، فقال : « نعم ورد من أفندينا أمر بذلك ، ولا يمكننى مخالفته » ، فقالوا له : « كيف تقطعون معايش الناس وأرزاقهم ، وفيهم أرامل وعواجز وللواحدة قيراط أو نصف قيراط يتعيشن من إيراده ، فينقطع عنهن » فقال : « يأخذن الفائظ من الخزينة العامرة » ، فرادوه وناقشوه وهو يهون ويقرب ويبعد إلى أن قالوا له : « نكتب للباشا عرضحالا وننتظر الجواب » ، فأجابهم إلى ذلك من باب المسايرة وفك المجلس ، وشرع الشيخ المهدى فى ترصيف العرضحال ، فكتبوه وختموا عليه بعد امتناع البعض الذى ليس له التزام ، وكثر اللغط فيهم بسبب ذلك .

وفى خامسه (٥) ، حضر جمع كثير من النساء الملتزمات إلى الجامع الأزهر ، وصرخوا فى وجوه الفقهاء ، وأبطلوا الدروس وبددوا محافظهم وأوراقهم ، فتفرقوا وذهبوا إلى دورهم ، وكان قد اجتمع معهم الكثير من العامة ، واستمروا فى هرج إلى بعد العصر ، ثم جاءهم من يقول لهم كلاما كذبا سكن به حدتهم ، فانفض الجمع ، وذهب النساء وهن يقلن نأتى فى كل يوم على هذا المنوال حتى يفرجوا لنا عن حصصنا ومعايشنا وأرزاقنا ، وفى ظن الناس وغفلتهم أن فى الإناء بقية ، أو أنهم يدفعون الرزية ، وما علموا أن البساط قد انطوى ، وكل قد ضل وأضل وغوى ، ومال عن الصراط واتبع الهوى ، وكلب الجور قد كشر أنيابه وعوى ، ولم يجد له طاردا ولا معارضا ولا معاندا ، ولما وصل الخبر إلى كتخدا بيك ، طلب بعض المشايخ ، وقال له : « ما خبر هذه الجمعية بالأزهر » ، فقال له : « بسبب ما

---

(١) ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢١ فبراير - ٢٢ مارس ١٨١٤ م .

(٢) ١ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٤ م . (٣) ١ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٤ م .

(٤) ١ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٤ م . (٥) ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٤ م .

بلغهم عن قطع معاشهم » ، قال : « ومن قطع معاشهم ، وإنما أنتم الذين تسلطونهم على هذه الفعال لأغراضكم ، ولابد أنى أستخبر على من أغراهم وأخرج من حقه » ، وطلب على أغا الوالى ، وقال له : « أخبرنى عن هؤلاء النساء من أى البيوت » ، فقال : « وما علمى ومن يميزهن وغالبهن وأكثرهن نساء العساكر ، ولا قدرة لى على منعهن » ، وانفض المجلس ، وبردت همتهم وانكمشوا وشرعوا فى تنفيذ ما أمروا به وترتيبه وتنظيمه .

وفيه [1]، حضر محمود بيك والمعلم غالى فأقاما أياما وسافرا فى ثالث عشره [2].

وفيه[3] ، أحضروا حسن أغا محرم المعروف بنجاتى من إقليم المنوفية وهو مريض وتوفى فى ثانى يوم [4] ودفن .

وفى خامس عشره [5] ، مر الأغا والوالى وأغات التبديل ، وهم يأمرون الناس بكنس الأسواق ورشها حالا فى ذلك الوقت من غير تأخير فابتدر الناس ، ونزلوا من حوانيتهم وبأيديهم المكانس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها .

وفى تاسع عشره [6] ، حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور ،أرسله الباشا إلى مصر من ناحية القصير منفيا من أرض الحجاز ، فأنزلوه بمنزل أحمد أغا أخى كتخدا بيك محجورا عليه ، ولم يجتمع بعمه ولم يره .

وفيه [7] ، كثر الطلب للريال الفرانسة بسبب احتياج دار الضرب ، وما يرسل إلى الباشا من ذلك ، وألزموا التجار بإحضار جملة من ذلك ، ويأخذون بدلها قروشا ، فوزعوا مقادير على أفرادهم بما يحتمله ، وجمعوا ما قدروا عليه منها .

وفيه [8] ، شنق شخص يسمى صالح عند باب زويلة ، واستمر معلقا يومين ، وسبب ذلك أنه يدعى الجذب والولاية ، وتزوّج بامرأة وأخذ متاعها ومالها ، وحصل لها خلل فى عقلها ، فأنهوا أمره إلى كتخدا بيك فأمر بحبسه ، واستخلصوا منه جانبا مما أخذه من متاع المرأة ، وكثر كلام الناس فى حقه فأمر الكتخدا بشنقه .

وفى أواخره [9] ، حضر إبراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلية ، ونزل بالبيت

---

(1) ٥ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٤ م .
(2) ١٣ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٤ مارس ١٨١٤ م .
(3) ٥ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٤ م .
(4) ٦ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٦ فبراير ١٨١٤ م .
(5) ١٥ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٦ مارس ١٨١٤ م .
(6) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ١٠ مارس ١٨١٤ م .
(7) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ١٠ مارس ١٨١٤ م .
(8) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ١٠ مارس ١٨١٤ م
(9) أخر ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٢ مارس ١٨١٤ م .

الذى اشتراه بناحية الجمالية بدرب المسمط [1] ، وهو بيت أحمد بن محرم .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٩ [2]

وفى ليلة الإثنين سادسه [3] ، حضر ميمش أغا من ناحية الحجار ، مرسلا من عند الباشا باستعجال حسن باشا للحضور إلى الحجاز ، وكان قبل ذلك بأيام ، أرسل بطلب سبعة آلاف عسكرى ، وسبعة آلاف كيس ، فشرع كتخدا بيك فى استكتاب أشخاص من أخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايده وفلاحى القرى ، فكان كل من ضاق به الحال فى معاشه يذهب ويعرض نفسه ، فيكتبونه وإن كان وجيها جعله أميرا على مائة أو مائتين ، ويعطيه أكياسا يفرقها فى أنفاره ، ويشترى فرسا وسلاحا ، ويتقلد بسيف وطبنجات ، وكذلك أنفاره ، ويلبسون قناطيش ولباسا مثل لبس العسكر ، ويعلق له وزنة بارود تحت إبطه ، ويأخذ على كتفه بندقية ويمشون أمام كبيرهم مثل الموكب ، وفيهم أشخاص من الفعلة الذين يستعملون فى شيل التراب والطين فى العمائر وبرابرة ، وأرسل الكتخدا إلى الفيوم وغيرها بطلب رجال من أمثال ذلك ، وجمعوا الكثير من أرباب الصنائع مثل : الخبازين ، والفرانين ، والنجارين ، والحدادين ، والبياطرة ، وغيرهم من أرباب الصنائع ، ويسحبونهم قهرا ، فأغلق الفرانون مخابزهم ، وتعطل خبيز خبز الناس أياما .

وفيه [4] ، ورد الطلب لحسن باشا ، فشرع فى تشهيل أحواله ولوازم سفره ، ثم حضر ميمش أغا باستعجاله واستعجال المطلوبات من الأموال وغيرها .

وفيه [5] ، قبضوا على اليهود الموردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب ، بسبب إحضار الفرانسة ، وقد قلت بأيدى الناس جدا لكثرة أخذها والطلب لها ، وانقطاع مجيئها من بلادها ، فحبسوهم وضربوهم ، ونزلوا فى أسوأ حال متحيرين ، وذلك أنّ راتب الضربخانة سبعة آلاف فى كل يوم ، عنها ثلاثة وستون ألف درهم ، وقدرها ثلاث مرات من النحاس ، يضربون ذلك قروشا ، حتى بلغ سعر النحاس القراضة مائة وعشرين نصفا فضة .

---

(١) درب المسمط : درب كان معروفا بالجمالية .

(٢) ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٢٣ مارس - ٢٠ أبريل ١٨١٤ م .

(٣) ٦ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٤ م .

(٤) ٦ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٤ م .

(٥) ٦ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٤ م .

وفي تاسعه [1] ، حضر محمود بيك الدويدار والمعلم غالى من سرحتهما إلى مصر ، وهما المتأمران على مباشرة قياس الأراضى ، وتشهيل المال المفروض ، وسبب حضورهما أنَّ إبراهيم باشا أرسل بطلبهما للحضور ، ليتشاور معهما في أمر ، فأقاما أربعة أيام وعادا راجعين إلى شغلهما .

وفي منتصفه [2] ، سافر إبراهيم باشا عائدا إلى أسيوط ، وذهب صحبته أخوه إسماعيل باشا والبيكات الصغار خوفا وهروبا من الطاعون .

وفيه [3] ، كمل تعمير الجامع الذى عمره دبوس أوغلى الذى بقرب داره التى بغيط العدة [4] ، وهو جامع جوهر العينى [5] ، وكان قد تخرب فهدمه جميعه ، وأنشأه وزخرفه ونقل لعمارته أنقاضا كثيرة ، وأخشابا ورخاما من بيت أبى الشوارب ، وعمل به منبرا بديع الصنعة ، واستخلص جهة أوقافه أطيانا وأماكن من واضعى اليد .

وفيه [6] ، أرسلوا جملة أخشاب إلى الحجاز مطلوبة إلى الباشا .

وفيه [7] ، أيضًا نادوا على سكان الجيزة بالخروج منها بعد عصر يوم السبت [8] ، ومن لايريد الخروج فلا يخرج بعد ذلك ، ومن خرج فلا يدخل ، وأمهلوهم إلى الغروب ، فخرجوا بأمتعتهم وأطفالهم وأولادهم وأوانيهم إلى خارج البلدة ، وبات الأكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل إلى بلدة أخرى ، وخرج أيضًا الكثير من عساكرهم وأتباعهم ممن لايريد المقام والحبس ، فكانوا كلما وجدوا من حمل متاعه من أهل البلدة على حمار ليذهب إلى جهة يستقر بها ، رموا به إلى الأرض ، وأخذوا الحمار ، وحصل لأهل الجيزة فى تلك الليلة ما لامزيد عليه من الكرب والجلاء عن أوطانهم ، وكل ذلك مجرد وهم ، مع قلة وجود الطعن ، إلاَّ النزر اليسير .

وفي ثالث عشرينه [9] ، سافرت خزينة المال المطلوبة إلي الباشا إلى جهة

(1) ٩ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٣١ مارس ١٨١٤ م . (2) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٦ أبريل ١٨١٤ م .

(3) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٦ أبريل ١٨١٤ م .

(4) غيط العدة : شارع قديم ، يبدأ من آخر شارع باب الخرق بجوار مسجد السلطان شاه ، وانتهاؤه أول شارع الجيزة تجاه شارع عابدين ، وبه عدة حارات وعطف وأضرحة .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢١٢ - ٢٢٠ .

(5) جامع جوهر العينى : يقع فى حارة غيط العدة ، أنشأه الأمير جوهر العينى الحبشى كمدرسة ، وقرر بها مدرسا وقارئا للبخارى ، ثم تخربت إلى أن عمَّرها الأمير محمد بيك دبوس أوغلى ، وجعلها جامعا بمنبر .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١٦١ .

(6) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٦ أبريل ١٨١٤ م . (7) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٦ أبريل ١٨١٤ م .

(8) ١٨ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٩ أبريل ١٨١٤ م . (9) ٢٣ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ١٤ أبريل ١٨١٤ م .

السويس ، وأصحبوا معها عدة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها ، وقدرها ألفان وخمسمائة كيس جميعها قروش .

شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٩ (١)

استهل بيوم الجمعة (٢) .

فى ثالثه (٣) ، خرج حسن باشا بعساكره ونزل بوطاقه وخيامه التى نصبت له بالعادلية قبل خروجه بيومين .

وفى رابعه (٤) ، وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بيك دالى باشا ، وأخشاب واحتياجات وجمال ، والذى أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره ، أنَّ طوسون باشا وعابدين بيك ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التى بها المرأة التى يقال لها غالية ، فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام ، ثم رجعوا منهزمين ، ولم يظفروا بطائل ، ولأن العربان نفرت طباعهم من الباشا ، لما حصل منه فى حق الشريف من القبض عليه ، وهاجر الكثير من الأشراف ، وانضموا إلى الأخصام ، وتفرقوا فى النواحى ، ومنهم شخص يقال له الشريف راجح ، فأتى من خلف العسكر ، وقت قيام الحرب ، وحاربهم ونهب الذخيرة والأحمال ، وقطع عنهم المدد ، وأخبروا أنَّ الجمال قل وجودها عند الباشا ، ويشتريها من العربان المسالمين له بأغلى ثمن ، وأخبروا أيضًا أنه واقع بالحرمين غلاء شديد لقلة الجالب ، واحتكار الباشا للغلال الواصلة إليه من مصر ، فيبيعه حتى على عسكره بأغلى ثمن ، مع التحجير على المسافرين والحجاج فى استصحابهم شيئًا من الحب والدقيق ، فيفتشون متاعهم فى السويس ، ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودون به فى سفرهم من القمح أو الدقيق ، وما يكون معهم من الفرانسة لنفقتهم ، وأعطوهم بدلها من القروش .

وفيه (٥) ، بلغ صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية ثمانمائة وعشرين نصفا ، عنها ثمانية قروش ، والمشخص عشرون قرشا ، وقل وجود الفرانسة ، والمشخص بل والمحبوب المصرى بأيدى الناس جدا ، ثم نودى على أن يصرف الريال بسبعة قروش ، والمشخص بستة عشر قرشا ، وشددوا فى ذلك ، ونكلوا بمن يخالف ذلك ، وعاقبوا من زاد على ذلك فى قبض أثمان المبيعات ، وأطلقوا فى الناس

---

(١) جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢١ أبريل - ٢٠ مايو ١٨١٤ م .

(٢) ١ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢١ أبريل ١٨١٤ م . (٣) ٣ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢٣ أبريل ١٨١٤ م .

(٤) ٤ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢٤ أبريل ١٨١٤ م . (٥) ٤ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢٤ أبريل ١٨١٤ م .

جواسيس وعيونا ، فمن عثروا عليه فى مبيع أو غيره أنه قبض بالزيادة ، أحاطوا به ، وأخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتغريم ، وربما أرسلوا من طرفهم أشخاصًا متنكرين يأتى أحدهم للبائع فيساومه السلعة كأنه مشتر ، ويدع له فى ضمن الثمن ريالا أو مشخصا ، ويحسبه بحسابه الأول ويناكره فى ذلك ، فربما تجاوز البائع خوفا من بوار سلعته ، وخصوصا إذا كانت البيعة رابحة أو بيعة استفتاح على زعم الباعة ، وقلة الزبون بسبب وقف حال الناس أو إفلاسهم ، فما هو إلا أن يتباعد عنه يسيرا ، فما يشعر إلا وهو بين يدى الأعوان ويلاقى وعده .

وفى منتصفه [1] ، وصلت قافلة من السويس وفيها جملة من العسكر المتمرضين، ونحو العشرة من كبارهم نفاهم الباشا إلى مصر ، وفيهم حجو أوغلى ودالى حسن وعلى أغا درمنلى ، وترجو وحسن أغا أزرجنلى ومصطفى ميسو وأحمد أغا قنبور .

وفيه [2] ، أيضًا خرج عساكر المغاربة ومن معهم من الأجناس المختلفة إلى مصر العتيقة ، ليذهبوا من ناحية القصير إلى الحجاز ، وأما محو بيك فإنه لم يزل بقنا لقلة المراكب بالقصير التى تحملهم إلى الحجاز .

وفى سادس عشره [3] ، وصلت قافلة وفيها أنفار من أهل مكة والمدينة ، وسفار وبضائع تجارة بن وأقمشة وبياض شيء كثير ، وقد أتت إلى جدة من تجارات الشريف غالب ، ولم يبلغهم خبر الشريف غالب ، وما حصل له ، فلما حضروا وضع الباشا يده عليه جميعه وأرسله إلى مصر ، فتولى ذلك السيد محمد المحروقى ، وفرقها على التجار بالثمن الذى قدره عليهم ، وألزمهم أن لايدفعوه إلا فرانسة .

وفى هذا الشهر [4] ، وصل الخبر بموت الشيخ مسعود كبير الوهابية ، وتولى مكانه ابنه عبدالله .

وفيه [5] ، خرج طائفة الكتبة والأقباط والروزنامجى والجاجرتية ، وذهب الجميع إلى جزيرة شلقان ، ليحرروا دفاتر على الروك الذى راكوه من قياس الأراضى وزيادة الأطيان ، وجفل الكثير من الفلاحين وأهالى الأرياف ، وتركوا أوطانهم وزروعهم ، وهالهم هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه ويألفوه ، وباعوا مواشيهم ودفعوا أثمانها فى الذى طلع عليهم فى الزيادات الهائلة ، وسيعودون مثل الكلاب ، ويعتادون سلخ

---

(١) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٥ مايو ١٨١٤ م . (٢) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٥ مايو ١٨١٤ م .
(٣) ١٦ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٦ مايو ١٨١٤ م .
(٤) جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢١ أبريل - ٢٠ مايو ١٨١٤ م .
(٥) جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢١ أبريل - ٢٠ مايو ١٨١٤ م .

الإهاب ، وأما الملتزمون فبقوا حيارى باهتين ، وارتفع أيدى تصرفهم فى حصصهم ، ولايدرون عاقبة أمرهم ، منتظرين رحمة ربهم ، وآن وقت الحصاد وهم ممنوعون عن ضم زرع وساياهم إلى أنْ أذن لهم الكتخدا بذلك ، وكتب لهم أوراقا ، وتوجهوا بأنفسهم أو بمن ينوب عن مخدومه ، وأراد ضم زرعه ، ولم يجد من يطيعه بهم ، وتطاولوا عليهم بالألسنة ، فيقول الحرفوش منهم إذا دعى لشغل بأجرته : « روح انظر غيرى أنا مشغول فى شغلى ، أنتم إيش بقالكم فى البلاد ، قد انقضت أيامكم ، إحنا صرنا فلاحين الباشا » ، وقد كانوا مع الملتزمين أذل من العُبَيد المشترى ، فربما أن العبد يهرب من سيده إذا كلفه فوق طاقته أو أهانه بالضرب ، وأما الفلاح فلا يمكنه ولايسهل به أنْ يترك وطنه وأولاده وعياله ويهرب ، وإذا هرب إلى بلدة أخرى ، واستعلم أستاذه مكانه ، أحضره قهرا ، وازداد ذلا ومقتا وإهانة ، وكان من طرائقهم أنَّه إذا آن وقت الحصاد والتخضير ، طلب الملتزم أو قائم مقامه الفلاحين ، فينادى عليهم الغفير أمس اليوم المطلوبين فى صبحه بالتبكير إلى شغل الملتزم ، فمن تخلف لعذر أحضره الغفير أو المشد وسحبه من شنبه ، وأشبعه سبا وشتما وضربا ، وهو المسمى عندهم بالعونة ، والسخرة ، واعتادوا ذلك يرونه من اللازم الواجب ، وهذا خلاف ما يلقونه من الإذلال والتحكم من مشايخهم ، والشاهد والنصرانى الصراف ، وهو العمدة والعهدة خصوصا عند قبض المال ، فيغالطهم ويناكرهم ، وهم له أطوع من أستاذهم وأمره نافذ فيهم ، فيأمر قائمقام بحبس من شاء أو ضربه محتجا عليهم ببواقى لايدفعها ، وإذا غلَّق أحدهم ما عليه من المال الذى وجب عليه فى قائمة المصروف ، وطلب من المعلم ورده ، وهى ورقة الغلاق ، وعده لوقت آخر حتى يحرر حسابه ، فلا يقدر الفلاح على مراددته خوفا منه ، فإذا سأله من بعد ذلك ، قال له بقى عليك حبتان من فدان أو خروبتان أو نحو ذلك ، ولايعطيه ورقة الغلاق حتى يستوفى منه قدر المال أو يصانعه بالهدية والرشوة وغير ذلك ، أمور وأحكام خارجة عن إدراك البهيمية فضلا عن البشرية كالشكاوى ونحوها ، وذلك كما إذا تشاجر أحدهم مع آخر على أمر جزئى بادر أحدهم بالحضور إلى الملتزم ، وتمثل بين يديه قائلا أشكو إليك فلانا بمائة ريال مثلا ، فبمجرد قوله ذلك يأمر بكتابة ورقة خطابا إلى قائمقام أو المشايخ بإحضار ذلك الرجل المشتكى ، واستخلاص القدر الذى ذكره الشاكى قليلا أو كثيرا ، أو حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ، ويرسل الورقة مع بعض أتباعه ويكتب بهامشها كراء طريقه قليلا أو كثيرا ، ويسمونه حق الطريق ، فعند وصوله أوّل شيء يطالب به الرجل حق الطريق المعين ، ثم الشكوى ، فإن بادر ودفعها وإلا حبس ، أو حضر به المعين إلى بيت

أستاذه، فيوعده الحبس ويعاقبه بالضرب ، حتى يوفى القدر الذى تلفظ به الشاكى ، وإن تأخر عن حضوره أو حضور المعين أردف بآخر ، وحق طريق الآخر كذلك ، ويسمونها الإستعجالة وغير ذلك ، أحكام وأمور غير معقولة المعنى قد ربوا عليها واعتادوها لايرون فيها بأسا ولا عيبا ، وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين - بسوء أفعالهم وعدم ديانتهم وخيانتهم ، وإضرارهم لبعضهم البعض - من لايرحمهم ولايعفو عنهم ، كما قال فيهم البدر الحجازى :

وسَبعةٌ بالفلح قَدْ أنزلَت ... لما حَوَوْه مِن قبيح الفعال
شيوخُهم أستاذُهم والمشَدُّ ... والقتل فيما بينهم والقتال
مَع النصَارى كاشفُ الناحية ... وردْ عليها كَدّهم فى اشتغال
وفقرُهم مَا بين عينيهم ... مع اسْوَدادِ الوجْهِ هذا النكال

وإذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه فى أعينهم واستهانوا به وبخدمه ، وماطلوه فى الخراج ، وسموه بأسماء النساء ، وتمنوا زوال التزامه بهم وولاية غيره من الجبارين الذين لايخافون ربهم ولايرحمهم ، لينالوا بذلك أغراضهم بوصول الأذى لبعضهم ، وكذلك أشياخهم إذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم أيضًا من ظلم فلاحيهم ، لأنهم لم يحصل لهم رواج إلا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم ، فيأخذون لأنفسهم فى ضمنها ما أحبوا وربما وزعوا خراج أطيانهم وزراعاتهم على الفلاحين ، وقد انخرم هذا الترتيب بما حدث فى هذه الدولة من قياس الأراضى والفدن ، وما سيحدث بعد ذلك من الإحداثات التى تبدو قرائنها شيئًا بعد شىء .

وفى ثانى عشرينه [١] ، برّز حسن بيك دالى باشا خيامه إلى خارج باب النصر ، وخرج هو فى ثانى يوم [٢] ، فى موكب ونزل بوطاقه ليتوجه إلى الحجاز على طريق البر .

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرينه [٣] ، قبل الغروب بنحو نصف ساعة وصل جراد كثير مثل الغمام ، وصار يتساقط على الدور والأسطحة والأزقة مثل الغمام ، وأفسد كثيرا من الأشجار ، وانقطع أثره فى ثانى يوم [٤] .

(١) ٢٢ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١٢ مايو ١٨١٤ م .
(٢) ٢٣ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١٣ مايو ١٨١٤ م .
(٣) ٢٧ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١٧ مايو ١٨١٤ م .
(٤) ٢٨ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١٨ مايو ١٨١٤ م .

وفى يوم الاثنين عاشره (١) ، ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قمر إلى بركة الحج .

وفى منتصفه (٢) ، حضر الروزنامجى والأفندية بعد أن استملى منهم القبط الدفاتر وأسماء الملتزمين ومقادير حصصهم ، ثم حضر محمود بيك والمعلم غالى ومن معهم من الكتبة الأقباط ، وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الأراضى ، وروك البلاك ، وهو أن الأراضى زادت فى القياس بالقصبة التى قاسوا بها ، وحددوها مقدار الثلث أو الربع حتى قاسوا الرزق الأحباسية بأسماء أصحابها ومزارعيها وأطيان الوسايا على حدتها حتى الأجران ، وما لايصلح للزراعة ، وما يصلح من البور الصالح وغير الصالح ، فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالأفدنة ، ثم جعلوها ضرائب منها : ضريبة خمسة عشر ريالا ، وأربعة عشر ، واثنى عشر ، وأحد عشر ، وعشرة ، مال الفدان بحسب جودة الإقليم والأرض ، فبلغ ذلك مبلغا عظيما بحيث إن البلدة التى كانت يفرض عليها فى مغارم الفرض التى كانوا فرضوها قبل ذلك فى سنيهم الماضية ، ويتشكى منها الفلاحون والملتزمون ويستغيثون ، ويبقى منها بواقى ويعجزون عنها ألف ريال ، طلع عليها فى هذه اللفة عشرة آلاف ريال إلى مائة ألف وأقل وأكثر ، وأحضر الكتخدا إبراهيم أغا الرزاز والشيخ أحمد يوسف وخلع عليهما خلعتين ، وجعلوا لهما ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر الذى تحرر على حصته التى فى تصرفه ، فيعطونه ورقة تصرف ويكتب على نفسه وثيقة بأجل معلوم ، ويقوم بدفع ذلك ، ويتصرف فى حصته بشرط أن لايكون له إلا أطيان الأوسية إن شاء زرعها وأخذ غلتها ، وإن شاء أجرها لمن شاء ، وليس له من مال الخراج إلا المال الحر المعين بسند الديوان المعروف بالتقسيط ، وما زاد فى قياس الأرض من طين الفلاحة والأوسية فهو للميرى قل أو كثر ، وأما الرزق الأحباسية المرصدة على البر والصدقة ، ولأهل المساجد والأسبلة والمكاتب والخيرات ، فإنهم مسحوها بقياسهم فما وجدوه زائدا عن الحد الأصلى ، جعلوه للديوان ، وما بقى قيدوه وحرروه باسم واضع اليد عليها ، واسم واقفها وزارعها أو ما يمليه المزارع الحاضر وقت القياس، وسؤال المباشرين، وقرروا عليها المال مثل ضريبة البلد ، فإن أثبتها صاحبها وكان بيده سند جديد من أيام الوزير وشريف أفندى ، وما بعده على سبقه لوقت تاريخه ، قيدوا له نصف مال تآجرها ، والنصف الثانى الباقى

(١) ١٠ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١ مايو ١٨١٤ م .
(٢) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٥ مايو ١٨١٤ م .

للديوان ، ورسموا لكاتب الرزق أن يعمل ديوانا لذلك ومعه عدة من الكتبة ، ويأتى إليه الناس بأوراق سنداتهم ، فمن وجد بيده سندا جديدا ، كتب له صورة قيد الكشف بموجب ما هو بدفتره فى ورقة ، فيذهب بها إلى الديوان فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين ، ويقع الاشتباه الكثير فى أسماء أربابها وأسماء حيضانها وغيطانها ، فيكلفون صاحب الحاجة بإثبات ما ادعاه ، ويكتب له أوراقا لمشايخ الناحية وقاضيها بإثبات ما يدعيه ، ويعود مسافرا ويقاسى ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ومعاكسة المشايخ وقاضى الناحية ، ثم يعود إلى الديوان بالجواب ، ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة أخرى ، وربما كان سعيه وتعبه على فدان واحد أو أقل أو أكثر ، وازدحم الناس على بيت كاتب الرزق ، وانفتح له بذلك باب ، لأنه لايكتب كشفا حتى يأخذ عليه دراهم تعينت على قدر الأفدنة ، وأضاع الكثير من الناس ما تلقوه عن أسلافهم ، وما كانوا يرتزقون منه ، وأهملوا تجديد السندات ، واتكلوا على ما بأيديهم من السندات القديمة لجهلهم ، أو ظنهم انقضاء الأمر وعدم دوام الحال ، وتغير الدولة ، وعود النسق الأوّل ، أو لفقرهم وعدم قدرتهم على ما ابتدعوه من كثرة المصاريف التى تصرف على تجديد السند ، واشتغال مال الحماية التى قدرها شريف أفندى على أراضى الرزق عن كل فدان عشرة أنصاف أو خمسة ، فكثير من الناس استعظم ذلك ، واعتمد على أوراقه القديمة فضاعت عليه رزقته وانحلت وأخذها الغير، والذى لم يرض بالتوت بل ولا حصل حطبه رضى بالولاش، وكان الشأن فى أمر الرزق أن أراضيها تزيد عن موقوع أراضى البلاد زيادة كثيرة ، وخراجها أقل من خراج أراضى البلاد الذى يقال له المال الحر الأصلى ، وليس عليها مصاريف ولا مغارم ولا تكاليف ، فالمزارع من الفلاحين إذا كان تحت يده تآجر رزقة أو رزقتين ، فإنه يكون مغبوطا ومحسودا فى أهل بلده ، ويدفع لصاحب الأصل القدر النزر ، والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن خلف ، ولايقدر صاحب الأصل أن يزيد عليه زيادة ، وخصوصا إذا كانت تحت يد بعض مشايخ البلاد ؛ فلا يقدر أحد أن يتعدى عليه من الفلاحين ، ويستأجرها من صاحبها ، وإنْ فعل لايقدر على حمايتها ، والكثير من الرزق واسعة القياس وجدوا مالها قليل جدا وخصوصا فى الأراضى القبلية ، فإن غالبها رزق وشراوى ومتأخرات لم تمسح ولم يعلم لها فدادين ولا مقادير، وقد تزيد أيضًا بانحسار البحر عن سواحلها، وكذلك فى البلاد البحرية، ولكن دون ذلك ، ومعظم أراضى الرزق القبلية مرصدة على جهات الأوقاف بمصر وغيرها ، والواضعون أيديهم عليها لايدفعون لجهاتها ولا لمستحقيها ، إلا ما هو مرتب ومقرر من الزمن الأوّل السابق ، وهو شىء قليل ، وليتهم لو دفعوه فإن فى

أوقاف السلاطين المتقدمة القطعة من الأراضى التى عبرتها أكثر من ألف فدان ، وخراجها خمسون زكيبة والزكيبة خمس ويبات ، أو من الدراهم ألفان فضة وأقل وأكثر ، وهى تحت يد بعض كبراء البلاد يزرعها ويأخذ منها الألوف من الأرادب من أجناس الغلال ، ويضن ويبخل بدفع ذاك القدر اليسير لجهة وقفه ، ويكسر السنة على السنة ، فإن كانت يد صاحب الأصل قوية ، أو كان واضع اليد فيه خيرية - وقليل ما هم - دفع لأربابها ثمنها بعد أن يرد الخمسين إلى الأربعين بالتكسير والخلط ، ثم يبخس الثمن جداً ، فإن كان ثمن الأردب أربعمائة حسبه بأربعين نصفا أو أقل ، فيعود ثمن الخمسين زكيبة إلى ثمن زكيبتين وقس على ذلك ، والذى يكون تحت يده شيء من أطيان هذه الأوقاف ، وورثها من بعده ذريته فزرعوها وتقاسموها معتقدين ملكيتها تلقوها بالإرث من مورثهم ، ولايرون أن لأحد سواهم فيها حقا ، ولايهون بهم دفع شيء لأربابه ولو قلّ إلا قهراً ، وبالجملة ما أصاب الناس إلا ما كسبت أيديهم ، ولا جنوا إلا ثمرات أعمالهم ، وكان معظم إدارات دوائر عظماء النواحى وتوسعاتهم ومضايفهم من هذه الأرزاق التى كانت تحت أيديهم بغير استحقاق ، إلى أن سلط الله عليهم من استحوذ على جميع ذلك ، وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة ، وتشتتوا فى النواحى وتغربوا عن أوطانهم ، وخربت دورهم ومضايفهم ، وذهبت سيادتهم ﴿ وكَمْ أهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِن قَرْنٍ هلْ تُحِسُّ مِنْهم مِنْ أحَدٍ أو تَسْمَعُ لَهُم رِكْزاً ﴾[2] وفى بعض الأرزاق من مات أربابه ، وخربت جهاته ، ونسى أمره ، وبقى تحت يد من هو تحت يده من غير شيء أصلا ، وقد أخبرنى بنحو ذلك شمس الدين بن حمودة من مشايخ برما بالمنوفية ، عندما أحضر إلى مصر فى وقت هذا النظام ، أنه كان فى حوزهم ألف فدان لا علم للملتزم ولا غيره بها ، وذلك خلاف ما بأيديهم من الرزق التى يزرعونها بالمال اليسير ، وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التى لم يبق لها أثر ، وكذلك الأسبلة وغيرها ، وأطيانهم تحت أيديهم من غير شيء ، وخلاف فلاحتهم الظاهرة بالمال القليل لمصارف الحج ، لأنها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات أمير الحاج ، وقد انتسخ ذلك كله .

وفيه [1] ، أخبر المخبرون أنّ مراكب الموسم وصلت فى هذا العام إلى جدة ، وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول ، خوفا من جور الشريف وزواله وتملك الدولة البلاد ، وظنهم فيهم العدل ، فاطمأنوا وعبوا متاجرهم ، وحضروا إلى جدة ، فجمع الباشا مكوسهم فبلغت أربعة وعشرين لكا ، واللك الواحد مائة ألف فرانسا ،

---

(١) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٥ مايو ١٨١٤ م .   (٢) سورة مريم : الآية رقم (٩٨) .

فيكـون أربعة وعشرين مـائة ألف فرانسا ، فـقبضها منـهم بضائع ونقـودا ، وحسب البضائع بأبخس الأثمان ، ثم التفت إلى الـتجار الذين اشتروا البضائع ، وقال لهم : « إنى طلـبت منكم مرارا أن تـقرضونى المال فادعـيتم الإفلاس ، ولما حضـر الموسم بادرتم بأخذه ، وظهرت أموالكـم التى كنتم تبخلون بها ، فلابد أن تقـرضونى ثلثمائة ألف فرانسـة » ، فصالحوه على مائـتى ألف ، دفعوها لـه نقودا وبضائع مشـترواتهم حسبها لهم العشرة ستة ، ثم فرض على أهل المدينة ثلاثين ألف فرانسة .

واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٩ [١]

فى خامسه [٢] ، ضربـوا عدة مدافع ، وأخـبروا بوصول بـشارة وأن عساكـرهم حاربوا قنفدة ، واستولوا عليها ولم يجدوا بها غير أهلها .

وفى سادسه [٣] ، سار حسين بيك دالى باشا بعساكره الخيالة برا .

وفيه [٤] عزم على السفر والد محرم بيـك زوج ابنة الباشا إلى بلاده ، وذلك بعد عوده من الحجاز ، فأرسلوا إلـى الأعيان تنابيه بالأمر لهم بمهاداته ، فـفعلوا وعبوا له بقجا وبنا وأرزا وأقمشة هندية ومحلاوية ، كل أمير على قدر مقامه .

وفى ليلة الاثنين تاسعه [٥] ، حصلت فى وقت أذان العشاء زلـزلة نحو دقيقتين ، وكان المؤذنون طلعـوا على المنارات ، وشرعوا فى الأذان ، فلما اهـتزت بهم ظن كل من كان على منارة سقـوطها فأسرعوا بالنزول ، فلما علموا أنـها زلزلة طلعوا وأعادوا الأذان ، وسقط من شرائف الجامع الأزهر شرافة ، وتحركت الأرض أيضًا فى خامس ساعة من الليل ، ولكن دون الأولى وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة .

وفى حادى عـشره [٦] ، هرب الـشريف عـبدالله بن الشـريف سرور فـى وقت الفجريـة ، ولم يشعروا بهروبه إلا بـعد الظهر ، فلما بـلغ كتخدا بيك الخبـر فتكدر لذلك ، وأرسل إلـى مشايخ الحارات وغيرهم وبـث العربان فى الجهات ، فـلما كان ليلة السبت [٧] ، حضروا به فى وقت الغروب ، وقد حـجزوه بحلوان ، وأتوا به إلى بيت السيد محمـد المحروقى ، فأخذه إلى كتخدا بيك ، فأرسله إلـى بيت أخيه أحمد أغا ، ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الخروج والدخول ، بعد أن كان مطلق السراح ، يخرج مـن بيت أحمد أغا ، ويذهب إلـى بيت عمه الشريف غـالب ويعود وحده ، فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه أيضًا .

---

(١) رجب ١٢٢٩ هـ / ١٩ يونيه - ١٨ يوليه ١٨١٤ م .
(٢) ٥ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٣ يونيه ١٨١٤ م .
(٣) ٦ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يونيه ١٨١٤ م .
(٤) ٦ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يونيه ١٨١٤ م .
(٥) ٩ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٧ يونيه ١٨١٤ م .
(٦) ١١ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٩ يونيه ١٨١٤ م .
(٧) ١٤ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢ يوليه ١٨١٤ م .

وفى يوم الخميس تاسع عشره [1] ، حضر المشايخ عند كتخدا بيك وعاودوه فى الخطاب فيما أحدثوه على الرزق ، وعرفوه أنّه يلزم من هذا الإحداث إبطال المساجد والشعائر ، فتنصل من ذلك وقال : « هذا شىء لا علاقة لى فيه ، وهذا شىء أمر به أفندينا ومحمود بيك والمعلم غالى » ، ثم كلموه أيضًا فى صرف الجامكية المعروفة بالسائرة والدعاجوى للفقراء والعامة ، فوعدهم بصرفها وقت ما يتحصل المال ، فإن الخزينة فارغة من المال .

وفى يوم السبت [2] ، حضر محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما فذهب إليهما المشايخ فى ثانى يوم [3] ، ثم خاطبوهما بالكلام فى شأن الرزق ، فأجابهم المعلم غالي ، بقوله : « يا أسيادنا هذا أمر مفروغ منه بأمر أفندينا من عام أوّل من قبل سفره ، فلا تتعبوا خاطركم ، وواجب عليكم مساعدته ، خصوصا فى خلاص كعبتكم ونبيكم من أيدى الخوارج » ، فلم يردوا عليه جوابا وانصرفوا .

وفى يوم الأحد تاسع عشرينه [4] ، حصل كسوف شمس ، وكان ابتداؤه بعد الشروق ومقداره قريبا من ثلثى الجرم ، وتم انجلاؤه فى ثانى ساعة من النهار ، وكانت الشمس ببرج السرطان أربعة وعشرين درجة فى حادى عشر أبيب القبطى [5] .

وفيه [6] ، وصلت القافلة من ناحية السويس ، وأخبر الواصلون عن واقعة قنفدة[7] ، وما حصل بها بعد دخول العسكر إليها ، وذلك أنهم لما ركبوا عليها برا وبحرا وكبيرهم محمود بيك ، وزعيم أوغلى ، وشريف أغا ، فوجدوها خالية ، فطلعوا إليها وملكوها من غير ممانع ولا مدافع ، وليس بها غير أهلها ، وهم أناس ضعاف فقتلوهم وقطعوا آذانهم ، وأرسلوها إلى مصر ليرسلوها إلى إسلامبول ، وعندما علم العربان بمجئ الأتراك خلوا منها ، ويقال لهم عرب العسير ، وترافعوا عنها ، وكبيرهم يسمى طامى [8] ، فلما استقر بها الأتراك ومضى عليهم بها نحو

---

(1) ١٩ رجب ١٢٢٩ هـ / ٧ يوليه ١٨١٤ م .
(2) ٢١ رجب ١٢٢٩ هـ / ٩ يوليه ١٨١٤ م .
(3) ٢٢ رجب ١٢٢٩ هـ / ١٠ يوليه ١٨١٤ م .
(4) ٢٩ رجب ١٢٢٩ هـ / ١٧ يوليه ١٨١٤ م .
(5) ١١ أبيب ١٥٣٠ ق / ١٧ يوليه ١٨١٤ م .
(6) ٢٩ رجب ١٢٢٩ هـ / ١٧ يوليه ١٨١٤ م .
(7) قنفدة : قرية من قرى غامد الزّناد ، فى تهامة ، فى إمارة الباحة .
الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٨٨ .
(8) طامى : هو طامى بن شعيب ، عيّنه الأمير سعود بن عبد العزيز أميرا على تهامة وعسير ولمع خلفا لابن عمه عبد الوهاب أبو نقطة ، وأن يقود القوات السعودية بنفسه ، وظل يقوم بعمله حتى عهد محمد على ، وألقى القبض عليه فى جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١١ أبريل - ١٠ مايو ١٨١٥ م .
عبد الرحيم ، عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى ، ص ١٩٣ .

ثمانيـة أيام رجعوا عليـهم وأحاطوا بهم ، ومـنعوهم الماء ، فعـند ذلك ركبوا علـيهم وحاربوهـم ، فانهزموا وقتـل الكثير منهم ، ونجا محو بيك بنفســه فى نحو سبعة أنفار وكـذلك زعيــم أوغلى وشريف أغا ، فنزلوا فـى سفينة وهربوا فغضــب الباشا ، وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيالة ، فحاربهم العرب ، ورجـعوا منهزمين من ناحية البر وتواتر هذا الخبر .

واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٩ (١)

فى ثانيه (٢) ، حضر ميمش أغـا من الديار الحجازية ، وعلى يده فـرمانات خطابا لدبوس أوغلى وآخرين ، يستدعيهم إلى الحضور بعساكرهم ، وكان دبوس أوغلى فى بلده البـرلس ، فتوجه إليه الـطلب ، وكذلك شرع كتخـدا بيك فى استكتـاب عساكر أتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك .

وفى رابعه (٣) ، سافر طـائفة من الـعسكر ، وأرســل كتخدا بـيك بمنع الحـجاج الواردين من بلاد الـروم وغيرهم ، من النزول إلى الســفائن الكائنة بســاحل السويس والقصير ، وبأن يخلوها لأجل نزول العساكر المسافرين ، وبتأخير الحجاج ، وذلك أنه لما وصلت الـبشائر إلى الديـار الرومية بفتـح الحرمين وخلاص مكة وجـدة والطائف والمديـنة ، ووصول ابـن مضيـان والمضايفـى وغيرهـم إلى دار الســلطنـة ، وهروب الوهابيين إلى بلادهم ، فعملوا ولائم وأفراحا وتـهانى ، وكتبت مراسيم سلطانية إلى بلاد الرومنلى والأنضـول بالبشائر بالفتح ، والإذن والترخـيص والإطلاق ، لمن يريد الحـج إلى الحــرمين بالأمـن والأمان ، والرفاهـية والراحة ، فتحركت هـمم مريدى الحج ، لأن لهم سـنين وهم ممتنعون ومتـخوفون عن ورود الحج ، فعند ذلـك أقبلوا أفواجا بـحريمهم وأولادهم ومـتاعهم ، حتـى أنَّ كثيرا من المـتصوفين منـهم باع داره وتعلقـاته وعزم على الحج والمجاورة بـالحرمين بأهله وعيـاله ، ولم يبلغهـم استمرار الحروب ، وما بالحرمين من الغلاء والقحط إلا عند وصولهم إلى ثغر سكندرية ، ولم يتحـققوها إلا بمصر ، فـوقعوا فى حيـرة ما بين مصدق ومـكذب ، فمنهم مـن قصد السفـر ، ولم يرجع عـن عزمه ، وسلـم الأمر لله ، ومنهــم من تأخر بمـصر إلى أن ينكشف له الحال ، وقرروا على كل شخص من المسافرين فى مراكب السويس عشرين فرانسة ، وذلـك خلاف أجرة متاعه ومـا يتزود به فى سفـره ، فإنهم يزنونـه بالميزان

(١) شعبان ١٢٢٩ هـ / ١٩ يوليه - ١٦ أغسطس ١٨١٤ م .   (٢) ٢ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٢٠ يوليه ١٨١٤ م .
(٣) ٤ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٢٢ يوليه ١٨١٤ م .

وعلى كـل أقة قدر معـلوم من الدراهـم ، وأما من يسافـر فى بحر الـنيل علـى جهة القصير فى مراكب الباشا ، فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة إلى ساحل قنا ثلاثون قرشا ، ثم عـليه أجرة حمله من قنا إلى القصيـر ، ثم أجرة بحر القلزم إن وجد سفينـة حاضرة وإلا تأخر ، إما بالقصـير أو السويس ، حتى يتيـسر له النزول ، ويقـاسى ما يـقاسيـه فى مدة انـتظاره ، وخـصوصا فـى الماء وغلـو ثمنـه ورداءته ، ولايسافر شـخص ويتحرك من مـصر إلا بإذن كتخدا بـيك ويعطيه مـرسوما بالإذن ، وبلغنى أنَّ الذين خرجوا من إسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف، خلاف من وصل من بلاد الرومنلى والأنضول وغيرهما، وحضر الكثير من أعيانهم مثل إمام السلطان وغـيره ، فنزل البعض بمنزل عثـمان أغا وكيل دار السعادة سابـقا ، والبعض بمنزل السـيد محمد المحروقـى ، وبيت شيخ الســادات ، ومنهم من استـأجر دورا فى الخانات والوكائل .

وفيه[1] ، حضر قاصـد من باب الدولة وعلـى يده مرسوم ، مضمـونه : « الأمر باسترجاع مـا أخذ من الشريف غالب مـن المال والذخائر إليه » ، وكان الـباشا أرسل إلى الدولة بسـبحتى لؤلؤ عظام من موجـودات الشريف ، فحضر بهما ذلـك القبجى وردهما إلى الشريف غالب ، ثم سافر ذلك القبجى بالأوامر إلى الباشا بالحجاز .

وفى سابـعه [2] ، وصلت هـجانة باسـتعجال العـساكر وتوالـى حضور الهـجانة لخصوص الاستعجال .

وفى يوم السـبت تاسـع عشره [3] ، أنزلـوا الشريـف غالب إلـى بولاق بحـريمه وأولاده وعبـيده ، وكـان قد وصـل إلى مصر أغـا معين بـقصد سـفر المذكـور إلى سلانيك ، فنزل صحبـته إلى بولاق وصالحوه عما أخذ منه من المال وغيـره بخمسمائة كيس ، فأرادوا دفعـها له قروشا فامتنع ، قـائلا : « إنهم أخذوا مالى ذهبـا مشخصا وفرانسة ، فكـيف آخذ بدل ذلك نحاسا لا نفـع بها فى غير مصر » ، فأعـطوه مائتى كيس ذهبا وفرانسة ، وتحول بالباقى وكـيله مكى الخولانى ، ثم زوّدوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشربات وغير ذلك ، ونزل مسافرا إلى المراكب ، صحبة المعين إلى الحجاز مـن نـاحـية القـصير ، وبرز ابن بـاشت طرابلـس وصحبته عـساكر أيضًا إلى نـاحية العادلـية ، وآخر يقال لـه : « قنجه بيـك » ، ومعهم نـحو الألف خيال مـن العرب والمغاربة على طريق البر إلى الحجاز .

---

(1) ٤ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٢٢ يوليه ١٨١٤ م .

(2) ٧ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٢٥ يوليه ١٨١٤ م .

(3) ١٩ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٦ أغسطس ١٨١٤ م .

وفى يوم الخميس رابع عشرينه ، الموافق لسادس شهر مسرى القبطى [1] ، أوفى النيل المبارك أذرعه ، فداروا بالرايات ، ونودى بالوفاء ، وكسروا السد فى صبح يوم الجمعة[2] ، بحضرة كتخدا بيك والقاضى والجم الغفير من العساكر .

وفى أواخره [3] ، وصلت الأخبار بأن الباشا توجه إلى الطائف وأبقى حسن باشا بمكة .

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٩ [4]

فى رابعه [5] ، حضر موسى أغا تفكچى باشا من الديار الحجازية ، وكان فيمن باشر حرابة قنفدة ، ومن جملة من انهزم بها وهلكت جميع عساكره وخدمه ، ورجع إلى مصر وصحبته أربعة أنفار من الخدم .

وفى عاشره [6] ، خرجت العساكر المجردة لسفر الحجاز إلى بركة الحج وهم : مغاربة وعربان ، وارتحلوا يوم الأحد ثانى عشره [7] .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره [8] ، برز دبوس أوغلى خارج باب الفتوح ، ليسافر بعساكره إلى الحجاز ، وكذلك حسن أغا سرششمة ، ونصبوا خيامهم ، واستمروا يخرجون من المدينة ويدخلون غدوا وعشيا ، وهم يأكلون ويشربون جهارا فى نهار رمضان ، ويقولون : « نحن مسافرون ومجاهدون » ، ويمرون بالأسواق ويجلسون على المساطب ، وبأيديهم الأقصاب والشبكات التى يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء ، ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوى فى الضحوة ، فيجدونها مغلوقة ، فيسألون عن القهوجي ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ، ويغلى لهم القهوة ويسقيهم ، فربما هرب القهوجي واختفى منهم ، فيكسرون الباب ، ويعبثون بآلاته وأوانيه ، فما يسعه إلا المجئ وإيقاد النار ، وأشنع من ذلك أنَّه اجتمع بناحية عرضيهم وخيامهم الجم الكثير من النساء الخواطئ والبغايا ، ونصبوا لهم خياما وأخصاصا ، وانضم إليهم بياع البوظة والعرقى والحشاشون والغوازى والرقاصون وأمثال ذلك ، وانحشر معهم الكثير من الفساق وأهل الأهواء والعياق من أولاد البلد ، فكانوا جمعا عظيما يأكلون الحشيش ويشربون المسكرات ، ويزنون

---

(١) ٢٤ شعبان ١٢٢٩ هـ / ١١ أغسطس ١٨١٤ م . (٢) ٢٥ شعبان ١٢٢٩ هـ / ١٢ أغسطس ١٨١٤ م .
(٣) آخر شعبان ١٢٢٩ هـ / ١٦ أغسطس ١٨١٤ م .
(٤) رمضان ١٢٢٩ هـ / ١٧ أغسطس - ١٥ سبتمبر ١٨١٤ م .
(٥) ٤ رمضان ١٢٢٩ هـ / ٢٠ أغسطس ١٨١٤ م . (٦) ١٠ رمضان ١٢٢٩ هـ / ٢٦ أغسطس ١٨١٤ م .
(٧) ١٢ رمضان ١٢٢٩ هـ / ٢٨ أغسطس ١٨١٤ م . (٨) ١٥ رمضان ١٢٢٩ هـ / ٣١ أغسطس ١٨١٤ م .

ويلوطون ، ويشربون الجوزة ، ويلعبون القمار جهارا فى رمضان ولياليه ، مختلطين مع العساكر كأنما سقط عن الجميع التكاليف ، وخلصوا من الحساب ، وسمعت ممن شاهد بعينه محمود بيك المهردار الذى هو أعظم أعيانهم ، وهو المتولى على قياس الأراضى مع المعلم غالى ، وهو جالس فى ديوانهم المخصوص بالقرب من سويقة اللالا ، وهو يشرب فى النارجيلة التنباك ، ويأتونه بالغداء جهارا ، ويقول : « أنا مسافر الشرقية لعمل نظام الأراضى » .

وفى غايته [1] ، وصلت هجانة باستعجال العساكر.

واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٩ [2]

فى ليلته [3] ، قلدوا عبدالله كاشف الدرندلى أميرا على ركب الحجاج .

وفى يوم السبت ثالثه [4] ، خرج دبوس أوغلى فى موكب إلى مخيمه ، وكذلك حسن أغا سرششمة ليسافر إلى الحجاز .

وفى يوم السبت حادى عشره [5] ، نزلوا بكسوة الكعبة بالطبول والزمور إلى المشهد الحسينى واجتمع الناس على عادتهم للفرجة .

وفيه [6] ، انتقل محمود بيك والمعلم غالى إلى بيت حسن أغا نجاتى ، وعملوا ديوانهم فيه ، وأتلفوا الجنينة التى به ، وجلسوا تحت أشجارها ، وربط الأقباط حميرهم فيها ، وشرع محمود بيك فى عمارة الجهة القبلية منه ، وانزوت صاحبة المنزل فى ناحية منه .

وفى سابع عشره [7] ، ارتحل دبوس أوغلى وحسن أغا سرششمة ، ومن معهم من العساكر من منزلتهم متوجهين إلى الديار الحجازية .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه [8] ، رسم كتخدا بيك بنفى طائفة من الفقهاء من ناحية طندتا إلى أبى قير ، بسبب فتيا أفتوها فى حادثة ببلدهم ، وقضى بها قاضيهم ، وأنهيت الدعوى إلى ديوان مصر ، فطلبوا إلى إعادة الدعوى ، فحضروا

---

(١) غاية رمضان ١٢٢٩ هـ / ١٥ سبتمبر ١٨١٤ م .
(٢) شوال ١٢٢٩ هـ / ١٦ سبتمبر - ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .
(٣) ١ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨١٤ م .
(٤) ٣ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٨ سبتمبر ١٨١٤ م .
(٥) ١١ شوال ١٢٢٩ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٨١٤ م .
(٦) ١١ شوال ١٢٢٩ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٨١٤ م .
(٧) ١٧ شوال ١٢٢٩ هـ / ٢ أكتوبر ١٨١٤ م .
(٨) ٢٢ شوال ١٢٢٩ هـ / ٧ أكتوبر ١٨١٤ م .

وترافعوا إلى قاضي العسكر ، وأثبتوا عليهم الخطأ ، فرسم بنفي الشاكي والمفتيين والقاضي رابعهم .

وفي يوم السبت رابع عشرينه [1] ، عملوا موكبا لخروج المحمل ، واستعد الناس للفرجة على عادتهم ، فكان عبارة عن نحو مائة جمل تحمل روايا الماء والقرب ، وعدة من طائفة الدلاة على رؤوسهم طراطير سود قلابق [2] ، وأمير الحاج على شكلهم ، وخلفه أرباب الأشاير ببيارقهم وشراميطهم وطبولهم وزمورهم وجوقاتهم ، وخلفهم المحمل فكان مدة مرورهم مع تقطيعهم وعدم نظامهم نحو ساعتين ، فأين ما كان يعمل من المواكب بمصر التي يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل في الدنيا ، فسبحان مغير الشؤون والأحوال .

وفيه [3] ، خرجت زوجة الباشا الكبيرة وهي أم أولاده ، تريد الحج إلى خارج باب النصر في ثلاثة تختوت ، والمتسفر بها بونابارته الخازندار ، وقد حضر لوداعها ولدها إبراهيم باشا من الصعيد ، وخرج لتشييعها هو وأخوه إسماعيل باشا ، وصحبتهما محرم بيك زوج ابنتها حاكم الجيزة ومصطفى بيك دالي باشا ، ويقال : « إنه أخوها » ، وكذلك محمد بيك الدفتردار زوج ابنتها أيضًا ، وطاهر باشا ، وصالح بيك السلحدار ، وارتحلت ومن معها في سادس عشرينه[4] إلى بندر السويس، وفي ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة وغيرهم ممن تعسكر ، وارتحل أمير الحج من الحصوة إلى البركة .

وفي يوم الثلاثاء [5] ، خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر .

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه [6] ، ارتحل أمير الحج ومن معه من البركة في تاسع ساعة من النهار ، وفي ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة ، واشتد هبوبها أواخر النهار ، وأطبقت السماء بالغيوم والقتام ، وأبرق البرق برقا متتابعا وأرعدت رعدا له دوى متصل ، ولما قرب من سمت رؤوسنا كان له صوت عظيم مزعج ، ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ، ثم سكن بعد أن تبحرت منه الأزقة والطرق ، وكان ذلك اليوم رابع شهر بابه القبطي [7] .

---

(١) ٢٤ شوال ١٢٢٩ هـ / ٩ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٢) قلابق : في التركية « قلبق » و « قلباق » تعني غطاء رأس مدبب أو أسطواني ، دخلت الفارسية بلفظها ومعناها و « قرة قلبق » تعني أصحاب القلابق السود .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٣) ٢٤ شوال ١٢٢٩ هـ / ٩ أكتوبر ١٨١٤ م . (٤) ٢٦ شوال ١٢٢٩ هـ / ١١ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٥) ٢٧ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨١٤ م . (٦) ٢٩ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٧) ٤ بابه ١٥٣٠ ق / ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

وفيه [1] ، ورد الخبر مـن السويس أنّ امرأة البـاشا لما وصلت إلى هـنا ، وجدت عالما كبـيرا من الحجاج المختـلفة الأجناس ممنـوعين من نزول المراكب ، فـصرخوا فى وجهها وشكوا إليهـا تخلفـهم ، وأن أمير البـندر مانعهـم من النزول فـى المراكب ، وبذلك المنع يفوتهم الحج الذى تجشموا الأسفار ، وصرفوا أيضًا الأموال من أجله ، وهـم فى مشـقة عظيمة من عدم الماء ، ولايمـكنهم الرجوع لعدم من يـحملهم ، وأن أمير البـندر يشتط عليـهم فى الأجرة ، ويأخذ عـلى كل رأس خمسة عشـر فرانسا ، فحلفت أنها لاتنزل إلى المركب حتى ينـزل جميع من بالسويس من الحجاج المراكب ، ولايؤخذ منهـم إلا القدر الذى جعلته علـى كل فرد منهم ، فكان ما حـكمت به هذه الحرمة صار لها به منقبة حميدة وذكرا حسنا ، وفرجا لهؤلاء الخلائق بعد الشدة .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٩ [2]

وفى يوم الإثنين [3] ، نادى المنادى بوقود قناديل سهارى على البيوت والوكائل ، وكل أربع دكاكين قنديل .

وفى ثامنه [4] ، جرسوا شخصا وأركـبوه على حمار بالمقلوب ، وهـو قابض بيده على ذنب الحـمار ، وعمموه بمصـارين ذبيحة ، وعلـى كتفه كرش ، بعـد أن حلقوا نصف لحـيته وشواربه ، قـيل : « إن سبب ذلك أنّه زوّر حجـة تقرير علـى أماكن ، تتعلق بامرأة أجنبية ، وباع بعض الأماكـن ، وكانت تلك المرأة غائبة من مصر ، فلما حضرت وجـدت مكـانها مسكونا بالذى اشتراه ، فرفعت قصتـها إلى كتخدا بيك ، ففعل به ذلك بعد وضوح القضية .

وفى ثانى عشره [5] ، سافر عبدالله ابن الشريف سـرور إلى الحجاز باستدعاء من الباشا ، فأعطوه أكياسا وقضى أشغاله وخرج مسافرا .

وفيه [6] ، وقعت حادثة بحـارة الكعكيين [7] بين شخصين من الـدلاتية ، رمحا خلـف غلام بـدوى ، عمل نفسه عسكريـا مع طائفة المغاربة ، يدعـى أحدهما أنّ له عنده دراهـم ، فهرب منهـما إلى الخطة المذكورة ، فرمحا خلفه وبيد كـل منهما سيفه

(١) ٢٩ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٢) ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ١٥ أكتوبر - ١٣ نوفمبر ١٨١٤ م .

(٣) ٣ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ١٧ أكتوبر ١٨١٤ م . (٤) ٨ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٥) ١٢ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٤ م . (٦) ١٢ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٧) حارة الكعكيين : يـعنى شارع الكعكيين الذى يبتـدئ من آخر شارع الغورية على يسار الذاهـب إلى العقادين ، وآخره أول شارع الباطنية ، وطوله (٣١٠ مترا) .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٦٦ .

مسلولا ، فدخل الغلام إلى عطفة الحمام[1] ، وفزعت عليهما المغاربة المتعسكرون القاطنون بتلك الناحية ، وضربوا عليهما بنادق ، فسقط حصان أحد الدلاة وأصيب راكبه ، وهرب رفيقه إلى كتخدا بيك فأخبره ، فأمر بإحضار كبراء المغاربة ، وطالبهم بالضارب ، فلم يتبين أمره ، وقبضوا على الغلام الهارب فحبسوه ، وفى ذلك الوقت حصل فى الناس فزعة وأغلقت أهل سوق الغورية والشوائين والفحامين حوانيتهم ، وبقى ذلك الغلام محبوسا ، ومات الدلاتى المضروب فى ليلة السبت خامس عشره [2] ، فأحضروا ذلك الغلام إلى باب زويلة ، وقطعوا رأسه ظلما ، ولم يكن هو الضارب .

وفى عشرينه [3] ، سافر ابن باشت طرابلس وسافر معه عسكر المغاربة الخيالة .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام ختام سنة ١٢٢٩ [4]

فى أوّله [5] ، ورد نجاب من الحجاز وأخبر بموت طاهر أفندى ، وهو أفندى ديوان الباشا ، وكان موته فى شهر شوّال [6] ، بالمدينة حتف أنفه ، وورد الخبر أيضًا بصلح الشريف راجح مع الباشا وأنّه قابله وأكرمه وأنعم عليه بمائتى كيس ، وأخبر أيضًا بأنه تركه الباشا بناحية الكلخة [7] ، وهى ما بين الطائف وتربة ، وانقضت السنة بحوادثها فى هذه السنة .

وأما من مات فى هذه السنة[8]

فمات ، العمدة الفاضل الفقيه النبيه ، الشيخ حسين المعروف بابن الكاشف الدمياطى ، ويعرف بالرشيدى ، تعلق بالعلم ، وانخلع من الإمرية والجندية ، وحضر أشياخ العصر ، ولازم حضور الشيخ عبدالله الشرقاوى ، وانتقل من مذهب الحنفية إلى الشافعية ، لملازمته لهم فى المعقول والمنقول ، وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات ، وحفظ القرآن فى مبدأ أمره برشيد ، وجوّده على السيد

---

(١) عطفة الحمام : توجد أربع عطف باسم عطفة الحمام ، وأقربها إلى مكان الواقعة ، عطفة الحمام التى من جهة اليمين بشارع درب الجديد .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٤٧ .

(٢) ١٥ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٤ م . (٣) ٢٠ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٤ م .

(٤) ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ١٤ نوفمبر - ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .

(٥) ١ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ١٤ نوفمبر ١٨١٤ م . (٦) شوال ١٢٢٩ هـ / ١٦ سبتمبر - ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٧) ناحية الكلخة : قرية تقع فى وادى كلاخ ، فى إمارة الطائف .

الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢١٩ .

(٨) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢١٥ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

صديق ، وحفظ شيئًا من المتون قبل مجيئه إلى مصر ، وأكب على الاشتغال بالأزهر ، وتزيا بزى الفقهاء ، يلبس العمامة والفرجية ، وتصدر ودرس فى الفقه والمعقول وغيرهما ، ولما وصل محمد باشا خسرو إلى ولاية مصر ، اجتمع عليه عند قلعة أبى قير فجعله إماما يصلى خلفه الأوقات ، وحضر معه إلى مصر ، ولم يزل مواظبا على وظيفته ، وانتفع بنسبته إليه ، واقتنى حصصا وإقطاعات ، وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ، ويأخذ ممن يتولاها الجعالات والهدايا ، وأخذ أيضًا نظر وقف أزبك وغيره ، ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو ، واستمر المذكور على القراءة والإقراء حتى توفى أواخر السنة (١) .

ومات ، الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل ، وهو أخو الشيخ سليمان الجمل ، تفقه على أخيه ولازم دروسه وحضر غيره من أشياخ العصر ، ومشى على طريقة أخيه فى التقشف والانجماع عن خلطة الناس ، ولما مات أخوه - وكان يملى الدروس بجامع المشهد الحسينى بين المغرب والعشاء على جمع من مجاورى الأزهر والعامة - تصدر للإقراء فى محله فى ذلك الوقت ، فقرأ الشمائل والمواهب ، والجلالين ، ولم يزل على حالته حتى توفى ثانى عشر ذى الحجة (٢) .

ومات ، الشيخ المفيد محمد الإسناوى الشهير بجاد المولى ، ممن جاور بالأزهر ، وحضر دروس أشياخ الوقت من أهل عصره ، ولازم الشيخ عبدالله الشرقاوى فى دروسه ، وبه تخرج ، وواظب عليه فى مجالس الذكر ، وتلقى عنه طريقة الخلوتية ، وألبسه التاج ، وتقدم فى خطابة الجمعة والأعياد بالجامع الأزهر ، بدلا عن الشيخ عبد الرحمن البكرى عندما رفعوها عنه ، وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل فى سنة ثلاث وعشرين (٣) ، وتأخر فى الزيادة عن أوانه ، ولما حضر محمد باشا خسرو إلى مصر ، وصلى صلاة الجمعة بالأزهر فى سنة سبع عشرة (٤) ، خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور ، فكان يخرجها من الخزنة ويلبسها وقت خطبة الجمعة والأعياد ، وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين ، كالشيخ خالد ، والأزهرية ، ثم قرأ شرح الأشمونى على الخلاصة ، واشتهر ذكره ، ونما أمره فى أقل زمن ، وكان فصيحا مفوها فى التقرير والإلقاء

---

(١) آخر ١٢٢٩ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .
(٢) ١٢ ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ٢٥ نوفمبر ١٨١٤ م .
(٣) ١٢٢٣ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠٨ - ١٥ فبراير ١٨٠٩ م .
(٤) ١٢٢٧ هـ / ١٦ يناير ١٨١٢ - ٣ يناير ١٨١٣ م .

لتفهيم الطلبة ، ولم يزل على حالة حميدة فى حسن السلوك والطريقة ، حتى توفى فى شهر الحجة [1] ، وقد ناهز الأربعين .

سنة ثلاثين ومائتين وألف[2]

استهل المحرم بيوم الثلاثاء [3] .

فى خامسه [4] ، وصل نجاب من الحجاز وعلى يده مكاتبات بالأخبار عن الباشا والحجاج بأنهم حجوا ووقفوا بعرفة وقضوا المناسك .

وفى تاسعه [5] ، حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية إلى داره بالجمالية .

وفى عاشره يوم الخميس [6] ، وصل فى ليلته قابجى وعلى يده تقرير للباشا من الحجاز إلى ساحل القصير ، فضربوا لذلك مدافع من القلعة .

وفى صبحها [7] ، خرج ابن الباشا وأخوه وكذلك أكابر دولتهم إلى ناحية البساتين ، ومنهم من عدى النيل إلى البر الغربى لملاقاته على مقتضى عادته فى عجلته فى الحضور ، وعلى حساب مضى الأيام من يوم وصوله إلى القصير ، فغابوا فى انتظاره حتى انقضى النهار ثم رجعوا .

وفى صبح اليوم الثانى [8] ، خرجوا ثم عادوا إلى دورهم آخر النهار ، واستمروا على الخروج والرجوع ثلاثة أيام ، ولم يحضر وكثر لغط الناس عند ذلك ، واختلفت رواياتهم ، وأقاويلهم مدة أيام ليلا ونهارا ، ثم ظهر كذب هذا الخبر وأن الباشا لم يزل بأرض الحجاز ، وقيل إن سبب إشاعة خبر مجيئه أنه وصل إلى ساحل القصير سفينة بها سبعة عشر أشخاص من العسكر ، فسألهم الوكيل الكائن بالقصير عن مجيئهم ، فأجابوه أنهم مقدمة الباشا ، وأنه واصل فى أثرهم ، فعندما سمع جوابهم أرسل خطابا إلى كاتب من الأقباط بقنا يعرفه بقدوم الباشا ، فكتب ذلك القبطى خطابا إلى وكيل شخص من أعيان كتبة الأقباط بأسيوط ، يسمى المعلم بشارة ، فعندما وصله الجواب ، أرسل جوابا إلى موكله بشارة المذكورة بمصر بذلك الخبر ، وفى الحال طلع به إلى القلعة ، وأعطاه لإبراهيم باشا ، فانتقل به إبراهيم باشا إلى

(١) ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ١٤ نوفمبر - ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .
(٢) ١٢٣٠ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٤ - ١ ديسمبر ١٨١٥ م .
(٣) ١ محرم ١٢٣٠ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٤م .
(٤) ٥ محرم ١٢٣٠ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨١٤م .
(٥) ٩ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٢ ديسمبر ١٨١٤م .
(٦) ١٠ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨١٤م .
(٧) ١٠ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨١٤م .
(٨) ١١ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٤م .

مجلس كتخدا بيك ، فخلع كتخدا بيك على بشارة خلعة ، وأمر بضرب المدافع ، ونزلت المبشرون ، وانتشروا بالبشائر إلى بيوت الأعيان ، وأخذ البقاشيش ، ولما حصل التراخى والتباطئ والتأخر فى الحضور بعد الإشاعة ، أخذ الناس فى اختلاق الروايات والأقاويل كعادتهم ، فمنهم من يقول إنه حضر مهزوما ، ومنهم من يقول مجروحا ، ومنهم من يثبت موته ، والشيء الذى أوجب فى الناس هذه التخليطات ما شاهدوه من حركات أهل الدولة ، وانتقال نسائهم من المدينة ، وطلوعهم إلى القلعة بمتاعهم ، وإخلاء الكثير منهم البيوت ، وانتقال طائفة الأرنؤد من الدور المتباعدة واجتماعهم وسكناهم بناحية خطة عابدين ، وكذلك انتقل إبراهيم باشا إلى القلعة ، ونقل إليها الكثير من متاعه ، وأغرب من هذا كله إشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية إبراهيم باشا على الأحكام عوضا عن أبيه فى يوم الخميس [1] ، ويرتبوا له موكبا يركب فيه ذلك اليوم ، ويشق من وسط المدينة ، واجتمع الناس للفرجة عليه ، واصطفوا على المساطب والدكاكين ، فلم يحصل وظهر كذب ذلك كله وبطلانه ، واتفق فى أثناء ذلك من زيادة الأوهام والتخيلات ، أنّ رضوان كاشف المعروف بالشعراوى ، سد باب داره التى بالشارع بخط باب الشعرية ، وفتح له بابا صغيرا من داخل العطفة التى بظاهره ، فأوشى بعض مبغضيه إلى كتخدا بيك فعلته فى هذا الوقت ، والناس يزداد بهم الوهم ، ويعتقدون صحة ما دار بينهم من الأكاذيب ، وخصوصا كونه من الأعيان المعروفين فطلبه كتخدا بيك ، وقال له : « لأى شيء سددت باب دارك، وما الذى قاله المنجم لك » ، فقال : « إن طائفة من العسكر تشاجروا بالخطة ، ودخلوا إلى الدار وأزعجونا ، فسددتها من ناحية الشارع ، بعدا من الشر ، وخوفا مما جرى على دارى سابقا من النهب » ، فلم يلتفت لكلامه ، وأمر بقتله فشفع فيه صالح بيك السلحدار وحسن أغا مستحفظان ، فعفا عنه من القتل ، وأمر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصى ، ثم نزل بصحبته الأغا إلى داره وفتح الباب كما كان .

وفى رابع عشرينه [2] ، وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا ، وخلافه ، مؤرخة فى ثالث عشر ذى الحجة [3] ، يذكرون فيها أن الباشا بمكة ، وطوسون باشا ابنه بالمدينة ، وحسن باشا وأخاه عابدين بيك وخلافهم بالكلخة ما بين الطائف وتربة .

---

(١) ١٠ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨١٤م .
(٢) ٢٤ محرم ١٢٣٠ هـ / ٦ يناير ١٨١٤م .
(٣) ١٣ ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٤ م .

واستهل شهر صفر الخير بيوم الخميس سنة ١٢٣٠ (١)

فى خامس عشرينه (٢) ، نودى بنقص مصارف أصناف المعاملة ، وقد وصل صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية إلى ثلثمائة وأربعين نصفا ، عنها ثمانية قروش ونصف ، فنودى عليه بنقص نصف قرش ، والمحبوب وصل إلى عشرة قروش ، فنودى عليه بتسعة قروش ، وشددوا فى هذه المناداة تشديدا زائدا ، وقتل كل من زاد على ذلك من غير معارضة ، وكتبوا مراسيم إلى جميع البنادر ، وفيها التشديد والتهديد والانتقام ممن يزيد .

وفى أواخره (٣) ، التزم المعلم غالى بمال الجزية التى تطلب من النصارى على خمسة وثمانين كيسا ، وسبب ذلك أن بعض أتباع المقيد لقبض الجوالى ، قبض على شخص من النصارى ، وكان من قسوسهم ، وشدد عليه فى الطلب وأهانه ، فأنهوا الأمر إلى المعلم غالى ، ففعل ذلك قصدا لمنع الإيذاء عن أبناء جنسه ، ويكون الطلب منه عليهم ، ومنع المتظاهرين بالإسلام عنهم .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة ١٢٣٠ (٤)

فى تاسعه (٥) ، وصلت قافلة طيارى من الحجاز ، قدم صحبتها السيد عبدالله الأقماعى ، ومعها هجانة من الحجاز ، وعلى يدهم مكاتبات ، وفيها الأخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب ، وأنه استولى على تربة ، وغنم منها جمالا وغنائم ، وأخذ منهم أسرى ، فلما وصلت الأخبار بذلك ، انطلق المبشرون إلى بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ، وضربوا فى صبحها مدافع كثيرة من القلعة .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره (٦) ، كان المولد النبوى ، فنودى فى صبحه بزينة المدينة وبولاق ومصر القديمة ، ووقود القناديل والسهر ثلاثة أيام بلياليها ، فلما أصبح يوم الأربعاء (٧) ، والزينة بحالها إلى بعد أذان العصر ، نودى برفعها ، ففرح أهل الأسواق بإزالتها ورفعها ، لما يحصل لهم من التكاليف والسهر فى البرد والهواء ، خصوصا وقد حصل فى آخر ليلة رياح شديدة باردة .

---

(١) صفر ١٢٣٠ هـ / ١٣ يناير - ١٠ فبراير ١٨١٥ م . (٢) ٢٥ صفر ١٢٣٠ هـ / ٦ فبراير ١٨١٥ م .
(٣) آخر صفر ١٢٣٠ هـ / ١٠ فبراير ١٨١٥ م .
(٤) ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ١١ فبراير - ١٢ مارس ١٨١٥ م .
(٥) ٩ ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ١٩ فبراير ١٨١٥ م . (٦) ١١ ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٥ م .
(٧) ١٢ ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ٢٢ فبراير ١٨١٥ م .

وفى هذه الأيام ، سافر محمود بيك والمعلم غالى ومن يصحبهم من النصارى الأقباط ، وأخذوا معهم طائفة من الكتبة الأفندية المختصين بالروزنامة ومنهم : محمد أفندى ابن حسين أفندى المنفصل عن الروزنامة ، ونزلوا لإعادة قياس الأراضى ، وتحرير الرى والشراقى ، وسبقهم القياسون بالأقصاب ، نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة أيام ، وشرع كشاف النواحى فى قبض الترويجة من المزارعين ، وفرضوا على كل فدان الأدنى تسع ريالات إلى خمسة عشر ، بحسب جودة الأراضى ورداءتها ، وهذا الطلب فى غير وقته ، لأنه لم يحصل حصاد للزرع ، وليس عند الفلاحين ما يقتاتون منه ، ومن العجب أنَّه لم يقع مطر فى هذه السنة أبدًا ، ومضت أيام الشتاء ، ودخل فصل الربيع ، ولم يقع غيث أبدا سوى ما كان يحصل فى بعض الأيام من غيوم ، وأهوية غريبة ينزل مع هبوبها بعض رشاش قليل لاتبتل الأرض منه ، ويجف بالهواء بمجرد نزوله .

وفى أواخره [1] ، ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الإنكليز ، وفيها طيور مختلفة الأجناس والأشكال كبار وصغار ، وفيها من يتكلم ويحاكى ، وآلة مصنوعة لنقل الماء يقال لها الطلمبة ، وهى تنقل الماء إلى المسافة البعيدة، ومن الأسفل إلى العلو، ومرآة زجاج نجف كبيرة قطعة واحدة ، وساعة تضرب مقامات موسيقى فى كل ربع يمضى من الساعة ، بأنغام مطربة وشمعدان به حركة غريبة ، كلما طالت فتيلة الشمعة غمز بحركة لطيفة ، فيخرج منه شخص لطيف من جانبه فيقط رأس الفتيلة بمقص لطيف بيده ، ويعود راجعا إلى داخل الشمعدان ، هذا ما بلغنى ممن ادعى أنه شاهد ذلك .

وفيه [2] ، عملوا تسعيرة على المبيعات والمأكولات مثل : اللحم والسمن والجبن والشمع ، ونادوا بنقص أسعارها نقصانا فاحشا ، وشددوا فى ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق ، وخرم الآناف ، فارتفع السمن والزبد والزيت من الحوانيت ، وأخفوه ، وطفقوا يبيعونه فى العشيات بالسعر الذى يختارونه على الزبون ، وأما السمن فلكثرة طلبه لأهل الدولة شح وجوده ، وإذا ورد منه شىء خطفوه ، وأخذوه من الطريق بالسعر الذى سعره الحاكم ، وانعدم وجوده عند القبانية ، وإذا بيع منه شىء ، بيع سرا بأقصى الثمن ، وأما السكر والصابون فبلغا الغاية فى غلو الثمن ، وقلة الوجود، لأن إبراهيم باشا احتكر السكر بأجمعه الذى يأتى من الصعيد ، وليس بغير الجهة القبلية شىء منه ، فيبيعه على ذمته ، وهو فى الحقيقة لأبيه ، ثم صار نفس الباشا يعطى لأهل المطابخ بالثمن الذى يعينه عليهم ، ويشاركهم فى ربحه ، فزاد غلو

(١) آخر ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ١٢ مارس ١٨١٥ م . (٢) آخر ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ١٢ مارس ١٨١٥ م .

ثمنه علـى الناس ، وبيع الرطل من السكـر الصعيدى الذى كان يباع بخـمسة أنصاف فضة بثمانين نصـفا ، وأما الصابون ففرضوا على تجاره غرامة ، فـامتنع وجوده وبيع الرطـل الواحد منـه خفية بـستين نصـفا وأكثـر ، وفى هذه الأيام غـلا سعر الحنـطة والفول، وبيع الأردب بـألف ومائتى نصف فضة ، خلاف الـكلف والأجرة ، مع أنَّ الأهـراء والشون بـبولاق ملآنة بالغلال ، ويأكلـها السوس ، ولايخرجون منهـا للبيع شيئًا ، حتى قـيل لكتخدا بيك فى إخـراج شىء منها ، يباع فى الـناس ، فلم يأذن ، وكأنه لم يكن مأذونا من مخدومه .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الإثنين سنة ١٢٣٠ (١)

فى ثامنه (٢) ، عمل محرم بـيك الكورنتيلة بالجـيزة على نسق السنـة الماضية من إخراج الناس وإزعاجهم ، تطيرا وخوفا من الطاعون .

وفيه (٣) ، خوزقوا شيخ عرب بلى فيما بين قبة الـعزب والهمايل بعد حبسه أربعة أشهر .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه (٤) ، ضربت مدافع وأشيع الخـبر بوصول شخص عسكرى بمكاتبات من الباشا وخلافه ، والخـبر بقدوم الباشا ، وانتشرت المبشرون إلى بيوت الأعـيان وأصحاب المـظاهر على عـادتهم ، لأخذ البـقاشيش ، فمـن قائل إنَّه وصل إلى الـقصير ، ومن قائـل إنَّه نزل إلى السفـينة بالبـحر ، ومنهم من يـقول إنه حضر إلى السويس ، ثم اختلفت الروايات ، وقالوا : « إنَّ الذى وصل إلى السويس حريم البـاشا فقط » ، ثم تبـين كذب هذه الأقاويل ، وأنهـا مكاتبات فقـط مؤرخة أواخر شهر صفر (٥) ، يذكرون فيها أن الباشا حصل له نصر واستولى على ناحية يقال لها بيشة ، ورينة (٦) ، وقتل الكثير من الوهابيين ، وأنه عازم على الذهاب إلى ناحية قنفدة ، ثم ينزل بـعد ذلك إلى البحر ، ويأتى إلى مصر ، ووصل الخـبر بوفاة الشيخ إبراهيم كاتب الصرة .

---

(١) ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ١٣ مارس - ١٠ أبريل ١٨١٥ م .

(٢) ٨ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ٢٠ مارس ١٨١٥ م . (٣) ٨ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ٢٠ مارس ١٨١٥ م .

(٤) ٢٨ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ٩ أبريل ١٨١٥ م . (٥) آخر صفر ١٢٣٠ هـ / ١٠ فبراير ١٨١٥ م .

(٦) بيشة ورينة : بيشة مدينة معروفة ، يتبعهـا عدد من القرى فى إمارة عسير ، ورينة بلدة ذات إمارة فى إمارة مكة المكرمة .

الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ ، جـ ٢ ، ص ٦٥٢ .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠ (١)

فى سادسه يوم الأحد (٢) ، ضربت مدافع بعد الظهيرة ، لورود مكاتبة بأن الباشا استولى على ناحية من النواحى جهة قنفدة .

وفى يوم الجمعة ثامن عشره (٣) ، وصل المحمل إلى بركة الحج وصحبته من بقى من رجال الركب مثل : خطيب الجبل ، والصيرفى ، والمحملجية ، ووردت مكاتبات بالقبض على طامى الذى جرى منه ما جرى فى وقائع قنفدة السابقة ، وقتله العساكر ، فلم يزل راجح الذى اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده ، وذلك أنَّه عمل لابن أخيه مبلغا من المال إن هو أوقعه فى شركه ، فعمل له وليمة ودعاه إلى محله فأتاه آمنا ، فقبض عليه ، واغتاله طمعا فى المال ، وأتوا به إلى عرضى الباشا ، فوجهه إلى بندر جدة فى الحال ، وأنزلوه السفينة ، وحضروا به إلى السويس ، وعجلوا بحضوره ، فلما وصل إلى البركة ، والمحمل إذ ذاك بها خرجت جميع العساكر فى ليلة الإثنين حادى عشرينه (٤) ، وانجروا فى صبحها طوائف وخلفهم المحمل ، وبعد مرورهم دخلوا بطامى المذكور وهو راكب على هجين وفى رقبته الحديد ، والجنزير مربوط فى عنق الهجين ، وصورته رجل شهم عظيم اللحية ، وهو لابس عباءة عبدانى ، ويقرأ وهو راكب ، وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضر أيضًا عابدين بيك وتوجه إلى داره فى ليلة الإثنين (٥) .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٣٠ (٦)

فى خامسه (٧) ، وصلت عساكر فى داوات إلى السويس ، وحضروا إلى مصر وعلى رؤوسهم شلنجات فضة ، إعلاما وإشارة بأنهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار ، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين ، وطردوا المخالفين لديانتهم حتى أن طوسون باشا وحسن باشا كتبا فى امضائهما على المراسلات بعد اسمهما لفظة المغازى ، والله أعلم بخلقه .

---

(١) جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١١ أبريل - ١٠ مايو ١٨١٥ م .
(٢) ٦ جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١٦ أبريل ١٨١٥ م .
(٣) ١٨ جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ٢٨ أبريل ١٨١٥ م .
(٤) ٢١ جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١ مايو ١٨١٥ م .
(٥) ٢١ جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١ مايو ١٨١٥ م .
(٦) جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ / ١١ مايو - ٨ يونيه ١٨١٥ م .
(٧) ٥ جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ / ١٥ مايو ١٨١٥ م .

وفى تاسعه [1] ، أخرجوا عساكر كثيرة ، وجهوهم إلى الثغور ، ومحافظة الأساكل خوفا من طارق يطرق الثغور ، لأنه أشيع أن بونابارته كبير الفرنساوية خرج من الجزيرة التى كان بها ، ورجع إلى فرانسا وملكها ، وأغار على بلاد الجورنه ، وخرج بعمارة كبيرة ، لايعلم قصده إلى أى جهة يريد ، فربما طرق ثغر الإسكندرية أو دمياط على حين غفلة ، وقيل غير ذلك ، وسئل كتخدا بيك عن سبب خروجهم ، فقال : « خوفا عليهم من الطاعون ، ولئلا يوخموا المدينة ، لأنه وقع فى هذه السنة موتان بالطاعون ، وهلك الكثير من العسكر وأهل البلدة ، والأطفال والجوارى والعبيد ، خصوصا السودان ، فإنه لم يبق منهم إلا القليل النادر وخلت منهم الدور » .

وفى منتصفه [2] ، أخرج كتخدا بيك صدقة تفرق على الأولاد الأيتام الذين يقرءون بالكتاتيب ويدعون برفع الطاعون ، فكانوا يجمعونهم ، ويأتى بهم فقهاؤهم إلى بيت حسين كتخدا الكتخدا عند حيضان مصلى ، ويدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفا فضة ، يأخذ منها جزءًا الذى يجمع الطائفة منهم ، ويدعى أنه معلمهم زيادة عن حصته ، لأن معظم المكاتب مغلوقة ، وليس بها أحد بسبب تعطيل الأوقاف ، وقطع إيرادهم ، وصار لهذه الأطفال جلبة وغوغاء فى ذهابهم ورجوعهم فى الأسواق ، وعلى بيت الذى يقسم عليهم .

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠ [3]

فى سادسه يوم الأربعاء [4] ، وصلت هجانة من ناحية قبلى ، وأخبروا بوصول الباشا إلى القصير ، فخلع عليهم كتخدا بيك كساوى ، ولم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر .

وفى ليلة الجمعة ثامنه [5] ، احترق بيت طاهر باشا بالأزبكية والبيت الذى بجواره أيضًا .

وفى يوم الجمعة [6] المذكور ، وقبل العصر ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة ، وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا إلى قنا وقوص ، ووصل أيضًا حريم الباشا ، وطلعوا إلى قصر شبرا ، وركب للسلام عليها جميع نساء الأكابر والأعيان

(١) ٩ جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ / ١٩ مايو ١٨١٥ م . (٢) ١٥ جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ / ٢٥ مايو ١٨١٥ م .
(٣) رجب ١٢٣٠ هـ / ٩ يونيه - ٨ يوليه ١٨١٥ م . (٤) ٦ رجب ١٢٣٠ هـ / ١٤ يونيه ١٨١٥ م .
(٥) ٨ رجب ١٢٣٠ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٥ م . (٦) ٨ رجب ١٢٣٠ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٥ م .

بهداياهم وتقادمهم ، ومنعوا المارين مـن المسافرين والفلاحين الواصلين من الأرياف ، المرور من تحت القصر الـذى هو الطريق المعتادة للمسافرين ، فـكانوا يذهبون ويمرون من طريق استحدثوها منعطفة خلف تلك الطريق ، ومستبعدة بمسافة طويلة .

وفـى ليـلة الخميس رابـع عشره [1] ، انخسف جرم الـقمر جميعه بعـد الساعة الثالثة ، وكان فى آخر برج القوس .

وفى ليلة الجمعة خامس عشره [2] ، وصل الباشا إلى الجيزة ليلا ، فأقام بها إلى آخر الليل ، ثم حضر إلى داره بالأزبكية ، فـأقام بها يومين ، وحضر كتخدا بيك ، وأكابر دولته للسلام عليه ، فلم يأذن لأحد ، وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا ، ولم يجتمع بـه أحد سوى ثانى يوم [3] ، وترادفت عليه التقـادم والهدايا من كل نوع من أكابر الدولـة والنصارى بأجناسهـم خصوصا الأرمن ، وخلافهم بـكل صنف من التحف حتى السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك ، وأشيع فى الناس فى المصر وفـى القـرى بـأنه تاب عن الظلم ، وعزم على إقامة العدل ، وأنه نذر على نفسه أنه إذا رجـع منصـورا ، واستولى على أرض الحجاز أفرج للنـاس عن حصصهم ، ورد الأرزاق الأحباسـية إلى أهلهـا ، وزادوا على هذه الإشاعـة أنه فعل ذلك فـى البلاد القبلية ، وردّ كل شىء إلى أصله ، وتناقلوا ذلك فـى جميع النواحى وباتوا يتخيلونه فى أحلامهم ، ولما مضى من وقت حضوره ثلاثة أيام ، كتبوا أوراقا لمشاهير الملتزمين مضمونها : « أنه بلغ حـضرة أفندينا ما فعله الأقباط من ظلم الملـتزمين والجور عليهم فى فائظـهم ، فلم يرض بذلك ، والحال أنـكم تحضرون بعد أربعة أيـام ، وتحاسبوا علـى فائظكـم وتقبضـونه ، فإن أفنـدينا لايـرضى بالظـلم ، وعلى الأوراق إمـضاء الدفتردار » ، ففرح أكثر المغفلين بهـذا الكلام ، واعتقدوا صحته ، وأشاعوا أيضًا أنه نصب تجاه قصر شبرا خوازيق للمعلم غالى وأكابر القبط .

وفى رابع عشرينه [4] ، حضر الكثير من أصحاب الأرزاق الكائنين بالقرى والبلاد مشايـخ وأشرافا وفلاحـين ، ومعهم بـيارق وأعلام مسـتبشريـن وفرحين بما سـمعوه وأشاعوه ، وذهبـوا إلى الباشا وهو يعـمل رماحة بناحيـة القبة ، برمى بنـادق كثيرة وميدان تـعليم ، فلمـا رآهم وأخبروه عن سبـب مجيئهـم ، فأمر بضربهـم وطردهم ففعلوا بهم ذلك ورجعوا خائبين .

---

(١) ١٤ رجب ١٢٣٠ هـ / ٢٢ يونيه ١٨١٥ م .
(٢) ١٥ رجب ١٢٣٠ هـ / ٢٣ يونيه ١٨١٥ م .
(٣) ١٦ رجب ١٢٣٠ هـ / ٢٤ يونيه ١٨١٥ م .
(٤) ٢٤ رجب ١٢٣٠ هـ / ١ يوليه ١٨١٥ م .

وفيه [1] ، حضر محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما ، وقابلا الباشا وخلع عليهما وكساهما وألبسهما فراوى سمور ، فركب المعلم غالى وعليه الخلعة ، وشق من وسط المدينة ، وخلفه عدة كثيرة من الأقباط ليراه الناس ، ويكمد الأعداء ، ويبطل ما قيل من التقولات ، ثم قام هو ومحمود بيك أياما قليلة ، ورجعا لأشغالهما وتتميم أفعالهما من تحرير القياس وجبى الأموال ، وكانا أرسلا قبل حضورهما عدة كثيرة من الجمال الحاملة للأموال فى كل يوم ، قطارات بعضها إثر بعض من الشرقية ، والغربية ، والمنوفية وباقى الأقاليم .

وفيه [2] ، حضر شيخ طرهونة [3] بجهة قبلى ، ويسمى كُرَيّم ، بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء ، وسكون الميم ، وكان عاصيا على الباشا ، ولم يقابله أبدا ، فلم يزل يحتال عليه إبراهيم باشا ويصالحه ويمنيه حتى أتى إليه وقابله وأمنه ، فلما حضر الباشا أبوه من الحجاز أتاه على أمان ابنه ، وقدّم معه هدية وأربعين من الإبل ، فقبل هديته ، ثم أمر برمى عنقه بالرميلة .

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٠ [4]

والناس فى أمر مريج من قطع أرزاقهم وأرباب الالتزامات والحصص التى ضبطها الباشا ، ورفع أيديهم عن التصرف فى شىء منها خلا طين الأوسية ، فإنه سامحهم فيه ، سوى ما زاد عن الروك الذى قاسوه ، فإنه لديوانه ووعدهم بصرف المال الحر المعين بالسند الديوانى فقط ، بعد التحرير والمحاققة ومناقضة الكتبة الأقباط فى القوائم ، وأقاموا منتظرين إنجاز وعده أياما يغدون ويروحون ، ويسألون الكتبة ومن له وصلة بهم ، وقد ضاق خناقهم من التفليس وقطع الإيراد ، ورضوا بالأقل وتشوفوا لحصوله ، وكل قليل يوعدون بعد أربعة أيام وثلاثة أيام حتى تحرر الدفاتر ، فإذا تحررت قيل : « إن الباشا أمر بتغييرها ، وتحريرها على نسق آخر » ، ويكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت المتحصل فى السنين ، وما يتوفر فى الخزينة قليلا أو كثيرا .

(١) ٢٤ رجب ١٢٣٠ هـ / ١ يوليه ١٨١٥ م .   (٢) ٢٤ رجب ١٢٣٠ هـ / ١ يوليه ١٨١٥ م .

(٣) عرب طرهونة : عرب ينتمون إلى قبيلة أبو كرايم ، كانوا يستقرون بمصر الوسطى ، ويسكنون الخيام فوق أرضهم .

أ. جومار : العرب والعربان فى مصر الوسطى ، فى ، العرب فى ريف مصر وصحراواتها ، وصف مصر ، جـ ٢ ، ترجمة : زهير الشايب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٤) شعبان ١٢٣٠ هـ / ٩ يوليه - ٦ أغسطس ١٨١٥ م .

وفيه [1] ، وصل رجل تركى علـى طريق دمياط ، يزعم أنه عاش من الـعمر زمنا طويلا ، وأنه أدرك أوائل القرن العاشر [2] ، ويذكر أنه حضر إلى مـصر مع السلطان سليم ، وأدرك وقته وواقعته مع السلطان الغورى ، وكان فى ذلك الوقت تابعا لبعض البيرقدارية وشاع ذكره ، وحكى من رآه أن ذاته تـخالف دعواه ، وامتحنه البعض فى مذاكرة الأخبار والوقائع ، فحصل منه تخليـط ، ثم أمر الباشا بنفيه وإبعاده ، فأنزلوه فى مركب وغاب خبره ، فيقال : « إنهم أغرقوه » ، والله أعلم .

وفى خامس عشرينه [3] ، عملوا الديـوان ببيت الدفتردار ، وفتـحوا باب صرف الفائظ عـلى أرباب حصص الالتزام ، فـجعلوا يعطون منـه جانبا ، وأكثر ما يـعطونه نصف القدر الذى قرروه وأقل وأزيد قليلاً .

وفيه [4] ، أمر الباشا لجميـع العساكر بالخروج إلى الميدان لعمل التـعليم والرماحة خارج باب النصـر حيث قبة العزب ، فخـرجوا من ثلث الليل الأخـير ، وأخذوا فى الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعـة مثل الرعود على طريقة الإفرنج ، وذلك من قبيل الفجر إلى الـضحوة ، ولما انقضى ذلك رجعوا داخـلين إلى المدينة فى كبكبـة عظيمة حتى زحموا الطرق بخيولهم من كل ناحية ، وداسوا أشخاصا من الناس بخيولهم بل وحميرا أيـضًا ، وأشيع أنَّ الباشـا قصـده إحصـاء العسكر وتـرتيبهم علـى النظام الجديد وأوضـاع الإفـرنج ، ويلبسهم الملابس المـقمطة ، ويغير شكـلهم ، وركب فى ثانى يوم [5] ، إلى بولاق ، وجمع عساكـر ابنه إسماعيل باشا وصنفهـم على الطريقة المعروفة بالنظام الجـديد ، وعرفهم قصده فعل ذلك بجميع الـعساكر ، ومن أبى ذلك قابله بالـضرب والطرد والنفى بعد سـلبه حتى من ثيابه ، ثـم ركب من بولاق وذهب إلى شبرا ، وحصل فـى العسكر قلقلة ولغط ، وتـناجوا فيما بينهم ، وتـفرق الكثير منهم عن مخـاديمهم وأكابرهم ، ووافقهم علـى النفور بعض أعيانهم ، واتـفقوا على غدر الباشا ، ثم إن الباشا ركب من قصر شبرا وحـضر إلى بيت الأزبكية ليلة الجمعة ثامن عشرينه[6] ، وقد اجتمع عند عابدين بيك بـداره جماعة من أكابرهم فى وليمة ، وفيهم حجو بيك وعبدالله أغا صارى جلة ، وحـسن أغا الأرزنجلى ، فتفاوضوا بينهم أمر الباشـا ، وما هو شارع فيه ، واتـفقوا على الهجـوم عليه فى داره بالأزبـكية فى الفجرية ، ثم إن عابديـن بيك غافلهم وتركهم فى أنسهم ، وخرج مـتنكرا مسرعا إلى

(1) ١ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٩ يوليه ١٨١٥ م . (2) أول القرن العاشر الهجرى / ٢١ سبتمبر ١٤٩٥ م .
(3) ٢٥ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٢ اغسطس ١٨١٥ م . (4) ٢٥ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٢ اغسطس ١٨١٥ م .
(5) ٢٦ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٣ اغسطس ١٨١٥ م . (6) ٢٨ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٣ اغسطس ١٨١٥ م .

الباشا وأخبره ، ورجع إلى أصحابه فأسرع الباشا فى الحال الركوب فى سادس ساعة من الليل ، وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه ، وحوط المنزل بالعساكر ، ثم أخلف الطريق، وذهب على ناحية الناصرية ، ومرمى النشاب ، وصعد إلى القلعة ، وتبعه من يثق به من العساكر ، وانخرم أمر المتوافقين ، ولم يسعهم الرجوع عن عزيمتهم ، فساروا إلى بيت الباشا يريدون نهبه ، فمانعهم المرابطون ، وتضاربوا بالرصاص والبنادق ، وقتل بينهم أشخاص ، ولم ينالوا غرضا ، فساروا على ناحية القلعة ، واجتمعوا بالرميلة وقراميدان ، وتحيروا فى أمرهم واشتد غيظهم ، وعلموا أن وقوفهم بالرميلة لايجدى شيئًا وقد أظهروا المخاصمة ، ولا ثمرة تعود عليهم فى رجوعهم ، وسكونهم بل ينكسف بالهم ، وتنذل أنفسهم ، ويلحقهم اللوم من أقرانهم الذين لم ينضموا إليهم ، فاجمع رأيهم لسوء طباعهم وخبث عقيدتهم وطرائقهم ، أنّهم يتفرقون فى شوارع المدينة ، وينهبون متاع الرعية وأموالهم ، فإذا فعلوا ذلك فيكثر جمعهم وتقوى شوكتهم ، ويشاركهم المتخلفون عنهم لرغبة الجميع فى القبائح الذميمة ، ويعودون بالغنيمة ، ويحوصلون من الحواصل ، ولايضيع سعيهم فى الباطل ، كما يقال فى المثل ما قدر على ضرب الحمار فضرب البرذعة ، ونزلوا على وسط قصبة المدينة على الصليبية على السروجية ، وهم يكسرون ويهشمون أبواب الحوانيت المغلوقة ، وينهبون ما فيها لأن الناس لما تسامعوا بالحركة أغلقوا حوانيتهم وأبوابهم ، وتركوا أسبابهم طلبا للسلامة ، وعندما شاهد باقيهم ذلك أسرعوا اللحوق وبادروا معهم للنهب والخطف ، بل وشاركهم الكثير من الشطار والزعر والعامة المقلين والجياع ، ومن لادين له ، وعند ذلك كثر جمعهم ، ومضوا على طريقهم إلى قصبة رضوان إلى داخل باب زويلة ، وكسروا حوانيت السكرية وأخذوا ما وجدوه من الدراهم ، وما أحبوه من أصناف السكر ، فجعلوا يأكلون ويحملون ويبددون الذى لم يأخذوه ، ويلقونه تحت الأرجل فى الطريق ، وكسروا أوانى الحلوا وقدور المربيات وفيها ما هو من الصينى والبياغورى والإفرنجى ، ومجامع الأشربة وأقراص الحلوا الملونة والرشال والملبس والفانيد والحماض والبنفسج، وبعد أن يأكلوا ويحملوا هم وأتباعهم ومن انضاف لهم من الأوباش البلدية والحرافيش والجعيدية ، يلقون ما فضل عنهم على قارعة الطريق بحيث صار السوق من حد باب زويلة إلى المناخلية مع اتساعه وطوله ، مرسوما ومنقوشا بألوان السكاكر وأقراص الأشربة الملوّنة ، وأعسال المربيات سائلة على الأرض ، وكان أهل السوق المتسببون جددوا وطبخوا أنواع المربيات والأشربة عند وفور الفواكه وكثرتها فى هوانها ، وهو هذا الشهر [1] المبارك مثل الخوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع المسير

(١) شعبان ١٢٣٠ هـ / ٩ يوليه - ٦ أغسطس ١٨١٥ م .

والحصرم والسفرجل ، وملؤا الأوعية وصففوها فى حوانيتهم للمبيع ، وخصوصا على موسم شهر رمضان [1] ، ومضوا فى سيرهم إلى العقادين الرومى والغورية والأشرفية وسوق الصاغة ، ووصلت طائفة إلى سوق مرجوش ، فكسروا أبواب الحوانيت والوكائل والخانات ، ونهبوا ما فى حواصل التجار من الأقمشة المحلاوى والبز والحرير والزردخان ، ولما وصلت طائفة إلى رأس خان الخليلى ، وأرادوا العبور والنهب فزعت فيهم الأتراك والأرنؤد الذين يتعاطون التجارة الساكنون بخان اللبن والنحاس وغيرهما ، وضربوا عليهم بالرصاص ، وكذلك من سوق الصرماتية والأتراك الخردجية الساكنون بالرباع بباب الزهومة ، جعلوا يرمون عليهم من الطيقان بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم ، وكذلك تعصبت طائفة المغاربة الكائنون بالفحامين وحارة الكعكيين رموا عليهم بالرصاص ، وطردوهم عن تلك الناحية ، وأغلقوا البوّابات التى على رؤوس العطف ، وجلس عند كل درب أناس ، ومن فوقهم أناس من أهل الخطة بالرصاص تمنع الواصل إليهم ، ووصلت طائفة إلى خان الحمزاوى ، فعالجوا فى بابه حتى كسروا الخوخة التى فى الباب ، وعبروا الخان وكسروا حواصل التجار من نصارى الشوام وغيرهم ، ونهبوا ما وجدوه من النقود ، وأنواع الأقمشة الهندية والشامية والمقصبات وبالات الجوخ والقطيفة والأصطوفة وأنواع الأطلس ، والألاجات والسلاوى والجنفس والصندل والحبر ، وأنواع الشيت ، والحرير الخام والإبريسم وغير ذلك ، وتبعهم الخدم والعامة فى النهب ، وأخرجوا ما فى الدكاكين والحواصل من أنواع الأقمشة ، وأخذوا ما أعجبهم واختاروه وانتقوه ، وتركوا ما تركوه ، ولم يقدروا على حمله مطروحا على الأرض ودهليز الخان ، وخارج السوق يطؤون عليه بالأرجل والنعالات ، ويعدو القوى على الضعيف ، فيأخذ ما معه من الأشياء الثمينة ، وقتل بعضهم البعض ، وكسروا أبواب الدكاكين التى خارج الخان بالخطة ، وأخرجوا ما فيها من التحف والأوانى الصينى والزجاج المذهب ، والكاسات البلور ، والصحون والأطباق والفناجين البيشة وأنواع الخردة ، وأخذوا ما أعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم ، وهشموا البواقى وكسروه ، وألقوه على الأرض تحت الأرجل شقافا متنوعة ، وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين ، وما به من حوانيت العطارين ، وطرحوا أنواع الأشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالأرجل أيضًا ، وفعلوا ما لاخير فيه من نهب أموال الناس والإتلاف ، ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والكرانك ، وغلق البوّابات لكان الواقع أفظع من ذلك ، ولنهبوا

---

(1) رمضان ١٢٣٠ هـ / ٦ أغسطس - ٥ سبتمبر ١٨١٥ م .

أيضًا البيوت ، وفجروا بالنساء والعياذ بالله ، ولكن الله سلم ، وشاركهم فى فعلهم الكثير من الأوباش والمغاربة المدافعين أيضًا ، فإنهم أخذوا أشياء كثيرة ، وكانوا يقبضون على من يمر بهم ممن يقدرون عليه من النهابين ، ويأخذون ما معهم لأنفسهم ، وإذا هشمت العساكر حانوتا وخطفوا منها شيئًا ، ولحقهم من يطردهم عنها ، استأصل اللاحقون ما فيها ، واستباح الناس أموال بعضهم البعض ، وكان هذا الحادث الذى لم نسمع بنظيره فى دولة من الدول فى ظرف خمس ساعات ، وذلك من قبيل صلاة الجمعة [1] إلى قبيل العصر ، حصل للناس فى هذه المدة اليسيرة من الانزعاج والخوف الشديد ، ونهب الأموال وإتلاف الأسباب والبضائع ما لايوصف ، ولم تصل الجمعة فى ذلك اليوم ، وأغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة ، وأخذ الناس حذرهم ولبسوا أسلحتهم ، وأغلقوا البوّابات ، وقعدوا على الكرانك والمرابط والمتاريس ، وسهروا الليالى ، وأقاموا على التحذر والتحفظ والتخوّف أياما وليالى .

وفى يوم السبت تاسع عشرينه [2] ، الموافق لآخر يوم من شهر أبيب القبطى ، أوفى النيل المبارك أذرعه ، وكان ذلك اليوم أيضًا ليلة رؤية هلال رمضان ، فصادف حصول الموسمين فى آن واحد ، فلم يعمل فيها موسم ولاشنك على العادة ، ولم يركب المحتسب ولا أرباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم ، وكذلك شنك قطع الخليج ، وما كان يعمل فى ليلته من المهرجان فى النيل وسواحله ، وعند السد ، وكذلك فى صبحه ، وفى البيوت المطلة على الخليج ، فبطل ذلك جميعه ، ولم يشعر بهما أحد وصام الناس باجتهادهم ، وكان وفاء النيل فى هذه السنة من النوادر ، فإن النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الأيام التى مضت من شهر أبيب إلا شيئًا يسيرا حتى حصل فى الناس وهم زائد ، وغلا سعر الغلة ورفعوها من السواحل والعرصات ، فأفاض المولى فى النيل ، واندفعت فيه الزيادة العظيمة ، وفى ليلتين أوفى أذرعه قبل مظنته ، فإن الوفاء لايقع فى الغالب إلا فى شهر مسرى [3] ، ولم يحصل فى أواخر أبيب [4] إلا فى النادر ، وإنى لم أدركه فى سنين عمرى أوفى فى أبيب إلا مرة واحدة ، وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف[5] ، فتكون المدة بين تلك وهذه المدة سبعا وأربعين سنة .

---

(١) ٢٨ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٥ اغسطس ١٨١٥ م . (٢) ٢٩ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٦ اغسطس ١٨١٥ م .
(٣) مسرى ١٥٣٠ ق / ٦ اغسطس - ٥ سبتمبر ١٨١٥ م .
(٤) آخر أبيب ٥٣٠ ق / ٥ اغسطس ١٨١٥ م . (٥) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ ابريل ١٧٧٠ م .

وفيه [1] ، أرسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقى ، فطلع إليه وصحبته عدة من عسكر المغاربة لخفارته ، فلما واجهه ، قال له : « هذا الذى حصل للناس من نهب أموالهم فى صحائفى والقصد أنكم تتقدمون لأرباب المنهوبات ، وتجمعونهم بديوان خاص طائفة بعد أخرى ، وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضاع له على وجه التحرير والصحة ، وأنا أقوم لهم بدفعه بالغا ما بلغ » ، فشكر له ودعا له ، ونزل إلى داره وعرف الناس بذلك ، وشاع بينهم ، فحصل لأربابه بعض الاطمئنان ، وطلع إلى الباشا كبار العسكر مثل عابدين بيك ، ودبوس أوغلى ، وحجو بيك ، ومحو بيك ، واعتذروا وتنصلوا ، وذكروا وأقروا أن هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر ، وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ، ولايخفاه خبث طباعهم ، فتقدم إليهم بأن يتفقدوا بالفحص وإحصاء ما حازه وأخذه كل من طوائفهم وعساكرهم ، وشدد عليهم فى الأمر بذلك ، فأجابوه بالسمع والطاعة ، وامتثلوا لأمره ، وأخذوا فى جمع ما يمكنهم ، وإرساله إلى القلعة ، وركبوا وشقوا بشوارع المدينة وأمامهم المناداة بالأمان ، وأحضر الباشا المعمار ، وأمره بجمع النجارين والمعمرين وأشغالهم فى تعمير ما تكسر من أخشاب الدكاكين والأسواق ، ويدفع لهم أجرتهم ، وكذلك الأخشاب على طرف الميرى .

واستهل شهر رمضان بيوم الإثنين سنة ١٢٣٠ [2]

والناس فى أمر مريج وتخوّف شديد ، وملازمون للسهر على الكرانك ، ويتحاشون المشى والذهاب والمجئ ، وكل أهل خطة ملازم لخطته وحارته ، وكل وقت يذكرون وينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع مزعجات ، وتطاولت أيدى العساكر بالتعدى والأذية والفتك والقتل لمن ينفردون به من الرعية .

وفى ثانى ليلة [3] ، طلع السيد محمد المحروقى ، وطلع صحبته الشيخ محمد الدواخلى نقيب الأشراف ، وابن الشيخ العروسى ، وابن الصاوى ، المتعينون فى مشيخة الوقت ، وصحبتهم شيخ الغورية وطائفته ، وقد ابتدؤا بهم فى إملاء ما نهب لهم من حوانيتهم ، بعدما حرروها عند السيد محمد المحروقى ، وتحليفهم بعد الإملاء على صدق دعواهم، وبعد التحليف والمحاققة يتجاوز عن بعضه لحضر الباشا،

---

(١) ٢٩ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٦ أغسطس ١٨١٥ م .

(٢) رمضان ١٢٣٠ هـ / ٧ أغسطس - ٥ سبتمبر ١٨١٥ م .

(٣) ٢ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٨ أغسطس ١٨١٥ م .

ثم يثبتون لـه الباقى ، فاستقر لأهل الغـورية خاصة مائة وثمانون كيـسا ، فدفع لهم ثلثيها وأخر لهم الثلث وهو ستون كيسا ، يستوفونها فيما بعد ، إما من عروضهم إن ظهر لـهم منها شـىء أو من الخزينة ، ولازم الجـماعة الطلـوع والنزول فى كل لـيلة لتحرير بـواقى المنهـوبات ، وأيضًا اسـتقر لأهل خان الحمزاوى نحـو من ثلاثة آلاف كيس كذلك ، ولطائفة الـسكرية نحو من سبعين كيسا خصمت لـهم من ثمن السكر الذى يبتاعونه من الباشا ، واستمر الباشـا بالقلعة يدبر أموره ، ويجذب قلوب الناس من الرعـية وأكابر دولتـه بما يفعلـه من بذل المال ، ورد المنـهوبات حتى تـرك الناس يسخطـون على العسكر ويـترضـون عنه ، ولو لـم يفعل ذلك وثارت العـساكر هذه الثورة ، ولم يـقع منهم نهب ولاتعـد لساعدتهم الرعـية ، واجتمعت عليـهم أهالى القرى وأرباب الإقطاعات لشدة نكايتهم من الباشا بضبط الرزق والإلتزامات ، وقياس الأراضى وقطع المـعايش ، وذلك من سوء تدبيـر العسكر وسعادة البـاشا ، وحسن سياسته باستجلابه الخواطر وتملقه بالكلام اللين والتصنع ، ويلوم على فعل العسكر ، ويقول بمسمع الحاضرين : « ما ذنب الناس معهم ، خصوصا خصامهم معى ، أو مع الرعية ها أنـا لى منزل بالأزبكـية فيـه أمـوال وجواهر وأمتعة وأشياء كـثيرة ، وسراية ابنى إسماعـيل باشا ببولاق ، ومنزل الدفـتردار ونحو ذلك » ، ويتحسبـل ويتحوقل ويعمل فكرته ويدبر أمره فى أمر العسكر وعظائمهم ، وينعم عليهم ويعطيهم الأموال الكثيرة والأكياس العديدة لأنفسهم وعساكرهم ، وتـتنبذ طائفة منهـم ، ويقـولون : « نحن لم ننهب ، ولـم يحصل لنا كسب » ، فيعطيهم ويفرق فيهم المقادير العظيمة ، فأنعم على عابدين بيك بألف كيس ، ولغيره دون ذلك .

وفى أثناء ذلك ، أخرج جـردة من عسكر الدلاة ليسافروا إلـى الديار الحجازية ، فبرزوا إلـى خارج باب الفـتوح حيث المـكان المسمى بـالشيخ قـمر ، ونصبـوا هناك وطاقهم وخرجت أحمالهم وأثقالهم .

وفى لـيلة الخمـيس [1] ، ثارت طـائفة الـطبجيـة وخاضوا وضـجوا وهم نـحو الأربعمائة ، وطلبوا نفـقة فأمر لهم بخمسة وعشرين كيسا ، ففـرقت فيهم فسكتوا ، وفى يوم الخميس المذكور [2] ، نزل كتخـدا بيك وشق من وسط المدينـة ، ونزل عند جامع الغورية ، وجلس فيه ، ورسم لأهل السوق بفتح حوانيتهم ، وأن يجلسوا فيها فامتـثلوا ، وفتحـوا الحـوانيـت وجلسوا علـى تخوف ، كل ذلك مع عـدم الراحة والهدوّ ، وتـوقع المكروه والـتطير من الـعسكر ، وتـعدى السفهـاء منهم فـى بعض

---

(١) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .   (٢) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .

الأحايين ، والتحرز والاحتراس ، وأما النصارى فإنهم حصنوا مساكنهم ونواحيهم وحاراتهم ، وسدوا المنافذ ، وبنوا كرانك ، واستعدوا بالأسلحة والبنادق ، وأمدّهم الباشا بالبارود وآلات الحرب دون المسلمين ، حتى أنهم استأذنوا كتخدا بيك فى سد بعض الحارات النافذة التى يخشون وقوع الضرر منها ، فمنع من ذلك ، وأما النصارى ، فلم يمنعهم ، وقد تقدم ذكر فعله مع رضوان كاشف عندما سد باب داره وفتحه من جهة أخرى ، وعزره وضربه وبهدله بوسط الديوان .

وفيه [1] ، وصل نجيب أفندى وهو قبى كتخدا الباشا عند الدولة إلى بولاق ، فركب إليه كتخدا بيك ، وأكابر الدولة والأغا والوالى وقابلوه ونَظَّموا له موكبا من بولاق إلى القلعة ، ودخل من باب النصر ، وحضر صحبته خلع برسم الباشا وولده طوسون باشا ، وسيفان وشلنجان وهدايا ، وأحقاق نشوق [2] مجوهرة ، وعملوا لوصوله شنكا ومدافع من القلعة وبولاق .

وفيه [3]، ارتحل الدلاة المسافرون إلى الحجاز ودخل حجو بيك إلى المدينة بطائفته .

وفى ضحوة ذلك اليوم [4] ، بعد انفضاض أمر الموكب ، حصل فى الناس زعجة وكرشات ، وأغلقوا البوابات والدروب ، واتصل هذا الانزعاج بجميع النواحى حتى إلى بولاق ومصر القديمة ، ولم يظهر لذلك أصل ولا سبب من الأسباب مطلقا .

وفى تلك الليلة [5] ، ألبس الباشا حجو بيك خلعة وتَوَّجَه بطرطور طويل ، وجعله أميرا على طائفة من الدلاة ، وانخلع هو وأتباعه من طريقتهم التركية التى كانوا عليها ، وهؤلاء الطائفة التى يقال لهم دلاة ، ينسبون أنفسهم إلى طريقة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ، وأكثرهم من نواحى الشام وجبال الدروز والمتاولة ، وتلك النواحى يركبون الأكاديش وعلى رؤوسهم الطراطير السود ، مصنوعة من جلود الغنم الصغار ، طول الطرطور نحو ذراع ، وإذا دخل الكنيف نزعه من على رأسه ، ووضعه على عتبة الكنيف ، وما أدرى أذلك تعظيم له عن مصاحبته معه فى الكنيف ، أو الخوف وحذر من سقوطه ، إن انصدم بأسكفة الباب فى صحن

---

(١) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .

(٢) أحقاق نشوق : أى علَب النشوق .

(٣) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م . (٤) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .

(٥) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .

المرحاض أو الملاقى ، وهؤلاء الطائفة مشهورة فى دولة العثمانيين بالشجاعة والإقدام فى الحروب، ويوجد فيهم من هو على طريقة حميدة ، ومنهم دون ذلك ، وقليل ما هم ، ولكونهم من تمام النظام رتبهم الباشا من أجناسه وأتراكه خلاف الأجناس الغريبة ، ومن بقى من أولئك يكون تبعا لا متبوعا .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره [1] ، حصل مثل ذلك المتقدم من الانزعاج والكرشات بل أكثر من المرة الأولى ، ورمحت الرامحون ، وأغلقت الحوانيت ، وطلبت الناس السقائين الذين ينقلون الماء من الخليج ، وبيعت القربة بعشرة أنصاف فضة والراوية بأربعين ، فنزل الأغا وأغات التبديل ، وأمامهم المناداة بالأمان ، وينادون على العساكر أيضًا ومنعهم من حمل البنادق ، ويأمرون الناس بالتحفظ ، واستمر هذا الأمر والارتجاج إلى قبيل العصر ، وسكن الحال ، وكثر مرور السقائين وبيعت القربة بخمسة أنصاف والراوية بخمسة عشر ، ولم يظهر لهذه الحركة سبب أيضًا ، وتقوّل الناس بطول نهار ذلك اليوم أصنافا وأنواعا من الروايات والأقاويل التى لا أصل لها .

وفى يوم الأربعاء سابع عشره [2] ، حضر الشريف راجح من الحجاز ، ودخل المدينة وهو راكب على هجين ، وصحبته خمسة أنفار على هجن أيضًا ، ومعهم أشخاص من الأرنؤد من أتباع حسن باشا الذى بالحجاز ، فطلعوا به إلى القلعة ، ثم أنزلوه إلى منزل أحمد أغا أخى كتخدا بيك .

وفى ليلة الخميس [3] ، قلد الباشا عبدالله أغا المعروف بصارى جله ، وجعله كبيرًا على طائفة من الينكجرية أيضًا [4] ، وجعل على رأسه الطربوش الطويل المرخى على ظهره كما هى عادتهم ، هو وأتباعه ، وكان من جملة المتهومين بالمخامرة على الباشا .

وفيه [5] ، برز أمر الباشا لكبار العسكر بركوب جميع عساكرهم الخيول ، ومنعهم من حمل البنادق ، ولايكون منهم راجل أو حامل للبندقية إلا من كان من أتباع الشرطة والأحكام ، مثل : الوالى ، والأغا ، وأغات التبديل ، ولازم كتخدا

---

(١) ١٦ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨١٥ م . (٢) ١٧ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨١٥ م .
(٣) ١٨ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢٣ أغسطس ١٨١٥ م .
(٤) كتب أمام الرقم بالأصل ، بهامش ص ٢٢٧ ، طبعة بولاق « فى بعض النسخ الينكرية الـتفكجية أ هـ » وما هو مدون بالأصل هو الأصوب .
(٥) ١٨ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢٣ أغسطس ١٨١٥ م .

بيك ، وأيوب أغا تابع إبراهيم أغا أغات التبديل ، والوالى المرور بالشوارع والجلوس فى مراكز الأسـواق مثل : الغورية ، والجـمالية ، وباب الحمـزاوى ، وباب زويلة ، وباب الخرق ، وأكثر أتباعهم مفطرون فى نـهار رمضان ، ومتجاهرون بذلك من غير احتـشام ، ولا مبـالاة بانـتهاك حـرمة شهـر الصـوم ، ويجلـسون علـى الحوانـيت والمساطب، يأكلون ويـشربون الدخان ، ويأتى أحدهم وبيده شبـك الدخان ، فيدنى مجمرته لأنف ابن البلـد على غفلة منه ، وينفخ فيه على سبـيل السخرية ، والهزيان بالصائم ، وزادوا فى الـغىّ والتعدى ، وخطف النساء نهارا وجـهارا ، حتى اتفق أنَّ شخصا منهم أدخل امرأة إلى جامع الأشرفية ، وزنى بها فى المسجد بعد صلاة الظهر فى نهار رمضان.

وفى أواخره (1) ، عملـوا حساب أهل سـوق مرجوش ، فبـلغ ذلك أربعـمائة وخمسـين كيسا ، قبـضوا ثلثيـها وتأخر لـهم الثلث ، كـل ذلك خلاف النقـود لهم ولغيرهم ، مثل : تجـار الحمزاوى ، وهو شىء كثير ، ومبالغ عظـيمة ، فإن الباشا منع من ذكـرها ، وقال : « لأى شىء يؤخرون فى حوانـيتهم وحواصلهـم النقود ، ولايتجرون فيها » ، واتفق لتاجر من أهل سوق أمير الجيوش أنه ذهب من حاصله من حواصل الخان ثمانـية آلاف فرانسة ، فلم يذكرها ومات قـهرا ، وكذلك ضاع لأهل خان الحمزاوى ، من صـرر الأموال والنقود والودائع والرهونات والمـصاغ والجوهر مما يرهنه النساء علـى ثمن ما يشترونه من التجار ، والتفاصيـل والمقصبات ، أو على ما يتأخر عليهم من الأثمان ما لايدخل تحت الحصر ، ويُستحيا من ذكره ، وضاع لرجل يبيع الفسيخ والبطارخ تجاه الحمزاوى مـن حانوته أربعة آلاف فرانسة ، فلم يذكرها ، وأمثال ذلك كثيـر ، وانقضى شهر رمضان والناس فى أمـر مريج وخوف وانزعاج ، وتوقـع المـكروه ، ولم ينزل الباشـا من القلـعة بطول الشهر ، وذلـك على خلاف عادته ، فإنه لايقدر عـلى الاستقرار بمكان أياما ، وطبيعته الحـركة حتى فى الكلام ، وكبار العساكر والـسيد محمد المحروقى ، ومن يصحبه من المـشايخ ونقيب الأشراف مستمـرون علـى الطلـوع والنزول فى كل يوم ولـيلة ، وللمتـقيدين بالمنـهوبين ديوان خاص ، وفرق الباشا كساوى العيد على أربابـها ، ولم يظهر فى هذه القضية شخص معين ، والكـثير من العسـاكر الذين يمشون مـع الناس فى الأسواق يظـهرون الخلاف والسخط ، ويظهر منـهم التعدى ويخطفون عمائم الناس والـنساء جهارا ، ويتوعدون الناس بـعودهم فى الـنهب ، وكأنمـا بينهـم وبين أهل البـلدة عداوة قديمـة أو ثارات

(1) آخر رمضان ١٢٣٠ هـ / ٥ سبتمبر ١٨١٥ م .

يخلصونهـا منهم ، وفيهم من يظهر الـتأسف والتندم واللوم على المعـتدين ، ويسفه رأيهم ، وهـو المحروم الذى غاب عـن ذلك ، وبالجمـلة فكل ذلـك تقادير إلـهية ، وقضايا سماوية ، ونقـمة حلت بأهل الإقليم وأهله من كل ناحـية ، نسأل الله العفو والسلامة وحسن العـاقبة ، ومما اتفق أنَّ بعض الناس زاد بهم الوهـم ، فنقل ماله من حانوته أو حاصله الكائن ببعض الوكـائل أو الخانات إلى منزله ، أو حرز آخر فسرقها السراق ، وحانوته أو حاصله لم يصبه مـا أصاب غيره ، وتعدد نظير ذلك لأشخاص كثيرة ، وذلك من فعل أهل البلدة ، يراقبـون بعضهم بعضا ، ويداورونهم فى أوقات الغفلات فى مثل هذه الحركات ، ومنهم من اتهم خدمه وأتباعه ، وتهددهم وشكاهم إلى حكام الشرطة ، ويغرم مالا علـى ذلك أيضًا ، وهم بريؤون ولايفيده إلا ارتكاب الإثم والفضيحـة ، وعداوة الأهل والخدم ، وزيادة الغرم ، وغالب ما بـأيدى التجار أموال الشركاء والودائع والرهونات ، ويطالبه أربـابها ، ومنهم قليل الديانة ، وذهب من حانوته أشياء ، وبقى أشياء ، فادعى ضياع الكل لقوة الشبهة .

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠ (١)

وهو يوم عيد الفطر (٢) ، وكان فى غاية البرودة والخمول ، عديم البهجة من كل شىء ، لم يظهر فيه من علامات الأعياد إلا فطـر الصائمين ، ولم يغير أحد ملبوسه بل ولا فصل ثـيابا مطلقـا ولا شيئًا جديدا ، ومن تقـدم له ثوب وقطعه وفـصله فى شعبان (٣) تأخر عند الخياط مـرهونا على مصاريفه ولوازمه ؛ لتعـطل جميع الأسباب من بطـانة وعقادة وغيـرها ، حتى إنه إذا مـات ميت لم يدرك أهـله كفنه إلا بمـشقة عظيمة ، وكـسد فى هذا العيد سوق الخـياطين وما أشبههم مـن لوازم الأعياد ، ولـم يعمـل فيه كعك ولا شـريك ولاسمك مملح ولا نُقُل ، ولـم يخرجوا إلى الجـبانات والمدافن أيضًا كعادتهم ، ولانصبوا خياما على المقابر ، ولم يحسن فى هذه الحادثة إلا امتناع هذه الأمـور ، وخصوصا خروج النساء إلـى المقابر ، فإنه لم يخـرج منهن إلا بعض حرافيشهن عـلى تخوف ، ووقع لبعضهن من العسكر مـا وقع عند باب النصر والجامع الأحمر (٤) .

---

(١) شوال ١٢٣٠ هـ / ٦ سبتمبر - ٤ أكتوبر ١٨١٥ م .

(٢) ١ شوال ١٢٣٠ هـ / ٦ سبتمبر ١٨١٥ م .

(٣) شعبان ١٢٣٠ هـ / ٩ يوليه - ٦ أغسطس ١٨١٥ م .

(٤) الجامع الأحمـر : يقع بالأزبكيـة فى حارة القبليـة ، قريبا من ميـدان الأزبكية ، ولما تخـرب ، عمَّره الأمير سليمان أغا السلحدار ، وجدده .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

وفى ثالثه [1] ، نزل الباشا من القلعة من باب الجبل ، وهو فى عدة من عسكر الدلاة والأتراك الخيالة والمشاة وصحبته عابدين بيك ، وذهب إلى ناحية الآثار ، فعيد على يوسف باشا المنفصل عن الشام ، لأنه مقيم هناك لتغيير الهواء بسبب مرضه ، ثم عدى إلى الجيزة وبات بها عند صهره محرم بيك ، ولما أصبح ركب السفائن وانحدر إلى شبرا وبات بقصره ، ورجع إلى منزله بالأزبكية ، ثم طلع إلى القلعة .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه [2] ، عمل ديوانا وجمع المشايخ المتصدرين وخاطبهم ، بقوله : « إنه يريد أن يفرج عن حصص الملتزمين ، ويترك لهم وساياهم يؤجرونها ويزرعونها لأنفسهم ، ويرتب نظاما لأجل راحة الناس ، وقد أمر الأفندية كتاب الروزنامة بتحرير دفاتر ، وأمهلهم اثنى عشر يوما ، يحررون فى ظرفها الدفاتر على الوجه المرضى » ، فأثنوا عليه خيرا ، ودعوا له ، فقال الشيخ الشنوانى : « ونرجو من أفندينا أيضًا الإفراج عن الرزق الأحباسية كذلك » ، فقال : « كذلك ننظر فى محاسبات الملتزمين ونحررها على الوجه المرضى أيضًا ، ومن أراد منهم أن يتصرف فى حصته ، ويلتزم بخلاص ما تحرر عليها من المال الميرى لجهة الديوان من الفلاحين بموجب المساحة والقياس صرفّناه فيها ، وإلا أبقاها على طرفنا ، ويقبض فائظه الذى يقع عليه التحرير من الخزينة نقدا وعدا » ، فدعوا له أيضًا وسكتوا ، فقال لهم : « تكلموا فإنى ما طلبتكم إلا للمشاورة معكم » ، فلم يفتح الله عليهم بكلمة يقولها أحدهم غير الدعاء له ، على أنّ الكلام ضائع لأنها حيل ومخادعة تروج على أهل الغفلات ، ويتوصل بها إلى إبراز ما يرومه من المرادات ، وعند ذلك انفض المجلس ، وانطلقت المبشرون على الملتزمين بالبشائر ، وعود الالتزام لمتصرفهم ويأخذون منهم البقاشيش مع أن الصورة معلولة ، والكيفية مجهولة ، ومعظم السبب فى ذكره ذلك أن معظم حصص الالتزام كان بأيدى العساكر وعظمائهم وزوجاتهم، وقد انحرفت طباعهم ، وتكدرت أمزجتهم بمنعهم عنه وحجزهم عن التصرف ، ولم يسهل بهم ذلك ، فمنهم من كظم غيظه وفى نفسه ما فيها ، ومنهم من لم يطق الكتمان وبارز بالمخالفة والتسلط على من لاجناية عليه ، فلذلك الباشا أعلن فى ديوانه بهذا الكلام بمسمع منهم ، لتسكن حدتهم ، وتبرد حرارتهم إلى أن يتم أمر تدبيره معهم .

وفيه [3] ، وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين

---

(1) ٣ شوال ١٢٣٠ هـ / ٨ سبتمبر ١٨١٥ م . (2) ٨ شوال ١٢٣٠ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨١٥ م .

(3) ٨ شوال ١٢٣٠ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨١٥ م .

طوسون باشا وعبدالله بن مسعود الذى تولى بعد موت أبيه كبيرًا على الوهابية ، وأن عبدالله المذكور ترك الحروب والقتال ، وأذعن للطاعة وحقن الدماء ، وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفرا من الأنفار إلى طوسون باشا ، ووصل منهم اثنان إلى مصر ، فكأنَّ الباشا لم يعجبه هذا الصلح ، ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك ، ولم يحسن نزل الواصلين ، ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة فاعتذرا وذكرا أن الأمير مسعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج ، وكان يريد الملك وإقامة الدين وأما ابنه الأمير عبدالله فإنه لين الجانب والعريكة ، ويكره سفك الدماء على طريقة سلفه الأمير عبد العزيز المرحوم ، فإنه كان مسالما للدولة حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ، ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة فى شىء ، ولم يحصل التفاقم والخلاف إلا فى أيام الأمير مسعود ، ومعظم الأمر للشريف غالب بخلاف الأمير عبدالله ، فإنه أحسن السير وترك الخلاف ، وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ، ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المستحسنات ، وانقضى المجلس وانصرفا إلى المحل الذى أمرا بالنزول فيه ، ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع أتباعهما فى الركوب والذهاب والإياب ، فإنه أطلق لهما الإذن إلى أىّ محل أراداه ، فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ، ودخلا إلى الجامع الأزهر فى وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للإقراء والتدريس ، وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل ﷺ ، وعن الكتب الفقهية المصنفة فى مذهبه ، فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية ، واشتريا نسخا من كتب التفسير والحديث مثل : الخازن ، والكشاف ، والبغوى ، والكتب الستة المجمع على صحتها ، وغير ذلك ، وقد اجتمعت بهما مرتين ، فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان ، واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار ، والنوادر ، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق ، وحسن الأدب فى الخطاب ، والتفقه فى الدين ، واستحضار الفروع الفقهية ، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف ، واسم أحدهما عبدالله ، والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حسا ومعنى .

وفى يوم السبت تاسع عشره [1] ، خرجوا بالمحمل إلى الحصوة خارج باب النصر ، وشقوا به من وسط المدينة ، وأمير الركب شخص من الدلاة يسمى أوزون أوغلى ، وفوق رأسه طرطور الدالاتية ، ومعظم الموكب من عساكر الدلاة وعلى رؤوسهم الطراطير السود بذاتهم المستبشعة ، وقد عم الأقاليم المسخ فى كل شىء ،

---

(١) ١٩ شوال ١٢٣٠ هـ / ٢٤ سبتمبر ١٨١٥ م .

فقد تغص الطبيعة ، وتتكدر النفس إذا شاهدت ذلك أو سمعت به ، وقد كانت نضارة الموكب السالفة فى أيام المصريين ، ونظامها وحسنها وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها التى لم يكن لها نظير فى الربع المعمور ، ويضرب بها المثل فى الدنيا كما ، قال قائلهم فيها :

مصرُ السعيدةُ مالَها من مَثيل ... فيها ثلاثةٌ من الهنَا والسُّرورْ
موَاكبُ السلْطانِ وبحْرُ الوفا ... ومَحْملُ الهادِى نهار يَدُورْ

فقد فُقدت هذه الثلاثة فى جملة المفقودات .

وفى ثالث عشرينه [1] ، وصل قابجى وعلى يده تقرير ولاية مصر لمحمد على باشا على السنة الجديدة ، فعملوا لذلك الواصل موكبا من بولاق إلى القلعة ، وضربوا مدافع وشنكا وبنادق .

واستهل شهر ذى القعدة الحرام بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٠ [2]

فى سادس عشره [3] ، سافر الباشا إلى الإسكندرية وأخذ صحبته عابدين بيك وإسماعيل باشا ولده وغيرهما من كبرائهم وعظمائهم ، وسافر أيضًا نجيب أفندى وسليمان أغا وكيل دار السعادة سابقا ، تابع صالح بيك المصرى المحمدى إلى دار السلطنة ، وأصحب الباشا إلى الدولة وأكابرها الهدايا من الخيول والمهارى والسروج المكللة بالذهب واللؤلؤ والمخيش ، وتعابى الأقمشة الهندية المتنوعة من الكشمير والمقصبات والتحف، ومن الذهب المضروب السكة أربعة قناطير ، ومن الفضة الثقيلة فى الوزن والعيار عدة قناطير ، ومن السكر المكرر مرارا ، وأنواع الشراب خافاه فى القدور الصينى وغير ذلك .

وفيه [4] ، وردت الأخبار بوصول طوسون باشا إلى الطور ، فهرعت أكابرهم وأعيانهم إلى ملاقاته ، وأخذوا فى الاهتمام وإحضار الهدايا والتقادم ، وركبت الخوندات والنساء والستات أفواجا أفواجا يطلعن إلى القلعة ، ليهنين والدته بقدومه .

وفى غايته [5] ، وصل طوسون باشا إلى السويس ، فضربوا مدافع إعلاما بقدومه ، وحضر نجيب أفندى راجعا من الإسكندرية ، لأجل ملاقاته ؛ لأنه قبى كتخداه اليوم أيضًا عند الدولة كما هو لوالده .

---

(١) ٢٣ شوال ١٢٣٠ هـ / ٢٨ سبتمبر ١٨١٥ م . (٢) ذى القعدة ١٢٣٠ هـ / ٥ أكتوبر - ٣ نوفمبر ١٨١٥ م .
(٣) ١٦ ذى القعدة ١٢٣٠ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٥ م . (٤) ١٦ ذى القعدة ١٢٣٠ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٥ م .
(٥) غاية ذى القعدة ١٢٣٠ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٥ م .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠ [1]

فى رابعه يوم الإثنين [2] ، نودى بزينة الشارع الأعظم لدخول طوسون باشا سرورا بقدومه ، فلما أصبح يوم الثلاثاء خامسه [3] ، احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع ، وعملوا له موكبا حافلا ، ودخل من باب النصر وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة ، وطلع إلى القلعة ، وضربوا فى ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكا وحراقات .

وفى ليلة الجمعة خامس عشره [4] ، سافر طوسون باشا المذكور إلى الإسكندرية ليراه أبوه ، ويسلم هو عليه ، وليرى هو ولدا له وُلِدَ فى غيبته ، يسمى عباس بيك صحبه معه جده مع حاضنته ، وسنه دون السنتين ، يقال : « إن جده قصد إرساله إلى دار السلطنة ، فلم يسهل بأبيه ذلك ، وشق عليه مفارقته وخصوصا كونه لم يره » ، وسافر صحبة طوسون باشا نجيب أفندى عائدا إلى الإسكندرية .

وفى يوم السبت عشرينه [5] ، حضر طوسون باشا إلى مصر راجعا من الإسكندرية فى تطريدة ومعه ولده ، فكانت مدة غيبته ذهابا وإيابا ثمانية أيام ، فطلع إلى القلعة ، وصار ينزل إلى بستان بطريق بولاق ظاهر التبانة ، عمَّره كتخدا بيك ، وبنى به قصرا فيقيم به غالب الأيام التى أقامها بمصر ، وانقضت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعات والمكوس والتحكير ، وإهمال السوقة والمتسببين حتى عم غلو الأسعار فى كل شىء ، حتى بلغ سعر كل صنف عشرة أمثال سعره فى الأيام الخالية مع الحجر على الإيراد وأسباب المعاش ، فلا يهنأ بعيش فى الجملة إلا من كان مكاسا أو فى خدمة من خِدم الدولة ، مع كونه على خطر ، فإنه وقع لكثير ممن تقدم فى منصب أو خدمة أنه حوسب وأهين ، وألزم بما رافعوه فيه ، وقد استهلكه فى نفقات نفسه وحواشيه ، فباع ما يملكه واستدان ، وأصبح ميؤوسا مديونا ، وصارت المعايش ضنكا ،وخصوصا الواقع فى اختلاف المعاملات والنقود ، والزيادة فى صرفها وأسعارها ، واحتجاج الباعة والتجار والمتسببين بذلك ، وبما حدث عليها من مال المكس مع طمعهم أيضًا ، وخصوصا سفلة الأسواق وبياعى الخضارات ، والجزارين، والزياتين ، فإنهم يدفعون ما هو مرتب عليهم للمحتسب مياومة ومشاهرة ، ويخلّصون أضعافه من الناس ولا رادع لهم ، بل يسعرون لأنفسهم حتى أنَّ البطيخ

---

(١) ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٤ نوفمبر - ١ ديسمبر ١٨١٥ م (٢) ٤ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٧ نوفمبر ١٨١٥ م .

(٣) ٥ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٨ نوفمبر ١٨١٥ م . (٤) ١٥ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨١٥ م .

(٥) ٢٠ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٨١٥ م .

فى أوان كثرته ، تباع الواحدة التى كانت تساوى نصفين بعشرين وثلاثين ، والرطل من العنب الشرقاوى الذى كان يباع فى السابق بنصف واحد ، يبيعونه يوما بعشرة ، ويوما باثنى عشر ، ويوما بثمانية ، وقس على ذلك الخوخ ، والبرقوق ، والمشمش، وأما الزبيب والتين واللوز والبندق والجوز والأشياء التى يقال لها اليميش التى تجلب من بلاد الروم ، فبلغت الغاية فى الثمن بل قد لاتوجد فى أكثر الأوقات ، وكذلك ما يجلب من الشام مثل : الملبن والقمر الدين والمشمش الحموى والعناب ، وكذلك الفستق والصنوبر وغير ذلك مما يطول شرحه ، ويزداد بطول الزمان قبحه .

ذكر من مات فى هذه السنة (١)

ومات، فى هذه السنة ، العلامة الأوحد ، والفهامة الأمجد ، محقق عصره ، ووحيد دهره ، الجامع لأشتات العلوم ، والمنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم ، بقية الفصحاء والفضلاء المتقدمين ، والمتميز عن المتأخرين ، الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقى المالكى ، ولد ببلدة دسوق من قرى مصر ، وحضر إلى مصر ، وحفظ القرآن وجوّده على الشيخ محمد المنير ، ولازم حضور دروس الشيخ على الصعيدى ، والشيخ الدردير ، وتلقى الكثير من المعقولات عن : الشيخ محمد الجناجى الشهير الشافعى ، وهو مالكى ، ولازم الوالد حسن الجبرتى مدة طويلة ، وتلقى عنه - وبواسطة الشيخ محمد بن إسماعيل النفراوى - علم الحكمة والهيئة والهندسة ، وفن التوقيت ، وحضر عليه أيضًا فى فقه الحنفية ، وفى المطول وغيره برواق الجبرت بالأزهر ، وتصدر للإقراء والتدريس وإفادة الطلبة ، وكان فريدا فى تسهيل المعانى ، وتبيين المبانى ، يفك كل مشكل بواضح تقريره ، ويفتح كل مغلق برائق تحريره ، ودرسه مجمع أذكياء الطلاب ، والمهرة من ذوى الأفهام والألباب ، مع لين جانب وديانة وحسن خلق وتواضع ، وعدم تصنع واطراح تكلف ، جاريا على سجيته لايرتكب ما يتكلفه غيره من التعاظم وفخامة الألفاظ ، ولهذا كثر الآخذون عليه والمترددون إليه ، وله تأليفات واضحة العبارات سهلة المآخذ ملتزمة بتوضيح المشكل فمن تأليفه : حاشية على مختصر السعد على التلخيص ، وحاشية على شرح الشيخ الدردير على سيدى خليل فى فقه المالكية ، وحاشية على شرح الجلال المحلى على البردة ، وحاشية على الكبرى للإمام السنوسى ، وحاشية على شرحه للصغرى، وحاشية على شرح الرسالة الوضعية، هذا ما عنى بجمعه وكتابته ،

---

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٣١ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

ويقى مسوّدات لم يتيسر له جمعها ، ولم يزل على حالته فى الإفادة والإلقاء ، والإفتاء - وخطه حسن وخلقه أحسن - إلى أن تعلل ، وتوفى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الثانى [1] ، وخرجوا بجنازته من درب الدليل [2] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين بالمدفن الذى بداخل المحل الذى يسمى بالطاولية ، وقام بكلفة تجهيزه وتكفينه ومصاريف جنازته ، ومدفنه ، الجناب المكرم السيد محمد المحروقى ، وكذلك مصاريف المأتم بمنزله ، وأرسل من قيده لذلك من أتباعه ، بإدارة المطبخ ولوازمه من الأغنام والسمن والأرز والعسل والحطب والفحم والقهوة ، وجميع الاحتياجات للمقرئين ، ومن يأتى لتعزية أولاده جزاه الله خيرا ، واستمر إجراؤه لذلك فى الثلاث جمع المعتادة بالمنزل ، وما يعمل فى صبح يوم الجمعة بالمدفن من الكعك والشريك الذى يفرق على الفقراء والحاضرين والتربية والخدَمة ، وقد رثاه أمثل من عنه أخذ ، وأكمل من له تتلمذ ، صاحبنا العلامة ، وصديقنا الفهامة ، المنفرد الآن بالعلوم الحكمية ، والمشار إليه فى العلوم الأدبية ، صاحب الإنشاء البديع ، والنظم الذى هو كزهر الربيع الشيخ حسن العطار ، حفظه الله من الأغيار بقوله شعراً :

أحَاديثُ دهرٍ قد ألمَّ فأوجَعَا ... وحَلَّ بنادى جَمْعنَا فتصدَّعَا
لقد صَالَ فينَا البينُ أعظمَ صَولَة ... فلمْ يخْلُ مِن وقعِ المصيبةِ مَوْضعَا
وجَاءتْ خُطوبُ الدهرِ تَتْرى فكُلما ... مضى حادثٌ يَعقُبه آخرُ مسرعَا
وحَلَّ بِنا مَالم نكُن فى حسَابه ... منَ الدهرِ مَا أبكَى العيُونَ وأفزعَا
خُطوبُ زمَانٍ لو تَمادى أقلُّهَا ... بشَامِخِ رَضْوى أو ثَبِيرٍ تَضعْضعَا
وأصبحَ شأنُ الناسِ مَا بينَ عَائد ... مَرِيضًا وثَانٍ للْحَبِيبِ مُشَيعَا
لَقدْ كَانَ روضُ العيشِ بالأمْنِ يانعاً ... فأضحَى هَشِيمًا ظلُّه متَقشّعَا
أيحسُنُ أن لا يبذُلَ الشخصُ مُهجةً ... ويبكِى دَمًا أنْ أفنَتِ العَينُ أدمُعا
وقد سَارَ بالأحبابِ فى حينِ غَفْلة ... سَرِيرُ المنَايَا عاجِلاً مُتَسرّعَا
وفى كُل يوم روعةٌ بعد روعةٍ ... فللَّه مَا قَاسَى الفؤادُ وروَّعا
عزاءُ بَنِى الدنيا بفَقْد أئمةٍ ... لكَاسِ مَرِيرِ الموتِ كلٌّ تَجرَّعَا
يمينًا لقدْ جَلَّ المصَابُ بشَيخنَا الـ ... ـدسوقى وعادَ القلبُ بالهَم مُترعَا

---

(1) ٢١ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ٢ ابريل ١٨١٥ م .

(2) درب الدليل : يعرف بعطفة الدليلة فى الجهة اليمنى من شارع الغريب .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ .

وشَابــتْ قــلُوبٌ لا مَفَارق عِنْدَمــا تَــنكَّرت الأسْمــاءُ صَوتَ الـذى نَعَا
فــللــنــاسِ عُذْرٌ فــى البُكَاء وللأسـى عــلــيــه وأمَّا فــى الـسّواء فَتــجزَعَا
وكـيــفَ وقــدْ مــاتــتْ عُلُومٌ بِفَقْده لــقــدْ كَان فِيـهَا جَهْبَذِيـا سَمَيْذَعَا
فَمَنْ بَعْدهُ يـــجلُو دجـــنَّةَ شُبْهَةٍ ويــكْشفُ عن ستـر الـدَّقائـق مُقْنَعَا
وإنْ ذُو اجْتهـــاد قـــد تَعَثَّر فَهْمُهُ فــيــاليــتَ شعْرى مَنْ يــقُولُ لــه لَعَا
يـــقَررُ فـــى فَنِّ الــبَيَان بمـــنْطق بـــديـــعُ مَعَانيـــه يُتَوجه مَسْمَعَا
وسَار مَسِيــرَ الــشَمــسِ غُرٌّ عُلُومه فــفِى كُلِّ أفْقٍ أشْرقَتْ فــيــه مَطــلَعَا
وأبـــقَى بـــتَأليــفَاته بَيـــنَنَا هُدًى بــهَا يسلُكُ الــطلابُ لــلحَقِّ مَهْيـعَا
وحَلَّ بـــتـــحْريـــراته كُلَّ مُشْكِلٍ فــلَمْ يُبَق للإشــكَال فى ذاكَ مَطــمَعَا
فـــأىُّ كـــتـــاب لــــمْ يَفُك خِتَامَهُ إذا مَا سِواهُ مــن تَعـــاصيــه ضَيــعَا
ومَن يــبــتَغِى تــعــدادَ حُسْنَ خصَاله فــلــيـــسَ مَلُومًا إنْ أطــالَ وأشْبــعَا
فَللــصِّدْقِ عونٌ لــلمَقَــال فــمنْ يــقُلِ أصَابَ مَكَــانَ الــقول فــيــه مُوَسّعــا
تــواضَعَ لِلــطُّلاب فـــانْتَفَعُوا بـــه عـــلـــى أنـــهُ بِالحِلْمِ زاد تَرَفُّعَا
وكــان حَلــيــمًا واسِعَ الــصَّدرِ مَاجِدًا تَقِيًا نَقِيًا زاهــــــــــدًا مُتَورِّعَا
سعَى فــى اكْتساب الحمْد طُولَ حــياته ولــمْ نــرهُ فى غــيــر ذلــك قَد سَعَا
ولــمْ تُلْهِهِ الــدنــيــا بزُخْرُفِ صُورَةٍ عــن الــعلمِ كَيْمــا أنْ تَغُرَّ وتــخْدَعَا
لقد صرفَ الأوقاتَ فى الــعلمِ والتقَى فمَا أنْ لــهـا يــا صَاحِ أمسَى مُضَيــعَا
فــقَــدْنَاهُ لــكن نــفــعُه الــدهــرَ دائــمٌ ومــا مات مَن أبــقَى عُلُومًا لمــنْ وعَا
فــجُوزِىَ بــالحـــسْنَى وتُوِّج بــالــرضَا وقُوبِلَ بـــالإكْرَامِ ممـــنْ لـــهُ دَعَا

ومات الأستاذ الفريد ، واللوذعى المجيد ، الإمـام العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه النحـوى ، الأصولى الجدلى المنطقى ، الشيخ محمـد المهدى الحفنى ، ووالده من الأقباط ، وأسلـم هو صغيرا دون البلوغ علـى يد الشيخ الحفنى ، وحـلت عليه أنظاره ، وأشرقت عليه أنواره ، وفارق أهله ، وتـبرأ منهم ، وحضنه الشيخ ورباه ، وأحبه واستمـر بمنزله مع أولاده ، واعتنى بـشأنه ، وقرأ القرآن ، ولما ترعـرع اشتغل بطلب العـلم ، وحفظ أباشجاع والفـية النحو والمتون ، ولازم دروس الشـيخ وأخيه الشيخ يوسف وغيـرهما من أشياخ الوقت ، مثل : الشيخ العـدوى ، والشيخ عطية الأجهورى ، والـشيخ الدردير ، والـبيلى ، والجمـل ، والخرشى ، وعبد الـرحمن المقرئ ، والشـرقاوى وغيرهم ، واجتـهد فى التحصـيل ليلا ونهارا ، ومـهر وأنجب ولازم فى غالب مجالس الـذكر عن الشيخ الدردير بعد وفاة الشـيخ الحفنى ، وتصدر

للتدريس فى سنة تسعين ومائة وألف [1] ، ولما مات الشيخ محمد الهلباوى ، سنة اثنتين وتسعين [2] ، جلس مكانه بالأزهر ، وقرأ شرح الألفية لابن عقيل ، ولازم الإلقاء ، وتقرير الدروس مع الفصاحة ، وحسن البيان ، والتفهيم ، وسلاسة التعبير ، وإيضاح العبارات ، وتحقيق المشكلات ، ونما أمره ، واشتهر ذكره ، وبعُد صيته ، ولم يزل أمره ينمو واسمه يسمو مع حسن السمت ، ووجاهة الطلعة ، وجمال الهيئة ، وبشاشة الوجه ، وطلاقة اللسان ، وسرعة الجواب ، واستحضار الصواب فى ترداد الخطاب ، ومسايرة الأصحاب ، وصاهر الشيخ محمد الحريرى الحنفى على ابنته ، وأقبلت عليه الدنيا ، وتداخل فى الأكابر ، ونال منهم حظا وافرا بحسن معاشرته ، وحلاوة ألفاظه ، وتنميق كلماته ، ويقضى أشغاله ، وقضاياه منهم ومن حواشيهم وحريماتهم ، ويخاطب كلا بما يليق به ويناسبه ، واتحد بإسماعيل بيك كتخدا حسن باشا الجزايرلى ، وعاشره وأكثر من التردد عليه ، فلما أتته ولاية مصر ، واستقر بالقلعة ، واظب على الطلوع والنزول إلى القلعة ، ويبيت عنده غالب الليالى ، وأنعم عليه بالخلع والعطايا والكساوى ، ورتب له وظائف فى الضربخانة والسلخانة والجوالى ، ووقع فى ولايته الطاعون الذى أفنى غالب أمراء مصر وأهلها ، وذلك سنة خمس ومائتين وألف [3] ، فاختص بما أحبه مما انحل عن الموتى من إقطاعات ورزق وغيرها ، وزادت ثروته ورغبته وسعيه فى أسباب تحصيل الدنيا ، وعانى الشركات والمتاجر فى كثير من الأشياء مثل : الكتان والقطن والأرز وغير ذلك من الأصناف ، والتزم بعدة حصص بالبحيرة ، مثل شابور ، وخلافها بالمنوفية ، والجيزة ، والغربية ، وابتنى دارا عظيمة بالأزبكية بناحية الرويعى بما يقابلها من الجهة الأخرى عند الساباط ، ولما حضرت الفرنساوية إلى الديار المصرية ، وخافهم الناس ، وخرج الكثير من الأعيان وغيرهم ، هاربا من مصر تأخر المترجم عن الخروج ، ولم ينقبض كغيره عن المداخلة فيهم ، بل اجتمع بهم وواصلهم وانضم إليهم وسايرهم ولاطفهم فى أغراضهم ، وأحبوه وأكرموه وقبلوا شفاعاته ووثقوا بقوله ، فكان هو المشار إليه فى دولتهم مدة إقامتهم بمصر ، والواسطة العظمى بينهم وبين الناس فى قضاياهم وحوائجهم ، وأوراقه وأوامره نافذة عند ولاة أعمالهم حتى لقب عندهم وعند الناس بكاتم السر ، ولما رتبوا الديوان الذى رتبوه لإجراء الأحكام بين المسلمين فى قضاياهم ودعاويهم ، كان هو المشار إليه فيه ، وخدمة الديوان الموظفون فيه تحت

---

(١) ١١٩٠ هـ / ٢١ فبراير ١٧٧٦ - ١٠ فبراير ١٧٧٧ م .
(٢) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٩ يناير ١٧٧٩ م .
(٣) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ اغسطس ١٧٩١ م .

أوامره ، وإذا ركب أو مشى يمشون حوله وأمامه وبأيديهم العصى يوسعون له الطريق ، وراج أمره فى أيامهم جدا ، وزاد إيراده وجمعه ، واحتوى بلادا وجهات وأرزاقا وأقاموه وكيلا عنهم فى أشياء كثيرة ، وبلاد وقرى يجبى إليه خراجها ، وصرف عنها ما يصرفه ، ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والأغنام والسمن والعسل وما جرت به العادة ، ويتقدمون إليه بدعاويهم وشكاويهم ويفعل بهم ما كان يفعله أرباب الالتزامات من الحبس والضرب ، وأخذ المصالح ، وصار له أعوان وأتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم ، يرسل منهم لجبى الأموال من القرى ، وفى مراسلاته فى القضايا العامة، ويبعث الأمان للفارين والهاربين والمتخوفين من الفرنسيس الراحلين إلى بلاد الشام ، والمختفين بالقرى من الأجناد وغيرهم ، فيرسل إليهم أوراقا بالعود إلى أوطانهم إما باستدعائهم وطلبهم ذلك ، وإما من باب الشفقة والمعروف منه عليهم ، ويحمى دورهم وحريمهم ، ويمانع عنهم فى غيابهم ، ويكون له المنة العظيمة التى يستحق بها الجوائز الجزيلة ، وبالجملة فكان بوجوده وتصدره فى تلك الأيام النفع العام ، سد بعقله ثقوبا واسعة وخروقا ، وداوى برأيه جروحا وفتوقا، لاسيما أيام الهيارع والخصومات والتنازع ، وما يكدر طباع الفرنساوية من مخارق الرعية ، فيتلافاه بمرَاهِم كلماته ، ويسكن حدتهم بملاطفاته ، ولما مضت أيامهم ، وتنكست أعلامهم ، وارتحلوا عن الأقطار المصرية ، ووردت الدولة العثمانية ، كان المترجم أعظم المتصدرين فى مقابلتهم ، وأوجه الوجهاء فى مخاطبتهم ومكالمتهم ، ولم يتأخر عن حالته فى ظهوره ، ولازمهم فى عشياته وبكوره ، وبهرهم بتحيله واحتياله ، واسترهبهم بسحره وحباله ، واتحد بشريف أفندى الدفتردار، وواظبه الليل والنهار ، وتمم معه أغراضه فى جميع تعلقاته ، وتقرير وظائفه والتزاماته ومسموحاته ، واستجد غير ذلك مما يتقيه من الديوان ، وكل ذلك من غير مقابلة ولا حلوان ، وتزوّج بعدة زوجات ورزق أولادا ذكورا وإناثا فمنهم : الشيخ محمد أمين ، وهو من ابنة الشيخ الحريرى ، وتمذهب حنفيا على مذهب جده ، وآخر يسمى محمد تقى الدين ، توفى فى حياة والده من نحو خمس عشرة سنة أو أكثر عن نحو عشرين سنة ، وكان مالكيا بإشارة أبيه ، والشيخ عبد الهادى ، وتوفى بعد أبيه ، وكان شافعى المذهب ، وعقدوا له درسا بعد موت أبيه ، فلم تطل أيامه ، وزوج أولاده وبناته ، وعمل لهم مهمات وأفراحا استجلب بها هدايا من أعيان المسلمين والنصارى والنساء الأكابر والتجار وغيرهم ، ثم احترقت داره التى أنشأها بالأزبكية فى حرابة الفرنساوية مع العثمانية والمصريين عند مجئ الوزير المرة الأولى ، فشرع فى بناء دار عند باب الشعرية ، ولم يُتمها بَلْ تركها وأهملها وهى

منهدمة ، ولم يحدث بها شيئًا من الأبنية ، ثم إنَّه تزوّج بابنة الشيخ أحمد البشاري ، وكانت تحت بعض الأجناد فى دار جهة التبانة بالقرب من سوق السلاح ، وسويقة العزى ، يذهب إليها في بعض الأحيان ، واشترى دارا عظيمة بناحية الموسكي ، وكانت لبعض عتقى بقايا الأمراء الأقدمين ، وهي دار واسعة الأرجاء ، ذات رحبتين متسعتين ، والرحبة الخارجة التى يسلك إليها من باب الزقاق الكبير على ظهر قنطرة الخليج التى تعرف الآن بقنطرة الحفناوى لقربها من داره ، وبهذه الدار مجالس ، وقيعان متسعة ، ومن جملتها قاعة عظيمة ذات ثلاث لواوين مفروشة أرضها وحيطانها بأنواع الرخام الملوّن والقيشاني ، مطلة على بستان عظيم مغروس بأنواع الأشجار ، وهو أيضًا من حقوق الدار ، وتنتهى حدود هذه الدار إلى حارة المناصرة [1] ، وإلى كوم الشيخ سلامة[2] ، وحارة الإفرنج من الناحية الأخرى ، ولما عمل بزارها ، وعقد عقد شرائها من أصحابها ودفع لهم بعض دراهم يقال لها العربون ، وكتب حجة المشترى وسكنها أخذ يوعدهم بدفع الثمن ويماطلهم كعادته فى دفع الحقوق ، ثم تركهم وسافر إلى دمياط ، وجعل يطوف البلاد التى تحت التزامه وغيرها مثل : المحلة الكبيرة ، وطندتا ، والإسكندرية ، وغاب نحو الخمس سنوات، ومات فى غيبته بعض أصحاب الدار التى اشتراها منه ، وبقى من مستحقيها امرأة ، فكانت تتظلم وتشتكى وتراسله ، فأعرضت أمرها لكتخدا بيك ، والباشا إلى أن حضر إلى مصر ، وقبضت منه وهى مطلة ما أمكنها من ثمن استحقاقها ، وبنى ابنه المسمى بأمين بقطعة من أرضها دارا جهة حارة المناصرة على البستان ، ومختلطة به ونافذة إليه ، وجعل لها بابا من المناصرة ينفذ منه إلى الأزبكية ، وقنطرة الأمير حسين ، أنفق عليها جملة كبيرة من المال ، بحيث إنَّ المرخمين أقاموا فى شغلهم نحو أربع سنوات خلاف من عداهم من أرباب الأشغال ، وتجهيز الأدوات من الأخشاب وغيرها ، من أنواع الاحتياجات ، ويتعاطى ابنه المذكور التجارة أيضًا ، والشركة فى كثير من الأصناف خلاف الإيراد الواسع الخاص به ، ولما رجع المترجم من سرحته إلى مصر ، أقام مصاحبا ليسير الخمول ، وتقيد لإلقاء الدروس بالأزهر أشهرا ، ويعانى مع ذلك الاشتغال والتولع بعلم الصنعة ، ومطالعة ما صنف فيها ، ويدبر مع بعض أصحابه فى دورهم بإغرائه من مالهم إلى أن بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر

---

(١) حارة المناصرة : حارة تقع بالقرب من سكة قنطرة الأمير حسين ، بقرب جامع المرصفى ، وتحديد موقعها واضح بالنص .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٣ .

(٢) كوم الشيخ سلامة : يقع بشارع العلوة من جهة اليمين ، وطوله (١٢٠ مترا) ، وبه أربع عطف ، ودرب يعرف بدرب الصاغة ، كلها غير نافذة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٢ .

مكرم ، فتولى كبر السعى عليه سرا ، هو وباقى الجماعة حسدا وطمعا ليخلص لهم الأمر دونه ، حتى أوقعوا به كما تقدم ذكر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين [1] ، وفى أثناء هذه الحادثة طلب من الباشا إذنا فى قبض استحقاقه من ثمن غلال الأنبار فى مدة غيابه ، فأمر بدفعها له من الخزينة نقدا بالثمن الذى قدره لنفسه ، وهو خمسة وعشرون كيسا ، وفى اليوم الذى خرج فيه السيد عمر ، أنعم عليه الباشا أيضًا بنظر وقف سنان باشا ، ونظر ضريح الشافعى بعرضه له بطلب النظرين ، وكانا تحت يد السيد عمر يتحصل منهما مال كثير ، وعند ذلك رجع إلى حالته الأولى التى كان قد انقبض عن بعضها من كثرة السعى والترداد على الباشا وأكابر دولته، فى القضايا والشفاعات وأمور الالتزام والفائظ والرزق والأطيان، وما يتعلق به فى بلاد الصعيد، والفيوم، ومحاسبة الشركاء، وازدحمت عليه الناس ، وشرع يقرأ بالأزهر ، فإذا حضر اجتمع حول درسه طابق من الناس ، فإذا فرغ تكبكب عليه أرباب الدعاوى والفتاوى ، فيكتب لهذا ، ويوعد ذاك ، ويسوف آخر ، يذهب من يريد أن يذهب معه لحاجته ، فيقطع نهاره وليله طوافا وسعيا وذهابا وإيابا لايستقر بمكان ، ولايعثر به صاحب حاجة إلا نادرا ولايبيت فى بيت من بيوته إلا فى الجمعة مرة أو مرتين ، ويتفق مجيئه إلى داره بعد العشاء الأخيرة ، وغالب لياليه فى غيرها ، وإذا غاب لايعلم طريقه إلا بعض أتباعه ، فيذهب إلى بولاق مثلا ، فيقيم بها عدة أيام وليالى، يتنقل فى الأماكن عند شركائه ، ومن يعاملهم من الأمناء والخصاصين والأبزار وغيرهم ، أو يذهب إلى بلده نهية بالجيزة أو غيرها فيقيم أياما أيضًا ، وهكذا دأبه قديما ، وإذا قيل له فى ذلك ، قال : « أنا بيتى ظهر بغلتى » ، وعلى ما كان فيه من الغنى ، وكثرة الإيراد والمصرف تراه مفقود اللذة ، عديم الراحة البدنية والنفسية ، وإنما ذلك لأولاده والمقيمين أيضًا بداره ، ويتفق أنه يذبح بداره الثلاثة أغنام لضيوف من النساء عند الحريم ، ولايأكل منها شيئًا بل يتركها ويذهب إلى بعض أغراضه ببولاق مثلا ، ويتغذى بالجبن الحلوم أو الفسيخ أو البطارخ ، ويبيت بأى مكان ، ولو على نخ أو حصير فى أى محل كان .

ولما مات ، الشيخ سليمان الفيومى عن زوجته المعروفة بالسحراوية ، وكانت من نساء القدماء مشهورة بالغنى وكثرة الإيراد ، وتزوّجت بالشيخ الفيومى حماية لمالها ، وكانت طاعنة فى السّن ، فاشترت له جارية بيضاء ، واعتقتها وزوّجتها له ، ولم يدخل بها ، ومات عنهما ، وعن زوجته الأخرى ، ثم ماتت السحراوية المذكورة لا

---

(١) ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ - ٥ فبراير ١٨١٠ م .

عن وارث فى غضون طنطنة المترجم ، فوضع يده على دارها ومالها وجواريها ، وتعلقاتها من عقار والتزام وغيره ، وزوّج الجارية لابنه عبد الهادى ، وكأنها سقطت بمالها ونوالها فى بئر عميق ، ولما جرد الباشا وعين العساكر إلى الحجاز مع ابنه طوسون باشا ، اختار أن يصحب معه من أهل العلم ، فكان المتعين لذلك المترجم مع السيد أحمد الطحطاوى ، وأنعم عليه بأكياس ، وترحيلة للنفقة ، فلما وقعت الهزيمة بالصفراء رجع مع الراجعين ، ولما توفى الشيخ الشرقاوى تعين المترجم لمشيخة الجامع ، ثم انتقضت عليه ، وقلدوها الشيخ الشنوانى كما تقدم ذكر ذلك ، فلم يظهر إلا الانشراح ، وعدم التأثر من الانكساف ، وحضر إليه الشيخ الشنوانى ، فخلع عليه فروة سمور خاص ، وزاد فى إكرامه ، وبآخرة تملك دارا بالكعكيين على شريطته فى مشترواته ، وهى التى كانت سكن الشيخ الحفنى قبل سكناه بالموسكى ، ثم تملكها الشيخ المرحوم عبد الرحمن العريشى ، ثم ابن الخنفرى ، ثم لا أدرى لمن آلت بعد ذلك ، فلما أخذها شرع فى تجديدها وتعميرها ، وفتح بها مرمة واسعة ، وأحضر أخشابا كثيرة ، وأحجارا وبلاطا ورخاما ، وبجانبها زاوية قديمة بها مدافن فهدمها وأدخلها فى الدار ، وأخرج عظام الموتى من قبورهم ودفنهم بتربة المجاورين ، كما أخبرنى عن ذلك من لفظه ، وعمل مكان الزاوية قاعة لطيفة بخارجها فسحة يتوصل إليها من حوش الدار ، وجعل مكان القبور مخابى ، وعليها طوابق ، وأسكن فى تلك الدار إحدى زوجاته ، وهى التى كانت تحت الشيخ الدنجيهى الدمياطى تزوّج بها بدمياط ، وأحضرها إلى مصر ، وأسكنها بهذه الدار ، ومعها ضرتها التى كانت من شابور ، وأكثر من المبيت فيها مع استمرار العمارة ، فلما كان فى آخر المحرم [1] ، توعك أياما ، ثم عوفى ، وذهب إلى الحمام ، وهنأه الناس بالعافية ، ومشى إلى جيرانه ، يتحدث عندهم كعادته مثل الخواجا سيدى محمد بن الحاج طاهر ، والسيد صالح الفيومى ، فخرج ليلة الجمعة الثانى من شهر صفر [2] ، وذهب عند عثمان بن سلامة السنارى ، فتحدث عندهم حصة من الليل ، وتفكهوا ثم قام ذاهبا إلى داره ماشيا على أقدامه ، وصحبته صاحبنا الشيخ خليل الصفتى يحادثه حتى وصل إلى داره المذكورة ، وانصرف الشيخ خليل إلى داره أيضًا ، ومضى نحو ساعة ، وإذا بتابع الشيخ المهدى يناديه ويطلبه إليه ، فقام فى الحين ودخل إليه فوجده راقدا فى المكان الذى نبش من القبور ، فجس يده ، فقال له

---

(١) آخر محرم ١٢٣٠ هـ / ١٢ يناير ١٨١٥ م .

(٢) ٢ صفر ١٢٣٠ هـ / ١٤ يناير ١٨١٥ م .

النساء : « إنه ميت » ، وأخبرت زوجته أنه جامعها ، ثم استلقى ، وفارق الدنيا ، وأرسلوا إلى أولاده فحضروا وحملوه فى تابوت إلى الدار الكبيرة بالموسكى ليلا ، وشاع موته ، وجهز وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل جدا ، ودفن عند الشيخ الحفنى بجانب القبر ، فسبحان الحى الذى لايموت ، فرحم الله عبدا زهد فى الفانى ، وعمل لما بعده ، ونظر إلى هذه الدار بعين الاعتبار ، نسأله التوفيق والقناعة ، وحسن الخاتمة ، عن نحو خمس وسبعين سنة ، وحاصل أمر المرحوم المترجم ، إنَّه كان من فحول العلماء ، يدرس الكتب الصعاب فى المعقول والمنقول بالتحقيق والتدقيق ، ويقررها بالحاصل ، وانتفع عليه الكثير من الطلبة ، ومنهم الآن مدرسون مشتهرون ومميزون بين نظرائهم من أهل العصر ، ولو استمر على طريقة أهل العلم السابقين ، وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا لكان نادرة عصره ، وأداه ذلك إلى قطع الاشتغال ، وإذا شرع فى الإقراء فلا يتم الكتاب فى الغالب ، ويحضر الدرس فى الجمعة يوما أو يومين ، ويهمل كذلك ، ولم يصنف تأليفا ولا رسالة فى فن من الفنون مع تأهله لذلك ، ولم يعان الشعر ولا النظم ، ونثره فى المراسلات ونحوها متوسط فى بعض القوافى السهلة ، وتقيد بقراءة الحِكَم لابن عطاء الله بعد العصر فى رمضان الثلاث سنين الأخيرة .

ومات ، الأستاذ العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه النبيه ، المهذب المتواضع ، الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الشهير بالصفوى القلعاوى الشافعى ، ولد فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين ومائة وألف [1] ، وتفقه على الشيخ الملوى ، والسحيمى ، والبراوى ، والحفنى ، ولازم شيخنا الشيخ أحمد العروسى ، وانتفع عليه ، وأذن له فى الفتيا عن لسانه ، وجمع من تقريراته ، واقتطف من تحقيقاته ، وألف وصنف ، وكتب حاشية على ابن قاسم الغزى على أبى شجاع فى الفقه ، وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازانى على التخليص ، وشرح شرح السمرقندى على الرسالة العضدية فى علم الوضع ، وله منظومة فى آداب البحث وشرحها ، ومنظومة لمتن التهذيب فى المنطق ، وشرحها ، وديوان شعر سماه : « إتحاف الناظرين فى مدح سيد المرسلين » ، وعدة من الرسائل فى معضلات المسائل ، وغير ذلك ، وكان سكنه بقلعة الجبل ، ويأتى فى كل يوم إلى الأزهر للإقراء والإفادة ، فلما أمر الباشا سكان القلعة بإخلائها والنزول منها إلى المدينة ، فنزلوا إلى المدينة ، وتركوا دورهم وأوطانهم ، نزل المترجم مع من نزل ، وسكن

---

(١) ١١٥٨ هـ / ٣ فبراير ١٧٤٥ - ٢٣ يناير ١٧٤٦ م .

بحارة أمير الجيوش جهة باب الشعرية ، ولم يزل هناك حتى تمرض أياما ، وتوفى ليلة السبت سابع عشرى شهر رمضان [1] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بزاوية الشيخ سراج الدين البلقينى بحارة بين السيارج [2] ، رحمه الله تعالى ، فإنه كان من أحسن من رأينا سمتا وعلما وصلاحا ، وتواضعا وانكسارا ، وانجماعا عن خلطة الكثير من الناس ، مقبلا على شأنه ، راضيا مرضيا ، طاهرا نقيا ، لطيف المزاج جدا ، محبوبا للناس ، عفا الله عنه ، وغفر لنا وله .

ومات ، الشيخ الفاضل ، الأجل الأمثل ، والوجيه المفضل ، الشيخ حسين بن حسن كنانى بن على المنصورى الحنفى ، تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصورى ، والشيخ محمد الدلجى ، والشيخ أحمد الفارسى ، والشيخ عمر الدبركى ، والشيخ محمد المصيلحى ، وأقرأ فى فقه المذهب دروسا فى محل جده لأمه بالأزهر ، وسكن داره بحارة الحبانية على بركة الفيل ، مع أخيه الشيخ عبد الرحمن ، ثم انتقلا فى حوادث الفرنساوية إلى حارة الأزهر ، ولما كانت حادثة [نَفْي] السيد عمر مكرم النقيب من مصر إلى دمياط ، وكتبوا فيه عرضا للدولة ، وامتنع السيد أحمد الطحطاوى من الشهادة عليه كما تقدم ، وتعصبوا عليه ، وعزلوه من مشيخة الحنفية قلدوها المترجم ، فلم يزل فيها حتى تمرض وتوفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى المحرم [3] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بتربة المجاورين ، رحمه الله وإيانًا .

ومات ، البليغ النجيب ، والنبيه الأريب ، نادرة الزمان ، وفريد الأوان ، وأخونا ومحبنا فى الله تعالى ، ومن أجله ، السيد إسماعيل بن سعد ، الشهير بالخشاب ، كان أبوه نجارا ، ثم فتح له مخزنا لبيع الخشب تجاه تكية الكلشنى بالقرب من باب زويلة، وولد له المترجم وأخواه : إبراهيم ومحمد ، وهو أصغرهما ، فتولع السيد إسماعيل المترجم بحفظ القرآن ، ثم بطلب العلم ، ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من أفاضل الوقت، وأنجب فى فقه الشافعية ، والمعقول بقدر الحاجة، وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض، وتنزل فى حرفة الشهادة بالمحكمة الكبيرة ، لضرورة التكسب فى المعاش ، ومصارف العيال ، وتمسك بمطالعة الكتب الأدبية والتصوف والتاريخ ، وأولع بذلك ، وحفظ أشياء كثيرة من الأشعار والمراسلات ، وحكايات الصوفية ، وما تكلموا فيه من الحقائق ، حتى صار نادرة

---

(١) ٢٧ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢ سبتمبر ١٨١٥ م .

(٢) حارة بين السيارج : شارع يبتدئ من آخر شارع باب الفتوح ، وأول شارع الكلباتى ، وينتهى لأول شارع الفراخة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٣) ٢٩ محرم ١٢٣٠ هـ / ١١ يناير ١٨١٥ م .

عصره فى المحاضرات والمحاورات ، واستحضار المناسبات والماجريات ، وقال الشعر الرائق ، ونثر النثر الفائق ، وصحب - بسبب ما احتوى عليه من دماثة الأخلاق ، ولطف السجايا ، وكرم الشمائل ، وخفة الروح - كثيرا من أرباب المظاهر والرؤساء من الكتاب والأمراء ، والتجار ، وتنافسوا فى صحبته ، وتفاخروا بمجالسته ، ومنهم مصطفى بيك المحمدى أمير الحاج ، وحسن أفندى العربية ، وشيخ السادات ، وغيرهم من الأماثل فيرتاحون لمنادمته ، ويتنقلون على طيب مفاكهته ، وحسن مخاطبته ، ولطف عباراته ، وكان الوقت إذ ذاك غاصا بالأكابر والرؤساء ، وأرباب الفضائل ، والناس فى بلهنية من العيش ، وأمن من المخاوف والطيش ، وللمترجم رحمه الله قوّة استحضار فى إبداء المناسبات ، بحسب ما يقتضيه حال المجلس ، فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور فى الخطاب ، ويجلب عقله بلطف محادثته كما يفعل بالعقول الشراب ، ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين ، تعين المترجم فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان ، وما يقع فيه من ذلك اليوم ؛ لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم ، وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق فى مخلص ، يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة ، يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف ، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم ، فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس من أمر أو نهى أو خطاب أو جواب أو خطأ أو صواب ، وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف نصف فضة، فلم يزل متقيدا فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبدالله جاك منو ، حتى ارتحلوا من الإقليم مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة ، وديوانهم هذا ضحوة يومين فى الجمعة ، فجمع من ذلك عدة كراريس ، ولا أدرى ما فعل بها ، وبعد أن رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته مازج المذكور وخالطه ورافقه ووافقه ولازمه ، فكان كثيرا ما يبيتان معا ، ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ، وألطف من اتساق نظم الدرر ، وكثيرا ما كانا يتنادمان بدارى ، لما بينى وبينهما من الصحبة الأكيدة ، والمودة العتيدة ، فكانا يرتاحان عندى ، ويطرحان التكلفات التى هى على النفس شديدة ، ويتمثلان بقول من قال :

فــيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا ... رأيتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرسلتُ نفسى على سَجِيتها ... وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتشِمِ

ثم يتجاذبان أطراف الكلام ، فيجولان فى كل فن من الفنون الأدبية ، والتواريخ

والمحاضـرات ، فتارة يتـشاكيـان تغير الـزمان ، وتكـدر الإخوان ، وأخرى يتـرنمان بمحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من صد وهجران ، ووصل وإحسان ، فكانت تجرى بينهـما منادمات أرق من زهر الريـاض ، وأفتك بالعقول مـن الحدق المراض ، وهما حينئذ فريدا وقتهما ، ووحيدا مصرهـما ، لم يعززا فى ذلك الوقت بثالث ، إذ ليس ثَم من يدانيهما فضلا عن مساواتهما فى تلك الشؤن التى أربت على المثانى والمثالث ، واستمرت صحبتهما ، وتزايدت على طول الأيام مودتهما ، حتى توفى المترجم وبقى بعده الشيخ حسن فريدا عمن يشاكلـه ويناشده ، ويتجارى معه ، ويحاوره ، فسكت بعد حسن البيان ، وترك نظم الشعر والـنثر ، إلا بقدر الضرورة ونفاق أهل العصر ، وذلك لتفاقم الخطوب ، وتزايد الـكروب ، وفقد الإخوان ، وعدم الخلان ، واشتغل بما هو خير من ذلك وأبقى ثـوابا فيما هنالك من تقرير العلوم وتحقـيقها ، والتأليفات المتنوعة فى الـفنون المختلفة وتنميقـها ، وهو الآن على ما هو عليه مــن السعى فى خدمة العلم وإقراء الكتب الصعبة ، وله بذلك شهرة بين الطلاب ، وقد جمع المذكور للمترجم ديوان شعـره وهو صغير الحجم له شهرة بين المتأدبين بمـصر ، ولهم به عناية ووفور رغبة ، وقد كان له فيه غلو زائد [1] ، وتأدب فى الجلوس والحديث انتقد فيه وليم عليـه هذه الأمور ، حتى كان لايخاطبـه إلا بضمير الغيبة ، حـتى ربما وقع فى ذلك بعض آيات وأحاديث ، كما قدمنا الإشارة بذلك فى ترجمته ، وكان ذلك يوافق غرضه لما جبل عـليه من التعاظم ، وقد كان جـلساؤه لما رأوا محبته لذلك يـتشبهون بالمترجم فى سلوك هذه الشؤون ، مع أنه لاداعى ولا باعث لارتكاب هذه المعاصى ، طلبا لمـرضاة من هو كثير التـلوّن على جلسائه ، وإنمـا الناس شأنهم التقـليد ، وفى طباعهم الميل إلى أرباب الدنيا ، ولو لم ينلـهم منها شىء ، ولـم يكن للمترجم شىء يعاب به إلا هذه الارتكـابات ، ولما وردت الفرنساوية لمصر ، اتفـق أن علق شابا من رؤساء كتابهم ، كان جمـيل الصورة لطيف الطبع عالما ببعض العـلوم العربية ، مائلا إلى اكتسـاب النكات الأدبية ، فصـيح اللسان بالعربـى ، يحفظ كثيرا مــن الشعر ، فلتلك المجانسة مـال كل منهما للآخر ، ووقع بينهما تـوادد وتصاف حتى كان لايقدر أحدهما على مفارقة الآخر ، فكان المـترجم تارة يذهب لداره ، وتارة يزوره هو ويقع بينهمـا من لطف المحاورة ما يتعجب مـنه ، وعند ذلك قال المترجم الـشعر الرائق ، ونظم الغزل الفائق ، فمما قاله فيه :

---

(١) كتب أمـام هذه العبارة بهامش ص ٢٣٩ ، طبعة بولاق « وقد كان له فيه .. إلخ هكذا بـالنسخ ، ولم يظهر مرجع الضميرين ، ولعل هنا سقطا ، والضمير الأول يرجع للمترجم ، والثانى لأبى الأنوار شيخ السادات ، كما أشار إلى ذلك فى ترجمة أبى الأنوار فى ١٢٢٨ أهـ » .

عُلِّقتُهُ لؤلؤيَّ الثغرِ باسمهُ فيه خلعتُ عذاري بل حلا نُسُكي
مَلَّكْتُه الروحَ طوعًا ثم قلتُ له متى ازديارُكَ لي أفديك من مَلِك
فقال لي وحُمَيّا الراحِ قد عقلَتْ لسانَهُ وهو يثني الجيدَ من ضَحِك
إذا غزا الفجرُ جيشَ الليلِ وانهزمَتْ منهُ عساكرُ ذاك الأسودِ الحلك
فجاءني وجَبِينُ الصبحِ مُشرقةٌ عليه من شغفٍ آثارُ مُعترَك
في حُلةٍ من أديمِ الليلِ رصَّعَها بمثلِ أنجُمه في قُبَّةِ الفلَك
فخلتُ بدرًا به حفَّت نجومُ دُجًا في أسودٍ من ظلامِ الليلِ مُحتَبِك
وافَى وولَّى بعقلٍ غيرَ مُختَبِلٍ من الشرابِ وسترٍ غيرَ مُنهتِك

وله في آخر يسمى ريح :

أدرْها على زهرِ الكواكبِ والزَّهرِ وإشراقِ ضوءِ البدرِ في صفْحةِ النهرِ
وهاتِ على نَغَمِ المثاني فعاطِني على خدك المحمَرِّ حمراءَ كالجمرِ
وموِّه لُجينَ الكاسِ من ذهبِ الطِّلا وخَضِّبْ بنَاني من سَنا الراحِ بالتِّبرِ
وهاكَ عقودًا من لآلي حَبَابِها فمُ الكاسِ عنها قد تبسَّم بالبِشْرِ
ومزِّقْ رداءَ الليلِ وامحُ بنُورِها دُجاه وطُفْ بالشمسِ فينا إلى الفجرِ
وأصْلِ بنارِ الخدِّ قلبي وأطفهِ ببَردِ ثَنَاياكَ الشهيةِ والثغرِ
أريجُ ذكيِّ المسكِ أنفاسُكَ التي أريجُ شذاها قد تبسَّمَ عن عطرِ
معنبرةٌ يسري النسيمُ بطيبِهَا فتغدو رياضُ الزهرِ طيِّبةَ النشرِ
ويي ذابلُ الأجفانِ كالبيضِ طرفُه مُكحَّلةٌ أجفانُه السودُ بالسحْرِ
رشًا فاتكُ الألحاظِ عيناهُ غادرتْ فؤادي في دمعي دمًا سائلاً يجري
طويلُ نجادِ السيفِ ألمى مُحجَّبٌ شقيقُ المها زاهي البَهَا ناحلُ الخصرِ
رقيقُ حواشي الطبعِ يُغني حديثُه عن اللؤلؤِ المنظومِ والنظمِ والنثرِ
يُعيرُ الرماحَ اللينَ عادلُ قدِّه ويزري الدراري ضوءُ مبسَمه الدرِّ
وتحكيه أغصانُ الربا في شمائلٍ فيرفُل في أثوابِ أوراقِها الخضرِ
وفوق سنَى ذاك الجبينِ غياهبٌ من الشَّعْرِ تبدو دونَها طلعةُ البدرِ
ولما وقفنا للوداعِ عشيةً وأمسى بروحي يومَ جدَّ النَّوى سيري
تباكى لتوديعٍ فأبدَى شقائقًا مُكلَّلةً من لؤلؤِ الطلِّ بالقطرِ

ولما نظم الشيخ حسن موشحته التي يقول فيها شعراً :

أمَّا فؤادي فعنكَ ما انتقَلا فلِمْ تخيَّرتَ في الهوى بَدلاً فاعجب
يا معْرِضًا عن محبَّةِ الدنِف ومُغرمًا بالجمَالِ والصَّلَف
ومَنْ به زادَ في الهوَى شغَفي أمَا كفَى يا ظَلُومُ ما حصَلا

حتى جَعلْتَ الصُّدودَ والمَلَلاَ مذهب

فَتـشْ فـؤادى فـلَيسَ فـيـه سوَى شَخْصِكَ أيـهـا المـلِيـحُ ثَوَى
قـد ضَل قَلْبـى لسـكـنـه وغَوى وهـكَذا مَن يُحِبُّ مُعتَدلا

لم يلق إلا تأسفا وقلا مشرب

وهي طويلة مذكورة فى ديوانه عارضه المترجم المذكور بقوله فى معشوقه الذى ذكرناه:

يـهتـزُّ كـالـغُصْنِ مَاسَ مُعتَدلا أطـلـعَ بَدْرا عـلَيـه قَدْ سَدَلا
يُزْرى بِسُمْر الـرِّمـاحِ إنْ خَطَرَا سَاحِرُ جـفْنٍ لمـهْجَتِى سَحَرَا
عَلَّم عَيـنِى الـبُكَاءَ والـسَّهَرا فـكَيـفَ أبـغِى بِحبّه بَدَلاَ

وليس لى عنه جار أو عدلا مهرب

وضَّاحُ نـورِ الجـبـينِ أبـلـجُهُ أغـيَدُ عـذْبُ الـرضَاب أفـلَجُه
وجـهُ غـرامـى عـلـيـه متَّجه فـلـسـتُ أصْغِى لعـاذلٍ عَذَلاَ

كلا وعنه فلا أحول ولا أرغب

وبقيتها فى ديوانه وقال فيه أيضًا وهو مما يعتنى به :

أدِرْها عـلى زُهر الـكواكب والـزُّهر وإشْراقِ نورِ الـبدرِ فى صَفْحَةِ الـنهْرِ

إلى آخرها ، ولم يزل المتـرجم على حالته ، ورقته ولطافته مـع ما كان عليه من كرم النـفس والعفـة والنزاهة ، والـتولع بمعـالى الأمور والتـكسب ، وكثـرة الإنفاق وسكـنى الدور الواسـعة ، والحزم ، وكان لـه صاحب يـسمى أحمـد العطار بـباب الفتوح، توفى وتزوج هو بزوجته ، وهى نصف ، وأقام معها نحو ثلاثين سنة ، ولها ولد صغير من المتوفى فتبناه ورباه ورفـهه بالملابس ، وأشفق به أضعاف والد بولده ، ولما بلغ عمل له مهما وزوجه ، ودعا الناس إلـى ولائمه ، وأنفق عليه فى ذلك إنفاقا كثيرة ، وبعد نحو سنة تمرض ذلك الغلام أشهرا فصرف عليه وعلى معالجته جملة من المال ، ومات فجزع عليـه جزعا شديدا ، ويبكى وينتحب ، وعـمل له مأتما وعزاء ، واختارت أمـه دفنه بجامع الـكردى بالحسينـية ، ورتبت له رواتب وقـراء ، واتخذت مسكنا ملاصقا لقبره أقامت به نحو الثلاثين سنة ، مع دوام عمل : الشريك والكعك بالعجمـية ، والسكر ، وطبخ الأطعمـة للمقرئين ، والزائرين ، ثـم ملازمة الميت ، واتخاذ ما ذكر فى كل جـمعة على الدوام ، والمترجم طوع يدها فـى كل ما طلبته ، وما كلفته به تسخيرا مـن الله تـعالى ، وكل ما وصل إلى يده من حرام أو حلال فهو مستهلـك عليها ، وعلى أقاربها ، وخـدمها لا لذة له فى ذلك حسيـة ولا معنوية ، لأنها فى ذاتهـا عجوز شوهاء ، وهو فى نفسه نـحيف البنية ضعيـف الحركة جدا بل

معدومها ، وابتلى بحصر البول ، وسلسه القليل مع الحرقة والتألم ، استدام بها مدة طويلة ، حتى لزم الفراش أياما ، وتوفى يوم السبت ثانى شهر الحجة الحرام (١) ، بمنزله الذى استأجره بدرب قرمز (٢) ، بين القصرين ، وصلينا عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن عند إبنه المذكور بالحسينية ، وكثيرا ما كنت أتذكر قول القائل :

ومَنْ تَراهُ بأولادِ السوَى فَرِحًا ... فى عَقْلِه عَزه إنْ شئْتَ وانْتَدبِ
أولادُ صُلْبِ الفَتَى قلَّتْ مَنافِعُهُم ... فكيفَ يَلْمَحُ نَفْعُ الأَبْعَدِ الجنبِ

مع أنه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لايدانى فعله ، وانقياده إلى هذه المرأة وحواشيها نسأل الله السلامة والعافية ، وحسن العاقبة كما قيل من تكملة ما تقدم :

فَلا سُرورَ سِوى نَفْعٍ بَعافيةٍ ... وحُسْنِ خَتْمٍ ومَا يأتى مِن الشَّغَبِ
وأَمْنِ نكْرٍ نكيرِ القَبْرِ ثُمَّةَ ما ... يكونُ بعدُ مِن الأهوالِ والتعَبِ

واستهلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (٣)

استهل شهر المحرم بيوم السبت (٤) ، وحاكم مصر وصاحبها وإقطاعها وثغورها ، وكذلك بندر جدة ومكة والمدينة المنوّرة وبلاد الحجاز محمد على باشا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولاظ محمد الذى هو كتخدا بيك قائمقامه ، هو المتصدر لإجراء الأحكام بين الناس عن أمر مخدومه ، وإبراهيم أغا أغات الباب ، والدفتردار محمد أفندى صهر الباشا ، والروزنامجى مصطفى أفندى تابع محمد أفندى باش جاكرت سابقا ، وغيطاس أفندى سرجى ، وسليمان أفندى الكماخى باشمحاسب ، ورفيقه أحمد أفندى باش قلفة ، وصالح بيك السلحدار ، وحسن أغا أغات الينكجرية ، وعلى أغا الشعراوى ، وزعيم مصر وهو الوالى ، وأغات التبديل أحمد أغا ، وهو أخو حسن أغا المذكور ، وكاتب الخزينة ، ولى خوجه ، ورئيس كتبة الأقباط المعلم غالى ، وأولاد الباشا إبراهيم باشا حاكم الصعيد ، وطوسون باشا فاتح بلاد الحجاز ، وإسماعيل باشا ببولاق ، ومحرم بيك صهر الباشا أيضًا على ابنته بالجيزة ، وأحمد أغا المعروف ببونابارته الخازندار ، وباقى كشاف الأقاليم وأكابر أعيانهم مثل : دبوس أوغلى ، وحسن أغا سرششمه ، وحجو بيك ، ومحو بيك ، وخلافهم .

(١) ٢ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٥ نوفمبر ١٨١٥ م .

(٢) درب قرمز : يقع فى أول جهة اليسار ، بشارع النحاسين ، وهو درب كبير غير نافذ .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٠ .

(٣) ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ - ٢٠ نوفمبر ١٨١٦ م . (٤) ١ محرم ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ م .

وفى ذلك اليوم [1] ، قبض كتخدا بيك على المعلم غالى ، وأمر بحبسه ، وكذلك أخوه المسمى فرنسيس ، وخازنداره المعلم سمعان ، وذلك عن أمر مخدومه من الإسكندرية ، لأنه حول عليه الطلب بستة آلاف كيس ، تأخر أداؤها إياه من حسابه القديم ، فاعتذر بعدم القدرة على أدائها فى الحين ، لأنها بواقى على أربابها ، وهو ساع فى تحصيلها ، ويطلب المهلة إلى رجوع الباشا من غيبته ، فأرسل الكتخدا بمقالته واعتذاره إلى الباشا ، وانتبذ طائفة من الأقباط فى الحط على غالى مع الكتخدا وعرفوه أنه إذا حوسب يظهر عليه ثلاثون ألف كيس ، فقال لهم : « إن لم يتأخر عليه هذا القدر تكونوا ملزومين به إلى الخزينة » ، فأجابوه إلى ذلك ، فأرسل يعرف الباشا بذلك ، فورد الأمر بالقبض عليه وعلى أخيه وخازنداره وحبسهم وعزله ، ومطالبته بستة آلاف كيس القديمة أولاً ، ثم حسابه بعد ذلك ، فأحضر المرافعين عليه، وهم المعلم جرجس الطويل ، ومنقريوس البتنونى ، وحنا الطويل ، وألبسهم خلعا على رياسة الكتاب عوضا عن غالى ومن يليه ، واستمر غالى فى الحبس ، ثم أحضره مع أخيه وخازنداره ، فضربوا أخاه أمامه ، ثم أمر بضربه ، فقال : « وأنا أضرب أيضًا » ، قال : « نعم » ، ثم ضربوه على رجليه بالكرابيج ، ورفع وكرر عليه الضرب ، وضرب سمعان ألف كرباج ، حتى أشرف على الهلاك ، ووجدوا فى جيبه ألف مشخص بندقى ومائتى محبوب ، عنها اثنان وعشرون ألف قرش ، ثم بعد أيام أفرجوا عن أخيه ، وسمعان ، ليسعيا فى التحصيل ، وهلك سمعان ، واستمر غالى فى السجن ، وقد رفعوا عنه وعن أخيه العقاب لئلا يموتا .

وفى عاشره [2] ، رجع الباشا من غيبته من الإسكندرية ، وأول ما بدأ به إخراج العساكر مع كبرائهم إلى ناحية بحرى ، وجهة البحيرة ، والثغور ، فنصبوا خيامهم بالبر الغربى والشرقى تجاه الرحمانية ، وأخذوا صحبتهم مدافع وبارود وآلات الحرب، واستمر خروجهم فى كل يوم ، وذلك من مكايده معهم ، وإبعادهم عن مصر ، جزاء فعلتهم المتقدمة فخرجوا أرسالا .

واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٣١ [3]

فيه [4] ، تشفع جونى الحكيم فى المعلم غالى ، وأخذه من الحبس إلى داره ، والعساكر مستمرون فى التشهيل والخروج ، وهم لايعلمون المراد بهم ، وكثرت الروايات والأخبار والإيهامات والظنون ، ومعنى الشعر فى بطن الشاعر .

---

(١) ١ محرم ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ م .
(٢) ١٠ محرم ١٢٣١ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨١٥ م .
(٣) صفر ١٢٣١ هـ / ٢ يناير - ٣٠ يناير ١٨١٦ م .
(٤) ١ صفر ١٢٣١ هـ / ٢ يناير ١٨١٦ م .

واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢٣١ (١)

فيه (٢) ، سافر طوسون باشا وأخوه إسماعيل باشا إلى ناحية رشيد ، ونصبوا عرضيهما عند الحماد ، وناحية أبي منضور ، وحسين بيك دالى باشا وخلافه مثل : حسن أغا أرزجنلي ، ومحو بيك ، وصارى جله ، وحجو بيك ، جهة البحيرة ، وكل ذلك توطين وتلبيس للعساكر بكونه أخرج حتى أولاده العزاز للمحافظة ، وكذلك الكثير من كبرائهم إلى جهة البحر الشرقى ودمياط .

وفى ثانى عشره (٣) ، صبيحة المولد النبوى ، طلب الباشا المشايخ ، فلما جلسوا مجلسهم ، وفيهم الشيخ البكرى ، أحضروا خلعة ، وألبسوها له على منصب نقابة الأشراف عوضا عن السيد محمد المحروقى ، وفاوضه فى ذلك ، ورأى أن يقلده إياه فاعتذر السيد محمد المحروقى ، واستعفى ، وقال أنا متقيد بخدمة أفندينا ، ومهمات المتاجر ، والعرب والحجاز ، فقال : « قد قلدتك إياها فأعطها لمن شئت » ، فذكر أنها كانت مضافة للشيخ البكرى ، وهو أولى من غيره ، فلما حضروا وتكاملوا ألبسوه الخلعة واستصوب الجماعة ذلك وانصرفوا .

وفى الحال ، كتب فرمان بإخراج الدواخلى منفيا إلى قرية دسوق ، فنزل إليه السيد أحمد الملا الترجمان وصحبته قواس تركى ، وبيده الفرمان ، فدخلوا إليه على حين غفلة ، وكان بداخل حريمه ، ولم يشعر بشىء مما جرى ، فخرج إليهم ، فأعطوه الفرمان ، فلما قرأه غاب عن حواسه ، وأجاب بالطاعة ، وأمروه بالركوب فركب بغلته ، وسارا به إلى بولاق إلى المنزل الذى كان شراه بعد موت ولده ، والشيخ سالم الشرقاوى ، وانسل مما كان فيه كانسلال الشعرة من العجين ، وتفرق الجمع الذى كان حوله ، وشرع الأشياخ فى تنميق عرضحال عن لسانهم بأمر الباشا بتعداد جنايات الدواخلى وذنوبه ، وموجبات عزله ، وأنَّ ذلك بترجيهم والتماسهم عزله ونفيه ، ويرسل ذلك العزضحال لنقيب الأشراف بدار السلطنة ، لأن الذى يكون نقيبا بمصر نيابة عنه ، ويرسل إليه الهدية فى كل سنة ، فالذى نقموه عليه من الذنوب أنَّه تطاول على حسين أفندى شيخ رواق الترك ، وسبه وحبسه من غير جرم ، وذلك أنَّه اشترى منه جارية حبشية بقدر من الفرانسة ، فلما أقبضه الثمن أعطاه بدلها قروشا بدون الفرط الذى كان بين المعاملتين ، فتوقف السيد حسين ،

---

(١) ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ٣١ يناير - ٢٩ فبراير ١٨١٦ م .

(٢) ١ ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ٣١ يناير ١٨١٦ م .   (٣) ١٢ ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ١١ فبراير ١٨١٦ م .

وقال : « إما تعطينى العين التى وقع عليها الانفصال ، أو تكمل فرط النقص » ، وتشاحا وأدى ذلك إلى سبه وحبسه ، وهو رجل كبير متضلع ، ومدرس ، وشيخ رواق الأتراك بالأزهر ، وهذه القضية سابقة على حادثة نفيه بنحو سنتين .

ومنها ، أيضًا أنه تطاول على السيد منصور اليافى ، بسبب فتيا رفعت إليه ، وهى أنَّ امرأة وقفت وقفا فى مرض موتها ، وأفتى بصحة الوقف على قول ضعيف ، فسبه فى ملأ من الجمع ، وأراد ضربه ، ونزع عمامته من على رأسه .

ومنها : أيضًا أنه يعارض القاضى فى أحكامه ، وينقص محاصيله ، ويكتب فى بيته وثائق وقضايا صلحا ، ويسب أتباع القاضى ورسل المحكمة ، ويعارض شيخ الجامع الأزهر فى أموره ، ونحو ذلك ، وعندما سطروه وتمموه وضعوا عليه ختومهم ، وأرسلوه إلى إسلامبول ، على أنَّ جناياته عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة ، بل ولا علم له بها ولا التفات ، وإنما هى أشياء وراء ذلك كله ظهر بعضها ، وخفى عنا باقيها ، وذلك أنَّ الباشا يحب الشوكة ونفوذ أوامره فى كل مرام ، ولايصطفى ويحب إلا من لايعارضه ولو فى جزئية ، أو يفتح له بابا يهب منه ريح الدراهم والدنانير ، أو يدله على ما فيه كسب أو ربح من أىّ طريق أو سبب ، من أى ملة كان ، ولما حصلت واقعة قيام العسكر فى أواخر السنة الماضية ، وأقام الباشا بالقلعة يدبر أمره فيهم ، وألزم أعيان المتظاهرين الطلوع إليه فى كل ليلة ، وأجَلَّ المتعممين الدواخلى ، لكونه معدودا فى العلماء ، ونقيبا على الأشراف ، وهى رتبة الوالى عند العثمانيين ، فداخله الغرور وظن أن الباشا قد حصل فى ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والنذور ، ولكونه رآه يسترضى خواطر الرعية المنهوبين ، ويدفع لهم أثمانها ، ويستميل كبار العساكر ، وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من أكياس المال ، ويسترسل معه فى المسامرة والمسايرة ولين الخطاب والمذاكرة والمضاحكة ، فلما رأى إقبال الباشا عليه زاد طمعه فى الاسترسال معه فقال له : « الله يحفظ حضرة أفندينا وينصره على أعدائه ، والمخالفين له ، ونرجو من إحسانه بعد هدوّ سره وسكون هذه الفتنة ، أنْ ينعم علينا ، ويجرينا على عوائدنا فى الحمايات والمسامحات فى خصوص ما يتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق » ، فأجابه بقوله : « نعم يكون ذلك ، ولابد من الراحة لكم ، ولكافة الناس » ، فدعا له وأنس فؤاده ، وقال : « الله تعالى يحفظ أفندينا وينصره على أعدائه ، كذلك يكون تمام ما أشرتم به من الراحة لكافة الناس الإفراج عن الرزق الأحباسية على المساجد والفقراء » ، فقال : « نعم » ، ووعده مواعيده العرقوبية ، فكان الدواخلى

إذا نزل من القلعة إلى داره يـحكى فى مجلسه ، ما يكون بينه وبـين الباشا من أمثال هذا الكلام ويذيعه فى الـناس ، ولما أمر الباشا الكتاب بتحرير حـساب الملتزمين على الوجه المرضى بديوان خاص لرجال دائرة الباشا وأكابر العسكر ، وذلك بالقلعة تطييبا لخواطرهم ، وديوان آخر فى المدينة لعامة الملتزمين ، فيحررون للخاصة بالقلعة ما فى قوائم مصـروفهم ، وما كانوا يـأخذونه من المضاف والـبرانى والهدايا وغـير ذلك ، والديوان الـعام التحتـانى بخلاف ذلك ، فـلما رأى الدواخـلى ذلك الترتـيب ، قال للباشـا : « وأنا الفقير محسـوبكم من رجال الدائرة » ، فقـال : « نعم » ، وحرروا قوائمه مع الأكـابر وأكابر الدولة ، وأنعم عليـه الباشا بأكياس أيضًا كـثيرة زيادة على ذلك ، فلـما راق الحال ، ورتب الباشـا أموره مع العسكـر أخذ يذكّر الباشـا بإنجاز الوعد ، ويـكرر القول عليـه وعلى كتخدا بـيك ، بقوله : « أنـتم تكذبون علـينا ، ونحن نكذب عـلى الناس » ، وأخذ يتطاول علـى كتبة الأقباط بسبب أمـور يلزمهم ويكلفهـم بإتمامها ، وعذرهم يخـفى عنه فى تأخيرها ، فـيكلمهم بحضـرة الكتخدا ويشتمهم ، ويقول لبعضهم : « أما اعتبرتم بما حصل للعين غالى » ، فيحقدون عليه ويشكون مـنه للباشا والكتـخدا ، وغير ذلك أمورا مثـل تعرضه للقاضى فـى قضاياه وتشكيه منه ، واتفق أنَّه لما حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية ، وكان بصحبته أحمد جلبى ابن ذى الفقار كـتخدا الفلاح ، وكأنه كان كتخداه بالصعـيد ، وتشكت الناس من أفاعيله وإغوائه إبراهيم باشا ، فاجتمع به الدواخلى عند السيد محمد المحروقى ، وحضر قبل ذلك إليه للسلام عليه ، وفى كل مـرة يوبخه بالكلام ويلومه على أفاعيله بالقـول الخـشن فى ملأ من الناس ، فذهـب إلى الباشا وبالغ فى الـشكوى ، ويقول فيها : « أنا نـصحت فى خدمة أفندينـا جهدى ، وأظهرت من المخبآت مـا عجز عنه غيرى ، فأجـازى عـليه مـن هذا الشيخ ما أسـمعنيه من قبيح القـول ، وتجبيهى بين الملأ ، وإذا كان محبا لأفندينا فلا يكره نفعه ، ولا النصح فى خدمته » ، وأمثال ذلك مما يـخفى عـنا خبره ، فـمثل هـذه الأمور هـى التى أوغرت صـدر الباشا عـلى الدواخلى ، مع أنها فى الحقيقة ليست خلافا عند من فيه قابلية للخير ، وأنا أقول إنَّ الذى وقع لهذا الدواخلى إنما هو قصاص وجزاء فعله فى السيد عمر مكرم ، فإنه كان من أكبر الساعين عـليه إلى أن عزلوه وأخرجوه من مصر ، والجزاء مـن جنس العمل كما قيل :

فقُلْ لِلشَّامتِينَ بِنَا افيقُـوا　　　سَيلْقَى الشَّامتُون كَما لَقِينا

ولما جرى على الـدواخلى ما جرى من العزل والـنفى ، أظهر الكثيـر من نظرائه المتفقهين الشماتة والفرح ، وعملوا ولائم وعزائم ومضاحكات ، كما يقال :

أمورٌ تضحكُ السفهاءُ منها ويبكِي مِن عَواقبها اللَّبيبُ

وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس ، وانهمكوا فى الأمور الدنيوية ، والحظوظ النفسانية ، والوساوس الشيطانية ، ومشاركة الجهال فى المآتم ، والمسارعة إلى الولائم فى الأفراح والمآتم ، وللكباب والمحمرات خاطفين ، وعلى ما وجب عليهم من النصح تاركين .

وفى أواخره [1] ، شرعوا فى عمل مهم عظيم بمنزل ولى أفندى ، ويقال له ولى خجا ، وهو كاتب الخزينة العامرة ، وهو من طائفة الأرنؤد ، واختص به الباشا ، واستأمنه على الأمور ، وضم إليه دفاتر الإيراد من جميع وجوه جبايات الأموال من خراج البلاد ، والمحدثات وحسابات المباشرين ، وأنشأ دارا عظيمة بخطة باب اللوق على البركة المعروفة بأبى الشوارب ، وأدخل فيها عدة بيوت بجانبيها وتجاهها ، على نسق واصطلاح الأبنية الإفرنجية والرومية ، وتأنق فى زخرفتها واتساعها ، واستمرت العمارة بها نحو السنتين ، ولما كملت وتمت أحضروا القاضى والمشايخ وعقدوا لولديه على ابنتين من أقارب الباشا بحضرة الأعيان ، ومن ذكر ، واحتفلوا بعمل المهم احتفالا زائدا ، وتقيد السيد محمد المحروقى بالمصاريف والتنظيم واللوازم ، كما كان فى أفراح أولاد الباشا ، واجتمعت الملاعيب والبهلوانات بالبركة وما حولها ، وبالشارع ، وعلقوا تعاليق قناديل ، ونجفات وأحمال بلور وزينات ، واجتمع الناس للفرجة ، وبالليل حراقات ونفوط ومدافع وسواريخ سبع ليال متوالية ، وعملت الزفة يوم الخميس ، واجتمعت العربات لأرباب الحرف كما تقدم فى العام الماضى بل أزيد ، وذلك لأن الباشا لم يشاهد أفراح أولاده ، لكونه كان غائبا بالديار الحجازية ، وحضر الباشا للفرجة ، وجلس بمدرسة الغورية بقصد الفرجة ، وعمل له السيد محمد المحروقى الغداء ، وخرجوا بالزفة أوائل النهار ، وداروا بها دورة طويلة ، فلم يمروا بسوق الغورية إلا قريب الغروب أواخر النهار .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣١ [2]

وخروج العساكر إلى ناحية بجرى مستمر ، وأفصح الباشا وذكر فى كلامه فى مجالسه وبيَّنَ السر فى إخراجهم من المدينة ، بأن العساكر قد كثروا ، وفى إقامتهم بالبلدة مع كثرتهم ضرر وإفساد وضيق على الرعية ، مع عدم الحاجة إليهم داخل

(١) آخر ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ٢٩ فبراير ١٨١٦ م .

(٢) ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ١ مارس - ٣٠ مارس ١٨١٦ م .

البلدة ، والأولى والأحوط أنْ يكونوا خارجها وحولها مرابطين لحفظ الثغور من طارق على حين غفلة ، أو حادث خارجى ، وليس لهم إلا رواتبهم وعلائفهم تأتيهم فى أماكنهم ومراكزهم ، والسر الخفى إخراج الذين قصدوا غدره وخيانته ، ووقع بسبب حركتهم ما وقع من النهب والإزعاج فى أواخر شعبان من السنة الماضية [1] ، وكان قد بدأ بإخراج أولاده وخواصه من تحيله واحدا بعد واحد وأسر إلى أولاده بما فى ضميره ، وأصحب مع ولده طوسون باشا شخصا من خواصه يسمى أحمد أغا البخورجى المدللى ، وأخذ طوسون باشا فى تدبير الإيقاع مع من يريد به ، فبدأ بمحو بيك وهو أعظمهم وأكثرهم جندا ، فأخذ فى تأليف عساكره حتى لم يبق معه إلا القليل ، ثم أرسل فى وقت بطلب محو بيك عنده فى مشورة ، فذهب إليه أحمد أغا المدللى المذكور وأسر إليه ما يراد به ، وأشار إليه بعدم الذهاب ، فركب محو بيك فى الحال وذهب عند الدلاة ، فأرسلوا إلى مصطفى بيك وهو كبير على طائفة من الدلاة ، وأخو زوجة الباشا ، وقريبه وإلى إسماعيل باشا ابن الباشا ليتوسطا فى صلح محو بيك مع الباشا ، وليعفوه ويذهب إلى بلاده ، فأرسلا إلى الباشا بالخبر وبما نقله أحمد أغا المدللى إلى محو بيك ، فسفه رأيه فى تصديق المقالة ، وفى هروبه عند الدلاة ، ثم يقول لولا أنَّ فى نفسه خيانة لما فعل من التصديق والهروب ، وكان طوسون باشا لما جرى من أحمد أغا ما جرى من نقل الخبر لمحو بيك عوّقه ، وأرسل إلى أبيه يعلمه بذلك ، فطلبه للحضور إليه بمصر ، فلما مثل بين يديه وبخه وعزره بالكلام ، وقال له : « ترمى الفتن بين أولادى وكبار العسكر » ، ثم أمر بقتله ، فنزلوا به إلى باب زويلة ، وقطعوا رأسه هناك ، وتركوه مرميا طول النهار ، ثم رفعوه إلى داره ، وعملوا له فى صبحها مشهدا ودفنوه .

وفيه [2] ، حضر إسماعيل باشا ومصطفى بيك إلى مصر .

وفى أواخره [3] ، حضر شخص يسمى سليم كاشف من الأجناد المصرية ، مرسلا من عند بقاياهم من الأمراء وأتباعهم الذين رماهم الزمان بكلكله ، وأقصاهم وأبعدهم عن أوطانهم ، واستوطنهم دنقلة من بلاد السودان ، يتقوّتون مما يزرعونه بأيديهم من الدخن ، وبينهم وبين أقصى الصعيد مسافة طويلة نحو من أربعين يوما ، وقد طال عليهم الأمد ، ومات أكثرهم ومعظم رؤسائهم مثل : عثمان بيك حسن وسليم أغا ، وأحمد أغا شويكار ، وغيرهم ، ممن لاعلم لنا بخبرة أخبارهم ، لبعد المسافة حتى على أهل منازلهم ، وبقى ممن لم يمت منهم إبراهيم بيك الكبير ، وعبد

(١) آخر شعبان ١٢٣٠ هـ / ٦ اغسطس ١٨١٥ م .
(٢) ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ١ مارس - ٣٠ مارس ١٨١٦ م .
(٣) آخر ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ٣٠ مارس ١٨١٦ م .

الرحمن بيك تابع عثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك يوسف ، وأحمد بيك الألفى زوج عديلة ابنة إبراهيم بيك الكبير ، وعلى بيك أيوب ، وبواقى صغار الأمراء ، والمماليك على ظنّ خيانتهم ، وقد كبر سنّ إبراهيم بيك الكبير وعجزت قواه ، ووهن جسمه ، فلما طالت عليهم الغربة أرسلوا هذا المرسل بمكاتبة إلى الباشا يستعطفونه ، ويسألون فضله ، ويرجون مراحمه بأن ينعم عليهم بالأمان على نفوسهم، ويأذن لهم بالانتقال من دنقلة إلى جهة من أراضى مصر يقيمون بها أيضًا ، ويتعيشون فيها بأقل العيش تحت أمانه ، ويدفعون ما يجب عليهم من الخراج الذى يقرره عليهم ، ولايتعدى مراسمه وأوامره ، فلما حضر وقابل الباشا وتكلم معه ، وسأله عن حالهم وشأنهم ، ومن مات ومن لم يمت منهم ، وهو يخبره خبره ، ثم أمره بالانصراف إلى محله الذى نزل فيه إلى أن يرد عليه الجواب ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ، فأقام أياما حتى كتب له جواب رسالته ، مضمونها : « أنه أعطاهم الأمان على أنفسهم بشروط شرطها عليهم إنْ خالفوا منها شرطا واحدا ، كان أمانهم منقوضا ، وعهدهم منكوثا ، ويحل بهم ما حل بمن تقدم منهم .

فأوّل الشروط : أنّهم إذا عزموا على الانتقال من المحل الذى هم فيه ، يرسلون أمامهم نجابا يخبره بخبرهم وحركتهم وانتقالهم ، ليأتيهم من أعينه لملاقاتهم .

الثانى : إذا حلوا بأرض الصعيد لايأخذون من أهل النواحى كلفة ولا دجاجة ولا رغيفا واحدا ، وإنما الذى يتعين لملاقاتهم يقوم لهم بما يحتاجون إليه من مؤنة وعليق ومصرف .

الثالث : أنى لا أقطعهم شيئًا من الأراضى والنواحى ، ولا إقامة فى جهة من جهات أراضى مصر ، بل يأتون عندى وينزلون على حكمى ، ولهم ما يليق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصرف ، ومن كان ذا قوّة قلدته منصبا أو خدمة تليق به ، أو ضممته إلى بعض الأكابر من رؤساء العسكر ، وإن كان ضعيفا أو هرما أجريت عليه نفقة لنفسه وعياله .

الرابع : أنهم إذا حصلوا بمصر على هذه الشروط ، وطلبوا شيئًا من إقطاع أو رزقة أو قنطرة أو أقل مما كان فى تصرفهم فى الزمن الماضى أو نحو ذلك انتقض معى عهدهم ، وبطل أمانى لهم بمخالفة شرط واحد من هذه الشروط » ، وهى سبعة غاب عن ذهنى باقيها ، فسبحان المعز المذل مقلب الأحوال ومغير الشؤون .

فمن العبر ، أنه لما حضر المصريون ، ودخلوا إلى مصر بعد مقتل طاهر باشا ، وتأمروا وتحكموا ، فكانت عساكر الأتراك فى خدمتهم ، ومن أرذل طوائفهم

وعلائفهم تصرف عليهم من أيدى كتابهم وأتباعهم ، وإبراهيم بيك هو الأمير الكبير ، وراتب محمد على باشا هذا من الخبز واللحم والأرز والسمن الذى عينه له من كيلاره، نعوذ بالله من سوء المنقلب ، ورجع سليم كاشف المرسل إليهم بالجواب المشتمل على ما فيه من الشروط .

وفيه (١) ، أمر الباشا بحبس أحمد أفندى المعايرجى بدار الضرب (٢) ، وحبس أيضًا عبدالله بكتاش ناظر الضربخانة ، واحتج عليهما باختلاسات يختلسانها ، واستمر أيامًا حتى قدر عليهما نحو السبعمائة كيس ، وعلى الحاج سالم الجواهرجى - وهو الذى يتعاطى إيراد الذهب والفضة إلى شغل الضربخانة - مثلها ، ثم أطلق المذكوران ليحصلا ما تقرر عليهما ، وكذلك أطلق الحاج سالم وشرعوا فى التحصيل بالبيع والاستدانة ، واشتد القهر بالحاج سالم ومات على حين غفلة ، وقيل إنَّه ابتلع فص الماس ، وكان عليه ديون باقية من التى استدانها فى المرة الأولى والغرامة السابقة .

ومن النوادر الغريبة والاتفاقات العجيبة (٣) ، أنه لما مات إبراهيم بيك المدَّاد بالضربخانة قبل تاريخه ، تزوّج بزوجته أحمد أفندى المعايرجى المذكور ، فلما عوق أحمد أفندى خافت زوجته المذكورة أنْ يدهمها أمر مثل الختم على الدار أو نحو ذلك، فجمعت مصاغها ، وما تخاف عليه مما خف حمله وثقل ثمنه ، وربطته فى صرة ، وأودعتها عند امرأة من معارفها فسطا على بيت تلك المرأة شخص حرامى ، وأخذ تلك الصرة ، وذهب بها إلى دار امرأة من أقاربه بالقرب من جامع مسكة(٤) ، وقال لها احفظى عندك هذه الصرة حتى أرجع ، ونزل إلى أسفل الدار فنادته المرأة ، أصبر حتى آتيك بشيء تأكله ، فقال : « نعم فإنى جيعان » ، وجلس أسفل الدار ينتظر إتيانها له بما يأكله ، وصادف مجئ زوج المرأة تلك الساعة فوجده فرحب به ، وهو يعلم بحاله ويكره مجيئه إلى داره ، وطلع إلى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة، فسألها عنها فأخبرته أن قريبها المذكور أتى بها إليها ، حتى يعود لأخذها فجسها فوجدها ثقيلة ، فنزل فى الحال ، ودخل على محمد أفندى سليم من أعيان جيران الخطة ، فأخبره فأحضر محمد أفندى أنفارا من الجيران أيضًا ، وفيهم

(١) آخر ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ٣٠ مارس ١٨١٦ م .

(٢) بالأصل « الدرب » ، وصحتها « الضرب » صويت .

(٣) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٢٤٧ ، طبعة بولاق « نادرة غريبة » .

(٤) جامع مسكة : يقع بسوق مسكة ، قرب جامع الشيخ صالح أبى حديد ، بخط الحنفى ، أنشأته الست مسكة سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م ، والست مسكة هى جارية الناصر محمد بن قلاوون .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

الخجا المنسوب إلى أحمد أغا لاظ المقتول ، ودخل الجميع إلى الدار ، وذلك الحرامى جالس ومشتغل بالأكل ، فوكلوا به الخدم ، وأحضروا تلك الصرة وفتحوها فوجدوا بها مصاغا وكيسا بداخله أنصاف فضة عديدة ، وذكروا أن عدتها أربعون ألفا ، ولكنها من غير ختم ، وبدون نقش السكة ، فأخذوا ذلك وتوجهوا لكتخدا بيك ، وصحبتهم الحرامى ، فسألوه وهددوه ، فأقر وأخبر عن المكان الذى اختلسها منه ، فأحضروا صاحبة المكان ، فقالت : « هو وديعة عندى لزوجة أحمد أفندى المعايرجى ، فثبت لديهم خيانته واختلاسه » ، وسئل أحمد أفندى فحلف أنه لايعلم بشىء من ذلك ، وأنّ زوجته كانت زوجا لإبراهيم المدّاد ، فلعل ذلك عندها من أيامه ، وسئلت هى أيضًا عن تحقيق ذلك ، فقالت : « الصحيح أنّ إبراهيم المداد كان اشترى هذه الدراهم من شخص مغربى ، عندما نهب عسكر المغاربة الضربخانة فى وقت حادثة الأمراء المصريين ، وخروجهم من مصر عندما قامت عليهم عسكر الأتراك » ، فلم يزيلوا الشبهة عن أحمد أفندى بل زادت ، وكانت هذه النادرة من عجائب الاتفاق ، فقدروا أثمانها وخصموها من المطلوب منه .

وفى يوم الخميس عشرينه [1] ، حصلت جمعية ببيت البكرى ، وحضر المشايخ وخلافهم ، وذلك بأمر باطنى من صاحب الدولة ، وتذاكروا ما يفعله قاضى العسكر من الجور والطمع فى أخذ أموال الناس والمحاصيل ، وذلك أنّ القضاة الذين يأتون من باب السلطنة كانت لهم عوائد وقوانين قديمة لايتعدونها فى أيام الأمراء المصريين ، فلما استولت هؤلاء الأروام على الممالك ، والقاضى منهم ، فحش أمرهم وزاد طمعهم ، وابتدعوا بدعا ، وابتكروا حيلا لسلب أموال الناس والأيتام والأرامل ، وكلما ورد قاض ورأى ما ابتكره الذى كان قبله ، أحدث هو الآخر أشياء يمتاز بها عن سلفه حتى فحش الأمر ، وتعدى ذلك لقضايا أكابر الدولة ، وكتخدا بيك بل والباشا ، وصارت ذريعة وأمرا محتما لا يحتشمون منه ، ولايراعون خليلا ، ولا كبيرا ولا جليلا ، وكان المعتاد القديم أنّه إذا ورد القاضى فى أوّل السنة التوتية ، التزم بالقسمة بعض المميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم ، يقوم بدفعه للقاضى ، وكذلك تقرير الوظائف ، كانت بالفراغ أو المحلول ، وله شهريات على باقى المحاكم الخارجة ، كالصالحية ، وباب سعادة والخرق ، وباب الشعرية ، وباب زويلة ، وباب الفتوح ، وطيلون ، وقناطر السباع ، وبولاق ، ومصر القديمة ، ونحو ذلك ، وله عوائد وإطلاقات ، وغلال من الميرى ، وليس له غير ذلك إلا معلوم الإمضاء ، وهو

(١) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ٢٠ مارس ١٨١٦ م .

خمسة أنصاف فضة ، فإذا احتاج الناس فى قضاياهم ومواريثهم أحضروا شاهدا من المحكمة القريبة منهم ، فيقضى فيها ما يقضيه ويعطونه أجرته ، وهو يكتب التوثيق أو حجة المبايعة أو التوريث ، ويجمع العدة من الأوراق فى كل جمعة ، أو شهر ، ثم يمضيها من القاضى ، ويدفع له معلوم الإمضاء لا غير ، وأما القضايا لمثل العلماء والأمراء فبالمسامحة والإكرام ،وكان القضاة يخشون صولة الفقهاء وقت كونهم يصدعون بالحق ، ولايداهنون فيه ، فلما تغيرت الأحوال وتحكمت الأتراك وقضاتها ابتدعوا بدعا شتى .

منها : إبطال نواب المحاكم ،وإبطال القضاة الثلاثة خلاف مذهب الحنفى ، وأن تكون جميع الدعاوى بين يديه ويدى نائبه ، وبعد الانفصال يأمرهم بالذهاب إلى كتخداه ، ليدفع المحصول ، فيطلب منهم المقادير الخارجة عن المعقول ، وذلك خلاف الرشوات الخفية ، والمصالحات السرية ، وأضاف التقرير والقسمة لنفسه ، ولايلتزم بها أحد من الشهود كما كان فى السابق ، وإذا دعى بعض الشهود لكتابة توثيق أو مبايعة أو تركة ، فلا يذهب إلا بعد أن يأذن له القاضى ويصحبه بكجوقه دار ، ليباشر القضية ، وله نصيب أيضًا ، وزاد طمع هؤلاء الجخدارية حتى لايرضون بالقليل كما كانوا فى أوّل الأمر ، وتخلف منهم أشخاص بمصر عن مخاديمهم ، وصاروا عند المتولى لما انفتح لهم هذا الباب ، وإذا ضبط تركة من التركات ، وبلغت مقدارا أخرجوا للقاضى العشر من ذلك ، ومعلوم الكاتب ، والجوخدار والرسول ، ثم التجهيز والتكفين والمصرف والديوان ، وما بقى بعد ذلك يقسم بين الورثة ، فيتفق أن الوارث واليتيم لايبقى له شىء ، ويأخذ من أرباب الديون عشر ديونهم أيضًا ، ويأخذ من محاليل وظائف التقارير معلوم سنتين أو ثلاثة ، وقد كان يصالح عليها بأدنى شىء ، وإلا إكراما ، وابتدع بعضهم الفحص عن وظائف القبانية والموازين ، وطلب تقاريرهم القديمة ، ومن أين تلقوها ، وتعلل عليهم بعدم صلاحية المقرر ، وفيها من هو باسم النساء ، وليسوا أهلا لذلك ، وجمع من هذا النوع مقدارا عظيما من المال ، ثم محاسبات نظار الأوقاف والعزل والتولية فيهم ، والمصالحات على ذلك ، وقرر على نصارى الأقباط والأروام قدرا عظيما فى كل سنة بحجة المحاسبة على الديور والكنائس ، ومما هو زائد الشناعة أيضًا أنه إذا أدعى مبطل على إنسان دعوى لا أصل لها ، بأن قال أدعى عليه بكذا وكذا من المال وغيره ، كتب المقيد ذلك القول حقا كان أو باطلا ، معقولا أو غير معقول ، ثم يظهر بطلان الدعوى أو صحة بعضها ، فيطالب الخصم بمحصول القدر الذى إدعاه المدعى ، وسطره الكاتب يدفعه المدعى عليه للقاضى على دور النصف الواحد ، أو يحبس عليه حتى يوفيه ، وذلك خلاف

ما يؤخذ من الخصم الآخر ، وحصل نظيرها لبعض من هو ملتجئ لكتخدا بيك ، فحبس على المحصول ، فأرسل الكتخدا يترجى فى إطلاقه والمصالحة عن بعضه ، فأبى فعند ذلك حنق الكتخدا وأرسل من أعوانه من استخرجه من الحبس ، ومن الزيادات فى نغمة الطنبور كتابة الإعلامات : وهو أنّه إذا حضر عند القاضى دعوى بقاصد من عند الكتخدا أو الباشا ليقضى فيها ، وقضى فيها لأحد الخصمين طلب المقضى له إعلاما بذلك إلى الكتخدا أو الباشا ، يرجع به مع القاصد تقييدا أو إثباتا ، فعند ذلك لايكتب له ذلك الإعلام إلا بما عسى لايرضيه إلا أن يسلخ من جلده طاقا أو طاقين ، وقد حكمت عليه الصورة ، وتابع الباشا أو الكتخدا ملازم له ويستعجله ، ويساعد كتخدا القاضى عليه ، ويسليه على ذلك الظفر والنصرة على الخصم ، مع أن الفرنساوية الذين كانوا لايتدينون بدين ، لما قلدوا الشيخ أحمد العريشى القضاء بين المسلمين بالمحكمة ، حددوا له حدا فى أخذ المحاصيل لايتعداه ، بأن يأخذ على المائة اثنين فقط له منها جزء وللكتاب جزء ، فلما زاد الحال وتعدى إلى أهل الدولة رتبوا هذه الجمعية ، فلما تكاملوا بمجلس بيت البكرى ، كتبوا عرضا محضرا ذكروا فيه بعض هذه الإحداثات ، والتمسوا من ولى الأمر رفعها ، ويرجون من المراحم أن يجرى القاضى ، ويسلك فى الناس طريقا من إحدى الطرق الثلاث ، إما الطريقة التى كان عليها القضاة فى زمن الأمراء المصريين ، وإما الطريقة التى كانت فى زمن الفرنساوية ، أو الطريقة التى كانت أيام مجئ الوزير وهى الأقرب والأوفق ، وقد اخترناها ورضيناها بالنسبة لما هم عليه الآن من الجور » ، وتمموا العرض محضرا ، وأطلعوا عليه الباشا ، فأرسله إلى القاضى ، فامتثل الأمر ، وسجل بالسجل على مضض منه ، ولم تسعه المخالفة .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣١ (١)

فى منتصفه (٢) ، ورد الخبر بموت مصطفى بيك دالى باشا بناحية الإسكندرية ، وهو قريب الباشا وأخو زوجته .

واستهل شهر رجب الأصم بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣١ (٣)

فى ثالثه يوم الخميس (٤) ، قبل الغروب حصل فى الناس انزعاج ولغط ، ونقل أصحاب الحوانيت بضائعهم منها مثل : سوق الغورية ، ومرجوش ، وخان

(١) جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ٢٩ أبريل - ٢٧ مايو ١٨١٦ م .

(٢) ١٥ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ١٣ مايو ١٨١٦ م . (٣) رجب ١٢٣١ هـ / ٢٨ مايو - ٢٦ يونيه ١٨١٦ م .

(٤) ٣ رجب ١٢٣١ هـ / ٣٠ مايو ١٨١٦ م .

الحمزاوى ، وخان الخليلى وغيرهم ، ولم يظهر لذلك سبب من الأسباب ، وأصبح الناس مبهوتين ، ولغطوا بموت الباشا ، وحضر أغات الينكجرية وأغات التبديل إلى الغورية ، وأقاما بطول النهار وهما يأمران الناس بالسكون ، وفتح الدكاكين ، وكذلك على أغا الوالى بباب زويلة ، وأصبح يوم السبت [1] ، فركب الباشا وخرج إلى قبة العزب وعمل رماحة وملعبا ، ورجع إلى شبرا ، وحضر كتخدا بيك إلى سوق الغورية ، وجلس بالمدفن ، وأمر بضرب شيخ الغورية فبطحوه على الأرض فى وسط السوق ، وهو مرشوش بالماء ، وضربه الأتراك بعصيهم ، ثم رفعوه إلى داره ، ثم أمر الكتخدا بكتابة أصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم ، فشرعوا فى ذلك وهرب الكثير منهم وحبسهم فى داره ، ثم ركب الكتخدا ومر فى طريقه على خان الحمزاوى ، وطلب النواب فلما مثل بين يديه أمر بضربه كذلك ، وضرب أيضاً شيخ مرجوش ، وأما طائفة خان الخليلى ونصارى الحمزاوى فلم يتعرض لهم .

واستهل شهر شعبان بيوم الخميس سنة ١٢٣١ [2]

فيه [3] ، من الحوادث أن بعض العيارين من السراق تعدوا على قهوة الباشا بشبرا ، وسرقوا جميع ما بالنصبة من الأوانى والبكارج والفناجين والظروف ، فأحضر الباشا بعض أرباب الدرك بتلك الناحية ، وألزمه بإحضار السراق والمسروق ، ولايقبل له عذرا فى التأخير ، ولو يصالح على نفسه بخزينة أو أكثر من المال ، ولايكون غير ذلك أبدا وإلا نكل به نكالا عظيما ، وهو المأخوذ بذلك ، فترجى فى طلب المهلة فأمهله أياما ، وحضر بخمسة أشخاص ، وأحضروا المسروق بتمامه ، لم ينقص منه شىء ، وأمر بالسراق فخوزقوهم فى نواحى متفرقين ، بعد أن قرروهم على أمثالهم ، وعرّفوا عن أماكنهم ، وجمع منهم زيادة على الخمسين ، وشنق الجميع فى نواحى متفرقة بالأقاليم مثل : القليوبية ، والغربية ، والمنوفية .

وفى منتصفه [4] يوم الجمعة الموافق لرابع مسرى القبطى أوفى النيل أذرعه وفتح سد الخليج يوم السبت .

وفيه [5] ، وقع من النوادر أنّ امرأة ولدت مولودا برأسين ، وأربعة أيد ، وله وجهان متقابلان ، والوجهان بكتفيهما مفروقان من حد الرأس ، وقيل لحد الصدر ،

---

(١) ٥ رجب ١٢٣١ هـ / ١ يونيه ١٨١٦ م . (٢) شعبان ١٢٣١ هـ / ٢٧ يونيه - ٢٥ يوليه ١٨١٦ م .

(٣) ١ شعبان ١٢٣١ هـ / ٢٧ يونيه ١٨١٦ م . (٤) ١٥ شعبان ١٢٣١ هـ / ١١ يوليه ١٨١٦ م .

(٥) ١٥ شعبان ١٢٣١ هـ / ١١ يوليه ١٨١٦ م . كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٢٥٠، طبعة بولاق « نادرة ».

والبطن واحدة ، وثلاثـة أرجل ، وإحدى الأرجل لها عشرة أصابع ، فـيقال إنه أقام يوما وليلـة حيا ومات ، وشاهده خلق كثـير ، وطلعوا به إلى القلـعة ، ورآه كتخدا بيك ، وكل من كان حاضرا بديوانه ، فسبحان الخلاق العظيم .

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٣١ (١)

حصل فيه من النوادر ، أن فى تاسع عشره (٢) ، علق شخص عسكرى غلاما من أولاد البلد ، وصار يـتبعه فى الطرقات إلـى أن صادفه ليلة بالقـرب من جامع الماس بالشارع ، فقـبض عليه وأراد الفعل بـه فى الطريق فخدعه الـغلام ، وقال له : « إن كان ولابد فادخل بنا فى مكان لايرانا فـيه أحد من الناس » ، فدخل معه درب حلب المعروف الآن بدرب الحمام خيربك حديد ، وهناك دور الأمراء التى صارت خرائب ، فحل العـسكرى سراويله ، فقـال له الغلام : « أرنى بتاعـك فلعله يكون عـظيما لا أتحمله جميعه » ، وقبض عليه وكان بيده موسى مخفية فى يده الأخرى ، فقطع ذكره بتلـك الموسى سريـعا ، وسقط العـسكرى مغـشيا عليـه ، وتركه الغـلام وذهب فى طريقه، وحضر رفقاء ذلك العسكرى وحملوه ، وأحضروا له سليم الجرائحى ، فقطع ما بقى من مذاكيره ، وأخذ فى معالجته ومداواته ولم يمت العسكرى .

واستهل شهر شوال بيوم السبت سنة ١٢٣١ (٣)

وكان حـقه يوم الأحد ، وذلـك أن فى أواخر رمـضان(٤) ، حضر جمـاعة من دمنهور البحيرة ، وأخبروا عن أهل دمنهور أنـهم صاموا يوم الخميس ، فطلب الباشا حضور من رأى الهلال تلك الـليلة ، فحضر اثنان من العسكر ، وشـهدا برؤيته ليلة الخميس ، فأثـبتوا بذلك هلال رمضان ، ويـكون تمامه يوم الجمعة ، وأخـبر جماعة أيضًا أنهم رأوا هلال شوّال لـيلة السبت ، وكان قوسه فى حساب قـواعد الأهلة تلك الليلة قليلا جـدا ، ولم ير فى ثانى ليلة منه إلا بعسر ، وإنمـا اشتبه على الرائين لأن المريخ كان مـقارنا للزهرة فى بـرج الشمس من خلفهـا ، وبينهما وبين الـشمس رؤيا بعدها فى شـعاع الشمس شبه الهلال ، فـظن الراؤون أنه الهلال فينتـبه لذلك ، فإن ذلك من الدقائق التى تـخفى على أهل الفطانة ، فضلا عن غيـرهم من العوام الذين

---

(١) رمضان ١٢٣١ هـ / ٢٦ يوليه - ٢٤ أغسطس ١٨١٦ م .
(٢) ١٩ رمضان ١٢٣١ هـ / ١٣ أغسطس ١٨١٦ م .
(٣) شوال ١٢٣١ هـ / ٢٥ أغسطس - ٢٢ سبتمبر ١٨١٦ م .
(٤) آخر رمضان ١٢٣١ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨١٦ م .

يسارعون إلى إفساد العبادات حسبة بالظنون الكاذبة ، لأجل أن يقال شهد فلان ونحو ذلك .

وفى أواخره [1] ، قلد الباشا شخصا من أقاربه ، يسمى شريف أغا على دواوين المبتدعات ، وضم إليه جماعة من الكتبة أيضًا المسلمين والأقباط ، وجعلوا ديوانهم ببيت أبى الشوارب وعمروه عمارة عظيمة ، وواظبوا الجلوس فيه كل يوم ، لتحرير المبتدعات ودفاتر المكوس

واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣١ [2]

فيه [3] انهدم جانب من السواقى التى أنشأها الباشا بشبرا على حين غفلة وقد قوى عليها النيل فتهدمت وتكسرت أخشابها وسقط معها أشخاصا كانوا حولها فنجا منهم من نجا ، وغرق منهم من غرق ، وكان الباشا بقصر شبرا مقيما به وهو يرى ذلك ، وانقضت السنة وأخبار بعض حوادثها واستمرار ما تجدد فيها من المبتدعات التى لا حصر لها .

منها : الحجر على المزارع التى يزرعها الفلاحون فى الأراضى التى يدفعون خراجها من الكتان والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم ، وإذا بدا صلاحه لايبيعون منه شيئًا كعادتهم ، وإنما يشتريه الباشا بالثمن الذى يفرضه ويقدره على يد أمناء النواحى والكشاف ، ويحملونه إلى المحل الذى يؤمرون بحمله إليه ، ويعطى لهم الثمن ، أو يحسب لهم من أصل المال ، فإن احتاجوا لشىء من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض ، وكذلك القمح والفول والشعير لايبيعون منه شيئًا لغير طرف الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافى .

ومنها : الأمر لكشاف الأقاليم بالمناداة العامة بالمنع لمن يأخذ أو يأكل من الفول الأخضر والحمص والحلبة ، وأن المعينين فى الخدم والمباشرين وكشاف النواحى ، لايأخذون شيئًا من الفلاحين كعادتهم من غير ثمن ، فمن عثر عليه يأخذ شىء ولو رغيفا أو تبنا ، أو من رجيع البهائم ، حصل له مزيد الضرر ، ولو كان من الأعاظم ، وكذلك الأمر بتكميم أفواه المواشى التى تسرح للمرعى حوالى الجسور والغيطان .

---

(١) آخر شوال ١٢٣١ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٨١٦ م .

(٢) ذى القعدة ١٢٣١ هـ / ٢٣ سبتمبر - ٢٢ أكتوبر ١٨١٦ م

(٣) ١ ذى القعدة ١٢٣١ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨١٦ م .

ومنها : أن نصرانيا من الأرمن التزم بقلم الأبزار التى تأتى من بلاد الصعيد مثل : الحبة السوداء ، والشمر ، والانيسون ، والكمون ، والكراويا ، ونحو ذلك ، بقدر كبير من الأكياس ، ويتولى هو شراءها دون غيره ، ويبيعها بالثمن الذى يفرضه ، ومقدار ما التزم بدفعه من الأكياس للخزينة على ما بلغنا خمسمائة كيس ، وكانت فى أيام الأمراء المصريين عشرة أكياس لا غير ، فلما تولى على وكالة دار السعادة صالح بيك المحمدى زادها عشرة أكياس ، وكانت وكالة الأبزار والقطن وقفًا لمصطفى أغا دار السعادة سابقا ، على خيرات الحرمين وخلافهما ، فلما كانت هذه الدولة تولاها شخص على مائتى كيس ، وعند ذلك [بلَغ] سعر الأبزار أضعاف الثمن الأصلى ، ومن داخل الأبزار التمر الإبريمى والسلطانى والخوص والمقاطف والسَّلَب والليف ، وبلغ سعر المقطف الذى يسع الكيلة من البر خمسة وعشرين نصفا، وكان يباع بنصف أو نصفين إن كان جيدا ، وفى الجملة بأقل من ذلك .

ومنها : أن كرابيت معلم ديوان الكمرك ببولاق التزم بمشيخة الحمامية ، وأحدث عليها وعلى توابعها حوادث ، وعلى النساء البلانات فى كل جمعة قدرا من الدراهم، وجعل لنفسه يوما فى كل جمعة يأخذ إيراده من كل حمام .

ومنها : ما حصل فى هذه السنة من شحة الصابون وعدم وجوده بالأسواق ، ومع السراجين ، وهو شيء لايستغنى عنه الغنى ولا الفقير ، وذلك أن تجاره بوكالة الصابون زادوا فى ثمنه ، محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لأهل الدولة ، فيأمر الكتخدا فيه بأمر ، ويسعره بثمن ، فيدعون الخسران ، وعدم الربح وتكرر الحال فيه المرة بعد المرة ، ويتشكون من قلة المجلوب ، إلى أن سُعر رطله بستة وثلاثين نصفا ، فلم يرتضوا ذلك ، وبالغوا فى التشكى ، فطلب قوائمهم ، وعمل حسابهم ، وزادهم خمسة أنصاف فى كل رطل ، وحلف أنْ لايزيد على ذلك ، وهم مصممون على دعوى الخسران ، فأرسل من أتباعه شخصا تركيا لمباشرة البيع وعدم الزيادة ، فيأتى إلى الخان فى كل يوم يباشر البيع على من يشترى بذلك الثمن لأربابه ، ويمكث مقدار ساعتين من النهار ، ويغلق الحواصل ، ويرفع البيع لثانى يوم ، وفى ظرف هاتين الساعتين تزدحم العسكر على الشراء ، ولايتمكن خلافهم من أهل البلدة من أخذ شيء ، وتخرج العسكر فيبيعون من الذى اشتروه على الناس بزيادة فاحشة ، فيأخذ الرطل بقرش ، ويبيعه على غيره بقرشين ، ورفع التشكى إلى كتخدا فأمر ببيعه عند باب زويلة فى السبيلين المواجه أحدهما للباب ، والسبيل الذى أنشأته الست نفيسة المرادية عند الخان ، تجاه الجامع المؤيدى ، ليسهل على العامة

تحصيله ، وشراؤه فلم يزداد الحال إلا عسرا ، وذلك أنَّ البائع يجلس داخل السبيل ، ويغلــق عليه بــابه ، ويتنــاول مـن خروق الشبـابيك من المشـترى الثمن ، ويـناوله الصابون ، فازدحمت طوائـف العساكر على الشراء ويتعلقون بأيـديهم وأرجلهم على شبـابيك السـبيلين ، والـعامـة أسفـلهم لايتـمكنون مـن أخذ شيء ، ويمنـعون من يزاحمهــم ، فيكون على السبـيلين ضجة وصياح مـن الفريقين ، فلا يسع ابـن البلد الفقير المـضطر إلا أن يشترى من العـسكرى بما أحب ، وإلا رجع إلى منـزله من غير شيء ، واسـتمر الحال عـلى هذا المـنوال أياما ، وفـى بعض الأحـايين يكثـر وجود الصابون بـين أيدى الباعة بوسـط السوق ولا تجد عليـه مزاحمة ، وأمام البـائع كوم عظيم، وهو يـنتظر من يشترى ، وذلـك فى غالب الأسواق مثل الغـورية والأشرفية وباب زويلـة والبندقانـيين والجهات الخارجـة ، ثم يصبـحون فلا يوجد مـنه شيء ، ويرجع الازدحام على السبيلين كالأول .

ومنـها : أن البـاشا أطلـق المناداة فـى البـلدة ، وندب جـماعة مـن المهنـدسين والمباشريـن للكشف علـى الدور والمساكن ، فإن وجـدوا به أو ببعضه خـللا ، أمروا صاحبه بهـدمه وتعميره ، فإن كان يعجـز عن ذلك فيؤمر بالخروج منـها وإخلائها ، ويعاد بناؤها على طرف الميرى ، وتصير من حقوق الدولة ، وسبب هذه النكتة ، أنَّه بلغ الباشا سقوط دار ببعض الجهات ، ومات تحت ردمها ثلاثة أشخاص من سكانها، فأمر بالمناداة وأرسل المـهندسين ، والأمر بما ذكر ، فنزل بأهالى الـبلد من الكرب أمر عظيم مع ما هم فيه من الإفلاس وقطع الإيراد ، وغلو الأسعار ، على أن من كان له نوع مقدرة على الهدم والـبناء لايجد من أدواته شيئًا ، بحسب التحـجير الواقع على أرباب الأشغال ، واستعمال الجميع فى عمائر الباشا ، وأكابر الدولة حتى أنَّ الإنسان إذا احتاج لبناء كانون لايجد من يبنيـه ، ولايقدر على تحصيل صانع أو فاعل أو أخذ شيء من رماد الحمام إلا بـفرمان ، ومن حصل شيئًا من ذلك على طـريق السرقة فى غفلة وعثر عليه نكلـوا بـه وبرئيس الحمام ، وحمير الباشا وهى أزيد من ألفى حمار، تنقل بالمـزابل والسرقانيات طول النهـار ما يوجد بالحمامات من الرمـاد ، وتنقل أيضًا الطوب والدبش والأتربة وأنقاض البيوت المنهدمة لمحل العمائر بالقلعة وغيرها ، فترى الأسواق والعطف مزدحـمة بقطارات الحمير الذاهبة والـراجعة ، وإذا هدم إنسان داره التى أمروه بهدمها ، وصل إليه فى الحال قطـار من الحمير لأخذ الطوب الذى يتساقط إلا أن يكون من أهل القـدرة على منعهم ، وربما كانت هذه الأوامر حـيلة على أخذ الأنقاض ، وأما الأتربة فتبـقى بحالها حتى فى طرق المارة للعجـز عن نقلها ، فترى

غالب الطرق والنواحى مردومة بالأتربة ، وأما الهدم ونقل الأنقاض من البيوت الكبار والدور الواسعة التى كانت مساكن الأمراء المصريين بكل ناحية ، وخصوصا بركة الفيل ، وجهة الحبانية ، فهو مستمر حتى بقيت خرابا خرائب ودعائم قائمة وكيمان هائلة ، واختلطت بها الطرق ، وأصبحت موحشة ، ولا مأوى بها حتى للبوم ، بعد أن كانت مراتع غزلان ، فكنت كلما رأيتها أتذكر قول القائل :

هَـذِى مَنَـازِلُ أقـوامٍ عَهِـدْتُهُمْ ... فى خَفْضِ عيشٍ نَعِيمٍ مَالَهُ خَطَرُ
صَاحَتْ بهم نُوَبُ الأيامِ فارْتَحَلُوا ... إلى القُبـورِ فَـلاَ عَـينٌ ولا أثرُ

وكذلك بولاق التى كانت منتزه الأحباب والرفاق ، فإنه تسلط عليها كل من سليمان أغا السلحدار ، وإسماعيل باشا فى الهدم ، وأخذ أنقاض الأبنية لأبنيتهم وببر إنبابة ، والجزيرة الوسطى بين إنبابة وبولاق ، فإن سليمان أغا أنشأ بستانا كبيرا بين إنبابة وسور ، وبنى به قصرا وسواقى ، وأخذ يهدم أبنية بولاق من الوكائل والدور ، وينقل أحجارها وأنقاضها فى المراكب ليلا ونهارا إلى البر الآخر ، وإسماعيل باشا كذلك أنشأ بستانا وقصرا بالجزيرة ، وشرع أيضًا فى اتساع سرايته ومحل سكنه ببولاق ، وأخذ الدور والمساكن والوكائل من حد الشون القديم إلى آخر وكالة الأبزار العظيمة طولا ، فيهدمون الدور وغيرها من غير مانع ولا شافع ، وينقلون الأنقاض إلى محل البناء ، وكذلك ولىّ خوجه شرع فى بناء قصر بالروضة ببستان ، فهو الآخر يهدم ما يهدمه من مصر القديمة ، وينقل أنقاضه لبنائه ، وهلك قبل إتمامه ، وأما نصارى الأرمن وما أدراك ما الأرمن الذين هم أخصاء الدولة الآن ، فإنهم أنشئوا دورا وقصورا وبساتين بمصر القديمة لسكنهم فهم يهدمون أيضًا ، وينقلون لأبنيتهم ما شاءوا ولا حرج عليهم ، وإنما الحرج والمنع والحجر والهدم على المسلمين من أهل البلدة فقط .

ومنها : أن الباشا أمر ببناء مساكن للعسكر الذين أخرجهم من مصر بالأقاليم ، يسمونها القِشْلات بكل جهة من أقاليم الأرياف ، لسكن العساكر المقيمين بالنواحى ، لتضررهم من الإقامة الطويلة بالخيام فى الحر والبرد ، واحتياج الخيام فى كل حين إلى تجديد وترقيع ، وكثير خدمة ، وهى جمع قِشْلة بكسر القاف وسكون الشين ، وهى فى اللغة التركية المكان الشتوى ، لأن الشتاء فى لغتهم يسمى ، قِشْ ، بكسر القاف وسكون الشين ، فكتب مراسيم إلى النواحى بسائر القرى بالأمر لهم بعمل الطوب اللَّبِن ، ثم حرقه وحمله إلى محل البناء ، وفرضوا على كل بلد وقرية فرضا وعددا

معينـا ، فيفرض على الـقرية مثلا خمسـمائة ألف لبنة ، وأكـثر بحسب كبـر القرية وصغرها ، فـيجمع كاشف النـاحية مشايخ الـقرى ، ثم يفرض على كـل شيخ قدرا وعددا من اللبن ، عشرين ألفا أو ثلاثين ألفـا أو أكثر أو أقل ، ويلزم بضربها وحرقها ورفعها ، وأجلهم مـدة ثلاثين يوما ، وفرضوا على كل قرية أيـضًا مقادير من أفلاق النخـل ومقادير مـن الجريد ، ثم فـرضوا عليـهم أيضًا أشخـاصا من الرجـال لمحل الأشغال والـعمائر ، يستـعملونهم فـى فعالة نقل أدوات الـعمارة فى النواحـى حتى الإسكندرية وخلافهـا ، ولهم أجرة أعمالهم فى كل يوم لكل شـخص سبعة أنصاف فضة لاغير ، ولمن يعمل اللبن أجرة أيضًا ، ولـثمن الأفلاق والجريد قدر معلوم لكنه قليل .

ومنها : أنّه توجه الأمـر لكشاف النواحى عند انكـشاف الماء عن الأراضى ، بأن يتقدموا إلى الفلاحين ، بأن من كان زارعـا فى العام الماضى فدّانى كتان أو حمص أو سمسم أو قطن ، فليزرع فى هذه السنة أربعة أفدنة ، ضعف ما تقدم ، لأن المزارعين عزمـوا على عـدم زراعة هذه الأشـياء ، لما حصـل لهم مـن أخذ ثمـرات متاعـهم وزراعاتهم الـتى دفعوا خراجها الزائـد بدون القيمة التـى كانوا يبيعون بهـا ، مع قلة الخراج الذى كانـوا يماطلون فيه الملـتزمين السابقين ، مـع التظلم والتشـكى ، فيزرع الزارع ما يزرعه من هذه الأشياء من التقاوى المتـروكة فى مخزنه ، ثم يبيع الفدان من الكتان الأخضر فى غيطه إنْ كان مستعجلا بالثمن الكثير ، وإلا أبقاه إلى تمام صلاحه فيجمعه ويـدقه ، ويبيع ما يبيعه من الـبزر خاصة بأغلى ثمن ، ثم يتـمم خدمته من التعطين والـنشر والتخمير إلى أن يصـفى ، وينظف من أدرانه وخشوناتـه ، وينصلح للغزل والنسيج ، فيباع حينئذ بالأوقية والرطل ، وكذا القطن والنيلة والعصفر ، فلما وقع عليهم التحجير وحرموا من المكاسب التى كانوا يتوسعون بها فى معايشهم باقتناء المواشى ، والحلى للنساء ، قالوا : « ما عـدنا نزرع هذه الأشياء » ، وظنوا أنْ يتركوا على هواهم ونسوا مـكر أوليائهم فنزل عليهم الأمر والإلزام بـزرع الضعف ، فضجوا وترجوا واستشفعـوا ورضوا بمقدار العام الماضى ، فمنهم من سـومح ، ومنهم من لم يسامح ، وهو ذو المقدرة ، وبعد إتمامه ، وكمال صلاحه يؤخذ بالثمن المفروض على طرف الميرى ، ويبـاع لمن يشترى من أربابه أو خـلافهم بالثمن المقـدر ، وربح زيادته لطرف حضرة الـباشا ، مع التضييق والحـجر البليغ والفحص عـن الإختلاس ، فمن عثروا علـيه باختلاس شىء ولو قـليلاً عوقب عقابا شـديدا ليرتدع خلافه ، والـكتبة والموظفـون لتحـرير كـل صنف ووزنه وضـبطه فى تنـقلات أطواره ، وعند تسـليم

الصناع ، ونتج من ذلك وأثمر عزة الأشياء وغلو الأسعار على الناس ، منها أن المقطع القماش الذى كان ثمنه ثلاثين نصفا ، بلغ سعره عشرة قروش مع عزة وجدانه بالأسواق المعدة لبيعه ، مثل سوق مرجوش وخلافه ، خلا الطوافين به ، والثوب البطانة الذى كان ثمنه قرشين بلغ ثمنه سبعة قروش ، وأدركناه فى الأزمان السابقة يباع بعشرين نصفا ، وبلغ ثمن الثوب من البفتة المخلاوى أربعة عشر قرشا ، وكان يباع فيما أدركنا بدكان التاجر بستين نصفا ، وقس على ذلك ، وبسبب التحجير على النيلة غلا صبغ ثياب الفقراء ، حتى بلغ صبغ الذراع الواحد نصف قرش ، والله يلطف بحال خلقه ، وما دام توزون له امرأة مطاعة فالميل فى الجمر .

ومنها : استمر التحجير على الأرز ومزارعه على مثل هذا النسق ، بحيث إن الزراعين له التعبانين فيه لايمكنون من أخذ حبة منه ، فيؤخذ بأجمعه لطرف الباشا بما قدره من الثمن ، ثم يخدم ويضرب ويبيض فى المداوير والمدقات والمناشير بأجرة العمال على طرفه ، ثم يباع بالثمن المفروض ، واتفق أن شخصا من أبناء البلد ، يسمى حسين چلبى عجوة ، ابتكر بفكره صورة دائرة ، وهى التى قد يدقون بها الأرز ، وعمل لها مثالا من الصفيح تدور بأسهل طريقة ، بحيث إنَّ الآلة المعتادة إذا كانت تدور بأربعة أثوار فيدير هذه ثوران ، وقدم ذلك المثال إلى الباشا ، فأعجبه وأنعم عليه بدراهم ، وأمره بالمسير إلى دمياط ، ويبنى بها دائرة ويهندسها برأيه ومعرفته ، وأعطاه مرسوما بما يحتاجه من الأخشاب والحديد والمصرف ، ففعل وصح قوله ، ثم فعل أخرى برشيد وراج أمره بسبب ذلك .

ومنها : أنَّ الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين شلبى هذا ، قال : « إن فى أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف » ، فأمر ببناء مكتب بحوش السراية ، ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا ، وجعل معلمهم حسن أفندى المعروف بالدرويش الموصلى ، يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات ، واستخراج المجهولات مع مشاركة شخص رومى ، يقال له : « روح الدين أفندى » ، بل وأشخاصا من الإفرنج ، وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الإنكليز ، يأخذون بها الأبعاد والارتفاعات والمساحة ، ورتب لهم شهريات وكساوى فى السنة ، واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب - وسموه مهندس خانة - فى كل يوم من الصباح إلى بعد الظهيرة ، ثم ينزلون إلى بيوتهم ويخرجون فى بعض الأيام إلى الخلاء ، لتعليم مساحات الأراضى وقياساتها بالأقصاب ، وهو الغرض المقصود للباشا .

ومنها : استمرار الإنشاء فى السفن الكبار والصغار لنقل الغلال من قبلى وبحرى لناحية الإسكندرية لتباع على الإفرنج ، مـن سائر أصناف الحبوب ، فيشحنون السفن من سواحل الـبلاد القبلية ، وتـأتى إلى ساحل بولاق ، ومـصر القديمة ، فيصـبونها كيمانـا هائلة عظيمـة صاعدة فى الهواء ، فتـصل المراكب البحـرية لنقلها ، فـتصبح ولايبقى شىء مـنها ، ويأتى غيرها وتعـود كما كانت بالأمس ، ومثـل ذلك بساحل رشيـد ، وأما الحبـوب البحرية فإنهـا لاتأتى إلـى هذه السواحـل ، بل تذهـب من سواحلها إلـى حيث هى برشيد ثم إلى الإسكـندرية ، ولما بطل البغاز جمـعوا الحمير الكثيرة والجمال ينقلون عليها على طريـق البر بالأجرة القليلة ، فكانت تموت من قلة العلـف ، ومشقة الطـريق ، وتوسق بها الـسفن الواصلـة بالطلب إلـى بلاد الإفرنج بالثمن عـن كل أردب من البر ستة آلاف فضـة ، وأما الفول والشعير والحـلبة والذرة وغيرهـا من الحبوب والأدهان فأسـعارها مختـلفة ، ويعوض بـالبضائع والنـقود من الفرانسة ، معبأة فى صناديق صغيرة ، تحمل الثلاثة منها على بعير إلى الخزينة ، وهى مصفحـة بالحديد يمرون بهـا قطارات إلى القلعـة ، وعند قلة الغـلال ، ومضى وقت الحصاد يتـقدم إلى كشاف النواحى الـقبلية والبحـرية بفرض مقادير من الـغلال على البلدان والـقرى ، فيلزمون مشـايخ البلدان بما تقرر عـلى كل بلد من القـمح والفول والذرة ، ليجمعوه ويـحصلوه من الفلاحين ، وهم أيضًا يعملـون بفلاحى بلادهم ما يعملون بجورهم وأغراضهم ، ويأخذون الأقـوات المدخرة للعيال ، وذلك بالثمن عن كل أردب من البر ثمانية ريال ، يعطى له نصفـها ، ويبقى له النصف الثانى ليحسب له من أصل المال الذى سيطالب به فى العام القابل .

ومنها : أن الباشا سنح له أن ينشئ بالمحل المعروف برأس الوادى بشرقية بلبيس ، سواقى وعمارات ومزارع ، وأشجار توت وزيتون ، فذهب هناك وكشف عن أراضيه فوجـدها متـسعة وخـالية مـن المزارع ، وهـى أراضى رمال وأوديـة ، فوكل أنـاسا لإصلاحها وتمهيدها ، وأن يحفروا بها جملة من السواقى ، تزيد عن الألف ساقية ، ويبنوا أبنـية ومساكن ، ويزرعوا أشجار الـتوت لتربية دود القز ، وأشجـارا كثيرة من الزيتـون لعمل الصـابون ، وشرعوا فى العـمل والحفر والبـناء ، وفى إنشاء تـوابيت خشب للسواقى تصـنع ببيت الجبجى بالتبانة ، وتحمـل على الجمال إلى رأس الوادى شيئًا بعد شـىء ، وأمر أيضًا ببناء جامع الظـاهر بيبرس خارج الحسينـية ، وأن يعمل مصبنة لصـناعة الصابون وطبخه مثـل الذى يصنع ببلاد الشام ، وتوكـل بذلك السيد أحمد بن يوسف فخر الدين ، وعمل به أحواضا كبيرة للزيت والقلى .

ومن المتجددات أيضًا : محل بخطة تحت الربع يعمل به وتسبك أوانى ودسوت من النحاس فى غاية الكبر والعظم .

ومنها : شغل البارود وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة بالقرب من المقياس ، بعد أن يستخرجوه من كيمان السباخ فى أحواض مبنية ومخفقة ، ثم يكررونه بالطبخ حتى يكون ملحه غاية فى البياض والحدة ، كالذى يجلب من بلاد الإنكليز ، والمتقيد كبيرا على صنّاعه شنخص إفرنكى ، ولهم معاليم تصرف فى كل شهر ، ومكان أيضًا بالقلعة عند باب الينكجرية لسبك المدافع ، وعملها وقياساتها وهندستها والبنبات وارتفاعها ومقاديرها ، وسمى ذلك المكان الطبخانة ، وعليه رئيس وكتبة وصناع ولهم شهريات .

ومنها : شدة رغبة الباشا فى تحصيل الأموال والزيادة من ذلك من أى طريق بعد استيلائه على البلاد ، والاقطاعات والرزق الأحباسية ، وإبطال الفراغ والبيع والشراء والمحلول عند الموتى من ذلك ، والعلوفات وغلال الأنبار ونحو ذلك ، فكل من مات عن حصته أو رزقته أو مرتب انحل بموته ما كان على اسمه ، وضبط وأضيف إلى ديوانه ، ولو له أولاد أو كان هو كتبه باسم أولاده وماتت أولاده قبله انحل عنه ، وأصبح هو وأولاده من غير شىء ، فإن أعرض حاله على الباشا أمر بالكشف عن إيراده ، فإن وجدوا بالدفاتر جهة أو وظيفة أخرى قيل له هذه تكفيك ، وإن لم يوجد فى حوزه خلافها أمر له بشىء يستغله من أقلام المكوس ، إما قرش أو نصف قرش فى كل يوم ، أو نحو ذلك ، هذا مع التفاته ورغبته فى أنواع التجارات والشركات وإنشاء السفن ببحر الروم والقلزم ، وأقام له وكلاء بسائر الأساكل حتى ببلاد فرانسة والإنكليز ومالطة وأزمير وتونس والنابلطان والونديك والبنادقة واليمن والهند ، وأعطى أناسا جملا عظيمة من أموال يسافرون بها ، ويجلبون البضائع وجعل لهم الثلث فى الربح فى نظير سفرهم وخدمتهم ، فمن ذلك أنّه أعطى للرئيس حسن المحروقى خمسمائة ألف فرانسة ، يسافر بها إلى الهند ويشترى البضائع الهندية ، ويأتى بها إلى مصر ، ولشخص نصرانى أيضًا ستمائة ألف فرانسة ، وكذلك لمن يذهب إلى بيروت وبلاد الشام ، لمشترى القز والحرير وغير ذلك ، وعمل بمصر أماكن ومصانع لنسج القطانى التى يتخذها الناس فى ملابسهم من القطن والحرير ، وكذلك الجنفس والصندق ، واحتكر ذلك بأجمعه ، وأبطل دواليب الصناع لذلك ، ومعلميهم وأقامهم يشتغلون وينسجون فى المناسج التى أحدثها بالأجرة ، وأبطل مكاسبهم أيضًا ، وطرائقهم التى كانوا عليها ، فيأخذ من ذلك ما يحتاجه فى

البلكات والكنساوى ، وما زاد يرميه على التجار وهم يبيعونه على الناس بأغلى ثمن ، وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفا بعد أن كان يباع بنصفين .

ومنها : أنه أبطل ديوان المنجرة ، وهى عبارة عما يؤخذ من المعاشات ، وهى المراكب التى تغدو وتروح لموارد الأرياف ، مثل : شبين الكوم ، وسمنود ، والبلاد البحرية ، وعليها ضرائب وفرائض للملتزم بذلك ، وهو شخص يسمى : على الجزار ، وسبب ذلك أن معظم المراكب التى تصعد ببحر النيل وتنحدر من إنشاء الباشا ، ولم يبق لغيره إلا القليل جدا ، والعمل والإنشاء بالترسخانة مستمر على الدوام ، والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالأجرة ، وعمارة خللها وأحبالها وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانة ، ولذلك مباشرون وكتاب وأمناء يكتبون ويقيدون الصادر والوارد ، وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الأخشاب الكثيرة والمتنوعة ، وما يصلح للعمائر والمراكب ، ويأتى إليها المجلوب من البلاد الرومية والشامية ، فإذا ورد شىء من أنواع الأخشاب سمحوا للخشابة بشىء يسير منها بالثمن الزائد ، ورفع الباقى إلى الترسخانة ، وجميع الأخشاب الواردة والأحطاب جميعها فى متاجر الباشا ، وليس لتجارها إلا ما كان من داخل متاجره ، وهو القليل .

ومن النوادر : أنه وصل من بلاد الإنكليز سواقى بآلات الحديد تدور بالماء ، فلم يستقم لها دوران على بحر النيل .

ومنها : أنه أنشأ جسرا ممتدا من ناحية قنطرة الليمون على يمنة السالك إلى طريق بولاق ، متصلا إلى شبرا على خط مستقيم ، وزرعوا بحافتيه أشجار التوت ، وعلى هذا النسق جسور بطرق الأرياف والأقاليم .

ومنها : أن اللحم قل وجوده من أول شهر رجب إلى غاية السنة [1] ، وغلا سعره مع رداءته وهزاله ، حتى بيع الرطل بعشرين نصفا ، وأزيد وأقل ، مع ما فيه من العظام وأجزاء السقط والشغت ، وسبب ذلك رواتب الدولة ، وأخذها بالثمن القليل ، فيستعوض الجزارون خسارتهم من الناس ، وكان البعض من العسكر يشترى الأغنام ويذبحها ويبيعها بالثمن الغالى ، وينقص الوزن ولايقدر ابن البلد على مراجعته .

ومنها : أنّ إبراهيم أغا الذى كان كتخدا إبراهيم باشا ، قلده الباشا كشوفية المنوفية ، فمن أفاعيله أنه يطلب مشايخ البلدة أو القرية فيسأل الشخص منهم على من شيخه ، فيقول : « أستاذ البلدة » ، فيقول له : « فى أى وقت » ، فيقول : « سنة

(1) ١ رجب - آخر ذى الحجة ١٢٣١ هـ / ٢٨ مايو - ٢١ نوفمبر ١٨١٦ م .

كذا » ، فيقول : « وما الذى قدمته له فى شياختك » ، ويهدده أو يحبسه على الإنكار أو يخبر من بادئ الأمر ، ويقول : « أعطيته كذا وكذا » ، إما دراهم أو أغناما ، فيأمر الكاتب بتقييده وتحريره وضبطه على الملتزم ، وسطر بذلك دفترا وأرسله ليخصم على الملتزمين من فائظهم المحرر لهم بالديوان ، فيتفق أن المحرر عليه يزيد على القدر المطلوب له ، فيطالب بالباقى أو يخصم عليه من السنة القابلة.

ومنها : التحجير على القصب الفارسى فلا يتمكن أحد من شراء شىء منه ولو قصبة واحدة إلا بمرسوم من كتخدا بيك ، فمن احتاج منه فى عمارة أو شباك أو لدوّارات الحرير ، أو أقصاب الدخان أخذ فرمانا به بقدر احتياجه ، واحتاج إلى وسايط ومعالجات واحتجاجات حتى يظفر بمطلوبه .

ومنها : وهى من محاسن الأفعال ، أن الباشا أعمل همته فى إعادة السد الأعظم الممتد الموصل إلى الإسكندرية ، وقد كان اتسع أمره وتخرب من مدة سنين ، وزحف منه ماء البحر المالح وأتلف أراضى كثيرة ، وخربت منه قرى ومزارع ، وتعطلت بسببه الطرق والمسالك ، وعجزت الدول فى أمره ، ولم يزل يتزايد فى التهور ، وزحف المياه المالحة على الأراضى حتى وصلت إلى خليج الأشرفية التى يمتلئ منها صهاريج الثغر ، فكانوا يجسّرون عليه بالأتربة والطين ، فلما اعتنى الباشا بتعمير الإسكندرية وتشييد أركانها وأبراجها وتحصينها - ولم تزل بها العمارات - اعتنى أيضًا بأمر الجسر ، وأرسل إليه المباشرين والقومة والرجال والفعلة ، والنجارين والبنائين والمسامير وآلات الحديد ، والأحجار والمؤن والأخشاب العظيمة ، والسهوم والبراطيم حتى تممه ، وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان ، فلو وفقه الله لشىء من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة ، لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه ، وأما أمر المعاملة ، فلم يزل حالها فى التزايد حتى وصل صرف الريال الفرانسة إلى تسعة قروش ، وهو أربعة أمثال الريال المتعارف ، ولما بطل ضرب القروش من العام الماضى ضربوا بدلها أنصاف قروش وأرباعها وأثمانها وتصرف بالفرط ، والأنصاف العددية لا وجود لها بأيدى الناس إلاّ ما قل جدا ، فإذا أراد إنسان منها دفع فى إبدالها عشرة قروش ، عنها أربعمائة نصف فضة زيادة على المبدل ، إن كان ذهبا أو فرانسة أو قروشا ، ووصل صرف البندقى إلى ثمانمائة نصف ، والمجر ثمانية عشر قرشا ، والمحبوب المصرى إلى أربعمائة ، والإسلامبولى إلى أربعمائة وثمانين ، كل ذلك أسماء لا مسميات لانعدام الأنصاف ، مع أنه يضرب منها المقادير والقناطير ، يأخذها التجار الشاميون والروميون بالفرط ، ثم

يرسلونها متاجـر بدلا عن البضائع ؛ لأن الريال فى تلك البلاد صرفـه ثلثمائة نصف فقط ، فيكـون فيه من الربح ستون نصـفا فى كل ريال ، ولما علم البـاشا ذلك جعل يرســل لوكلائه بالشـام فى كل شهر ألف كـيس من الفضة النعددية ، ويأتيه بـدلها فرانسة ، فيـضيف عليها ثلاثـة أمثالها نحاسا ، ويضـربها فضة عددية ، فيـربح فيها ربحا بدون حاء (١) عظيما ، وهكذا من هذا الباب فقط [١] .

ومن حوادث السـنة : الآفاقية واقعة الإنـكليز مع أهل الجـزائر ، وهو أن لأهل الجزائر صولـة واستعدادا وغزوات فى البحـر ، ويغزون مراكب الإفرنج ، ويغـتنمون منها غنـائـم ، ويأخذون منهم أسرى ، وتحـت أيديهم من أسارى الإنكلـيز وغيرهـم شىء ، وميـنتهم حصيـنة يدور بها سـور خارج فى البحـر كنصف الدائرة فـى غاية الضـخامة والمتـانة ، ذو أبراج مـشحونة بـالمدافع والـقنابـر والمرابطين والمحـاربين ، ومراكبهـم من داخله ، فوصل إلـيهم بعض مراكب الإنـكليز ، ومعهـم مرسوم من السلطان العثمانى ليفتدوا أسراهم بمال ، فأعطوهم ما يزيد عن الألف أسير ، ودفعوا عن كل رأس أسير مائة وخمسين فرانسـا ، ورجعوا من حيث أتوا ، وبعد مدة وصل منهم بعض سفائـن إلى خارج المينا رافعين أعلام السلم والصلـح ، فعبروا داخل المينا من غير ممانع ، ونزل منهم أنفار فى فلوكة ، وبيدهم مرسوم بطلب باقى الأسرى ، فامتنع حاكمهم من ذلك وتردّدوا فى المخاطبات ، وفى أثناء ذلك وصلت عدّة مراكب من مراكبهم وشلـنبات ، وهى المراكب الصغار المعدّة للحـرب ، وعبروا مع مساعدة الريح إلى المينا ، وأثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة ، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر مـع المضاربة أيضًا مـن أهل المدينة ، مـع تأخر استـعدادهم وسرعة استعداد الخصـم ، ومدافع الأبراج الـداخلة لاتصـيب الشلـنبات الـصغيرة المتسفلـة ، وهم لايخطئون ، ثم هم فى شدة الغارة والحرب إذ قيل للحاكم بأن عساكره الأتراك تركوا المحاربة ، واشتغلوا بنهب البلدة ، وإحراق الدور فسقط فى يده ، واحتار فى أمره ما بين قتـال العـدوّ الـواصـل أو قتـال عسكره ومـنعهم وكفـهم عن النـهب والإحراق والفساد ، وهـذا شأنهم فلم يسعـه إلا خفض الأعلام وطلب الأمان من الإنـكليز ، فعند ذلك أبطلوا الحرب وكفوا عن الضراب ، وتردّدوا فى الصلح على شرائطهم التى منها : تسليم بواقى الأسرى ، واسترداد المال الذى سلموه فى الفداء السابق حالا من غير مهـلة ، فكان ذلك ، وتسـلموا الأسرى ، وفيهـم من كان صغيرا وأسـلم وقرأ القرآن ، واتفقـوا على المتاركة والمهلة زمـنا مقداره ستة أشهر ، ورجـعوا إلى بلادهم

(١) كتب أمام رقم (١) بهامش ص ٢٥٨ ، طبعة بولاق « أى بدون ربًا ا هـ » .

بالظفر والأسرى ، والأمر لله وحده ، ثم إنّ الجزائرلية اجتهدوا فى تعمير ما تهدم وتخرب من السور والأبراج والجامع فى الحرب ، وكذلك ما أخربه عساكرهم الذين هم أعدى من الأعداء ، وأضر ما يكون على الإسلام وأهله ، وصارت الأخبار بذلك فى الآفاق ، وأمدّهم سلطان المغرب مولاى سليمان ، وبعث إليهم مراكب عوضا عن الذى تلف من مراكبهم ، فأرسل إليهم معمرين وأدوات ولوازم عمارات ، وكذلك حاكم تونس وغيرها ، ومن السلطان العثمانى أيضًا ، ولم يتفق فيما نعلم لأهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة، ولا أشنع منها : وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوّال من السنة (١) ، وهو يوم عيد الفطر ، وكان عيدا عليهم فى غاية الشناعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر(٢)

مات ، الشيخ الفهامة ، والنحرير العلامة ، الفقيه النحوى الأصولى ، إبراهيم البسيونى البجيرمى الشافعى ، وهو ابن أخت الشيخ موسى البجيرمى ، الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد ، حضر جل الأشياخ المتقدمين ، وهو فى عداد الطبقة الأولى ، ودرس وأفاد ، وانتفع به الطلبة بل غالب الناس ، كان طارحا للتكلف متقشفا مع التواضع والانكسار ، ملازما على العبادة ، مستحضرا للفروع الفقهية والمعقولية ، والمناسبات الشعرية ، والشواهد النحوية والأدبية ، جيد الحافظة ، لاتمل مجالسته ومؤانسته ، ولم يزل على حالته وإفادته ، وانجماعه وعفته ، حتى تمرض وتوفى يوم السبت منتصف المحرم من السنة (٣) ، عن نحو الخمسة وسبعين ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، رحمه الله تعالى وإيّانا .

ومات ، الشيخ العلامة الأصولى الفقيه النحوى ، على الحصّاوى الشافعى ، نسبة إلى بلدة بالقليوبية تسمى الحصّة (٤) ، حضر إلى الجامع الأزهر صغيرا ، وحفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس الأشياخ كالشيخ : على العدوى المنسفيسى ، الشهير بالصعيدى ، والشيخ عبد الرحمن النحريرى ، الشهير بالمقرى ، ولازم الشيخ سليمان الجمل ، وبه تخرج ، وحضر على الشيخ عبدالله الشرقاوى مصطلح الحديث ، وكان

---

(١) غرة شوال ١٢٣١ هـ / ٤ أغسطس ١٨١٦ م .

(٢) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٥٩ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

(٣) ١٥ محرم ١٢٣١ هـ / ٢٥ نوفمبر ١٨١٥ م .

(٤) الحصة : قرية قديمة ، اسمها الأصلى شبرا بلوله ، ووردت فى تاريخ ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م ، باسم حصة المعنى ، وهى إحدى قرى مركز طوخ ، محافظة القليوبية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

يحفظ جمع الجوامع ، مع شرحه للجلال المحلى ، فى الأصول ، ومختصر السعد ، ويقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، وكان إنسانا حسنا مهذبا متواضعا ، ولايرى لنفسه مقاما عاش معانقا للخمول فى جهد وقلة من العيش مع العفة ، وعدم التطلع لغيره صابرا على مناكدة زوجته ، وبآخرة أصيب فى شقه بداء الفالج ، انقطع بسببه أشهرا ، ثم انجلى عنه يسيرا مع سلامة حواسه ، وعاد إلى الإقراء والإفادة ، ولم يزل على حسن حاله ورضاه ، وانشراح صدره ، وعدم تضجره وشكواه للمخلوقين ، إلى أن توفى فى شهر جمادى الثانية سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف[1] ، رحمه الله وإيّانا .

ومات ، الشيخ العلامة ، والنحرير الفهامة ، السيد أحمد بن محمد بن إسماعيل من ذرية السيد محمد الدوقاطى الطهطاوى الحنفى ، والده رومى حضر إلى أرض مصر متقلدا القضاء بطهطا بلدة بالقرب من أسيوط بالصعيد الأدنى ، فتزوّج بامرأة شريفة ، فولد له منها المترجم ، وأخوه السيد إسماعيل ، ولم يزل مستوطنا بها إلى أن مات ، وترك ولديه المذكورين وأختا لهما ، حضر المترجم إلى مصر فى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [2] ، وكان قد بدأ نبات لحيته بعدما حفظ القرآن ببلده ، وقرأ شيئًا من النحو ، فدخل الأزهر ، ولازم الحضور فى الفقه على الشيخ أحمد الحماقى ، والمقدسى ، والحريرى ، والشيخ مصطفى الطائى ، والشيخ عبد الرحمن العريشى ، حضر عليه من أوّل كتاب الدر المختار إلى كتاب البيوع ، وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة ، لتوجه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن أمر على بيك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف [3] ، فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الوالد ، فأجابهم لذلك ، فكانوا يأتون للتلقى عنه فى المنزل ، والمترجم معهم ، وفى أثناء ذلك قرأت مع المترجم على الوالد : متن نور الإيضاح ، بعد انصراف الجماعة عن الدرس ، ويتخلف المترجم ، وذلك لعلو السند ، فإن الوالد تلقاه عن ابن المؤلف ، وهو عن جدّ الوالد عن المؤلف ، وجدّ الوالد ، والمؤلف يسميان بحسن فهو من عجيب الاتفاق ، وكان المترجم يلائم طبع الفقير فى الصحبة ، فكنت معه فى غالب الأوقات ، إما فى الجامع أو فى المنزل للطافة طبعه ، وقرب سنى من سنه ، وكان الوالد يرى ذلك ، ويسألنى عنه إذا تخلف فى بعض الأحيان ، ويقول : « أين رفيقك الصعيدى » ، فكان يعيد معى ويفهمنى ما يصعب علىّ فهمه ، ولم يزل يدأب فى الاشتغال والطلب مع جودة ذهنه وخلو باله وتفرغه ، والفقير بخلاف ذلك، وتلقى المترجم الحديث سماعا وإجازة عن كل من :

---

(1) جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ٨ أبريل - ٦ مايو ١٨١٦ م .

(2) ١١٨١ هـ / ٣٠ مايو ١٧٦٧ - ١٧ مايو ١٧٦٨ م . (3) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ أبريل ١٧٧٠ م .

الشيخ حسن الجداوى ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ عبد العليم الفيومى ، ثلاثتهم عن : الشيخ على العدوى المنسفيسى ، عن الشيخ محمد غقيلة ، بسنده المشهور ، ولما ترسخ للإفادة والتدريس ، وكان مسكنه بناحية الصليبة ، وجلس للإقراء بالمدرسة الشيخونية، والصرغتمشية ، واحتف به سكان تلك الناحية وأكابرهم واعتنوا بشأنه وأسكنوه فى دار تليق به ، وهادوه وواسوه وأكرموه ، وكانت تلك الناحية عامرة بأكابرها ، وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم - وأصله من جنس الأتراك - وخلو تلك النواحى من أهل العلم وخصوصا الأحناف ، وملازمة المترجم للحالة المحمودة من الإفادة مع شرف النفس والتباعد عما يخل بالمروءة ، إلا ما يأتيه عفوا ، فازدادت محبتهم له ، ووثقوا فيما يقضيه ، ثم تصدى لوقف الشيخونيتين وإيرادهما ، واستخلاص أماكنهما ، وشرع فى تعميرهما، وساعده على ذلك كل من كان يحب الإصلاح، فجدد عمارة المسجد والتكية، وأنشأ بها صهريجا، وفى أثناء ذلك انتقل بأهله إلى دار مليحة - بجوار المسجد بالدرب المعروف بدرب الميضأة - وقفها بانيها على المسجد ، كل ذلك والمترجم لم ينقطع عن الحضور إلى الأزهر فى كل يوم ، ويقرأ درسه أيضًا بالجامع ، ولما كثرت جماعته انتقل إلى المدرسة العينية [1] بالقرب من الأزهر ، ولما عمر محمد أفندى الودنلى الجامع المجاور لمنزله تجاه القنطرة المعروفة بعمار شاه ، والمكتب ، قرر المترجم فى درس الحديث بها فى كل يوم بعد العصر ، وقرر له عشرة من الطلبة ، ورتب للشيخ والطلبة معلوما وافرا يقبض من الديوان ، ولما مات الشيخ إبراهيم الحريرى تعين المترجم لمشيخة الحنفية ، فتقلدها على امتناع منه ، فاستمر إلى أن أخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا ، وكتبوا فى شأنه عرضحالا إلى الدولة ، نسبوا إليه فيه أشياء لم تحصل منه ، وطلبوا الشهادة فيها ، فامتنع فشنعوا عليه ، وبالغوا فى الحط عليه ، وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسين المنصورى ، فلما مات المذكور أعيد المترجم إلى مشيخة الحنفية ، وذلك فى غرة شهر صفر سنة ألف ومائتين وثلاثين [2] ، ولبس الخلع من الشيخ الشنوانى شيخ الجامع ، ثم من الباشا وباقى المشايخ أرباب المظاهر ، ولم يختلف عليه اثنان ، وفى هذه السنة [3] ، استأذن الفقير فى بناء مقبرة يدفن فيها إذا مات بجوار الشيخ أبى جعفر الطحطاوى بالقرافة - لكونى ناظرا عليها - فأذنت له فى ذلك ، فبنى له قبرا بجانب مقام الأستاذ ، ولما توفى دفن فيه ، وكانت وفاته ليلة

(١) المدرسة العينية : تقع برأس حارة الدواداري من خطة الجامع الأزهر ، أنشأها الشيخ محمود العينى الحنفى سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١ م ، وكان يدرس بها بعض علماء الأزهر ، وبها مساكن موقوفة على الطلبة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٤ .

(٢) غرة صفر ١٢٣٠ هـ / ١٣ يناير ١٨١٥ م . (٣) ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ - ٢٠ نوفمبر ١٨١٦ م .

الجمعة بعد الغروب خامس عشر شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف [1] ، وله من المآثر : حاشية على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار ، فى أربع مجلدات ، جمع فيها المواد التى على الكتاب ، وضم إليها غيرها .

ومات ، النجيب الأريب ، والنادرة العجيب ، أعجوبة الزمان ، وبهجة الخلان ، حسن أفندى المعروف بالدرويش الموصلى ، كما أخبر عن نفسه الذكى الألمعى ، والسميذع اللوذعى ، كان إنسانا عجيبا فى نفسه ، مميزا شهيرا فى مصره ، طاف البلاد والنواحى ، وجال فى الممالك والضواحى ، واطلع على عجائب المخلوقات ، وعرف الكثير من الألسن واللغات ، ويعتزى لكل قبيل ، ويخالط كل جيل ، فمرة ينتسب إلى فارس وأخرى إلى بنى مكانس ، فكأنه المعنىّ بما قيل :

طوراً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ ... وإنْ رأيتُ مَعَدّيا فَعدْنانِ

هذا مع فصاحة لسان ، وقوة جنان ، والمشاركة فى كل فن من الرياضيات والأدبيات ، حتى يظن سامعه أنه مجيد فى ذلك الفن منفرد به ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك بقوة الفهم والحفظ ، وما فيه من القابلية ، فيستغنى بذلك عن التلقى من الأشياخ ، وأيضًا فقد انقرض أهل الفنون ، فيحفظ اصطلاحات الفن وأوضاع أهله ، ويبرزه فى ألفاظ ينمقها ويحسنها ، ويذكر أسماء كتب مؤلفة ، وأشياخا وحكما يقل الإطلاع عليها ، والوصول إليها ، ولمعرفته باللغات ، خالط كل ملة حتى يظن كل أهل ملة أنه واحد منهم ، ويحفظ كثيرا من الشبه والمدركات العقلية ، والبراهين الفلسفية ، وأهمل الواجبات الشرعية ، والفرائض القطعية ، وربما قلد كلام الملحدين ، وشكوك المارقين ، ويزلق لسانه فى بعض المجالس بغلطات من ذلك ووساوس ، فلذلك طعن عليه فى الدين ، وأخرجوه عن اعتقاد المسلمين ، وساءت فيه الظنون ، وكثر عليه الطاعنون ، وصرحوا بعد موته بما كانوا يخفونه فى حياته ، لاتقاء شره وسطواته ، وكان له تداخل عجيب فى الأعيان ، ومع كل أهل دولة وزمان ، ورؤساء الكتبة والمباشرين من الأقباط والمسلمين ، بالمعزة الزائدة ، واستجلاب الفائدة ، لاتمل مجالسته ولامعاشرته ، وبآخرة لما رغب الباشا فى إنشاء محل لمعرفة علم الحساب ، والهندسة والمساحة ، تعين المترجم رئيسا ومعلما لمن يكون متعلما بذلك المكتب ، وذلك أنه تداخل بتحيلاته لتعليم مماليك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ، ورتب له خروجا وشهرية ، ونجب تحت يده بعض المماليك فى معرفة الحسابيات ونحوها ، وأعجب الباشا ذلك ، فذاكره وحسن له بأن يفرد

(١) ١٥ رجب ١٢٣١ هـ / ١١ يونيه ١٨١٦ م .

مكانا للتعليم ، ويضم إلى مماليكه من يريد التعليم من أولاد الناس ، فأمر بإنشاء ذلك المكتب ، وحضر إليه أشياء من آلات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الإنكليز وغيرهم ، واستجلب من أولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية للتعليم ، ورتبوا لكل شخص شهرية وكسوة فى آخر السنة ، فكان يسعى فى تعجيل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين أقرانه ، ويواسى من يستحق المواساة ، ويشترى لهم الحمير مساعدة لطلوعهم ونزولهم إلى القلعة ، فيجتمعون للتعليم فى كل يوم من الصباح إلى بعد الظهر ، وأضيف إليه آخر حضر من إسلامبول له معرفة بالحسابيات والهندسيات لتعليم من يكون أعجميا لايعرف العربية مساعدا للمترجم فى التعليم ، يسمى روح الدين أفندى ، فاستمرا نحوا من تسعة أشهر [1] ، ومات المترجم ، وذلك أنه افتصد وطلع إلى القلعة فحنق على بعض المتعلمين وضربه ، فانحلت الرفادة ، فسال منه دم كثير ، فحُم حُمى مختلطة ، واستمر أياما ، وتوفى ودفن بجامع السراج البلقينى بين السيارج ، وعند ذلك زاد قول الشامتين ، وصرحوا بما كانوا يخفونه فى حياته ، فيقول البعض : « مات رئيس الملحدين » ، وآخر يقول : « انهدم ركن الزندقة » ، ونسبوا إليه أن عنده الكتاب الذى ألفه ابن الراوندى لبعض اليهود ، وسماه دافع القرآن ، وأنه كان يقرأه ويعتقد به ، وأخبروا بذلك كتخدا بيك ، فطلب كتبه وتصفحوها ، فلم يجدوا بها ذلك الكتاب ، وما كفى مبغضه وحاسده من الشناعات حتى رأوا له منامات شنيعة ، تدل على أنه من أهل النار ، والله أعلم بخلقه ، وبالجملة فكان غريبا فى بابه ، وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشرى جمادى الثانية من السنة [2] ، وانفرد برياسة المكتب روح الدين أفندى المذكور .

ومات ، الأجل المكرم الشريف غالب بسلانيك ، وهو المنفصل عن عمارة مكة وجدة والمدينة ، وما انضاف إلى ذلك من بلاد الحجاز ، فكانت إمارته نحوا من سبع وعشرين سنة ، فإنه تولى بعد موت الشريف سرور فى سنة ثلاث ومائتين وألف [3] ، وكان من دهاة العالم وأخباره ومناقبه تحتاج إلى مجلدين ، ولم يزل حتى سلط الله عليه بأفاعيله هذا الباشا ، فلم يزل يخادعه حتى تمكن منه وقبض عليه ، وأرسله إلى بلدة سلانيك ، وخرج من سلطنته وسيادته إلى بلاد الغربة ، ونهبت أمواله وماتت

---

(١) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٢٦٢ ، طبعة بولاق « قوله تسعة فى بعض النسخ ستة أ هـ » .

(٢) ١٧ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ١٥ مايو ١٨١٦ م .

(٣) ١٢٠٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٨٨ - ٢٠ سبتمبر ١٧٨٩ م .

أولاده وجواريه ، ثم مات هو فى هذه السنة (١) .

ومات ، الأمير مصطفى بيك دالى باشا ، وهو قريب الباشا ونسيبه أيضًا ، وكان من أعاظم أركان دولته ، شهير الذكر موصوفا بالإقدام والشجاعة ، ومات بالإسكندرية ، ولما وصل خبره إلى الباشا اغتم غما شديدا ، وتأسف عليه ، وكان الباشا ولاه كشوفية الشرقية ، وقرن به على كاشف ، فأقام بها نحو السنتين ، ومهد البلاد ، وأخاف العربان وأذلهم ، وقتل منهم الكثير ، وجمع لمخدومه أموالا جمة ، وكان جسيما بطينا يأكل التيس المخصى وحده ، ويشرب عليه الزق من الشراب ، ثم يتبعه بشالية أو اثنتين من اللبن ، ويستلقى نائما مثل العجل العظيم ذى الخوار إلا أنه كان يقضى حاجة من التجأ إليه ، ويحب أولاد الناس ويواسيهم ويتجاوز عن الكثير ، ويعطى ما يلزمه من الحقوق لأربابها ، ولما تحققت أخته التى هى زوج الباشا ، وكذلك والدته أمرتا بإحضار رمته إلى مصر ويدفن بمدفنهم ، وتعين لذلك سليمان أغا السلحدار ، فسافر إلى الإسكندرية ووضعه فى صندوق مزفت على عربية ، ووصل به بعد اثنى عشر يوما من موته ، وكان وصوله فى ثانى ساعة من ليلة الجمعة سادس عشرى جمادى الثانية (٢) وذهبوا به إلى المدفن فى المشاعل من خلف المجراة ، فلما وصلوا إلى المدفن أرادوا إنزاله إلى القبر بالصندوق ، فلم يمكنهم ، فكسروا الصندوق فعبقت رائحته ، وقد تهرى فهرب كل من كان حاضرا ، فكبوه على حصير ولفوه فيه ، وأنزلوه إلى الحفرة ، وغشى على الفحارين ، وجزعت النفوس من رائحة أخشاب الصندوق ، فحشوا عليه الأتربة ، وليس من يفتكر أو يعتبر .

ومات ، أيضًا حسن أغا حاكم بندر السويس مطعونا ، فولى الباشا عوضه السيد أحمد الملا الترجمان .

ومات ، أيضًا سليمان أغا حاكم رشيد .

ومات ، الأمير الكبير الشهير بإبراهيم بيك المحمدى عين أعيان أمراء الألوف المصريين ، ومات بدنقلة متغربا عن مصر وضواحيها ، وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، تقلد الإمرة والإمارة فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف (٣) ، فى أيام على بيك الكبير ، وتقلد مشيخة البلد ورئاسة مصر بعد موت أستاذه فى سنة تسع

---

(١) ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ - ٢٠ نوفمبر ١٨١٦ م .

(٢) ٢٦ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ٢٤ مايو ١٨١٦ [illegible] ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩ م .

وثمانين ومائة وألف[1] ، مع مشاركة خشداشه مراد بيك ، وباقى أمرائهم ، والجميع راضون برياسته وإمارته لايخالفهم ولايخالفونه ، ويراعى جانب الصغير منهم قبل الكبير ، ويحرص على جمعية أمرهم وألفة قلوبهم فطالت أيامه ، وتولى قائم مقامية مصر على الوزراء نحو العشرة مرارا ، وطلع أميرا على الحج فى سنة ست وثمانين [2] ، وتولى الدفتردارية فى سنة سبع وثمانين [3] ، وكلاهما فى حياة أستاذه ، واشترى المماليك الكثيرة ، وربّاهم وأعتقهم ، وأمَّرَ وقلَّدَ منهم صناجق وكشافًا ، وأسكنهم الدور الواسعة ، وأعطاهم الإقطاعات ، ومات الكثير منهم فى حياته ، وأقام خلافهم من مماليكه ، ورأى أولاد أولاده ، بل وأولادهم ، وما زال يولد له ، وأقام فى الإمارة نحو ثمان وأربعين سنة ، وتنعم فيها وقاسى فى أواخر أمره شدائد وإغترابا عن الأهل والأوطان ، وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ، وباشر عدة حروب وكان ساكن الجأش صبورا ذا تؤدة وحلم قريبا للانقياد للحق ، متجنبا للهزل إلا نادرا مع الكمال والحشمة لايحب سفك الدماء ، مرخصا لخشداشينه فى أفاعيلهم ، كثير التغافل عن مساويهم مع معارضتهم له فى كثير من الأمور ، وخصوصا مراد بيك وأتباعه فيغضى ويتجاوز ، ولايظهر غما ولا خلافا ولا تأثرا ، حرصا على دوام الألفة وعدم المشاغبة ، وإن حدث فيما بينهم ما يوجب وحشة تلافاه وأصلحه ، وكان هذا الإهمال والترخص والتغافل سببا لمبادى الشرور ، فإنهم تمادوا فى التعدّى وداخلهم الغرور وغمرتهم الغفلة عن عواقب الأمور ، واستصغروا من عداهم ، وامتدت أيديهم لأخذ أموال التجار وبضائع الإفرنج الفرنساوية وغيرهم ، بدون الثمن مع الحقارة لهم ولغيرهم ، وعدم المبالاة والاكتراث بسلطانهم الذى يدعون أنهم فى طاعته مع مخالفة أوامره ، ومنع خزينته واحتقار الولاة ، ومنعهم من التصرف والحجر عليهم ، فلا يصل للمولى عليهم إلا بعض صدقاتهم إلى أن تحرك عليهم حسن باشا الجزايرلى ، فى سنة مائتين وألف [4] ، وحضر على الصورة التى حضر فيها، وساعدته الرعية، وخرجوا من المدينة إلى الصعيد ، وانتهكت حرمتهم ، ثم رجعوا بعد الفصل فى سنة ست ومائتين [5] إلى إمارتهم ودولتهم ، وعادوا إلى حالتهم الأولى بل وأريد منها فى التعدّى ، فأوجب ذلك زكوب الفرنساوية عليهم ، ولم يزل الحال يتزايد والأهوال يتلو بعضها بعضا حتى انقلبت أوضاع الديار المصرية،

---

(١) ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ - ٢٠ فبراير ١٧٧٦ م .

(٢) ١١٨٦ هـ / ٤ ابريل ١٧٧٢ - ٢٤ مارس ١٧٧٣ م .

(٣) ١١٨٧ هـ / ٢٥ مارس ١٧٧٣ - ١٣ مارس ١٧٧٤ م .

(٤) ١٢٠٠ هـ / ٤ نوفمبر ١٧٨٥ - ٢٣ أكتوبر ١٧٨٦ م .

(٥) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩١ - ١٨ اغسطس ١٧٩٢ م .

وزالت حرمتها بالكلية ، وأدّى الحال بالمترجم إلى الخروج والتشتيت والتشريد ، هو ومن بقى من عشيرته إلى بلاد العبيد ، يزرعون الدخن ويتقوّتون منه ، وملابسهم القمصان التى يلبسها الجلابة فى بلادهم ، إلى أنْ وردت الأخبار بموته ، فى شهر ربيع الأوّل من السنة [1] ، وأما جملة أخباره فقد تقدمت فى ضمن السوابق ، والماجريات واللواحق .

ومات ، الأمير الأجل أحمد أغا الخازندار المعروف ببونابارته ، وهو أيضًا شهير الذكر من أعاظم الدولة ، وقد تقدّم كثير من أخباره وسفره إلى الحجاز ، وكان عمر دارا عظيمة على بركة الأزبكية جهة الرويعى ، ثم عمل مهما كبيرًا لزواج ابنه ، وهو إذ ذاك مريض فى حياض الموت ، حتى أشيع فى الناس يوم زفة العروس ، ثم مات بعد أيام قليلة مضت من الفرح ، وذلك يوم الأربعاء ثالث شهر جمادى الثانية [2] .

وماتت ، الست الجليلة خاتون ، وهى سرية على بيك بلوط قبان الكبير ، وكانت محظيته ، وبنى لها الدار العظيمة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق ، والساقية والطاحون بجانبها ، ولما مات على بيك ، وتأمر مراد بيك فتزوّج بها ، وعمرت طويلا مع العز والسيادة والكلمة النافذة ، وأكثر نساء الأمراء من جواريها ، ولم يأت بعد الست شويكار من اشتهر ذكره وخبره سواها ، ولما كان أيام الفرنساوية ، واصطلح معهم مراد بيك حصل لها منهم غاية الكرامة ، ورتبوا لها من ديوانهم فى كل شهر مائة ألف نصف فضة ، وشفاعتها عندهم مقبولة لاتردّ ، وبالجملة فإنها كانت من الخيرات ، ولها على الفقراء بر وإحسان ، ولها من المآثر الخان الجديد والصهريج داخل باب زويلة ، توفيت يوم الخميس لعشرين من شهر جمادى الأولى [3] ، بمنزلها المذكور بدرب عبد الحق ، ودفنت بحوشهم فى القرافة الصغرى بجوار الإمام الشافعى ، وأضيفت الدار إلى الدولة ، وسكنها بعض أكابرها ، وسبحان الحى الذى لايموت .

ومات ، المقر الكريم المخدوم ، أحمد باشا الشهير بطوسون ابن حضرة الوزير محمد على باشا مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور وما أضيف إليها ، وقد تقدّم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية ، وتوجهه إلى الإسكندرية ورجوعه إلى مصر ، ثم عوده إلى ناحية رشيد ، وعرضى خيامه جهة الحماد بالعسكر على الصورة

---

(١) ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ٣١ يناير - ٢٩ فبراير ١٨١٦ م .
(٢) ٣ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ١ مايو ١٨١٦ م .
(٣) ٢٠ جمادى الأولى ١٢٣١ هـ / ١٨ أبريل ١٨١٦ م .

المذكورة ، وهو ينتقل من العرضى إلى رشيد ، ثم إلى برنبال وأبى منضور والعزب ، ولما رجع فـي هذه المرة أخذ صحبته من مصر المغـنين وأرباب الآلات المطربة بـالعود والقانون والناى والـكمنجات ، وهم : إبراهيم الوراق ، والحـبابى ، وقشوة ، ومن يصحـبهم من باقى رفـقائهم ، فذهـب ببعض خواصــه إلى رشيد ، ومعه الجـماعة المذكـورون ، فأقام أيـاما ، وحضـر إليه من جـهة الروم ، جـوار وغلمـان أيضًا ، رقاصون ، فانتقل بهـم إلى قصر برنبال ، ففى ليلة حلوله بـها نزل به ما نزل به من المقدور ، فتمرض بالـطاعون ، وتململ نحو عشر ساعات ، وانـقضى نحبه ، وذلك ليلة الأحد سابع شهر القعدة [1] ، وحضره خليل أفندى قوللى حاكم رشيد ، وعندما خرجت روحه انـتفخ جسمه وتغـير لونه إلى الزرقـة ، فغسلوه وكفنـوه ووضعوه فى صندوق من الخشب ، ووصلوا به فى السفينة منتصف ليلة الأربعاء عاشره [2] ، وكان والده بالجيزة ، فلم يتجاسروا على إخباره ، فذهب إليه أحمد أغا أخو كتخدا بيك ، فلما علـم بوصوله ليلا استنكـر حضوره فى ذلك الوقت ، فأخبـره عنه أنه ورد إلى شبرا متوعكا ، فركب فى الحين القنجة ، وانحدر إلى شبرا وطلع إلى القصر ، وصار يمر بالمخـادع ، ويقول : « أين هو » ، فـلم يتجاسـر أحد أن يصرح بموتـه ، وكانوا ذهبوا به وهو فـى السفينة إلى بولاق ورسوا به عـند الترسخانة ، وأقبل كـتخدا بيك على الباشا فرآه يبكى ، فانزعـج انزعاجا شديدا ، وكاد أن يقع على الأرض ، ونزل السفينة فأتى بـولاق آخر الليل ، وانطلقت الرسل لإخبار الأعيان ، فـركبوا بأجمعهم إلى بولاق ، وحضـر القاضى والأشياخ والسيـد المحروقى ، ثم نصبوا تظـلك ساترا على السفينة ، وأخـرجوا الناووس والدم والصديد يقطر منه ، وطلـبوا القلافطة لسد خــروقه ومنافـسه ، ونـصبوا عودا عـند رأسه ووضعـوا عليـه تاج الوزارة المسـمى بالطلخـان ، وانجروا بالجنازة من غير ترتـيب ، والجميع مشاة أمامه وخـلفه - وليس فيها من جـوقات الجنائز المعتادة : كـالفقهاء وأولاد الكتاتـيب والأحزاب شىء - من ساحل بولاق على طريق المدابغ وباب الخرق ، على الدرب الأحمر ، على التبانة إلى الرميلة ، فصلوا عليه بمصلى المؤمنـين ، وذهبوا به إلى المدفن الذى أعدّه الباشا لنفسه ولموتاه ، كل هذه المسافة ووالده خلف نعشه ينظر إليه ويبكى ، ومع الجنازة أربعة من الحمير تحـمل القروش وربعيـات الذهب ودراهم أنصاف عـدديه ، ينثرون منـها على الأرض وعلى الكيمان ، وعـن يمين الكتخدا ويساره شخصان يتناول مـنهما قراطيس الفضة ، يفرق عـلى من يتعرض له من الفقـراء والصبيان ، فإذا تكاثروا علـيه نثر ما

---

(١) ٧ القعدة ١٢٣١ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ م .
(٢) ١٠ القعدة ١٢٣١ هـ / ٢ أكتوبر ١٨١٦ م .

بقى فى يده عليهم ، فيشتغلون عنه بالتقاطها من الأرض فكان جملة ما فرق وبدر من الأنصاف العددية فقط خمسة وعشرين كيسا ، عنها خمسمائة ألف فضة ، وذلك خلاف القروش أيضًا ، والربعيات الذهب ، وساقوا أمام الجنازة ستة رؤوس من الجواميس الكبار ، أخذ منها خدمة التربة ومن حولهم ، وخدمة ضريح الإمام الشافعى ، ولم ينل الفقراء إلا ما فضل عنهم ، وأخرجوا لإسقاط صلاة المتوفى خمسة وأربعين كيسا ، تناولها فقراء الأزهر ، وفرقت بجامع الفاكهانى ، بحسب الأغراض للغنى منهم أضعاف قسم الفقير ، وأكثر الفقراء من الفقهاء لم ينالوا ولا القليل ، ولما وصلوا إلى المدفن هدموا التربة ، وأنزلوه فيها بتابوته الخشب لتعسر إخراجه منه بسبب انتفاخه وتهريه ، حتى أنهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات فى المجامر الذهب والرائحة غالبة على ذلك ، وليس ثم من يتعظ أو يعتبر ، ولما مات لم يخبروا والدته بموته إلا بعد دفنه ، فجزعتْ عليه جزعا شديدا ، ولبست السواد ، وكذلك جميع نسائهم وأتباعهم ، وصبغوا براقعهم بالسواد والزرقة ، وكذلك من ينافقهم من الناس ، حتى لطخوا أبواب البيوت ببولاق وغيرها بالوحل ، وامتنع الناس بالأمر عليهم من عمل الأفراح ودق الطبول مطلقا ، ونوبة الباشا وإسماعيل باشا وطاهر باشا ، حتى ما يفعله دراويش المولوية فى تكاياهم عند المقابلة من الناى والطبل أربعين يوما ، وأقاموا عليه العزاء عند القبر ، وعدّة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدّة الأربعين يوما ، ورتبوا لهم ذبائح ومآكل ، وكل ما يحتاجونه ، ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته وأخواته والواردين من أقاربه وغيرهم على حد قول القائل : مصَائبُ قومٍ عند قومٍ فَوائدُ .

ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين ، وكان أبيض جسيما ، كما قد دارت لحيته ، بطلا شجاعا جوادا له ميل لأولاد العرب ، منقادا لملة الإسلام ، ويعترض على أبيه فى أفعاله تخافه العسكر وتهابه ، ومن اقترف ذنبا صغيرا قتله مع إحسانه وعطاياه للمنقاد منهم ولإمرائه ، ولغالب الناس إليه ميل ، وكانوا يرجون تأمره بعد أبيه ، ويأبى الله إلا ما يريد .

ومات ، الوزير المعظم يوسف باشا المنفصل عن إمارة الشام ، وحضر إلى مصر من نحو ثلاث سنوات هاربا وملتجئا إلى حاكم مصر ، وذلك فى أواخر سنة سبع وعشرين ومائتين وألف [1] ، وأصله من الأكراد الدكرلية ، وينسب إلى الأكراد

(١) ١٢٢٧ هـ / ١٦ يناير ١٨١٢ - ٣ يناير ١٨١٣ م .

الملية [1] ، وابتداء أمره بإخبار من يعرفه ، أنه هرب من أهله وعمره إذ ذاك خمس عشرة سنة ، فوصل إلى حماة ، وتعاطى بيع الحشيش والسرجين والروث ، ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدّة سنين إلى أن ألبسه قلبق [2] ، ثم خدم بعده ملا إسماعيل بلكتاش ، وتعلم الفروسية والرماحة ، فلعب يوما فى القمار وخسر فيه ، وخاف على نفسه فخرج هاربا إلى عمر أغا باسيلى من إشراقات إبراهيم باشا المعروف بالأزدن ، فتوجه معه إلى غزة ، وكان مع المترجم جواد أشقر من جياد الخيل ، فقلد على أغا متسلم غزة عمر أغا المذكور وجعله دالى باشا ، ففى بعض الأيام طلب المتسلم من المترجم الجواد ، فقال له : « إن قلدتنى دالى باشا قدمته لك » ، فأجابه إلى ذلك ، وعزل عمر أغا ، وقلد المترجم المنصب عوضا عنه ، وامتنع من إعطائه ذلك الجواد ، وأقام فى خدمته مدة ، فوصل مرسوم من أحمد باشا الجزار خطابا للمترجم بالقبض على المتسلم وإحضاره إلى طرفه ، وإن فعل ذلك ينعم عليه بمبلغ خمسين كيسا ومائة بيرق ، ففعل ذلك وأوقع القبض على عليّ أغا المتسلم وتوجه إلى عكا بلدة الجزار ، فقال المتسلم للمترجم فى أثناء الطريق : « تعلم أنّ الجزار رجل سفاك دماء فلا توصلنى إليه ، وإن كان وعدك بمال أنا أعطيك أضعافه ، وأطلقنى أذهب حيث شاء الله ، ولا تشاركه فى دمى » ، فلم يجبه إلى ذلك ، وأوصله إلى الجزار فحبسه ، ثم قتله ورماه فى البحر ، وأقام المترجم بباب الجزار أياما ، ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى حيث يريد ، فإنه لاخير فيه لخيانته لمخدومه ، فذهب إلى حماة ، وأقام عند أغاته إسماعيل أغا ، وهو متولى من طرف عبدالله باشا المعروف بابن العظم ، فأقام فى خدمته كلارجى زمنا نحو الثلاث سنوات ، وكان بين عبدالله باشا وأحمد باشا الجزار عداوة ، فتوجه عبدالله باشا إلى الدورة ، فأرسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق فسلك طريقا أخرى ، فلما وصل إلى جنينى [3] ، وهى مدينة قريبة من بلاد الجزار ، وجه الجزار عساكره عليه ، فلما تقدم العسكران وتسامعت أهل النواحى امتنعوا من دفع الأموال ، فما وسع عبدالله باشا إلا الرحيل وتوجه إلى ناحية نابلس مسافة يومين ، وحاصر بلدة تسمى صوفين [4] ، وأخذ

---

(1) الأكراد الملية : يحمل هذا الإسم فرع من الأكراد ، حيث كان الأكراد فروعا مثل الأكراد الحميدية ، والأكراد الملية .

(2) قلبق : غطاء رأس من الوبر مدبب أو أسطوانى . .

(3) جنينى : هى مدينة جنين ، وهى إحدى المدن الفلسطينية .

(4) صوفين : بلدة فلسطينية .

مدافع من يافا ، وأقام محاصرا لها ستة أيام ، ثم طلبوا الأمان فأمنهم ورحل عنهم إلى طرف الجبل مسيرة نصف ساعة ، وفرق عساكره لقبض أموال الميرى من البلاد ، وأقام هو فى قلة من العسكر ، فوصل إليه خيال وقت العصر فى يوم من الأيام يخبره بوصول عساكر الجزار ، وأنه لم يكن بينه وبينهم إلا نصف ساعة وهم خمسة آلاف مقاتل ، فارتبك فى أمره ، وأرسل إلى النواحى فحضر إليه من حضر وهم نحو الثلثمائة خيال ، وهو بدائرته نحو الثمانين ، فأمر بالركوب ، فلما تقاربا هاله كثرة عساكر العدوّ ، وأيقنوا بالهلاك ، فتقدم المترجم إلى العسكر وأشار عليهم بالثبات ، وقال لهم : « لم يكن غير ذلك ، فإننا إن فررنا هلكنا عن آخرنا »، وتقدم المترجم مع أغاته ملا إسماعيل وتبعهم العسكر وولجوا وسط خيل العدوّ وصدقوا الحملة جملة واحدة ، فحصلت فى العدوّ الهزيمة ، وركبوا أقفيتهم ، وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم ، فرجعوا برؤوس القتلى والقلائع ، فلما أصبح النهار عرضوها على الوزير وهى نحو الألف رأس وألف قليعة ، فخلع عليهم وشكرهم ، وارتحلوا إلى دمشق ، وذهب المترجم مع أغاته إلى مدينة حماة ، واستمر هناك إلى أن حضر الوزير الأعظم يوسف باشا المعروف بالمعدن إلى دمشق ، بسبب الفرنساوية ، ففارق المترجم مخدومه فى نحو السبعين خيالا ، وجعل يدور بأراضى حماة بطالا ، ويقال له : « قيس » ، فيراسل الجزار لينضم إليه ، وكان الجزار عند حضور الوزير انفصل حكمه عن دمشق ، ووجه ولايتها إلى عبدالله باشا العظم ، فلما بلغ المترجم ذلك ، توجه إلى لقاء عبدالله باشا بالمعرة [1] ، فأكرمه عبدالله باشا وقلده دالى باشا كبيراً على جميع الخيالة ، حتى على أغاته ملا إسماعيل أغا ، وأقام بدمشق مدة ، إلى أن حاصر عبدالله باشا مدينة طرابلس ، فوصل إليه الخبر بأن عساكر الجزار استولوا على دمشق وبلادها ، فركب عبدالله باشا وذهب إلى دمشق ودخلها بالسيف ، ونصب عرضيه خارجها ، فوصل خبر ذلك إلى الجزار ، فكاتب عساكر عبدالله باشا يستميلهم لأن معظمهم غرباء ، فاتفقوا على خيانته ، والقبض عليه ، وتسليمه إلى الجزار ، وعلم ذلك وتثبته فركب فى بعض مماليكه وخاصته إلى وطاق المترجم ، وهو إذ ذاك دالى باشا ، وأعلمه الخبر ، وأنه يريد النجاة بنفسه ، فركب بمن معه وأخرجه من بين العسكر قهرا عنهم ، وأوصله إلى شول بغداد ، ثم ذهب على الهجن إلى بغداد ، ورجع المترجم إلى حماة ، فقبل وصوله إليها ورد عليه مرسوم الجزار يستدعيه فذهب إليه ، فجعله مقدم ألف ، وقلده باش الجردة ، فسافر إلى الحجاز

---

(١) المعرة : بلدة تقع فى سوريا .

بالملاقاة ، وكان أمير الحاج الشامي إذ ذاك سليمان باشا عوضا عن مخدومه أحمد باشا الجزار ، فلما حصلوا فى نصف الطريق ، وصلهم خبر موت الجزار ، فرجع يوسف المترجم إلى الشام ، واستولى إسماعيل باشا على عكا ، وتوجه منصب ولاية الشام إلى إبراهيم باشا المعروف بقطر أغاسى أى أغاة البغال : وفى فرمان ولايته الأمر بقطع رأس إسماعيل باشا ، وضبط مال الجزار ، فذهب المترجم بخيله وأتباعه إلى إبراهيم باشا ، وخدم عنده ، وركب إلى عكا وحصروها، وحطوا فى أرض الكردانى مسيرة ساعة من عكا ، وكانت الحرب بينهم سجالا ، وعساكر إسماعيل باشا نحو العشرة آلاف ، والمترجم يباشر الوقائع ، وكل واقعة يظهر فيها على الخصم ، ففى يوم من الأيام لم يشعروا إلا وعسكر إسماعيل باشا نافذ إليهم من طريق أخرى ، فركب المترجم وأخذ صحبته ثلاثة مدافع وتلاقى معهم وقاتلهم وهزمهم إلى أن حصرهم بقرية تسمى دعوق [1] ، ثم أخرجهم بالأمان إلى وطاقه وأكرمهم وعمل لهم ضيافة ثلاثة أيام ، ثم أرسلهم إلى عكا بغير أمر الوزير ، ثم توجه إبراهيم باشا إلى الدورة ، وصحبته المترجم ، وتركوا سليمان باشا مكانهم ، وخرج إسماعيل باشا من عكا ، وأغلقت أبوابها فاتفقت عساكره وقبضوا عليه ، وسلموه إلى إبراهيم باشا فعند ذلك برز أمر إبراهيم باشا بتسليم عكا إلى سليمان باشا ، وذهب بالمرسوم المترجم فأدخله إليها ، ورجع إلى مخدومه وذهب إلى الدورة ، ثم عاد معه إلى الشام ، وورد الأمر بعزل إبراهيم باشا عن الشام وولاية عبدالله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد ، فخرج المترجم لملاقاته من على حلب ، فقلده دالى باشا على جميع العسكر ، فلما وصل إلى الشام ولاه على حوران [2] ، وأربد [3] ، والقنيطرة[4] ، ليقبض أموالها ، فأقام نحو السنة ، ثم توجه صحبة الباشا مع الحج ، وتلاقوا مع الوهابية فى الجديدة ، فحاربهم المترجم وهزمهم ، وحجوا واعتمروا ورجعوا ومكثوا إلى السنة الثانية ، فخرج عبدالله باشا بالحج ، وأبقى المترجم نائبا عنه بالشام ، فلما وصل إلى المدينة المنوّرة منعه الوهابيون ، ورجع من غير حج ، ووصل خبر ذلك إلى الدولة ، فورد الأمر بعزل عبدالله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على الشام وضواحيها ، فارتاعت النواحى والعربان ، وأقام السنة ، ولم يخرج بنفسه إلى الحج

---

(١) دعوق : قرية فلسطينية .

(٢) حوران : مدينة سورية .

(٣) أربد : مدينة سورية .

(٤) القنيطرة : مدينة سورية .

بل أرسل ملا حسن عوضا عنه ، فمنع أيضًا عن الحج ، فلما كانت القابلة انفتح عليه أمر الدورة وعصى عليه بعض البلاد ، فخرج إليها وحاصر بلدة تسمى كردانية[1] ، ووقع له فيها مشقة كبيرة إلى أن ملكها بالسيف ، وقتل أهلها ، ثم توجه إلى جبل نابلس ، وقهرهم وجبى منهم أموالا عظيمة ، ثم رجع إلى الشام واستقام أمره ، وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل فى الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة ، وأبطل البدع والمنكرات ، واستتاب الخواطئ وزوجهن ، وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمر بترك الإسراف فى المآكل والملابس ، وشاع خبر عدله فى النواحى ، ولكن ثقل ذلك على أهل البلاد بترك مألوفهم ، ثم إنه ركب إلى بلاد النصيرية وقاتلهم ، وانتصر عليهم وسبى نساءهم وأولادهم ، وكان خيَّرهم بين الدخول فى الإسلام أو الخروج من بلادهم ، فامتنعوا وحاربوا وانخذلوا ، وبيعت نساؤهم وأولادهم ، فلما شاهدوا ذلك أظهروا الإسلام تقية فعفا عنهم ، وعمل بظاهر الحديث ، وتركهم فى البلاد ، ورحل عنهم إلى طرابلس ، وحاصرها بسبب عصيان أميرها بربر باشا على الوزير ، وأقام محاصرا لها عشرة أشهر حتى ملكها ، واستولى على قلعتها ، ونهبت منها أموال للتجار وغيرهم ، ثم ارتحل إلى دمشق وأقام بها مدة ، فطرقه خبر الوهابية أنهم حضروا إلى المزيريب[2] ، فبادر مسرعا وخرج إلى لقائهم ، فلما وصل إلى المزريب ، وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال ، فأقام هناك أياما ، فوصل إليه الخبر بأن سليمان باشا وصل إلى الشام وملكها ، فعاد مسرعا إلى الشام ، وتلاقى مع عسكر سليمان باشا وتحارب العسكران إلى المساء ، وبات كل منهم فى محله ، ففى نصف الليل فى غفلتهم والمترجم نائم وعساكره أيضًا هامدة ، فلم يشعروا إلا وعساكر سليمان باشا كبستهم ، فحضر إليه كتخداه وأيقظه من منامه ، وقال له : « إن لم تسرع ، وإلا قبضوا عليك » ، فقام فى الحين وخرج هاربا وصحبته ثلاثة أشخاص من مماليكه فقط ، ونهبت أمواله ويرقه ، وزالت عنه سيادته فى ساعة واحدة ، ولم يزل حتى وصل إلى حماة ، فلم يتمكن من الدخول إليها ومنعه أهلها عنها وطردوه ، فذهب إلى سيجر [3] ، وارتحل منها إلى بلدة يعمل بها البارود ، ومنها إلى بلدة تسمى رية [4] ، ونزل عند سعيد أغا ، فأقام عنده ثلاثة أيام ، ثم توجه إلى نواحى أنطاكية بصحبته جماعة من عند

---

(1) كردانية : بلدة سورية .

(2) المزيريب : بلدة سورية .

(3) سيجر : مدينة سورية .

(4) رية : مدينة سورية .

سعيد أغا المذكـور ، ثم إلى السويدة [1] ، ولـم يبـق معه سوى فرس واحـد ، ثم إنه أرسل إلى محمـد على باشا صاحب مصر واسـتأذنه فى حضوره إلى مصـر ، فكاتبه بالحضور إليه والتـرحيب به ، فوصل إلى مصر فى التاريـخ المذكور ، فلاقاه صاحب مصر وأكرمه وقدم إلـيه خيولا وقماشا ومالا ، وأنزله بدار واسعـة بالأزبكية ، ورتب له خروجا زائـدة من لحم وخبز وسمن وأرز وحطـب وجميع اللوازم المحتـاج إليها ، وأنعـم عليه بـجوارى وغير ذلـك ، وأقام بمصر هـذه المدّة ، وأرسل فى شـأنه إلى الدولة ، وقبلت شفاعة محمد على بـاشا فيه ، ووصل العفو والرضا ، ما عدا ولاية الشام ، وحصلت فيه علة ذات الصدر ، فكان يظهر به شبه السلعة مع الفواق بصوت يسمعـه من يكون بعيدا عـنه ، ويذهب إليه جـماعة الحكماء من الإفـرنج وغيرهم ، ويطالـع فى كتب الطـب مع بعض الطلـبة من المجاورين ، فـلم ينجع فـيه علاج ، وانتقل إلى قصر الآثـار بقصد تبديل الهواء ، ولم يزل مقيمـا حتى اشتد به المرض ، ومات فى ليلة السبت العـشرين من شهر ذى القعدة [2] ، وحملت جنـازته من الآثار إلى القـرافة من ناحيـة الخلاء ، ودفن بالحوش الذى أنـشأه الباشا ، وأعـدّه لموتاه ، وكانت مدّة إقـامته بمصر نحـو الستة سنوات ، فـسبحان الحى الذى لايمـوت ، الدائم الملك السلطان .

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف [3]

استهل المحرم بـيوم الخميس [4] ، وحاكم مصر والمـتولى عليها وعلـى ضواحيها وثغـورها مـن حدّ رشيـد ودمياط إلى أسـوان وأقصى الصـعيد وأسكـلة القصـير والسويـس ، وساحل القلزم ، وجـدة ومكة والمدينـة ، والأقطار الحجازية بـأسرها محمد على باشا القوللى ، ووزيره وكتـخداه محمد أغا لاظ ، والدفتردار محمد بيك صهر الباشا ، وزوج ابـنته ، وأغات الباب إبراهيم أغا ، ومدبـر أمور البلاد والأطيان والرزق والمساحات ، وقـبض الأموال الميرية ، وحسابـاتها ومصارفها ، محـمود بيك الخازندار ، والسلحدار سليمان أغا ، وحاكم الوجه القبلى محمد بيك الدفتردار صهر

---

(١) السويدة : قرية من قرى حوران .
القرمانى ، أحمد بن يوسف : أخبـار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، تحـقيق : أحمد حطـيط وآخر ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٩٢ م ، ص ٣٩١ .
(٢) ٢٠ ذى القعدة ١٢٣١ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨١٦ م .
(٣) ١٢٣٢ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١٦ - ١٠ نوفمبر ١٨١٧ م .
(٤) ١ محرم ١٢٣١ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١٦ م .

الباشا عوض إبراهيم باشا ولد الباشا لانفصاله عن إمارة الوجه القبلى ، وسفره إلى الحجاز آنفا لمحاربة الوهابيين ، وباقى أمراء الدولة مثل : عابدين بيك ، وإسماعيل باشا إبن الباشا ، وخليل باشا ، وهو الذى كان حاكم الإسكندرية سابقا ، وشريف أغا ، وحسين بيك دالى باشا ، وحسين بيك الشماشرجى ، وحسن بيك الشماشرجى الذى كان حاكما بالفيوم ، وغير هؤلاء ، وحسن أغا أغات الينكجرية ، وأحمد أغا أغات التبديل ، وعلى أغا الوالى ، وكاتب الروزنامة مصطفى أفندى ، وحسن باشا بالديار الحجازية ، وشاه بندر التجار السيد محمد المحروقى ، وهو المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان ومخاطباتهم ، وملاقاة الأخبار الواصلة من الديار الحجازية ، والمتوجهة إليها ، وأجر المحمول ، وشحنة السفن ، ولوازم الصادرين ، والمتجعين والمقيمين والراحلين ، والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشائر وغوائلهم ومحاكماتهم وإرغابهم وإرهابهم وسياستهم ، على اختلاف أخلاقهم وطباعهم ، وهو المتعين أيضًا لفصل قضايا التجار والباعة ، وأرباب الحرف البلدية ، وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم ، وتأديب المنحرفين منهم والنصابين ، وبعوثات الباشا ، ومراسلاته ومكاتباته ، وتجاراته وشركاته ، وابتداعاته ، واجتهاده فى تحصيل الأموال من كل وجه وأى طريق ، ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر إلى نواحى الحجاز للإغارة على بلاد الوهابية ، وأخذ الدرعية مستمر لاينقطع ، والعرضى منصوب خارج باب النصر ، وباب الفتوح ، وإذا ارتحلت طائفة خرجت أخرى مكانها .

وفيه (1) ، سومحت أرباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والخضرية والخبازون ونحوهم من المسانهات والمشاهرات واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ، ونودى برفعها أمام المحتسب فى الأسواق ، وعوض المحتسب عنها خمسة أكياس فى كل شهر يستوفيها من الخزينة العامرة ، وعملوا تسعيرا بترخيص أسعار المبيعات بدلا عما كانوا يغرمونه للمحتسب ، ولكن من غير مراعاة النسبية والمعادلة فى غالب الأصناف ، فإن العادة عند إقبال وجود الفاكهة أو الخضراوات تباع بأغلى ثمن لعزتها وقلتها حينئذ ، وشهوة الطباع ، واشتياق النفوس لجديد الأشياء ، وزهدها فى القديم الذى تكرر استعماله وتعاطيه ، كما يقال لكل جديد لذة ، فلم يراعوا ذلك ، ولم ينظروا فى أصول الأشياء أيضًا ، فإن غالب الأصناف داخل فى المحتكرات ،

(1) ١ محرم ١٢٣٢ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١٦ م .

وزيـادة المكوس الحادثـة فى هذه السـنين ، وما يـضاف إلى ذلك مـن طمع البـاعة والسوقة ، وغـشهم وقبحهم وعـدم ديانتهم وخبـث طباعهم ، فلمـا نودى بذلك ، وسمع الناس رخص المبيعات ظنوا بغفلتهم حصول الرخاء ، ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السعرانة ، وخطفوا ما كان بالأسواق بموجب التسعيرة من : اللحم ، وأنواع الخضراوات ، والفاكهة والأدهان ، فلما أصبح اليوم الثانى [1] ، لم يوجد بالأسواق شيء من ذلك ، وأغلقت الفكهانية حوانيتـهم ، وأخفوا ما عندهم ، وطفقوا يبيعونه خفية ، وفـى الليل بالثـمن الذى يرتضونه ، والمحـتسب يكثر الـطواف بالأسواق . ويتجسس عليهم ، ويقبض على من أغـلق حانوته ، أو وجدها خالية ، أو عثر عليه أنه بـاع بـالزيـادة ، وينكـل بـهم ويسحبهم مكـشـوفين الرؤوس مشنوقـين وموثقين بالحبال ، ويضربهم ضربا مؤلما ، ويصلبهم بمفارق الطرق مخزومين الأنوف ، ومعلق فيها النـوع المزاد فى ثمنه ، فلم يرتجعـوا عن عادتهم ، ثم إن هذه المناداة والـتسعيرة ظاهرها الرفق بالرعـية ورخص الأسعار وباطنها المكر والتحيل ، والـتوصل لما سيظهر بعد عن قريب ، وذلـك أن ولى الأمر لم يكن له من الشغل إلا صرف هـمته وعقله وفكرته فـى تحصيل المال ، والمكاسب وقـطع أرزاق المسترزقين ، والحجـر والاحتكار لجميع الأسباب ، ولايتقرب إليه من يريد قـربه إلا بمساعدته على مراداته ومقاصده ، ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقـا ، ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح أو فعل مناسب ولو على سبيل التشفـع حقد عليه ، وربما أقصاه وأبعده وعاداه معاداة من لايصفو أبدا ، وعُرفت طباعه وأخلاقه فى دائرته وبطانته ، فلم يمكنهم إلا الموافقة والمساعدة فى مشروعاته إما رهبة أو خوفا علـى سيادتهم ورياستهم ومناصبهم ، وإما رغبة وطمعا وتوصـلا للرياسة والسيادة ، وهم الأكثر ، وخصـوصا أعداء الملة ، من نصارى الأرمن وأمثالهم الذين هم الآن أخصاء لحضرته ومجالسته ، وهم شركاؤه فى أنواع المتاجـر وهم أصحاب الرأى والمشورة ، ولـيس لهم شغل ودرس إلا فيـما يزيد حظوتهـم ووجاهتهم عند مـخدومهم ، وموافقـة أغراضه وتحسين مختـرعاته ، وربما ذكروه ونبهوه علـى أشياء تركها أو غفل عنهـا من المبتدعات ، وما يتحصـل منها من المال والمكاسب التى يسترزقها أرباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم ، ثم يقع الفحص على أصل الشيء وما يتفرع منه وما يؤول إذا أحكم أمره وانتظم ترتيبه ، وما يتحصل منه بعد الـتسعير الذى يجعلونه مصاريف الكتبة والمـباشرين أبرَزت مباديه فى

---

(1) ٢ محرم ١٢٣١ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨١٦ م .

قالب العــدل والرفق بالرعيــة ، ولما وقع الالتفات إلــى أمر المذابح والسلـخانة ، وما يتحصل منـه وما يكتسبه الموظفون فـيها ، فأول ما بدأوا به إبطال جمـيع المذابح التى بجهــات مصر والقاهرة وبـولاق خلاف السلخانــة السلطانيــة التى خارج الحسيــنية ، وتولى رياستها شخص من الأتراك ، ثم سعــرت هذه التسعيرة ، فجعل الرطل الذى يبيعه الـقصاب بسبعة أنصـاف فضة ، وثمنه على الـقصاب من المذبح ثمانـية أنصاف ونصف ، وكـان يباع قبل هــذه التسعيرة بــالزيادة الفاحـشة ، فشح وجود الـلحم ، وأغلقت حوانيت الجزارين ، وخسروا فى شراء الأغنــام وذبحها وبيعها بهذا السعر ، وأنهِىَ أمر شــحة اللحــم إلـى ولـى الأمـر ، وأن ذلك مــن قلة المواشى وغلــو أثمان مشترواتها علــى الجزارين ، وكثرة رواتب الدولة والعساكر ، وأشــيع أنه أمر بمراسيم إلى كشــاف الأقاليم قبـلى وبحرى ، لشراء الأغــنام من الأرياف لخصـوص رواتبه ، ورواتب العــسكر والخاصــة ، وأهل الدولة ، ويترك مــا يذبحه جزارو المــذبح لأهل البلدة ، وعند ذلك ترخص الأسعار ثــم تبين خلاف ذلك ، وأن هذه الإشاعة توطئة وتقدمة لما سيتلى عن قريب .

وفى منتـصفه [1] ، وصلــت أغنام وعــجول وجوامـيس مــن الأرياف هزيـلة ، وازدادت بإقامتــها هزالا من الجوع وعدم مــراعاتها ، فذبحـوا منها بالمذابـح أقل من المعتاد ، ووزعت عــلى الجزارين ، فيخص الشخــص منهم الاثنان أو الثلاثــة فعندما يصل إلــى حانوته ، وهو مثـل الحرامى ، فيتخـاطفها العســاكر التى بتلـك الخطة ، وتزدحم الناس فلاينوبهم شىء ، وتذهب فى لمـح البصر ، ثم امتنع وجودها واستمر الحال ، والناس لايجدون ما يـطبخونه لعيالهم ، وكذلك امـتنع وجود الخضراوات ، فكان الـناس لايحصـلون القوت إلا بـغاية المشــقة ، واقتاتــوا بالفول المـصلوق[2] ، والعدس والبيصــار ونحو ذلك ، وانعدم وجود السمن والزيت والـشيرج وزيت البزر وزيت القرطم لاحتكـارها لجهة الميرى ، وأغلقت المعاصر والـسيارج ، وامتنع وجود الشمع الـعسل والشمع المصــنوع من الشحم لاحتـكار الشحم ، والحجر عـلى عمال الشمع فلا يصنعه الشماعون ولاغيرهم ، ونودى على بيع الموجود منه بأربعة وعشرين نصفا ، وكان يباع بثلاثين وأربعين فأخفوه ، وطفقوا يبيعونه خفية بما أحبوا ، وانعدم وجـود بـيض الدجاج لجعلــهم العشرة مـنه بأربعة أنـصاف ، وكان قبل المنــاداة اثنان بنصــف ، وكل ذلك والمحتـسب يطوف بــالأسواق والشوارع ، ويـشدد على الـباعة

---

(١) ١٥ محرم ١٢٣٢ هـ / ٥ ديسمبر ١٨١٦ م . (٢) هكذا بالأصل وصحتها « المسلوق » .

ويؤلمهم بالضرب والتجريس ، وفُقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالأسواق دجاجة ؛ لأنه نودى على الدجاجة باثنى عشر نصفا ، وكان الثمن عنها قبل ذلك خمسة وعشرين فأكثر .

واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٣٢ (١)

فيه (٢) ، حضر المعلم غالى من الجهة القبلية ، ومعه مكاتبات من محمد بيك الدفتردار الذى تولى إمارة الصعيد ، عوضا عن إبراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه إلى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية ، يذكر فيها نصح المعلم غالى وسعيه فى فتح أبواب تحصيل الأموال للخزينة ، وأنه ابتكر أشياء وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال ، فقوبل بالرضا والإكرام وخلع عليه الباشا واختص به ، وجعله كاتب سره ولازم خدمته ، وأخذ فيما ندب إليه وحضر لأجله ، التى منها حسابات جميع الدفاتر وأقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الأقاليم .

وفيه (٣) ، تجردت عدة عساكر أتراك ومغاربة إلى الحجاز ، وصحبتهم أرباب صنائع وحرف .

وفيه (٤) ، أرسل الباشا إلى بندر السويس أخشابا وأدوات عمارة وبلاط كذان وحديدا وصناعا ، بقصد عمارة قصر لخصوصه إذا نزل هناك .

واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٢ (٥)

فيه (٦) ، شحت المبيعات والغلال والأدهان ، وغلا سعر الحبوب وقل وجودها فى الرقع والسواحل ، فكان الناس لايحصلون شيئًا منها إلا بغاية المشقة .

وفيه (٧) ، عزل الباشا حكام الأقاليم والكشاف ونوابهم ، وطلبهم للحضور ، وأمر بحسابهم وما أخذوه من الفلاحين زيادة على ما فرضه لهم ، وأرسل من قبله أشخاصا مفتشين للفحص والتجسس على ما عسى يكون أخذوه منهم من غير ثمن ، فأخذوا يقررون المشايخ والفلاحين ، ويحررون أثمان مفرق الأشياء من : غنم أو

---

(١) صفر ١٢٣٢ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨١٦ - ١٨ يناير ١٨١٧ م . (٢) ١ صفر ١٢٣٢ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨١٦ م .
(٣) ١ صفر ١٢٣٢ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨١٦ م . (٤) ١ صفر ١٢٣٢ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨١٦ م .
(٥) ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / ١٩ يناير - ١٧ فبراير ١٨١٧ م .
(٦) ١ ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / ١٩ يناير ١٨١٧ م . (٦) ١ ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / ١٩ يناير ١٨١٧ م .

دجاج أو تبن أو عليق أو بيض أو غير ذلك ، فى المدة التى أقامها أحدهم بالناحية ، فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر ، وكذلك من انتمى إليهم ، فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان .

وفيه [1] ، حضر عليّ كاشف من شرقية بلبيس معزولا عن كشوفيتها ، وقلدها خلافه ، وكان كاشفا بالإقليم عدة سنوات ، وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية ، وحضر أيضًا حسن بيك الشماشرجى من الفيوم معزولا ، ووجهه الباشا إلى ناحية درنة [2] ، لمحاربة أولاد على .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣٢ [3]

فيه [4] ، حصل الحجر والمنع على من يذبح شيئًا من المواشى فى داره أو غيرها ، ولايأخذ الناس لحوم أطعمتهم إلا من المذبح ، وأوقفت عساكر بالطرق رصدا لمن يدخل المدينة بشىء من الأغنام ، وذلك أنّه لما نزلت المراسيم إلى الكشاف بمشترى المواشى من الفلاحين ، وإرسالها إلى المكان الذى أعده الباشا لذلك ، ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلخانة فى كل يوم لرواتب الدولة والبيع ، وطلب كشاف النواحى شراء الأغنام ، والعجول والجواميس بالثمن القليل من أربابها ، فهرب الكثير من الفلاحين بأغنامهم ، فيخرجون من القرية ليلا ، ويدخلون المدينة ويمرون بها فى الأسواق ويبيعونها بما أحبوا من الثمن على الناس ، فانكب الناس على شرائها منهم لجودتها ، ويشترك الجماعة فى الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم ، وذلك لقلة وجدان اللحم كما سبقت الإشارة إليه ، وإنْ تيسر وجوده فيكون هزيلا رديئا ، فإنّ فى كل يوم ترد الجملة الكثيرة من بحرى وقبلى إلى المكان المعد لها ، ولم يكن ثَم من يراعيها بالعلف والسقى فتهزل وتضعف ، فلما كثر ورود الفلاحين بالأغنام وشراء الناس لها ، ووصل خبر ذلك إلى الباشا فأمر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية ، فيأخذون الشاة من الفلاحين إمّا بالثمن ، أو يذهب صاحبها معها إلى المذبح فتذبح فى يومها أو من الغد ، ويوزن اللحم خالصا ويعطى لصاحبها ثمنه ، على كل رطل ثمانية فضة ونصف ، ويوزن على الجزارين بذلك

---

(١) ١ ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / ١٩ يناير ١٨١٧ م . (٢) درنة : مدينة تقع فى إقليم برقة بليبيا .
(٣) ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٨ فبراير - ١٨ مارس ١٨١٧ م .
(٤) ١ ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٨ فبراير ١٨١٧ م .

الثمن بما فيه من القلب والكبدر والمنحر والمذاكير ، والمخرج بما فيه من الزبل أيضًا ، والجزارون يبيعونها على من يشترى لشدة الطلب بزيادة النصف والنصفين بل والثلاثة والأربعة إنْ كان به نوع جودة ، وأما الأسقاط من الرؤوس والجلود والكروش فهو للميرى ، وكذلك يفعل فيما يرد لخاصة الناس من الأغنام ، يفعل بها كذلك ، ولايأخذ إلا قدر راتبه فى كل يوم من المذبح .

وفيه (١) ، شح وجود الغلال فى الرقع والسواحل ، حتى امتنع وجود الخبز فى الأسواق ، فأخرج الباشا جانب غلة ففرقت على الرقع ، وبيعت على الناس ، وهى ألف أردب انقضت فى يومين ، ولايبيعون أزيد من كيلة أو كيلتين ، وبيع الأردب بألف ومائتين وخمسين نصفا .

وفيه (٢) ، أفرد محل لعمل الشمع الذى يعمل من الشحوم بعطفة ابن عبدالله بيك جهة السروجية ، واحتكروا لأجل عمله جميع الشحوم التى من المذبح وغيره ، وامتنع وجود الشحم من حوانيت الدهانين ، ومنعوا من يعمل شيئًا من الشمع فى داره ، أوفى القوالب الزجاج ، وتتبعوا من يكون عنده شىء منها ، فأخذوها منه ، وحذروا من عمله خارج المعمل كل التحذير ، وسعروا رطله بأربعة وعشرين نصفا .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ (٣)

فيه (٤) ، حول معمل الشمع إلى جهة الحسينية عند الدرب الذى يعرف بالسبع والضبع .

وفيه (٥) ، ارتحلت عساكر مجردة إلى الحجاز .

وفيه (٦) ، برزت أوامر إلى كشاف النواحى بإحصاء عدد أغنام البلاد والقرى ، ويفرض عليها كل عشرة شياه واحدة من أعظمها ، إما كبش أو نعجة بأولادها ، يجمعون ذلك ويرسلون به إلى مجمع أغنام الباشا ، وفرض أيضًا على كل فدان رطلا من السمن ، يجمع الأرطال مشايخ البلاد من الفلاحين عند كشاف النواحى ، ويرسلونها إلى مصر ، وسبب هذه المحدثة أنه لما عملت التسعيرة ، وتسعر رطل

---

(١) ١ ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٨ فبراير ١٨١٧ م . (٢) ١ ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٨ فبراير ١٨١٧ م .

(٣) جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس - ١٧ أبريل ١٨١٧ م .

(٤) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

(٥) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

(٦) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

السمن بستة وعشرين نصفا ، ويبيعه السمان والزيات بزيادة نصفين ، امتنع وجوده وظهوره ، فيأتى به الفلاح ليلا فى الخفية ، ويبيعه للزبون أو للمتسبب بما أحب ، ويبيعه المتسبب أيضًا بالزيادة لمن يريده سرا ، فيبيعون الرطل بأربعين وخمسين ، ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن ، فيصفو على النصف ، ولايقدر مشتريه على رد غشه للبائع لأنه ما حصله إلا بغاية المشقة والعزة والإنكار والمنع ، وإن فعل لايجد من يعطيه ثانيا ، وتقف الطائفة من العسكر بالطرق ليلا وفى وقت الغفلات ، يرصدون الواردين من الفلاحين ويأخذونه منهم بالقهر ويعطونهم ثمنه بالسعر المرسوم ، ويحتكرونه هم أيضًا ، ويبيعونه لمن يشتريه منهم بالزيادة الفاحشة ، فامتنع وروده إلا فى النادر خفية مع الغرر أو الخفارة والتحامى فى بعض العساكر من أمثالهم ، واشتد الحال فى انعدام السمن حتى على أكابر الدولة ، فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعة ، وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلا من السمن ، ويعطى فى ثمن الرطل عشرين نصفا ، فاشتغلوا بتحصيل ما دهمهم من هذه النازلة ، وطولب المزارع بمقدار ما يزرعه من الأفدنة أرطالا من السمن ، ومن لم يكن متأخرا عنده شىء من سمن بهيمته ، أو لم يكن له بهيمة ، أو احتاج إلى تكملة موجود عنده فيشتريه ممن يوجد عنده بأغلى ثمن ، ليسد ما عليه اضطرارا جزاء وفاقا .

وفيه [1] ، حصل الإذن بدخول ما دون العشرة من الأغنام إلى المدينة ، وكذلك الإذن لمن يشترى شيئًا منها من الأسواق ، وسبب إطلاق الإذن بذلك ، مجئ بعض أغنام إلى أكابر الدولة ، ولا غنى عن ذلك لأدنى منهم أيضًا ، وحجزوا عن وصولها إلى دورهم ، فشكوا إلى الباشا فأطلق الإذن فيما دون العشرة .

وفيه [2] ، أيضًا ، امتنع وجود الغلال بالعرصات والسواحل ، بسبب احتكارها ، واستمرار انجرارها ونقلها فى المراكب قبلى وبحرى إلى جهة الإسكندرية للبيع على الإفرنج بالثمن الكثير كما تقدم ، ووجهت المراسيم إلى كشاف النواحى بمنع بيع الفلاحين غلالهم لمن يشترى منهم من المتسببين والتراسين وغيرهم ، وبأن كل ما احتاجوا لبيعه مما خرج لهم من زراعتهم يؤخذ لطرف الميرى بالثمن المفروض بالكيل الوافى ، واشتد الحال فى هذا الشهر وما قبله حتى قل وجود الخبز من الأسواق ، بل امتنع وجوده فى بعض الأيام ، وأقبلت الفقراء نساء ورجالا إلى الرقع

---

(١) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

(٢) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

بمقاطفهم ورجعوا بها فوارغ من غير شيء ، وزاد الهول والتشكي ، وبلغ الخبر الباشا فاطلق أيضًا ألف أردب توزع على الرقع ، ويباع على الناس إما ربع واحد أو كيلة فقط ، وكل ربع ثمنه قرش ، فيكون الأردب بأربعة وعشرين قرشا .

وفيه [1] ، حضر حسن بيك الشماشرجي من ناحية درنة ، وبلد أخرى يقال لها سبوة [2] ، وصحبته فرقة من أولاد على ، وذلك أنَّ أولاد على افترقوا فرقتين إحداهما طائعة ، والأخرى عاصية عن الطاعة ، ومنحازون إلى هذه الناحية ، فجرد الباشا عليهم حسن بيك المذكور فحاربهم فهزمهم وهزموه ثانيا ، فرجع إلى مصر فضم إليه الباشا جملة من العساكر ، وأصحب معه الفرقة الأخرى الطائعة ، فسار الجمع ودهموهم على حين غفلة ، وتقدم لحربهم إخوانهم الطائعة ، وقتلوا منهم ، وأغاروا على مواشيهم وأباعرهم وأغنامهم ، فأرسلوا المنهوبات إلى جهة الفيوم ، وفى ظن العرب أن الغنائم تطيب لهم ، وحضر حسن بيك وصحبته كبار العرب من أولاد على الطائعين ، وفى ظنهم الفوز بالغنيمة ، وأنَّ الباشا لايطمع فيها لكون النصرة كانت بأيديهم ، وأنْ يشكر لهم ويزيدهم إنعاما ، وكانوا نزلوا ببر الجيزة ، وحضر حسن بيك إلى الباشا ، فطلب كبار العزب ليخلع عليهم ويكسوهم ، فلما حضروا إليه أمر بحبسهم وإحضار الغنيمة من ناحية الفيوم بتمامها ، فأحضروها بعد أيام وأطلقهم ، فيقال : « إن الأغنام ستة عشر ألف رأس أو أكثر ، ومن الجمال ثمانية آلاف جمل وناقة ، وقيل أكثر من ذلك » .

وفيه [1] ، نجزت عمارة السواقى التى أنشأها الباشا بالأرض المعروفة برأس الوادى بناحية شرقية بلبيس ، قيل إنها تزيد على ألف ساقية ، وهى سواقى دواليب خشب تعمل فى الأرض التى يكون منبع الماء فيها قريبا ، واستمر الصناع مدة مستطيلة فى عمل آلاتها عند بيت الجبجى ، وهو بيت الرزاز الذى جهة التبانة بقرب المحجر ، وتحمل على الجمال إلى الوادى ، وهناك المباشرون للعمل المقيدون بذلك ، وغرسوا بها أشجار التوت الكثيرة لتربية دود القز ، واستخراج الحرير كما يكون بنواحى الشام وجبل الدروز ، ثم برزت الأوامر إلى جميع بلاد الشرقية بأشخاص أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم أطيان فلاحة ، يستوطنون بالوادى المذكور ، وتبنى لهم كفور يسكنون فيها ، ويتعاطون خدمة السواقى والمزارع ،

---

(١) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

(٢) سبوه : بلدة ليبية .

(٣) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير ، واستجلب أناسا من نواحى الشام والجبل من أصحاب المعرفة بذلك ، ويرتب للجميع نفقات إلى حين ظهور النتيجة ، ثم يكونون شركاء فى ربع المتحصل ، ولما برزت المراسيم بطلب الأشخاص من بلاد الشرق ، أشيع فى جميع قرى الأقاليم المصرية إشاعات ، وتقولوا أقاويل منها أن الباشا يطلب من كل بلدة عشرة من الصبيان البالغين، وعشرة من البنات يزوّجهم بهن ويمهرهن من ماله ، ويرتب لهم نفقات إلى بُدو صلاح المزارع ، ثم أشاعوا الطلب للصبيان الغير مختتونين ليرسلهم إلى بلاد الإفرنج، ليتعلموا الصنائع التى لم تكن بأرض مصر، وشاع ذلك فى أهل القرى، وثبت ذلك عندهم ، فختن الجميع صبيانهم ، ومنهم من أرسل ابنه أو بنته وغيبها عند معارفه بالمدينة إلى غير ذلك من الأقاويل التى لم يثبت منها إلا ما ذكر أولا من أنّ المطلوب جلب الفلاحين البطالين من بلد الشرقية لا غير ، وقد تعمر هذا الوادى بالسواقى والأشجار والسكان من جميع الأجناس ، وانتشأ دنيا جديدة متسعة لم يكن لها وجود قبل ذلك بل كانت برية خرابا وفضاء واسعا .

وفيه [1] ، سافر جملة من عساكر الأتراك والمغاربة وكبيرهم إبراهيم أغا الذى كان كتخدا إبراهيم باشا ، ثم تولى كشوفية المنوفية ، وصحبته خزينة وجبخانة ومطلوبات لمخدومه .

واستهل شهر جمادى الثانى بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٢ [2]

فى أوائله [3] ، حضر إلى مصر ابن يوسف باشا حاكم طرابلس ومعه أخوه أصغر منه ، يستأذنان الباشا فى حضور والدهما إلى مصر ، فَاراً من والده ، وكان ولاه على ناحية درنة وبنى غازى ، فحصل منه ما غير خاطر والده عليه ، وعزم على أن يجرد عليه ، فأرسل أولاده إلى صاحب مصر بهدية ، ويستأذن فى الحضور إلى مصر والالتجاء إليه ، فأذن له فى الحضور ، وهو ابن أخى الذى بمصر أولاً ، وسافر مع الباشا إلى الحجاز ، ورجع إلى مصر واستمر ساكنا بالسبع قاعات .

وفيه [4] ، وصل الخبر بأن إبراهيم أغا الذى سافر مع الجردة ، لما وصل إلى العقبة أمر من بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل ، فلما ارتحلوا ركب هو فى خاصته ، وذهب على طريق الشام .

---

(١) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

(٢) جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ١٨ أبريل - ١٦ مايو ١٨١٧ م .

(٣) ١ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ١٨ أبريل ١٨١٧ م . (٤) ١ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ١٨ أبريل ١٨١٧ م .

وفى ليلة الأربعاء سادس عشره [1] ، وصل جراد كثير ليلا ، ونـزل ببستان الباشا بشبرا ، وتعلق بالأشجار والزهور ، وصاحت الخولة والبستانجية ، وأرسل الباشا إلى الحسينية وغيرها ، فـجمعوا مشاعـل كثيرة وأوقدوها ، وضـربوا بالطبول والـصنوج النحاس لطـرده ، وأمر الباشا لكل من جمع مـنه رطلا فله قرشان ، فجمـع الصبيان والفلاحون منه كثيراً .

ثم فى ليـلة السبت تاسـع عشره [2] ، قبل الغـروب وصل جراد كثير مـن ناحية المشرق مارا بين السمـاء والأرض مثل السحاب ، وكان الريح ساكنا فسقـط منه الكثير علـى الجنـائن والمزارع والمـقاثـئ ، فلمـا كان نـصف اللـيل ، هـبت رياح جـنوبـية واستمرت، واشتـد هبوبها عند انتصـاف النهار ، وأثارت غبارا أصفر وعـبوقا بالجو ، ودامت إلى بـعد العصر يوم الـسبت [3] ، فطـردت ذلك الجراد وأذهبـته ، فسبـحان الحكيم المدبر اللطيف .

وفى يوم الأحد [4] ، طاف مناد أعمى يقوده آخر بالأسواق ، ويقول فى ندائه : « من كان مـريضا أو به رمد أو جـراحة أو أدرة ، فليذهـب إلى خان بالموسـكى به أربعة من حكـماء الإفرنج أطباء يداوونه من غيـر مقابلة شيء » ، فتعـجب الناس من هذا ، وتحاكوه وسعوا إلى جهتهم لطلب التداوى .

وفيه [5] ، حضر ابن باشت طرابلس ، ودخل إلى المديـنة ، وصحبته نحو المائتى نفر من أتباعه ، فـأنزله الباشا فى منزل أم مرزوق بيك بحارة عـابدين ، وأجرى عليه النفقات والرواتب له ولأتباعه .

وفى يوم الخميس حـادى عشرينه [6] ، وصل خبر الأطـباء ومناداتهم إلـى كتخدا بيك ، فأحضر حكيم باشا وسأله ، فأنكـر معرفتهم ، وأنه لا علم عنده بذلك ، فأمر بإحضـــارهم وسألهم فخلـطوا فى الكلام ، فأمر بـإخراجهم من البلدة ونـفوهم فى الحال ، وذهبوا إلى حيث شاء الله ، ولو فعل مثل هذه الفعلة بعض المسلمين لجوزى بالقتـل أو الخازوق ، وكان صورة جلوسهـم أن يجلس أحدهم خـارج المكان والآخر من داخل وبينهما ترجمان ، ويأتى مريـد العلاج إلى الأول وهو كأنه الرئيس فيجس نبضه أو بيضه ، وكأنـه عرف علته ، ويكتب له ورقة فيدخل مع الـترجمان بها لآخر بداخل المكان ، فيعطيه شيئًا من الدهن أو السفوف أو الحب المركب ، ويطلب منه إمّا

(١) ١٦ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٣ مايو ١٨١٧ م . (٢) ١٩ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٦ مايو ١٨١٧ م .
(٣) ١٩ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٦ مايو ١٨١٧ م . (٤) ٢٠ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٧ مايو ١٨١٧ م .
(٥) ٢٠ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٧ مايو ١٨١٧ م . (٦) ٢١ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٨ مايو ١٨١٧ م .

قرشا أو قرشين أو خمسة بحسب الحال ، وذلك ثمن الدواء لا غير ، وشاع ذلك وتسامع الناس ، وأكثرهم معلول ، ومن طبيعتهم التقليد والرغبة فى الوارد الغريب ، فتكاثروا وتزاحموا عليهم ، فجمعوا فى الأيام القليلة جملة من الدراهم ، واستلطف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطبيب من الإفرنج واصطلاحهم ، إذا دعى الواحد منهم لمعالجة المريض ، فأول ما يبدأ به نقل قدمه بدارهم يأخذها إما ريال فرانسة أو أكثر بحسب الحال ، والمقام ، ثم يذهب إلى المريض فيجسه ويزعم أنه عرف علته ومرضه ، وربما هول على المريض داءه وعلاجه، ثم يقاول سعيه فى معالجته بمقدار من الفرانسة إما خمسين أو مائة أو أكثر بحسب مقام العليل ، ويطلب نصف الجعالة ابتداء ، ويجعل على كل مرة من الترددات عليه جعالة أيضًا ، ثم يزاوله بالعلاجات التى تجددت عندهم ، وهى مياه مستقطرة من الأعشاب أو أدهان كذلك يأتون بها للمرضى فى قوارير الزجاج اللطيفة فى المنظر ، يسمونها بأسماء بلغاتهم ، ويعربونها بدهن البادزهر، وأكسير الخاصة ، ونحو ذلك ، فإن شفى الله العليل أخذ منه بقية ما قاوله عليه ، أو أماته طالب الورثة بباقى الجعالة، وثمن الأدوية طبق ما يدعيه ، وإذا قيل له إنه قد مات قال فى جوابه إنى لم أضمن أجله ، وليس على الطبيب منع الموت ولا تطويل العمر ، وفيهم من جعل له فى كل يوم عشرة من الفرانسة .

وفيه [1] ، رأى رأيه حضرة الباشا حفر بحر عميق يجرى إلى بركة عميقة تحفر أيضًا بالإسكندرية ، تسير فيها السفن بالغلال وغيرها ، ومبدؤها من مبدأ خليج الأشرفية عند الرحمانية ، فطلب لذلك خمسين ألف فأس ومِسحة يصنعها صناع الحديد ، وأمر بجمع الرجال من القرى ، وهم مائة ألف فلاح توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالأجرة ، وبرزت الأوامر بذلك ، فارتبك أمر الفلاحين ومشايخ البلاد لأن الأمر برز بحضور المشايخ وفلاحيهم ، فشرعوا فى التشهيل ، وما يتزوّدون به فى البرية ، ولايدرون مدة الإقامة ، فمنهم من يقدرها بالسنة ، ومنهم بأقل أو أكثر .

واستهل شهر رجب بيوم الأحد سنة ١٢٣٢ [2]

فى ثانيه يوم الإثنين [3] ، الموافق لثانى عشر بشنس القبطى وسابع أيار الرومى ،

---

(١) ٢١ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٨ مايو ١٨١٧ م . (٢) رجب ١٢٣٢ هـ / ١٧ مايو - ١٥ يونيه ١٨١٧ م .
(٣) ٢ رجب ١٢٣٢ هـ / ١٨ مايو ١٨١٧ م .

قبل الغروب بنحو ساعة ، تغير الجو بسحاب وقتام ، وحصل رعد متتابع ، وأعقبه مطر بعد الغروب ثم انجلى ذلك ، والسبب فى ذكر مثل هذه الجزئية شيآن : الأول : وقوعها فى غير زمانها ، لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد ، الثانى : الاحتياج إليها فى بعض الأحيان فى العلامات السماوية ، وبالأكثر فى الوقائع العامية ، فإن العامة لايؤرخون غالبا بالأعوام والشهور ، بل بحادثة أرضية أو سماوية ، خصوصا إذا حصلت فى غير وقتها ، أو ملحمة أو معركة ، أو فصل أو مرض عام ، أو موت كبير ، أو أمير ، يقول كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الأيام ، ثم لايدرى فى أى شهر أو عام ، وخصوصا إذا طال الزمان بعدها ، وقد تكرر الاحتياج إلى تحرير الوقت فى مسائل شرعية فى مجلس الشرع فى مثل : الحضانة ، والعدة ، والنفقة ، وسن اليأس ، ومدة غيبة المفقود ، بأن يتفق قولهم على أن الصبى ولد يوم السيل الذى هدم القبور ، أو يوم موت الأمير فلان ، أو الواقعة الفلانية ، ويختلفون فى تحقيق وقتها ، وعند ذلك يحتاجون إلى السؤال ممن عساه يكون أرخ وقتها ، وفى غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشىء من ذلك ، لاعتيادهم إهمال العلوم التى كان يعتنى بتدوينها الأوائل إلا بقدر إقامة الناموس الذى يحصلون به الدنيا ، ولولا تدوين العلوم ، وخصوصا علم الأخبار ما وصل إلينا شىء منها ، ولا الشرائع الواجبة ، ولايشك شاك فى فوائد التدوين ، وخصائصه بنص التنزيل ، قال تعالى : ﴿ وكُلاًّ نقُصُّ علَيك مِن أنباء الرُّسلِ مَا نثبت به فُؤادَكَ وَجاءك فى هَذه الحق ومَوْعِظَةٌ وذِكْرى لِلْمؤمنين ﴾ [1] .

وفى عاشره [2] ، وصلت هجانة وأخبار عن إبراهيم باشا من الحجاز بأنه وصل إلى محل يسمى الموتان ، فوقع بينه وبين الوهابية وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأخذ منهم أسرى وخياما ومدفعين ، فضربوا لتلك الأخبار مدافع سرورا بذلك الخبر .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره [3] ، سافر الباشا إلى أسكلة السويس وصحبته السيد محمد المحروقى ليتلقى سفائنه الواصلة بالبضائع الهندية .

واستهل شهر شعبان بيوم الإثنين سنة ١٢٣٢ [4]

فيه [5] رجع الباشا من السويس ، وأخلوا للبضائع الواصلة ثلاث خانات ، توضع فى حواصلها ، ثم توزع على الباعة بالثمن الذى يفرضه .

---

(١) سورة : هود ، رقم (١١) ، آية رقم (١٢٠) .

(٢) ١٠ رجب ١٢٣٢ هـ / ٢٦ مايو ١٨١٧ م .

(٣) ١٨ رجب ١٢٣٢ هـ / ٣ يونيه ١٨١٧ م .

(٤) شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه - ١٤ يوليه ١٨١٧ م .

(٥) ١ شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٧ م .

وفيه[1] ، وصل الخبر أيضًا بوصول سفائن إلى بندر جدة وفيها ثلاثة من الفيلة .

وفيه [2] ، قوى اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة إلى الإسكندرية ، كما تقدم، وأن يكون عرضها عشرة أقصاب والعمق أربعة أقصاب بحسب علو الأراضى وانخفاضها ، وتعينت كشاف الأقاليم لجمع الرجال ، وفرضوا أعدادهم بحسب كثرة أهل القرية وقلتها ، وعلى كل عشرة أشخاص شخص كبير ، وجمعت الغلقان ، ولكل غلق فاس وثلاثة رجال لخدمته ، وأعطوا كل شخص خمسة عشر قرشا ، ترحيله ، ولكل شخص ثلاثون نصفا فى أجرته كل يوم فى وقت العمل ، وحصل الاهتمام لذلك فى وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس وزراعة الذرة التى هى معظم قوتهم ، وشرعوا فى تشهيل احتياجاتهم وشراء القرب للماء ، فإن بتلك البرية لايوجد الماء إلا ببعض الحفائر التى يحفرها طالب الماء ، وقد تخرج مالحة لأنها أراض مسبخة ، وتعين جماعة من مهندسخانة ، ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها ، فقاسوا من فم ترعة الأشرفية حيث الرحمانية إلى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالإسكندرية، فبلغ ذلك ستة وعشرين ألف قصبة ، ثم قاسوا من أول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية ، وابتداؤها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوّة ، فكان أقل من ذلك ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر ، فوقع الاختيار على أن يكون ابتداؤها هناك .

وفى أثناء ذلك ، زاد النيل قبل المنادة عليه بالزيادة ، وذلك فى منتصف بؤنة القبطى [3] ، وغرّق المقاثئ من البطيخ والخيار والعبدلاوى ، وأهمل أمر الحفر فى الترعة المذكورة إلى ما بعد النيل ، واستردت الدراهم التى أعطيت للفلاحين لأجل الترحيلة ، وفرحوا بذلك الإهمال ، وقد كان أطلق الباشا لمصارفها أربعة آلاف كيس من تحت الحساب ، ورجع المهندسون إلى مصر وقد صوروا صورتها فى كواغد ، ليطلع عليها الباشا عيانا ، وكان رجوعهم فى ثامن عشر شعبان [4] .

وفيه [5] ، تقلد إبراهيم أغا المعروف بأغات الباب ، أمر تنظيم الأصناف والمحدثات ، وعمل معدلاتها ، لبيان سرقات ومخفيات المتقلدين أمر كل صنف من الأصناف بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الأشياء .

---

(١) ١ شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٧ م .

(٢) ١ شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٧ م .

(٣) ١٥ بؤنه ١٥٣٣ ق / ٢١ يونيه ١٨١٧ م .

(٤) ١٨ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٣ يوليه ١٨١٧ م .

(٥) ١٨ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٣ يوليه ١٨١٧ م .

وفيه [1] ، وصل نحو المائتى شخص من بلاد الروم أرباب صنائع معمرين ونجارين وحدادين وبنائين ، وهم ما بين أرمنى ونجريجى ونحو ذلك .

وفيه [2] ، أيضًا ، اهتم الباشا ببناء حائطين بحرى رشيد عند الطينة على يمين البغاز ، وشماله ، لينحصر فيما بينهما الماء ، ولاتطمى الرمال وقت ضعف النيل، ويقع بسبب ذلك العطب للمراكب ، وتلف أموال المسافرين ، وقد كمل ذلك فى هذا الشهر [3] ، وهذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التى لم يسبق بمثلها .

وفى عشرينه [4] ، شنق شخص بباب زويلة بسبب الزيادة فى المعاملة ، وعلقوا بأنفه ريال فرانسة ، مع أن الزيادة سارية فى المبيعات والمشتروات من غير إنكار .

وفيه [5] ، أيضًا ، خزم المحتسب آناف أشخاص من الجزارين فى نواحى وجهات متفرقة ، وعلق فى أنافهم قطعا من اللحم ، وذلك بسبب الزيادة فى ثمن اللحم وبيعهم له بما أحبوه من الثمن فى بعض الأماكن خفية ، لأن الجزارين إذا نزلوا باللحم من المذبح وأكثره هزيل ونعاج ومعز ، والقليل من المناسب الجيد ، فيعلقون الردئ بالحوانيت ويبيعونه جهارا بالثمن المسعر ، ويخفون الجيد ، ويبيعونه فى بعض الأماكن بما يحبون .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه [6] ، وصلت الأفيال الثلاثة من السويس ، أحدها كبير عن الإثنين ، ولكن متوسط فى الكبر ، فعبروا بها من باب النصر ، وشقوا من وسط المدينة ، وخرجوا بها من باب زويلة على الدرب الأحمر ، وذهبوا بها إلى قراميدان ، وهرولت الناس والصبيان للفرجة عليها ، وذهبوا خلفها ، وازدحموا فى الأسواق لرؤيتها ، وكذلك العسكر والدلاة ركبانا ومشاة ، وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من خشب .

واستهل شهر رمضان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٢ [7]

وعملت الرؤية تلك الليلة ، وركب المحتسب وكذا مشايخ الحرف كعادتهم ، وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة ، وكان عسر الرؤية جدًا .

---

(١) ١٨ شعبان ١٢٣٢ هـ/ ٣ يوليه ١٨١٧ م .
(٢) ١٨ شعبان ١٢٣٢ هـ/ ٣ يوليه ١٨١٧ م .
(٣) شعبان ١٢٣٢ هـ/ ١٦ يونيه - ١٤ يوليه ١٨١٧ م .
(٤) ٢٠ شعبان ١٢٣٢ هـ/ ٥ يوليه ١٨١٧ م .
(٥) ٢٠ شعبان ١٢٣٢ هـ/ ٥ يوليه ١٨١٧ م .
(٦) ٢٥ شعبان ١٢٣٢ هـ/ ١٠ يوليه ١٨١٧ م .
(٧) رمضان ١٢٣٢ هـ/ ١٥ يوليه - ١٣ أغسطس ١٨١٧ م .

وفى صبح ذلك اليوم [1] ، عزل عثمان أغا الوردانى من الحسبة ، وتقلدها مصطفى كاشف كرد ، وذلك لما تكرر على سمع الباشا ، أفعال السوقة وانحرافهم وقلة طاعتهم وعدم مبالاتهم بالضرب والإيذاء ، وخزم الأنوف والتجريس ، قال فى مجلس خاصته : « لقد سرى حكمى فى الأقاليم البعيدة فضلاً عن القريبة ، وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم ، خلاف سوقة مصر فإنهم لايرتدعون بما يفعله فيهم ولاة الحسبة من الإهانة والإيذاء ، فلابد لهم من شخص يقهرهم ، ولايرحمهم ولايهملهم » ، فوقع اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا فقلده ذلك ، وأطلق له الإذن ، فعند ذلك ركب فى كبكبة وخلفه عدة من الخيالة ، وترك شعار المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه ، وكذلك الذى أمامه بالميزان ومن بأيديهم الكرابيج لضرب المستحق والمنقص فى الوزن ، وبات يطوف على الباعة ، ويضرب بالدبوس هشما بأدنى سبب ، ويعاقب بقطع شحمة الأذن ، فأغلقوا الحوانيت ، ومنعوا وجود الأشياء حتى ما جرت به العادة فى رمضان من عمل الكعك والرقاق المعروف بالسحير وغيره ، فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الحوانيت ، وزاد فى العسف ، ولم يرجع عن سعيه واجتهاده ، ولازم على السعى والطواف ليلا ونهارا ، لاينام الليل بل ينام لحظة وقت ما يدركه النوم فى أى مكان ولو على مصطبة حانوت ، وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه المخزون فى الحواصل ويخرجه ، ويدفع ثمنه لأربابه بالسعر المفروض ، ويوزعه لأرباب الحوانيت ، ليبيعوه على الناس بزيادة نصف أو نصفين فى كل رطل ، وذهب إلى بولاق ومصر القديمة ، فاستخرج منهما سمنا كثيرا ، ومعظم ذلك فى مخازن للعسكر ، فإن العسكر كانوا يرصدون الفلاحين وغيرهم فيأخذونه منهم بالسعر المفروض ، وهو مائتان وأربعون فى العشرة منه ، ثم يبيعونه على المحتاجين إليه بما أحبوا من الزيادة الفاحشة ، فلم يراع جانبهم ، واستخرج مخبآتهم قهرا عنهم ، ومن خالف عليه منهم ضربه ، وأخذ سلاحه ونكل به ، وذهب فى بعض الأوقات إلى بولاق ، فأخرج من حاصل ببعض الوكائل ثلثمائة وخمسين ماعونا لكبير من العسكر ، فحضر إليه بطائفته ، فلم يلتفت إليه ، ووبخه ، وقال له : « أنتم عساكر لكم الرواتب والعلائف واللحوم والأسمان وخلافها ، ثم تحتكرون أيضًا أقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزائد » ، وأعطاه الثمن المفروض ، وحمل المواعين على الجمال إلى الأمكنة التى أعدها لها عند باب الفتوح ، وعندما رأى أرباب الحوانيت الجد وعدم الإهمال والتشديد عليهم ، فتح المغلق منهم

---

(1) ١ رمضان ١٢٣٢ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١٦ - ١١ نوفمبر ١٨١٧ م .

حانوته ، وأظهروا مخبآتهم أمامهم وملأوا السدريات والطسوت من السمن ، وأنواع الجبن ، خوفا من بطش المحتسب وعدم رحمته بهم ، ويقف بنفسه على باعة البطيخ والقاوون.

وفي منتصف شهر رمضان (١) ، وصلوا برمة إبراهيم بيك الكبير من دنقلة ، وذلك أنه لما وصل خبر موته استأذنت زوجته أم ولده الباشا في إرسالها امرأة تدعى نفيسة لإحضار رمته ، فأذن بذلك ، وأعطى المتسفرة فيما بلغنا عشرة أكياس ، وكتب لها مكاتبات لكشاف الوجه القبلي بالمساعدة ، وسافرت وحضرت به في تابوت وقد جف جلده على عظمه لنحافته ، وذلك بعد موته بنحو ستة شهور ، وعملوا له مشهدا وأمامه كفارة ، ودفنوه بالقرافة الصغرى عند إبنه مرزوق بيك .

وفي ليلة الخميس سابع عشره (٢) ، طلب المحتسب حجاج الخضرى الشهير بنواحي الرميلة ، فأخذه إلى الجمالية وشنقه على السبيل المجاورة لحارة المبيضة ، وذلك في سادس ساعة من الليل وقت السحور ، وتركوه معلقا لمثلها من الليلة القابلة ، ثم أذن برفعه فأخذه أهله ودفنوه ، وحجاج هو الذى تقدم ذكره غير مرة في واقعة خورشيد باشا وغيرها ، وكان مشهوراً بالإقدام والشجاعة طويل القامة ، عظيم الهمة ، وكان شيخا على طوائف الخضرية ، صاحب صولة وكلمة بتلك النواحي ، ومكارم أخلاق ، وهو الذى بنى البوابة بآخر الرميلة عند عرصة الغلة أيام الفتنة ، واختفى مرارا بعد تلك الحوادث ، وانضم إلى الألفى ، ثم حضر إلى مصر بأمان ، ولم يزل على حالته في هدوّ وسكون ، ولم يؤخذ في هذه بجرم فَعَلَه يوجب شنقه ، بل قتل مظلوما لحقد سابق وزجرا لغيره .

وفي يوم الإثنين ثامن عشرين شهر رمضان ، الموافق لسادس مسرى القبطى (٣) ، أوفى النيل أذرعه بالوفاء ، وكسر السد صبح يوم الثلاثاء (٤) ، بحضرة كتخدا بيك والقاضي وغيره ، وجرى الماء في الخليج ، ولم يقع فيه مهرجان مثل العادة ، هذا والمحتسب مواظب على السروح ليلا ونهارا ، ويعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس ، وأقعد بعض صناع الكنافة على صوانيهم التى على النار ، وأمر بكنس الأسواق ، ومواظبة رشها بالماء ، ووقود القناديل على أبواب الدور ، وعلى كل ثلاثة من الحوانيت قنديل ، ويركب آخر الليل ، ثم يذهب إلى بولاق ليتلقى الواردين بالبطيخ الأخضر والأصفر ، ويعرف عدّة الشروات ، ويأمرهم بدفع مكوسها

---

(١) ١٥ رمضان ١٢٣٢ هـ / ٢٩ يوليه ١٨١٧ م . (٢) ١٧ رمضان ١٢٣٢ هـ / ٣١ يوليه ١٨١٧ م .

(٣) ٢٨ رمضان ١٢٣٢ هـ / ١٢ اغسطس ١٨١٧ م . (٤) ٢٩ رمضان ١٢٣٢ هـ / ١٣ اغسطس ١٨١٧ م .

المفروض ، ثم يأمرهم بالذهاب إلى مراكز بيعهم ولايبيعون شيئًا حتى يأتيهم بنفسه ، أو بحضرة من يرسله من طرفه ، ثم يعود طائفا عليهم ، فيحصى ما فى فرش أحدهم عددا ، ويميز الكبير بثمن والصغير بثمن ، ويترك عند البائع من يباشره أو يقف هو بنفسه ، ويبيع على الناس بما فرضه ، ويعطى لصاحبه الثمن والربح ، فيراه قد ربح العشرة قروش وأكثر بعد مكسه ومصارفه ، فيقول له : « أما يكفى مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع أيضًا فى الزيادة عليه » ، وهو مع ذلك يكر ويطوف على غيرهم ، ويحلّق على ما يرد من السمن الوارد الذى تقرر على المزارعين ، فيزنه منهم بالسعر المفروض ، وهو أربعة وعشرون نصفا الرطل ، ويرد عليهم الفوارغ ، ويعطيه للبائع بالثمن المقرر وهو ستة وعشرون ، وهم يبيعونه بزيادة نصفين فى كل رطل ، وهو ثمانية وعشرون ، ويناله الناس بأسهل وجدان سالما من الخلط والغش ، ويأمرهم بإعادة ما عسى يوجد فيه من المرتة والعكار إلى مواعينه ليوزن مع فوارغه ، ورصد أيضًا ما يرد للناس ، ولو لأكابر الدولة من السمن ، فيطلق البعض ، ويأخذ الباقى بالثمن ، وكذلك ما يأتيهم من البطيخ والدجاج ، ولو كان لصاحب الدولة حسب أذنه له بذلك ، كل ذلك للحرص على كثرة وجدان الأشياء ، وتعدت أحكامه إلى بضائع التجار والأقمشة الهندية ، وأهل مرجوش والمحلاوية وخلافهم ، وطلب قوائم مشترواتهم والنظر فى مكايلهم ، فضاق خناق أكثر الناس من ذلك ، لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله ، وكأنه وصله خبر ولاة الحسبة وأحكامهم فى الدول المصرية القديمة ، فإن وظيفة أمين الاحتساب وظيفة قضاء ، وله التحكم والعدالة ، والتكلم على جميع الأشياء ، وكان لايتولاها إلا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ، ونظام العدالة ، حتى على من يتصدر لتقرير العلوم ، فيحضر مجلسه ويباحثه ، فإن وجد فيه أهلية للإلقاء أذن له بالتصدر أو منعه حتى يستكمل ، وكذلك الأطباء والجراحية حتى البيطارية والبزدرية ، ومعلموا الأطفال فى المكاتب ، ومعلمو السباحة فى الماء ، والنظر فى وسق المراكب فى الأسفار ، وأحمال الدواب فى نقل الأشياء ، ومقادير روايا الماء مما يطول شرحه ، وفى ذلك مؤلف للشيخ ابن الرفعة ، وقد يسهل بعض ذلك مع العدالة ، وعدم الاحتكار وطمع المتولى ، وتطلعه لما فى أيدى الناس وأرزاقهم .

ومما يحكى ، أن الرشيد سأل الليث بن سعد فقال له : « يا أبا الحرث ما صلاح بلدكم يعنى مصر » ، فقال له : « أما صلاح أمرها ومزارعها فبالنيل ، وأما أحكامها فمن رأس العين يأتى الكدر » .

وفى أواخر رمضان [1] ، زاد المحتسب فى نغمات الطنبور ، وهو أنه أرسل مناديه فى مصر القديمة ينادى على نصارى الأرمن والأروام والشوام ، بإخلاء البيوت التى عمروها وزخرفوها ، وسكنوا بها بالإنشاء ، والملك والمؤاجرة المطلة على النيل ، وأن يعودوا إلى زيهم الأول من لبس العمائم الزرق ، وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهوانات الفارهة ، واستخدامهم المسلمين ، فتقدم أعاظمهم إلى الباشا بالشكوى ، وهو يراعى جانبهم ، لأنهم صاروا أخصاء الدولة وجلساء الحضرة وندماء الصحبة .

وأيضًا ، نادى مناديه على المردان ، ومحلقى اللحى ، بأنهم يتركونها ولايحلقونها ، وجميع العسكر وغالب الأتراك سنتهم حلق اللحى ولو طعن فى السن ، فأشيع فيهم أن يأمرهم بترك لحاهم ، وذلك خرم لقواعدهم ، بل يرونه من الكبائر ، وكذلك السيد محمد المحروقى بسبب تعرضه إلى بضائع التجار ، وأهل الغورية فإن ذلك منوط به .

وفى أثناء ذلك ، ورد إلى عابدين بيك مواعين سمن ، فأرسل الجمال إلى حملها من ساحل بولاق ، فبلغ خبرها المحتسب فأخذها وأدخلها مخزنه ، وعادت الجمال فارغة ، وأخبروا مخدومهم بحجز المحتسب لها ، فأرسل عدّة من العسكر فأخرجوها من المخزن ، وأخذوها ولم يكن المحتسب حاضرا ، واتفق أنه ضرب شخصا من عسكر المذكور أرنؤدى بالدبوس حتى كاد يموت ، فاشتد بعابدين بيك الحنق ، وركب إلى كتخدا بيك وشنع على المحتسب وتعددت الشكاوى ، وصادفت فى زمن واحد ، فأنهى الأمر إلى الباشا ، فتقدم إليه بكف المحتسب عن هذه الأفعال ، فأحضره الكتخدا وزجره وأمره أن لايتعدى حكمه الباعة ، ومن كان يسرى عليهم أحكام من كان فى منصبه قبله ، وأن يكون أمامه الميزان ويؤدب المستحق بالكرابيج دون الدبوس.

واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٣٢ [2]

فترك السروح فى أيام العيد ، وأشيع بين السوقة عزله ، فأظهروا الفرح ، ورفعوا ما كان ظاهرا بين أيديهم من : السمن والجبن ، وأخفوه عن الأعين ، ورجعوا إلى حالتهم الأولى من الغش والخيانة وغلاء السعر ، وأغلق بعضهم الحانوت ، وخرجوا إلى المتنزهات ، وعملوا ولائم .

---

(١) أخر رمضان ١٢٣٢ هـ/ ١٣ أغسطس ١٨١٧ م .

(٢) شوال ١٢٣٢ هـ / ١٤ أغسطس - ١١ سبتمبر ١٨١٧ م .

وفى رابعه [1] ، شنقوا عدة أشخاص فى أماكن متفرقة ، قيل أنهم سراق وزغلية ، وكانوا مسجونين فى أيام رمضان [2] ، ولم يركب المحتسب حسب الأمر بل أركب خازنداره ، وشق بالميزان عوضا عنه ، ثم ركب هو أيضًا وبيده الدبوس ، لكن دون الحالة الأولى فى الجبروت ، ولم يسر حكمه على النصارى فضلا عن غيرهم .

وفى عاشره يوم السبت [3] ، نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة ، وشقوا بها من وسط الشارع إلى المشهد الحسينى .

وفى يوم السبت سابع عشره [4] ، أداروا المحمل وخرج أمير الركب إلى خارج باب النصر ، ووصلت حجاج كثيرة من ناحية المغرب إلى بر إنبابة وبولاق ، وطفقوا يشترون الأغنام من الفلاحين ، ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافا من غير وزن ، ويذهب الكثير من الناس إلى الشراء منهم ، فيقعون فى الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف ، وأكثر ، وضرورتهم فى الشراء منهم رداءة ما يحمله القصابون من المذبح من أغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى ، وقد هزلت من السفر والإقامة بالجوع والعطش ، ويموت الكثير منها فيسلمونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس ، وفيه المتغير الرائحة ، وما تعافه النفوس ، فبسبب ذلك اضطر الناس إلى الشراء من هؤلاء الأجناس بالغبن ، وتحمل سوء أخلاقهم ، وحصل بينهم وبين العسكر شرور ، وقتل بينهم قتلى ومجاريح ، والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفا من وقوع الفتن ، ثم ارتحلوا لأنهم كثروا وملأوا الأزقة والنواحى ، وحضر أيضًا الركب الفاسى وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما ، فأحسن الباشا نزلهم ، وتقيد السيد محمد المحروقى بملاقاتهم ولوازمهم ، وأنزلوهم فى منزل بجوار المشهد الحسينى ، وأجريت عليهم نفقات تليق بهم ، وأهديا للباشا هدية ، وفيها عدة بغال وبرانس حرير وغير ذلك .

وفى ثامن عشرينه [5] ، ارتحل الحج من البركة ، وكان الحجوج فى هذه السنة كثيرة من سائر الأجناس : أتراك ، وططر ، وبشناق ، وچركس ، وفلاحين ، ومن سائر الأجناس ، ورجع الكثير من المسافرين على بحر القلزم إلى الحجاز من السويس لقلة المراكب التى تحملهم ، وغصت المدينة من كثرة الزحام زيادة على ما بها من ازدحام العساكر ، وأخلاط العالم من فلاحى القرى المشيعين والمسافرين ، ومن يرد من الآفاق ، والبلاد الشامية ، ونصارى الروم ، والأرمن ، والدلاة ، والواردين

---

(١) ٤ شوال ١٢٣٢ هـ / ١٧ اغسطس ١٨١٧ م . (٢) رمضان ١٢٣٢ هـ / ١٥ يوليه - ١٣ اغسطس ١٨١٧ م .
(٣) ١٠ شوال ١٢٣٢ هـ / ٢٣ اغسطس ١٨١٧ م . (٤) ١٧ شوال ١٢٣٢ هـ / ٣٠ اغسطس ١٨١٧ م .
(٥) ٢٨ شوال ١٢٣٢ هـ / ١٠ سبتمبر ١٨١٧ م .

والذين استدعاهم الباشا من الدروز والمتاولة والنصيرية وغيرهم لعمل الصنائع والمزارع وشغل الحرير ، وما استجده بوادى الشرق حتى أن الإنسان يقاسى الشدة والهول إذا مر بالشارع من كثرة الازدحام ، ومرور الخيالة وحمير الأوسية والجمال التى تحمل الأتربة والأنقاض والأحجار لعمائر الدولة ، سوى من عداها من حمول الأحطاب والبضائع والتراسين حتى الزحمة فى داخل العطف الضيقة ، وزيادة على ذلك كثرة الكلاب بحيث يكون فى القطعة من الطريق نحو الخمسين ، ثم صياحها ونباحها المستمر ، وخصوصا فى الليل على المارين ، وتشاجرها مع بعضها مما يزعج النفوس ويمنع الهجوع ، وقد أحسن الفرنساوية بقتلهم الكلاب ، فإنهم لما استقروا وتكرر مرورهم ونظروا إلى كثرة الكلاب من غير حاجة ولا منفعة سوى الهبهبة والعواء ، وخصوصا عليهم لغرابة أشكالهم ، فطاف عليها طائف منهم باللحم المسموم ، فما أصبح النهار إلا وجميعها موتى مطروحة بجميع الشوارع ، فكان الناس والصغار يسحبونها كذا بالحبال إلى الخلاء ، واستراحت الأرض ومن فيها منها ، فالله يكشف عنا مطلق الكرب فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٢ (١)

فى خامسه يوم الأربعاء (٢) ، وليلة الخميس (٣) ، ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة .

وفى أواخره (٤) ، حصل الأمر للفقهاء بالأزهر بقراءة صحيح البخارى ، فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين وفرقوا بينهم أجزاء وكراريس من البخارى ، يقرءون فيها مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق ، فاستمروا على ذلك خمسة أيام ، وذلك بقصد حصول النصر لإبراهيم باشا على الوهابية ، وقد طالت مدّة انقطاع الأخبار عنه ، وحصل لأبيه قلق زائد ، ولما انقضت أيام قراءة البخارى ، نزل للفقهاء عشرون كيسا فرقت عليهم ، وكذلك على أطفال المكاتب .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الأحد سنة ١٢٣٢ (٥)

فى رابعه (٦) ، شنقوا أشخاصا قيل إنهم خمسة ويقال إنهم حرامية .

---

(١) ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ١٢ سبتمبر - ١١ أكتوبر ١٨١٧ م .
(٢) ٥ ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨١٧ م .
(٣) ٦ ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ١٧ سبتمبر ١٨١٧ م . (٤) أخر ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ١١ أكتوبر ١٨١٧ م .
(٥) ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ١٢ أكتوبر - ١٠ نوفمبر ١٨١٧ م .
(٦) ٤ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ١٥ أكتوبر ١٨١٧ م .

وفيه [1] ، أرسلت الأفيال الثلاثة إلى دار السلطنة صحبة الهدايا المرسلة ، وثلاثة سروج ذهب ، وفيها سرج مـجوهر ، وخيول وكباش ونقود وأقمشة هـندية وسكاكر وأرز .

وفيه [2] ، وصل فيل آخر كبـير مروا به من وسط المدينة ، وذهبـوا به إلى رحبة بيت السيد محمد المحروقى ، وقفوا به فى أواخر النهار ، والناس تجتمع للفرجة عليه إلى أواخر النهار ، ثم طلـعوا به إلى القلعة ، وأوقفوه بالطبخـانة ، وهى محل عمل المدافع ، وحضر بصحبته شخص يدعى العلم والمعرفة بالطب والحكمة ، ومعه مجلد كبير فى حجم الوسادة ، يحتوى على الكـتب الستة الحديثية ، وخطه دقيق ، قـال : « إنه نسخه بيده » ، ونـزل ببيت السيد محمد المحروقى ، وركـب له معجون الجواهر أنفق فـيه جملة مـن المال وكحلا ، وركب أيـضًا تراكيب لغـيره ، وشرط عليـهم فى الاستعمـال بعد مضى ستة أشـهر ، وشىء منها بـعد شهرين وثلاثة ، وأقـام أياما ثم سافر راجعا إلى صنعاء .

وفى يـوم الثلاثاء عـاشره [3] ، كان عـيد النـحر ، ولم يـرد فيه مـواشى كثـيرة كالأعياد السابقـة من الأغنام والجواميس التى تأتى من الأرياف ، فكـانت تزدحم منها الأسواق لكثرتهـا والوكائل والرميلة ، فلم يـرد إلاً النزر القليل قبل النـحر بيومين ، ويبـاع بـالثمن الغالى ، ولم يـذبح الجزارون فى أيام النحر لـلبيع كعادتهم إلا الـقليل منهم مـع التحجير عـلى الجلود ، وعلى مـن يشتريها ، وتـباع لطرف الدولة بـالثمن الرخيص جداً .

وانقضت السنة مع استمرار ما تجدد فيها من الحوادث التى منها ما حدث فى آخر السنة [4] ، من الحجر وضبط أنوال الحياكة ، وكل ما يصنع بالمكوك ، وما ينسج على نول أو نحوه ، مـن جميع الأصناف من إبريـسم أو حرير أو كتان إلى الخـيش والفل والحصير فى سـائر الإقليم المصرى ، طولا وعـرضا ، قبلى وبحرى من الإسـكندرية ودمياط إلـى أقصى بلاد الـصعيد والـفيوم ، وكل نـاحية تحت حـكم هذا المتـولى ، وانتظمت لهذا البـاب دواوين ببيت محمود بيك الخازندار ، وأياما ببـيت السيد محمد المحروقى ، وبحضرة من ذكر ، والمعلم غالى ، ومـتولى كبر ذلك ، والمفتتح لأبوابه المعلم يـوسف كنعان الشامـى ، والمعلم منصور أبو سـربمون القبطى ، ورتبـوا لضبط ذلك كتابا ومباشرين يتقررون بالنواحـى والبلدان والقرى ، وما يلزمهم من المصاريف

---

(1) ٤ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ١٥ أكتوبر ١٨١٧ م . (2) ٤ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ١٥ أكتوبر ١٨١٧ م .
(3) ١٠ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ٢١ أكتوبر ١٨١٧ م . (4) آخر ١٢٣٢ هـ / ١٠ نوفمبر ١٨١٧ م .

والمعاليم والمشاهرات ما يكفيهم فى نظير تقييدهم وخدمتهم ، فيمضى المتعينون لذلك فيحصون ما يكون موجودا على الأنوال بالناحية من القماش والبز والأكسية الصوف المعروفة بالزعابيط والدفافى ، ويكتبون عدده على ذمة الصانع ، ويكون ملزوما به ، حتى إذا تم نسجه دفعوا لصاحبه ثمنه بالفرض الذى يفرضونه ، وإن أرادها صاحبها أخذها من الموكلين بالثمن الذى يقدرونه بعد الختم عليها من طرفيها بعلامة الميرى ، فإن ظهر عند شخص شيء من غير علامة الميرى ، أخذت منه بل وعوقب وغرم تأديبا على اختلاسه وتحذيرا لغيره ، هذا شأن الموجود الحاصل عند النساجين ، واستئناف العمل المجدد ، فإن الموكل بالناحية ومباشريها يستدعون من كل قرية شخصا معروفا من مشايخها فيقيمونه وكيلا ، ويعطونه مبلغا من الدراهم ، ويأمرونه بإحصاء الأنوال والشغالين والبطالين منهم فى دفتر ، فيأمرون البطالين بالنسج على الأنوال التى ليس لها صناع بأجرتهم كغيرهم على طرف الميرى ، ويدفع المتوكل لشخصين أو ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتى يغزلن الكتان بالنواحى ، ويجعلنه أذرعا فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض ، ويأتون به إلى النساجين ، ثم تجمع أصناف الأقمشة فى أماكن للبيع بالثمن الزائد ، وجعلوا لمبيعها أمكنة مثل خان أبو طقية ، وخان الجلاد ، وبه يجلس المعلم كنعان ، ومن معه وغير ذلك ، وبلغ ثمن الثوب القطن الذى يقال له البطانة إلى ثلثمائة نصف فضة ، بعدما كان يشترى بمائة نصف وأقل وأكثر ، بحسب الرداءة والجودة ، وأدركناه يباع فى الزمن السابق بعشرين نصفا ، وبلغ ثمن المقطع القماش الغليظ إلى ستمائة نصف فضة ، وكان يباع بأقل من ثلث ذلك ، وقس على ذلك باقى الأصناف ، وهذه البدعة أشنع البدع المحدثة ، فإن ضررها عم الغنى والفقير ، والجليل والحقير ، والحكم لله العلى الكبير .

ومنها : أن المشار إليه هدم القصر الذى بالآثار ، وأنشأه على الهيئة الرومية التى ابتدعوها فى عمائرهم بمصر ، وهدموه وعمروه وبيضوه فى أيام قليلة ، وذلك أنه بات هناك ليلتين فأعجبه هواؤه ، فاختار بناءه على هواه ، وعند تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف جعل يتردد إلى المبيت به بعض الأحيان مع السرارى والغلمان ، كما يتنقل من قصر الجيزة وشبرا والأزبكية والقلعة وغيرها من سرايات أولاده وأصهاره ، والملك لله الواحد القهار .

ومنها : أن طائفة من الإفرنج الإنكليز قصدوا الإطلاع على الأهرام المشهورة الكائنة ببر الجيزة غربى الفسطاط ، لأن طبيعتهم ورغبتهم الإطلاع على الأشياء

المستغربات ، والفحص عن الجزئيات ، وخصوصا الآثار القديمة وعجائب البلدان ، والتصاوير والتماثيل التى فى المغارات والبرابى بالناحية القبلية وغيرها ، ويطوف منهم أشخاص فى مطلق الأقاليم بقصد هذا الغرض ، ويصرفون لذلك جملا من المال فى نفقاتهم ولوازمهم ومؤجراتهم ، حتى أنهم ذهبوا إلى أقصى الصعيد ، وأحضروا قطع أحجار عليها نقوش وأقلام وتصاوير ونواويس من رخام أبيض ، كان بداخلها موتى بأكفانها وأجسامها باقية بسبب الأطلية والأدهان الحافظة لها من البلا ، ووجه المقبور مصور على تمثال صورته التى كان عليها فى حال حياته ، وتماثيل آدمية من الحجر السماقى الأسود المنقط الذى لايعمل فيه الحديد ، جالسين على كراسى واضعين أيديهم على الركب ، وبيد كل واحد شبه مفتاح بين أصابعه اليسرى ، والشخص مع كرسيه قطعة واحدة مفرغ معه أطول من قامة الرجل الطويل ، وعلو رأسه نصف دائرة منه فى علو الشبر وهم شبه العبيد المشوهين الصورة ، وهم ستة على مثال واحد ، كأنما أفرغوا فى قالب واحد ، يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين ، وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصورة ، وأحضروا أيضًا رأس صنم كبير دفعوا فى أجرة السفينة التى أحضروه فيها ستة عشر كيسا ، عنها ثلثمائة وعشرون ألف نصف فضة ، وأرسلوها إلى بلادهم لتباع هناك بأضعاف ما صرفوه عليها ، وذلك عندهم من جملة المتاجر فى الأشياء الغريبة .

ولما سمعت بالصور المذكورة ، فذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير المعروف بالساعاتى ، وسيدى إبراهيم المهدى الإنكليزى إلى بيت قنصل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة جهة الأزبكية ، وشاهدت ذلك كما ذكرته ، وتعجبنا من صناعتهم وتشابههم ، وصقالة أبدانهم الباقية على ممر السنين والقرون التى لايعلم قدرها إلا علام الغيوب ، وأرادوا الاطلاع على أمر الأهرام ، وأذن لهم صاحب المملكة ، فذهبوا إليها ، ونصبوا خيمة وأحضروا الفعلة والمساحى والغلقان ، وعبروا إلى داخلها وأخرجوا منها أتربة كثيرة من زبل الوطواط وغيره ، ونزلوا إلى الزلاقة ، ونقلوا منها ترابا كثيرا وزبلا ، فانتهوا إلى بيت مربع من الحجر المنحوت غير مسلوك ، هذا ما بلغنا عنهم ، وحفروا حوالى الرأس العظيمة بالقرب من الأهرام التى تسميها الناس رأس أبى الهول ، فظهر أنه جسم كامل عظيم من حجر واحد ممتد كأنه راقد على بطنه رافع رأسه ، وهى التى يراها الناس وباقى جسمه مغيب بما انهال عليه من الرمال ، وساعداه من مرفقيه ممتدان أمامه ، وبينهما شبه صندوق مربع إلى استطالة من سماق أحمر عليه نقوش شبه قلم الطير ، فى داخله صورة سبع مجسم

من حجر مدهون بدهان أحمر ، رابض باسط ذراعيه فى مقدار الكلب ، رفعوه أيضًا إلى بيت القنصل ورأيته يوم ذاك ، وقيس المرتفع من جسم أبى الهول من عند صدره إلى أعلى رأسه فكان اثنين وثلاثين ذراعا ، وهى نحو الربع من باقى جسمه ، وأقاموا فى هذا العمل نحوا من أربعة أشهر .

وأما من مات فى هذه السنة من المشاهير (١)

فمات ، العالم العلامة ، الفاضل الفهامة ، صاحب التحقيقات الرائقة ، والتآليفات الفائقة ، شيخ شيوخ أهل العلم ، وصدر صدور أهل الفهم ، المتفنن فى العلوم كلها ، نقليها وعقليها وأدبيها ، إليه انتهت الرياسة فى العلوم بالديار المصرية ، وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية ، استنبط الفروع من الأصول واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول ، وأودع الطروس فوائد ، وقلدها عوائد فرائد ، الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنَّباوى ، المالكى الأزهرى ، الشهير بالأمير ، وهو لقب جده الأدنى أحمد ، وسببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما إمرة بالصعيد ، وأخبرنى المترجم من لفظه ، أنَّ أصلهم من المغرب ، ونزلوا بمصر عند سيدى عبد الوهاب أبى التخصيص ، كما أخبر عن ذلك وثائق لهم ، ثم التزموا بحصة بناحية سنَّبو (٢) ، وارتحلوا إليها وقطنوا بها ، وبها ولد المترجم ، وكان مولده فى شهر ذى الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وألف (٣) ، بإخبار والديه ، وارتحل معهما إلى مصر ، وهو ابن تسع سنين ، وكان قد ختم القرآن فجوّده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية ، والدرة ، وحبب إليه طلب العلم ، فأوّل ما حفظ متن الآجرومية ، وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدى على بن العربى السقاط ، وحضر دروس أعيان عصره ، واجتهد فى التحصيل ، ولازم دروس الشيخ الصعيدى فى الفقه ، وغيره من كتب المعقول ، وحضر على السيد البليدى شرح السعد على عقائد النسفى والأربعين النووية ، وسمع الموطأ على هلال المغرب وعالمه الشيخ محمد التاودى ابن سودة بالجامع الأزهر ، سنة وروده بقصد الحج ، ولازم المرحوم الوالد حسن الجبرتى سنين ، وتلقى عنه الفقه الحنفى ، وغير ذلك من الفنون : كالهيئة ، والهندسة

---

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٨٤ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

(٢) سنبو : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز ديروط ، محافظة أسيوط .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٤٨ .

(٣) ١١٥٤ هـ / ١٩ مارس ١٧٤١ - ٧ مارس ١٧٤٢ م .

والفلكيـات ، والأوفاق والحكمة عنه ، وبواسطة تـلميذه الشيخ محمد بـن إسماعيل النفراوى المالكى ، وكتب له إجازة مثبتة فـى برنامج شيوخه ، وحضر الشيخ يوسف الحفنى فى آداب البحـث ، وبانت سعاد ، وعلى الشيخ محمد الحفـنى أخيه مجالس من الجامع الصغير والشمائل والنجم الغيطى فى المولد ، وعلى الشيخ أحمد الجوهرى فى شرح الجوهـرة للشيخ عبد السلام ، وسمع منه المسـلسل بالأولية ، وتلـقى عنه طريق الشاذلية مـن سلسلة مولاى عبدالله الشريف ، وشملتـه إجازة الشيخ الملوى ، وتلقى عـنه مسائل فى أواخـر أيام انقطاعه بـالمنزل ، ومهر وأنجب ، وتـصدر لإلقاء الدروس فـى حياة شيـوخه ، ونما أمره ، واشـتهر فضـله ، خصوصا بـعد موت أشياخـه ، وشاع ذكره فى الآفاق ، وخـصوصا بلاد المـغرب ، وتأتيه الـصلات من سلطـان المغرب وتلـك النواحى فـى كل عام ، ووفد عـليه الطـالبون للأخـذ عنه ، والتلقـى منه ، وتوجه فى بعـض المقتضيات إلـى دار السلطنة ، وألقـى هناك دروسا حضره فيـها علماؤهم ، وشـهدوا بفضله واستـجازوه وأجازهم بما هو مـجاز به من أشياخه ، وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بأيدى الطلبة ، وهى فى غاية التحرير ، منها : مصنف فـى فقه مذهبه ، سـماه المجموع ، حاذى به مخـتصر خليل ، جـمع فيه الراجح فى المذهـب ، وشـرحه شرحـا نفيسا ، وقد صار كل منهـما مقبولا فى أيام شيخه العدوى ، حتـى كان إذا توقف شيخه فى موضع يقول هاتـوا مختصر الأمير ، وهى منـقبة شريفة ، وشـرح مختصر خـليل ، وحاشيـة على المغنى لابـن هشام ، وحاشية علـى الشيخ عبد الباقى علـى المختصر ، وحاشية على الشـيخ عبد السلام على الجوهرة ، وحاشـية على شرح الشذور لإبن هشام ، وحاشـية على الأزهرية ، وحاشيـة على الشـنشورى علـى الرحبيـة فى الفرائـض ، وحواشى علـى المعراج ، وحاشية عـلى شرح الملوى على السـمرقندية ، ومؤلف سـماه : مطلع النيريـن فيما يتعلـق بالقدرتين ، واتحاف الأنس فى الـفرق بين اسم الجنس وعلـم الجنس ، ورفع التلبيس عـما يسئل به ابن خميس، وثـمر التمام فـى شـرح آداب الفـهـم والإفهام ، وحاشية على المجموع ، وتفسير سورة القدر ، ومن نظمه قوله متغزلا : .

أيـــهَا الـــسّيـدُ المـــدلـــلُ ضَاعَتْ ... فِي الهـوى ضَيعتى وأنـسيتُ نُسْكى
يـــــالـــــكَ اللهُ لا تمِلْ لِسوَاتـــــى ... وتحـــكَّم ولَو بمـــــا فيـــه فَتْكى
وانـــــظُر الحـــقَّ فـــى عُلُوّ غنَاهُ ... كـلُّ شـــىء يمـحُوهُ غَيـرَ الـشّرْك

وله فى التشبيه :

يَا حُسنَ لَون الـشَّمس عنـدَ غُروبِها ... فـــى روضِ أُنـسٍ نُزهـــة لِلأنفُسِ

فــكـــأنَّهُ وكـــأنَّهُ فـــى نَاظِرى ... ذهـبٌ يـجُولُ علـى بِسَاطِ سُنْدُسِ

وله أيضًا :

تخَيـلْتُ إنَّ الشـمسَ والـبحـرُ تحْتَها ... وقــد بُسِطَتْ منْهــا علَيــه بَوارِقُ
مَلـيـــحٌ أتـى المــرآةَ يــنْظُر وجْهَهُ ... فَفى وجْهِها مِن وجْهـهِ الضُوءُ دَافِقُ

وله أيضًا :

يــا مَالكَ الـقَلْبِ من بـين المِلاحِ وَإنْ ... تَوهَّم الـغـيـرُ أنّ الـقَلـبَ مُشْـترِكُ
أنـى أغارُ عـلى حـظـى لديـك فَغر ... أيضًا علـى قلبِ صبٌ فيـك مُرتبكُ
وقُل لـــهـــم يـــنْتَهُوا عـــمًّا تُسَوِّلُه ... نـفوسُ سَومِهُم طُرق الـردَى سلَكُوا
تـــوهَّمُوا أنـــهَم حَلُّوا وقَد مَلَكُوا ... ويـــعْلَمُ اللهَ مـــا حَلُّوا ومَا مَلَكُوا
يا سَيـدَ الكلِّ يـا قطبَ الجـمالِ ومَن ... فـى دَولـةِ الحسْنِ يُروى أنـهُ المـلكُ
مـا كان قَلْبـى يَهْوَى الغـيرَ يـا أمَلى ... فابعثْ رِميمى إذَا أهلُ الهَوى هَلَكُوا
وأسْقِط البينَ وارفَعْ حُجْبَ شَأنكَ لى ... لـيـشْتَفِى خـاطرٌ بـالـفـكْرِ يَعـتَرِكُ
بِلُطْفِ ذَاتك لا تـقْطـعْ رَجـاءَ فَتـىً ... عـلـى عُيـوبِ له بـالـعَهْدِ يمـتَسِكُ

وله أيضًا :

دَع الدنْيا فلـيَس بها سُرورٌ ... يتمُّ وَلا مِن الأحزانِ تَسلَمْ
ونـفرِضُ أنهُ قـد تَم فَرْضًا ... فَغَمٌ زواله أمـرٌ مُحـــتَّمْ
فكُنْ فيها غَريـبًا ثم عبىء ... إلى دَار الـبَقا مـا فيه تَغْنَمْ
وإنْ لابـدَّ مِن لهـوٍ فَلـهْوٌ ... بِشَىءٍ نَافــعٍ واللهُ أعــلَمْ

وله غير ذلك مـن النظم المليح ، والذوق الـصحيح ، واللسان الفـصيح ، وكان رحمه الله رقيق القلـب ، لطيف المزاج ، ينزعج طبعه من غيـر انزعاج ، يكاد الوهم يؤلمه ، وسماع المنافر يوهنه ويسقمه ، وبآخرة ضعفت قواه ، وتراخت أعضاه ، وزاد شكواه ، ولم يزل يتعـلل ، ويزداد أنينه ويتململ ، والأمراض بـه تسلسل ، وداعى المنون عنه لايتحول ، إلى أن توفى يوم الإثنين عاشر ذى القعدة الحرام [1] ، وكان له مشهد حـافل جدًا ، ودفن بالصحـراء بجوار مدفن الشـيخ عبدالله الوهاب العـفيفى بالقرب مـن السلطان قايـتباى ، وكثر علـيه الأسف والحزن ، وخلف ولـده العلامة النحرير ، الشـيخ محمد الأمير ، وهو الآن أحد الصـدور كوالده ، يقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة ، ويحضر الداووين والمجالس العالية ، بارك الله فيه .

---

(١) ١٠ ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ٢١ سبتمبر ١٨١٧ م .

ومات ، الشيخ الفقيه العَلاَّمة ، الشيخ خليل المدابغى ، لكونه يسكن بحارة المدابغ، حضر دروس الأشياخ من الطبقة الأولى ، وحصل الفقه والمعقول ، واشتهر فضله مع فقره وانجماعه عن الناس متقشفا متواضعا ، ويكتسب من الكتابة بالأجرة ، ولم يتجمل بالملابس ، ولايزى الفقهاء ، يظن الجاهل به أنه من جملة العوام ، توفى يوم الإثنين ثامن عشر ذى القعدة من السنة [1] .

ومات ، الشيخ الفقيه الورع ، الشيخ عليّ المعروف بأبى ذكرى البولاقى ، لسكنه ببولاق ، وكان ملازما لإقراء الدروس ببولاق ، ويأتى إلى الجامع الأزهر فى كل يوم ، يقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة ، ويرجع إلى بولاق بعد الظهر ، ومات حماره الذى كان يأتى عليه إلى الجامع الأزهر ، فلم يتخلف عن عادته ويأتى ماشيا ، ثم يعود مدة حتى أشفق عليه بعض المشفقين من أهالى بولاق ، واشتروا له حمارا ، ولم يزل على حالته وانكساره ، حتى توفى يوم الخميس ثامن شهر ذى القعدة من السنة[2] ، رحمه الله وإيانا وجمعنا فى مستقر رحمته آمين .

ومات ، من أكابر الدولة ، المسمى ولى أفندى ، ويقال له ولى خوجا ، وهو كاتب خزينة الباشا ، وأنشأ الدار العظيمة التى بناحية باب اللوق ، وأدخل فيها عدة بيوت ، ودورا جليلة تجاهها وملاصقة لها من الجهتين ، وبعضها مطل على البركة المعروفة ببركة أبى الشوارب ، وتقدم فى أخبار العام الماضى أن الباشا صاهره وزوّج ابنته لبعض أقارب الباشا الخصيصين به ، مثل الذى يقال له شريف أغا وآخر ، وعمل له مهما عظيما احتفل فيه إلى الغاية ، وزفة وشنكا ، كل ذلك وهو متمرض إلى أن مات فى ثانى عشرين ربيع الثانى [3] ، وضبطت تركته فوجد له كثير من النقود والجواهر والأمتعة وغير ذلك ، فسبحان الحى الذى لايموت .

واستهلت سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف[4]

واستهل المحرم بيوم الإثنين [5] ، ووالى مصر وحاكمها الوزير محمد على باشا، وهو المتصرف فيها قبليها وبحريها بل والأقطار الحجازية وضواحيها ، وبيده أزمة الثغور الإسلامية ، ووزيره محمد بيك لاظ المعروف بكتخدا بيك ، وهو قائم مقامه فى حال غيابه وحضوره ، والمتصدر فى ديوان الأحكام الكلية والجزئية ، وفصل

(١) ١٨ القعدة ١٢٣٢ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٧ م . (٢) ١٨ القعدة ١٢٣٢ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٧ م .
(٣) ٢٢ ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٠ مارس ١٨١٧ م .
(٤) ١٢٣٣ هـ / ١١ نوفمبر ١٨١٧ - ٣٠ أكتوبر ١٨١٨ م .
(٥) ١ محرم ١٢٣٣ هـ / ١١ نوفمبر ١٨١٧ م .

الخصومات ومباشرة الأحوال نافذ الكلمة وافر الحرمة ، وأغات الباب إبراهيم أغا ، ومتولى أيضًا أمر تعديل الأصناف ، ليوفر على الخزينة ما يأكله المتولى على كل صنف ، ويخفى أمره فيشدد الفحص فى المكيل والموزون والمذروع حتى يستخرج المخبأ ولو قليلا ، فيجتمع من القليل الكثير من الأموال ، فيحاسب المتولى مدة ولايته ، فيجتمع له ما لا قدرة له على وفاء بعضه ، لأن ذلك شىء قد استهلك فى عدة أيدى أشخاص وأتباع ، ويلزم الكبير بأدائه ، ويقاسى ما يقاسيه من الحبس وسلب النعمة ومكابدة الأهوال ، وسلحدار الباشا سليمان أغا عوضا عن صالح بيك السلحدار لاستعفائه عنها فى العام السابق ، وهو المسلط على أخذ الأماكن وهدمها وبنائها خانات ورباعا وحوانيت ، فيأتى إلى الجهة التى يختار البناء فيها ، ويشرع فى هدمها ، ويأتيه أربابها فيعطيهم أثمانها كما هى فى حججهم القديمة ، وهو شىء نادر بالنسبة لغلو أثمان العقارات فى هذا الوقت ، لعموم التخرب وكثرة العالم ، وغلاء المؤن ، وضيق المساكن بأهلها حتى أنَّ المكان الذى كان يؤجر بالقليل صار يؤجر بعشرة أمثال الأجرة القديمة ، ونحو ذلك ، ومحمود بيك الخازندار ، وخدمته قبض أموال البلاد والأطيان والرزق وما يتعلق بذلك من الدعاوى والشكاوى ، وديوانه بخط سويقة اللالا ، والمعلم غالى كاتب سر الباشا ، ورئيس الأقباط ، وكذلك الدفتردار محمد بيك صهر الباشا ، وحاكم الجهة القبلية ، والروزنامجى مصطفى أفندى ، وأغا مستحفظان حسن أغا البهلوان ، والزعيم على أغا الشعراوى ، ومصطفى أغا كرد المحتسب ، وقد بردت همته عما كان عليه ، ورجع الحال فى قلة الأدهان كالأول ، وازدحم الناس على معمل الشمع فلا يحصل الطالب منه شيئًا إلا بشق الأنفس ، وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ، ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شىء منه من الفلاحين الداخلين إلى المدينة من القرى ، فيأخذونه منهم بدون القيمة حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين ، وأما المعاملة فلم يزل أمرها فى إضطراب بالزيادة والنقص ، وتكرار المناداة كل قليل ، وصرف الريال الفرانسة إلى أربعمائة نصف فضة ، والمحبوب إلى أربعمائة وثمانين ، والبندقى إلى تسعمائة نصف ، والمجر إلى ثمانمائة نصف ، وأما هذه الأصناف العددية التى تذكر فيها أسماء لا وجود لمسمياتها فى الأيدى .

وفى ثانى عشره [1] ، سافر الباشا إلى جهة الإسكندرية لمحاسبة الشركاء والنظر فى بيع الغلال والمتاجر والمراسلات .

---

(1) ١٢ محرم ١٢٣٣ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨١٧ م .

وفى تاسع عشره [1] ، ارتحلت عساكر أتراك ومغاربة مجردة إلى الحجاز .

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٣ [2]

فى ثالث عشره [3] ، وصل الكثير من حجاج المغاربة .

وفى يوم الجمعة سابع عشره [4] ، وصل جاويش الحاج ، وفى ذلك اليوم وقت العصر ، ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من إبراهيم باشا ، بأنه حصلت له نصرة وملك بلدة من بلاد الوهابية ، وقبض على أميرها ، ويسمى عتيبة ، وهو طاعن فى السن .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه [5] ، وصل ركب الحاج المصرى والمحمل وأمير الحاج من الدلاة .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣ [6]

وصل قابجى من دار السلطنة ، فعملوا له موكبا وطلع إلى القلعة ، وضربوا له شنكا سبعة أيام ، وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وفى هذا الشهر [7] ، انعدم وجود القناديل الزجاج وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة أنصاف بستين نصفا إذا وجد .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٣ [8]

ووافقه أيضًا أول أمشير القبطى [9] .

وفى منتصفه [10] ، سافر أولاد سلطان المغرب والكثير من حجاج المغاربة ، وكانوا فى غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم أسواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع الطرق ، فكانوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها على الناس

---

(١) ١٩ محرم ١٢٣٣ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨١٧ م .

(٢) صفر ١٢٢٣ هـ / ١١ ديسمبر ١٨١٧ - ٨ يناير ١٨١٨ م .

(٣) ١٣ صفر ١٢٣٣ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨١٧ م . (٤) ١٧ صفر ١٢٣٣ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٨١٧ م .

(٥) ٢١ صفر ١٢٣٣ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١٧ م . (٦) ربيع الأول ١٢٣٣ هـ / ٩ يناير - ٧ فبراير ١٨١٨ م .

(٧) ربيع الأول ١٢٣٣ هـ / ٩ يناير - ٧ فبراير ١٨١٨ م .

(٨) ربيع الثانى ١٢٢٣ هـ ٨ فبراير - ٨ مارس ١٨١٨ م . (٩) ١ ربيع الثانى ١٢٢٣ هـ / ٨ فبراير ١٨١٨ م .

(١٠) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٣ هـ / ٢٢ فبراير ١٨١٨ م .

جزافا من غير وزن ، بعد أن يتركوا لأنفسهم مقدار حاجتهم ، فذهب الكثير للشراء منهم ، بسبب رداءة اللحم الموجود بحوانيت الجزارين ، ولو وقف عليهم بالثمن الزائد .

وفى أواخره [1] ، حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لإبراهيم باشا ، وأنه استولى على بلدة تسمى الشقراء [2] ، وأن عبدالله بن مسعود كان بها ، فخرج منها هاربا إلى الدرعية ليلا ، وأن بين عسكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين، فلما وصل المبشر ضربوا لقدومه مدافع من أبراج القلعة ، وذلك وقت الغروب من يوم الأربعاء سادس عشرينه [3] .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة ١٢٣٣ [4]

فيه [5] ، نودى على طائفة المخالفين للملة من الأقباط والأروام بأن يلزموا زيهم من الأزرق والأسود ولايلبسون العمائم البيض ، لأنهم خرجوا عن الحد فى كل شيء ، ويتعممون بالشيلان الكشميرى الملونة والغالية فى الثمن ، ويركبون الرهوانات والبغال والخيول ، وأمامهم وخلفهم الخدم بأيديهم العصى ، يطردون الناس عن طريقهم ، ولايظن الرائى لهم إلا أنهم من أعيان الدولة ، ويلبسون الأسلحة ، وتخرج الطائفة منهم إلى الخلاء ، ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق الرصاص وغير ذلك ، فما أحسن هذا النهى لو دام .

وفى يوم السبت حادى عشرينه [6] ، حضر الباشا من غيبته بالإسكندرية أواخر النهار ، فضربوا لقدومه مدافع ، فبات بقصر شبرا ، وطلع فى صبحها إلى القلعة ، فضربوا بها مدافع أيضًا ، فكان مدة غيبته بالإسكندرية أربعة أشهر وتسعة أيام .

وفى أواخره [7] ، وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن إبراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد الوهابية ، ولم يبق بينه وبين الدرعية إلا ثمان عشرة ساعة ، فضربوا شنكا ومدافع .

---

(١) ١٠ ربيع الثانى ١٢٣٣ هـ/١٧ فبراير ١٨١٨ م .

(٢) الشقراء : قاعدة إقليم الوشم ، بلدة ذات إمارة من إمارات منطقة الرياض .
الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٠٣ - ٨٠٤ .

(٣) ٢٦ ربيع الثانى ١٢٣٣ هـ/ ٤ مارس ١٨١٨ م .

(٤) جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ/ ٩ مارس - ٧ أبريل ١٨١٨ م .

(٥) ١ جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ/ ٩ مارس ١٨١٨ م .

(٦) ٢١ جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ/ ٢٩ مارس ١٨١٨ م .

(٧) آخر جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ/ ٧ أبريل ١٨١٨ م .

وفيه [1] ، وصل هجان من حسن باشا الذى بجدة بمراسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز ، وأنه حاصر من بتلك النواحى من العساكر وقتلهم ، ولم ينج منهم إلا القليل ، وهو من فر على جرائد الخيل .

ووقع فيه أيضًا [2] ، الاهتمام فى تجريد عساكر للسفر وأرسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور من ناحية بحرى ، هو وخلافه ، وحصل الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، فقرئ يومين ، وفرق على مجاورى الأزهر عشرة أكياس ، وكذلك فرقت دراهم على أولاد المكاتب .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٣ [3]

فى منتصفه ليلة الثلاثاء [4] ، حصل خسوف للقمر فى سادس ساعة من الليل ، وكان المنخسف منه مقدار النصف ، وحصل الأمر أيضًا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر .

وفيه [5] ، ورد الخبر بموت الشريف حمود وأنه أصيب بجراحة ومات بها .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه [6] ، حصل كسوف للشمس فى ثالث ساعة من النهار ، وكان المنكسف منها مقدار الثلث .

وفى ذلك اليوم [7] ، ضربت مدافع لوصول بشارة من إبراهيم باشا بأنه ملك جانبا من الدرعية ، وأنَّ الوهابية محصورون ، وهو ومن معه من العربان محيطون بهم .

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٣ [8]

فيه ، حضر خليل باشا وحسين بيك دالى باشا من الجهة البحرية ونزلوا بدورهم .

---

(١) أخر جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ / ٧ أبريل ١٨١٨ م .
(٢) أخر جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ / ٧ أبريل ١٨١٨ م .
(٣) جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ/ ٨ أبريل - ٦ مايو ١٨١٨ م .
(٤) ١٥ جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٢٢ أبريل ١٨١٨ م .
(٥) ١٥ جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٢٢ أبريل ١٨١٨ م .
(٦) ٢٩ جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٦ مايو ١٨١٨ م .
(٧) ٢٩ جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٦ مايو ١٨١٨ م .
(٨) شعبان ١٢٣٣ هـ / ٦ يونيه - ٤ يوليه ١٨١٨ م .

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة ١٢٣٣ (١)

فى منتصفه (٢) ، وصل نجاب وأخبر بأن إبراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحى الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضيه ، فاغتنم الوهابية غيابه ، وكبسوا على العرضى على حين غفلة ، وقتلوا من العساكر عدة وافرة ، وأحرقوا الجبخانة ، فعند ذلك قوى الاهتمام ، وارتحل جملة من العساكر فى دفعات ثلاث برا وبحرا يتلو بعضهم بعضا فى شعبان ورمضان (٣) ، وبرز عرضى خليل باشا إلى خارج باب النصر ، وترددوا فى الخروج والدخول ، واستباحوا الفطر فى رمضان بحجة السفر ، فيجلس الكثير منهم بالأسواق ، يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع ، وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم ، وفى اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام، وانقضى شهر الصوم (٤) ، والباشا متكدر الخاطر ومتقلق ومنتظر ورود خبر ينسر بسماعه .

واستهل شهر شوال بيوم الإثنين سنة ١٢٣٣ (٥)

وكان هلاله عسر الرؤية جدًا ، فحضر جماعة من الأتراك إلى المحكمة ، وشهدوا برؤيته .

وفى ذلك اليوم (٦) ، الموافق لثامن عشرى شهر أبيب القبطى ، أوفى النيل أذرعه فأخروا فتح سد الخليج ثلاثة أيام العيد ، ونودى بالوفاء يوم الأربعاء (٧) ، وحصل الجمع يوم الخميس رابعه (٨) ، وحضر فتح الخليج كتخدا بيك والقاضى ، ومن له عادة بالحضور ، فكان جمعا وازدحاما عظيما من أخلاط العالم فى جهة السد والروضة تلك الليلة واشتعلت النار فى الحريقة ، واحترق فيها أشخاص ، ومات بعضهم .

وفى سادسه يوم السبت (٩) ، خرج خليل باشا المعين إلى السفر فى موكب ، وشق من وسط المدينة ، وخرج من باب النصر ، وعطف على باب الفتوح ، ورجع إلى داره فى قلة من أتباعه فى طريقه التى خرج منها .

---

(١) رمضان ١٢٣٣ هـ / ٥ يوليه - ٣ اغسطس ١٨١٨ م .
(٢) ١٥ رمضان ١٢٣٣ هـ / ١٩ يوليه ١٨١٨ م .
(٣) شعبان ورمضان ١٢٣٣ هـ / ٦ يونيه - ٣ أغسطس ١٨١٨ م .
(٤) رمضان ١٢٣٣ هـ / ٥ يوليه - ٣ أغسطس ١٨١٨ م .
(٥) شوال ١٢٣٣ هـ / ٤ أغسطس - ١ سبتمبر ١٨١٨ م .
(٦) ١ شوال ١٢٣٣ هـ / ٤ أغسطس ١٨١٨ م .
(٧) ٣ شوال ١٢٣٣ هـ / ٦ أغسطس ١٨١٨ م .
(٨) ٤ شوال ١٢٣٣ هـ / ٧ أغسطس ١٨١٨ م .
(٩) ٦ شوال ١٢٣٣ هـ / ٩ أغسطس ١٨١٨ م .

وفيه [1] ، انتدب مصطفى أغا المحتسب ، ونادى فى المدينة ، ويأمر الناس بقطع أراضى الطرقات ، والأزقة حتى العطف والحارات الغير النافذة ، فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم فى قطع الأرض ، والحفر ونقل الأتربة ، وحملها من خوفهم من أذيته ، ولعدم الفعلة والأجراء ، واشتغال حمير الترابين باستعمالهم فى عمائر أهل الدولة ، فلو كان هذا الاهتمام فى قطع أرض الخليج الذى يجرى به الماء ، فإنه لم تقطع أرضه ، وينقطع جريانه فى أيام قليلة لعلو أرضه من الطمى ، وبما يتهدم عليه من الدور القديمة ، وما يلقيه السكان فيه من الأتربة ، وزاد على ذلك بهذه الفعلة القاء ما يحفرونه ، ويلقونه من أتربة الأزقة والبيوت القديمة القريبة منه فيه ليلا ونهاراً .

وفى ثامنه [2] ، ارتحل خليل باشا مسافرا إلى الحجاز من القلزم وعساكره الخيالة على طريق البر .

وفى يوم السبت ثالث عشره [3] ، نزلوا بكسوة الكعبة إلى المشهد الحسينى على العادة .

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه [4] ، عمل الموكب لأمير الحاج وهو حسين بيك دالى باشا ، وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمايل ، ثم انتقل فى يوم الأربعاء [5] إلى البركة ، وارتحل منها يوم الإثنين تاسع عشرينه [6] ، وسافر الكثير من الحجاج وأكثر فلاحى القرى والصعايدة ، ومن باقى الأجناس مثل : المغاربة ، والقرمان ، والأتراك أنفار قليلة .

وفى ذلك اليوم [7] ، وصل قابجى ، وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنة الجديدة ، وطلع إلى القلعة فى موكب ، وقرئ التقرير بحضرة الجمع ، وضربت مدافع كثيرة ، وكذلك وصل قبله قابجى صحبته فرمان بشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، فعمل له شنك ومدافع ثلاثة أيام فى الأوقات الخمسة وذلك فى منتصفه [8] .

---

(١) ٦ شوال ١٢٣٣ هـ / ٩ أغسطس ١٨١٨ م .
(٢) ٨ شوال ١٢٣٣ هـ / ١١ أغسطس ١٨١٨ م .
(٣) ١٣ شوال ١٢٣٣ هـ / ١٦ أغسطس ١٨١٨ م .
(٤) ٢٢ شوال ١٢٣٣ هـ / ٢٥ أغسطس ١٨١٨ م .
(٥) ٢٤ شوال ١٢٣٣ هـ / ٢٧ أغسطس ١٨١٨ م .
(٦) ٢٩ شوال ١٢٣٣ هـ / ١ سبتمبر ١٨١٨ م .
(٧) ٢٩ شوال ١٢٣٣ هـ / ١ سبتمبر ١٨١٨ م .
(٨) ١٥ شوال ١٢٣٣ هـ/ ١٨ أغسطس ١٨١٨ م .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٣ (١)

وانقضى (٢) ، والباشا منفعل الخاطر لتأخر الأخبار وطول الانتظار ، وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، ويفرق على صغار المكاتب والفقراء دراهم ، ولضيق صدره ، واشتغال فكره ، لايستقر بمكان ، فيقيم بالقلعة قليلا ، ثم ينتقل إلى قصر شبرا ، ثم إلى الآثار ، ثم الأزبكية ، ثم الجيزة ، وهكذا .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣ (٣)

فى سابعه (٤) ، وردت بشائر من شرق الحجار بمراسلة من عثمان أغا الوردانى أمير الينبع بأن إبراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية ، فانسر الباشا لهذا الخبر سرورا عظيما ، وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعم على المبشر ، وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش .

وفى ثانى عشره (٥) ، وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع ، وذلك قبيل العصر ، فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة ، واستمر الضرب من العصر إلى المغرب ، بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع ، وصادف ذلك شنك أيام العيد ، وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشنك على بحر النيل تجاه الترسخانة ببولاق من النجارين والخراطين ، والحدادين ، وتقيد لذلك أمين أفندى المعمار ، وشرعوا فى العمل ، وحضر كشاف النواحى والأقاليم بعساكرهم ، وأخرجوا الخيام والصواوين والوطاقات خارج باب النصر ، وباب الفتوح ، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرينه (٦) ، ونودى بالزينة وأولها الأربعاء (٧) ، فشرع الناس فى زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ووقود القناديل والسهر ، وأظهروا الفرح والملاعيب ، كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال ، والكد فى تحصيل أسباب المعاش ، وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار ، وكذا السمن فإنه شح وجوده ، ولايوجد منه إلا القليل عند بعض الزياتين ، ولايبيع الزيات زيادة عن الأوقية ، وكذلك اللحم لايوجد منه إلا ما كان فى غاية

---

(١) ذى القعدة ١٢٣٣ هـ / ٢ سبتمبر - ١ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٢) ذى القعدة ١٢٣٣ هـ / ٢ سبتمبر - ١ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٣) ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ٢ أكتوبر - ٣٠ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٤) ٧ ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ٨ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٥) ١٢ ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ١٣ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٦) ٢٦ ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ٢٧ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٧) ٢٧ ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨١٨ م .

الرداءة من لحم النعاج الهزيل ، وامتنع أيضًا وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة ، حتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق ، ولما أنهى الأمر إلى من لهم ولاية الأمر ، فأخرجوا من شون الباشا مقدارا ليباع فى الرقع ، وقد أكلها السوس ، ولايباع منها أزيد من الكيلة أكثرها مسوّس ، وكذلك لما شكا الناس من عدم ما يسرج به فى القناديل أطلقوا للزياتين مقدارا من الشيرج فى كل يوم يباع فى الناس ، لوقود الزينة ، وفى كل يوم يطوف المنادى ويكرر المناداة بالشوارع على الناس بالسهر والوقود والزينة ، وعدم غلق الحوانيت ليلا ونهارا ،وانقضى العادم بحوادثه ومعظمها مستمر .

فمنها : وهو أعظمها شدة الأذية والضيق وخصوصا بذوى البيوت والمساتير من الناس ، بسبب قطع إيرادهم وأرزاقهم من الفائظ والجامكية السائرة والرزق الأحباسية ، وضبط الأنوال التى تقدم ذكرها ، وكان يتعيش منها ألوف من العالم ، ولما اشتد الضنك بالملتزمين ، وتكرر عرضحالهم ، فأمر لهم بصرف الثلث ، وتحول المصرفجى على بعض الجهات ، فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحوالة من لوازم عساكر السفر المجردين ، وانقضى العام وأكثر الناس لم يحصل على شىء ، وذلك لكثرة المصاريف والإرساليات من الذخائر والغلال والمؤن ، وخزائن المال من أصناف خصوص الريال الفرانسة ، والذهب البندقى ، والمحبوب الإسلامى بالأحمال ، وهى الأصناف الرائجة بتلك النواحى ، وأما القروش فلا رواج لها إلا بمصر وضواحيها فقط ، أخبرنى أحد أعيان كتاب الخزينة عن أجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة فى مرة من المرات خمسة وأربعين ألف فرانسة ، وذلك من الينبع إلى المدينة ، حسابا عن أجرة كل بعير ستة فرانسة يدفع نصفها أمير الينبع ، والنصف الأخير يدفعه أمير المدينة عند وصول ذلك ، ثم من المدينة إلى الدرعية ما يبلغ المائة والأربعين ألف فرانسة ، وهو شىء مستمر التكرار والبعوث ويحتاج إلى كنوز قارون وهامان ، وإكسير جابر بن حيان .

ومنها : العمارة التى أمر بإنشائها الباشا المشار إليه بين السورين وحارة النصارى ، المعروفة بخميس العدس ، المتوصل منها إلى جهة الخرنفش ، وذلك بإشارة أكابر نصارى الإفرنج ، ليجتمع بها أرباب الصنائع الواصلون من بلاد الإفرنج وغيرهم ، وهى عمارة عظيمة ابتدءوا فيها من العام الماضى ، واستمروا مدة فى صناعة الآلات الأصولية التى يصطنع بها اللوازم مثل : السندالات ، والمخارط للحديد، والقواديم ، والمناشير ، والتزجات ونحو ذلك ، وأفردوا لكل حرفة وصناعة

مكانا وصناعا ، يحتوى المكان على الأنوال والدواليب والآلات الغريبة الوضع والتركيب ، لصناعة القطن ، وأنواع الحرير ، والأقمشة والمقصبات .

وفى أواخر هذا العام : جمعوا مشايخ الحارات وألزموهم بجمع أربعة آلاف غلام من أولاد البلد ، ليشتغلوا تحت أيدى الصناع ، ويتعلموا ويأخذوا أجرة يومية ، ويرجعوا لأهاليهم أواخر النهار ، فمنهم من يكون له القرش والقرشان والثلاثة بحسب الصناعة وما يناسبها ، وربما احتيج إلى نحو العشرة آلاف غلام بعد إتمامها ، والمحتاج إليه فى هذا الوقت القدر المذكور ، وهى كرخانة عظيمة ، صرف عليها مقادير عظيمة من الأموال .

ومنها : أنه ظهر بأراضى الأرز بالبحر الشرقى بناحية دمياط ، حيوان يخرج من البحر الشرقى فى قدر الجاموس العظيم ، ولونه ، فيرعى الفدان من الزرع ، ثم يتقايأ أكثره ، وكان ظهوره من العام الماضى ، فيجتمع عليه الكثير من أهل الناحية ويرجمونه بالحجارة ، ويضربون عليه بنادق الرصاص فلا تؤثر فى جلده ، ويهرب إلى البحر ، واتفق أنَّه ابتلع رجلا إلى أن أصيب فى عينه وسقط ، وتكاثروا عليه وقتلوه وسلخوا جلده ، وحشوه تبنا وأتوا به إلى بولاق ، وتفرج عليه الباشا والناس ، وأخبرنى غير واحد ممن رآه أنه أعظم من الجاموس الكبير - طوله ثلاثة عشر قدما - ولونه لونه وجلده أملس ، ورأسه عظيم يشبه رأس ابن عرس ، وعيناه فى أعلى دماغه ، واسع الفم ، وذنبه مثل ذنب السمك ، وأرجله غلاظ مثل أرجل الفيل فى أواخرها أربع ظلوف طوال ، وأسفلها كخف الجمل ، وأدخلوه إلى بيت الإفرنج ، وأنعم به الباشا على بغوص الترجمان الأرمنى ، وهو يبيعه على الإفرنج بثمن كبير .

ومنها : أن امرأة يقال لها الشيخة رقية تتزر بمئزر أبيض ، وبيدها خيزرانة وسبحة تطوف على بيوت الأعيان ، وتقرأ وتصلى ، وتذكر على السبحة ، ونساء الأكابر يعتقدن فيها الصلاح ، ويسألن منها الدعاء ، وكذلك الرجال حتى بعض الفقهاء ، وتجتمع على الشيخ العالم المعتقد الشيخ تعيلب الضرير، ويكثر من مدحها للناس ، فيزدادون فيها اعتقادا ، ولها بمنزل خليل بيك طوقان النابلسى مكان مفرد تأوى إليه على حدتها ، وإذا دخلت بيتا من البيوت ، قام إليها الخدم واستقبلوها بقولهم نهارنا سعيد ومبارك ونحو ذلك ، وإذا دخلت على الستات قمن إليها وفرحن بقدومها وقبلن يدها ، وتبيت معهن ومع الجوارى ، فذهبت يوما إلى دار الشيخ عبد العليم

الفيـومى ، وذلك فى شـهر شوّال [1] ، فتمرضـت أياما وماتت ، فضجـوا وتأسفوا عليها ، وأحبـوا تغيير ما عليها من الـثياب ، فرأوا شيئًا معجرما بين أفـخاذها فظنوه صرة دراهم ، وإذا هو آلة الرجال الخصيتان والذى فوقـهما ، فبهت النساء وتعجبن ، وأخبروا الشيخ تعيلب بذلك فقال : « أستروا هذا الأمر ، وغسلوه وكفنوه وواروه فى التراب » ، ووجدوا فى جيـبه مرآة وموسى وملقاط ، وشاع أمره واشتـهر ، وتناقله الناس بالتحدث والتعجب .

ومنها : زيادة النيل فـى هذا العام الزيادة المفرطة التى لم نسمـع ولم نر مثلها ، حتى غـرّق الزروع الصيفـية مثل الذرة والـنيلة والسـمسم والقصـب والأرز ، وأكثر الجنائن ، بحـيث صار البحر وسواحله والمـلق لجة ماء ، وانهدم بسببـه قرى كثيرة ، وغرق الكثير مـن الناس والحيوان ، حتى كان الماء ينبع بـين الناس من وسط الدور ، واختلـط بحـر الجيزة بـبحر مصر العـتيقة ، حتى كـانت المراكب تمشى فـوق جزيرة الروضة ، وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع ، وخصوصا الذرة الذى هو معظم قوتهم ، وكثير من أهل البلاد ندبوا بالدفوف .

ومنها : أن الباشا زاد فى هذه السنـة الخراج ، وجعل على كل فدان ستة قروش وسبـعة وثمانـية ، وذكر أنـها مساعـدة على حـروب الحجاز ، والخوارج ، فـدهى الفلاحون بهاتين الداهيتين ، وهـى زيادة النيل ، وزيادة الخراج فى غير وقت وأوان ، فإن من عادة الفلاحـين وأهل القرى إذا انقضت أيام الحصاد والـدراوى ، وشطبوا ما عليهم من مال الخراج لملتزميهم ، ويكـون ذلك فى مبادى زيادة النيل ، وارتفع عنهم الطلب ، وارتحلت كشـاف النواحى وقائمقام الملتزمين والصيـارف والمعينون ، وخلت النواحى منهم ، فعند ذلك ترتاح نفوسهم ، وتجتمع حواسهم ، ويعملون أعراسهم ، ويجددون ملبوسـهم ، ويزوّجون بناتهم ، ويختـنون صبيانهم ، ويشيدون بـنيانهم ، ويصلـحون جسورهم وحبـوسهم ، فإذا أخذ النـيل فى الزيادة ، شرعـوا فى زراعة الصيفى الذى هو معظم قوتهم وكسـبهم ، حتى إذا انحسر الماء وانكشفت الأرضى ، وآن أوان التخـضير وزراعة الشتـوى من البرسيم والـغلة ، وجدوا ما يسـدون به مال التجهيـة ، وما يرقعون به أحوالهم مـن بهائم الحرث ومحاريث وتـقاوى وأجر عمال ونحو ذلك ، فدهـموا هذه السنة بهاتين الآفـتين الأرضية والسماوية ، ورحـل الكثير عن أهله ووطنه ، وكان ابتداء طلب هذه الزيادة قبل زيادة النيل ومجئ خبر النصرة ، فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك .

---

(1) شوال ١٢٣٣ هـ / ٤ أغسطس - ١ سبتمبر ١٨١٨ م .

ومنهـا : الاضطراب فى المـعاملة بـالزيادة والنقـص ، والمناداة علـيها كل قـليل والتنـكيل والترك ، وبـلغ صرف البنـدقى ثمانمائـة وثمانين نصـفا فضة ، والفـرانسة أربعمائة نصف وعشرة ، والمحبوب أربعمائة وأربعين وهو المصرى ، وأما الإسلامبولى فيزيد أربعين ، والمجر ثمانمائة نصف ، وأمـا هذه الأنصاف وهى الفضة العددية فهى أسماء من غير مسميـات لمنعها واحتكارها ، فلا يوجد منها فى المـعاملة بأيدى الناس إلا النادر جدا ، ولايـوجد بالأيدى فى محقـرات الأشياء وغيرها إلا المجزأ بـالخمسة والعشرة والعشريـن ، وتصرف من اليهود والصيارف بالفـرط والنقص ، ومن حصل بيده شىء من الأنصاف عض عليه بالنواجد ولايسمح بإخراج شىء منها إلا عند شدة الاضطرار اللازم .

ومنهـا : أن السيد محـمد المحروقى أنشأ بـبركة الرطلـى دارا وبستانا فـى محل الأماكن التى تخربت فى الحوادث ، وذلك أنه لما طـرقت الفرنساوية الديار المصرية ، واختل النظام ، وجلا أكثر الناس عن أوطانهم ، وخصوصا سكان الأطراف ، فبقيت دور البركة خـالية من السكـان ، وكان بها عدة من الديـار الجليلة ، منـها دار حسن كتخدا الشعراوى ، وتابعه عمر جاويش ، وداره على سمته أيضًا ، ودار على كتخدا الخربطلى ، ودار قـاضى البهار ، ودار سليمان أغـا ، ودار الحموى ، وخلاف ذلك دور كانت جاريـة فى وقف عثمان كتخـدا القازدغلى وغيره ، وهذه الـدور هى التى أدركناها بل وسكنا بها عدة سنين ، وكانت فى الزمن الأول عدة دور مختصرة يسكنها أهل الرفاهية من أهالى البلدة ، وكان بها بيت الـبكرية القديم بالناحية الجنوبية ، تجاه زاوية جدهم الشـيخ جلال الدين البكرى ، وكان الـناس يرغبون فى سكنـاها لطيب هواهـا ، وانكشاف الـريح البحـرى بها ، وليـس فى تجاهـا من البر الآخـر سوى الأشجـار والمزارع ، ويعبـرها المراكب والـسفائن والـقنج فـى أيام النيـل بالمتفـرجين والمتنزهـين ، وأهــل الخلاعة بمزامرهم ومغانيهم ، ولصدى أصـواتهم المطربة طرب آخر ، فلمـا انقشع عنها الـسكان تداعت الدور إلى الخـراب ، وبقيت مسكنـا للبوم والغراب مدة إقامة الفرنساوية ، فلمـا حضر يوسف باشا الوزير المرة الأولى ، وذلك سنة أربع عشرة ومائتين وألف [1] ، وانتقض الصلح بينه وبين الفرنساوية ، وحصلت المفاقـمة ، ووقعت الحروب داخـل البلدة ، واحتـاطت الفرنسـاوية بجهات الـبلد ، وجرى ما تقدم ذكره فى الحوادث السابقة ، وكان طائفة من الفرنساوية أتوا إلى ناحية هذه البركة ، وملكـوا التل المعروف بتل أبو الريش ، وأخذوا يرمون بـالمدافع والقنابر

(١) ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ – ٢٥ مايو ١٨٠٠ م .

على أهل باب الشعرية ، وتلك النواحى ، فما انجلت الحروب حتى خربت بيوت البركة ، وما كان بتلك النواحى من الدور التى بظاهرها ، وبقيت كيمانا ، فحسن ببال السيد المذكور أن يجعل له سكنا هناك ، فاحتكر أراضى تلك المساكن من أربابها من مدة سابقة ، ثم تكاسل عن ذلك ، واشتغل بتوسعة دار سكنه التى بخطة الفحامين ، محل دكة الحسبة القديمة ، حتى أتمها على الوضع الذى قصده ، ثم شرع فى السنة الماضية ، فى إنشاء سكن لخصوص نزاهته ، فشرع فى تنظيف الأتربة وإصلاح الأرض ، وأنشأ دارا متسعة وقيعانا وفسحات ، وهى مفروشة بالرخام وحولها بستان ، وغرس به أنواع الأشجار ودوالى الكروم ، وهى بمكان حسن كتخدا ، وما كان على سمته من الدور نحو الثلاثين ، وأنشأ كاتبه السيد عمر الحسينى دارا عظيمة لخصوصه أخذ فيها باقى أراضى الأماكن ، وزخرفها وانتقل إليها بأهله وعياله ، وجعلها دارا لسكناه صيفا وشتاء ، وبنيا خارج ظاهرها حائطا يكون لدورهما سورا ، وعملا بها بوابة تفتح وتقفل ، وكان بجوار ذلك جامع متخرب يسمى جامع الحريشى ، فعمره أيضًا السيد محمد المحروقى ، وأقام حوائطه وأعمدته وسقفه وبيضه ، وأقام الخطبة آخر جمعة فى شهر المحرم [1] .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر [2]

فمات ، شيخ الإسلام ، وعمدة الأنام ، الفقيه العلامة ، والنحرير الفهامة ، الشيخ محمد الشنوانى نسبة إلى شنوان الغرق[3] ، الشافعى الأزهرى ، شيخ الجامع الأزهر ، من أهل الطبقة الثانية ، الفقيه النحوى المعقولى ، حضر الأشياخ أجلهم الشيخ فارس ، وكالصعيدى ، والدردير ، والفرماوى ، وتفقه على الشيخ عيسى البراوى ، ولازم دروسه وبه تخرج ، وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهانى بالقرب من دار سكناه بخشقدم ، مهذب النفس مع التواضع ، والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس، ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ، ويكنس الجامع ، ويسرج القناديل ، ولما توفى الشيخ عبدالله الشرقاوى اختاروه للمشيخة ، فامتنع وهرب إلى مصر العتيقة ، بعد ما جرى ما تقدم ذكره ، من تصدر الشيخ محمد المهدى ، فأحضروه قهرا عنه ، وتلبس بالمشيخة مع ملازمته لجامع الفاكهانى كعادته ، وأقبلت

(١) محرم ١٢٣٣ هـ / ١١ نوفمبر - ١٠ ديسمبر ١٨١٧ م .

(٢) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٩٤ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

(٣) شنوان الغرق : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز شبين الكوم ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .

عليه الدنيا ، فلم يتهنأ بها ، واعترته الأمراض وتعلل بالزحير أشهرا ، ثم عوفى ، ثم بآخرة بالبرودة ، وانقطع بالدار كذلك أشهرا ، ولم يزل منقطعا حتى توفى يوم الأربعاء رابع عشرى المحرم [1] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد عظيم ، ودفن بتربة المجاورين ، وله تآليف منها ، حاشية جليلة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، مشهورة بأيدى الطلبة ، وكان يجيد حفظ القرآن ويقرأ مع فقهاء الجوقة فى الليالى .

وتقلد المشيخة بعده الشيخ العلامة السيد محمد ابن شيخنا الشيخ أحمد العروسى[2] من غير منازع وبإجماع أهل الوقت ، ولبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكرى والسادات وباقى أصحاب المظاهر ، ومن يحب التظاهر .

ومات ، العمدة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المعروف هو بالدواخلى الشافعى ، ويقال له السيد محمد ، لأن أباه تزوّج بفاطمة بنت السيد عبد الوهاب البرديني ، فولد له المترجم منها ، ومنها جاءه الشرف ، وهم من محلة الداخل بالغربية [3] ، وولد المترجم بمصر وتربى فى حجر أبيه ، وحفظ القرآن ، واجتهد فى طلب العلم ، وحضر الأشياخ من أهل وقته : كالشيخ محمد عرفة الدسوقى ، والشيخ مصطفى الصاوى ، وخلافه من أشياخ هذا العصر ، ولازم الشيخ عبدالله الشرقاوى فى فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية ، وانتسب له ، وصار من أخص تلامذته ، ولما مات السيد مصطفى الدمنهورى الذى كان بمنزلة كتخداه ، قام مقامه واشتهر به ، وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية ، وحف به الطلبة ، وتداخل فى قضايا الدعاوى والمصالح بين الناس ، واشتهر ذكره ، وخصوصا أيام الفرنساوية حين تقلد شيخه رآسة ديوانهم ، وانتفع فى أيامهم انتفاعا عظيما من تصديه لقضايا نساء الأمراء المصرية وغيرهم ، ومات والده فأحرز ميراثه ، وكذلك لما قتل عديله الحاج مصطفى البشتيلى فى الحرابة ببولاق لا عن وارث ، فاستولى على تعلقاته وأطيانه وبستانه التى ببشتيل ، واتسع حاله ، واشترى العبيد والجوارى والخدم ، ولما ارتحل الفرنساوية ، ودخلها العثمانيون انطوى إلى السيد أحمد المحروقى ، لأنه كان يراسله سرًا بالأخبار حين خرج مع العثمانيين فى الكسرة إلى الشام ، فلما رجع فراعاه وراشاه ونوّه بذكره عند أهل الدولة ، وفى أيام الأمراء المصريين حين رجعوا إلى مصر

(١) ٢٤ محرم ١٢٣٣ هـ / ٤ ديسمبر ١٨١٧ م .

(٢) كتب أمام هذه الفقرة ص ٢٩٤ ، طبعة بولاق « تولية الشيخ محمد العروسى مشيخة الأزهر » .

(٣) محلة الداخل : قرية قديمة ، وهى الدواخلية ، إحدى قرى مركز المحلة الكبرى ، محافظة الغربية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٥ .

بعد قتل طاهر باشا ، في سنة ثمان عشرة [1] ، واحتوى على رزق وأطيان وحصص التزام ، ولبس الفراوى بالأقبية ، وركب البغال ، وأحدق به الأشياخ والأتباع ، وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسة ولايقنع بالكثير ، ولما وقع ما وقع في ولاية محمد على باشا ، وانفرد السيد عمر أفندى في الرياسة ، وصار بيده مقاليد الأمور ، وازداد به الحسد ، فكان هو من أكبر الساعين عليه سرا مع المهدى وباقى الأشياخ ، حتى أوقعوا به ، وأخرجه الباشا من مصر كما تقدم ، فعند ذلك صفا لهم الوقت ، وتقلد المترجم النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا ، وركب الخيول ، ولبس التاج الكبير ، ومشت أمامه الجاويشية والمقدمون وأرباب الخدم ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوى والشكاوى ، وعمر دار سكنهم القديمة بكفر الطماعين ، وأدخل فيها دورا وأنشأ تجاهها مسجدا لطيفا ، وجعل فيه منبرا وخطبة ، وعمر دارا ببركة جناق ، وأسكنها إحدى زوجاته ، وداخله الغرور وظن أن الوقت قد صفا له ، فأول ما ابتدأه به الدهر من نكباته أن مات ولده أحمد ، وكان قد ناهز البلوغ ، ولم يكن له من الأولاد الذكور غيره ، فوجد عليه وجدا شديدا حتى كان يتكلم بكلام نقمه الناس عليه ، وعمل له ميتما ودفنه بمسجده تجاه بيته ، وعمل عليه مقاما ومقصورة مثل المقامات التى تقصد للزيارة ، وكان موته في منتصف سنة تسع وعشرين [2] ، ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا في أواخر شهر شعبان من السنة المذكورة [3] ، والمترجم إذ ذاك من أعيان الرؤوس يطلع وينزل في كل ليلة إلى القلعة ، ويشار إليه ويحل ويعقد في قضايا الناس ، ويسترسل معه الباشا كما تقدم ذكر ذلك وداخله الغرور الزائد ، ولقد تطاول على كبار الكتبة الأقباط وغيرهم ، ويراجع الباشا في مطالبه بعد انقضاء الفتنة ، إلى أن ضاق صدر الباشا منه وأمر بإخراجه ونفيه إلى دسوق ، وذلك في سنة إحدى وثلاثين [4] ، فأقام بها أشهرا ، ثم توجه بشفاعة السيد المحروقى إلى المحلة الكبرى ، فلم يزل بها متعلق الحواس منحرف المزاج متكدر الطبع ، وكل قليل يراسل السيد المحروقى في أن يشفع فيه عند الباشا وليأذن له في الحج ، ومرة يحتج بالمرض ليموت في داره ، فلم يؤذن له في شيء من ذلك ، ولم يزل بالمحلة حتى توفى في منتصف شهر ربيع الأول من السنة [5] ، ودفن هناك ،

---

(١) ١٢١٨ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٣ - ١٢ أبريل ١٨٠٤ م .

(٢) ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ - ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .

(٣) آخر شعبان ١٢٣٣ هـ / ٤ يونيه ١٨١٨ م .

(٤) ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ - ٢٠ نوفمبر ١٨١٦ م .

(٥) ١٥ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ / ٢٣ يناير ١٨١٨ م .

وكان رحمه الله يميل إلى الرياسة طبعا ، وفيه حدة مزاج ، وهى التى كانت سببا لموته بأجله ، رحمه الله تعالى وإيانا .

ومات ، الصدر المعظم ، والدستور المكرم ، الوزير طاهر باشا ، ويقال إنَّه ابن أخت محمد على باشا ، وكان ناظرا على ديوان الكمرك ببولاق ، وعلى الخمامير ، ومصارفه من ذلك ، وشرع فى عمارة داره التى بالأزبكية بجوار بيت الشرايبى تجاه جامع أزبك على طرف الميرى ، وهى فى الأصل بيت المدنى ، ومحمود حسن واحترق منه جانب ، ثم هدم أكثرهما وخرج بالجدار إلى الرحبة ، وأخذ منها جانبا ، وأدخل فيه بيت رضوان كتخدا الذى يقال له ثلاثة ولية ، تسمية له باسم العامودين الرخام الملتفين على مكسلتى الباب الخارج ، وشيد البناء بخرجات فى العلو متعددة ، وجعل بابه مثل باب القلعة ، ووضع فى جهتيه العامودين المذكورين ، وصارت الدار كأنها قلعة مشيدة فى غاية من الفخامة ، فما هو إلا أن قارب الإتمام ، وقد اعتراه المرض فسافر إلى الإسكندرية بقصد تبديل الهواء ، فأقام هناك أياما ، وتوفى فى شهر جمادى الثانية [1] ، وأحضروا رمته فى أواخر الشهر [2] ، ودفنوه بمدفنه الذى بناه محل بيت الزعفرانى بجوار السيدة ، بقناطر السباع ، وترك ابنا مراهقا فأبقاه الباشا على منصب أبيه ونظامه وداره .

ومات ، الأمير أيوب كتخدا الفلاح ، وهو مملوك الأمير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح ، وكان آخر الأعيان المبجلين من جماعة الفلاح المشهورين ، وله عزوة وأتباع ، وبيته مفتوح للواردين ، ويحب العلماء والصلحاء ، ويتأدب معهم ، وكان الباشا يجله ويقبل شفاعته ، وكذلك أكابر الدولة فى كل عصر ، وعلى كل حال ، كان لابأس به ، توفى يوم الأربعاء لعشرين من شهر شعبان [3] ، وقد جاوز السبعين، رحمه الله تعالى .

واستهلت سنة اربع وثلاثين ومائتين وألف [4]

واستهل المحرم بيوم السبت [5] ، وسلطان الإسلام السلطان محمود شاه ابن عبد الحميد بدار سلطنته إسلامبول ، ووالى مصر وحاكمها محمد على باشا القوللى ،

(١) جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٨ أبريل - ٦ مايو ١٨١٨ م .

(٢) آخر جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٦ مايو ١٨١٨ م .

(٣) ٢٠ شعبان ١٢٣٣ هـ / ٢٥ يونيه ١٨١٨ م .

(٤) ١٢٣٤ هـ / ٣١ أكتوبر ١٨١٨ م - ١٩ أكتوبر ١٨١٩ م .

(٥) ١ محرم ١٢٣٤ هـ / ٣١ أكتوبر ١٨١٨ م .

وكتخداه ، وباقى أرباب المناصب على حالهم ، وما هم عليه فى العام الماضى .

ووردت الأخبار من شرق الحجاز والبشائر ، بنصرة حضرة إبراهيم باشا على الوهابية قبل استهلال السنة بأربعة أيام ، فعند ذلك نودى بزينة المدينة سبعة أيام ، أولها الأربعاء سابع عشرى الحجة [1] ، ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند الهمايل ، وكذلك صيوان الباشا ، وباقى الأمراء والأعيان خرجوا بأسرهم لعمل الشنك والحرائق ، وأخرجوا من المدافع مائة مدفع وعشرة ، وتماثيل وقلاعا ، وسواقى وسواريخ ، وصورا من بارود وبدءوا فى عمل الشنك من يوم الأربعاء ، فيضربون بالمدافع مع رماحة الخيالة من أول النهار مقدار ساعة زمانية وربع قريبا من عشرين درجة ، ضربا متتابعا لايتخلله سكون على طريقة الإفرنج فى الحروب ، بحيث أنهم يضربون المدفع الواحد اثنى عشرة مرة ، وقيل أربع عشرة مرة فى دقيقة واحدة ، فعلى هذا الحساب يزيد ضرب المدافع فى تلك المدة على ثمانين ألف مدفع ، بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخيالة المترامحين ، رعوداً هائلة ، ورتبوا المدافع أربع صفوف ، ورسم الباشا أن الخيالة ينقسمون كذلك طوابير ، ويكمنون فى الأعالى ، ثم ينزلون مترامحين وهم يضربون بالبنادق ، ويهجمون على المدافع فى حال اندفاعها بالرمى ، فمن خطف شيئًا من أدوات الطبجية الرماة يأتى به إلى الباشا ، ويعطيه البقشيش والإنعام ، فمات بسبب ذلك أشخاص وسواس ، ويكون مبادئ نهاية وقوف الخيالة نهاية محط جلة المدفع ، فإنهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع معمورة بالجلل بعدد الطوابير ، فتستعد الخيالة ، ويقف كل طابور عند مرمى جلته ، ويأخذون أهبتهم من ذلك الوقت إلى بعد شروق الشمس ، ويبتدءون فى الرمى والرماحة والحصة المذكورة ، وبعد العشاء الأخيرة ، يعمل كذلك الشنك ، برمى المدافع المتتالية المختلطة أصواتها بدون الرماحة ، ومع المدافع الحراقة والنفوط والسواريخ التى تصعد فى الهواء ، وفيها من خشب الزان بدل القصب وكرنجة بارودها أعظم من تلك ، بحيث أنها تصعد من الأسفل إلى العلو مثل عامود النار ، وأشياء أخر لم يسبق نظائرها ، تفنن فى عملها الإفرنج وغيرهم ، وحول محل الحراقة حلقة دائرة متسعة حولها ألوف من المشاعل الموقدة ، وطلبوا لعمل أكياس بارود المدافع مائتى ألف ذراع من القماش البز ، وكان راتب الأرز الذى يطبخ فى القزانات ، ويفرق فى عراضى العساكر فى كل يوم أربعمائة أردب ، وما يتبعها من السمن ، وهذا خلاف مطابخ الأعيان وما يأتيهم من بيوتهم من تعابى

(١) ٢٧ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ٧ نوفمبر ١٨١٧ م .

الأطعمة وغيرها ، واستمر هذا الضرب والشنك إلى يوم الثلاثاء رابع المحرم [1] ، وأهل البلد ملازمون للسهر والزينة على الحوانيت والدور ليلا ونهارا ، وتكرار المناداة عليهم فى كل يوم ، وركب حضرة الباشا ، وتوجه إلى داره بالأزبكية ، وهدمت الصواوين والخيام ، وبطل الرمى ، ودخلت العساكر والبينبات بمتاعهم وعازقهم أفواجا إلى المدينة ، وذهبوا إلى دورهم ، ورفع الناس الزينة ، وكان معظمها حيث مساكن الإفرنج ، والأرمن ، فإنهم تفننوا فى عمل التصاوير ، والتماثيل وأشكال السرج ، والشنيارات الزجاج والبلور ، وأشكال النجف ومعظمها فى جهات المسلمين بخان الخليلى والغورية والجمالية ، وببعض الأماكن والخانات ، ملاهى وأغانى وسماعات وقيان وجنك رقاصات ، هذا والتهيؤ والأشغال والاستعداد لعمل الدونانمة على بحر النيل ببولاق ، فصنعوا صورة قلعة بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف دوائر ، وخورنقات وطيقان للمدافع ، وطلوها وبيضوها ونقشوها بالألوان والأصباغ ، وصورة باب مالطة ، وكذلك صورة بستان على سفائن ، وفيه الطين ، ومغروس به الأشجار ، ومحيط به درابزين مصبغ ، وبه دوالى العنب وأشجار الموز والفاكهة والنخيل ، والرياحين فى قصارى لطيفة على حافاته ، وصورة عربة يجرها أفراس ، وبها تماثيل وصور جالسين وقائمين ، وتمثال مجلس ، وبه جنك رقاصات من تماثيل مصورة ، تتحرك بآلات ابتكار بعض المبتكرين ، لأن كل من تخيل بفكره شيئًا ملعوبا أو تصويرا ذهب إلى الترسخانة ، حيث الأخشاب والصناع ، فيعمله على طرف الميرى ، حتى يبرزه فى الخارج ، ويأخذ على ابتكاره البقشيش ، وأكثرها لخصوص الحراقات والنفوط والبارود والسواريخ وغير ذلك ، وبعد انقضاء السبعة أيام المذكورة ، حصل السكون من يوم الثلاثاء [2] المذكور إلى يوم الأحد التالى[3] له من الجمعة الأخرى ، مدة خمسة أيام فى أثنائها اجتهد الناس من الأعيان وكل من له اسم من أكابر الناس ، وأهل الدائرة ، والأفندية الكتبة حتى الفقهاء أرباب المناصب والمظاهر ، ومشايخ الإفتاء والنواب والمتفرجين فى نصب الخيام بحافتى النيل ، واستأجروا الأماكن المطلة على البحر ولو من البعد ، وتنافسوا واشتط أربابها فى الأجرة حتى بلغ أجرة أحقر طبقة بمثل وكالة الفسيخ إلى خمسمائة قرش وزيادة ، وكان الباشا أمر بإنشاء قصر لخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق ، قبلى قصر ابنه إسماعيل باشا ، وتمموا بياضه ونظامه فى هذه المدة القليلة ، فلما كان ليلة

(1) ٤ محرم ١٢٣٤ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٨ م .
(2) ٤ محرم ١٢٣٤ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٨ م .
(3) ٨ محرم ١٢٣٤ هـ / ٧ نوفمبر ١٨١٨ م .

الإثنين [1] ، وهو يوم عاشوراء خرج الباشا فى ليلته وعدّى إلى القصر المذكور ، وخرج أهل الدائرة والأعيان إلى الأماكن التى استأجروها ، وكذلك العامة أفواجا ، وأصبح يوم الإثنين المذكور ، فضربت المدافع الكثيرة التى صففوها بالبرين ، وزين أهالى بولاق أسواقهم وحوانيتهم ، وأبواب دورهم ودقت الطبول والمزامير والنقرزانات فى السفائن وغيرها ، وطبلخانة الباشا تضرب فى كل وقت ، والمدافع الكثيرة فى ضحوة كل يوم وعصره وبعد العشاء كذلك ، وتوقد المشاعل ، وتعمل أصناف الحراقات والسواريخ والنفوط والشعل ، وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ، ويرمون منها المدافع على هيئة المتحاربين ، وفيها فوانيس وقناديل ، وهيئة باب مالطة بوابة مجسمة مقوصرة لها بدنات ، ويرى بداخلها سرج وشعل ، ويخرج منها حراقات وسواريخ ، وغالب هذه الأعمال من صناعة الإفرنج ، وأحضروا سفائن رومية صغيرة ، تسمى الشلبنات يرمى منها مدافع وشنابر وشيطيات ، وغلايين مما يسير فى البحر المالح ، وفى جميعها وقدات وسرج وقناديل ، وكلها مزينة بالبيارق الحرير والأشكال المختلفة الألوان ، ودبوس أوغلى ببولاق التكرور وعنده أيضًا الحراقات الكثيرة والشعل والمدافع والسواريخ ، وبالجيزة عباس بيك ابن طوسون باشا ، والنصارى الأرمن بمصر القديمة وبولاق ، والإفرنج ، وأبرز الجميع زينتهم وتماثيلهم وحراقهم ، وعند الأعيان حتى المشايخ فى القنج والسفائن المعدة للسروح والتفرج والنزاهة ، والخروج عن الأوضاع الشرعية والأدبية ، واستمروا على ما ذكر إلى يوم الإثنين سابع عشره [2] ،

وفى ذلك اليوم [3] ، وصل عبدالله بن مسعود الوهابى ، ودخل من باب النصر ، وصحبته عبدالله بكتاش قبطان السويس ، وهو راكب على هجين ، وبجانبه المذكور ، وأمامه طائفة من الدلاة ، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما ، وانقضى أمر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ، ورفعوا الزينة وركب الباشا إلى قصر شبرا فى تلك السفينة ، وانفض الجمع وذهبوا إلى دورهم ، وكان ذلك من أغرب الأعمال التى لم يقع نظيرها بأرض مصر ، ولاما يقرب من ذلك ، ومطبخ الميرى يطبخ به الأرز على النسق المتقدّم والأطعمة ، ويؤتى لأرباب المظاهر منها فى وجبتى الغداء والعشاء ، خلاف المطابخ الخاصة بهم ، وما يأتيهم من بيوتهم ، وأما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء فخرجوا أفواجا ،

---

(١) ٩ محرم ١٢٣٤ هـ / ٨ نوفمبر ١٨١٨ م .
(٢) ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م .
(٣) ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م .

وكثر زحامهم فى جميع الطرق الموصلة إلى بولاق ليلا ونهارا بأولادهم وأطفالهم ركبانا ومشاة ، وقد ذهب فى هاتين الملعبتين من الأموال ما لايدخل تحت الحصر ، وأهل الاستحقاق يتلظون من القشل والتفليس ، مع ما فيهم من غلاء الأسعار فى كل شىء ، وانعدام الأدهان وخصوصا : السمن والشيرج والشحم فلا يوجد من ذلك الشىء اليسير إلا بغاية المشقة ، ويكون على حانوت الدهان الذى يحصل عنده بعض السمن شدّة الزحام والصياح ، ولايبيع بأزيد من خمسة أنصاف ، وهى أوقية اثنا عشر درهما بما فيها من الخلط ، وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن ، فيحجزونه لمطالب الدولة ومطابخهم ودورهم فى هذه الولائم والجمعيات ، ويدفع لهم ثمنه على موجب التسعيرة ، ثم يوزع ما يوزعه ، وهو الشىء القليل على المتسببين ، وهم يبيعونه على هذه الحالة ، ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش .

وفيه[1] ، وصل عبدالله الوهابى ، فذهبوا به إلى بيت إسماعيل باشا ابن الباشا ، فأقام يومه ، وذهبوا به فى صبحها عند الباشا بشبرا ، فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه ، وقال له : « ما هذه المطاولة » ، فقال : « الحرب سجال » ، قال : « وكيف رأيت إبراهيم باشا » ، قال : « ما قصّر وبذل همته ، ونحن كذلك ، حتى كان ما كان قدره المولى » ، فقال : « أنا إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان » ، فقال : « المقدر يكون » ، ثم ألبسه خلعة ، وانصرف عنه إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق ، ونزل الباشا فى ذلك اليوم السفينة ، وسافر إلى جهة دمياط ، وكان بصحبة الوهابى صندوق صغير من صفيح ، فقال له الباشا : « ما هذا » ، فقال : « هذا ما أخذه أبى من الحجرة أصحبه معى إلى السلطان » ، وفتحه فوجد به ثلاث مصاحف قرآنا مكللة ، ونحو ثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة ، وبها شريط ذهب ، فقال له الباشا : « الذى أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا » ، فقال : « هذا الذى وجدته عند أبى ، فإنه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه ، بل أخذ كذلك كبار العرب ، وأهل المدينة ، وأغوات الحرم ، وشريف مكة » ، فقال الباشا : « صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك » .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره [2] ، سافر عبدالله بن مسعود إلى جهة الإسكندرية وصحبته جماعة من الططر إلى دار السلطنة ومعه خدم لزومه .

---

(١) ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م . (٢) ١٩ محرم ١٢٣٤ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨١٨ م .

واستهل شهر صفر بيوم الإثنين سنة ١٢٣٤ [١]

فى ثالثه [٢] ، وصل طائفة من الحجاج المغاربة يوم الأربعاء [٣] ، وصحبتهم حجاج كثيرة من الصعائدة وأهل القرى ، فدخلوا على حين غفلة ، وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب أولاد على يسمى الجبالى ، وهذا لم يتفق نظيره فيما وعيناه ، وسببه أمن الطريق وانكماش العربان ، وقطاع الطريق .

وفيه [٤] ، أخبر المخبرون بأن الباشا أقام بدمياط أياما قليلة ، ثم توجه إلى البرلس ، ونزل فى نقيرة [٥] ، وذهب إلى الإسكندرية على ظهر البحر المالح ، وقد استعد أهلها لقدومه ، وزينوا البلد والذى تولى الاعتناء بذلك طائفة الإفرنج ، فإنهم نصبوا طريقا من باب البلد إلى القصر الذى هو سكن الباشا ، وجعلوا بناحيتيه يمنى ويسرى أنواع الزينة والتماثيل والتصاوير والبلور والزجاج والمرايات ، وغير ذلك من البدع البديعة الغريبة .

وفى غايته [٦] ، وصل الحاج المصرى ودخلوا أرسالا شيئًا فشيئًا ، ومنهم من دخل ليلا ، وخصوصا ليلة الاثنين [٧] ، وفى صبحه دخل حسن باشا أرنؤد الذى كان مقيما بجدة ، وفى ذلك اليوم دخل بواقى الحجاج إلى منازلهم .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٤ [٨]

فى صبحه [٩] ، دخلوا بالمحمل المدينة ، وأكثر الناس لم يشعر بدخوله ، وهذا لم يتفق فيما نعلم ، تأخر الحاج إلى شهر ربيع الأول [١٠] .

وفى ليلة الثلاثاء ثامنه [١١] ، احترق سوق الشرم ، والجملون الكائن أسفل جامع الغورية بما فيه من الحوانيت ، وبضائع التجار ، والأقمشة الهندية وخلافها ، فظهرت به النار من بعد العشاء الأخيرة ، فحضر الوالى وأغات التبديل ، فوجدوا الباب الذى من جهة الغورية مغلوقا من داخل ، وكذلك الباب الذى من الجهة الأخرى ، وهما

---

(١) صفر ١٢٣٤ هـ / ٣٠ نوفمبر - ٢٨ ديسمبر ١٨١٨ م .

(٢) ٣ صفر ١٢٣٤ هـ / ٢ ديسمبر ١٨١٨ م .

(٣) ٣ صفر ١٢٣٤ هـ / ٢ ديسمبر ١٨١٨ م .

(٤) ٣ صفر ١٢٣٤ هـ / ٢ ديسمبر ١٨١٨ م .

(٥) نقيرة : سفينة صغيرة .

(٦) غاية صفر ١٢٣٤ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨١٨ م .

(٧) ٨ صفر ١٢٣٤ هـ / ٧ ديسمبر ١٨١٨ م .

(٨) ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م - ٢٧ يناير ١٨١٩ م .

(٩) ١ ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م .

(١٠) ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م - ٢٧ يناير ١٨١٩ م .

(١١) ٨ ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٥ يناير ١٨١٩ م .

فى غاية المتانة ، فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والكسر إلى بعد نصف الليل، والنار عمالة من داخل ، وهرب الخفير ، واحترق ليوان الجامع البرانى والدهليز ، وأخذوا فى الهدم ، وصب المياه بآلات القصارين مع صعوبة العمل ، بسبب علو الحيطان الشاهقة ، والأخشاب العظيمة ، والأحجار الهائلة ، والعقود ، فلم يخمد لهب النار إلا بعد حصة من النهار ، وسرحت النار فى أخشاب الجامع التى بداخل البناء ، ولم يزل الدخان صاعدا منها ، وسقطت الشبابيك النحاس العظام ، وبقيت مفتتة ومكلسة ، واستمر العلاج فى إطفاء الدخان ثلاثة أيام ، ولولا لطف المولى ، وتأخير فتح الباب لكونه مصفحا بالحديد ، فلم تعمل فيه النار، فلو لم يكن كذلك لاحترق وسرحت النار إلى الحوانيت الملاصقة به ، وهى كلها أخشاب ويعلوها سقائف أخشاب كذلك ، ومن فوق الجميع السقيفة العظيمة الممتدة على السوق من أوّله إلى آخره ، وهى فى غاية العلو والارتفاع ، وكلها أخشاب وحجنة وسهوم وبراطيم من أعلى ومن أسفل لحملها من الجهتين ، ومن ناحيتها الرباع والوكايل والدور وحيطان الجميع من الحجنة والأخشاب العتيقة ، التى تشتعل بأدنى حرارة ، فلو وصلت النار والعياذ بالله تعالى هذه السقيفة ، لما أمكن إطفاؤها بوجه ، وكان حريقا دوميا ، ولكن الله سلم .

وفى يوم السبت ثانى عشره [1] ، حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقا ، وذلك أنه لما حصلت النصرة والمسرة للباشا ، فكتب إليه مكتوبا بالتهنئة ، وأرسله مع حفيده السيد صالح إلى الإسكندرية فتلقاه بالبشاشة ، وطفق يسأله عن جده ، فيقول له : « بخير ويدعو لكم » ، فقال له : « هل فى نفسه شىء أو حاجة نقضيها له » ، فقال : « لايطلب غير طول البقاء لحضرتكم » ، ثم انصرف إلى المكان الذى نزل به ، فأرسل إليه فى ثانى يوم [2] ، عثمان السلانكى ليسأله ويستفسره عما عسى أن ينتحى من مشافهة الباشا بذكره ، فلم يزل يلاطفه حتى قال : « لم يكن فى نفسه إلا الحج إلى بيت الله إن أذن له أفندينا بذلك » ، فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك ، وأذن له بالذهاب إلى مصر ، وأن يقيم بداره إلى أوان الحج إن شاء برا وإن شاء بحرا ، وقال : « أنا لا أتركه فى الغربة هذه المدة إلا خوفا من الفتنة ، والآن لم يبق شىء من ذلك ، فإنه أبى وبينى وبينه مالا أنساه من المحبة والمعروف » ، وكتب له جوابا بالإجابة ، وصورته بحروفه : « مظهر الشمائل سنيها ، حميد الشؤن وسميها، سلالة بيت المجد الأكرم ، والدنا السيد عمر مكرم ،

---

(١) ١٢ ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٩ يناير ١٨١٩ م . (١) ١٣ ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ١٠ يناير ١٨١٩ م .

دام شأنه ، أما بعد فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف ، تهنئة بما أنعم الله علينا ، وفرحا بمواهب تأييده لدينا ، فكان ذلك مزيدا فى السرور ، ومستديما لحمد الشكور ، ومجلبة لثناكم ، وإعلانا بنيل مناكم ، جزيتم حسن الثنا ، مع كمال الوقار ونيل المنى ، هذا وقد بلغنا نجلكم على طلبكم الإذن فى الحج إلى البيت ، وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام ، للرغبة فى ذلك ، والترجى لما هنالك ، وقد آذناكم فى هذا المرام ، تقربا لذى الجلال والإكرام ، كما هو الظن فى الطاهرين ، والمأمول من الأصفياء المقبولين ، والواصل لكم جواب منا خطابا إلى كتخدائنا ، ولكم الإجلال والاحترام ، مع جزيل الثناء والسلام » ، وأرسل إليه المكتوبين صحبة حفيده السيد صالح ، وأرسل إلى كتخدا بيك كتابا وصل إليه قبل قدومه ، فأرسل الكتخدا ترجمانه إلى منزله ليبشرهم بذلك ، وأشيع خبر مقدمه ، فكان الناس بين مصدّق ومكذب حتى وصل فى اليوم المذكور إلى بولاق ، فركب من هناك ، وتوجه إلى زيارة الإمام الشافعى ، وطلع إلى القلعة ، وقابل الكتخدا ، وسلم عليه ، وهنته الشعراء بقصائدهم ، وأعطاهم الجوائز ، واستمر ازدحام الناس أياما ، ثم امتنع عن الجلوس فى المجلس العام نهارا ، واعتكف بحجرته الخاصة ، فلا يجتمع به إلا بعض من يريده من الأفراد ، فانكف الكثير عن الترداد ، وذلك من حسن الرأى .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٤ (١)

فيه (٢) ، حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالأشرفية الموصلة إلى الإسكندرية ، وقد تقدم فى العام الماضى بل والذى قبله اهتمام الباشا ، ونزل إليها المهندسون ، ووزنوا أرضها وقاسوا طولها وعرضها ، وعمقها المطلوب ، ثم أهمل أمرها لقرب مجئ النيل ، وتركوا الشغل فى مبدئها ، ولم يترك الشغل فى منتهاها عند الإسكندرية بالقرب من عامود السوارى ، فحفروا هناك منبتها ، وهى بركة متسعة ، وحوّطوها بالبناء المحكم المتين ، وهى مرسى المراكب التى تعبر منها إلى الإسكندرية بدلا عن البغاز ، وهى ملتقى البحرين ، وما يقع فيه من تلف المراكب فتكون هذه أسلم وأقرب كلفة إن صحت ، بل وأقرب مسافة ، ونزل الأمر لكشاف الأقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب مزارع الفدادين ، فيحصون رجال القرية المزارعين ، ويدفعون للشخص الواحد عشرة ريال ، ويخصم له مثلها من المال ، وإذا كان له شريك وأحب المقام لأجل الزرع الصيفى ، أعطاه حصته ، وزاده

(١) ربيع الثانى ١٢٣٤ هـ / ٢٨ يناير - ٢٥ فبراير ١٨١٩ م .
(٢) ١ ربيع الثانى ١٢٣٤ هـ / ٢٨ يناير ١٨١٩ م .

عليـها حتى يرضـى خاطره ، وزوّده بما يحتـاج إليه أيضًا ، وعنـد العمل يدفـع لكل شخص قـرش فى كل يوم ، ويخرج أهـل القرية أفواجا ، ومـعهم أنفار من مـشايخ البلاد ، ويجـتمعون فى المكان المـأمورين باجتماعهـم فيه ، ثم يسيرون مـع الكاشف الذى بالناحيـة ، ومعهم طبول وزمور وبيارق ونجارون وبـناؤن وحدادون ، وفرضوا على البلاد التـى فيها النخيل غلقـانا ومقاطف وعراجين وسَلَبا ، وعلى الـبنادر فئوسا ومسَاحِي شيء كثير بالـثمن ، وطلبوا أيضًا طائفة الغواصين ، لأنهـم كانوا إذا تسفلوا فى قطع الأرض فى بعض المواضع منها ينبع الماء قبل الوصول إلى الحدّ المطلوب .

وفي يوم الخميـس عشرينه [1] ، ورد مرسوم مـن الباشا بعـزل كتخدا بـيك عن منصب الكتخدائيـة ، وتولية محمود بيك فيها عوضا عنه ، وحـضر محمود بيك فى ذلك اليوم قادمـا مـن الإسكندرية ، وطلع إلى القلعة ، وحضر أيضًا حسن باشا ، وكان قد ذهب إلـى الإسكندرية ليسـلم على الباشا لـكونه كان بالديار الحـجازية المدة المديدة ، وحضـر إلى مصر والباشـا بالإسكندرية ، فـتوجه إليه ، وأقام مـعه أياما ، وعاد إلى مصر صـحبة محمود بيك ، وحـضر أيضًا إبراهيم أفندى مـن إسلامبول ، وهو ديوان أفندى الباشا ، فتقلد فى نظر الأطيان والرزق والالتزام عوضا عن محمود بيك .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٤ [2]

فى سابعه يوم الخميس [3] ، ضربت مدافـع كثيرة وقت الشـروق ، بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية باستيلاء خليل باشا على يمن الحجاز صلحا .

وفيه[4] ، وصلت الأخبار أيضًا عن عبدالله بن مسعود أنه لما وصل إلى إسلامبول طافوا به الـبلدة وقتلوه عنـد باب همايون ، وقتلوا أتـباعه أيضًا فى نواحي مـتفرقة ، فذهبوا مع الشهداء .

وفيه [5] ، أشيع وصول قـابجي كبير من طرف الـدولة يقال له قهوجـى باشا إلى الإسكندرية ، وورد الأمر بالاستعداد لحضوره مع البـاشا ، فطلعوا بالمطابخ إلى ناحية شبرا ، وطلبت الخيول من الربيع ، واستمر خروج العساكر ودخولهم ، وكذلك طبخ

---

(١) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٣٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨١٩ م .
(٢) جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٢٦ فبراير - ٢٧ مارس ١٨١٩ م .
(٣) ٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٤ مارس ١٨١٩ م . (٤) ٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٤ مارس ١٨١٩ م .
(٥) ٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٤ مارس ١٨١٩ م .

الأطعمة ، وفى كل يوم يشيعون الورود ، فلم يأت أحد ، ثم ذكروا أنّ ذلك القابجى حين قرب من الإسكندرية رده الريح إلى رودس ، واستمر هذا الريح إلى آخر الشهر .

وفيه (1) ، قوى الاهتمام بأمر حفر الترعة المتقدم ذكرها ، وسيقت الرجال والفلاحون من الأقاليم البحرية ، وجدوا فى العمل بعدما حددوا لكل أهل إقليم أقصابا ، توزع على أهل كل بلد من ذلك الإقليم ، فمن أتم عمله المحدود انتقل إلى مساعدة الآخرين ، وظهر فى حفر بعض الأماكن منها صورة أماكن ومساكن ، وقيعان وحمام بعقوده وأحواضه ومغاطسه ، ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة ، وأخرى لم تفتح لايعلم ما فيها ، رفعوها للباشا مع تلك .

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه (2) ، حضر الباشا إلى شبرا ، ووصل فى أثره قهوجى باشا ، وعملوا له موكبا فى صبيحة يوم الخميس (3) ، وطلعوا إلى القلعة ، ومع الأغا المذكور ما أحضره برسم الباشا وولده إبراهيم باشا الذى بالحجاز ، وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعة ، وخنجر مجوهر لكل واحد ، وشلنجان مجوهران وساعة جوهر وغير ذلك ، وقرئ الفرمان بحضرة الجمع ، وفيه الثناء الكثير على الباشا ، والعفو عمن بقى من الوهابية ، وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة ، وكذلك عند ورودهم ، واستمر ضرب المدافع ثلاثة أيام فى جميع الأوقات الخمس ، ونزل القابجى المذكور ببيت طاهر باشا بالأزبكية ، وحضر أيضًا عقبه أطواخ لكل من عباس بيك ابن طوسون باشا ابن الباشا ، ولأحمد بيك ابن طاهر باشا ، وفى ضمن الفرمان الإذن للباشا بتولية أمريات وقبجيات لمن يختار .

وفى صبحها يوم الجمعة (4) ، خلع الباشا على أربعة أو خمسة من أمرائه بقبجات باشا ، وهم على بيك السلانكلى قابجى باشا ، وحسن أغا أزرجانلى كذلك ، وخليل أفندى حاكم رشيد ، وشريف بيك .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٤ (5)

فيه (6) ، حضر محمد بيك الدفتردار من الجهة القبلية ، فأقام أياما وعاد إلى قبلى .

---

(١) ٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٤ مارس ١٨١٩ م .
(٢) ٢٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٢٤ مارس ١٨١٩ م .
(٣) ٢٨ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٢٥ مارس ١٨١٩ م .
(٤) ٢٩ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٢٦ مارس ١٨١٩ م .
(٥) جمادى الثانية ١٢٣٤ هـ / ٢٨ مارس - ٢٥ أبريل ١٨١٩ م .
(٦) ١ جمادى الثانية ١٢٣٤ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٩ م .

وفى أواخره [1] ، رجع الكثير من فلاحى الأقاليم إلى بلادهم من الأشرفية وهم الذين أتموا ما لزمهم من العمل والحفر ، ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب .

وفى هذا الشهر [2] ، حصل بعض موت بالطاعون ، فداخل الناس وهم بسبب ما حدث فى أكابر الدولة والنصارى من التعجب ، وعمل الكورنتيلات ، وهى التباعد من الملامسة ، وتبخير الأوراق والمجالس ونحو ذلك .

واستهل شهر رجب بيوم الإثنين سنة ١٢٣٤ [3]

فى خامسه [4] ، مات عبود النصرانى كاتب الخزينة ، وكان مشكور السيرة فى صناعته ، وعنده مشاركة ودعوى عريضة ودعوى علم ، ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ، ويضمن إنشاءاته ومراسلاته آيات وأمثالا وسجعات ، وأخذ دار القيسرلى بدرب الجنينة وما حولها ، وأنشأها دارا عظيمة وزخرفها ، وجعل بها بستانا ومجالس مفروشة بالرخام الملوّن ، وفساقى وشاذروانات وزجاج بلور ، وكل ذلك على طرف الميرى ، وله مرتب واسع ، وكان الباشا يحبه ويثق به ، ويقول لولا الملامة لقلدته الدفتردارية .

وفى سابعه [5] ، حضر إلى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بيك أبو نبوت معزولا عن ولايته ، فأرسل إلى الباشا يستأذنه فى الحضور إلى مصر ، فأطلق له الإذن ، فحضر فأنزله بقصر العينى ، وصحبته نحو الخمسمائة مملوك وأجناد وأتباع ، واجتمع بالباشا وأجله وسلم عليه ، وأقام معه حصة من الليل ، ورتب له مرتبا عظيما ، وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية أتباعه ، فمن جملة ما رتب له ثلاثة آلاف تذكرة ، كل تذكرة بألفين وستمائة نصف فضة فى كل شهر ، وذلك خلاف المعين ، واللوازم من : السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والأرز والفحم والشمع والصابون، فمن الأرز خاصة فى كل يوم أردبان ، وللعليق خمسة وعشرون أردبا فى كل يوم .

---

(١) آخر جمادى الثانية ١٢٣٤ هـ / ٢٥ أبريل ١٨١٩ م .

(٢) جمادى الثانية ١٢٣٤ هـ / ٢٨ مارس - ٢٥ أبريل ١٨١٩ م .

(٣) رجب ١٢٣٤ هـ / ٢٦ أبريل - ٢٥ مايو ١٨١٩ م .

(٤) ٥ رجب ١٢٣٤ هـ / ٣٠ أبريل ١٨١٩ م .

(٥) ٧ رجب ١٢٣٤ هـ / ٢ مايو ١٨١٩ م .

وفى يوم السبت ثالث عشره [1] ، سافر قهوجى باشا عائدا إلى إسلامبول ، واحتفل به الباشا احتفالا زائدا ، وقدّم له ولمخدومه وأرباب الدولة من الأموال والهدايا والخيول والبن والأرز والسكر والشربات ، وتعابى الأقمشة الهندية وغيرها شيئًا كثيراً ، وكذلك قدّم له أكابر الدولة هدايا كثيرة ، ولأنه لما حضر إلى مصر قدّم لهم هدايا فقابلوه بأضعافها ، وعندما سافر احتجب الباشا وأمر كل من كان يلازم ديوانه بالانصراف والتحجب فتكرتن منهم من تكرتن فى داره ، ومنهم فى القصور ، وسافر مع قهوجى باشا سليمان أغا السلحدار وشربتشى باشا ، وآخرون لتشييعه إلى الإسكندرية .

وفى يوم الخميس ثامن عشره [2] ، حضر بواقى الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمائة نسمة ، وأسكنوا بالقشلة التى بالأزبكية وابن عبدالله بن مسعود بدار عند جامع مسكة ، هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ، ويمشون فى الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات.

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٤ [3]

وفيه [4] ، وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز وصحبتهم ابن حمود أمير يمن الحجاز ، وذلك أنَّه لما مات أبوه تأمّر عوضه ، وأظهر الطاعة ، وعدم المخالفة للدولة ، فلما توجه خليل باشا إلى اليمن أخلى له البلاد ، واعتزل فى حصن له ، ولم يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه ، وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه ، وحضر عند خليل باشا فقبض عليه ، وأرسله مع الهجانة إلى مصر .

وفيه [5] ، صرفوا الفلاحين عن العمل فى الترعة لأجل حصاد الزرع ، ووجهوا عليهم طلب المال .

---

(١) ١٣ رجب ١٢٣٤ هـ/ ٨ مايو ١٨١٩ م . (٢) ١٨ رجب ١٢٣٤ هـ/ ١٣ مايو ١٨١٩ م .
(٣) شعبان ١٢٣٤ هـ/ ٢٦ مايو - ٢٣ يونيه ١٨١٩ م . (٤) ١ شعبان ١٢٣٤ هـ/ ٢٦ مايو ١٨١٩ م .
(٥) ٨ شعبان ١٢٣٤ هـ/ ٢ يونيه ١٨١٩ م .

واستهل شهر رمضان سنة ١٢٣٤ [1]

والباشا مكرتن بشبرا ، ولم يطلع إلى القلعة كعادته فى شهر رمضان [2] .

وفى ثامن عشرينه [3] ، طلع إلى القلعة وعيد بها .

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٣٤ [4]

فى رابع عشره الموافق لآخر يوم من شهر أبيب [5] ، نودى بوفاء النيل ، وكان الباشا سافر إلى جهة الإسكندرية بسبب ترعة الأشرفية ، وأمر حكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل ، فأخذوا فى جمعهم ، فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال ، وينزلون بهم المراكب ، وتعطلوا عن زرع الدراوى الذى هو قوتهم ، وقاسوا بعد رجوعهم من المرة الأولى بعدما قاسوا ما قاسوه ، ومات الكثير منهم من البرد والتعب، وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح ، ولما رجعوا إلى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال ، وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول ، وأخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر ، فما هم إلا والطلب للعود إلى الشغل فى الترعة ، ونزح المياه التى لاينقطع نبعها من الأرض، وهى فى غاية الملوحة ، والمرة الأولى التى كانت فى شدّة البرد ، وهذه المرة فى شدة الحر وقلة المياه العذبة ، فينقلونها بالزوايا على الجمال مع بعد المسافة ، وتأخر رى الإسكندرية .

وفى سابع عشرينه [6] ، ارتحل ركب الحجاج من البركة ، وأمير الحاج عابدين بيك أخو حسن باشا .

واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٤ [7]

والعمل فى الترعة مستمر .

---

(١) رمضان ١٢٣٤ هـ / ٢٤ يونيه - ٢٣ يوليه ١٨١٩ م .

(٢) رمضان ١٢٣٤ هـ / ٢٤ يونيه - ٢٣ يوليه ١٨١٩ م .

(٣) ٢٨ رمضان ١٢٣٤ هـ / ٢١ يوليه ١٨١٩ م . (٤) شوال ١٢٣٤ هـ / ٢٤ يوليه - ٢١ أغسطس ١٨١٩ م .

(٥) ١٤ شوال ١٢٣٤ هـ / ٦ أغسطس ١٨١٩ م . (٦) ٢٧ شوال ١٢٣٤ هـ / ١٩ أغسطس ١٨١٩ م .

(٧) ذى القعدة ١٢٣٤ هـ / ٢٢ أغسطس - ٢٠ سبتمبر ١٨١٩ م .

واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٤ (١)

فى منتصفه (٢) ، سافر الباشا إلى الصعيد ، وسافر صحبته حسن باشا طاهر ، ومحمد أغا لاظ المنفصل عن الكتخدائية ، وحسن أغا أزرجانلى وغيرهم من أعيان الدولة .

وفيه (٣) ، وصل الخبر بموت سليمان باشا حاكم عكا ، وهو من مماليك أحمد باشا الجزار .

وفى أواخره(٤) ، وصل ابن إبراهيم باشا وصحبته حريم أبيه ، فضربوا لوصولهم مدافع ، وعملوا للصغير موكبا ، ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة .

وانقضت السنة ، وما تجدد بها من الحوادث التى منها زيادة النيل الزيادة المفرطة أكثر من العام الماضى ، وهذا من النوادر ، وهو الغرق فى عامين متتابعين ، واستمر أيضًا فى هذه السنة إلى منتصف هاتور (٥) ، حتى فات أوان الزراعة ، وربما نقص قليلا ، ثم يرجع فى ثانى يوم (٦) ، أكثر ما نقص .

ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف (٧)

فكان أوّل المحرم بالهلال يوم الخميس (٨) ، وفيه وما قبله بأيام حصل بالأرياف بل وبداخل المدينة انزعاجات ، بسبب تواتر سرقات ، وإشاعة سروح مناسر وحرامية، وعمر الناس أبواب الدور والدروب ، وحصل منع الناس من المسير والمشى بالأزقة من بعد الغروب ، وصار كتخدا بيك وأغات التبديل والوالى يطوفون ليلا بالمدينة ، وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ولو كان مما لاشبهة فيه، واستمر هذا الحال إلى آخر الشهر .

وفى سابع عشرينه (٩) ، حضر الباشا من الصعيد بعد أن وصل فى سرحته إلى الشلال ، وكان الناس تقولوا على ذهابه إلى قبلى أقاويل ، منها : أنه يريد التجريد على بواقى المصريين المنقطعين بدنقلة ، فإنهم استفحل أمرهم واستكثروا من شراء العبيد ، وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك ، ومنها : أنه يريد التجريد أيضًا ، وأخذ

(١) ذى الحجة ١٢٣٤ هـ / ٢١ سبتمبر - ١٩ أكتوبر ١٨١٩ م .
(٢) ١٥ ذى الحجة ١٢٣٤ هـ / ٥ أكتوبر ١٨١٩ م .
(٣) ١٥ذى الحجة ١٢٣٤ هـ / ٥ أكتوبر ١٨١٩ م .
(٤) آخر ذى الحجة ١٢٣٤ هـ / ١٩ أكتوبر ١٨١٩ م .
(٥) ١٥ هاتور ١٥٣٥ ق / ٢٣ نوفمبر ١٨١٨ م .
(٦) ١٦ هاتور ١٥٣٥ ق / ٢٤ نوفمبر ١٨١٨ م .
(٧) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .
(٨) ١ محرم ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ م .
(٩) ٢٧ محرم ١٢٣٥ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٩ م .

بلاد دارفور والنوبة ، ويمهد طريق الوصول إليها ، ومنها : أنهم قالوا إنه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد ، وأنَّ ذهابه للكشف عن ذلك وامتحانه وعمل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه ، وبطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه ، وأما قولهم عن هذه المعادن ، فالذى تلخص من ذلك أنه ظهر بأرض أحجار خضر تشبه الزمرد وليست إيَّاه ، وبمكان آخر شيء أسود مخرفش مثل خرء الحديد ، يخرج منه بعد العلاج والتصفية رصاص قليل ، فقد أخبرنى أخونا الشيخ عمر النساوى المعروف بالمخلصى ، أنه أخذ منه قطعة ، وذهب بها إلى الصائغ ودقها ووضعها فى بوط كبير ، وساق عليها بنار السبك ، وانكسر البوط فنقلها إلى بوط آخر ، ولم يزل يعالجها بطول النهار ، وأحرق عليها زيادة عن القنطار من الفحم .

وفيه [1] ، حضر أيضًا جماعة من الوهابية وأنزلوا بدار بحارة عابدين .

واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٣٥ [2]

فى غرته [3] ، سافر محمد أغا المعروف بأبو نبوت الشامى إلى دار السلطنة باستدعاء من الدولة ، وذلك أنه لما حضر مصر ونزل برحاب الباشا كما تقدم وكاتب الباشا فى شأنه إلى الدولة ، فحضر الأمر بطلبه ، وأوكد بالإكرام ، فعند ذلك هيأ له الباشا ما يحتاج إليه من هدية وغيرها ، وتعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصا ، أرسل إليهم الباشا كساوى وفراوى ، وترك باقى أتباعه بمصر ، أنزلوهم فى دار بسويقة اللالا ، وهم يزيدون عن المائتين ، ويصرف لهم الرواتب فى كل يوم والشهرية .

وفيه [4] ، وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم أسرى من الوهابية نساء وبنات وغلمانا ، نزلوا عند الهمايل ، وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم مع أنهم مسلمون وأحرار .

وفى منتصفه [5] ، مات مصطفى أغا وكيل دار السعادة سابقًا ، ومات أيضًا الشيخ عبد الرحمن القرشى الحنفى .

وفى سابع عشره [6] ، وصل الحاج المصرى ، ومات الكثير من الناس فيه بالحمى ، وكذلك كثرت الحمى بأرض مصر وكأنها تناقلت من أرض الحجاز .

---

(١) ٢٧ محرم ١٢٣٥ هـ / ١٥ نوفمبر ١٨١٩ م . (٢) صفر ١٢٣٥ هـ / ١٩ نوفمبر - ١٧ ديسمبر ١٨١٩ م .
(٣) ١ صفر ١٢٣٥ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨١٩ م . (٤) ١ صفر ١٢٣٥ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨١٩ م .
(٥) ١٥ صفر ١٢٣٥ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٩ م . (٦) ١٧ صفر ١٢٣٥ هـ / ٥ ديسمبر ١٨١٩ م .

وفى حادى عشرينه [1] ، وصل إبراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير ، وكان قبل وروده بأيام وصل خبر وصوله إلى القصير ، وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعة وغيرها ، ورمحت المبشرون لأخذ البقاشيش من الأعيان ، واجتمعت نساء أكابرهم عند والدته ونسائهم للتهنئة ، ونظموا له القصر الذى كان أنشأه ولى خوجه وتمه شريف بيك الذى تولى فى منصبه ، وهو بالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة ، وعند وصول المذكور عملوا جسرا من الروضة إلى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر إلى البر ، وردموه بالأتربة من فوق الأخشاب .

وفى ذلك اليوم [2] ، وصل قابجى من دار السلطنة بالبشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، وطلع إلى القلعة فى موكب .

وفى يوم الخميس حادى عشرينه [3] ، عند وصول إبراهيم باشا نودى بزينة المدينة سبعة أيام بلياليها ، فشرع الناس فى تزيين الحوانيت والدور والخانات بما أمكنهم ، وقدروا عليه من الملونات والمقصبات، وأما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم ، فإنهم أبدعوا فى عمل تصاوير مجسمات وتماثيل وأشكال غريبة ، وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج ، فرسموا بجملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع على الناس بقصد ذلك ، فيأخذونها ويبيعونها بأغلى ثمن بعد الإنكار والكتمان .

ولما أصبح يوم الجمعة [4] ، وقد عدى إبراهيم باشا إلى بر مصر رتبوا له موكبا ، ودخل من باب النصر وشق المدينة ، وعلى رأسه الطلخان السليمى من شعار الوزارة ، وقد أرخى لحيته بالحجاز ، وحضر والده إلى جامع الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه ، وطلع بالموكب إلى القلعة ، ثم رجع سائرا بالهيئة الكاملة إلى جهة مصر القديمة ، ومر على الجسر ، وذهب إلى قصره المذكور بالروضة ، واستمرت الزينة والوقود والسهر بالليل ، وعمل الحراقات وضرب المدافع فى كل وقت من القلعة ، ومغانى وملاعب فى مجامع الناس سبعة أيام بلياليها فى مصر الجديدة والقديمة وبولاق ، وجميع الأخطاط ، ورجع إبراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظما فى نفسه جدًا ، وداخله من الغرور مالا مزيد عليه ، حتى أن المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه ، والتهنئة بالقدوم ، فلما أقبلوا عليه وهو جالس فى ديوانه لم يقم لهم ، ولم يرد عليهم السلام ، فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلامة ، فلم يجبهم ولا بالإشارة ، بل جعل يحادث شخصا سخرية عنده ، وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسرى الخاطر .

---

(١) ٢١ صفر ١٢٣٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨١٩ م . (٢) ٢١ صفر ١٢٣٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨١٩ م .
(٣) ٢١ صفر ١٢٣٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨١٩ م . (٤) ٢٢ صفر ١٢٣٥ هـ / ١٠ ديسمبر ١٨١٩ م .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد سنة ١٢٣٥ (١)

فى ثامنه (٢) ، مات ابن إبراهيم باشا وهو الذى تقدمه فى المجئ إلى مصر ، وعملوا له الموكب ، وعمره نحو ست سنوات ، وكان موته فى أول الليل من ليلة الأحد (٣) ، فأرسلوا التنابيه لأعيان الدولة والمشايخ ، فخرج البعض منهم فى ثلث الليل الأخير إلى مصر القديمة حيث المعادى ، لأنه مات بقصر الجيزة ، فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة ، وما حضروا به إلا قرب الزوال ، وانجروا بالمشهد إلى مدفنهم بالقرب من الإمام الشافعى ، وعملوا له مأتما ، وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك ، ثم حكى المخبرون عن كيفية موته أنه كان نائما فى حجر دادته جارية سوداء ، فشاجرتها جارية بيضاء ورفستها برجلها ، فأصابت الغلام فاضطرب ووصل الخبر إلى أبيه ، فدخل إليهم وقبض على الجوارى الحاضرات وحبسهن فى مكان بالقصر ، وقال : « إن مات ولدى قتلتكن عن آخركن » ، فمات من ليلته فخنق الجميع وألقاهن فى البحر بما فيهن الدادة ، وقيل إنهن خمسة وقتل ستة ، والله أعلم .

وفى أواخره (٤) ، انقضى أمر الفحر بترعة الإسكندرية ، ولم يبق من الشغل إلا القليل ، ثم فتحوا لها شرما خلاف فمها المعمول خوفا من غلبة البحر ، فجرى فيها الماء ، واختلط بالمياه المالحة التى نبعت من أرضها ، وعلا الماء منها على بعض المواطن المسبخة ، وبها روبة عظيمة ، وساح على الأرض ، وليس ثم هناك جسور تمنع ، وصادف أيضًا وقوع نوّة وأهوية علا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ووصل إلى الترعة ، فأشيع فى الناس أنّ الترعة فسد أمرها ولم تصح ، وأنّ المياه المالحة التى منها ومن البحر غرّقت الإسكندرية ، وخرج أهلها منها إلى أنْ تحقق الخبر بالواقع ، وهو دون ذلك ورجع المهندسون والفلاحون إلى بلادهم بعدما هلك معظمهم .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣٥ (٥)

فى أوّله (٦) ، عزل الباشا محمد بيك الدفتردار عن إمارة الصعيد ، وقلد عوضه أحمد باشا ابن طاهر باشا وسافر فى خامسه (٧) .

---

(١) ربيع الأول ١٢٣٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨١٩ - ١٦ يناير ١٨٢٠ م .
(٢) ٨ ربيع الأول ١٢٣٥ هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨١٩ م . (٣) ٨ ربيع الأول ١٢٣٥ هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨١٩ م .
(٤) آخر ربيع الأول ١٢٣٥ هـ / ١٦ يناير ١٨٢٠ م .
(٥) ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ١٧ يناير - ١٤ فبراير ١٨٢٠ م .
(٦) ١ ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ١٧ يناير ١٨٢٠ م . (٧) ٥ ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ٢١ يناير ١٨٢٠ م .

وفى سابعه [1] ، سافر الباشا إلى الإسكندرية للكشف على الترعة ، وسافر صحبته ابنه إبراهيم باشا ومحمد بيك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس أوغلى .

وفى ثالث عشره [2] ، حضر الباشا ومن معه من غيبتهم وقد انشرح خاطره لتمام الترعة وسلوك المراكب وسفرها فيها ، وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والنقاير بالبضائع ، واستراحوا من وعر البغاز والسفر فى المالح إلى الإسكندرية ، والنقل والتجريم ، وانتظار الريح المناسب لاقتحام البغاز والبحر الكبير ، ولم يبق فى شغل الترعة إلا الأمر اليسير ، وإصلاح بعض جسورها .

واتفق وقوع حادثة فى هذا الشهر [3] ، وهو أن شخصا من الإفرنج الإنكليز ورد من الإسكندرية ، وطلع إلى بلدة تسمى كفر حشاد ، فمشى بالغيط ليصطاد الطير ، فضرب طيرا ببندقية فأصابت بعض الفلاحين فى رجله ، وصادف هناك شخصا من الأرنؤد بيده هراوة أو مسوقة ، فجاء إلى ذلك الإفرنجى ، وقال له : « أما تخشى أن يأتى إليك بعض الفلاحين ويضربك على رأسك هكذا » ، وأشار بما فى يده على رأس الإفرنجى لكونه لايفهم لغته ، فاغتاظ منه ذلك الإفرنجى وضربه ببندقيته فسقط ميتا ، فاجتمع عليه الفلاحون وقبضوا على الإفرنجى ، ورفعوا الأرنؤدى المقتول ، وحضروا إلى مصر ، وطلعوا بمجلس كتخدا ، واجتمع الكثير من الأرنؤد وقالوا : « لابد من قتل الإفرنجى » ، فاستعظم الكتخدا ذلك ، لأنهم يراعون جانب الإفرنج إلى الغاية، فقال : « حتى نرسل إلى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم فى ذلك » ، وأرسل بإحضارهم ، وقد تكاثر الأرنؤد وأخذتهم الحمية ، وقالوا : « لأى شىء تؤخر قتله إلى مشورة القناصل ، وإن لم يقتل هذا فى الوقت نزلنا إلى حارة الإفرنج ونهبناها وقتلنا كل من بها من الإفرنج » ، فلم يسع الكتخدا إلا أنْ أمر بقتله ، فنزلوا به إلى الرميلة ، وقطعوا رأسه ، وطلع أيضًا القناصل فى كبكبتهم وقد نفذ الأمر ، وكان ذلك فى غيبة الباشا .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٥ [4]

فيه [5] ، جرد الباشا حسن بيك الشماشرجى حاكم البحيرة على سيوة من الجهة القبلية ، فتوجه إليها من البحيرة بجنده ، ومعه طائفة من العرب .

---

(١) ٧ ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ٢٣ يناير ١٨٢٠ م . (٢) ١٣ ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ٢٩ يناير ١٨٢٠ م .

(٣) ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ/ ١٧ يناير – ١٤ فبراير ١٨٢٠ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣٠٧ ، طبعة بولاق « ذكر حادثة » .

(٤) جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ فبراير – ١٥ مارس ١٨٢٠ م .

(٥) ١ جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ فبراير ١٨٢٠ م .

وفيه [1] ، قوى عزم الباشا على الإغارة على نواحى السودان ، فمن قائل إنه متوجه إلى سنار ، ومن قائل إلى دارفور ، وصارى العسكر ابنه إسماعيل باشا وخلافه ، ووجه الكثير من اللوازم إلى الجهة القبلية ، وعمل البقسماط والذخيرة ببلاد قبلى والشرقية ، واهتم اهتماما عظيما ، وأرسل أيضًا بإحضار مشايخ العربان والقبائل .

وفيه [2] ، خرج الباشا إلى ناحية القليوبية حيث الخيول بالربيع ، وخرج محو بيك لضيافته بقلقشندة ، وأخرج خياما وجمالا كثيرة محملة بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والأرز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك ، وأضافه ثلاثة أيام ، وكذلك تأمر كاشف الناحية وغيره ، وكذلك أحضر له ضيافة ابن شديد شيخ الحويطات ، وابن الشواربى كبير قليوب ، وابن عسر ، وكان صحبة الباشا ولداه إبراهيم باشا وإسماعيل باشا ، وحسن باشا .

وفى أثناء ذلك ، ورد الخبر بموت عابدين بيك أخو حسن باشا بالديار الحجازية ، وكذلك الكثير من أتباعه بالحمى ، فتكدر حظهم ، وبطلت الضيافات ، وحضر الباشا ومن معه فى أواخره [3] لعمل العزاء والميتم ، وأخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازية ، حتى قالوا : « إنه لم يبق من طائفة عابدين بيك إلا القليل جدًا » .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٥ [4]

فى عشرينه [5] ، وردت هدية من والى الشام فيها من الخيول الخاص عشرة ، بعضها ملبس ، والباقى من غير سروج وأشياء أخر لانعلمها .

وفى أواخره [6] ، ورد الخبر بأن حسن بيك الشماشرجى استولى على سيوة .

وفيه [7] ، ورد الخبر بأنه وقع بإسلامبول حريق كثير .

---

(١) ١ جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ فبراير ١٨٢٠ م .
(٢) ١ جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ فبراير ١٨٢٠ م .
(٣) آخر جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ مارس ١٨٢٠ م .
(٤) جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٦ مارس - ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .
(٥) ٢٠ جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ٤ أبريل ١٨٢٠ م .
(٦) آخر جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .
(٧) آخر جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .

وفيه [1] ، ورد الخبر أيضًا عن حلب بأن أحمد باشا المعروف بخورشيد الذى كان سابقا والى مصر استولى على حلب ، وقتل من أهلها وأعيانها أناسا كثيرة ، وذلك أنه كان متوليا عليها ، فحصل منه ما أوجب قيام أهل البلدة عليه وعزلوه وأخرجوه ، وذلك من مدة سابقة ، فلما أخرجوه أقام خارجها ، وكاتب الدولة من شأنهم ، وقال ما قال فى حقهم ، فبعثوا أوامر ومراسيم لولاة تلك النواحى بأن يتوجهوا لمعونته على أهل حلب ، فاحتاطوا بالبلدة وحاربوها أشهرا حتى ملكوها وفتكوا فى أهلها ، وضربوا عليهم ضرائب عظيمة وهم على ذلك .

وفى أواخره [2] ، أيضًا تقلد أغاوية مستحفظان مصطفى أغا كرد مضافة للحسبة ، عوضا عن حسن أغا الذى توفى فى الحج ، فأخذ يعسف كعادته فى مبادئ توليته للحسبة ، وجعل يطوف ليلا ونهارا ، ويحتج على المارين بالليل بأدنى سبب ، فيضرب من يصادفه راجعا من سهر ونحوه ، أو يقطع من أذنه أو أنفه .

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٣٥ [3]

فى ثالثه [4] ، تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين أغا المورلى ، وهو بخشونجى بساتين الباشا .

وفيه [5] ، رجع حسن بيك الشماشرجى من ناحية سيوة بعد أن استولى عليها ، وقبض من أهاليها مبلغا من المال والتمر ، وقرر عليها قدرا يقومون به فى كل عام إلى الخزينة .

وفى عشرينه [6] ، سافر محمد أغا لاظ وهو المنفصل عن الكتخدائية إلى قبلى ، بمعنى أنه فى مقدمة الجردة يتقدمها إلى الشلال .

وفى أواخره [7] ، وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية ، فخلع الباشا على أخيه أحمد بيك ، وهو ثالث إخوته ، وهو أوسطهم ، وقلده فى منصب أخيه عوضا عنه ، وأعطى البيرق واللوازم .

---

(١) آخر جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .
(٢) آخر جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .
(٣) رجب ١٢٣٥ هـ / ١٤ أبريل - ١٣ مايو ١٨٢٠ م .
(٤) ٣ رجب ١٢٣٥ هـ / ١٦ أبريل ١٨٢٠ م .
(٥) ٣ رجب ١٢٣٥ هـ / ١٦ أبريل ١٨٢٠ م .
(٦) ٢٠ رجب ١٢٣٥ هـ / ٣ مايو ١٨٢٠ م .
(٧) آخر رجب ١٢٣٥ هـ / ١٣ مايو ١٨٢٠ م .

وفى أواخره (١) ، توجه الباشا إلى ناحية الوادى لينظر ما تجدد به من العمائر والمزارع والسواقى ، وقد صار هذا الوادى إقليما على حدته ، وعمر به قرى ومساكن ومزارع .

واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة ١٢٣٥ (٢)

فيه (٣) ، سافر إبراهيم باشا إلى القليوبية ، ثم إلى المنوفية ، والغربية ، لقبض الخراج على سنة تاريخه (٤) ، والطلب بالبواقى التى انكسرت على الفقراء ، وكان الباشا سامح فى ذلك ، وتلك بواقى سبع سنين ، فكان يطلب مجموع ما على القرية من المال والبواقى فى ظرف ثلاثة أيام ، ففزعت الفلاحون ومشايخ البلاد ، وتركوا غلالهم فى الأجران ، وطفشوا فى النواحى بنسائهم وأولادهم ، وكان يحبس من يجده من النساء ، ويضربهن ، فكان مجموع المال المطلوب تحصيله على ما أخبرنى به بعض الكتاب مائة ألف كيس .

وفى منتصفه (٥) ، حضر الباشا من ناحية الوادى .

وفى أواخره (٦) ، وقع حريق ببولاق فى مغالق الخشب التى خلف جامع مرزه ، وأقام الحريق نحو يومين حتى طفئ ، واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر ، المعروف بالكرسنة والزفت وحطب الأشراق وغيره .

واستهل شهر رمضان بيوم الإثنين سنة ١٢٣٥ (٧)

والاهتمام حاصل ، وكل قليل يخرج عساكر ومغاربة مسافرين إلى بلاد السودان ، ومن جملة الطلب ثلاثة أنفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة التجريدة ، فوقع الاختيار على محمد أفندى الأسيوطى ، قاضى أسيوط ، والسيد أحمد البقلى الشافعيين ، والشيخ أحمد السلاوى المغربى المالكى ، وأقبضوا محمد أفندى المذكور عشرين كيسا وكسوة ، ولكل واحد من الاثنين خمسة عشر كيسا وكسوة ، ورتبوا لهم ذلك فى كل سنة .

---

(١) آخر رجب ١٢٣٥ هـ / ١٣ مايو ١٨٢٠ م .   (٢) شعبان ١٢٣٥ هـ / ١٤ مايو - ١١ يونيه ١٨٢٠ م .

(٣) شعبان ١٢٣٥ هـ / ١٤ مايو - ١١ يونيه ١٨٢٠ م

(٤) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

(٥) ١٥ شعبان ١٢٣٥ هـ / ٢٨ مايو ١٨٢٠ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣٠٩ ، طبعة بولاق « قوله مائة ألف كيس فى بعض النسخ مائة ألف كيس وسبعين ألف كيس أ هـ » .

(٦) آخر شعبان ١٢٣٥ هـ / ١١ يونيه ١٨٢٠ م .   (٧) رمضان ١٢٣٥ هـ / ١٢ يونيه - ١١ يوليه ١٨٢٠ م .

وفى سابعه [1] ، وقع حريـق فى سراية الـقلعة ، فـطلع الأغا والـوالى وأغات التبديل ، واهتمـوا بطفـء النار ، وطلبوا السقائين من كل نـاحية ، حتى شح الماء ، ولايكاد يوجد ، وكان ذلك فى شدّة الحر ، وتوافق شهر بؤنه ورمضان [2] ، وأقاموا فى طفـء النار يومين ، واحـترق ناحية ديوان كتخدا بيك ، ومجـلس شريف بيك ، وتلفت أشياء وأمتعـة ودفاتر حرقا ونهبا ، وذلك أنّ أبنية القلعـة كانت من بناء الملوك المصرية بالأحجار والـصخور والعقود ، وليس بها إلا القليـل من الأخشاب ، فهدموا ذلك جميعه ، وبنوا مكانه الأبنية الرقيقة ، وأكثرها من الحجنة والأخشاب على طريق بنـاء إسلامبول والإفـرنج ، وزخرفوها وطلوها بالبياض الرقـيق والأدهان والنقوش ، وكلـه سريـع الاشتعال ، حتى أنّ الباشا لما بـلغه هذا الحريق ، وكان مقيـما بشبرا ، تذكر بناء القـلعة القديم وما كان فيه من المـتانة ، ويلوم على تغييـر الوضع السابق ، ويقول : « أنا كنت غائبا بالحجاز والمهنـدسون وضعوا هذا البناء »، وقد تلف فى هذا الحريق ما ينيف عـن خمسة وعشرين ألف كيس حرقا ونهبـا ، ولما حصل هذا الحريق انتقلت الدواوين إلى بيت طاهر باشا بالأزبكية ، وانقضى شهر رمضان .

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٥ [3]

وقع فى تلك الليـلة اضطراب فى ثبوت الهلال ، لكونه كـان عسر الرؤية جدا ، وشهـد اثنان برؤيـته ، ورد الواحـد ، ثم حضـر آخر ، ولـم يزالـوا كذلك إلـى آخر الليل، ثـم حكم به عند الـفجر بعد أن صلـيت التراويح ، وأوقدت المـنارات وطاف المسحرون بطبلاتهم ، وتسحرت الناس ، وأصبح العيد باردا .

وفى خامسه [4] ، سافر الباشا إلى ثغر سكندرية كعادته ، وأقام ولده إبراهيم باشا للنظر فى الأحكـام والشكاوى والدعاوى ، وكانت إقامته بقصـره الذى أنشأه بشاطئ النيـل تجاه مضرب الـنشاب ، وتعـاظم فى نفـسه جدا ، ولما رجـع إبراهيم بـاشا من سرحته شرعوا فى عـمل مهم لختان عباس باشا ابن أخيـه طوسون باشا ، وهو غلام فى الســادسـة ، فشرعـوا فى ذلك فى تاسـع عشره [5] ، ونصبـوا خياما كثـيرة تحت القصـر ، وحضرت أرباب المـلاعيب والحواة والمغـزلكون والبهـلوانيون ، وطـبخت الأطعـمة والحلواء والأسـمطة ، وأوقدت الـواقدات باللـيل من المشـاعل والقنـاديل

---

(١) ٧ رمضان ١٢٣٥ هـ / ١٨ يونيه ١٨٢٠ م .

(٢) بؤنه ١٥٣٦ ق / رمضان ١٢٣٥ هـ / ١٢ يونيه - ١١ يوليه ١٨٢٠ م .

(٣) شوال ١٢٣٥ هـ / ١٢ يوليه - ٩ أغسطس ١٨٢٠ م . (٤) ٥ شوال ١٢٣٥ هـ / ١٦ يوليه ١٨٢٠ م

(٥) ١٩ شوال ١٢٣٥ هـ / ٣٠ يوليه ١٨٢٠ م

والشموع بداخل القصر ، وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك ، ورسموا بإحضار غلمان أولاد الفقراء ، فحضر الكثير منهم ، وأحضروا المزينين فختنوا فى أثناء أيام الفرح نحو الأربعمائة غلام ، ويفرشون لكل غلام طراحة ولحافا يرقد عليها حتى يبرأ جرحه ، ثم يعطى لكل غلام كسوة وألف نصف فضة ، وفى كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل ، ودعوا فى أثناء ذلك كبار الأشياخ والقاضى والشيخ السادات والبكرى - وهو نقيب الأشراف - والمفاتى وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ، ولم يقم لواحد منهم ، ولم يرد على من يسلم ولا بالإشارة السلام ، ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها ، وحضرت المائدة فتعاطوا الذى تعاطوه ، حتى انقضى المجلس ، وقاموا وانصرفوا من سكوت .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه [1] ، خرجوا بالمحمل إلى الحصوة ، وأمير الحاج شخص من الدلاة لم نعرف اسمه .

وفى يوم الخميس [2] ، عملوا الزفة لعباس باشا ونزلوا به من القلعة إلى الدرب الأحمر على باب الخرق إلى القصر ، وختنوه فى ذلك اليوم ، وامتلأ طشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيان ، وخلعوا عليه فروة وشال كشميرى ، وأنعموا على باقى المزينين بثلاثين كيسا وانقضى ذلك .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطى [3] ، أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد فى صبحها يوم الأربعاء [4] ، وجرى الماء فى الخليج ، وذلك بحضرة كتخدا بيك والقاضى .

وفى هذا الشهر [5] ، حضر طائفة من بواقى الأمراء المصرية من دنقلة إلى بر الجيزة ، وهم نحو الخمسة وعشرين شخصا ، وملابسهم قمصان بيض لا غير ، فأقاموا فى خيمة ينتظرون الإذن ، وقد تقدم منهم الإرسال بطلب الأمان عندما بلغهم خروج التجاريد ، وحضر ابن على بيك أيوب ، وطلب أمانا لأبيه فأجيبوا إلى ذلك ، وأرسل لهم أمانا لأجمعهم ما عدا عبد الرحمن بيك ، والذى يقال له المنفوخ ، فليس يعطيهم أمانا ، ولما حضرت مراسلة الأمان لعلى بيك أيوب ، وتأهب للرحيل حقدوا عليه وقتلوه ، ووصل خبر موته فعملوا نعيه فى بيته سكن زوجته الكائن بشمس الدولة ، وأكثروا من الندب والصراخ عدة أيام .

---

(١) ٢٣ شوال ١٢٣٥ هـ / ٣ أغسطس ١٨٢٠ م (٢) ٢٤ شوال ١٢٣٥ هـ / ٤ أغسطس ١٨٢٠ م

(٣) ٢٩ شوال ١٢٣٥ هـ / ٣ مسرى ١٥٣٦ ق / ٨ أغسطس ١٨٢٠ م .

(٤) ٣٠ شوال ١٢٣٥ هـ / ٩ أغسطس ١٨٢٠ م .

(٥) شوال ١٢٣٥ هـ / ١٢ يوليه - ٩ أغسطس ١٨٢٠ م .

وفى هذا الشـهر أيضاً [1] حضر أشـخاص من بلاد العجـم وصحبتهم هـدية إلى الباشـا ، وفيها خـيـول ، فأنزلوهم ببيـت حسين بيك الشـماشرجى بناحيـة سويقة العزى .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الخميس سنة ١٢٣٥ [2]

فى رابعـه يوم الأحد [3] ، وصل قابجـى وعلى يده مرسوم تـقرير للباشـا بولاية مصر عـلى السنـة الجديدة ، وتقـرير آخر لولـده إبراهيم بـاشا بولاية جـدّة ، وركب القابجى المـذكور فى موكب من بولاق إلى القـلعة ، وقرئت المراسيم بحـضرة كتخدا بيك وإبراهيم باشا وأعيانهم وضربوا مدافع .

وفيه [4] ، سافر إسماعـيل باشا إلى جهة قبلـى ، وهو أمير العسكر المعـينة لبلاد النوبة ، كل ذلك والباشا الكبير على حاله بالإسكندرية .

واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٥ [5]

فيه [6] ، توجه إبراهيم باشا إلى أبيه بالإسكندرية ، فأقام هناك أياما وعاد فى آخر الشهر ، فأقام بمصر أياما قليلة ، وسافر إلى نـاحية قبلى ، ليجمع ما يجده عند الناس من القـمح والفول والعـدس الثلاثة أصنـاف ، وأخذوا كل سفـينة غصبـا ، وساقوا الجميع إلى قبلى لحمل الغلال ، وجمعها فى الشون البحرية لتباع على الإفرنج والروم بالأثمان الغالية ، وانقضت السنة .

ومن حوادثها ، زيادة النيل الزيادة المفرطـة ، وخصوصا بعد الصليب ، وقد كان حصل الاعتناء الزائد بـأمر الجسور بسبب ما حصل فى العامين السـابقين من التلف ، فلما حصلت هـذه الزيادة بعد الصليب ، وطف الماء علـى أعلى الجسور وغرق مزارع الذرة والنيـلة والقصب والأرز والقـطن وأشجار البسـاتين ، وغالب أشجار الـليمون والبرتقال بما عليها من الثمار ، وصار المـاء ينبع من الأرض الممنوعة نبعا ، ولا عاصم من أمر الله وطال مكث الماء على الأرض حتى فات أوان الزراعة ، ولم نسمع ولم نر فى خوالى السـنين تتابع الغرقات ، بـل كان الغرق نادر الحصول ، وعلا مـاء الخليج

---

(١) شوال ١٢٣٥ هـ / ١٢ يوليه - ٩ أغسطس ١٨٢٠ م .

(٢) ذى القعدة ١٢٣٥ هـ / ١٠ أغسطس - ٨ سبتمبر ١٨٢٠ م .

(٣) ٤ ذى القعدة ١٢٣٥ هـ / ١٣ أغسطس ١٨٢٠ م . (٤) ٤ ذى القعدة ١٢٣٥ هـ / ١٣ أغسطس ١٨٢٠ م .

(٥) ذى الحجة ١٢٣٥ هـ / ٩ سبتمبر - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م . (٦) ١ذى الحجة ١٢٣٥ هـ / ٩ سبتمبر ١٨٢٠ م .

حتى سد غالب فرجـات القناطر ، ونبع الماء من الأراضى الواطية القـريبة من الخليج مثل غيط العدة ، وجامع الأمير حسين ونحو ذلك .

ومنها : أن ترعة الإسكندرية المحدثة لما تم حـفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان مـحمود ، فتحوا لها شرما دون فـمها المعد لذلك ، وامتلأت بـالماء ، فلما بدأت الزيادة فزادت وطف الماء فى المواضع الواطية ، وغرقت الأراضى ، فسدوا ذلك الشرم ، وأبقـو من داخله فيهـا عدّة مراكب للمـسافرين ، فكانـوا ينقلون منـها إلى مراكب البحـر ، ومن البحر إلى مراكبها ، وبـقى ماؤها مالحا متغيـرا ، واستمر أهل الثغر فى جهد من قلة الماء العذب ، وبلغ ثمن الراوية قرشين .

ومنها : أنه لما وقع القياس فى أراضى القـرى ، قرروا مسموحا لمشايخ البلاد فى نظير مضـايفهم خمسة أفدنة من كـل مائة فدان ، وفى هذا العام يدفـع مال المسموح سنتـين ، وذلك عقب مطالـبتهم بالخراج قـبل أوانه ، وما صدقـوا أنهم غلقوه بـبيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة وبيع المواشى والأمتعة ومصاغ النساء ، وكانوا أيضًا طولبوا بالبواقى فى السـنين الخوالى التى كانوا عجزوا عنها ، ولـم يزل رمى الغلال فى هذه السنة ، وكذلك الفول وثمر النخيل والفواكه ، ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ازداد كربهم ، فإنه ربما يجئ على الواحد ألف ريال وأقل وأكثر ، وقد قاسوا الشدائد فى غـلاق الخراج الخارج عن الحـدّ ، وعدم زكاء الزرع وغـرق مزارع النيـلة والأرز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك .

وفى أثر ذلك : فرضـوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشـا ، وعلى الجمل ستون قرشا ، وعلـى الشاة قرش ، والرأس من المعز سبعة وعشـرون نصفا وثلث ، والبقرة خمسة عشر ، والفرس كذلك .

ومنها : احتـكار الصابون ، ويحجز جـميع الوارد على ذمة البـاشا ، ثم سومح تجاره بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومـرتباته ودائرته من غير ثمن ، وهو شىء كثير ، ويستقر ثمنه على ستين نصفا ، بعد أن كان بخمسين جردا من غير نقو .

ومنها : مـا أحدث على البلـح بأنواعه ، وما يجـلب من الصعيـد والإبريمى ، وأنواع العجـوة ، حتى جريد النـخل والليف والخوص ، يـؤخذ جميع ذلك بـالثمن القليل ، ويـباع ذلك للمتسببين بـالثمن الزائد ، وعلى الناس بـأزيد من ذلك ، وفى هذه السنة [1] ، لم تثمر الـنخيل إلا القليل جـدا ، ولم يظهر البلح الأحـمر فى أيام

---

(١) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ – ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

وفرته ، ولم يوجد بالأسواق إلا أياما قليلة ، وهو شيء رديء وبسر ليس بجيد ، ورطله بخمسة أنصاف ، وهى ثمن العشرة أرطال فى السابق ، وكذلك العنب لم يظهر منه إلا القليل ، وهو الفيومى والشرقاوى ، وقد التزم به من يعصره شرابا بأكياس كثيرة ، مثل غيره من الأصناف ، وغير ذلك جزئيات لم يصل إلينا علمها ، ومنها ما وصل إلينا علمها ، وأهملنا ذكرها .

ومنها : أن حسن باشا سافر إلى الجهة القبلية ، وصحبته بعض الإفرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص بأراضى الصعيد والفحص ، وفحر الأراضى والكهوف ، والبرابى واستخراج الآثار القديمة ، والأمم السالفة من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى ، وقطع الصخور بالبارود ، وأشاعوا أنه ظهر لهم شىء مخرفش يشبه خرء الرصاص أو الحديد ، وبه بعض بريق ، ذكروا أنه معدن إذا تصفى خرج منه فضة وذهب ، وأخبرنى بعض من أثق بخبره ، أنه أخذ منه قطعة تزيد فى الوزن على رطلين ، وذهب بها عند رجل صائغ ، فأوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار ، فخرج منها فى آخر الأمر ، وهو ينقلها من بوط إلى آخر بعد كسره ، قطعة مثل الرصاص قدر الأوقية ، وذكروا أيضًا ، أن بالجبل أحجارا سودا توقد فى النار مثل الفحم ، وذلك لأنهم أتوا بمثل ذلك من بلاد الإفرنج ، وأوقدوها بالضربخانة كريهة الرائحة مثل الكبريت ، ولا تصير رمادا بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ويحتاج إلى نقلها إلى الكيمان ، وقالوا : « إنَّ بداخل جبال الصعيد كذلك » ، فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشياء وأمثالها ، فأقام نحو ثلاثة أشهر ، وذلك بأمر الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود ، فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن أسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه النفط ، وليس هو ، وأتوا بشىء منه إلى مصر ، وأوقدوا منه السرج فملأوا منه سبعة مصافى ، وانقطع ، وأشيع فى الناس قبل تحقق صورته ، بل وصلت مكاتبات بأنه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ، ولاينقطع جريانها ، يكفى مصر وإقطاعها ، بل والدنيا أيضًا ، وأخبرنى بعض أتباعهم أن الذى صرف فى هذه المرة نحو الألفى كيس .

ومن حوادث هذه السنة الخارجة عن أرض مصر ، أن السلطان محمود تغير خاطره على عليّ باشا المعروف بتيه رنلى حاكم بلاد الأرنؤد ، وجرد عليه العساكر ، ووقع لهم معه حروب ووقائع ، واستولوا على أكثر البلاد التى تحت حكمه ، وتحصن هو فى قلعة منيعة ، وعلى باشا هذا فى مملكة واسعة وجنود كثيرة ، وله عدة أولاد متأمرين كذلك ، وبلادهم بين بلاد الرومنلى والنيمسا ، ويقال : « إنَّ بعض أولاده

دخل تحت الطاعة ، وكذلك الكثير من عساكره ، وبقى الأمر على ذلك ، ودخل الشتاء ، وانقضت السنة [1] ، ولم يتحقق عنه خبر .

ومنها : أمر المعاملة وما يقع فيه من التخليط والزيادة ، حتى بلغ صرف الريال الفرانسة اثنى عشر قرشا ، عنها أربعمائة وثمانون نصفا ، والبندقى ألف فضة ، وكذلك المجر والفندقلى الإسلامى سبعة عشر قرشا ، والقرش الإسلامبولى بمعنى المضروب هناك المنقول إلى مصر ، يصرف بقرشين وربع ، يزيد عن المصرى ستين نصفا ، وكذلك الفندقلى الإسلامبولى يصرف فى بلدته بأحد عشر قرشا ، وبمصر بسبعة عشر كما تقدم ، فتكون زيادته ستة قروش ، وكذلك الفرانسا فى بلادها تصرف بأربعة قروش ، وبإسلامبول بسبعة ، وبمصر باثنى عشر ، وأما الأنصاف العددية التى تذكر فى المصارفات فلا وجود لها أصلا إلا فى النادر جدا ، واستغنى الناس عنها لغلو الأثمان فى جميع المبيعات والمشتروات ، وصار البشلك الذى يقال له الخمساوية ، أى صرفه خمسة أنصاف ، هى بدل النصف ، لأنه لما بطل ضرب القروش بضربخانة مصر ، وعوض عنها نصف القرش وربعه وثمنه الذى هو البشلك، ولم يبق بالقطر إلا ما كان موجودا قبل وهو كثير يتناقل بأيدى الناس وأهل القرى ، ويعود إلى الخزينة ، ويصرف فى المصارف والمشاهرات ، وعلائف العساكر ، وهم كذلك يشترون لوازمهم ، فتذهب وتعود ، وهكذا تدور مع الفلك كلما دار ، ويصرف القرش عند الاحتياج إلى صرفه بسبعة من البشلك بنقص الثمن فباعتبار كونها فى مقام النصف ، يكون القرش بسبعة أنصاف لا غير ، واعتبار ذلك يكون الألف فضة بمائة وخمسة وسبعين فضة ، لأن الخمسة وعشرين قرشا التى هى بدل الألف إذا نقصت فى المصارفة الثمن ، تكون إحدى وعشرين [2] ، وإذا ضربنا السبعة فى الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وسبعين ، وفيها من الفضة الخالصة ستة دراهم لا غير وأوزان هذه القطع مختلفة لاتجد قطعة وزن نظيرتها ، وفى ذلك فرط آخر ، والقليل فى الكثير كثير ، والذى أدركناه فى الزمن السابق أن هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصرى البتة ، وأوّل من أحدثها بمصر على بيك القازدغلى بعد الثمانين ومائة وألف ، عندما استفحل أمره ، وأكثر من العساكر والنفقات ، وأظهر العصيان على الدولة ، ولما استولى محمد بيك المعروف بأبى الذهب أبطلها رأسا من

(١) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

(٢) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٣١٣ ، طبعة بولاق « تكون إحدى وعشرين أى من العدد الصحيح فلا ينافى زيادة الكسر أ هـ » .

الإقليم وخسر الناس بسبب إبطالها حصة من أموالهم مع فرحهم بإبطالها ، ولم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة الخير والمكاسب ، ولم يبق من أصناف المعاملة إلا أنواع الذهب الإسلامى والإفرنجى ، والفرانسة ونصفه وربعه ، والفضة الصغيرة التى يقال لها نصف فضة ، مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب ، ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التى يقال لها الجدد ، إما عشرة أو اثنا عشر إذا كانت مضروبة ومختومة ، أو عشرين إذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك ، ويقال لها السحاتة ، فكان غالب المحقرات يقضى بهذه الجدد ، بل وخلاف المحقرات ، وفى البيع والشراء ، وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة فى المخالى ، ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن الأرطال ويربحون فيها ، فكان الفقير أو الأجير إذا اكتسب نصفا وصرفه بهذه الجدد ، كفاه نفقة يومه مع رخاء الأسعار ، ويشترى منها خبزا وإداما ، وإذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة فى التقلية أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبرة والبقدونس والفجل والكراث والليمون الصنف أو الصنفين أو الثلاثة بالجديد الواحد ، وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية ، وإذا وجدت فلا ينتفع بها أصلا ، وصار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس ولا وجود له أيضًا ، وصارت الخمساوية بمنزلة النصف بل وأحقر ، لأنه كان يصرف بعدد كثير من الجدد ، وهذه بخمسة فقط ، فإذا أخذ الشخص شيئًا من المحقرات بنصف أو نصفين أو ثلاثة ما كان يؤخذ بجديد أو جديدين ، ولم يجد عند البائع بقية الخمساوية فإما يترك الباقى لوقت احتياج آخر ، إن كان يعرفه ، وإلا تعطلا ، وإذا كان الإنسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديدا ، أو يملأ صاحب الحانوت إبريقه بجديد .

وفى هذه الأيام إذا كان الشخص لم يكن معه بشلك يشرب به وإلا بقى عطشانا حتى يشرب من داره ، ولايهون عليه أن يدفع ثمن قربة فى شربة ماء ، وذلك لعدم وجود النصف ، وكذلك الصدقة على الفقراء وأمثالهم ، وقد كان الناس من أرباب البيوت ، إذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصف ، يسألون الخادم فى اليوم الثانى عنه لكونه نصف المصروف ، ويحاسبونه عليه ، وكان صاحب العيال وذووا البيوت المحتوية على عدة أشخاص من عيال وجوار وخدم ، إذا ادخر الغلة والسمن والعسل والحطب ونحو ذلك ، يكفيه فى مصروف يومه العشرة أنصاف فى ثمن اللحم والخضار وخلافه ، وأما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد ، لغلو الأسعار فى كل شىء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت فى جميع الأصناف ، ولايخفى أن أسباب الخراب التى نص عليها المتقدمون اجتمعت

وتضاعفت فى هذه السنين ، وهى زيادة الخراج واختلال المعاملة أيضًا والمكوس ، وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف والاستيلاء على أرزاق الناس ، فلا تجد مرزوقا إلا من كان فى خدمة الدولة متوليا على نوع من أنواع المكوس أو مباشرا أو كاتبا أو صانعا فى الصنائع المحدثة ، ولايخلو من هفوة ينمّ بها عليه ، فيحاسب مدة إستيلائه فيجتمع عليه جملة من الأكياس فيلزم بدفعها ، وربما باع داره ومتاعه فلا يفى بما تأخر عليه ، فإما يهرب إن أمكنه الهرب ، وإما يبقى فى الحبس ، هذا إنْ كان من أبناء العرب وأهالى البلدة ، وأما إنْ كان بخلاف ذلك ، فربما سومح أو تصدى له من يخفف عنه ، أو يدخله فى منصب أو شركة فيترفع حاله ، ويرجع أحسن ما كان .

ومما حدث أيضًا فى هذه السنة (1) ، الاستيلاء على صناعة المخيش والقصب والتلى الذى يصنع من الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها من الملابس ، وذلك بإغراء بعض صناعهم وتحاسدهم ، وأنّ مكسبها يزيد على ألف كيس فى السنة ، لأن غالب الحوادث بإغراء الناس على بعضهم البعض ، وكذلك الاستيلاء على وكالة الجلابة التى يباع فيها الرقيق من العبيد والجوارى السود ، وغيرهم من البضائع التى تجلب من بلاد السودان ، كسن الفيل ، والتمر هندى ، والششم ، وروايا الماء وريش النعام وغير ذلك .

ومنها ، الحجر على عسل النحل وشمعه ، فيضبط جميعه للدولة ، ويباع رطل الشمع بستة قروش ، ولايوجد إلاّ ما كان مختلسا ويباع خفية ، وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش ، فإذا وردت مراكب إلى الساحل نزل إليها المفتشون على الأشياء ومن جملتها الشمع ، فيأخذون ما يجدونه ، ويحسب لهم بأبخس ثمن ، فإن أخفى شيئًا وعثروا عليه أخذوه بلا ثمن ، ونكلوا بالشخص الذى يجدون معه ذلك ، وسموه حراميا ليرتدع غيره ، والمتولى على ذلك نصارى وأعوانهم لا دين لهم ، وقد هاف النحل فى هذه السنة ، وامتنع وجود العسل وكذلك ثمر النخيل بل والغلال ، فلم تزل فى هذه السنين مع كثرة الأسيال التى غرقت منها الأراضى بل وتعطل بسببها الزرع ، وزادت أثمانها ، وخصوصا : الفول ، وأما العدس فلا يوجد أيضًا إلاّ نادرا ، وكذلك التزم بالملاّحة وتوابعها من زاد فى مالها ، وبلغ ثمن الكيلة قرشا ، وكانت قبل ذلك بثلاثين نصفا ، وفيما أدركناه بثلاثة أنصاف ، وأما أجر الأجراء والفعلة والمعمرين فأبدل النصف بالقرش ، وكذلك ثمن الجير البلدى

(1) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

والجبس ، لأن عمائر أهل الدولة مستديمة لاتنقضى أبدا ، ونقل الأتربة إلى الكيمان على قطارات الجمال والحمير من شروق الشمس إلى غروبها ، حتى ستر علوها الأفق من كل ناحية ، وإذا بنى أحدهم دارا فلا يكفيه فى مساحتها الكثير ويأخذ ما حولها من دور الناس بدون القيمة ، ليوسع بها داره ، ويأخذ ما بقى فى تلك الخطة لخاصته وأهل دائرته ، ثم يبنى أخرى كذلك لديوانه وجمعيته ، وأخرى لعسكره وهكذا .

وأما سليمان أغا السلحدار فهو الداهية العظمى ، والمصيبة الكبرى ، فإنه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحراء ، ونقل أحجارها إلى داخل باب البرقية المعروف بالغريب ، وكذلك ما كان جهة باب النصر ، وجمعوا أحجارها خارج باب النصر ، وأنشأ جهة خان الخليلى وكالة ، وجعل بها حواصل وطباقا وأسكنها نصارى الأروام والأرمن بأجرة زائدة أضعاف الأجرة المعتادة ، وكذلك غيرهم ممن رغب فى السكنى ، وفتح لها بابا يخرج منه إلى وكالة الجلابة الشهيرة التى بالخراطين ، لأنها بظاهرها ، وأجّر الحوانيت كذلك بأجرة زائدة ، فأجّر الحانوت بثلاثين قرشا فى الشهر ، وكانت الحانوت تؤجر بثلاثين نصفا فى الشهر ، والعجب فى إقدام الناس على ذلك وإسراعهم فى تؤاجرهم قبل فراغ بنائها مع ادعائهم قلة المكاسب ، ووقف الحال ، ولكنهم أيضًا يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه ، ثم أخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا ، يسمى حوش عُطَى بضم العين وفتح الطاء وسكون الياء ، كان محطا لعربان الطور ونحوهم إذا وردوا بقوافلهم بالفحم والقلى وغيره ، وكذلك أهالى شرقية بلبيس ، فأنشأ فى ذلك المكان أبنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق ، وسكن غالبها أيضًا الأرمن وخلافهم بالأجرة الزائدة ، ثم انتقل إلى جهة خان الخليلى ، فأخذ الخان المعروف بخان القهوة ، وما حوله من البيوت والأماكن والحوانيت ، والجامع المجاور لذلك تصلى فيه الجمعة بالخطبة ، فهدم ذلك جميعه ، وأنشأه خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها أربعون حانوتا ، أجرة كل حانوت ثلاثون قرشا فى كل شهر ، وأنشأ فوق السبيل - وبعض الحوانيت - زاوية لطيفة يصعد إليها بدرج عوضا عن الجامع ، ثم انتقل إلى جهة الخرنفش بخط الأمشاطية ، فأخذ أماكن ودورا وهدمها ، وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك ، فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن ، فلا يجد بدا من الإجابة ، فيدفع له ما سمحت به نفسه ، إن شاء عشر

الثمن أو أقل أو أزيد بـقليل ، وذلك لشفاعة أو واسطة خيـر ، وإذا قيل له إنه وقف ولا مسوغ لاستبدالـه لعدم تخربه أمر بتخريـبه ليلا ، ثم يأتى بكشاف الـقاضى فيراه خرابا فيقـضى له ، وكان يثقل علـيه لفظة وقف ، ويقول : « إيـش يعنى وقف » ، وإذا كان على المكان حكـر لجهة وقف أصله لايدفعه ولايلتفت لتـلك اللفظة أيضًا ، ويتمم عـمائره فى أسرع وقت ، لعسـفه وقوّة مراسه على أرباب الأشـغال والمواتة ، ولايطلق للفعلة الرواح بل يحبسهم على الدوام إلى باكر النهار ، ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ، ويبتدئون فى العمل من وقت صلاة الشافعى إلى قبيل الغروب حتى فى شـدة الحر فى رمـضان ، وإذا ضجـوا من الحر والـعطـش أمرهم مـشد العـمارة بالشرب، وأحضـر لهم السقاء ليسقيـهم ، وظن أكثر الناس أن هذه العـمائر إنما هى لمخدومـه ، لأنه لايسمـع لشكوى أحـد فيه ، واشتـد فى هذا التـاريخ أمر المسـاكن بالمدينة، وضاقت بأهلها لشمول الخراب ، وكثرة الأغراب وخصوصا المخالفين للملة، فهم الآن أعـيان الناس يتقـلدون المناصب ويلـبسون ثياب الأكـابر ويركـبون الـبغال والخيول المسومـة والرهوانات ، وأمامهم وخلفـهم العبيد والخدم ، وبأيديـهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ، ويتسـرون بالجوارى بيضا وحبوشا ، ويسكنون المساكن الـعالية الجليلة ، يـشترونها بأغلـى الأثمان ، ومنهم من له دار بـالمدينة ودار مطلة على البحر للنزاهة ، ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها ألوفا مـن الأكياس ، وكـذلك أكابر الدولة لاستيلاء كل من كان فى خطة على جميع دورها ، وأخذها من أربابها بـأى وجه ، وتوصلوا بتـقليدهم مناصـب البدع إلى إذلال المسلـمين ؛ لأنهم يحتاجون إلى كتبة وخدم وأعوان ، والتحكم فى أهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير إنـكار ، ويقف الشريـف والعامى بين يدى الكـافر ذليلا ، فضاقـت بالناس المساكن ، وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف ، وأبدل لفظ الريال الذى كـان يذكـر فى قيم الأشياء بالكيس ، وكذلك الأجـر والأمر فى كل شيء فى الازدياد ، والله لطيف بالعباد ، ولـو أردنا إستيفاء بعض الكلـيات فضلا عن الجزئيات لطـال المقال ، وامتد الحال .

وعِشْنا ومِتْنا مـَا نَرى غَيرَ مـَا نَرى تَشَابهَت العجْمَا وزادَ انعِجَامُها

نسأل الله حسن اليقين ، وسلامة الدين .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين وألف [1]

استهل شهر المحرم بيوم الإثنين [2]

وفى أوائله [3] ، حضر الباشا من الإسكندرية .

وفيه [4] ، من الحوادث أن الشيخ إبراهيم الشهير بباشا المالكى بالإسكندرية ، قرر فى درس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب فى حكم الميتة لايجوز أكلها ، وما ورد من إطلاق الآية ، فإنه قبل أن يغيروا ويبدلوا فى كتبهم ، فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنكروه واستغربوه ، ثم تكلموا مع الشيخ إبراهيم المذكور وعارضوه ، فقال : « أنا لم أذكر ذلك بفهمى وعلمى ، وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى ، وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه » ، ثم إنه أرسل إلى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع ، فألف رسالة فى خصوص ذلك ، وأطنب فيها ، فذكر أقوال المشايخ والخلافات فى المذاهب ، واعتمد قول الإمام الطرطوشى فى المنع ، وعدم الحِل ، وحشا الرسالة بالحط على علماء الوقت وحكامه ، وهى نحو الثلاثة عشر كراسة ، وارسلها إلى الشيخ إبراهيم فقرأها على أهل الثغر ، فكثر اللغط والإنكار ، خصوصا وأهل الوقت أكثرهم مخالفون للملة ، وانتهى الأمر إلى الباشا ، فكتب مرسوما إلى كتخدا بيك بمصر وتقدم إليه بأن يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسألة ، وأرسل إليه بالرسالة أيضًا المصنفة ، فأحضر كتخدا بيك المشايخ ، وعرض عليهم الأمر ، فلطف الشيخ محمد العروسى العبارة ، وقال الشيخ على الميلى رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم ، لاينكر علمه وفضله وهو منعزل عن خلطة الناس : إلا أنَّه حاد المزاج وبعقله بعض خلل ، والأولى أن نجتمع به ونتذاكر فى غير مجلسكم ، وننهى بعد ذلك الأمر إليكم ، فاجتمعوا فى ثانى يوم [5] ، وأرسلوا إلى الشيخ على يدعونه للمناظرة فأبى عن الحضور ، وأرسل الجواب مع شخصين من مجاورى المغاربة ، يقولان : « إنه لايحضر مع الغوغاء ، بل يكون فى مجلس خاص ، يتناظر فيه مع الشيخ محمد ابن الأمير بحضرة الشيخ حسن القويسنى ، والشيخ حسن العطار فقط ؛ لأن ابن الأمير يناقشه ويشن عليه الغارة » ، فلما قالا ذلك القول تغير ابن الأمير ، وأرعد وأبرق وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل ، وعند ذلك أمروا بحبسهما فى بيت الأغا ، وأمروا الأغا بالذهاب إلى بيت الشيخ على وإحضاره

---

(١) ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ - ٢٧ سبتمبر ١٨٢١ م .
(٢) ١ محرم ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ م .
(٣) ١ محرم ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ م .
(٤) ١ محرم ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ م .
(٥) ٢ محرم ١٢٣٦ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٢٠ م .

بالمجلس ولو قهرا عنه ، فركب الأغا وذهب إلى بيت المذكور فوجده قد تغيب ، فأخرج زوجته ومن معها من البيت ، وسمر البيت ، فذهبت إلى بيت بعض الجيران ، ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بأن الشيخ عليّ على خلاف الحق ، وأبى عن حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم فى تحقيق المسألة ، وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ، ولو كان على الحق ما اختفى ولا هرب ، والرأى لحضرة الباشا فيه إذا ظهر ، وكذلك فى الشيخ إبراهيم باشا السكندرى ، وتمموا العرض وأمضوه بالختوم الكثيرة ، وأرسلوه إلى الباشا ، وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الأغا ، ورفعوا الختم عن بيت الشيخ عليّ ، ورجع أهله إليه ، وحضر الباشا إلى مصر فى أوائل الشهر [1] ، ورسم بنفى الشيخ إبراهيم باشا إلى بنى غازى ، ولم يظهر الشيخ عليّ من اختفائه .

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٦ [2]

وفى أوائله [3] ، حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية بعدما طاف الفيوم أيضًا ، وأحضر معه جملة أشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان ، وهم فى الجنازير الحديد ، وشقوا بهم البلد ، ثم حبسوهم .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢٣٦ [4]

وفى أوائله [5] ، حضر نحو العشرة أشخاص من الأمراء المصرية البواقى فى حالة رثة ، وضعف وضيم واحتياج ، وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان وأجيبوا إلى ذلك .

وفيه [6] ، أشهروا العربان الذين أحضرهم إبراهيم باشا معه وقتلوهم وهم أربعة اثنان بالرميلة ، واثنان بباب زويلة .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٦ [7]

وفيه [8] ، أخرج الباشا عبدالله بيك الدرندلى منفيا ، وكان عبدالله بيك هذا

---

(١) ١ محرم ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ م . (٢) صفر ١٢٣٦ هـ / ٨ نوفمبر - ٦ ديسمبر ١٨٢٠ م .

(٣) ١ صفر ١٢٣٦ هـ / ٨ نوفمبر ١٨٢٠ م .

(٤) ربيع الأول ١٢٣٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٢٠ - ٥ يناير ١٨٢١ م .

(٥) ١ ربيع الأول ١٢٣٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٢٠ م . (٦) ١ ربيع الأول ١٢٣٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٢٠ م .

(٧) ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٦ يناير - ٣ فبراير ١٨٢١ م .

(٨) ١ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٦ يناير ١٨٢١ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣١٧ ، طبعة بولاق « قوله : وفيه أخرج الباشا عبدالله الخ فى كثير من النسخ إدراجه بصفر وبالجملة قد يوجد هنا اختلاف غير هذا بين النسخ فى التقديم والتأخير لا غير أ هـ. » .

يسكن بخطة الخرنفش ، وهو رجل فيه سكون قليل الأذى ، وملك بتلك الناحية دورا وأماكن ، وله عزوة وعساكر وأتباع ، وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه ، ويتوسع معه فى الكلام والمسامرة ، وسبب تغير خاطر الباشا عليه ، أنه جرى ذكر على باشا تبدلان الأرنؤدى وحروبه ، ومخالفة العساكر عليه ، فقال عبدالله المذكور : « إنَّ العساكر يرون محاربة السلطان معصية أو كلاما هذا معناه » ، فتغير وجه الباشا من ذلك القول ، ويقال : « إنه أمر بقتله ، فشفع فيه حسن باشا طاهر من القتل ، وأن يخرج منفيا هكذا أشيع واستفيض » ، وانضم إلى ذلك أنه قال لشريف بيك أمين الخزنة عند تأخر علوفته : « خدمة نصرانى أحسن من خدمتكم » ، مع المشاجرة فبلغها شريف بيك للباشا أيضًا ، وأوغر صدره عليه ، ودفع له الباشا علوفته وثمن ما حازه من الأماكن والأملاك ، ووصله ذلك على عدة جمال محملة بالدراهم ، وسافر فى ثامنه [1] على طريق البر ، وأبقى حريمه وأثقاله ليأتوه على سفن البحر .

وفى سادس عشره [2] ، أمر الباشا بقراءة صحيح البخارى بالجامع الأزهر ، فاجتمع فى يوم الإثنين ، سابع عشره [3] ، وقرءوا فى الأجزاء على العادة ضحوة النهار أربعة أيام آخرها الخميس [4] ، وفرقوا على أولاد المكاتب دراهم ، وكذلك على مجاورى الأزهر فى نظير قراءة البخارى .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة ١٢٣٦ [5]

فيه [6] ، حضر إبراهيم باشا ، ونزل بقصره الجديد بل قصوره ، لأنه أنشأ عدة قصور متصلة وبساتين ومصانع متصلة متسعة مزخرفة ، منها قصر لديوانه ، وقصر لحريمه ، وقصر لخصوص عباس باشا ابن أخيه وغير ذلك .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦ [7]

فيه [8] ، عزم إبراهيم باشا على إعادة قياس أراضى قرى مصر ، وأحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصا .

---

(١) ٨ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ١٣ يناير ١٨٢١ م . (٢) ١٦ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٢١ يناير ١٨٢١ م .
(٣) ١٧ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٢٢ يناير ١٨٢١ م . (٤) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٢٥ يناير ١٨٢١ م .
(٥) جمادى الأولى ١٢٣٦ هـ / ٤ فبراير - ٥ مارس ١٨٢١ م .
(٦) جمادى الأولى ١٢٣٦ هـ / ٤ فبراير - ٥ مارس ١٨٢١ م .
(٧) جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ / ٦ مارس - ٣ أبريل ١٨٢١ م .
(٨) ١ جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ / ٦ مارس ١٨٢١ م .

وفى يوم السبت خامسه [1] ، عدى إلى الجيزة تجاه القصور وجمع القياسين والمهندسين ، وكذلك مهندسى الإفرنج ، وقاس كل قياسته وكيفية عمله فعاند المعلم غالى ، وأحب تأييد أهل حرفته من قياسى القبط ، وقال كل منهم على الصحيح ، وعلم إبراهيم باشا أنّ قياس المهندسين وأرباب المساحة أصح ، ولكن فيها بطء ، فقال: « أريد الصحيح ، ولكن مع السرعة » ، بعد أن عمل امتحانا ومثالا فى قطعة من الأرض ، يظهر بها برهان الصحة ، والتفاوت ، وأمسى الوقت فأمرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس [2] ، الآتى ، فحضروا كذلك ، واشتغلوا يومهم بالعمل إلى آخر النهار ، ثم اختار من مهندسى الأقباط طائفة وطرد الآخرين .

وسافر فى رابع عشره [3] ، إلى ناحية شرق أطفيح ، وأخذ من المهندسخانة كبيرها ، وصحبته سبعة عشر شخصا ، وكذلك أشخاصا من الإفرنج المهندسين ، وانتقصوا من القصبة فى هذه المرة مقدار قبضة .

واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٣٦ [4]

فيه [5] ، سافر مماليك الباشا إلى جهة أسيوط مثل العام الماضى ، ليكرتنوا هناك حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر .

وفى سابع عشره [6] ، ارتحل محمد بيك الدفتردار مسافرا إلى دارفور ببلاد السودان ، بعد أن تقدمه طوائف كثيرة عساكر أتراك ومغاربة .

وفى خامس عشرينه [7] ، أمر الباشا بنفى محمد المعروف بالدرويش ، كتخدا محمود بيك الذى هو الآن كتخدا بيك ، والسيد أحمد الرشيدى كاتب الرزق ، وسليمان أفندى ناظر المدابغ والجلود وثلاثتهم إلى قلعة أبى قير ، لمقتضيات واهية فى خدم مناصبهم ، ومحمد كتخدا كان ناظرا على الجلود فى العام الماضى قبل سليمان أفندى المذكور .

---

(١) ٥ جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ/ ١٠ مارس ١٨٢١ م .
(٢) ١٠ جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ/ ١٥ مارس ١٨٢١ م .
(٣) ١٤ جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ/ ١٩ مارس ١٨٢١ م .
(٤) رجب ١٢٣٦ هـ/ ٤ أبريل - ٣ مايو ١٨٢١ م .
(٥) ١ رجب ١٢٣٦ هـ/ ٤ أبريل ١٨٢١ م .
(٦) ١٧ رجب ١٢٣٦ هـ/ ٢٠ أبريل ١٨٢١ م .
(٧) ٢٥ رجب ١٢٣٦ هـ/ ٢٨ أبريل ١٨٢١ م .

وفى أواخره [1] ، حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة فيهم ثلاثة صناجق أحدهم : أحمد بيك الألفى وهو زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بيك الكبير .

واستهل شهر شعبان بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦ [2]

وفى ثامنه يوم الجمعة [3] ، عمل سليمان أغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالأحمر ، وكان قد تخرب ، ولم يبق به إلا الجدران ، فتصدى لعمارته سليمان أغا المذكور ، وسقفه أيضًا بأفلاق النخيل والجريد والبوص ، وأقام له عمدا من الحجارة ، وجدد منبره وبلاطه وميضأته ومراحيضه ، وفرشه بالحصر ، وعمل به الجمعية فى ذلك اليوم [4] ، واجتمع به عالم كثيرون من الناس ، وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير ، وبعد انقضاء الصلاة قرأ درسا ، وأملى فيه حديث من بنى لله مسجدا ، وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة ، وكذلك على الشيخ العروسى ، وعمل لهم شربات سكر .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه [5] ، حضر إبراهيم باشا من ناحية شرق أطفيح.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه [6] ، سافر بمن معه إلى ناحية شرقية بلبيس.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة ١٢٣٦ [7]

وعملت الرؤية فى تلك الليلة كالعادة ، وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب، وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة بعد مضى أربع ساعات من الليل، ولم يحصل فيه من الحوادث غير تغالى الأثمان وتعاليها ، بسوء فعل السوقة ، وإظهار ردئ المأكولات ، وإخفاء جيدها ، وقد انقضى بخير .

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦ [8]

فى ثالثه [9] ، حضرت هجانة من أراضى نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار

(١) آخر رجب ١٢٣٦ هـ/ ٣ مايو ١٨٢١ م .

(٢) شعبان ١٢٣٦ هـ/ ٤ مايو - ١ يونيه ١٨٢١ م .

(٣) ٨ شعبان ١٢٣٦ هـ/ ١١ مايو ١٨٢١ م .

(٤) ٨ شعبان ١٢٣٦ هـ/ ١١ مايو ١٨٢١ م .

(٥) ٢٣ شعبان ١٢٣٦ هـ/ ٢٦ مايو ١٨٢١ م .

(٦) ٢٦ شعبان ١٢٣٦ هـ/ ٢٩ مايو ١٨٢١ م .

(٧) رمضان ١٢٣٦ هـ/ ٢ يونيه - ١ يوليه ١٨٢١ م .

(٨) شوال ١٢٣٦ هـ/ ٢ يوليه - ٣٠ يوليه ١٨٢١ م .

(٩) ٣ شوال ١٢٣٦ هـ/ ٤ يوليه ١٨٢١ م .

الوهابية مقيدون على الجمال ، وهم عمر بن عبد العزيز ، وأولاده ، وأبناء عمه ، وذلك أنهم لما رجعوا إلى الدرعية بعد رحيل إبراهيم باشا وعساكره ، وكان معهم مشارى بن مسعود ، وقد كانوا هربوا فى الدرعية بعدما رحل عنها إبراهيم باشا ، وتركى بن عبدالله ابن أخى عبد العزيز ، وولد عم مسعود الأمشارى ، فإنه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد مسعود وجماعتهم حين أرسلهم إبراهيم باشا إلى مصر فى الحمراء ، وهى قرية بين الجديدة وينبع البحر ، وذهب إلى الدرعية ، واجتمع عليه من فرّ حين قدمت العساكر ، وأخذوا فى تعميرها ، ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشارى ، ودعا الناس إلى طاعته ، فأجابه الكثير منهم ، فكادت تتسع دولته ، وتعظم شوكته ، فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك ، فأوثقوا مشارى وأرسلوه إلى مصر ، فمات فى الطريق ، وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين ، بحجر اليمامة ، وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة ، فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة ، وطلبوا الأمان ، لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الأمان على أنفسهم ، فخرجوا له إلا تركى فإنه خرج من القلعة ليلا وهرب ، وأما حسين بيك فإنه قيد الجماعة وأرسلهم إلى مصر فى الشهر المذكور ، وهم الآن مقيمون بمصر بخطة الحنفى قريبًا من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٦ (١)

فيه (٢) ، حضر إبراهيم باشا من سرحته بالشرقية بسبب قياس الأراضى والمساحة.

وفى منتصفه (٣) ، سافر الباشا إلى الإسكندرية لداعى حركة الأروام ، وعصيانهم ، وخروجهم عن الذمة ، ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر ، وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل ، حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من إسلامبول ، وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ، ومن بها أيضًا من السفار

---

(١) ذى القعدة ١٢٣٦ هـ / ٣١ يوليه - ٢٩ أغسطس ١٨٢١ م .
(٢) ١ ذى القعدة ١٢٣٦ هـ / ٣١ يوليه ١٨٢١ م .
(٣) ١٥ ذى القعدة ١٢٣٦ هـ / ١٤ أغسطس ١٨٢١ م .

والحجاج ، فقتلوهم ذبحا عن آخرهم ، ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك ، وشاع ذلك بالنواحى ، وانقطعت السبل ، فنزل الباشا إلى الإسكندرية ، وشرع فى تشهيل مراكب مساعدة للدونانمة السلطانية ، وسيأتى تتمة هذه الحادثة ، وبعد سفر الباشا سافر أيضًا إبراهيم باشا إلى ناحية قبلى قاصدا بلاد النوبة .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦ (١)

فيه (٢) ، خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساؤهم ، وفيهم محو بيك ومغاربة ، وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود واللغمجية ، وجميع اللوازم ، قاصدين بلاد النوبة ، وما جاورها من بلاد السودان .

وفيه (٣) ، سافر أيضًا محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية إلى إسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين .

وفيه (٤) ، وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء إسماعيل باشا على سنار ، بغير حرب ، ودخول أهلها تحت الطاعة ، فضربت لتلك الأخبار مدافع من القلعة .

وانقضت هذه السنة (٥) ، وما تجدد بها من الحوادث انقضى بعضها ، والبعض باق إلى الآن .

فمنها ، توقف زيادة النيل ، وذلك أنه لم يستتم أذرع الوفاء إلى ثامن عشر مسرى القبطى (٦) ، حتى ضجر الناس وضج الفلاحون .

ومنها ، أمر المعاملة التى زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقى ألفا ومائتى نصف ، والمجر والفندقلى عشرين قرشا ، عنها ثمانمائة نصف ، وبلغ صرف الريال الفرانسة أربعة عشر قرشا ، عنها خمسمائة نصف وستون نصفا ، وقس على ذلك باقى الأصناف .

ومنها : غلو الأثمان فى جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال ، حتى

---

(١) ذى الحجة ١٢٣٦ هـ / ٣٠ أغسطس - ٢٧ سبتمبر ١٨٢١ م .
(٢) ١ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ / ٣٠ أغسطس ١٨٢١ م . (٣) ١ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ / ٣٠ أغسطس ١٨٢١ م .
(٤) ١ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ / ٣٠ أغسطس ١٨٢١ م .
(٥) ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ - ٢٧ سبتمبر ١٨٢١ م .
(٦) ١٨ مسرى ١٥٣٧ ق / ٢٣ أغسطس ١٨٢١ م .

وصل الأردب إلى ألف وخمسمائة نصف ، والرطل السمن إلى خمسين نصفا ، وإلى ستين نصفا ، وقس على ذلك .

وأما حادثــة الأروام : التى هى بـاقية إلى الآن ، وما وقــع منهم مــن الإفساد ، وقطع الطريق على المسافرين ، واستيلائهم على كل ما صادفوه من مراكب المسلمين ، وخروجهم عن الذمة وعصـيانهم ، وما وقع معهم من الوقائع ، وما سـينتهى حالهم إليه ، فسيتلى عليك إن شاء الله تعالى بكماله فى الجزء الآتى بعد ذلك ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وجد بآخر بعض النسخ ما نصه

« إلى هنا انتهى ما نقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن
ابن الشيخ حسن الجبرتى مؤرخ هذه
المدة وما قبلها لغاية هذا التاريخ
سنة ١٢٣٦ وهذا آخر الجزء
الرابع وبعده توفى
الشيخ ولم يكتب
شيئا »

تم

كشافات الجزء الرابع*

من كتاب

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى

١ - كشاف الاعلام .

٢ - كشاف الأمم والقبائل والجماعات والعشائر .

٣ - كشاف الأماكن والبلاد والمدن والجبال والبحار والسفن والآثار والتحف المنقولة والعملة .

٤ - كشاف المصطلحات والوظائف .

★ رُتب هذا الكشاف ترتيبًا هجائيًا ، مع إغفال الـ ، ابن ، ابو .... ووجودها رسمًا واغفالها حكما . فمثلاً عند البحث عن كلمة ابن الباشا ؛ يكون المدخل « باشا » ... إلخ .



(خ)

(ش)

(غ)

(ف)

كشاف الأمم والقبائل والجماعات والعشائر

(أ)

(ب)

(ت)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

كشاف الاماكن والبلاد والمدن والجبال والبحار والسفن والآثار والتحف المنقولة والعملة

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ص)

(ض)

(ط)

(ق)

(ك)

(ل)

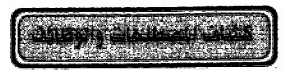
(ن)

(هـ)

(و)

(لا)

(ي)


كشاف المصطلحات والوظائف

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(غ)

(ف)

(م)

(ن)

(هـ)

المحتوى

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٢٠٨/ ١٩٩٧

- I. S. B. N. 977 - 18 - 0078 -7

‘ADJĀ’IB AL-ATHĀR

FIL-TARĀDJIM WAL-AKHBĀR

BY AL-DJABARTI

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

Center of Documents & Contemporary
History of Egypt

ʿADJĀʾIB AL-ATHĀR

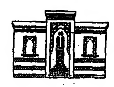
FIL-TARĀDJIM WAL-AKHBĀR

BY AL-DJABARTI

Edited by

Prof. ʿAbd al-Rahīm ʿAr. ʿAbd al-Rahīm

according to Būlāq edition



NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1998